غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

نسخة مجانية

المجلد الثمانون

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

نسخة مجانية

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المِحْوَرُ التَّاسِعُ

الشِّعْرُ وَالأَدَبُ وَالحِوَارُ

١٥٧ لقاءات ومحاورات
حول قضايا الإسلام والعصر

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفَ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحـور التاسع

الشِّعر والأدب والحوار

١٥٧

لقاءات ومحاورات

حول قضايا الإسلام والعصر

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة تجليبة

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك أنْ تداعى عليكم الأمم من كُلِّ أفق كما تداعى الأَكَلَة على قصعتها**». قال: قلنا: يا رسول الله، أمِنْ قِلَّة بنا يومئذ؟ قال: «**أنتم يومئذ كثير، ولكنْ تكونون غُثَاءً كغُثَاء السيل، تُنتزع المهابةُ من قلوب عدُوِّكم، ويجعل في قلوبكم الوهن**». قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: «**حب الحياة وكراهية الموت**». رواه أحمد وأبو داود.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

(أمَّا بعد)

فهذه مجموعة من حواراتي المسموعة والمرئيَّة والمقروءة مع بعض الصحف والمجلات والإذاعات والقنوات ومراكز البحوث، وقد نشرت بعض هذه الحوارات بعنوان: «قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث»[١]، وبعضها بعنوان: «لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر»[٢]، وقد رأينا جمعها وغيرها تحت عنوان «لقاءات ومحاورات حول قضايا الإسلام والعصر»، وحذفنا ما فيه تكرار، وهذبنا قليلًا من عباراتها بما لا يخل بمضمون الكلام، لا سيما الحوارات المسموعة المرئية.

وقد تعدَّدت موضوعات هذه اللقاءات تنوعًا كبيرًا، ما بين الدين والعبادة، والحكم والسياسة، والفكر والثقافة، والمجتمع ومشكلاته،

(١) نشرت دار الضياء للنشر والتوزيع، عَمَّان، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٢) نشر مكتبة وهبة، القاهرة، الجزء الأول ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، والجزء الثاني، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

والاقتصاد وتطوراته. والحق أنَّ هذا التعدد نابع من طبيعة دين الإسلام، فهو دين شـامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا، يعمل على إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع، ويشمل الماديات والمعنويات، ويضمُّ الدِّين والدُّنْيا معًا.

وسـيجد القارئ لهـذه المحـاورات أحاديث مطولة عـن الصحوة الإسـلامية، تلك اليقظة التي بـدأت صغيرة، ثم كبُـرت، محدودة ثم انتشـرت، ضعيفة ثم قويت، مرتجلة ثم انتظمت، حتى صارت حديث الإعلام ومراكـز البحث في الشـرق والغرب. ولصلتـي بهذه الصحوة توجيهًا وترشـيدًا ودعمًا، دائمًا ما أسـأل عنها وعـن تياراتها، ورؤيتها وأفكارها، وثمرتها وأخطائها.

وكذلك سيجد القارئ أمرًا مشتركًا بين كثير من هذه اللقاءات، وهو الحديث عن فلسـطين القضية المحورية والمركزية الأولى للمسـلمين، والحديث عن السـلام مع إسـرائيل، والانتفاضـة ونصرتها، وحركات المقاومة الإسلامية في فلسطين ولبنان.

وفيها كذلـك حديث عن دور المـرأة في المجتمع، وعن الأسـرة المسـلمة، وعن الدعوة والدعاة، وعـن الاجتهاد والتجديـد، وتطبيق الشريعة، وعن التراث، وغيرها من الموضوعات المهمة.

كما إنَّنـي لم أقصـر حواراتي على وسـائل الإعـلام ذات التوجه الإسلامي، بل فتحت الباب لكل وسيلة إعلامية رصينة قدر طاقتي، فهذا أجدى وأنفع لديننـا وقضايانا، مـن مخاطبتنا لأنفسـنا وجمهورنا من المتدينيـن والملتزميـن، ونتـرك قاعدة عريضـة من الجمهـور الذين لا يقرؤون المجلات الإسلامية، ولا يشاهدون القنوات الإسلامية. فلا بد لنا أن نوصل كلمتنا، أداءً لواجب البلاغ الذي كلفنا الله به.

QaradawiBooks.com

وكان بعض الأخوة قد أنكر عليَّ فيما سبق نشري لكتابي «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم» على حلقات في صحيفة «الشرق الأوسط»، لما لها من مواقف لا يرضون عنها، مع أنِّي لمست جدوى هذا النشر في جمهور كبير من الناس.

بقي أمر أحب أن أنبِّه عليه، وهو موقفي السابق من إيران والشيعة وحزب الله وثورة الخميني. فقد كان فيه قدر كبير من الانفتاح، والتجاوب مع دعوات التقريب، قبل أن ينكشف الغطاء، ويظهر المستور، ويحصحص الحق، ويتضح الباطل، من خلال موقف إيران والشيعة من نشر المذهب الشيعي في بلاد أهل السُّنَّة، والتضييق على أهل السُّنَّة في إيران، والتطهير العرقي للسُّنَّة في العراق وسوريا واليمن، والتغيير الديموغرافي والسياسي لهذه البلاد. وهو ما جعلني أغير موقفي، وأعلنه إعلانًا صريحًا واضحًا لا خفاء، من خلال التصريحات الإعلامية، والفتاوى المكتوبة، والكتب والرسائل. فالحق أحق أن يتبع.

أسأل الله ﷻ أن يجعل هذه الحوارات خالصة لوجهه الكريم، وأن يكون فيها النفع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الصحوة الإسْلاميَّة
فكرة، وفهمٌ، وإيمان وسُلوك

من أهمِّ مميِّزات أشغال ملتقى الفكر الإسلامي الثامن عشر المنعقد بنزل الأوراسي بالجزائر العاصمة في الفترة ما بين (١٠ ـ ١٦ يوليو ١٩٨٤م) هو مشاركة نخبة من العلماء والمفكرين والباحثين، الَّذين قدموا من مختلف أقطار العالم الإسلامي، لبحث ودراسة ومناقشة موضوع «الصحوة الإسلاميَّة والحضارة المعاصرة»، من خلال البحوث والمحاضرات القيِّمة، الَّتي ألقيت حول مختلف جوانب الصحوة، من أسبابها ومظاهرها، إلى آفاقها ومستقبلها. وقد تخلَّلت هذه البحوث والمحاضرات تعقيبات هامَّة سادها جوٌّ علميٌّ وفكريٌّ رائع، وحُرِّيَّة كاملة في إبداء الرأي، ممَّا عمل على كشف وإلقاء الضوء على الكثير من المفاهيم الغامضة، واتضحت فيه حقيقة الصحوة الإسلاميَّة.

ومن أجل تعميم الفائدة وتمكين القراء من الاستفادة بأفكار هؤلاء العلماء، اغتنمنا فرصة وجودنا مع هؤلاء العلماء، وأجرينا مع بعضهم أحاديث ولقاءات حول «الصحوة الإسلاميَّة والحضارة المعاصرة»، وقضايا إسلاميَّة أخرى.

ونشرع اليوم في تقديم اللقاء الأول الَّذي أجريناه مع فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، أحد الدُّعاة البارزين في حقل الدعوة

QaradawiBooks.com

الإسلاميَّة، والَّذي يمتاز بدقَّة الفقيه وإشراقة الأديب وحرارة الداعية، فهو من المُفَكِّرين الإسلاميِّين الَّذين يمتازون بالاعتدال، ويجمعون بين محكمات الشرع ومتطلبات العصر.

* النصر: ما هو مفهومكم لعبارة: إنَّ الإسلام دين يتجدَّد ولا يتبدَّد؟

ـ الدكتور القرضاوي: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فالإسلام يحمل في طبيعته القدرة على التجدُّد والنماء، بما أودع الله فيه من خصائص، فهذا الدِّين لا يمكن أنْ تنطفئ جذوته، ولا أنْ يخبو نوره أبدًا ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. هو بطبيعته يبعث على الصحوة واليقظة، وإذا نام المسلمون يومًا، فلا بدَّ أنْ يوقظهم الإسلام، وأنْ يهيئ الله لهم من يجدد لهم دينهم، كما في الحديث الصحيح: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنةٍ مَنْ يُجدِّد لها دِينِها**»[(١)]. ولا يمكن أن تجتمع هذه الأُمَّة على ضلالة، سُنَّة الله ولن تجد لسُنَّة الله تبديلًا، قد يضلُّ الضالُّون ويتيه التائهون، ولكن تبقى تلك الفئة القائمة على الحقِّ، لا يضرُّها من خالفها، حتَّى يأتي أمر الله، كما صحَّت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ: أنَّه لا تزال طائفة من هذه الأُمَّة قائمة على أمر الله، قائمة على الحقِّ تدعو إليه وتنادي به، وتقاتل عليه، حتَّى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]،

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (١٨٤٥)، فلعلَّه سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي. عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، طبيعة الأُمَّة الإسلاميَّة ألَّا تجتمع على ضلالة وأنْ يظلَّ فيها الدُّعاة والهُداة يوقظونها من سُبَاتٍ ويُحْيُونها من ممات، ولا تخلو الأرض من قائم لله بالحُجَّة، وصدق شوقي حين قال:

إنَّ الَّذِي خَلَقَ الحَقِيقَةَ عَلْقَمًا لم يُخْلِ مِنْ أَهْلِ الحَقِيقَةِ جِيلًا(١)

وهذا ما أثبته التاريخ الإسلامي على طول مداه: أنَّه كلَّما حدث ركود أو نوم، في فترة من الفترات، جاء من المُجَدِّدين ومن المُصْلحين، من يوقظ هذه الأُمَّة على طَوَال التاريخ، فقد جاء المُجَدِّدون في العصور الأخيرة، من مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس؛ الَّذين أيقظوا الأُمَّة حتَّى انتشرت الحركات الإسلاميَّة في كل مكان. وكانت هذه الصحوة الَّتي نشهد آثارها اليوم، والَّتي عقد هذا الملتقى من أجلها، ومن أجل ترشيدها، وتسديد خُطاها، وتقويتها، والعمل على توسيع آفاقها، وانتشارها، واستمرارها أيضًا، حتَّى تُؤتي أُكُلها بإذن ربِّها.

* النصر: هناك من عارض القول بأنَّ هناك صحوة إسلاميَّة حقيقيَّة بارزة للعيان، مع أنَّ الكثير من العلماء يرى غير ذلك، كيف تردُّون على هؤلاء؟

ـ الدكتور القرضاوي: الصحوة موجودة ولا شكَّ وهي ظاهرة اجتماعيَّة حقيقيَّة ملموسة، تُجَسِّد الاتِّجاه بقوَّة إلى الإسلام، إلى الإيمان بالإسلام عقيدة ومنهجًا للحياة، والدعوة إلى الإسلام والعمل به، فهي

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٨١/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

فكرةٌ وفهمٌ وإيمانٌ وسلوك. قد كان هناك المُتَدَيِّنون تديُّنًا فرديًّا في أنفسهم، ولكن الصحوة ليست مُجَرَّد تديُّن فردي، إنَّه تديُّنًا مع دعوة إلى الإسلام باعتباره نظامًا للحياة، هذا هو ما تُؤَكِّده هذه الصحوة، وأثرها مشهودٌ في كل الميادين.

ففي الميدان السلوكي نرى الشباب الملتزم بالإسلام وبفرائضه وحتَّى بسُنَنه وآدابه. كما نرى الالتزام بالحجاب الإسلامي وبالزيِّ الشرعي بين الشابَّات بعد أن كان شيئًا مفقودًا في وقت من الأوقات.

الإقبال على المساجد، على قراءة القرآن الكريم، على دارسة الحديث الشريف، على قراءة الكتاب الإسلامي.

الكتاب الإسلامي الآن هو الأول في سوق التوزيع، كما تشهد بذلك كلُّ مَعَارض الكُتب في البلاد العربيَّة، إنَّ أوَّل كتابٍ يُوزَّع هو الكتاب الإسلامي، وخاصَّة كُتُب الدُّعاة الإسلاميِّين المعروفين. تنتشر كتبهم انتشارًا لا حدَّ له، هذه من آثار الصحوة.

الإقبال على الحجِّ وعلى العمرة حتَّى بين الشباب هذا أيضًا مشهود في العالم الإسلامي كُلِّه، من ناحية التعبُّد ومن ناحية السلوك الإسلامي، أصبح هذا شيئًا ملموسًا.

من ناحية الفكر أيضًا نرى أثر هذه الصحوة، فقد انتقلنا من فكر التبعيَّة للغرب ـ الَّتي نادى بها من نادى من الكتاب والأدباء في العالم العربي والإسلامي: أن نكون تابعين للغرب بأن نأخذ الحضارة الغربيَّة بخيرها وشرِّها وحُلْوِها ومُرِّها ـ وانتهت مرحلة التبرير الَّتي كُنَّا نحاول فيها تبرير الواقع الَّذي أخذناه عن الغرب تقليدًا له، وإصدار الفتاوى

QaradawiBooks.com

الشرعيَّة لتبرير الفوائد والربا، لتبرير التماثيل، يعني انتهت مرحلة تمثل الهزيمة النفسيَّة أمام الحضارة الغازية الوافدة، انتهت هذه المرحلة ودخلنا في مرحلة المواجهة لهذه الحضارة والثقة بالنفس، بأن نُقَدِّم إسلامنا كما هو، وننقد الحضارة الغربيَّة بقوَّة.

هناك في الميدان الثقافي أيضًا والعِلْمي والفِكْري مئات الرسائل ـ الماجستير، الدكتوراه ـ الَّتي تقدم إلى الجامعات المختلفة تعالج موضوعات إسلاميَّة في الشريعة، وفي الاقتصاد، وغير ذلك. لم يكن هذا موجودًا من قبل، حتَّى المستشرقون هناك البعض منهم بدؤوا يَعْدلون عن آرائهم وأفكارهم عن الإسلام وثقافته وتاريخه.

هناك في الميدان الاقتصادي، البنوك الإسلاميَّة والمؤسِّسات الإسلاميَّة كان يقال قبل ذلك: لا يمكن أنْ يقام اقتصاد بدون بنوك، ولا يمكن أنْ تقام بنوك بدون ربا، الآن الحمد الله انهزمت هذه الدعوى من الناحية النظريَّة، ومن الناحية العمليَّة؛ لأنَّه كتب الكاتبون: إنَّه يمكن إقامة بنوك إسلاميَّة من غير ربًا، ووجدت البدائل الشرعيَّة، وطُبِّقَتْ بالفعل.

والآن في مرحلة تحسين هذه البدائل؛ لأنَّها فكرة لا زالت في البداية، وهي تتحسن يومًا بعد يوم، وتتسع وتنتشر في البلدان الإسلاميَّة، وتلقى رواجًا بين المسلمين حتَّى إنَّ كثيرًا من البنوك الرِّبويَّة في مصر تحاول أنْ تفتح فروعًا للمعاملات الإسلاميَّة لتكسب العملاء إلى جانبها، فهذه الأشياء كلها تؤكد أنَّ هناك صحوة بالفعل، صحوة موجودة، وخاصَّة بين الشباب والشباب المثقف.

QaradawiBooks.com

الشباب المُثَقَّف يُمَثِّل العمود الفقري للصحوة:

ـ كُنَّا نعاني من قبل من أنَّ النُّخبة وأنَّ المُثَقَّفين مُعْرِضون عن الإسلام، كانت فكرتهم عن الإسلام فكرة رديئة، نتيجة الغزو الفكري والثقافي، نتيجة أنَّ المدارس المدنيَّة في البلدان الإسلاميَّة عامَّة كانت لا تدرس الإسلام إلَّا قشورًا ضئيلة من حيث الكمّ، مشوَّهَة من حيث الكيف، على حين تُعنى بالحضارة الغربيَّة ويدرس كُلَّ شيءٍ عن الغرب.

الآن الَّذين يُمَثِّلون هذه الصحوة هم الشباب والشباب المُثَقَّف، فالشباب المُثَقَّف ـ شباب الجامعات والمعاهد والمدارس فتيان وفتيات ـ يُمَثِّلون العمود الفقري لهذه الصحوة.

ومن خصائص هذه الصحوة أيضًا أنَّها عالميَّة يعني ليست صحوة في الجزائر وحدها ولا في مصر وحدها بل هي في العالم العربي وفي بلاد العجم في كلِّ بلاد المسلمين، في تركيا وفي إندونيسيا وماليزيا وحتَّى في خارج العالم الإسلامي، في أوربا وأمريكا والشرق الأقصى وفي اليابان وسنغافورة.

رأيت آثار هذه الصحوة في تطور في العالم القائم في وسط المسلمين وفي تجمعاتهم المختلفة وجالياتهم المتنوعة، هذه الصحوة حقيقة ملموسة لا ينكرها إلَّا من يجهلها وإلا مكابر، فهذا الملتقَى هو نفسه من أدلة وجود هذه الصحوة والحمد لله.

* النصر: مادامت الصحوة موجودة وحقيقة ملموسة، فهل يعني أنَّ تطبيق الشريعة الإسلاميَّة عمل أساسي أو إيجابي لتوجيه هذه الصحوة؟

ـ الدكتور القرضاوي: من آثار هذه الصحوة التنادي لتطبيق الشريعة الإسلاميَّة، أي أنَّ هناك أصواتًا قويَّة الآن في أنحاء العالم الإسلامي

QaradawiBooks.com

تنادي بتطبيق الشـــريعة الإســـلاميَّة، في البلاد الَّتي لم تطبق الشـــريعة الإســـلاميَّة، إلَّا أنَّ بعض البلاد بدأت تمارس هذا التطبيق، وفي البلاد الأخرى بدأت الأصوات تنادي من شـــرق إلى غرب ومن شـــمال إلى جنوب بوجوب تطبيق الشريعة الإســـلاميَّة، كان هذا الصوت خافتًا فيما مضى، أصبح صوتًا عاليًا الآن جهوريًّا بملء الفم، وبأعلى الصوت ينادي المنادي بوجوب التطبيق، وبدأت تشـــكل لجان في بلاد مختلفة لتقنين الفقه الإســـلامي، فهذا ولا شـــك يمثل الصحوة بعد أن كان الناس قبل ذلك يقولون لا يمكن تطبيق الشريعة الإسلاميَّة، كقطع يد السارق وجلد شارب الخمر وكان هذا أمرًا مســـتبعدًا، الآن أصبح هذا شيئًا معترفًا به، وأصبحت الحكومات نفسُها تترضَّى الشـــعوب، بإعلان أنَّ هذه الأشياء ســـتوضع موضع التنفيذ، وأصبحت هذه الأمور تســـتخدم في المعارك الانتخابيَّة، حيث يحاول المرشـــحون إرضاء الناخبين بأنَّهم ســـيعملون على تطبيق الشريعة الإســـلاميَّة، فالجانب الإيجابي في الصحوة هو هذا المعنى، التنادي والدعوة لتطبيق الشـــريعة، إعـــلاء الصوت بهذا الأمر، الاقتناع الجماهيري بضرورة العودة إلى الشريعة الإسلاميَّة.

أمَّا التطبيق فهو إن شـــاء الله قادم حينما تتَّســـع هذه الصحوة وتمتدُّ وتتعمَّق وتصل إلى أكبر قاعدة ممكنة عريضة من جماهير المسلمين.

غَيِّر نَفْسَكَ يَتَغَيَّر التاريخ:

على أنَّ الَّذي أحب أنْ أوكِّده هنا أنَّ تطبيق الشريعة الإسلاميَّة، ليس كما يظنُّ الكثيـــرون، مجـــرَّد تغيير قوانيـــن بقوانين، وخاصَّـــة قوانين العقوبات والحـــدود، كما تصـــوَّر البعض، يعني عندما تطبق الشـــريعة الإسلاميَّة، نجلد شارب الخمر ونقطع يد السارق، ليس هذا هو ما نريد،

QaradawiBooks.com

نحن نريد بتطبيق الشـريعة الإسلاميَّة اسـتئناف حياة إسلاميَّة متكاملة، حياة توجهها عقيدة الإسلام، وتحكمها شريعة الإسلام، وتضبطها أخلاق الإسلام، وتسودها قيم وآداب الإسلام.

حياة مصبوغة بالقيم الإسلاميَّة لحمًا ودمًا وروحًا. هذا ما نريده، أن نحيا بالإسـلام ونحيا للإسـلام، ليس مجرَّد تغيير قوانيـن، نريد تغيير حياتنا تغييرًا اجتماعيًّا، وفكريًّا ونفسـيًّا وسـلوكيًّا وأخلاقيًّا، إنَّما ننجح حينما نفهم تطبيق الشـريعة الإسـلاميَّة بهذا المعنى ونحاول أن نعيش مسـلمين صادقين، ليس مُجَرَّد تغيير القوانين على الأوراق، إنَّ هذا قد يحدث ولا تتغيَّر الحياة ولا يتغيَّر المجتمع ولذلك لا بدَّ من عمل، يعني قبل هذا كله، أنْ يعمل الدُّعاة والمُرَبُّون على تغيير نفسـيَّة الشعب إلى نفسيَّة إسـلاميَّة، فالتغيير النفسـي هو أسـاس كلِّ إصلاح، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وهذا شعار الملتقيات الدائم؛ هو هذه الآية الكريمة، الَّتي تمثل سُـنَّة من سـنن الله الاجتماعيَّة وهذه النظريَّة الإسـلاميَّة ليسـت كالنظريَّة الماركسـيَّة الَّتي تقول: غيِّر الاقتصـاد أو غيِّر علاقات الإنتاج يتغيـر التاريخ بل النظريَّة الإسلاميَّة: غيِّر نفسَـك يتغير التاريخ. تتغيَّر الحياة بتغيُّر الأنفس. وإنَّما تتغيَّر الأنفس بالإيمان والتزكية والتربية الإسلاميَّة الصحيحة.

* النصر: ما دمنا بصدد الحديث عن تغير الحياة الإسـلاميَّة، ما أثر التقدُّم العلمي والتكنولوجي على الصحوة؟

ـ الدكتور القرضـاوي: طبعًا رُبَّمـا يظنُّ بعض النـاس أنَّ الصحوة تعـارض التكنولوجيا أو تتخوَّف منها، أو تتخوَّف مـن العلم وهذا غير صحيح. فنحن دُعاة الإسـلام والَّذيـن نحاول أنْ نقوي هـذه الصحوة

QaradawiBooks.com

ونرشـــدها وأنْ نُسَـــدِّدها، نُرَحِّب بالعلم وندعو إليه، ونعتقد أنَّ بلادنا، لا يمكن أنْ تتفوَّق وتثبت وجودها إلَّا بـــأن تمتلك ناصية العلم في كلِّ ناحية من نواحي التقدُّم العلمي.

نعتبره فريضة، وعلماء المســـلمين قالوا: إنَّ كلَّ علـــمٍ يحتاج إليه المســـلمون في أمر دنياهم كالطبِّ والهندســـة والكيمياء والرياضيَّات وغير ذلك يعتبر فرض كفاية، يعني أنَّه إذا وُجِدَ عددٌ كافٍ من العلماء والخبراء يسدُّ حاجة المجتمع الإسلامي، فقد سقط الحرج والإثم عن الأُمَّة الإســـلاميَّة كُلِّها، وإلَّا أثمت الأُمَّة كلُّها، والأمَّة آثمةٌ إذا لم توفِّر من الخبراء والعلماء في كلِّ مجال مـــن المجالات من يُغَطِّي حاجتها ويسدُّ ثغراتها.

الصحوة تُشَجِّع الشباب على اقتحام ميدان التكنولوجيا والتفوُّق فيه:

وأنا أقول للشباب: ادخلوا معترك هذه العلوم وتفوَّقوا فيها، وتقرَّبوا إلى الله بإتقانها، اجعلوا إتقان هذه العلوم ـ الهندســـة والطبّ، الفيزياء، الكيمياء، الذرَّة والإلكترونيَّات ـ عبادة وجهادًا.

نحن الآن في عصر يُسَـــمَّى عصر الصناعة الثاني، في عصر الصناعة الأوَّلِ الآلةُ تُوَفِّـــر فيه الجهد العضلي للإنســـان. الآن في عصر الصناعة الثاني الآلة تُوَفِّر فيه الطاقة الفكريَّة والذهنيَّة، فما كان يقوم به الإنســـان من حساب لملايين الأرقام، الآن الكمبيوتر هو الَّذي يتولَّى هذه العلميَّة وفي لحظات.

نحن ما زلنا مُتَخَلِّفين كثيرًا، ولا يمكن أنْ نُقَرِّب المسافة بيننا وبين العالم المُتَقَـــدِّم إلَّا إذا زدنا مـــن جهدنا وأدخلنا الإيمـــان في المعركة،

QaradawiBooks.com

الإيمان هو القادر على أنْ يعبِّئ القوى، ويجند الطاقات، وأنْ يجعل الإنسان المسلم يبذل أضعاف ما يبذله الإنسان العادي، حتَّى نلحق بالركب ونسير مع القافلة، بل نحاول أنْ نسبقها كما يفرض علينا الإسلام: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

أُمَّة سورة الحديد لم تتعلَّم بعد صناعة الحديد:

كيف نستطيع أن نُعِدَّ القوَّة لأعدائنا ونُحَرِّر أرضنا ونُحَرِّر القدس وأفغانستان إذا لم يكن لدينا القوَّة العسكريَّة اللازمة؟!

للأسف نحن ـ المسلمين ـ لا زلنا إلى الآن عالة على غيرنا حتَّى في الغذاء، في القوت، تستورد معظم البلاد الإسلاميَّة نصف قُوتِها أو أكثر من البلاد الأجنبيَّة.

وفي السلاح الَّذي نقي به أنفسنا من الشرور نعتمد على غيرنا وكما قلت: إنَّ أُمَّة سورة الحديد لم تتعلم بعد صناعة الحديد: الصناعة العسكريَّة؛ الَّتي يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ...﴾، والصناعة المدنيَّة الثقيلة الَّتي يشير إليها قوله تعالى: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

إنَّ الصحوة الإسلاميَّة عليها أنْ تعمل على أنْ تنطلق بالتكنولوجيا وتوجهها لخدمة قضايا المسلمين ولخدمة الفكرة الإسلاميَّة، والتكنولوجيا هي وسيلة، والوسائل في حد ذاتها لا حكم لها، حكمها حكم مقاصدها، فالتلفزيون مثلًا آلة، بعض الشباب سألوني ـ أنا أشتغل في تصليح التلفزيون هذا حلال أو حرام ـ هذا لا يقال فيه حلال أو حرام، لأنَّه حسب ما يستخدم فيه التلفزيون، فهو ممكن أنْ يكون أداة

QaradawiBooks.com

توجيه خيرة جدًّا أو ممكن أن يكون أداة هدامة، ونحن لا نريد فقط من يصلح التلفزيون بل نريد من يصنع التلفزيون نفسه، نريد من يتفوَّق في هذه الإلكترونيَّات، لا نريد من الشباب أنْ يفر من هذه الأشياء، بل يجب أنْ يدخل الميدان بقوَّة وينافس الآخرين.

إسرائيل تمتلك القنبلة الذرِّيَّة والهند تملك القنبلة النوويَّة، والمسلمون لحدِّ الآن لم يمتلكوا القنبلة النوويَّة، لذلك يجب أنْ يكون عندنا القدرة على أن ندخل ميدان الذَّرَّة والميدان النووي؛ حتَّى نجند هذه الطاقة للدفع عن أنفسنا، أو حتَّى نجند هذه الطاقة على الأقل في الناحية السِّلْمِيَّة كالصناعات المدنيَّة المختلفة.

فالصحوة الإسلاميَّة ـ إذن ـ يجب أن تقوي هذا الجانب، وأن تُشَجِّع الشباب على اقتحام الميدان والتفوُّق فيه وعدم التخوُّف منه، وهذا ما نرشد إليه شبابنا ونجد استجابة قويَّة فيه والحمد لله.

* النصر: كان لمحاضرتكم الَّتي ألقيتموها في الملتقى صدًى عميق في نفوس المشاركين، نظرًا لما طرحتموه من أفكار نيِّرة حول مستقبل الصحوة، هل لكم أن تُحَدِّثونا عن مخاوف وآمال مستقبل الصحوة الإسلاميَّة ولو باختصار؟

ـ الدكتور القرضاوي ـ الحقيقة أنَّ المجال صعب وواسع، فالمحاضرة الَّتي ألقيتها في الملتقى كانت مختصر جدًّا لأنَّني ما زلت لم أُتْمِمْها بعد، وهي إن شاء الله ستظهر في كتاب يكون تاليًا لكتاب «الصحوة الإسلاميَّة بين الجحود والتطرُّف» وسيكون هذا الكتاب الثاني في سلسلة الصحوة الإسلاميَّة، مستقبل الصحوة الإسلاميَّة بين المخاوف والآمال، لأنَّنا نأمل أنْ يكون للصحوة الإسلاميَّة دور ملموس في تجديد

QaradawiBooks.com

هذا الدين في مطالــع هذا القرن، تجديد الفهم لــه والإيمان به والعمل بتعاليمه والدعوة إليه والجهاد في سبيله.

أنْ يكون لها دور قوي فــي هذا التجديــد، وأنْ تعمل على تخطي مرحلة التخلف أو تجاوزها، فالأمة الإسلاميَّة تعاني التخلف، ولا بدَّ أن يكون لهذه الصحوة دورها في تجاوز هذا التخلف، وتقديم شباب ينقلون الأمة من مرحلة التخلف إلى مرحلة التقدم، العالم الإسلامي محسوب في العالــم الثالث بل بعضه في العالم الرابــع إن كان هناك عالم رابع، فلازم علينا أن نعمل على تجاوز هذه المرحلة أيضًا.

هناك دور آخر للصحوة الإســلاميَّة في مرحلة التمــزُّق الَّتي نعانيها نحن المسلمين بعد إلغاء الخلافة العثمانيَّة الَّتي كانت تُمَثِّل على ما بها من عيوب ونقط ضعف كانــت تُمَثِّل آخر تجمع على أســاس العقيدة، تجمع للمسلمين في أنحاء الأرض على أساس العقيدة على أساس لا إلٰه إلَّا الله مُحَمَّد رســول الله، بعــد أن ألغيت الخلافة هدمت هــذه القلعة وأصبح المســلمون ولا رابطة لهم ولا وحدة، ولا زلنــا في محاولات تقريب بين المســلمين وإيجاد نوع من التقارب الإســلامي أو التضامن الإسلامي. وأعتقد أنَّ الصحوة لا بدَّ أن يكون لها دور في تجميع الأمة الإسلاميَّة على كلمة الله وعلى شريعة الإسلام، فالإسلام وحده هو الَّذي يجمع هذه الأمة بدون الإسلام لا يمكن أن تجتمع كلمتهم، ستفترق إلى يمينٍ ويسارٍ، واليمين درجات، واليســار درجات، وستكون قبلة هؤلاء إلى الشرق وقبلة هؤلاء إلى الغرب وأي شرق وأي غرب، الشرق قبلات والغــرب قبلات أيضًا، لكن الإســلام، والإســلام الصحيــح المهتدي بالكتاب والسُّنَّة، هو الَّذي يجمع هذه الأُمَّة على أصول واحدة، وصدق

QaradawiBooks.com

الله العظيم إذ يقــول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

صراطُ الله هو الَّذي يجمع، أمَّا السبل المختلفة فهي مُفرِّقة ولا شكَّ. أملنا في الصحوة أن يكون لها دور في توحيد كلمة المسلمين وتجميعهم على شريعة الإسلام، وممَّا تعانيه الأمة الإسلاميَّة، غياب هويتها الحقيقيَّة، عن الإسلام، عن شريعة الإســلام. ولا يمكن أنْ يكون لهذه الأمة وجود إلَّا بالإســلام. إذا انتصرت الرأســماليَّة أو النظام الرأسمالي، فليس هذا انتصارًا للأُمَّة الإســلاميَّة، بل هو انتصار للعالم الرأسمالي لأمريكا وغير ذلك، وإذا انتصرت الماركســيَّة فليس هذا انتصارًا للمســلمين، فإذا قام مجتمع اشتراكي ماركسي في بلد ما فهذا ليس انتصارًا للمسلمين، وإنَّما هو انتصار لروســيا أو للصين، لماركس أو لينين أو لماو وغير ذلك، أمَّا الَّذي يعتبر انتصارًا بحقٍّ أنْ ينتصروا بالإســلام أو يُطَبِّقوا الإســلام، أنْ يعيشوا بالإســلام، وهذا ما ينبغي أن تعمل له الصحوة الإسلاميَّة، هناك أيضًا الحملات والهجمات الشرســة على المســلمين من جانب القوى المعادية الَّتي تختلف فيما بينها وتتَّفق علينا، اليهوديَّة العالميَّة والشيوعيَّة الدوليَّة والصليبيَّة الغربيَّة والوثنيَّة الشــرقيَّة والقوى العِلمانيَّة، هذه كلها تعمل على فتنة المسلمين عن دينهم وعلى أن تسلخهم شخصيَّتهم.

نحن الآن نرى التبشير يعمل على زعزعة عقائد المسلمين وإبعادهم عن دينهم وهذا ما ذكره القرآن من قديم ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧] حتَّى إنَّ المُبَشِّرين الأمريكيِّين اجتمعوا في ولاية كولورادو سنة ١٩٧٨م، وفي شكل مؤتمر قدَّموا فيه أربعين بحثًا وقرَّروا فيه تنصير المســلمين في العالم، ورصدوا لذلك (١٠٠٠) مليون

QaradawiBooks.com

دولار، وأنشؤوا معهدًا سمَّوْه «معهد زويمر»، وهذا ما جعلني أنادي منذ سنة ونصف بوجوب أن نرصد مثلما رصدوا. هم رصدوا (١٠٠٠) مليون لتنصير المسلمين، نحن نرصد مثلها ـ (١٠٠٠) مليون دولار ـ لحماية المسلمين، هم يستغلون ضحايا الفقر والجوع والحرمان والجهل والمرض، ونحن عكسهم يجب أن نعمل على إطعام الجائع وكساء العاري وعلاج المريض وإيواء المشرد ورعاية اليتيم وتعليم الجاهل وتشغيل العاطل وخاصَّة في آسيا وأفريقيا، ولسنا عاجزين عن رصد مثل هذا المبلغ، فالمسلمون في العالم يبلغون مليارًا من البشر أو أكثر ولو قسم (١٠٠٠) مليون على عدد المسلمين لنال كل مسلم دولار واحد، لهذا رفعنا شعار مقابل الشعار الَّذي رفعه اليهود من قبل: ادفع دولارًا تقتل عربيًّا: «**ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا**».

نحن لا نريد أن نقتل أحدًا، وإنَّما نريد أن ندافع عن أنفسنا، نريد أن نحمي وجودنا ونحافظ على ذاتيتنا. نحن قادرون على أن نرصد (١٠٠٠) مليون دولار وأكثر، ونجمع هذا المبلغ، لا لنفقته ولكن لنستثمره، وننفق من إيراده وعائده على هذه القضايا، لنحمي المسلمين في العالم، وقد قام هذا المشروع بالفعل، وأسست الهيئة الخيريَّة الإسلاميَّة، واجتمعت الجمعية التأسيسية لهذه الهيئة في (١٧) رمضان الماضي في الكويت، واختيرت الكويت مقرًّا لهذه الهيئة على أن تنشئ لها مكاتب وفروعًا في أي مكان في العالم، وندعو كل مسلم أنْ يساند هذا المشروع؛ لأنَّه ملك المسلمين جميعًا.

لا بدَّ أن نشتغل بالعمل الَّذي تنفتح أبوابه لكلِّ النَّاس:

يجب أن يكون لنا عمل إيجابي، لا نكتفي بالكلام فقط بل يجب أن ننتقل من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل، العمل الاجتماعي

QaradawiBooks.com

والثقافي والتربوي والتنموي، هذا عمل لا يستطيع أحد أن يقول فيه شيئًا، فالعمل السياسي قد يلقى معارضة والعمل العسكري كذلك، ونحن لا نشتغل لا بالسياسة ولا بالعسكريَّة، وإنَّما نشتغل بالعمل الَّذي تنفتح أبوابه لكل الناس، فهذا ما ينبغي أن توليه الصحوة بعض جهودها، وذلك لحماية المسلمين من التيارات الغازية، ومن القوى الَّتي تريد أن تخترق الحاجز الإسلامي، وتدخل إلى ديار المسلمين تسلب من المسلمين ذاتيَّتَهم، وتسلخهم عن شخصيَّتَهم، هذا ما نأمله في الصحوة الإسلاميَّة.

مخاوف على الصحوة الإسلاميَّة:

ومع هذه الآمال هناك مخاوف على الصحوة الإسلاميَّة أشرت إليها إشارة خفيفة؛ لأنَّ الحديث يطول في محاضرتي، وأرجو أنْ أُفَصِّله في كتابي في المستقبل إنْ شاء الله.

إنَّنا نخاف على هذه الصحوة من تيارات: الغلوِّ والتطرُّف، الجمود والتجميد، التحزُّب والتعصُّب، الاحتواء والغزو من الداخل، الأماني والأحلام الواهمة، واليأس والعزلة، نخاف عليها من هذه التيارات كلها ومن غيرها، ويجب أن تستيقظ الصحوة، وأن يكون مُرْشِدُوها ومُوَجِّهوها والمُفَكِّرون والدُّعاة على صلة بالصحوة وألَّا يعيشوا في بُروج عاجيَّة، وصوامع منعزلة، ويتركوا الشباب يغرقون أو يخوضون بحر المعرفة الإسلاميَّة وحدهم، وهم لا يحسنون السباحة فيه، ويعلمون أنفسهم بأنفسهم، هذا خطأ.

لا بد أن تكون هناك صلة بين القادة، وخاصَّة القادة المأمونين والمُوثَّقين عند الشباب؛ لأنَّ هناك بعض الناس لا يستطيعون أن يتصلوا

QaradawiBooks.com

بهذا الشباب، ولو اتصلوا بهم لن يسمعوا لهم؛ لأنَّهم قد سقطوا عندهم. فهؤلاء الَّذين لهم ثقة عند الشباب، ينبغي أن يبذلوا جهودهم لتوجيه هؤلاء الشباب والوقوف في وجه هذه المخاوف.

برنامج عملٍ مستقبليٍّ للصحوة:

ولقد ذكرت لكي نحقق الآمال ونتجاوز المخاوف: عشرين نقطة، يمكن أن تمثل برنامج عمل مستقبلي للصحوة الإسلاميَّة، إنَّها يجب أن تنقل اهتمامها الفكري والنفسي والعملي من أفق إلى أفق، ومن دائرة إلى دائرة، وأن تنتقل من العنف إلى الرفق، ومن المختلف فيه إلى المتَّفق عليه، ومن النوافل إلى الفرائض، ومن التعسير إلى التيسير، ومن الغوغائية إلى العلميَّة، ومن التعالي على المجتمع إلى المعايشة له، ومن الكم إلى الكيف، ومن التعميم إلى التخصيص، ومن الإجمال إلى التفصيل، ومن الاهتمام بشؤون الدنيا إلى التعبد إلى الله بإتقانها، من مجرد انتظار قيام الدولة الإسلاميَّة إلى الممارسة بالفعل للحياة الإسلاميَّة، إلى غير ذلك.

هناك عشرون نقطة ذكرتها كلها تمثل المنهاج الَّذي يجب أن تترسَّمَها خططُ الصحوة في مستقبلها، وأرجو أن أفصِّل هذا فيما بعد، لتستقيم هذه الصحوة على الطريق وتتحقق بها الآمال المرجوة إن شاء الله، وتبطل كيد أعدائها الَّذين يتربصون بها، ويحاولون أن يضللوها عن طريقها القويم.

* النصر: بعض البلاد العربيَّة والإسلاميَّة تشكو من تدفق النسل، يعني سيل دافق من النسل مع إمكانيات محدودة، فما حكم الشرع في قضيَّة تنظيم النسل؟

QaradawiBooks.com

لكي ننشئ نسلًا صحيحًا وقويًّا لا مانع من تنظيم النسل:

ـ الدكتور القرضاوي: تنظيم النسل لا حرج فيه من الناحية الدينيَّة يعني أن تكون هناك فترة متباعدة بين كلِّ طفل وآخر، والفقه الإسلامي والشريعة الإسلاميَّة عرفت هذا الشيء فيما كان يعرف من قبل بالعزل، كان الرجل يعزل عن امرأته لسببٍ أو لآخر، قد يتعلق بصحة المرأة أو بالأولاد، وبذلك فلا مانع من هذا لكي نخرج نسلًا صحيحًا، نقدر على رعايته وحسن تربيته تربية سليمة، التربية الآن لم تَعُدْ سهلة كما في الزمن الماضي، حيث كانت العائلة الواحدة يعيش بعضها مع بعض، الأمُّ تُنجب والجَدَّة هي الَّتي تُرَبِّي، الآن الأُمَّهات يَعِشْنَ وحدهنَّ، يعني الإنسان حينما يتزوَّج يستقلُّ بنفسه، والكثير من الزوجات أصبحن عاملات، والتربية تحتاج إلى جهد ورعاية ووقت، فالأولاد يحتاجون إلى نظافة وإلى رعاية صِحِّيَّة واجتماعيَّة وتعليميَّة، والبيت لا بدَّ أن يشارك في الرعاية التعليميَّة، وهذا كلُّه تطلَّب من الجهد والوقت ما لم يكن موجودًا في الزمن الماضي. ومن هنا لكي ننشئ نسلًا صحيحًا قويًّا لا مانع من هذا التنظيم؛ لأنَّه ليس المقصود كثرة كغثاء السيل، وإنَّما المقصود أن نخرج جيلًا مسلمًا قويًّا من جميع النواحي مكتمل التربية في جوانبها المختلفة العقليَّة والجسمية والخلقية والروحيَّة والاجتماعيَّة، وهذا لا يكون إلَّا إذا كُنَّا قادرين على تربيتهم، فهذا ما يتوجَّه إليه الأسر والآباء والأُمَّهات، فلا مانع ـ إذن ـ من هذه الناحية، لكن لا ينبغي أن تكون مسألة الرزق وحدها هي الدافع إلى هذا الأمر؛ لأنَّ الله ﷻ هو المُتَكَفِّل بأرزاق العباد، وقبل أن يخلق الناس هيَّأ لهم معايشهم في الأرض وقدَّر فيها أقواتها: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ [الأعراف: ١٠]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

QaradawiBooks.com

فلا ينبغي أن تكون مسألة الرزق هي الدافع لهذا الأمر وإنَّما حسن التربية وحسن التوجيه وصحَّة الأُمَّهات وقدرة الآباء على الرعاية، ينبغي أنْ تكون هذه هي الدوافع لتنظيم النسل.

* النصر: لكن هناك من يعارض مفهوم التنظيم بهذا المعنى، ويستشهد بالحديث الشريف الَّذي يقول: «**تكاثروا وتناسلوا، فإِنِّي مُبَاهٍ بكم الأمم**»[١]. ويُفَسِّر «تكاثروا» بالزيادة المطلقة في الإنجاب، كيف تردُّون على هؤلاء؟

ـ الدكتور القرضاوي: ليس المقصود في الحديث بكلمة «تكاثروا»، فتح الباب على مصراعيه لمُجَرَّد أنَّنا نكثر من النسل ولا نُحسن تربيتهم، لا! ليس هذا هو المقصود، الزيادة في الكمِّ فقط لا يُغْني الأُمَّة الإسلاميَّة شيئًا.

التكاثر هنا يعني في الحدود الَّتي نقدر بها على تربيتهم، فهذا هو المعنى المقصود وليس مجرد الكثرة، الَّتي أشار إليها حديث أبي داود[٢]، واعتبرها كغثاء السَّيْل لا تُغني شيئًا.

* النصر: ما دام أنكم قلتم لا مانع من تنظيم النسل، ما هي إذن الوسائل المشروعة في التنظيم؟

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧)، كلاهما في النكاح، وأبو عوانة (٤٠١٨)، وابن حبان في النكاح (٤٠٥٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده قويٌّ. وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٧٨٩)، عن معقل بن يسار.

(٢) إشارة إلى حديث: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت». رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

QaradawiBooks.com

ـ **الدكتور القرضاوي:** الوسائل تختلف من امرأة إلى أخرى، وكما قلت: قديمًا كانوا يستعملون العزل، لكن العزل هذا في الحقيقة شديد على الرجل وعلى المرأة، الآن أصبح هناك وسائل ميكانيكية وغير ميكانيكية، أنواع من الحبوب تتناولها المرأة تحت إشراف الطبيب، حتَّى لا تتعاطى ما يضرها لأنَّه قد يناسبها نوع ولا يناسبها آخر، وهناك وسائل أخرى يصفها الطبيب، المهم أن يكون هذا تحت إشراف طبي حتَّى لا يحدث ضرر، لأنَّه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام.

* النصر: سيادة الدكتور كيف تقيِّمون أشغال ملتقى الفكر الإسلامي لهذه السنة؟

الملتقى كان ناجحًا وأدَّى مهمَّته:

ـ الدكتور القرضاوي: نعتقد أنَّ هذا الملتقى كان ملتقى ناجحًا، وأدَّى مهمته أداء جيدًا، والتقت فيه أفكار مختلفة، وتلاقحت فيه الأفهام والأفكار، وألقى الكثير من المحاضرين بحوثًا جيدة، وقدمت حول البحوث مناقشات جيدة وهذا الملتقى في الحقيقة يمثل العالم الإسلامي، وفيه صفوة من المفكرين والعلماء والدُّعاة والعاملين في الحقل الإسلامي من مختلف البلاد.

لا شك أنَّ الملتقى إذا نظرنا إلى الحاضرين فيه وإلى الموضوع الَّذي يناقش وإلى البحوث والمناقشات ومشاركة الشباب الطلبة والطالبات نعتقد أنَّ الملتقى قد أدَّى مهمته من هذه الناحية. وهنا بجوار البحوث والمناقشات، جوانب هامشية أنا لمستها في لقائي بالطلبة والطالبات، والأسئلة الجانبية. وهذا كله لا شك أعطى ثراء لهذا الملتقى، ثم خرج بتوصيات جيدة في النهاية، وقد أزال الكثير من الشبهات وألقى الضوء

QaradawiBooks.com

على الكثير من المفاهيم واتضحت حقيقة الصحوة الإسلاميَّة، وهذا كله يجعلنا نؤمن بأنَّ الملتقى قد آتـــى أكله وأعطى ثمرته الطيبة، وكما قلت لوزير الشؤون الدينيَّة الأخ عبد الرحمن شيبان: أنا حضرت ثلاثة ملتقيات اعتبرت أنَّ كل ملتقى كان أحسن من سابقه، وهذا ما نسأل الله؛ أن يجعل دائمًا يومنا خيرًا من أمســـنا، وأنْ يجعل غدنا خيرًا من يومنا. فالمســـلم دائمًا يطلب الارتقاء إلى الأفضل والأمثل، ونسأل الله أن يعيننا على ذلك وأن يسدد خطانا.

* النصر: حضرة الدكتور، كما تعلمون يستعد الشعب الجزائري هذه الأيام للاحتفال بذكرى مرور ثلاثين ســـنة على اندلاع الثورة التحريرية، هل من كلمة تقولونها للشعب الجزائري بهذه المناسبة العظيمة؟

تحية ووصية:

ـ الدكتور القرضاوي: الكلمة الَّتي أوجهها للشعب الجزائري الحبيب هي تحية ووصية.

أمَّا التحية، فنحيي هذا الشـــعب الَّذي كنا نتابـــع كفاحه بكل قلوبنا وأعصابنا، وقد كان كفاحًا وجهادًا إســـلاميًّا بكل معنى الكلمة، كما أكد لنا ذلـــك الأخ الرئيـــس الشـــاذلي بن جديد فـــي لقائه معنـــا في حفل الاستقبال، الَّذي أقامه على شرف الأخوة المدعوين والضيوف، وقال: إنَّ الثورة كانت بالنسبة لعموم الشعب الجزائري، جهادًا في سبيل الله، وفي سبيل الإسلام، والناس ما كانوا يقاتلون إلَّا لهذا المعنى. إنَّه يريد الجهاد ويريد الشـــهادة ويريد الجنَّة، فالمعنى الإسلامي كان وراء جهاد الشعب الجزائري، فنحن نحيي هذا الشعب على جهاده، الَّذي كان جهادًا إسلاميًّا خالصًـــا، حتَّى إنَّ أجهزة الإعـــلام الأجنبيَّة كانت تقـــول: إنَّ القتال بين

QaradawiBooks.com

الفرنسيين والمسلمين لا بين الفرنسيين والجزائريين، فهو جهاد إسلامي. والإسلام هو صانع هذا الجهاد فنحن نحيي هذا الشعب بمناسبة الذكرى الثلاثين لاندلاع الثورة.

أمَّا الوصية فهي أن يكون هذا الإسلام الَّذي انتصر به الشعب الجزائري أساس حياته إن شاء الله، الإسلام هو الَّذي صنع الثورة وهو الَّذي حفظ للشعب الجزائري أصالته وشخصيته. لقد أراد الاستعمار فرنسة هذا الشعب، وإضعاف لغته وإضعاف هويته الدينيَّة والتاريخيَّة، كان هذا هو المقصود. أن تكون الجزائر أندلسًا ثانيًا كما قال بعض الإخوة. الَّذي حفظ للشعب الجزائري بقاءه هو الإسلام، والعربيَّة منذ أن نادى المنادي:

شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ[1]

كان هذا هو أساس الثورة فيما مضى، فنريد أن يكون الإسلام هو أساس الوجود الجزائري في المستقبل، أن يصبح الإسلام هو الموجه للشعب الجزائري، وهو أساس حياته كلها إن شاء الله، وليس هنا أولى من الشعب الجزائري بهذا، ففطرة الشعب الجزائري فطرة إسلاميَّة صادقة وأصيلة.

فوصيَّتي أن يكون الإسلام هو أساس الحياة الجزائريَّة، ووصيَّتي للإخوة في الجزائر أن يتمسَّكوا بهذا الإسلام، فبه وحده النجاة وبه وحده السعادة في الدنيا والآخرة.

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

* * *

(١) انظر: آثار ابن باديس (٣٣٤/٤)، تحقيق عمار الطالبي، نشر دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط١، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

المسلمون ومطالب القرن الخامس عشر

المقدّمة:

في لقاء مطوَّل مع فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي تحدَّث فيه عن كثير من المسائل الَّتي تهمُّ المسلم المعاصر، وبخاصَّة ما يتطلَّبُه القرن الخامس عشر من المسلمين من أعمال علميَّة كبيرة.

وفي بَدء اللقاء كان السؤال الأول عن النشاط الديني في دولة قطر، وأجاب فضيلته بقوله:

الإسلام دين الحياة ونظام كامل، للفرد المسلم، وللأسرة المسلمة، وللمجتمع المسلم، وللدولة المسلمة. ولذلك يختلط الدِّين بالدنيا. الصلاة نفسها وهي قمة العمل الديني للإنسان ليست دينًا خالصًا، بل عبارة عن طهارة ونظافة وحركة ورياضة، إذا نظرت إليها من الناحية البدنيَّة. وهي من ناحية أخرى ثقافة، استنارة؛ إنَّها تتطلَّب من الإنسان أنْ يقرأ القرآن الكريم الَّذي هو دستور الحياة. وهي من ناحية ثالثة تعارف وترابط، فإنَّ الإسلام يحثُّ على أدائها في الجماعة وفي المسجد، والجماعة عبارة عن تعاونٍ، وتعارفٍ، ونظامٍ، وطاعةٍ، وتربيةٍ، على الجانب الجماعيِّ؛ إذ لا يعيش الإنسان

QaradawiBooks.com

فردًا وحده، إنَّ الله لا ينظر إلى الصفِّ الأعوج: «**سوُّوا صفوفَكم**»[١]. كلُّ هذه معانٍ للصلاة.

لذلك أعني أنَّ أيَّ نشـــاط هو نشـــاط ديني، وإن كان لا بدَّ من هذا التحديد. وهناك أكثر من وجه لما يمكن أنْ تُسَـــمِّيه بنشاط ديني، فهناك نشاطٌ تقوم به رئاســـة المحاكم الشرعيَّة والشـــؤون الدينيَّة، الَّتي تُشْرف على الأوقاف والمســـاجد والوعظ والإرشـــاد. وتصدر مجلَّـــة «الأُمَّة» القَطَرِيَّة، وهي مجلَّة معروفة أصبح لها ساحة واسعة من القُرَّاء، في العالم الإســـلامي وخارجه. وكذلك كتاب «الأُمَّة» الَّذي يصدر كلَّ عِدَّة أشهر، ويتناول قضيَّة هامَّة من قضايانا الإســـلاميَّة. وهناك نشاط تقوم به إدارة إحيـــاء التراث الإســـلامي، فهي تقـــوم على نشـــر العديد مـــن الكتب الإســـلاميَّة، بعضها من كتب التراث، وبعضها من الكتب الحديثة، الَّتي تسهم في تنوير العقل المسلم، وترشيد الصحوة الإسلاميَّة.

نشر التراث:

ـ وأضاف فضيلة الدكتور القرضاوي:

* إنَّ قطر منذ بدأت نهضتها ساهمت بجِدٍّ في نشر التراث الإسلامي وبخاصَّة «تراث المذهب الحنبلي»، حيث طبعت العديد من مراجع الفقه الحنبلـــي، الَّتي كانت دفينـــة. وهناك أيضًا كُلِّيَّة الشـــريعة والدراســـات الإسلاميَّة الَّتي أتشرف بعمادتها، وهي جزء من جامعة قطر، ومهمتها أن تخرج الدُّعاة الواعين المســـتنيرين، وتخرج أيضًا المتفقهين في دينهم، فهي بمثابة كليتين في كُلِّيَّة واحدة: «كلية أصول الدين وكلية الشـــريعة».

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٢٣)، رواه مسلم في الصلاة (٤٣٣)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

والكلية تستقبل طلابًا من أبناء قطر وأبناء الخليج والعالم الإسلامي من مختلف الجنسيات، من الَّذين جاؤوا من ديارهم، ليتلقوا العلم من منابعه في أرض العرب، أولئك الَّذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

الثقافة الإسلاميَّة إجباريَّة:

وتشرف كُلِّيَّة الشريعة على تدريس الثقافة الإسلاميَّة لجميع طلَّاب وطالبات جامعة قطر، حيث إنَّ الثقافة الإسلاميَّة مادَّة إجباريَّة إلزاميَّة، فكُلُّ الكُلِّيَّات مُلْزَمَة بتدريس مادَّة الثقافة الإسلاميَّة لطُلَّابها وطالباتها، وهي مادَّة مُهِمَّتُها أنْ تعطي الطالب فكرةً واضحةً عن فلسفة الإسلام وشموله وتوازنه، ونظرته لمشكلات الحياة، وردِّ الشبهات والأباطيل عن الإسلام.

ـ واستطرد الدكتور القرضاوي قائلًا:

* كُلِّيَّة الشريعة فيها طُلَّاب وطالبات، ولعلَّ عدد الطالبات أكثر من عدد الطُّلَّاب، هُنَّ أكثر عددًا وأكثر تَفَوُّقًا أيضًا. والسبب في ذلك يرجع إلى أنَّ الطلاب لهم فرصة الخروج من قطر في بعثات للبلاد العربيَّة الأخرى، على حين لا تتوافر هذه الفرصة للبنات؛ لأنَّ خروجهنَّ يحتاج إلى «مَحْرَم»، وهذا لا يتيسَّر دائمًا، ولذلك يبقى العدد الأكبر من حاملات الثَّانويَّة في قطر، فيجِدْنَ الفرصة في الجامعة وكُلِّيَّة الشريعة الإسلاميَّة، الَّتي تستهوي عددًا كبيرًا منهن. ولأنَّ المتفوقات يبقين ولا يخرجن في بَعَثات، فالتفوُّق يظهر عندهُنَّ بوضوح.

والطالبات لهن مبنى خاص، حيث إنَّه ليس هناك اختلاط قط في كل النواحي.

QaradawiBooks.com

مركز بحوث السُّنَّة والسِّيرة:

وهناك أيضًا مركز بحوث السُّنَّة والسيرة النبويَّة الَّذي أتشرف بإدارته، وكلفت بتأسيسه، وما زلنا في مرحلة التأسيس، قام هذا المركز استجابة لتوصية المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة، فقد أوصى بأنْ ينشأ مركز لدراسات السُّنَّة والسِّيرة، وأصدر أمير البلاد الشيخ خليفة بن حمد قرارًا بإنشائه، ليقوم بتحقيق كُتُب السِّيرة وإظهار دراسات عصريَّة بلغة العصر، توضح جوانب العظمة في حياة الرسول الكريم ﷺ. وترُدُّ الشبهات وتنوِّه بالجيِّد من إنتاج المُتَخَصِّصين في هذه الناحية، وتصدر كتيبات للتوعية الدينيَّة على أعلى مستوى.

وأهمُّ ما سيقوم به المركز إصدار موسوعة للحديث النبوي الشريف؛ إذ نحن بحاجة إلى عدَّة موسوعات للعلم الإسلامي.

ومنذ مدَّة اتَّجه التفكير إلى إصدار موسوعة الفقه الإسلامي، وقامت عدَّة محاولات.

ففي مصر صدر (١٦) جزءًا تقريبًا من موسوعة الفقه، وفي الكويت هناك موسوعة، ولها جهاز كبير يقوم على إخراجها في وزارة، وصدرت منها عدة أجزاء حتَّى الآن.

حاجتنا إلى موسوعتين:

ونحن الآن، بحاجة إلى موسوعتين هامتين جدًّا.

دائرة المعارف الإسلاميَّة:

موسوعة للحضارة الإسلاميَّة، وللثقافة الإسلاميَّة، موسوعة عامَّة، دائرة معارف عامَّة، تكون بديلة لدائرة المعارف الَّتي كتبها المستشرقون،

QaradawiBooks.com

وترجمت أعداد كبيرة منها، فيهـا كثير من الأغلاط والمغالطات، وطبعًا المترجمون علَّقوا على أشياء كثيرة منها، ولكن بقيت أيضًا أشياء تحتاج إلى ردٍّ وتفنيد.

وأولى من هذا كله: أن يكتب مسلمون بأقلام إسلاميَّة دائرة المعارف الإسلاميَّة من وجهة نظر إسـلاميَّة، وفي إطار إسلامي، وهذا يعني أمرًا يعتبر فريضة على المسلمين في هذا القرن.

موسوعة الحديث النبوي:

الموسوعة الأخرى الَّتي نريدها، وهي مكملة لموسوعة الفقه، وهي موسـوعة الحديث النبوي، فنحن نعلم أنَّ السُّـنَّة هـي المصدر الثاني للإسلام لا للتشريع فقط، للتشريع وللتوجيه، يعني السُّنَّة مصدرًا للحياة الإسلاميَّة، فليسـت مصدرًا للتقنين فقط، فحياتنا الإسلاميَّة كما يوجهها القرآن توجهها السُّنَّة.

فالسُّـنَّة في حياتنا اليوميَّة هي المُوَجِّه الأكبـر؛ لأنَّ القرآن باعتباره دستورًا اشتمل على الكُلِّيَّات والقواعد الأساسيَّة. وإنَّما الَّذي اشتمل على البرنامج التفصيلي لحياة الإنسـان المسـلم هو السُّـنَّة باعتبارها البيان النظري والتطبيق العملـي للقرآن، فهي الَّتي وضَّحـت لنا آداب الحياة وآداب الأكل والشرب والنوم واليقظة والكساء وما إلى ذلك.

حفظ القرآن الكريم من الزيادة فيه:

ـ وأضاف الدكتور القرضاوي قائلًا:

* لذلك نحن بحاجة إلى موسـوعة لهذه السُّـنَّة تجمـع الصحيح والحسن في المرحلة الأولى من الحديث؛ لأنَّنا نعلم أنَّ الحديث اختلط

QaradawiBooks.com

به ما ليس منه. أعداء الإسلام لم يستطيعوا أن يفعلوا في القرآن شيئًا، بأن يضيفوا إليه ما ليس منه؛ لأنَّ الله ﷻ تكفل بحفظه. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فلم يستطيعوا أنْ يزيدوا على القرآن، أو يؤولوا فيه، حتَّى إنَّ سورة براءة نزلت بدون بسملة، هل استطاع أحد أن يزيد البسملة؟! فالقرآن محفوظٌ من عند الله ﷻ.

ولكنَّهم أرادوا إيذاء الإسلام وتعكير مصادره، فحاولوا أن يكذبوا على رسول الله ﷺ، ويختلقوا أحاديث لم يذكرها ﷺ، ولكن علماء الأُمَّة انبرَوْا لهم، ووضعوا الأسانيد.

أهمِّيَّة الإسناد في الحديث:

ـ واستطرد فضيلة الدكتور القرضاوي:

* الإسناد هذا ممَّا تميَّزت به الأمة الإسلاميَّة، فالأديان الأخرى لم تهتمَّ بمسألة الإسناد، وتمحيص الروايات.

ولهذا فقد عرف أنَّ هناك أحاديث صحيحة وأحاديث أقل من الصحيحة. كما نقول باللغة الجامعيَّة، مثلًا، هناك «جيِّد جدًّا»، و«جيِّد»، و«مقبول»، وهناك ما دون ذلك.

فنحن نريد من هذه الموسوعة أنْ تجمع الصحاح، والحسان من أحاديث رسول الله ﷺ، حتَّى لا يعتمد الناس فيما يعتمدون على الأحاديث الواهية والموضوعة كما نرى للأسف الشديد.

هناك كثير من الناس يستشهدون بأحاديث لا صحَّة لها ولا أساس، حتَّى إنَّ بعض الوعاظ والخطباء يقعون في هذا، فنسمع منهم مثل هذه

QaradawiBooks.com

الأشياء، وخاصَّة أن في بعضها لونًا من المبالغة في الترغيب أو الترهيب، وقد يعجب ذلك العوام والدهماء من الناس، فيستشهدون بهذه الأشياء، وهذا يترتَّب عليه تشويه العقل المسلم بأشياء ليست صحيحة.

ـ ويعطي الدكتور يوسف القرضاوي ـ مثالًا على ما يقول:

* «انظر مثلًا: قضيَّة كقضيَّة المرأة، بعضهم يقول لك مثلًا النبيُّ عليه السلام قال: «شاوروهنَّ وخالفوهنَّ»[(١)].

هذا ليس بصحيح، بل هو مخالف للقرآن الكريم، إذ يقول في بعض القضايا: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] نسبة لفطام الطفل، فالوالدان إن أرادا فصالًا عن تراض منهما..

* ولقد شاور النبي ﷺ أم سلمة في بعض الأمور العظيمة الَّتي تتعلق بالسياسة العامة، وأشارت عليه بالرأي الحصيف، وكان فيه الخير، نفذ ما أشارت به أمُّ سَلَمة في غزوة الحُدَيْبِيَة[(٢)].

وهناك أحاديث أخرى كحديث أنَّ النبي ﷺ قال لفاطمة: أي شيء أصلح للمرأة؟ فقالت له: ألّا ترى رجلًا ولا يراها رجل. فقبَّلها، وقال: ذُرِّيَّة بعضها من بعض[(٣)].

---

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (٥٨٥): لم أره مرفوعًا... وقد استشار النبي ﷺ، أم سلمة كما في قصة صلح الحديبية، وصار دليلًا لجواز استشارة المرأة الفاضلة لفضل أم سلمة ووفور عقلها. وقال الألباني في الضعيفة (٤٣٠): لا أصل له.

(٢) قصة الحديبية ومشاورة أم سلمة للرسول ﷺ، رواها البخاري في الشروط (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

(٣) رواه البزار (٥٢٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢٠٠): رواه البزار وفيه من لم أعرفه. وضعَّف العراقي سنده في تخريج الإحياء صـ ٤٨٥.

QaradawiBooks.com

أمثلة من الأحاديث غير الصحيحة:

ـ ويُعَلِّق فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي قائلًا:

* هذا كلامٌ للأسف، بعض الناس بل بعض العلماء ذكروه، في كتبهم على أنَّه حديث صحيح وليس بصحيح.

وكيف يكون بصحيح ورسولُ الله ﷺ هو الَّذي أرى عائشة الحبشة، وهم يلعبون بحرابهم في المسجد، حملها على كتفه لتراهم[١]؟ كيف يسمح لها أن ترى الرجال، إذا كان الأصلح للمرأة ألَّا ترى رجالًا ولا يراها الرجال؟

كانت المرأة تذهب إلى المسجد، لتصلي مع النبي ﷺ، وكان الرجال والنساء يدخلون من باب واحد في أوَّل الأمر، فقال ﷺ: «**لو خصصتم هذا الباب للنساء**» ما كان يحدث تزاحم[٢]، فترك بابًا للنساء، ولا يزال إلى يومنا هذا يسمى «باب النساء» في مسجد الرسول الكريم ﷺ بالمدينة، فالمرأة كانت تحضر الصلوات والمعارك مع الرسول الكريم، فمثل هذا الحديث ينافي الأحاديث الصحيحة.

نحن نريد أن نمحص هذا الأمر ـ حيث نستبعد الأحاديث المنكرة والأحاديث المنافية لأصول الإسلام والَّتي تنافي القرآن الكريم وتنافي الثابت من السُّنَّة، وتنافي الأصول القطعية من الإسلام، نستبعد هذا كله في موسوعتنا.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٥٤)، ومسلم في صلاة العيدين، (٨٩٢)، عن عائشة.

(٢) رواه أبو داود في الصلاة (٤٦٢، ٥٧١) مرفوعًا وموقوفًا، ورجح أبو داود والدارقطني في العلل (٢٩٢٢) الموقوف، والطبراني في الأوسط (١٠١٨)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود مرفوعًا (٤٨٣)، عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تصنيف الأحاديث حسب أسلوب العصر:

ـ وقال في سياق الحديث:

* ننشئ موسوعة ونجمع الصحاح والحسان ونصنفها تصنيفًا جديدًا يليق بمكانة العقل المعاصر إذ إنَّ لكل عصر أسلوبه، فنستطيع نحن الآن أن نصنف الأحاديث تصنيفًا يتفق مع الاختصاصات المختلفة الموجودة. فهناك الأحاديث المتصلة بالاقتصاد الإسلامي، والأحاديث المتعلقة بالإنتاج والتوزيع والاستهلاك والتداول والتكافل الاجتماعي والعدالة الاقتصاديَّة، والأحاديث الَّتي تتعلق بالجانب النفسي، فالجوانب النفسيَّة والسيكولوجية مثلًا نستطيع أن نجمعها، والَّتي تتعلق بالطب يمكن أيضًا أن نجمعها، سواء كان الطب الوقائي أو العلاجي أو النفسي.

أهمِّيَّة الفهرسة:

* نستطيع أن نُصَنِّف تصنيفًا جديدًا، هناك الفهرسة والَّتي أصبحت شيئًا مهمًّا في عصرنا، ونحن نريد أن نصنع عددًا من الفهارس: فهارس للموضوعات، للكلمات، للألفاظ، حيث إنَّك بلفظ واحد تستطيع أن تصل للحديث.

وللأسف سبقنا المستشرقون في هذا، وصنعوا معجمًا اسمه «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث» لكنَّه اشتمل على أحاديث تسعة كتب فقط. أقول نستطيع أن نعمل عدَّة فهارس: فهارس الغريب من الكلمات، وفهارس الرواة، أشياء كثيرة لتكون مفاتيح للباحث أو للقارئ ليصل إلى ضالَّته بسهولة.

QaradawiBooks.com

الشرح والتوضيح:

ومن الأشياء المهمَّة أيضًا أن نشرح شرحًا موجزًا ما يحتاج إلى شرح، وتوضيح ما يحتاج إلى توضيح من الأحاديث الَّتي قد يسيء بعض الناس فهمها، لأنَّ مشكلتنا ليست فقط في أن هناك من يأخذ الأحاديث الضعيفة على أنَّها صحيحة، أو الموضوعة على أنَّها ثابتة.

بالإضافة إلى أن هناك من يأخذ الأحاديث الصحيحة ويفهمها على غير وجهها، يسيء تأويلها، فهو بهذا يسيء للإسلام وإلى الأمة الإسلاميَّة. وأتصور أن بعض الناس مثلًا يريدون أن يأخذوا من الأحاديث أنَّه لا فائدة من أي عمل وأننا في آخر الزمان وأنَّ الأمة حقت عليها كلمة العذاب، ولا ثمرة من أي عمل، «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**» هذا حديث صحيح[1]، ولكن ليس معنى أنَّ الإسلام سيعود غريبًا: أن ينفض الناس أيديهم من أي عمل، وأن يستسلموا ويلقوا السلاح وينتظروا قيام الساعة، لا يمكن أن يأتي بهذا الرسول، الَّذي جعل اليأس من لوازم الكفر والقنوط من مظاهر الضلال. كما هو في القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

المسلم إيجابي:

فبدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا، أكمل الحديث «**فطوبى للغرباء**». قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**الَّذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي**»[2].

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٤٥)، وأحمد (٩٠٥٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي في الإيمان (٢٦٣٠)، وقال: حديث حسن. والطبراني (١٦/١٧)، عن عمرو بن عوف المزني.

QaradawiBooks.com

أي هؤلاء الغرباء ليسوا يائسين ولا سلبيِّين، ولكنَّهم أناس إيجابيُّون، يُصلِحون ما أفسد الناس من سنن الإسلام، ويحيون ما مات منها.

ـ واستطرد فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي:

* أحاديث الفتن وأشراط الساعة تفهم على غير وجهها، أحاديث البخاري مثلًا: «**لا يأتي عليكم زمان إلَّا والَّذي بعده شرٌّ منه**». حديث رواه البخاري، عن أنس رضي الله عنه، لما شكا الناس إليه ظلم الحجاج، قال: «**اصبروا، فإنَّه لا يأتي عليكم زمان إلَّا الَّذي بعده شرٌّ منه**». سمعت هذا من نبيِّكم[1]. بعض الناس قالوا: إذنْ سنظل في تدهور وفي انحدار من سيِّئ إلى أسوأ.

تصحيح الأفهام المغلوطة:

هذا في الحقيقة مردود، حتَّى إنَّ شيخ الإسلام ابن حجر شارح البخاري يقول: «يحتمل أن يكون المراد بالأزمنة: ما قبل وجود العلامات العظام كالدجال وما بعده، ويكون المراد بالأزمنة المتفاضلة في الشر من زمن الحجاج فما بعده إلى زمن الدجال. ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة المذكورة أزمنة الصحابة بناء على أنَّهم هم المخاطبون بذلك فيختص بهم، فأما من بعدهم فلم يقصد في الخبر المذكور لكن الصحابي فهم التعميم؛ فلذلك أجاب من شكا إليه الحجاج بذلك وأمرهم بالصبر وهم أو جلهم من التابعين»[2].

فلولا هذا الفهم لتناقض الحديث مع أحاديث أخرى ومع الواقع التاريخي للأمة، فقالوا: إنَّ الحديث ليس عامًّا وإنَّما أريد به خصوص من سمعه، وإنْ فهم أنس ـ راويه ـ أنَّه للعموم، ففهمه ليس حجة.

---

(١) رواه البخاري في الفتن (٧٠٦٨).

(٢) فتح الباري (٢١/١٣)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

نحن إذنْ في حاجة إلى تصحيح الأفهام المغلوطة للأحاديث النبويَّة، فهذا ممَّا ينبغي أن تقوم به الموسوعة، تصحيح الفهم، تبيين الأحاديث الَّتي فيها أنواع من الإشكالات الفكريَّة الَّتي ثارت من قبل أو تثور اليوم.

هذا داخل في عمل الموسوعة المنشودة، ونحن نخطط لها في الحقيقة، وسنطلع العلماء المسلمين المشتغلين بمثل هذا الأمر على هذا المشروع.

بعض الناس قرأ كتابًا واحدًا واعتبر نفسه مجتهدًا وخطَّأ الصحابة:

ـ في بداية حديثه عن قضيَّة الاجتهاد قال فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي:

* إنَّ الاجتهاد من خصائص الشريعة الإسلاميَّة، والمجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر، وقد أقرَّ النبي ﷺ الصحابة الَّذين اجتهدوا في حياته في صلاة العصر في بني قُرَيْظة[1]، والصحابة اجتهدوا، والتابعون ومن تبعهم.

فالاجتهاد ثابت بأدلَّته الشرعيَّة، ولم يأت ما ينسخ به الأدلَّة.

الأدلَّة الَّتي بها الاجتهاد في القرون الأولى ما زالت قائمة، فالقول بأن باب الاجتهاد قد أغلق قول مرفوض، ولا وزن له من الناحية العلميَّة.

فباب الاجتهاد سيظلُّ مفتوحًا، وإنَّما كانت هناك ظروف تاريخيَّة ألجأت بعض الناس للقول بإغلاق باب الاجتهاد؛ حتَّى لا يدخل منه الأدعياء والمتطفلون والراغبون في إرضاء الملوك والأمراء ولو على حساب الدِّين.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٤٦)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

فزعم من زعم أنَّ بـــاب الاجتهاد قد أغلق حتَّى يســـدَّ الطريق على هؤلاء المتلاعبين، وهذا أمرٌ يُلْحَظُ دائمًا. فهناك أناس يُحِبُّون أن يتقرَّبوا إلى الحُكَّام بســـخط الله ﷻ، ويُفْتُوا الفتاوى الَّتـــي تقبلها وترضى عنها السلطات. فهؤلاء هم الَّذين تَمَسَّكوا بإغلاق باب الاجتهاد، لماذا؟ لأنَّ الحياة في عصرنا تغيَّرت كثيرًا عمَّا كانت عليه في عصورٍ متأخِّرة.

كانت الحياة ساكنة، وقلَّما يطرأ عليها تغيير يذكر، أنماط رتيبة. الَّذين عاشـــوا في القرن الحادي عشـــر الهجري ـ مثلًا ـ حياتهم أشبه بالَّذين عاشـــوا في القرن التاســـع، يعني الحياة قلَّما يتغيَّر فيها شيء، نحن في عصرنا هذا بعد عصر الانقلاب الصناعي البخار والكهرباء والذَّرَّة وغزو الفضاء، أصبحت الحياة تتغيَّر بســـرعة، لا نســـتطيع أن نلاحقها، وهذا التغير يحتاج إلى تفكير جديد واجتهاد جديد، ولهذا كان لا بدَّ أن يظل بابه مفتوحًا؛ حتَّى نســـتطيع مواكبة الحياة المعاصرة، وحتَّى لا يتخلف الفقه الإســـلامي عن الواقع الَّذي نعيشـــه، فالشريعة الإســـلاميَّة محيطة بجميع أفعـــال المكلفين. يعني لا يمكن أن توجد واقعة ليس للشـــريعة الإسلاميَّة فيها حكم أو رأي، أي واقعة تحدث في أي عصر كان لا بدَّ أن تقول الشـــريعة فيها رأيًا، أو حكمها من الأحكام الخمسة المعروفة في الفقه الإسلامي، وهي: الفرض والمستحبُّ والحرام والمكروه والمباح.

الاجتهاد نوعان:

* أضاف فضيلـــة الدكتور يوســـف القرضـــاوي أنَّ الاجتهاد نوعان: أحدهما انتقائي والآخر إنشائي، فالإنشائي: الاجتهاد الجديد الَّذي يصدر حكمًا في مســـألة لم يعرفها الســـابقون، فهناك الكثير من المسائل الَّتي نعرفها في هذا العصر ونحتاج جميعًا إلى معرفة رأي الفقه فيها، والدليل

QaradawiBooks.com

على ذلك أنَّني حضرت منذ أشهر ندوة في الكويت عن الإسلام والإنجاب، والتحكم في جنس الجنين ـ أي معرفته ذكرًا أو أنثى ـ وسأل الناس أسئلة كثيرة في هذا الموضوع.

بل إنَّ هناك موضوعات أخرى جديدة تحتاج إلى رأيٍ، مثل أخذ بويضة ملقحة لتوضع في رحم امرأة ـ يعني يستأجر رحمها ـ أشياء غريبة. أيضًا التحكم في مزاج الناس عن طريق عقاقير أو أشياء تجعل الأعصاب هادئة، وهناك كثير من الأمور الغريبة. انظر مشاكل الاقتصاد والبنوك والتأمين وغير ذلك، في كل ناحية من النواحي تجد أسئلة، حتَّى في العبادات: مسألة الهلال، واعتماد المراصد، الناس تحتاج إلى معرفة رأي الفقه فيها. البلاد الَّتي لا يرى فيها الناس الشمس لمدة ستة أشهر، البلاد الَّتي يطول اليوم فيها (٢٢) ساعة، كيف يكون الصيام في هذه البلاد؟ بالإضافة إلى العمارات السكنية الَّتي تناطح السحاب، والمصانع الضخمة والأوراق النقدية، وموقف الزكاة منها، هذه الأمور كثيرة، ما الحكم فيها، وهي قطعًا تحتاج إلى الاجتهاد الإنشائي الَّذي لم يكن يعرفه السلف.

الاجتهاد الانتقائي:

ـ استطرد فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي حديثه قائلًا:

* أمَّا الاجتهاد الانتقائي فيكون في المسائل الَّتي عرفها فقهاء السلف واختلفوا فيها وظلت أمورًا خلافية إلى اليوم، ونحن في حاجة ماسة إلى أن نتبنى فيها رأيًا نرجحه في ضوء ظروفنا ومتطلبات عصرنا، لأنَّنا قد نجد أنَّ رأيًا ما كان في وقت من الأوقات أليق بعصره، وهو الآن لا يليق بعصرنا، يعني رُبَّما نقوي رأيًا كان ضعيفًا، وربما نتبنى رأيًا كان مهجورًا؛

QaradawiBooks.com

لأنَّه يحقِّق الآن مقاصد الشـرع ومصالح الخلق، فالاجتهاد إذنْ ضرورة، ولا نستطيع أن نستغني عنه.

غير مرخصة للطباعة

حق الاجتهاد لمن؟

ـ قلت: ومع اتفاقي التام في كل ما ذكرتـه، لكن من الَّذي له حق الاجتهاد؟

* المشكلة أنَّ هناك أناسًا يقحمون أنفسهم فيما لا يحسنونه، كل من قرأ كتابًا أو عرف بعض الكتب يريد أنْ يجعل من نفسه مجتهدًا، ويخطِّئ الأئمة! بل يخطِّئ الصحابـة! ويتصور أنَّه عالم، مع أنَّـه لم يتأهل بعد للاجتهاد؛ إنَّ الاجتهاد له شـروطه، الاجتهاد يعني العلم بالقرآن، العلم بالسـنة، وعلوم الحديث، واللغة العربيَّة والتمكن منهـا، العلم بمواقع الإجماع ومواضع الخلاف، بالإضافة إلى الموهبة الَّتي تسـاعد صاحبها على الترجيح والاجتهاد، ومعرفة مصالح النـاس والواقع، إنَّه لا يجوز لإنسان أن يجتهد في شـيء لا يحسـنه، لا يجوز أنْ تقول على أعمال البنوك «حلال» أو «حرام» وأنت لم تدرسـها الدراسة الكافية، فلا بدَّ أنْ تعرف قـدرًا مـن الثقافة المعاصـرة، والعلـمِ الكوني، وعلـمِ النفس والاجتماع، وبعد ذلك لك الحق أنْ تجتهد.

والمفروض في المجتهد: أن يجتهـد لعصره، فلا يجوز له أنْ يعيش في عصر آخر ثم يفتي لعصرنا هذا، ومن هنا كانت الحاجة إلى هذا.

إنَّما هناك إنسان ـ مثلًا ـ قد يكون واعظًا مؤثرًا، أو خطيبًا مفوهًا يأخذ بمجامع القلوب ويهـز أوتار النفوس وتهتز له أعـواد المنابر، لكن هذا شيء والفقه والاجتهاد شيء آخر. والغريب أن كثيرًا من الناس يخلطون

QaradawiBooks.com

بين هذا وذلك، يظنون أنَّ كل واعــظ أو داعيةٍ فقيهٌ ومجتهد! وهذا ليس بضرورة؛ قد يكــون الفقيه أو المجتهد لا يســتطيع أنْ يؤثــر في الناس بكلمة، فهذا صنف وذاك صنف آخر. قد يكون الإنسان دارسًا التصوف أو الفلسفة أو التاريخ، لكن لا علاقة له بالفقه أو الاجتهاد فيه. فقه الشريعة له أهله المتمرســون؛ ومن هنا ليس كل من تخرج فــي الأزهر ـ مثلًا ـ بقادر على الاجتهاد، وليس كل من قرأ بعض الكتب قادرًا على الاجتهاد.

شروط الاجتهاد:

* وأكــد فضيلة الدكتور يوســف القرضاوي أنَّه لا بــدَّ للمجتهد أن يخاف الله، وهذا شرط نُسَــمِّيه بعلم العدالة والتقوى، حتَّى يكون مأمونًا على دين الله، لأنَّ الشخص لا يُؤْمَن في الشهادة على بضعة جنيهات أو قروش إلَّا إذا كان مَرْضِيَّ السيرة، ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ويقول: هذا حلال، وهذا حرام، وهذا واجب. وهو غير مأمون، يبيع دينه بدنياه أو بدنيا غيره، أو يتورط فيما لا يحسنه حبًّا للشهرة أو الظهور، أو لأنَّه نفسه لم يفهم بعد، أعطى نفسه ما لا تستحق. فهناك على كل حال شــروط للاجتهاد لا بدَّ منها، إذا وجدت هذه الشروط فأهلًا وسهلًا. أمَّا أن يجتهد بعــض الناس ويكــون كل همه أن يحلِّل الحرام، أو يســقط الواجبات، أو يتقرب إلى الحكام تارة، وإلى الدَّهْماء والعوامِّ تارة أخرى، فليس هذا هو الاجتهاد المنشود.

اجتهاد خاطئ:

وســأضرب لك مثلًا: حضرت أحد المؤتمرات وكان موجودًا بعض الناس الَّذين أدخلوا أنفسهم في هذا الميدان، وزعموا أنَّه لا بدَّ من تذليل

QaradawiBooks.com

الاجتهاد، فمـــا قاله بعض هؤلاء الَّذين أدخلوا أنفســـهم في هذا الميدان دليل على ضرورة تذليل الاجتهاد: إنَّ فلانًا ذهب إلى أمريكا فوجد أحد المسلمين اشترى كنيسة هناك، وحوَّلها إلى مسجد، ولمَّا جاء يوم الجمعة لم يحضر عدد كبير للصلاة، لأنَّ يوم الجمعة في أمريكا عمل. وأضاف هذا الشـــخص: كيف يقبل الرجل الَّذي اشـــترى المســـجد وأنفق عليه عشـــرات الآلاف هذا الوضع؟ ثـــم اجتهد وقال: لمـــاذا لا نجعل صلاة الجمعة يوم الأحد؟ أخذًا برأي نجم الدِّين الطُّوفي الحنبلي الَّذي يحكم المصلحة في هذه القضايا حلًّا للمشكلة.

فوجدت نفسي مضطرًّا أن أردَّ عليه، فقلتُ له في هذا المؤتمر: إنَّ نجم الدين الطوفي الَّذي تريد أن تلجأ إليه لا يمكن أن يُسْعِفَكَ، لأنَّه قال: تحكيم المصلحة لا يكون في العبادات ولا في المُقَدَّرات الَّتي قدَّرها الشرع، مثلًا: العِدَّة ثلاثة قروء أو ثلاثة أشهر، أو أربعة أشهر وعشر، أو الزكاة نصف العشر أو ربع العشر، الأشياء المقدَّرة والعبادات تؤخذ بالتسليم، فإذا كان الله جعل الصلاة يوم الجمعة فلا يجوز أن نجعلها نحن يـــوم الأحد، ولو جعلت يوم الأحد ماذا تُسَـــمَّى حينئذ؟ هل ستُسَمَّى صلاة الجمعة أو صلاة الأحد؟ والله يقـــول: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]. هل سنُغَيِّر الآية القرآنيَّة لتكون (إذا نودي للصلاة من يوم الأحد).

الغُلُوُّ في الاجتهاد:

ـ واستطرد الدكتور القرضاوي قائلًا:

* الغلوُّ في دعوى الاجتهاد هو الَّذي يُخيف الكثيرين من المحافظين، لذلك قالوا: إنَّ من الأولى أن نسُـــدَّ الباب حتَّى لا يدخل فيه مثل هؤلاء الجرآء الَّذين يقولون على الله ما لا يعلمون.

QaradawiBooks.com

العلاج الأمثل:

ـ قلت للدكتور يوسف القرضاوي وما العلاج لمثل هذا؟

* العلاج أنْ يفتح باب الاجتهاد للقادرين من أهله، ممَّن شهد لهم بالعلم والدين معًا، فهؤلاء يدعون إلى الاجتهاد، والأولى أن يكون الاجتهاد في عصرنا في صورة جماعيَّة ما أمكن، في صورة مجامع علميَّة تضم الصفوة من العلماء المدققين المشهود لهم، ويجتمع هؤلاء ويبحثون المسائل بحرية وفي ضوء أدلة، ويخرجون برأي على المسلمين يكون أشبه بما كان يسمى قديمًا بـ «الإجماع»، على أنَّ الخوف أيضًا أنْ تصبح هذه المجامع تحت سلطة الحكومات الإقليميَّة المحليَّة، فيصبح الناس في خوف أو طمع، تحت سلطان الخوف والطمع، لا يقولون ما يريدون، ولا يجرؤون على أن يقولوا هذا حلالٌ وهذا حرام كما اقتنعوا به.

والسلطات أيضًا لا ترضى أحيانًا عن بعض الناس فتستبعدهم وتُقَرِّب آخرين ممَّن هم دونهم، فتصبح هذه المجامع في هذه الحالة غير مُعَبِّرة التعبير الصحيح عن علماء الأمة الإسلاميَّة، ولذلك حبَّذا لو استطاع المسلمون أن يوجدوا مثل هذا المجمع الإسلامي الشعبي الَّذي يستطيع أن يصدر رأيًا حاسمًا في القضايا المُهِمَّة والمشكلات المعاصرة، على أنَّ هذا لا يُغْني عن الجهود الفرديَّة للأشخاص القادرين على البحث والدراسة الَّذين يستطيعون أنْ يخدموا الموضوعات العلميَّة ويعيشوا لها سنين حتَّى يبرزوها واضحة.

الاجتهاد ضرورة:

ـ وأضاف فضيلته:

* وأحبُّ أنْ أنبه أنَّ الاجتهاد الجماعي إذا أصدر قرارات سريعة دون

QaradawiBooks.com

أن تكون الموضوعات مخدومة من أفراد عاشـــوا فيها وعاشوا لها تكون هذه القرارات غير مأمونة على الإطلاق.

* وأكد الدكتور القرضاوي بعد ذلك في ســـياق حديثه: أنَّ الاجتهاد ضرورة من ضرورات الشريعة الإسلاميَّة، وهو يحيا بتطبيق الشريعة. لأنَّ التطبيق يضطرنا اضطرارًا إلى أن نجتهد.

ولننظر إلى جانب من جوانب الشريعة الإسلاميَّة نجده خصبًا حافلًا، باجتهادات متنوعة، وهو جانب فقه الأســـرة، أو ما يســـمونه «الأحوال الشـــخصيَّة» حيث نجد في هذا اجتهاداتٍ وآراء وأشياء كثيرة. كان الفقه الأول ملتزمًا بالمذهب الحنفي، منذ عهد الدولـــة العثمانيَّة، ثم خرجوا عن المذهب الحنفي للمذاهب الأربعة، ثم خرجوا عنها لمذاهب أخرى لبعض السلف، ثم جاءت اجتهادات أخرى، والسبب في كل هذا أن ذلك الجانب يطبق فعلًا من الشريعة الإســـلاميَّة ويدرس في كليات الحقوق فضلًا عن كليات الشـــريعة في الأزهر وغيرها ممَّا جعل هذا الجانب من الفقه يحيا وينمو ويزدهر.

تطبيق الشريعة الإسلاميَّة:

ـ وعاد فضيلته ليؤكد على أهمِّيَّة تطبيق الشريعة الإسلاميَّة قائلًا:

* لو أنَّنا طبقنا الشـــريعة الإســـلاميَّة في كل جوانب الحياة المدنيَّة والاقتصاديَّـــة والجنائية والدســـتورية والإدارية والدوليَّـــة لظهرت هذه الجوانب، لأنَّ التشـــريعات الَّتي تطبق، والقضاء الَّـــذي ينفذ يحتاج إلى اجتهادات، فهذه الاجتهادات لا بدَّ منها وأعظـــم ما يحيي الاجتهاد هو تطبيق الشريعة.

QaradawiBooks.com

حينما تصبح الشريعة الإسلاميَّة واقعًا حيًّا في حياتنا وتنفذ المادة الَّتي نص عليها الدستور هنا، أنَّ الشريعة الإسلاميَّة هي المصدر الرئيسي للقوانين، فسنجد في هذه الحالة أنَّ الاجتهاد بطبيعته قد وجد، ووجد المجتهدون والدارسون المقتدرون على التأليف والفتوى والقضاء.

التطرف الديني:

ـ قلت لفضيلته: لقد أشرت في سياق الحديث إلى هؤلاء الَّذين أقحموا أنفسهم في الفتيا والاجتهاد، وفهموا بعض النصوص خطأ، ومن هؤلاء بعض الشباب الَّذين تطرفوا دينيًّا، وقد كان التطرف الديني ظاهرة ملحوظة في العالم الإسلامي كله، فإلى أي سبب ترجعون هذا التطرف الديني؟

ـ فأجاب الدكتور القرضاوي قائلًا:

* مشكلاتنا في البلاد الإسلاميَّة أنَّنا نقع دائمًا بين الإفراط والتفريط، والدين يضيع بين الغلو فيه والتقصير فيه، والحياة كلها تضيع بين هذين الأمرين، مع أنَّ ديننا دين الوسطية، وأمتنا كما وصفها الله بقوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أمة الصراط المستقيم، فللأسف أصبحنا بين غلو وتطرف من ناحية، وتفريط وتضييع من ناحية أخرى، حتَّى في مسألة الاجتهاد الَّتي ذكرتها، نجد أيضًا هناك الَّذين يريدون أنْ يقحموا أنفسهم كما قلت ويجعلوا من أنفسهم مجتهدين، ويجتهدوا فيما لا يقبل الاجتهاد، وآخرين يريدون أنْ يجمدوا الشريعة الإسلاميَّة ويجعلوها صخرة صلبة، ويريدون أنْ يعيشوا القرون المتأخرة.

وأسباب التطرف كثيرة بعضها فكري يرجع إلى سوء الفهم للإسلام من ناحية، وللواقع من ناحية أخرى، ولسنن الله في الكون، ولهؤلاء الشباب أفهام كثيرة ناقشتها في كثير من كتاباتي.

QaradawiBooks.com

وبعض هذا يرجع إلى أمور نفسيَّة أيضًا، بعض هؤلاء عندهم ما يشبه أن يكون عقدًا وبعضهم مكبوت، مضغوط عليه، من المجتمع، حيث لا يستطيع أن يعبر عن نفسه وعن إسلامه في المجتمع، فإذا لم يستطع أن يعبر عن نفسه نتيجة الضغط أحيانًا، فالضغط كما تعلم يولد الانفجار، والتطرف في الحقيقة هو صورة من صور هذا الانفجار.

ولهذا أرى أنَّ سبب التطرف ليس سببًا واحدًا، أنا لست من الَّذين يحبون أن يرجعوا الأمور إلى سبب واحد، هذا اتجاه موجود في تفسير التاريخ وفي غيره، إنَّما هناك أسباب عديدة للتطرف.

ـ قلت لفضيلة **الدكتور القرضاوي**: اسمحوا لي قبل أن تسترسلوا في أسباب وعلاج التطرف الديني الَّذي تفشى بين شباب العالم الإسلامي في الآونة الأخيرة.

أقف معكم لأستوضح رأيكم فيما أخذ على هؤلاء المتطرفين.

فمما أخذ عليهم من خلال اللقاءات الَّتي أجرينا معهم، ومن خلال متابعة الرأي العام لما يجري الآن من حوار فكري، التعصب الشديد للرأي وعدم اعترافهم بالرأي الآخر، ورمي من خالفهم في السلوك بالفسق والعصيان وإباحة الاجتهاد لأنفسهم في أدق المسائل.

ـ فأجاب فضيلته قائلًا:

* ليس من حق أحد مهما بلغ أن يدعي أنَّه هو وحده الَّذي على الحق وأنَّ الآخرين على ضلال، وهذا الاتِّجاه أنكره، ولقد ذكرت في دراسة مستفيضة لي عن هذا الجانب، أن من أولى دلائل التطرف: التعصب للرأي تعصبًا لا يعترف معه للآخرين بوجود، فهذا معناه حجر على آراء المخالفين وإلغاؤها.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والذي يلتزم بهذا الاتِّجاه يجعل من نفسه نبيًّا معصومًا، ويتخذ من قوله وحيًا يوحى، مع أن سلف الأمة وخلفها قد أجمعوا على أنَّ كل واحد يؤخذ من كلامه ويترك إلَّا الرسول الكريم ﷺ، وحقيقة أنا أتعجب ممَّن يجيز لنفسه الاجتهاد في أدق المسائل والقضايا والفتوى بما يراه يوافق هواه، ولا يجيز لعلماء العصر المتخصصين سواء كانوا منفردين أو مجتمعين أن يجتهدوا في رأي يخالف ما ذهب إليه.

تفسيرات عجيبة للدين:

إنَّ بعض هؤلاء سمح لنفسه أن يخرج بآراء وتفسيرات لدين الله هي غاية في العجب؛ إذ إنَّه لم يبال أن يشذ فيها عن كافة السابقين واللاحقين، فجعل رأسه برأس خلفاء الرسول الكريم ﷺ فهو يعتبرهم رجالًا مثله، وليته أعطى غيره من معاصريه هذه المرتبة، بل خصها لنفسه، تعصب مقيت حين يثبت المرء نفسه وينفي كل ما عداه، وهذا من دلائل التطرف حقًّا.

آفة التشدد:

ـ فضيلة الدكتور القرضاوي: أخذ على المتطرفين أيضًا تبنيهم بصفة دائمة لمبدأ التشدد والتزمت والتزام أشد الآراء تضييقًا وأقربها للتعسير. وبالإضافة لذلك محاولتهم لإلزام سائر من حولهم بهذا المبدأ وإلا فهم كفار.

ـ قال الدكتور يوسف القرضاوي تعليقًا على ذلك:

* أَنْ تشدد على نفسك وتعمل بالعزائم، وتترك الرخص الَّتي أباحها الإسلام لك فهذا يقبل. أمَّا الَّذي لا يقبل بحال من الأحوال أن تُلزم بذلك سائر من حولك.

QaradawiBooks.com

لقد كان ﷺ كما أثر عنه إذا صلى لنفسه أطول الناس صلاة، وإذا أمَّ الناس أخفَّهم صلاة؛ لأنَّه ﷺ يراعي ظروف من يأتمون به وقدراتهم على التحمل، ولقد روى البخاري عن الرسول الكريم أنَّه قال: «**إذا صلى أحدكم بالنَّاس فليخفف، فإنَّ فيهم الضعيف والسقيم والكبير. وإذا صلى أحدكم لنفسه، فليطول ما شاء**»[1].

إنَّني أنكر التبني بصفة دائمة ومطلقة لخط التشدد والتزمت، والتزام أشد الآراء تضييقًا، وأقربها للتعسير، وأبعدها عن السعة والتيسير، والعمل بكل الصور على إلزام من حولهم بهذا المبدأ وإلا فرميهم بالكفر جائز عندهم، وللأسف الشديد سمح هؤلاء لأنفسهم أنْ يضعوا في قفص الاتهام كل من يدعو للتيسير ويفتي بما هو أرفق للناس رفعًا للحرج في ضوء الشريعة.

ومما أنكره أيضًا على المتشددين أنْ يكون تشددهم في غير مكانه وزمانه ككونه في بلاد غير بلاد المسلمين.

اتهام الموتى:

ـ قلت لفضيلة الدكتور القرضاوي: إنَّ هؤلاء المتطرفين دائمو الظن والاتهام، ولا يلتمسون الأعذار لأحد مهما بلغ عذره، واتهامهم لم يقف عند الأحياء بل أنَّهم لم يدعوا شخصيَّة من الشخصيات الَّتي رحلت إلَّا ووجهوا إليها سهام الاتهام.

قال فضيلته:

* لعلك تعرف أنَّ الاتهام هو الأصل عند المتطرف، والأصل في

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٠٣)، ومسلم في الصلاة (٤٦٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الاتهام الإدانة، وهذا ما يخالف ما قررته الشرائع والقوانين من أنَّ المتهم بريء حتَّى تثبت إدانته.

مخافة العلماء:

لقد عرف هؤلاء بأنَّهم يفتشون عن العيوب، ويتصيَّدون الأخطاء ليقرعوا بها الطبل، ويجعلوا من الخطأ خطيئة، ومن الخطيئة كفرًا، وإذا كان هناك قول أو فعل يحتمل الخير والهداية، والشر والغواية نجدهم رجحوا احتمال الشر. وهذا يخالف ما أثر عن علماء أمتنا من أنَّ الأصل حمل حال المسلم على الصلاح، والعمل على تصحيح أقواله وتصرفاته مهما أمكن ذلك.

وعرف عنهم أنَّه من خالفهم اتهم في دينه بالمعصية أو الابتداع أو احتقار السنة، والفقيه الَّذي يفتي بفتوى ييسر فيها على خلق الله ﷻ، هو في نظرهم متهاون في حق دين الله ﷻ، واتهامهم هذا ـ كما قلت ـ لم يسلم منه حتَّى الأموات الَّذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، فهم لم يدعوا شخصيَّة من الشخصيات المرموقة إلَّا وصوَّبوا إليها سهام اتهامهم، فقالوا هذا ماسوني، وهذا معتزلي.

اتهام الأئمة:

أهناك أكثر من أئمة المذاهب المتبوعة الَّذين لهم مكانة عظيمة في قلوب الجميع في كل عصر، إن هؤلاء يا أخي لم يسلموا كذلك من ألسنتهم وسوء ظنهم، ولك أن تعرف أن بعضهم زعم أنَّ الأُمَّة كلها قد كفرت بعد القرن الرابع الهجري.

الولع بالتطرف داء قديم:

ـ واستطرد فضيلته قائلًا:

QaradawiBooks.com

* إنَّ ولع هـؤلاء المتطرفين بالهدم لا بالبناء ولـع قديم، وغرامهم بانتقاد غيرهم وتزكية أنفسهم شنشنة معروفة، في حين أن ربنا ﷻ قال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

إن آفتهم سوء الظن المتغلغل في أعماق نفوسهم. ولو رجعوا للقرآن الكريم والسُّـنَّة المطهرة لوجدوا فيها ما يغـرس كل الصفات الحميدة والمثل الكريمة في نفس المسلم.

الرسول يحذر من تكفير المسلم:

ـ وأكمل الدكتور القرضاوي قائلًا:

* إنَّ تكفير المسلم أمر خطير يترتَّب عليه حلَّ دمه وماله، والتفريق بينه وبين زوجه وولـده، وقطع كل ما بينه وبين المسـلمين، وهذا أمر حذَّر منه الرسول الكريم أشدّ تحذير، حيث قال في الحديث الصحيح: «**من قال لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدُهما**»[1]. فما لم يكن الآخر كافرًا بيقين، فسترد التهمة على من قالها، ويبوء بها، وفي هذا خطر جسيم.

وأشار فضيلته إلى أنَّ كل الشبهات الَّتي استند إليها المتطرفون في التكفير مردودة بالمحكمات البينات من كتاب الله ﷻ وسـنة رسـوله الكريم ﷺ.

أسباب التطرف:

ـ نرجع لما ذكرتموه فضيلتكم من أن للتطرف أسبابًا عديدة، ولستم من الَّذين يحبون أن يرجعوا الأمور إلى سـبب واحد، فما هي أسـباب التطرف وما علاجها من وجهة نظر فضيلتكم؟

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٠٤)، ومسلم في الإيمان (٦٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

ـ قال فضيلة الدكتور القرضاوي:

* إنَّ ضعف البصيرة بحقيقة الدين وعدم التعمق في معرفة أسراره للوصول لفهم مقاصده، والتمسك بحرفية النصوص دون فهم دقيق لها من أهم الأسباب.

الاشتغال بالفروع عن القضايا الكبرى:

فهؤلاء يشتغلون بكثير من المسائل الجزئية والأمور الفرعية عن القضايا الكبرى، الَّتي تتعلق بكيان الأمة الَّتي يعيشون فيها، فمنهم من يقيم الدنيا ويقعدها من أجل حلق اللحية، أو الأخذ منها أو إسبال الثياب أو تحريك الأصبع في التشهد، أو اقتناء الصور الفوتوغرافية، وما إلى ذلك من مسائل طال فيها الجدل وكثر فيها القيل والقال.

جدل وتفريط:

إنَّهم يختلفون على هذه الأمور. في حين أنَّ العِلمانيَّة اللادينية تزحف، والماركسيَّة الإلحاديَّة تنتشر، والصهيونية ترسخ أقدامها، والعجب العجاب أنَّ بعض الَّذين يثيرون الجدل في هذه المسائل الجزئية، وينفخون في جمرها باستمرار، أناس يعرف عنهم ممَّن حولهم: التفريط في واجبات أساسيَّة كبرِّ الوالدين، وإتقان العمل المنوط بهم، ورعاية حقوق الزوجة والأولاد.

الاعتماد على المتشابهات:

والغلاة والمبتدعون يعتمدون على المتشابهات في تحديد كثير من المفاهيم الكبيرة الَّتي رتبوا عليها نتائج خطيرة، بل بالغة الخطر في

QaradawiBooks.com

الحكم على الأفــراد والجماعات، وتقويمهم وتكييــف العلاقة بهم من حيث الولاء والعداء، والحب والبغض، واعتبارهم إما مؤمنين يُقبَلُون، أو كفارًا يقاتَلُون.

وهذه سطحية في الفهم، وتســرع في الحكم، وخطف الأحكام من النصوص خطفًا دون تأمل ولا مقارنة نتيجة لتــرك المحكمات البينات واتباع المتشابهات المحتملات.

الحياة الإسلاميَّة:

ـ وقال فضيلة الدكتور القرضاوي:

* هناك أســباب عديدة للتطــرف: منها ما هو فكري أو نفســي، وبعضهــا اجتماعي وسياســي واقتصادي، عوامــل متداخلة أدت في النهاية إلى هذا التطرف.

ولذلك أقول: إنَّ من أهم هذه الأشــياء أنَّ هؤلاء الشــباب، أو كثيرًا منهم لم تتــح لهم الفرصة الكافيــة لينمو فكرهم في النــور والعلانية، ويُناقشوا، وحينما أتيحت لهم الفرصة، رجع كثير منهم عن تطرفهم إلى خط الاتزان.

ولكي نعالج التطرف لا بدَّ أن تكون حياتنا إســلاميَّة، وليس معنى هذا أن تكون حياة «دراويش» جالســين في الزوايا والتكايا، لا، فليست هذه حياة إســلاميَّة، إنَّما الحياة الإســلاميَّة حياة عمل وكفــاح وإنتاج وتفوق، في كل مجالات الحياة.

والواقع أنَّ الحياة الإسلاميَّة هي الحياة الَّتي توجهها العقيدة الإسلاميَّة وتحكمها الشــريعة الإســلاميَّة وتضبطها الأخلاق الإســلاميَّة وتسودها

QaradawiBooks.com

الآداب والتقاليد الإسلاميَّة ويظلها الإخاء الإســلامي، سواء الإخاء بين أبناء المجتمع وبين بعضه أو بين المسلمين فيما بينهم، في العالم كله.

الحياة هداية ورســالة، حياة في التشريع، حياة في الاجتماع والعادات والتقاليد، حياة إســلاميَّة في البيت والأسرة، حياة إســلاميَّة في المدرسة والجامعة، حياة إسلاميَّة في الجيش والشرطة، حياة إسلاميَّة، في كل شيء.

حينما يوجد هذا لا يحس الشباب بالتناقض الَّذي يعانيه، إنَّما نحن الآن نقول شيئًا ونفعل شيئًا آخر، نعتقد شيئًا، ونفعل ما يضاده، ومن هنا تكون هذه المشكلة عند الشباب المسلم، ولذلك لا بدَّ أن نكون صادقين مع أنفســنا، لا يمكن أن نكون مســلمين ونحن نرى في جوانب الحياة المختلفة بعدًا عن الإسلام.

فتح نوافذ الحرية:

ـ واستطرد فضيلته:

* التطرف لا يعالج أبدًا بالقمــع ولا بالعنف، هذا لا يولد إلَّا تطرفًا آخر، رُبَّما كان أشد من التطرف الأول، قد يختفي هذا اللون من التطرف حينً، ولكنَّه سيبحث عن سراديب تحت الأرض ليعيش فيها، ليظهر مرَّة أخرى في صورةٍ جديدة، وباســم جديــد، والعلاج الحقيقــي أن نفتح النوافذ، تهب منها أنســام الحُرِّيَّة ليقول كل إنســان ما عنــده، ليناقش بلا خوف أو رهبة من أحد.

وأنا أعتقد أنَّه في النهاية لا يصح إلَّا الصحيح، ولا يحق إلَّا الحق، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

QaradawiBooks.com

احترام التخصص:

ـ ما المطلوب من هؤلاء الشباب؟

* إنَّني أطالب باحترام التخصص؛ إذ إن لكل علم أهله ورجاله، فكما لا يجوز لي أن أقرِّر دواء لمريض لا يجوز أن يكون علم الشريعة كلأً مباحًا لكل من يريد، بدعوى أنَّ الإسلام ليس حكرًا على أحد، فإذا كان ديننا لا يعرف طبقة رجال الدين، فهو يعرف علماء الدين المتخصصين، أشارت إليهم الآية الكريمة: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. ومن الضروري أنْ يؤخذ العلم الشرعي من ثقات العلماء الَّذين يجمعون بين سعة العلم والورع والاعتدال، والتخلي عن التشدد والغلو، والتزام جانب الاعتدال والتيسير، وخصوصًا مع عموم الناس الَّذين لا يطيقون ما يطيقه الخواص، ومراعاة حق الأبوة والأمومة والرحم.

إنَّني أقول لهؤلاء اقرؤوا حوار أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام لأبيه في القرآن في سورة مريم، لتعرفوا كيف يكون أدب الأبناء في دعوة الآباء، حتَّى ولو كانوا مشركين.

دعاة العِلمانيَّة:

قلت لفضيلة الدكتور القرضاوي بعد هذا التحليل الدقيق لظاهرة التطرف الديني عند الشباب: خصوم الإسلام يرددون في هذه الأيام أنَّه لا بدَّ أن تكون مصر دولة عِلمانيَّة، لأنَّ هذا أنفع لها، فما ردُّ فضيلتكم عليهم؟

QaradawiBooks.com

ـ قال فضيلته:

* هذه دعوى أصبحت قديمة وممجوجة، وقد جرَّبت البلاد الإسلاميَّة العِلمانيَّة بوجهيها، الوجه الليبرالي اليميني الرأسمالي، والوجه الآخر اليساري الاشتراكي الثوري، وفعلًا لم تستطع العِلمانيَّة أن تُسْعِدَ الناس من شقاء، ولا أن تطعمهم من جوع، أو تؤمنهم من خوف، في شتى أنحاء البلاد الإسلاميَّة، والواقع أنَّ البلاد الإسلاميَّة تحتاج إلى الإسلام، فالإسلام هو الشيء الوحيد الَّذي لم يُجَرِّبْه الناس، جرَّبوا ما استوردوه من الشرق، وما استوردوه من الغرب..

لجؤوا مرَّة إلى اليمين، ومرَّة إلى اليسار فما حقَّقوا ما يريدونه، وإن أوَّل دولة عِلمانيَّة في البلاد الإسلاميَّة كانت تركيا الَّتي طاردت الإسلام مطاردة قويَّة، حتَّى الحجاب كان ممنوعًا، حتَّى الحروف العربيَّة الَّتي تذكر الناس بالإسلام وبالقرآن، وبسم الله الرحمن الرحيم، حتَّى هذه منعت وأصبحت لا شيء، حتَّى الأذان «الله أكبر» كان ممنوعًا باللغة العربيَّة، والقوانين ـ وخاصَّة في الأحوال الشخصيَّة ـ رفضوها واستوردوا قوانين عِلمانيَّة.

عِلمانيَّة تركيا:

لكن، هل أفادت هذه العِلمانيَّة تركيا، وهل أصبحت بالعِلمانيَّة دولة عظيمة؟ تركيا الَّتي كانت دولة الخلافة وكان اسمها على كل لسان، كانت مصدرًا للرعب في أوربا في وقت من الأوقات، انظر إليها الآن تجدها في ذيل القافلة الغربيَّة. يعني ليس لها شأن في المعسكر الغربي، واحدة ضمن حلف الأطلسي، لكن ما قيمتها في المجتمع العالمي؟ هل حققت نجاحًا في مجالات معينة كما حققت بعض البلاد الأخرى مثل

QaradawiBooks.com

اليابـــان أو كوريا ـ مثلًا ـ اللَّتين اســـتطاعتا إثبات وجودهمـــا، حتَّى إنَّ منتجاتهما في أوربا وأمريكا؟

أمَّا تركيا فلا تقدمت صناعيًّا ولا زراعيًّا ولا تكنولوجيًّا، ولا رأيناها حقَّقت شيئًا ذا بال[1]. هذه الدولة العِلمانيَّة الَّتي أمامنا، كلُّ ما في الأمر أنَّها أضعفت الرُّوح عند الأُمَّة وأخمدت جذوة الأُمَّة المشتعلة.

المسلمون والصحوة في تركيا:

ولكنها لم تستطع أن تميت هذه الروح، الَّتي ظهرت بعد ذلك في شـــكل مدارس قرآنيَّـــة بـــالآلاف، معاهد دينيـــة للأئمـــة والخطباء بالعشرات، معاهد عليا إســـلاميَّة، مساجد تقام باســـتمرار، وجوامع تمتلئ بالمصلين. كتب إســـلاميَّة تترجم من العربيَّة للتركية بالمئات، ويطبع منها بعشرات الآلاف.

صحوة إســـلاميَّة في كل مكان، فوجئ بها هـــؤلاء العِلْمانيون؛ لأن هذه فطرة الشعب ورصيد التاريخ، لا يمكن بحال من الأحوال أن يلغى بجرة قلم.

نحن نرفض العِلمانيَّة:

العِلمانيَّة لا يمكن أن تنفع عندنا، ممكن أن تقبل في مجتمع غربي؛ لأنَّ هذا المجتمع لا يؤمـــن بأن لله حكمًا في الكـــون، إنَّما خلق العالم وتركه، حتَّى إنَّ المســـيحيَّة يمكن أن تقبل العِلمانيَّـــة. فهي تقول: «دعْ ما لقيصر لقيصر وما لله لله». أمَّا نحن في الإســـلام فقيصر وما لقيصر لله

(١) كان هذا قبل الإنجازات التي تحققت على يد حزب العدالة والتنمية منذ عام ٢٠٠٢م، حتى يومنا هذا أكتوبر ٢٠١٩م.

QaradawiBooks.com

الواحد القهار، فليس لقيصر جزءٌ ولله جزء، كلُّها مملكة الله ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

أمَّا نحن فلا تقبل الحياة عندنا القسمة ولا الانشطار ولا الازدواج، بعض يكون للدين وبعض يكون للدولة، إنَّك تُعَرِّض الأُمَّة إلى تناقض بين العقيدة والواقع.

لدينا نحن المسلمين أحكام شرعيَّة لا بدَّ أن تنفذ، وليس عندنا سلطتان في الإسلام، نفصل السلطة الروحيَّة عن السلطة التنفيذيَّة، فليس عندنا طبقة من رجال الدين يتوارثون كالأديان الأخرى، بل كلُّ مسلم رجل دين، عندنا علماء الدين، وعلماء الدِّين هؤلاء ليس لهم سلطة خاصَّة على ضمائر الناس، ولهذا لو فَصلْتَ الدولة عن الدين، ففي هذه الحالة ذَبحْتَ الدِّين؛ لأنَّه ليس له سلطة تقوم به.

ومن هنا فإنَّ العِلمانيَّة في نظر الإسلام مرفوضة، ثم إنَّ العِلمانيَّة معناها أنك تعرض الأمة إلى تناقض بين العقيدة والواقع.

الله أكبر:

ـ واستطرد فضيلته قائلًا:

* أُمَّتنا الإسلاميَّة إذا عزفت لها على نغمة القومية أو الاشتراكية أو أي نغمة تشاء، فلن يستطيع أحد أن يحرك ساكنًا فيها، ولكن إذا قدتها بكلمة التكبير «الله أكبر»، فستجد أنك لمست أوتار الإيمان في قلوبها، ستسير وراءك الملايين، ستخوض البحار، وهذا ما لمسناه في التاريخ والواقع.

QaradawiBooks.com

هزيمة يونيو وانتصار رمضان:

انظر هزيمة يونيو ١٩٦٧م، وانظر للعاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ، في ٦٧ كانوا يقولون: «ومدفعنا يتحدَّى القدر»، وهـذا المدفع لم يفعلوا به شيئًا. بل تركوه غنيمة لليهود، أمَّا في (١٠) رمضان فحينما نادى المنادي «الله أكبـر»، هبَّت على الجنـود والناس نفحات رمضـان. وكان العبور واقتحام خط بارليف، حيث حطمت أسطورة القوَّة الَّتي لا تقهر، وأخذنا من النصر على قدر ما كان عندنا من إيمـان، ولو كان عندنا إيمان أكبر لكنا توسـعنا وتوغلنا أكثر، إنَّما على قدر إيماننا أخذنا، «أعطني إيمانًا أعطك نصرًا». إن هؤلاء الَّذين يريدون لهذه الأمة أن تكون عِلمانيَّة، إنَّما يريدون أن يخمدوا شعلة الإيمان والحماس الموجود في قلب هذه الأمة، والَّتي يمكن بها بإذن الله أن تجعلها تصنع العجائب.

إنَّني أقـول: إنَّ ما ينادي به خصوم الإسـلام من جعـل هذه الأمة عِلمانيَّة، إنَّما هو حكم عليها بالضعف والتمـزق والجمود الَّذي ينتهي للفناء والعيش ذليلة للأقوياء.

الحملة على اللغة العربيَّة الفصحى:

ـ قلت لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوي: إنَّ خصوم الإسلام يدعون أنَّ اللغة العربيَّة الفصحى لغة القرآن الكريم أصبحت غير صالحة لزماننا، ولا بدَّ من إحياء اللهجات العامية الدارجة، فما رد فضيلتك على هذا الزعم؟

ـ قال فضيلته:

* إنَّ الحملة على اللغة العربيَّة وبخاصَّة اللُّغة الفصحى، لغة القرآن الكريم، هي جزء من الحملة على الإسلام؛ لأنَّه لا انفصال بين العربيَّة

QaradawiBooks.com

والإسلام، العربيَّة هي لسان الإسلام، والعروبة وعاء الإسلام، ولا يمكن أن نفهم الإسلام بغير العربيَّة، ولا يمكن أن نفهم القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة وتراثنا العظيم بكل محتوياته إلَّا إذا أتقنا اللغة العربيَّة وملكنا ناصيتها.

واللغة العربيَّة لا تعني فقط أن نعرف نحوها وصرفها، بل لا بدَّ أن نتذوق معانيها وبلاغتها، تلك اللغة الَّتي كرَّمها الله ﷻ فأنزل كتابه بها.

وأقول: إنَّه لا انفصام بين العربيَّة والإسلام، ولذلك فهؤلاء إذا لم يستطيعوا أنْ ينفذوا للإسلام مباشرة، فهم يلفون ويدورون ليضربوا الإسلام بضرب اللغة العربيَّة، فأحيانًا يهاجمون الفصحى، وأحيانًا يهاجمون النحو والصرف، وأحيانًا، وأحيانًا، وكل هذا القصد منه النيل من الإسلام من ناحية، وتمزيق شمل الأمة العربيَّة من ناحية أخرى، لأنَّ الأُمَّة العربيَّة تجمعها عدة أشياء من أهمها: اللغة، واللغة الَّتي تجمع شمل الأمة العربيَّة ليست اللهجات العاميَّة الدارجة، وإنَّما اللغة الفصحى، وهم يدعون لإحياء هذه اللهجات، ويدعون لكتابتها، مستهدفين تعميق الهوة والخلاف بين الشعوب العربيَّة بعضها البعض.

ـ وأضاف فضيلته:

* إنَّا لو سرنا وراء هذه الأهداف ما استطاع مصري أنْ يفهم مغربيًّا أو عراقيًّا، وبالعكس، لننظر إلى أكثر من هذا، أحيانًا يكون هناك بين المصري في الشمال والمصري في الجنوب من الفرق في اللهجة ما يجعل أحدهما لا يفهم ما يقوله الآخر تمامًا.

فكيف بالبلاد العربيَّة شرقها وغربها وشمالها وجنوبها، والجناح الأسيوي والجناح الأفريقي.

QaradawiBooks.com

كل هؤلاء لا تجمعهم إلَّا اللغة العربيَّة الفصحى الَّتي تفوقت على كل اللغات الحديثة الَّتي يدعون أنَّها أصبحت أساس التعامل العالمي.

وهؤلاء لا يريدون لشمل العرب أن يلتئم، ولكلمتهم أن تتجمع، ولذلك يريدون إحياء هذه اللهجات العامية بأسماء وعناوين مختلفة، منها الفلكلور الشعبي والتبسيط وهكذا.

لغة مُيَسَّرة:

ـ ليسمح لي فضيلة الدكتور القرضاوي، قد يفهم القارئ بهذا أنكم توافقون على ما يقوم به البعض من تقعر وتشدق في اللغة!

* أحب أن أوضح لك أنَّني بهذا لا أدعو إلى لغة التقعر والتشدق، إنَّما أدعو إلى لغة ميسرة، القرآن نفسه قال رب العزة فيه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، فما يسمع عامي القرآن الكريم إلَّا ويفهمه، مع أنَّه في ذروة الفصاحة والبلاغة، ولكنَّه مفهوم ومبين، كما سماه منزله: ﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾، ومُيَسَّر.

فنحن نريد الفصحى المُيَسَّرة المفهومة، وهذه اللغة هي الَّتي وسعت العلوم المختلفة في عصر الحضارة الإسلاميَّة وازدهارها، وكُتبت بها كتب الطب والتشريح والرياضيَّات والفيزياء، كل هذه الأنواع كتبت بلغة عربية.

بل هي اللغة الوحيدة الَّتي كانت لغةَ العلم لعدة قرون في العالم.

وتلك الكتب الَّتي كتبت باللغة العربيَّة ككتب الطب لابن سينا، وابن رشد، وغيرهما نجدها صارت مراجع عالميَّة في جامعات أوربا.

QaradawiBooks.com

مطلوب تعريب العلوم:

ـ واستطرد فضيلته:

* للأسف الشديد ليومنا هذا لم نستطع أن نعرب العلوم لنتعلمها بالعربيَّة، عجزنا مع أن هناك بلادًا صغيرة لا تتعلم العلوم إلَّا بلغتها، ففي كوريا يتعلمون بلغتهم، وفي رومانيا أيضًا بلغتهم، حتَّى إسرائيل تتعلم بالعبرية الَّتي ماتت عشرات القرون، ولكن إسرائيل أحيتها من جديد.

وهذا لا يمنع من أن نقول إنَّ هناك خطوات جيدة في جامعة دمشق منذ سنوات عديدة لتعريب العلوم، ومحاولات أخرى لتعريب كثير من العلوم في مكتب تنسيق التعريب في المغرب. وهناك أيضًا المجمع اللغوي في القاهرة، وأيضًا المجمع اللغوي في عمَّان، هذه الجهات قد قامت بخطوات جيدة في ترجمة عدد من الكتب العلميَّة للعربية، ولكن لا بدَّ أن نتعاون جميعًا من أجل حماية لغة القرآن الكريم. تلك اللغة القادرة على الوفاء باحتياجات العالم علميًّا وأدبيًّا وفنيًّا، كما قال حافظ إبراهيم شاعر النيل رَحِمَهُ اللَّهُ في قصيدته المعروفة، الَّتي تتحدث فيها اللغة العربيَّة عن نفسها فتقول:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صَدَفَاتي[1]؟

نحن في حاجة إلى غواصين يغوصون ليستخرجوا هذه الدُّرر واللآلئ، وتلك هي مشكلتنا أنَّنا لا نجد من يغوص.

(١) ديوان حافظ إبراهيم صـ ٢٥٤، تصحيح أحمد أمين بك وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٤٨م.

QaradawiBooks.com

وأحب أنْ أؤكِّد على أنَّ اللغــة العربيَّة لغة حية قادرة، ولا يمكن أن تموت؛ لأنَّها ارتبطت بالقرآن الكريم الَّذي هو محفوظ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

غير مرخصة للطباعة

التربية وآثار الاستعمار:

ـ فضيلة الدكتور القرضاوي، حديثنا عن لغة القرآن الكريم، تلك اللغة الَّتي حفظها الله ليوم القيامة، يجعلني أسأل فضيلتكم عما إذا كنتم تعتقدون أنَّ المسلمين بحاجة إلى ثورة تربويَّة حتَّى ينطلقوا من آثار التخلف؟

ـ قال فضيلته:

* الجانب التربوي في حياة المسلمين يحتاج إلى إعادة نظر، فنحن نعلم أنَّ التربية والمعارف في البلاد الإســلاميَّة ظلت زمنًا طويلًا تحت ســلطان الاســتعمار، وكان هو الَّذي وجَّــه وزارات المعــارف ووضع مناهجها وبرامجها، ووضع لها فلســفتها وخططها، ولهــذا فالتربية في البلاد الإسلاميَّة ما زالت تعاني من آثار الاســتعمار، وتعاني خاصَّة من آثار الازدواج، لأنَّ هناك حصصًا مثلًا للدين ومواد أخرى تدرس ما ينافي الدين، هــذا هو التناقض الَّذي نشــعر به، وحصة الدين للأســف كثيرًا ما تكون حصة اختيارية غير إلزاميَّــة، وتأتي في آخر النَّهار حينما يكون المدرس متعبًا والتلاميذ متعبين، ولهذا فكثيرًا ما يجعلها المدرس حصة راحة، أو يستخدمها للغة العربيَّة وغير ذلك من المواد.

تدريس الدين في العلوم:

تدريس الإسلام يجب ألا يقتصر على حصة الدين فقط، بل لا بدَّ أن يدرس في حصة الطبيعة والكيمياء والآداب والتاريخ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهو في الطبيعة لا يحدثنا عن قانون الطبيعة بل عن سنن الله في الكائنات، وبدلًا من أن يقول: الطبيعة زودت هذا المخلوق بكذا، يقول: الله زوَّده بهذا ليؤدي مهمته. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، وحينما يربط مدرس الطبيعة أو الكيمياء أو ما إلى ذلك شرحه بالدين، فحديثه سيجد صدى في طلابه وأثرًا أكبر ممَّا يجده مدرس الدين، لأنَّ الكلمة حينما تأتي من غير المتخصص تكون أوقع وخاصَّة أنَّها ترتبط بقوانين وسنن وأشياء يلمس فيها الإنسان عظمة الله ﷻ.

فأنا أريد أن تخدم كلُّ المواد التربيةَ الإسلاميَّة، وليس الفصل فقط هو الَّذي يعلم الدين ليقوم بالتربية الإسلاميَّة، النشاط المدرسي يجب أن يوجَّه لخدمة الدين، فيجب أنْ يكون هناك مسجد، الإدارة المدرسية نفسها يجب أنْ تهتم بمراعاة التقاليد الإسلاميَّة والأخلاق الإسلاميَّة والقيم الإسلاميَّة، وهكذا، فنحن بحاجة إلى تربية، تبدأ من الحضانة إلى الجامعة، تربية إسلاميَّة صحيحة، ونزيل التناقض الموجود.

* * *

النظريات المناقضة للإسلام:

ـ فضيلة الدكتور القرضاوي، نظرية كنظرية النشوء والارتقاء، فيها مناقضة للإسلام، فهل تدرس، أم لا بدَّ من منع تدريس النظريات المناقضة للإسلام؟

ـ أجاب فضيلته:

* قضيَّة النشوء والارتقاء، أنا لا أمنع من تدريسها، ولكنْ أدرسها على أنَّها رأي من الآراء.

QaradawiBooks.com

رأي لواحد في نشـــوء الحياة وارتقائها خالفه مـــن العلماء ـ علماء الأحياء ـ من هم مثله وأفضل منه، ممَّن عاصروه ومن جاؤوا بعده، حتَّى إنَّ داروين نفســـه جاء من تلاميذه مـــن عدل من نظريته إلى ما سُـــمِّيَ: الدارونيَّة الحديثة، الَّتي تنظر للإنســـان باعتباره مخلوقًـــا متفردًا وليس كســـائر الحيوانات، فيجب أن يعطى كل شيء حجمه، وينبغي أن يكون هناك تكامل بين المقررات الدراســـية بعضها مع بعض، بحيث لا يهدم بعضها بعضًا.

تلك هي المشـــكلة الَّتي أقول إنَّها تُحدث في نفسيَّة الطالب المسلم تناقضات، فهو لا يعرف أيهما على صواب فيما يقول، مُدَرِّس الدين، أم الطبيعـــة، أم التاريخ، تناقض فظيع يحدث، نحـــن بحاجة كما قلت آنفًا لتربية إسلاميَّة صحيحة، تعنى بإنشاء الإنسان المسلم المتكامل، المربَّى عقله بالثقافة، وروحه بالعبادة، وخلقه بالفضيلة، وبدنه بالرياضة، والَّذي تربـــى اجتماعيًّا على المشـــاركة والتعاون، وعســـكريًّا علـــى التدريب والخشونة.

عندئذ ســـيكون لدينا شـــباب قوي، يخدم وطنه ودينه، وليس شبابًّا لا يصلح لدين ولا دنيا.

تربية على قيم الإسلام:

ـ وأضاف فضيلة الداعية الإسلامي الكبير:

* نحن فـــي حاجة إلى هذه التربية: ننشـــئ رجـــالًا، نربيهم في ظل الإيمان وتحت راية القرآن، في ظلال الســـيرة النبويَّة، وبطولات سلف هذه الأُمَّة الصالحين الَّذين جمعوا بين اليقين والقوَّة، وهم يعيشـــون في

QaradawiBooks.com

الدنيا بقلوب أهل الآخرة، ويمشون على الأرض وأعينهم ترنو إلى السماء، يحيون مع النَّاس ولكنَّ أفئدتهم مع الله ﷻ.

نحن نريد هذا الجيل المسلم القويَّ، الَّذي لا يتأتَّى إلَّا بإيجاد نظرة تربويَّة جديدة، مناهج جديدة، كتب جديدة، وروح جديدة أهم من هذا كُلِّه، رُوح تهيمن على المدرسة، وعلى الأستاذ، وعلى المنهج، وعلى الإدارة، وعلى التفتيش والتخطيط، روح نابعة من القرآن الكريم ومن هدْي رسولِنا ﷺ.

تدريس الشيوعيَّة:

ـ فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي، هل يمكن أن نُدَرِّس لأبنائنا مبادئ الشيوعيَّة حتَّى نُعَرِّفهم بأخطائها؟

ـ قال فضيلته:

* هذا لا يجوز في المراحل الأولى من حياتهم، وإنَّما يمكن أن يكون في المرحلة الجامعيَّة مثلًا، نعرفهم بهذه المبادئ من وجهة النظر المقارِنة، فمثلًا في كُلِّيَّة التجارة أو الاقتصاد يمكن أن أُدَرِّس لهم مبادئ الشيوعيَّة وموقفها من الاقتصاد، ومن ناحية المِلْكِيَّة وكذلك الطبقات، وموقف الإسلام من ذلك، وأيضًا الرأسماليَّة.

فلا يجوز أن أنقد الشيوعيَّة وأترك الرأسماليَّة، فيظنُّ الشاب أنِّي مُتَحَيِّز للرأسماليَّة، لا، أنا لست شيوعيًّا ولا رأسماليًّا ولكن أنا حنيفٌ مسلم.

في كُلِّيَّة الآداب مثلًا، في الفلسفة أنقد الفلسفات الوجوديَّة والماركسيَّة وما إلى ذلك، وأبين فلسفة الإسلام. أبين «تهافت الفكر المادي التاريخي» كما سمَّاه أستاذنا المرحوم مُحَمَّد البهي في كتابه.

QaradawiBooks.com

لا آتي إلى الصبي، التلميذ طري العود، وأحدثه عن مبادئ الشيوعيَّة وعن غيرها، بالطبع لا، ولكن نأتي بطريقة غير مباشـرة وفي لمسـات معيَّنة، وبصورة عابرة، يُخَطِّط لها التربويُّـون، وبهذا نكون قد وقيناهم أخطار الشيوعيَّة.

أمَّا الشـيء المهمُّ حقًّا، فهو أن نُقَـدِّم لأبنائنا الإسـلام من ينابيعه الصافية، بلا غلوٍّ، ولا تقصيرٍ، ولا تزييفٍ، معتمدين على أفضل الوسائل وأجمل الأساليب.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فكرة الألف مليون دولار
كيف بدأت، وما دوافعها؟

بداية الفكرة:

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: تراودني الفكرة منذ زمن، وأساسها أن يكون لدى المسلمين من مصادر التمويل ما يمكنهم من القيام بما أوجب الله عليهم من فعل الخيرات، ومساعدة الفئات الضعيفة في المجتمع، ولا يوجد كالإسلام دين عني بهذه الفئات وفرض لها حقًّا معلومًا، يؤخذ كرهًا بوازع السلطان. إن لم يبذل طوعًا بدافع الإيمان.

وضعفاء المجتمع هم عدته في الحرب وهم وقوده للنصر كما أنَّهم عدة الإنتاج في السلم كما يشير إلى ذلك رسول الله ﷺ: «**وهل تُنصرون وتُرزقون إلَّا بضعفائكم**»[1].

والقرآن الكريم يجعل فعل الخيرات جزءًا من رسالة المجتمع المؤمن مثل الصلاة والعبادة والجهاد تمامًا. حسبنا أن نقرأ قول الله تعالى:

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٦)، عن مصعب بن سعد، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٦٢/١) معلِّقًا على قول الدارقطني: إنَّه مرسل: صورته صورة المرسل إلَّا أنَّه موصول في الأصل، معروف من رواية مصعب بن سعد عن أبيه، وقد اعتمد البخاري كثيرًا من أمثال هذا السياق، فأخرجه على أنَّه موصول، إذا كان الراوي معروفًا بالرواية عمَّن ذكره. وجعله الحافظ المزي في تحفة الأشراف في أحاديث سعد بن أبي وقاص.

نسخة مجانية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨]، فكما أمر المسلمون بالركوع والسجود وعبادة الله أمروا كذلك بفعل الخيرات.

الدوافع الأساسيَّة:

ويُؤكِّد ما سبق ويزيد هذا المعنى وضوحًا أمران أساسيان:

الأمر الأول: ما يعانيه المسلمون في بلاد كثيرة وأقطار شتى من الفقر والجوع الَّذي بلغ حد الهلاك، ونحن نعلم أنَّ الفقر عدو لا يرحم، وقد استعاذ منه النبي ﷺ فقال: «**اللهم إنِّي أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع** (الصاحب)»[(١)]، كما قرن ﷺ بين الكفر والفقر حيث قال: «**اللهم إنِّي أعوذ بك من الكفر والفقر**»[(٢)].

ويقول أبو ذر رضي الله عنه: إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر خذني معك. ومعنى هذا أنَّه حين ينتشر الفقر تنتشر معه المبادئ الهدامة، الَّتي تجد فرائسها من ضحايا الفقر والحرمان وهذا ما جعل عليّ بن أبي طالب يقول: لو تمثل لي الفقر رجلًا لقتلته.

الأمر الثاني: هو ما تقوم به الأنشطة الأخرى في هذا السبيل ـ سبيل العمل الاجتماعي والتسلل باسم فعل الخيرات ومساعدة الفقراء

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٤٧)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٦٨)، وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٥٤)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٤٨٥)، وحسَّنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٨٨/٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٠٤٠٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده قويٌّ على شرط مسلم. والنسائي في السهو (١٣٤٧)، وابن خزيمة في الصلاة (٧٤٧)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

والضعفاء، لفتنة الناس عن دينهم وسلخهم عن شخصيتهم، وهذا ما رأيناه في البعثات التنصيريَّة، الَّتي تمتد في بلاد المسلمين شرقًا وغربًا شمالًا وجنوبًا، حتَّى إن دولة واحدة مثل إندونيسيا تمتلك فيها بعثات التبشير والتنصير، أكثر من خمسين مطارًا جويًّا؛ ليسهل لها عمليَّة التنقل بين الجزر المتناثرة في المحيط الهادي.

مؤتمر كولورادو:

وقد زاد الفكرة حماسًا ودفع بها للظهور ما نشر منذ سنوات عن مؤتمر كولورادو، والَّذي يطلق عليه البعض ـ مؤتمر حكماء كولورادو ـ تشبيهًا لمؤتمر حكماء صهيون وقد اجتمع في مؤتمر كولورادو مائة وخمسون من عتاة المُبَشِّرين، وقدَّموا دراساتهم وأبحاثهم عن المسلمين في العالم، وانتهوا إلى وجوب العمل على تنصير المسلمين في العالم.

ولم يكتفوا بالقول، بل أنشؤوا لذلك معهدًا سَمَّوه «معهد زويمر»، وزويمر هذا من المُبَشِّرين المعروفين، والَّذي كان يرأس جماعة المُنَصِّرين في الشرق الأوسط في أوائل هذا القرن.

وقد رصد لهذا الهدف ألف مليون دولار، وبدأت حملاتهم ونشاطاتهم في عدد من البلدان، حتَّى في منطقة الخليج لهم بها أنشطة واتصالات متنوِّعة، ومن أراد الحصول على معرفة عمليَّة دقيقة، فليرجعْ إلى كتاب التبشير في منطقة الخليج.

لهذا كان لا بدَّ أن يكون لنا موقف إزاء هذا التحدِّي الخطير، والهجوم الصارخ على الإسلام والمسلمين.

وإذا كان القوم يعملون من موقع الهجوم فلا أقلَّ من أن نعمل من موقع الدفاع، وأن نحافظ على وجودنا.

QaradawiBooks.com

وإذا كان القــوم قد رصدوا ألف مليــون دولار لتنصيرنا، فلن نعجز نحن المســلمين أن نرصد مثلها أو أكثر منها لحماية أنفسنا، وإن مليارًا من البشــر ـ وهذا عدد المســلمين اليوم ـ لا يصعب عليهم أن يجمعوا مليارًا من الدولارات، وقد ســبق لهؤلاء أن رفعوا شــعار: «ادفع دولارًا تقتل عربيًّا».

وها نحن اليوم نرفع شــعار «ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا»؛ لأنَّنا لا نريد أن نقتل أحدًا أو نعتدي على أحد، وإنَّما نريد الدفاع عن أنفســنا وكياننا مهما كلفنا ذلك.

المحافظة على الرصيد:

ونحن لم ندع لجمع هــذا المبلغ كي ننفقه فــي الحاجات العاجلة وكفى، ثم تظــل أيدينا ممــدودة وحاجتنا قائمة، بل الفكــرة أن نجمع ما يتيســر لنســتثمره بالطرق المشــروعة، وننفق من ريعه وعائده على الحاجات المتجددة، والمصارف المستحقة، في أنحاء العالم الإسلامي بل وخارج العالم الإســلامي، حيث الأقليات والجاليات المختلفة الَّتي تحتاج للعون.

جزء من إحصائية عن التنصير في أفريقيا:

ـ وعندما ســألنا الدكتور القرضاوي عن التنصير وهل هناك ما يثبت صحَّة هذا رسميًّا؟

ـ قال فضيلته:

* نعم، اقرأ معي ما تقوله الأرقام: لقــد تُرجم الإنجيل إلى (٤٢٢) لغة أفريقيَّة خلال الســنوات القليلة الماضية، منهــا (٧٢) لغة يترجم

QaradawiBooks.com

الإنجيل فيها للمـــرَّة الثانية، وحوالي (٣٧٥) لغـــة يُترجَم لها الإنجيل للمرَّة الأولى.

وبلغت طباعة الأناجيل وترجمتها (٦) ملايين وتســـعمائة وخمســـة وثمانين ألف دولار عام (٨٢/٨١) وبلغت ميزانية جمعية الإنجيل العالميَّة (٢٣) مليون دولار أمريكي.

المنصرون: بلغ عدد القســـس والمنصرين البروتستانت (١٠٤) آلاف منصر يعاونهم (٩٣) ألف شخص.

بلغ عدد المعاهد الكنســـية في أفريقيـــا (١٦٦٧١) معهدًا في مختلف المراحل التعليميَّة.

يخضع للســـلطات التنصيريَّة في أفريقيا أكثر من خمســـمائة جامعة وكلية ومعهد عال، و(٤٨٩) مدرسة لاهوتيَّة لتخريج القسس والمُنَصِّرين، تحت إشراف سلطات التنصير.

كما تشرف ســـلطات التنصير على (٢٥٩٤) مدرسة ثانويَّة و(٨٣٩٠٠) مدرسة ابتدائية و(١١١٣٠) روضة للأطفال.

ممتلكات الكنيسة في أفريقيا:

(٦٠٠) مستشـــفى، و(٢٦٥) معهدًا للأيتـــام، و(١٢٠) ملجأ للمرضى، و(١١٥) مدرســـة للمكفوفين، و(٨٥) ملجأ للأرامل، و(٥١١٢) مســـتوصفًا للعلاج.

ويدرس فـــي المدارس النصرانية التبشـــيرية أكثر مـــن (٦) ملايين طالب مسلم.

QaradawiBooks.com

أنفقت منظمة سيدزي الكاثوليكية وحدها عام (٨٠) فقط (٢٥٠) مليون دولار في جنوب السودان:

السنة	عدد النصارى		
١٩٠٠م	لم يكن في جنود السودان نصراني واحد		
١٩١١م	بلغ عدد النصارى	١٠	أشخاص
١٩٢١م	بلغ عدد النصارى	١٥٠٠	شخص
١٩٣١م	بلغ عدد النصارى	١٠٠٠٠	شخص
١٩٥١م	بلغ عدد النصارى	١٠٠٠٠٠	شخص
١٩٦١م	بلغ عدد النصارى	٣٠٠٠٠٠	شخص
١٩٦٤م	بلغ عدد النصارى	٤٨٠٠٠٠	شخص

هذه مجرد أمثلة ولكن هناك الكثير والكثير جدًّا، وأظن أنَّ هذا أكبر دافع لفكرتنا كي ندافع عن أنفسنا ووجودنا.

أهداف الهيئة:

ـ وعند سؤاله عن أهداف الهيئة الخيريَّة الإسلاميَّة العالميَّة، قال الدكتور القرضاوي:

* تعمل الهيئة على تحقيق الأهداف التالية:

١ ـ أعمال الخير والبرِّ العامِّ والمساعدات الاجتماعيَّة بالعمل على هيئة الغذاء للجائع، والكساء للعاري والعلاج للمريض، والرعاية لليتيم، والإيواء للمُشَرَّد.

QaradawiBooks.com

٢ ـ الإغاثة: بتقديم المعونات المادِّيَّة والعينيَّة الممكنة، في حالات الكوارث والمجاعات والأوبئة، وغيرها.

٣ ـ التنمية: وذلك بالإسهام في تهيئة فرص العمل للعاطل، والتدريب للعامل.

٤ ـ التعليم والتربية: وذلك بالمساهمة في محو الأُمِّيَّة، ونشر الوعي الإسلامي الأصيل المبني على القرآن الكريم، والمحافظة على اللغة العربيَّة لغة القرآن وتربية الشخصيَّة المسلمة وخاصَّة في سنِّ الطفولة والشباب، وتقديم العون المادي والبشري والأدبي في هذا السبيل.

٥ ـ الدعوة: وذلك ببيان حقائق الإسلام، وكشف أباطيل خصومه بالحكمة والموعظة الحسنة والرد على الشبهات وحماية المسلمين من التيارات الإلحاديَّة والتنصيريَّة الَّتي تغزوهم في عقر دارهم.

٦ ـ تقوية الصلات: تعمل الهيئة على تقوية الصلات بين العاملين للإسلام والهيئات الأهلية والرسميَّة والمنظمات الإسلاميَّة والأفراد في المجالات المذكورة، وتبادل الخبرات والمعلومات والتعاون معها ماديًّا وأدبيًّا.

الوسائل الَّتي تتبعها الهيئة:

ـ وعن سؤال عن الوسائل الَّتي تتبعها الهيئة لتنفيذ برنامجها قال الدكتور القرضاوي:

هناك عدَّة وسائل منها:

القيام بدراسات علميَّة وميدانيَّة ترمي إلى معرفة الواقع واتِّجاهاته في العالم، ووضع خطط هادفة لتحقيق الأهداف.

QaradawiBooks.com

إنشاء ودعم وتطوير المؤسسات الاجتماعيَّة والصِّحِّيَّة، لرعاية الفئات الفقيرة والمحتاجة على كلِّ المستويات.

إنشـــاء المؤسســـات التعليميَّة والثقافيَّة، ودعم المساجد والمدارس والمعاهد والجامعات والمكتبات والمراكز والأندية، لتأدية رسالتها على أكمل وجه.

استخدام الأساليب المتطوِّرة المرئيَّة والمسموعة والمقروءة، وترجمة معاني القرآن الكريم والكتب الإسلاميَّة إلى مختلف اللغات.

تعيين الدُّعاة والمرشدين والمعلمين، وإنشاء معاهد لتدريبهم؛ تهيئة للقيام بمهمة التعليم والدعوة من حيث الفقه في الدين، والإيمان بسموِّ الرسالة، وفق الكتاب والسُّنَّة.

النظام الأساسي:

أمَّا عن النظام الأساســي للهيئــة الخيريَّة الإســلاميَّة العالميَّة، فهذا يذكرني بالصيحة الأولى في مؤتمر المصارف الإسلاميَّة بالكويت، منذ عام ونصــف تقريبًا، حيث لقي هذا النداء اســتجابة وتجاوبًا كبيرًا، فقد بادر أحد المحســنين[1] وهمس في أذني أنَّه تبــرع لهذا الغرض بمليون دولار، تــودع في الحال في بيت التمويل الكويتي، وفي نفس الجلســة رشحت رجلًا من ثقات الكويتيين، الَّذين يعملون في الحقل الإسلامي، ويجمع عليه كل من عرفه، وهو الأســتاذ «يوسف جاسم الحجي» وزير الأوقاف الســابق، وقد انضم إليــه بعد ذلك عدد من الإخوة، وشــكلنا اللجنة التحضيرية، وكلَّفني الإخوة بوضع التصور الأساسي.

(١) هو رجل البر والدعوة الســيد عبد الله علي المطوع الذي وقف بعد ذلك عمارتين لحساب الهيئة، أخلف الله عليه.

QaradawiBooks.com

وتمَّت دراسة الوضع، وعَرَضْتُه على أحد القانونيِّين (د. سعد علام) بدولة قطر، وبعد تمام التصوُّر الأساسي وعَرْضِه على الإخوة أُرْسِلَ إلى عدد من المُهْتَمِّين بالعمل الإسلامي.

وتم اختيار (٥٠) شخصًا من أنحاء العالم، خصوصًا من دول الخليج، وتكونت صورة شبه متَّفق عليها، وهي الَّتي عرضت على الجمعية التأسيسية يومي (١٧، ١٨) رمضان الحالي، وناقشتُها وعدلتُ فيها، حتَّى خرجت بشكلها النهائي.

مصادر التمويل:

لا شكَّ أنَّ مصادر تمويل الهيئة ستكون من المسلمين أنفسهم، على الموسر قدره، وعلى المقتر قدره، كل حسب استطاعته.

وليعلم المسلمون أنَّ أحد المليونيرات في جنوب أفريقيا تبرع بمبلغ (١٧٥) مليون دولار للمُبَشِّرة الهنديَّة تريزا الَّتي تعمل في حقل التنصير، فهل نبخل نحن على نصرة ديننا؟!

ورأيي أنَّ المسلمين لا يَنقصهم المالُ ولا الرجال، ولكنْ ينقصهم العزمُ والتصميم واجتماع الكلمة، والتخطيط للمستقبل، وإذا توفر ذلك فإنا بعون الله قادرون على تحقيق الهدف، ومن سار على الدرب وصل.

وتقبل الهيئة الخيريَّة الإسلاميَّة العالميَّة الزكوات المفروضة، والصدقات المندوبة والهبات والتبرعات النقدية، والعينية كما تقبل ما يوقف عليها من أرض وعقارات وغيرها، بل أقول إن من كان لديه مال مشبوه أو محرم، كالذي يتجمع من الفوائد الرِّبويَّة في أرصدة البنوك المحليَّة أو الأجنبيَّة، يستطيع من له هذا المال أن يتطهر منه بدفعه إلى صندوق الهيئة.

QaradawiBooks.com

الربا حرام شرعًا:

ـ وعندما قلنا للدكتور القرضاوي أنَّ قبول مثل هذه الفوائد يفتح الباب للمتعاملين مع البنوك الرِّبويَّة وقد يعتبرون هذا تكأة ومبررًا لاستدامة تعاملهم بالربا.

ـ قال فضيلته:

* أنا لا أقصد هذا، فالتعامل بالربا من كبائر الإثم، وقد أذن القرآن فاعله بالحرب من الله ورسوله[1]، ولعن النبيُّ ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهِدَيْه[2].

ولهذا نوصي كل مسلم ذي مال أن يحرص على تنميته بالطرق الشرعيَّة، وبالتعامل مع المؤسسات الإسلاميَّة، وإذا لم يحصل هذا وحدث أن تجمعت لبعض المتعاملين فوائد من أمواله بالبنوك الرِّبويَّة، فلا يضيف إلى إثم التعامل بالربا إثم ترك هذه الفوائد لهذه البنوك؛ لأنَّها عادة تصرف على الجمعيات الكنسية واليهوديَّة، بمعنى أنَّ أموال المسلمين تستخدم في النهاية ضدَّ المسلمين.

ومن هنا كان الواجب أن تستخلص هذه الأموال المحرمة لتنفق على الفقراء، وفي المشاريع الخيريَّة، فهذا ما يسمى مصرف المال الحرام عند الفقهاء. لا يتلف ولا يرمى في البحر لأنَّنا منهيُّون عن إتلاف المال وإضاعته، وحتَّى لا يترك لأعداء المسلمين لأنَّنا بذلك نقويهم على أنفسنا.

---

(١) وذلك في سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الآية: ٢٧٨، ٢٧٩].

(٢) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٨)، وأحمد (١٤٢٦٣)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

وإذا قيل إن هذا المال حرام فإنني أقول:

إنَّه حرام علـــى صاحبه أن ينتفع بـــه، ولكنَّه حلال لهـــذه الجهات الخيريَّة. وهو ليس صدقة حتَّى لا يقول قائـــل: إنَّ الله طيب لا يقبل إلَّا طيبًا، كما لا يجوز احتساب هذا المال من الزكاة المفروضة أيضًا.

القرارات الَّتي اتخذها مجلس الإدارة:

ـ وعن القـــرارات الَّتي اتخذهـــا مجلس الإدارة فـــي الكويت، قال الدكتور القرضاوي:

* تم اختيار دولة الكويت مقرًّا رئيسيًّا للهيئة، وقد وافق الجميع على ذلك، ورحب بذلك المســـؤولون في الدولة، وعلى رأســـهم سمو أمير الكويت وولي عهده.

تم إقرار النظام الأساسي في صيغته الأخيرة بعد مناقشته.

كما تم اختيار مجلس الإدارة، وتم اختيار (٢١) عضوًا، يمثلون أقطار العالم العربي والإسلامي، ومنهم رجال الفكر والاقتصاد والتربية ورجال الأعمال ووزراء سابقون وحاليون، وشـــخصيات عامَّة. ويعتبر الأعضاء الخليجيون العمود الفقري في مجلس الإدارة، لقرب المســـافات، ويسر اللقاء بينهم عند الحاجة.

وقد تشرفتُ برئاسة جلسات الجمعية التأسيسية، قبل اختيار مجلس الإدارة، وتم بعدها اختيار مجلس الإدارة كما يلي:

رئيس مجلس الإدارة:

يوسف جاسم الحجي وزير أوقاف سابق «الكويت».

QaradawiBooks.com

نائب رئيس مجلس الإدارة:

معالي الأستاذ صالح الحصين وزارة العدل «السعودية».

أمين السر:

د. إسحاق الفرحان وزير أوقاف ووزير تربية ورئيس الجامعة الأردنية «الأردن».

أمين المال:

أحمد البزيع ياسين رئيس مجلس إدارة بيت التمويل الكويتي «الكويت».

وسيختار المدير التنفيذي للهيئة فيما بعد ليتولى الإشراف التنفيذي على الأجهزة التنفيذيَّة وتسييرها تحت رعاية مجلس الإدارة.

سبب اختيار هذه التسمية:

ـ وعن سؤال عن السبب في اختيار هذا الاسم يقول الدكتور القرضاوي:

* إنَّ كلمة «الهيئة» دليل على العمل الجماعي؛ لأنَّ العمل الفردي لا يجدي ولا يكفي، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وإنَّما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

وإذا كان أعداء الدين الإسلامي يعملون في شكل هيئات ومنظمات، فنحن أولى بذلك منهم؛ لأنَّ التعاون على البر والتقوى في ديننا عبادة وفريضة.

أمَّا الخيريَّة فلأن هدفها فعل الخير، لا تشتغل بالسياسة ولا بالعسكريَّة، وإنَّما أكبر همها: أن تفعل الخير وتنشره وتدعو إليه، في كل صوره المستطاعة، وبأحدث أساليب العصر.

QaradawiBooks.com

أمَّا الإسلاميَّة: فلأنَّها إسلاميَّة فعلًا، فالإسلام لُحْمتها وسَدَاها، والإسلام غايتها ومنهاجها، وهي ترجع إلى الإسلام في كلِّ أمورها ومعاملاتها.

أمَّا العالميَّة: فهي عالميَّة حقيقة، فهي ليست للخليجي فقط، ولا للعربيِّ خاصَّة، وإنَّما هي للمسلمين في كل أنحاء العالم، حيثما ارتفعت مآذنهم، ونادى مناديهم: «الله أكبر». كانت هذه الهيئة وراءهم تقف بجانبهم، وتشد أزرهم وهي للأجيال الإسلاميَّة القادمة، وليست لهذا الجيل وحده، ولكن لكلِّ من يتمخَّض عنه الغيب من أبناء الإسلام إن شاء الله.

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

والله من وراء القصد والله يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

قضايا المجتمع الإسلامي المعاصر

د. يوسف القرضاوي شخصيَّة بارزة في مجال الدعوة والفكر الإسلامي، وآراؤه مقررة ومعترف بها في الحلقات الأكاديميَّة، قلَّما تخلو من حضوره الندوات العالميَّة، الَّتي تبحث فيها قضايا الإسلام والمسلمين، ولهذه الشخصيَّة مزية أخرى غير مزيتها العلميَّة. وهي علاقتها العريقة بالحركة الإسلاميَّة. وكان طبيعيًّا أن يعجب ذلك الفتى بشخصيَّة الإمام حسن البنا. فاتصل بالإخوان المسلمين كبرى الحركات الإسلاميَّة في العالم العربي في عنفوان شبابه حينما كان طالبًا في الأزهر الشريف. ولتعليمات الإمام البنا وتربيته دور كبير في تشكيل شخصيَّة القرضاوي. أحد معالم العقل الإسلامي الَّذي أنجبته عبقرية الإمام البنا. عايش محنة الإخوان حين كان يجري في مصر تعمير أهرام القومية الجاهلية على جثة الحركة الإسلاميَّة. وتلك أيام أصابت فيها مصر كل صنوف الدكتاتورية، فوصل إلى دولة قطر، واشتغل في تعليم الجيل الناشئ حيث كان عميدًا لمعهدها الديني الثانوي، ومع ممارسة التعليم واصل عمليَّة إعداد الدُّعاة الَّذين يستطيعون أن يتفاعلوا بنبض العصر الجديد.

وقد ألّف الدكتور القرضاوي عدة كتب قيمة حول مواضيع مختلفة، منها فقه الزكاة الَّذي يعتبر فريدًا في هذا الموضوع يعالج جميع القضايا المستجدة فيه، وقد ترجمت أكثر كتبه إلى لغات متعددة مثل: «مشكلة

QaradawiBooks.com

الفقر وكيف عالجها الإسلام»، و«الحلال والحرام في الإسلام»، و«ثقافة الداعية»، وترجمت هذه الكتب كلها إلى لغة «مليالم» نشرتها دار النشر الإسلاميَّة التابعة للجماعة الإسلاميَّة بالهند، وقد صادف نشر كتابه «ثقافة الداعية» بلغة مليالم وهو يزور كيرلا لأول مرَّة ليشارك في المهرجان الفضي للكلية الإسلاميَّة بشاندبرم في منتصف شهر فبراير الماضي.

وعلى الرغم من ارتباطاته المكثفة، وافق الدكتور القرضاوي على إجراء مقابلة معه لمجلَّة «بربودهنم» (الدعوة) التابعة للجماعة الإسلاميَّة، وكانت الجماعة الإسلاميَّة قد أعدَّت له مأدبة غداء في مركزها، وتمَّ هناك هذا اللقاء:

الصحوة الإسلاميَّة:

* ممَّا يسعدنا جميعًا ظهور صحوة في مجال الدعوة الإسلاميَّة في الآونة الأخيرة. ومن أمثلة ذلك تغير موقف بعض الكتاب مثل الأستاذ: خالد مُحَمَّد خالد، الَّذي كان من دُعاة فصل الدين عن الدولة، وكذلك إسلام بعض المفكرين الغربيين مثل جارودي وبوكاي، وتعتبر هذه الظاهرة علامة تفاؤل للإسلام في هذا العصر، ولكننا نود أن نعرف هل ترون هذه الظاهرة قوَّة مؤثِّرة في الروح الاجتماعي للعالم الإسلامي؟ إذا كان جوابكم إيجابيًّا فما تفسيركم للنكبات المتتالية الَّتي يواجهها الإسلام والمسلمون على المستوى الدولي والقومي والمحلِّي، إن كارثة صبرا وشاتيلا وحادثة طرابلس إنَّما هي بعض أمثلتها ـ حتَّى إنَّ ثورة إيران الَّتي ظهرت كبادرة مشجعة أصبحت الآن سببًا لليأس والقنوط. فما تحليلكم لهذه الحالة في ضوء مقاييس العدل الإلٰهي والعلم الاجتماعي؟

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

ـ صحيح أنَّه قد قويت الصحوة الإسلاميَّة في الآونة الأخيرة في مختلف أرجاء العالم، نرى التيار الإسلامي في أوجه بين الشباب لا سيَّما بين طلاب الجامعات. المساجد مزدحمة بالشباب المسلم. وكذلك نرى آثار هذا الوعي الإسلامي في الالتزام بآداب الدين أيضًا. وقد أخذت الفتيات والطالبات يرجعن إلى الزي الإسلامي، وحرص الشباب على إعفاء اللحى، حتَّى إنَّ البعثات الطلَّابيَّة الَّتي تصل إلى جامعات الغرب للدراسات العليا قد برز فيهم اتِّجاه جديدٌ قويٌّ إلى الإسلام. ومن مؤشِّرات هذه الصحوة انتشار الكتب الإسلاميَّة كثيرًا في هذه الأيام، وفي معارض الكتب نالت الكتب الإسلاميَّة الأرقام الأولى في التوزيع، وكذلك نجد بعض الكتاب المعروفين في العالم العربي الَّذين كان ولاؤهم من قبل للفكر الغربي أو الفكر المادي مثل الأستاذ خالد مُحَمَّد خالد والدكتور مصطفى محمود عادوا ليُصَحِّحوا مواقفهم السابقة الَّتي تدعو إلى فصل الدِّين عن الدولة، ويؤكِّدوا أنَّ الإسلام دين ودولة. وبالجانب الآخر يوجد إقبال كبير على الإسلام من الطبقة العقليَّة في الغرب، ولا شك أن هذه كلها مبشرات مشجعة بالنسبة للإسلام.

ولكن هناك حقيقة أخرى وذلك أنَّ أعداءنا لا يقفون صامتين أمام هذا البعث الجديد، وطبعًا إنَّ الصهيونية العالميَّة والقوى الاستعمارية لا تزال تتآمر على الإسلام لأنَّه يُفوت عليهم الفرص لاستغلال مصادر العالم الإسلامي إن لم يقمعوا القوَّة الإسلاميَّة الَّتي تبعث من جديد، والحقيقة أنَّ هذه النهضة في ساحة الإسلام قد أوقعت أعداءنا في خوف شديد، وهذا الخوف نفسه يدل على وجود صحوة حية في الصف الإسلامي، لأنَّه لا حاجة لهم أن يشدوا أزرهم على الأمة الإسلاميَّة إن لم تكن هناك تحركات خطيرة في الصف الإسلامي.

QaradawiBooks.com

أمَّا ما ذُكِرَ من الكوارث في الجزء الأخير من السؤال فتعود أسبابه إلى أوضاع داخليَّة راهنة في العالم الإسلامي وسوء معاملة الحكام. فمثلًا إن كارثة طرابلس إنَّما كانت نتيجة مؤامرة خبيثة من دولة عربية. وهناك حقيقة أخرى تثير اهتمامنا، وهي الفجوة العميقة القائمة بين الشعب والحكام في العالم الإسلامي. ومن المؤسف أن أكثر حكام المسلمين لا يُمَثِّل آمال الشعب المسلم في معناها الحقيقي. إنَّ سياسة هذه الأنظمة الخاطئة هي الَّتي تقود الأُمَّة إلى الكوارث المتتابعة. هذا هو الأمر الواقعي، ولذلك ليس بصحيحٍ أن نتَّهم الإسلام ولا المجتمع الإسلامي الملتزم بهذه الكوارث.

ظاهرة المؤتمرات:

* هناك ظاهرة أخرى أصبحت عادة في السنوات الأخيرة وهي كثرة المؤتمرات والقمم الإسلاميَّة، فهل ترون أنَّ هذه المؤتمرات أنجزت شيئًا في تحقيق الأهداف المطلوبة؟ وماذا تقولون لمن يتهم هذه المؤتمرات بأنها إضاعة للأموال وأُنموذجًا للتبذير؟

ـ هناك مؤتمرات قمة رؤساء الدول لا أريد أنْ أقول شيئًا لا لها ولا عليها. ولكن هناك مؤتمرات أخرى هامة مثل المؤتمر العالمي للدعوة الإسلاميَّة، والمؤتمر العالمي للاقتصاد الإسلامي، والمؤتمر العالمي للتعليم الإسلامي، والمؤتمر العالمي للفقه الإسلامي، والمؤتمر العالمي للبنوك الإسلاميَّة وغيرها من المؤتمرات الَّتي انعقدت ولا تزال تنعقد في هذه الأيام. أريد أن أؤكِّد هنا هذه المؤتمرات تمثل تغيرًا هامًّا، لأنَّه كانت أمثال هذه المؤتمرات تنعقد من قبل قد بدأت الآن تأخذ بعدًا إسلاميًّا، وإنَّما كان يشارك في هذه

QaradawiBooks.com

المؤتمرات من قبل القوميـــون العِلْمانيون من الدول العربيَّة، وأمَّا الآن فقد تبدل الحال إلى أن يشارك فيها علماء الإسلام وتُتبادل بينهم الآراء، وأيضًا تقدم فيها بحوث قيمة ولها قيمتها العلميَّة والعمليَّة، ويستطيع أن يستفيد منها الجيل القادم، وأمَّا الشكاية من التبذير في هذه المؤتمرات فليســت بصحيحة إذا لاحظنا ما تبذِّره بعضُ الــدول العربيَّة في مثل مهرجانات الألعاب الرياضية وغيرها.

فقدان القيادة القويَّة:

* أشد ما نشــعر به اليوم في العالم الإســلامي فقدان القيادة القويَّة سواء كان ذلك في السياســة أو الدين، فهل القيادة مجرَّد موهبة إلهيَّة أم تُؤَثِّر في إيجادها العناصر التاريخيَّــة والاجتماعيَّة بالإضافة إلى الموهبة الإلٰهيَّة، وما الحل الَّذي ترونه لهذه الأزمة؟

ـ صحيح أنَّ القيادة في بعــض المراحل التاريخيَّة تبــرز كأنها هبة إلهيَّة، وإنَّ الإمام حســن البنا هو أفضل مثال لهذا، نراه يخوض ســاحة الجهــاد في عمــره الباكر، يجاهــد قوى الفســاد داخل مصــر ويواجه المؤامرات الاستعمارية الَّتي احتلت بلاد العرب، ويقوم بتأسيس حركة إسلاميَّة واعية ذات شــعبية واسعة تنفذ إلى جميع جوانب الحياة وتهيئ الكوادر المتطوعة لعمل الخير، ولتحرير الوطن، والجهاد في فلســطين، كل هذه في إطار زمان قصير؛ لأنَّه لم يُقدر له طول العمر.

ودَّع هــذا العالم في ظهيــرة حياته، قضــت عليه قــوى الطاغوت واستشهد في سبيل رسالته وهو ابن الثانية والأربعين، ولكنَّه أدَّى كثيرًا من الواجبات الجليلة في عمره القصير، خلَّدها في ضمير الزمان، امتدَّت جذور الحركة الَّتي قام بتأسيسها في مصر إلى جميع البلاد العربيَّة.

QaradawiBooks.com

إنَّ صفحات التاريخ حافلة بالشواهد من مثل هذه القيادات. ولا شك أنَّ وراءهـا رعاية ربانية خاصَّـة لهذه الأمة، ولكنها لا تعنـي أنَّ العالم الإسلامي خال من العناصر القادرة للقيام بمهمة القيادة الراشدة، المهم أن نهيئ المجال لأن تتبلور المواهب القيادية تنضج ضمن إطار الحركة الإسلاميَّة وأن نحسن لها التخطيط والتربية، والحركة الإسلاميَّة تحتاج إلى مزيد من الاهتمام في هذا الشـأن، والعناية بإبراز العناصر الموهوبة والمتفوقة، فإن شدة خوف الحركة على المتفوقين فيها من الغرور وحب الظهور، تجعلهـا أحيانًا تفرط في حقهم، وتعمل على إخفاء شـموعهم بعدًا عن الأضواء وشـرها وبريقها خلافًا لما تصنعه حركات أخرى مثل الشيوعيَّة، لأن هذه الحركات نراها تشـجع كل من له أي قدرة لعرضها وتقديمها أمام الناس، وهي توفـر لهم جميع الفرص للتقدم والبروز في مجال الفكر والأدب.

وربما تكون القدرات المتنوعة مبعثرة بين عدد من الأشخاص، فإذا اسـتطعنا أن نجمع هذه القدرات لصالح الحركة الإسلاميَّة، فإنها ستقود إلى نتائج كبرى وهامة. وهنا تحـلّ محل القيادة الفرديَّة الموهوبة، قيادة جماعيَّة، بحسن التنسيق بين هذه القدرات المتنوعة.

التخلف العلمي والتقني:

* لا شكَّ أنَّ العالم الإسـلامي مُتَخَلِّف في مجالات العلوم الحديثة والتكنولوجيا، نعتقد أنَّ مُنَظَّمة مؤتمر العالم الإسلامي قد اتَّخذت خطوات بدائيَّـة بهذا الخصوص. ولكن السـؤال الَّذي يطرح نفسـه الآن هو: هل التقدم العلمي والفني منوطان بالحرية الفكريَّـة؟ وهل يمكن نموِّ الفكر العلمي الحرِّ في ظروف لا تلائم الحُرِّيَّة الفكريَّة وتبادل الآراء الحرة؟

QaradawiBooks.com

ـ إنَّ العالم الإسلامي متخلِّف جدًّا في مجال العلوم والتقنية ولا بدَّ له أن يقطع مسافة بعيدة لكي يقف في صف البلاد المتطورة. العالم اليوم في المرحلة الثانية من الثورة الصناعيَّة، المرحلة الأولى بدأت باختراع الآلات الميكانيكية لتوفير الجهد الجسماني: والآن نعيش عصر الصناعة الثاني الَّذي تستخدم فيه الآلات لتوفير الجهد الذهبي للإنسان، عصر الكومبيوتر. أمَّا العالم الإسلامي، فلا يزال للأسف يعيش بعيدًا عن المرحلة الأولى من الثورة الصناعيَّة. هذه حقيقة مرَّة لا بدَّ أن نعترف بها. انتشار الأُمِّيَّة بين أبناء الأُمَّة، وعدم التوازن في استعمال القدرات، وسوء التخطيط، كل هذه تقف معوقات هائلة أمام التقدم العلمي والفني للبلاد الإسلاميَّة، عدم الحُرِّيَّة السياسيَّة هو العامل الآخر لهذه الحالة المُؤْسِفة.

قبل سنوات حاول أحد رؤساء الدول العربيَّة تشييد مدينة في بلده سمَّاها «مدينة العلم والإيمان»، دعا إليها العبقريَّات العلميَّة المهاجرة في بلاد الغرب فاستجابوا له ولكن سرعان ما عادوا إلى البلاد الَّتي جاؤوا منها، لأنَّهم لما وصلوا ذلك البلد العربي أحسُّوا كأنَّهم أُلقوا في زنزانة لا يستطيعون التحرُّك إلَّا بأمر السلطات، فأدركوا أنَّهم لا يستطيعون أن يُقدِّموا أي خدمة مخلصة ولا مساهمة علميَّة مبدعة في هذا الجو الخانق، فعادوا إلى البلاد الَّتي جاؤوا منها.

والتقدُّم العلمي والفني للعالم الإسلامي يرتبط ارتباطًا كبيرًا بالتعاون بين هذه البلاد. هناك بعض البلدان في العالم الإسلامي غني في العبقريَّات العلميَّة ولكنَّه فقير في المصادر المادِّيَّة، وبعض البلاد رُبَّما يكون على خلاف ذلك؛ ومن ثَمَّ فواجب على البلاد الإسلاميَّة القيام بالتنسيق بينها في مجال العلوم والتقنية.

QaradawiBooks.com

* ما رأيكم بالفكر الإسلامي المعاصر؟ فهل تجدون أنَّ الفكر الإسلامي قد استطاع الخروج عن نقصه وضعفه؟ وهل تطوَّر الفكر الإسلامي خلال ربع قرن مضى أم لا؟ وما الأسباب؟

ـ انتقل الفكر الإسلامي في الآونة الأخيرة من مرحلة الدفاع إلى مرحلة المواجهة للفكر الغربي والحضارة الغربيَّة. وإذا أردنا أن نضرب مثلًا على ذلك نأخذ مجال الربا. ففي بعض الأحيان كان بعضهم يحاول أن يبرر الفوائد الرِّبويَّة فيقول بأنَّ الربا الجاهلي غير الربا الحالي، وأنَّ الربا المحرم هو ربا الأضعاف المضاعفة وليس هو الربا القليل مثل خمسة في المائة وعشرة في المائة وغير ذلك. وأنَّ هناك فرقًا بين ربا الإنتاج وربا الاستهلاك، وقرض الإنتاج وقرض الاستهلاك، وأحيانًا يبررونها باسم الضرورة وأنَّه لا محيص لنا من البنوك، والبنوك لا بدَّ أن تتعامل بالربا، فلا بدَّ أن نرضى بهذا الوقع إلى غير ذلك.

وللأسف بعض الناس الَّذين ينتسبون للإسلام مشوا في هذا الدرب تحت وطأة الهزيمة النفسيَّة أمام ضغط الرأسماليَّة الغربيَّة وأنظمتها السائدة في بلاد المسلمين، الآن والحمد لله تحررنا من هذه وأصبحنا نقول إنَّ الفائدة محرَّمة، وقد حضرت عدَّة مؤتمرات حرمت بالإجماع الفوائد الرِّبويَّة:

ـ المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي بمكة المكرمة الَّذي انعقد تحت إشراف جامعة الملك عبد العزيز.

ـ مؤتمر الفقه الإسلامي الأول الَّذي انعقد بالرياض.

ـ ومؤتمر مجمع البحوث الإسلاميَّة الثامن بالأزهر الشريف في القاهرة.

QaradawiBooks.com

كلُّها أوضحت أنَّ الفوائد هي الربا وهي حرام بلا شـــك، وانتهى الأمـــر من الناحيـــة النظريَّة، وبـــدأت بعض المبادرات مـــن الناحية العمليَّة.

هنـــاك قلوب مخلصـــة تعرض صُـــورًا ونمـــاذج للبنـــوك اللاربويَّة الإســـلاميَّة. وقامت هذه البنوك في أكثر من بلد، قد يكون عليها بعض الملاحظات. ولكنها تتجه إلى الإســـلام الصحيح وتحـــاول إيجاد نظام إسلامي بديل عن النظام الرأسمالي الربوي.

وهناك فيما يتعلق بالفكر الإسلامي شيء أحبُّ أن أنبِّه عليه، وهو أنَّه في السنوات الأخيرة دخل الفكر الإســـلامي بعض الغلو والتشدد، وهو تشدُّد في بعض الأشـــياء الَّتي حاول المُجَدِّدون الإسلاميُّون أن يُحَرِّروا العقل الإسلامي منها، التشدُّد في بعض الجزئيَّات.

هناك بعض الشباب المســـلم وبعض الجماعات الإسلاميَّة تريد أنْ تجعل بعض القضايا الجزئية هي معركة الحياة الإســـلاميَّة، هذه الأشياء أصبح الناس يجعلونها كأنها صلب الإسلام، هذا في الحقيقة اتجاه جديد دخل إلى الفكر الإسلامي.

وانتهى بعض هذا الفكر إلى ما نُسَمِّيه ظاهرة الغلوِّ في التكفير حتَّى وصل الأمر إلى أن أصبح بعض هؤلاء يكفرون سائر المسلمين الآخرين ممَّن لم يدخل في جماعاتهم، وهـــذا طبعًا موقف خطير، ولهذا حاولت أن أبين الموقف الإســـلامي الصحيح في أكثر من كتاب: رسالة «ظاهرة الغلو في التكفير»، وكتاب «الصحوة الإسلاميَّة بين الجمود والتطرُّف»، الَّذي نشرته مجلَّة الأُمَّة القَطَرِيَّة ثلاث مرَّات. ونشر الآن في البلاد العربيَّة وفي أمريكا وفي غيرها بالعربيَّة. وطلب مِنِّي الأســـتاذ مولانا أبو الليث

QaradawiBooks.com

أمير الجماعة الإسلاميَّة لعموم الهند الإذن لترجمته إلى الأرديَّة واللغات الهنديَّة، وقد وافقت على ذلك.

*** هذا الكتاب في طريق الترجمة إلى لغتنا المحليَّة أيضًا؟**

ـ هذا شيء جيِّد، إننا نريد أن نُقوِّم الفكر الإسلامي الحالي ونرشده كما أشرت في جواب السؤال الأول. نحن في حاجة إلى أن نرشد الصحوة الإسلاميَّة بدل أن تتخبط أو تتعثر أو تسلك طرقًا تضل بها عن سواء السبيل، وتعيش في معارك جزئيَّة وجانبيَّة وتنشغل عن القضايا الإسلاميَّة الكبرى، القضايا المصيريَّة للأمَّة الإسلاميَّة، ونحن نريد ترشيد هذا الفكر وترشيد هذه الصحوة.

هذا ما ساهمتُ فيه ولا أزال أساهم بمقدار بضاعتي إن شاء الله.

المحاولات لتطبيق الشريعة في بعض الدول الإسلاميَّة

* اتخذت بعض الدول الإسلاميَّة خطوات مبدئية نحو تطبيق الشريعة الإسلاميَّة بينما يشك البعض في إخلاص قادتها والبعض يرفع الشبهات عن التطبيق حيث يزعمون أنَّ الشريعة إنَّما تطبق بعد تربية المجتمع على أساس الدين والأخلاق الإسلاميَّة، ولا ينبغي أنْ ينفذ بعنف من قبل الحكومة.

فما انطباعكم عن وجهة نظرهم هذه؟

ـ لا شك أنَّ الشريعة الإسلاميَّة واجبة التطبيق والتحكيم في أي مجتمع ينتسب إلى الإسلام، ولكن الَّذي حدث أنَّ المجتمعات الَّتي تنتسب إلى الإسلام قد غُزيت فكريًّا في مرحلة من المراحل، ونجح هذا الغزو إلى حد كبير مع من يسمونهم النخبة المثقفة، هذه النخبة المثقفة

QaradawiBooks.com

قد عزلت عــن الجماهير. الفكر العِلْماني ســيطر عليها وعمل عمله في تخريب عقولهم، فلم يعودوا مؤمنين بأنَّ الإســلام عقيدةٌ ونظامٌ للحياة. كل ما يرون أنَّ الإســلام علاقة بين الإنســان وربِّه، هو مسيحيَّة أخرى؛ ينظرون إلى الإسلام نظرة المُثَقَّفين الأُوربيِّين إلى المسيحيَّة، ووجهة نظر المسيحيَّة قسمة الإنســان والحياة بين الله وقيصر: «دعْ ما لقيصرَ لقيصرَ وما لله لله». والإســلام كذلك ينبغي أن يكون هكذا: شطر للدِّين وشطر للدولة! للدولة أن تسير أمور الناس كما تشاء، الإنسان يعبد ربه إن شاء أو لا يعبد. هذه نظريــة موجودة عند كثير من المثقفيــن. فحينما قامت الحركة الإسلاميَّة منذ أكثر من نصف قرن، كانت مهمتها أن تواجه هذه الأفكار المزعومة، وأن تطارد هذه الأباطيل الَّتي انتهت إلى العقول، وأن تعرفها حقيقة الإســلام، وأنَّه دين ودولة، وأنَّه عقيدة ونظام، وأنَّه عبادة وقيادة وأنَّه مصحف وسيف، وصلاة وجهاد، وأنَّه لا يمكن أن يفصل فيه الدين عن الدنيا وعن السياسة وعن الدولة. وهذا أمر لا بدَّ منه.

وما كان المجتمع يتقبل بســهولة الدعوة لتطبيق الشــريعة في هذا الوقــت ـ لا مثقفون ولا حــكام ولا أحد. ولذلك كانــت مهمة الحركة الإسلاميَّة خلال هذه السنين كلها هي التمهيد لإقامة الشريعة، فلا يجوز أن يقال: نبدأ بتربية المجتمع أو تمهيد المجتمع للحكم الإسلامي، لأن هذا قد حدث، هذا ما فعلته الحركة الإسلاميَّة طوال هذه الفترة، كان هذا تمهيدًا للعقل والنفس، فأصبح هناك أرضية وقاعدة شعبية لتقبل الحكم الإسلامي. فمن هنا نقول: إنَّ التربية الَّتي نريدها قد حدثت، فلذلك كان المهم أن يكون الَّذين يقومون على تأســيس الأحكام الإسلاميَّة وتطبيق الشريعة الإسلاميَّة من المسلمين المخلصين للدعوة الإسلاميَّة وللشريعة الإسلاميَّة. وأمَّا أن يظل شارب الخمر ولاعب القمار والماجنون العابثون

QaradawiBooks.com

الَّذين يعيشــون على موائد القمار والليالي الحمــراء هؤلاء لا يصح أن يكونوا هم الَّذين يقيمون الشــريعة الإســلاميَّة، ولذلــك إذا كان هؤلاء مخلصين بتطبيق الشريعة، فواجب عليهم أن يُمكِّنوا رجالًا إسلاميِّين من الصادقين الَّذين عاشوا للإسلام وفهموا وتفقهوا الأحكام يجب أن يمكَّنوا من إقامة الإســلام وإلا تكون مجــرد دعوة لا دليل عليهــا. فمن ناحية التمهيد وتربيــة المجتمع قد حدث القدر الكبير منــه والحمد لله، وكل ما نقول للَّذيــن يتبنون تطبيق الشــريعة من الحــكام: إن كنتم صادقين فينبغي أن تربوا أيضًا مــن بقي من المجتمع بالشــريعة، لأنَّ المجتمع يحتاج إلى تربية تربى بالشــريعة نفسها، لأنَّ الشــريعة قادرة على تربية هؤلاء، فتدفعهم عن الشــر وتحميهم من الموبقات وتمنع عنهم وسائل الفساد وســائل التخريب، بل تحد من الأُغنية الخليعة والصور الفاجرة والقصة الداعرة والشــواطئ الَّتي يعيش الناس فيها عراة نســاء ورجالًا. وهذه الأشــياء يمكن أن نُصحِّحها بتطبيق الشــريعة. نحــاول أن نربي المجتمع ونوجهه، وأن نتســلح بصدق النيَّة، ودلالــة هذا الصدق هي تمكين الإسلاميِّين وكل مخلص للإســلام من أن يقوم بدوره في تطبيق شرع الله في أرض الله.

جمهورية السودان الإسلاميَّة وموقف الإخوان المسلمين

* تعليقًا على هذا الســؤال نود أن نعرف رأيكم عن موقف الإخوان بقيادة الدكتور: حســن الترابي الَّذي شــارك في حكومــة نميري وعن محاولة حكومة السودان لتطبيق الشريعة الإسلاميَّة في الآونة الأخيرة.

ـ في هذه الأمــور أرى أن أهل مكة أدرى بشــعابها. كما يقول المثل العربي.

QaradawiBooks.com

الذين يعيشون في المشكلة، ويعيشـــون في أرض المعركة، يعرفون ظروفها وملابســـاتها ودوافعها، وهم أقدر على الحكم على هذه الأمور مني. ورأيي الشـــخصي أن هؤلاء الإخـــوة مجتهدون، وقـــد حاولوا أنْ يؤثروا في الحكومة القائمة ويوجهوها نحو تطبيق الشـــريعة الإسلاميَّة، وقد وجدت دعوتهم هذه استجابة وتجاوبًا.

وقد جرَّب السودان الشيوعيين والليبراليين وأنواعًا شتى، فلم تصلح. فهو الآن يتجـــه إلى الشـــريعة الإســـلاميَّة ونرجو أن تكـــون الحكومة السودانية صادقة في هذا، وأن يجدوا في تطبيق الشريعة ما يعينهم على حل مشكلاتهم الكبيرة.

وهناك في السودان مشـــكلات ضخمة جدًّا. وطبعًا الأمر يحتاج إلى معاونة أيضًا، فالســـودان يواجه تيارات ومؤامـــرات خارجيَّة منذ أن بدأ تطبيق الشـــريعة الإســـلاميَّة، والقوى الخارجيَّة تحـــاول أن تثير القُوى الداخليَّة في الجنوب وغير ذلـــك، حتَّى يوجدوا العراقيـــل أمام تطبيق الشريعة الإســـلاميَّة. وواجب البلاد الإســـلاميَّة في الحقيقة أنْ تعاونهم وخصوصا البلاد العربيَّة، ونودُّ أن يثبت الله القائمين بالأمر في السودان على هذا الأمر وأن يعينهم على حلِّ مشـــاكلهم. وموقف الدكتور حسن الترابي والإخوان في رأيي موقف حسن وموقف سليم، وقد اجتهدوا فيه فيما رأوا أنَّـــه الأصلح في عودة الشـــريعة الإســـلاميَّة لتحكـــم الحياة بالتدريج، وأرى أنَّه سيكون له أثر طيِّب إن شاء الله.

تجمُّد الفقه الإسلامي

* تجمَّد تطور الفقه الإســـلامي منذ قرون. فهـــل ترون من الضرورة إعادة النظر في الفقه الإسلامي وترتيبه الجديد في الظروف الراهنة، الَّتي

QaradawiBooks.com

تُنَفِّذ فيها الشريعة الإسلاميَّة في الدول الإسلاميَّة. وهل هناك تحركات مُشَجِّعة في هذا المجال؟!

ـ لا شكَّ أنَّ الفقه الإسلامي في القرون الأخيرة قد توقَّف فيه الاجتهاد، يعني الاجتهاد المطلق. أمَّا الاجتهاد الداخلي في المذاهب فقد بقي، والاجتهاد في داخل المذهب الحنفي وداخل المذهب المالكي والشافعي والحنبلي لا زال باقيًا.

أمَّا الاجتهاد المطلَق الَّذي يتحرَّر من العصبيَّة المذهبيَّة وينظر في الأمر داخل النصوص فلم يكن سائدًا. وُجد طبعًا هذا الاجتهاد ولم يخل عصر من العصور إلَّا وفيه ناس من هذا النوع، في الهند عرف حكيم الإسلام شاه ولي الله الدهلوي صاحب «حُجَّة الله البالغة» وغيره من الكتب العربيَّة والفارسيَّة، والَّذي دعا إلى الرجوع إلى الحديث والقرآن، والتحرر من العصبية المذهبية. وعرف في اليمن الإمام مُحَمَّد بن علي الشوكاني الَّذي توفي في منتصف القرن الثالث عشر الهجري. وصاحب: «إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» و«نيل الأوطار». وكذلك العلَّامة الصنعاني صاحب «سُبَل السلام شرح بلوغ المرام» أيضًا من اليمنيِّين، أصلهم زيديَّة ولكنَّهم تحرروا من المذهب الزيدي. ومثل ذلك في الهند السيد صِدِّيق حسن خان ملك بهوبال، وصاحب الكتب الكثيرة وتلميذ الشوكاني، تتلمذ على كتبه، ونشر كثيرًا من الكتب.

وبعد ذلك وجد الشيخ مُحَمَّد عبده والشيخ مُحَمَّد رشيد رضا في مصر، وجهوا الدعوة إلى الاجتهاد. ووجد كثير من العلماء يجتهدون في القضايا العصريَّة.

QaradawiBooks.com

فالَّذي يحتاج إليه في الفقه الإسـلامي هو إعادة الاجتهاد، لا نقول فتح بـاب الاجتهاد، لأنَّه لا يملـك أحد أن يغلق بـاب الاجتهاد، ولم يجتمع مقر من علماء المسلمين يومًا لأن يقول باب الاجتهاد قد أغلق. وهو مفتوح وقد فتحه النبي ﷺ فلا يملك أحد إغلاقه، إنَّما نريد إحياءه، فالاجتهاد الَّذي نريده نوعان اجتهاد انتقائي واجتهاد إنشـائي، الاجتهاد الانتقائي أي ننتقي من أقوال السابقين ما هو أليق بعصرنا وأوفق بمصالح الأمة، وحسب مقاصد الشـريعة، وحسب روحها وحسب نصوصها. فقد يكون هناك بعـض الآراء صالحة لزمانها ولا حـد لروحها بهذا الزمن، فالمهم أن ننتقي من هذه الآراء.

وهذا ما فعلته في كتابي «فقه الزكاة»، حاولت أن أنتقي؛ فمثلًا الإمام أبو حنيفة يقـول: الزكاة في كل ما أخرجـت الأرض. وبعض المذاهب تقول لأربعة محاصيل فقط.

وهناك مشكلات: كنت في إندونيسيا وماليزيا وبعض البلاد، فقالوا: إنَّ الشيوعيين يقولون لنا إنَّ الإسـلام يفرض الزكاة على صغار الزراع، ويعفي كبار الإقطاعيين من الزكاة.

ولقد عرفت السـبب في هذا؛ لأنَّ المذهب الشافعي في هذه البلاد لا يقول بالزكاة إلَّا على من زرع الشـعير أو الأرز. أمَّا الشـاي والتفاح والمطاط والجـوز الهندي وغيرها، فلا زكاة فيها، والَّذي يزرع الشـعير والأرز الفلاحون الصغار المسـتأجرون، حتَّى الأرض ليسـت ملكهم، فهؤلاء هم الَّذين تؤخذ منهم الزكاة، وأمَّـا الإقطاعي الَّذي يملك آلاف الأفدنة مزروعة بالشـاي أو المطـاط أو الجوز الهنـدي أو بالتفاح أو بالمانجو فليس عليه الزكاة.

QaradawiBooks.com

فلماذا نأخـــذ بالمذهب الشـــافعي في هذه المســـألة رغم تضييقه، ونترك المذهب الحنفي؟ والشافعي نفسه لم يتحجر على مسائله، فمن المعلوم أن له مذهبًا في العراق ومذهبًا في مصر. فلما ذهب إلى مصر غيَّر كثيرًا من آرائه، لأنَّه رأى غير ما رأى وسمع غير ما سمع. فمن هنا هذا معنى الانتقائي.

وهناك اجتهاد آخر أي الاجتهاد الإنشائي أي في المسائل الجديدة لم يرها الناس من قبل ولم تكن مشكلة قبل. يعني الآن عندنا مثلًا العمارات الَّتي تناطح الســـحاب، مثلًا يملك في قُطر ما شخص واحد عمارة من عشرين دورًا أو ثلاثين دورًا أو يملك شارعًا كاملًا، كله عمارات يملكها شخص واحد، وليس عليه الزكاة إلَّا إذا ما ملك مالًا حال عليه الحول. وهو يصرف قبـــل أنْ يحول الحـــول أو يضيف بناء لعمـــارات جديدة، ولا يكون عنده مال سائل أبدًا.

ويمكن أن تمر عليه السنون ولا زكاة عليه. إنَّما نقول: لا، يا أخي. وهنا نُعمل القياس ونقول: هذه أشـــياء جديدة لم يعرفها علماؤنا بهذه الصورة. هذا غير ممكن أن نقيس عليه، يجب أن نجتهد فيه على ضوء القياس الإسلامي. كما أن صاحب الأرض يجب عليه العشر أو نصف العشر يجب على صاحب العمارة العشـــر أو نصف العشر. فهنا لا بدَّ من اجتهاد إنشـــائي فـــي مثل هذا. وهناك أشـــياء كثيـــرة يحتاج إليها الاجتهاد الإنشائي.

في السنة الماضية اجتمعنا بالكويت، ندوة الإسلام والطب، اجتمع فيها فقهاء وأطباء، أشـــياء كثيرة تتعلق حول التحقـــق من جنس الجنين وعمل بنوك الحليب للأطفال، الَّذين ينزلـــون صغارًا وليس لهم أمهات

QaradawiBooks.com

ترضعهم. هكذا أشـياء كثيرة في هذا العصر مـاذا نفعل فيها. مثلًا: زرع الأعضـاء وزرع الكلية والقلب، هل يصح نزع عضـو من خنزير؟ وهل يصح نزع أعضاء الإنسان وهو حي أو وهو ميت؟ وكل هذه مسائل أمامنا يحتاج إليها الاجتهاد الإنشائي.

ويحسن أن يكون هذا النوع من الاجتهاد اجتهادًا اجتماعيًّا يقوم على دراسات فردية وبحوث فردية، ولكن يجب أن تكون هناك مجامع علميَّة للفتوى لهذه الأمور، تدرس الأمور وتنظر فـي البحوث الَّتي تقدم فيها وتظهر فيها رأيًـا جماعيًّا. وطبعًـا هناك مجامع مثـل «مجمع البحوث الإسـلاميَّة بالأزهر»، «المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي». ولكن يلاحظ أنَّ هذه كلها تتبع الحكومات، وهذه الحكومات لا ترشح أفضل العلماء، وإنَّما ترشح واحدًا معينًا؛ لأنَّه يمشي في ركابها أو لأن له قريبًا من الوزراء، وكثيرًا ما تخضع هذه المجامع لضغط سياسي.

ولذلك ينبغي أنْ ينشئ المسلمون مجمعًا فقهيًّا إسلاميًّا متحررًا من الضغوط السياسـيَّة، ولا يتبع لأي حكومة محلية، وهـذا ما نطمع فيه ونرجو أن يتحقق في وقت قريب إن شاء الله.

الحركات الإسلاميَّة وتحقيق الأهداف

* لا تزال الحركات الإسـلاميَّة تعمل في مختلف أنحاء العالم منذ فترة طويلة ولكنها بالرغم من مرور مدة طويلة على تشـكيلها لم تنجح في الأخذ بزمام المجتمع في أيديها، بل إن أكثرها تواجه نكبات متتالية، ونحن إذ نشعر ونؤمن بأنَّ الهدف النهائي للحركات الإسلاميَّة هو الفلاح في الآخرة، وليس هـو المكاسـب الدنيوية، فهلا تحسـون أنَّ الطرق والأسـاليب الَّتي اتبعتها الحركات الإسـلاميَّة لم تكن سليمة وضامنة

QaradawiBooks.com

للوصـــول إلى الغايـــة وأنَّها تتطلـــب إعـــادة النظر والتغييـــر؟ وما هي توصياتكم تجاه هذا الموضوع؟

ـ أريد أن أقول شـــيئًا. ليس هنـــاك تلازم بين عـــدم النجاح وخطأ المنهج أو الوسائل، يعني إذا لم تنجح الدعوة في تحقيق أهدافها، فليس من الضروري أن تكون الدعـــوة قد أخطأت الطريق. ليس هذا ضروريًّا؛ لأن صاحب الدعوة عليـــه أن يدعو، والنتائج علـــى الله ﷻ. أنت تبذر الحب، وترجو الثمار من الرب، تدعو وعلـــى الله الهداية، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقد ضربتُ لبعض الإخوة مثلًا بسَـــيِّدنا نوح عليه السلام. قلت لهم: سيدنا نوح كان على صواب أم على خطـــأ؟ قالوا: على الحق. قلت: فهل قصَّر نوح في دعوته؟ قالوا: لا. والقرآن يقـــص لنا أنَّه لم يقصر ومع هذا ظل ألف سنة إلَّا خمسين عامًا وما آمن معه إلَّا قليل. وهذا القليل ليس بينهم ابنه من صلبه، وليس منهم زوجه، فماذا نقول في هذا؟ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ٥ ـ ١٢]. هكذا استعمل نوح كل الأساليب. ترغيب تارة وترهيب تارة. ترغيب بأمور الدنيا تارةً، وترغيب بأمور الآخرة تارة، أحيانًا يسر وأحيانًا يظهر، وأحيانًا بالليل وأحيانًا بالنهار، ألف ســـنة إلَّا خمسين عامًا، ومع هذا لم يلدوا إلَّا فاجرًا كفارًا. ما هذا؟! ما أخطأ نوحٌ ولا قصّر.

QaradawiBooks.com

ولكن القلوب في يد الله ﷻ. إنَّ الدُّعاة ليسوا بآلهة يسوون النَّاس كما يشاؤون، إنَّما هم بشر يدعونهم ويبلغونهم حسب اجتهادهم، فإذا وصلوا إلى النتيجة كان بها، وإلا فليس من الضروري أن يكونوا قد أخطؤوا حتَّى نقول ابحثوا عن طريق آخر. قد يكون هناك عقبات أقوى منهم، عقبات من داخل نفوس النَّاس، وعقبات من الخارج، قوَّة كبرى تقف في مواجهتهم، يكون هذا كله، فلا ينبغي الربط بين الوصول إلى النتيجة الكبرى وبين الخطأ. هذه واحدة.

والملاحظة الثانية: أنَّه من الخطأ في وجهة نظري أن نقلِّل ممَّا صنعته الحركة الإسلاميَّة، صحيح أنَّ الحركة الإسلاميَّة لم تصل إلى هدفها النهائي البعيد بإقامة دولة الإسلام في الأرض. ولكن هذا الَّذي نراه من الصحوة الإسلاميَّة الَّذي تحدثنا عنها في السؤال الأول بمظاهرها المختلفة العالم العربي والعالم الشرقي والعالم الغربي، عشرات الآلاف من الشباب الَّذين هداهم الله أصبحوا صوامين قوامين ومن المستغفرين في الأسحار، الفتيات تحررن من ضغط الفلسفة الغربيَّة وتقاليدها والتزمن بالشعار الإسلامي، المؤسسات الإسلاميَّة الكثيرة والحركات الإسلاميَّة في مختلف أرجاء العالم، أليست هذه كلها من نتائج الحركة الإسلاميَّة؟ أنا زرت أمريكا وعايشت التيار الإسلامي هناك، مئات الفروع لاتحاد الطلبة المسلمين ذهبوا من بلادهم العربيَّة الإسلاميَّة وهم لا يعرفون عن الإسلام شيئًا ولا يلتزمون به، لكنهم عادوا ملتزمين ومتحمسين ومخلصين، تعلموا الإسلام هناك، والتزموا به هناك، من الَّذي صنع هذا؟ كثير من هؤلاء الَّذين أسسوا الحركة الإسلاميَّة في أوربا وأمريكا هم شباب فروا بدينهم من المحن الَّتي حدثت في بلادهم، ذهبوا إلى بلاد شتى، وبدؤوا يعملون للإسلام، وبدأ هذا العمل يؤتي ثماره، فلولا هذا

QaradawiBooks.com

لأصبح الفكر المادي الطاغي والفكر الشيوعي والرأسمالي أو الفكر الغربي هو المسيطر على هؤلاء الشباب، هذه المكتبة الفكريَّة الإسلاميَّة كلها من نتائج الحركة الإسلاميَّة. كلَّما ذهبت إلى بلد وأنا الفقير الضعيف أرى كتبي ترجمت إلى عدد من اللغات، ومن الَّذي يقوم بالترجمة؟ هم أبناء الحركة الإسلاميَّة في كل مكان، ومن الَّذي يقرأ؟ هناك قراء مسلمون يريدون أن يعرفوا الإسلام. من أين وجد هؤلاء القراء؟ لو كان الناس علمانيين أو متأثرين بتيار الفكر الغربي لم توجد هذه الكتب. أبو الأعلى المودودي ترجمت كتبه إلى عشرات اللغات في العالم، أليس هذا بدليل على أنَّ الحركة الإسلاميَّة أوجدت تيارًا إسلاميًّا متصاعدًا وقاعدة جماهيرية إسلاميَّة. فلماذا نقلل من قيمة الحركة الإسلاميَّة؟

أنا أرى أنَّ كل مسلم ننتزعه من الجاهلية إلى الصف الإسلامي يعبد الله بعد أن كان يعبد الدينار والدرهم، أو ننتزعه من الخرافات والأباطيل إلى الإسلام الصحيح أراه كسبًا.

الملاحظة الثالثة: لا يعني هذا أنَّ الحركة الإسلاميَّة صواب مائة في المائة، وأن كل أعمالها لا تنتقد. الحركة الإسلاميَّة هي حركة بشر، هي اجتهاد بشري لخدمة الإسلام ولإقامة دولة الإسلام في الأرض، فينبغي للحركة الإسلاميَّة أن تراجع نفسها؛ لسنا بملائكة مقربين ولا أنبياء معصومين، ولسنا نعمل بالوحي، إنَّما هو عمل اجتهاد، الاجتهاد البشري يخطئ ويصيب، فإن أصبنا: فلنا أجران، وإن أخطأنا فلا نحرم من أجر واحد إن شاء الله، ولكن هذا الاجتهاد علينا أن نقوِّمه ونقويه.

في كتابي «الحل الإسلامي فريضة وضرورة» تحدثت عن الحركة الإسلاميَّة، وذكرت أن هناك معوقات خارجيَّة وداخليَّة، وضربت أمثلة

QaradawiBooks.com

لهذه المعوقات: رُبَّما بعض المتحمسين من الحركة الإسلاميَّة يقولون: إنَّه ما كان ينبغي أن نظهر عيوبنا، ولكن ينبغي أن نكون صرحاء مع أنفسنا، لا نريد أن نكون النعامة الَّتي تخفي رأسها في الرمل. إن تاريخ الحركة ليس بملكنا وحدنا، فيجب عرضه للأجيال بأمانة، ينبغي أن تكون هناك دراسات تقويمية لما قمنا به، فهل هناك خطأ معين أو تقصير في ناحية أو ثغرة لم نسدها أو عمل كان يجب أن تقوم به ولم نقم به؟ وهل كانت علاقتنا مع خصومنا حسنة أم أسرفنا في الخصومة وشغلتنا المعارك مع الآخرين، هل شغلنا الهدم عن البناء أم ينبغي أن نقوم بالبناء أكثر من الهدم؟

ينبغي أن نقف لنسأل أنفسنا أو نحاسبها ونراجعها. كما ورد عن بعض السلف: إنَّ المؤمن أشدُّ حسابًا لنفسه من سلطانٍ غاشمٍ ومن شريكٍ شحيح[١]. وفي الأثر حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحَاسبوا، وزِنُوا أعمالكم قبل أن تُوزَنَ عليكم[٢].

فمن هنا: محاسبة النفس أو النقد الذاتي هو المطلوب منا. وقد ذكرت في الكتاب عن حال الحركة الإسلاميَّة المنشودة غدًا، كتبت عدة أشياء، هذا تصور خاص، ويمكن أن توجد كتب من جديد تضيف جديدًا إلى ما كتبت[٣]، لأن هذا هو شأن الفكر الإنساني. ولكن هذا الأمر لا ينبغي أن يكون فرديًّا، حبذا لو أقيمت ندوة أو حلقة من بعض

(١) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٩)، عن ميمون بلفظ: التَّقيُّ أشد محاسبة لنفسه من سلطان عاص ومن شريك شحيح.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٠٠)، عن عمر بن الخطاب.

(٣) راجع مقالنا: أين الخلل، مجلة الأمة القطرية، العدد (٥٤)، السنة (٥)، جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ ـ مارس ١٩٨٥م، والأعداد (٥٥)، (٥٦)، (٥٧)، وقد نشر في رسالة مستقلة فيما بعد.

QaradawiBooks.com

رجال الفكر ومن رجال الحركة الإسلاميَّة من بلاد العرب والهند وباكستان وغيرها من البلاد الإسلاميَّة ممَّن عندهم الإخلاص والشجاعة لمواجهة هذه الأمور لمراجعة ما مضى، وللإعداد لما هو في المستقبل، عسى أن يكون اليوم أفضل من الأمس والغد أفضل من اليوم. وكان بعض السلف يقول: من كان يومه كأمسه فهو مغبون، ومن كان يومه شرّا من أمسه فهو ملعون[1].

ونحن نسأل الله ألا يجعلنا من المغبونين ولا من الملعونين، ندعوه أن يكون يومنا أفضل من أمسنا، وأن يكون غدنا أفضل من يومنا.

الإمام المودودي وفكرته

* ونعتقد أنَّ أفكار الإمام الراحل أبو الأعلى المودودي والحركة الَّتي أسسها ـ الجماعة الإسلاميَّة ـ معروفة لديكم وأنَّكم قد قرأتم كتبه ومؤلفاته. ونحن أصحاب الحركة الإسلاميَّة في الهند، نواجه هجومًا شديدًا الآن من بعض الحلقات الدينيَّة الَّتي تزعم بأنَّ الجماعة الإسلاميَّة حركة سياسيَّة بحتة وليست إسلاميَّة، وأن تفسيرها للدين تفسير سياسي وليس دينيًّا، ومن ثم انحرفت عن الحق، فالذي نود أن نعرفه هو موقف فضيلتكم من هذه القضيَّة، حيث إننا دائمًا نرحِّب بالنقد بالبناء.

ـ الَّذي أقوله بحق وأنا مقتنع به هو أنَّ الأستاذ المودودي هو أحد أئمة التجديد وأئمة الدعوة الإسلاميَّة في هذا العصر، وأن جهوده في الفكر والدعوة والتربية والجهاد، جهود مشكورة ومقدورة من العالم الإسلامي كله.

(١) انظر: لطائف المعارف لابن رجب صـ ٣٠٠، نشر دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

ولقد بدأت قراءة رسائل الأستاذ المودودي منذ أكثر من ثلاثين سنة، أوَّل ما ترجمت إلى اللغة العربيَّة، وجدنا فيها الفكر الإسلامي الصافي، وجدنا نحن أبناء دعوة الإخوان المسلمين وتلاميذ الشهيد حسن البنَّا، وجدنا فكرًا يوافق فكرنا في الدعوة إلى الإسلام المتكامل الشامل، ولهذا نعجب حينما تهاجَم دعوة الأستاذ المودودي داخل دياره نفسها، ولكن يزول العجب حينما نعلم أنَّ المعاصرة الزمانية والمكانية كثيرًا ما تكون حجابًا. وكان بعض علماء السلف يُحَذِّر من قول المعاصرين بعضهم في بعض؛ لأنَّ كثيرًا من الأئمَّة الكبار طعنوا في بعض معاصريهم طعنًا لا نكاد نصدق أن يصدر منهم.

فلا عجب من نظرة بعض الناس إلى الأستاذ المودودي؛ لأنَّهم لم يفهموا المودودي وسعة أفقه، وهم جامدون أو مقلدون، وهم في بُعد عن دعوة التفكير والاجتهاد، وبعض النَّاس لا يحبون الإسلام إلَّا إذا كان على طريقتهم الخرافية، وبعض الناس وقفوا ضد المودودي حسدًا، وبعض الناس انتقدوا أجزاء معينة من فكر المودودي، هذه طبيعة البشر لا يمكن أن يتحد الجميع على شيء واحد، هناك ناس مخلصون، ولكنَّهم يخالفون المودودي في بعض الأشياء، ولكنَّهم لا يخالفونه في دعوته إلى تحكيم الإسلام في الأرض، وإلى إقامة الدولة الإسلاميَّة وإقامة النظام الإسلامي، ولا أنَّ الإسلام عقيدة ونظام كامل للحياة. وقد يقال إنَّ الأستاذ المودودي بالغ في نظرته السياسيَّة إلى الإسلام، وفي أنَّ الإسلام نظام حياة، واعتبر هذا من العبادة، وغير ذلك.

ولا شك أن هناك بعض الأشياء أريد أن أؤكدها، إن نظرية الحاكمية الَّتي ذكرها الأستاذ المودودي نظرية لم يبتدعها وقد قال بها الأصوليون.

QaradawiBooks.com

علمـــاء أصول الفقـــه يبحثون في موضوع اســـمه الحكم الشـــرعي والحاكم، والمحكوم به والمحكوم عليه، والحكم الشـــرعي هو خطاب الله المتعلق بأفعـــال المكلفين. والحاكم هو الله ســـبحانه. يعني صاحب الأمر والنهي، وهذا نفسه هو الَّذي أكده ووضحه الإمام المودودي، وهو لم يأت بشيء من عنده، قد يكون هناك مبالغة حسب ما اقتضتها طبيعة المعركة، المعركة مع العِلمانيَّة.

وقد جاوز بعض الناس في نقد الأســـتاذ المودودي الحقيقة، إن هذا لا يعيب الأســـتاذ المودودي ولا يضيره، له عشـــرات الرســـائل ومئات الكتـــب والمحاضرات والخطـــب يذكر فيهـــا الجوانب غير السياســـيَّة للإسلام، فلا معنى أن ينتقد المودودي في هذا.

ولا شكَّ أنَّ الأســـتاذ المودودي إمامٌ مُعْتَرَف به في هذا العصر، وأن دعوته لتطبيق نظام الإسلام دعوة يُؤيِّدها الكتاب والسُّنَّة، وتؤيِّدُها الأُمَّة الإسلاميَّة أو جمهور الأمة المسلمة.

ولا أعتقـــد أنَّ مســـلمًا بصيرًا خاليًـــا من التعصب ينكـــر لب دعوة المودودي، دعنـــا من التفاصيل والجزئيات والفرعيـــات، إنَّما لب دعوة المودودي الَّتي نراها على رســـائله وكتبه إنَّما يدعـــو الناس بها إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأن يخلِّصوا أنفسهم من شوائب النفاق، وأعمالهم من التناقض، وأنَّه يدعو إلى حكومة إسلاميَّة تنتزع القيادة من الكفرة الفجرة، وتســـليمها للَّذين لا يريدون في الأرض علوًّا ولا فسادًا. من ينكر هذه الدعوة؟

إنَّما يريد المودودي أنْ يُكوِّن جيلًا يقـــوم على هذه الدعوة، ويعمل على تحرير الأُمَّة الإســـلاميَّة من كلِّ طاغـــوت ولا يكون الحكم إلَّا لله،

QaradawiBooks.com

وأن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الَّذين كفروا السفلى. هذه خلاصة دعوة المودودي وروحها ولبها، ولا أعتقد أنَّ مسلمًا يعرف إسلامه ينكر هذا اللب وهذه الروح وهذه الدعوة، ونسأل الله تعالى أنْ يجزيه عن المسلمين خير الجزاء، وأنْ يتقبله في عباده الصالحين، وأن يبارك في أبنائه العاملين، وأن يبارك كل دعوة خالصة لهذا الدين، وإحياء أمته وتحرير أوطانه وإقامة دولته في الأرض، إنَّه سميع قريب.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حوار حول الاقتصاد الإسلامي

* ما هو مفهومكم للسياسة الاقتصاديَّة في الإسلام؟ وكيف يتميَّز الاقتصاد الإسلامي عن الاقتصاديَّات الوضعيَّة الأخرى؟

ـ تقوم السياسة الاقتصاديَّة في الإسلام على عدَّة دعائم:

١ ـ **تنمية الإنتاج وتنويعه وتحسينه**، والإسلام يعتبر كل جهد صادق يبذل في ذلك عبادة وجهادًا معًا، وينكر الرسول ﷺ على المسلمين أن يقصروا جهودهم الإنتاجية على فرع واحد من فروع الإنتاج كالزراعة ـ برغم أهميتها في نظر الإسلام وحثه عليها ـ مغفلين جوانب أخرى مهمة كالصناعة والتعدين وغيرها؛ فهذا يضعف قدرة الأمة، ويعرضها للخطر، كما في حديث الَّذين «رضوا بالزرع وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله»[1]، والزكاة في الإسلام من العوامل المهمة الَّتي

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم الزرع، وتركتم الجهاد؛ سلَّط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم». رواه أحمد (٤٨٢٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. وأبو داود في الإجارة (٣٤٦٢)، وقال ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٢٩٦/٥): رجاله ثقات. وقوّاه ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود (١٠٤/٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة بمجموع طرقه (١١)، عن ابن عمر. وقد تحدثنا عن هذا الحديث في كتابنا: بيع المرابحة للآمر بالشراء كما تجريه المصارف الإسلامية صـ ٣٨، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

تدفع عجلة التنمية إلى الإمام، تعويضًا عما يدفعه المسلم من الزكاة، ولهذا تعتبر أداة فعالة في مقاومة الاكتناز للنقود، حيث سينقص رأس المال سنويًّا (٢,٥٪) ثمَّره صاحبه أم لم يثمره. وفي هذا جاء الحديث النبوي لأولياء اليتامى أن ينموا أموالهم حتَّى لا تأكلها الزكاة.

ولا يرحب الإسلام بالتنمية إذا كانت تتنافى مع قِيَمه ومُثُله العُلْيا، فهو يرفض إنتاج ما حرمه الله، أو ما يضر بالناس في عقولهم أو أبدانهم أو أخلاقهم أو عقائدهم.

فإذا كان تصدير العنب للخمر، أو تصنعيه نبيذًا، أو فتح المراقص والملاهي الحمراء للسياح، يزيد الدخل القومي، ويحقق بعض المنافع الاقتصاديَّة القريبة، فإنَّ الإسلام في اعتبار هذه المنافع في مقابلة ما تجر من آثام ومضار دينية وخلقية يحرمها. وفي هذا نقرأ قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقد كان أهل مكة والحجاز يستفيدون اقتصاديًّا من حج المشركين إلى الكعبة، وطوافهم بالبيت عرايا، فلما منع الرسول ﷺ ذلك في العام التاسع من الهجرة، خاف بعض المسلمين أنْ يتضرروا من وراء ذلك أو يخسروا، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٨].

٢ ـ ومن ناحية التوزيع: تقوم السياسة الإسلاميَّة على تحقيق العدالة الاقتصاديَّة، وإقامة التكافل المعيشي بين النَّاس، وتقريب الفوارق بين الأفراد والطبقات ـ لا إلغائها ـ وذلك بالحد من طغيان الأغنياء، والعمل

QaradawiBooks.com

على رفع مستوى الفقراء، بحيث يتوافر لكل مواطن في ظل المجتمع الإسلامي ـ مسلمًا كان أو غير مسلم ـ مستوى ملائمٌ من المعيشة، يحقق له المطالب الأساسيَّة للإنسان، من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وعلاج، وهو ما سماه فقهاؤنا «تمام الكفاية»، فلم يقتصروا على حد الضرورة، ولا حد الكفاف، ولا حد الكفاية، بل أوجبوا له «تمام الكفاية» لنفسه ولمن يعول. ومن الرائع حقًّا، أنَّهم اعتبروا أدوات الحرفة من الكفاية، وكتب العلم لأهله من الكفاية، والزواج للبالغ المتطلع إليه من الكفاية.

وقد اختلفوا في وقت الكفاية: أهو كفاية السنة أم كفاية العمر الغالب لأمثاله؟

ومعنى هذا: أن يعطى الفقير أو المسكين ما يُغنيه طوال عمره، ولا يحوجه إلى طلب المساعدة من صندوق الزكاة أو غيره.

ويقوم توزيع الثروة في الإسلام على قاعدتين:

الأولى: أنَّ لكل حسب عمله ومجهوده، فما يستوي الَّذين يعملون والَّذين لا يعملون، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢]، ولذلك كان ﷺ، في توزيع الغنائم يعطي الفارس ما لا يعطي الراجل[١].

والثانية: أنَّ لكل حسب حاجته الشخصيَّة والعائلية، وقد أعطى النبي ﷺ العزب حظًّا، والآهِل حَظَّين[٢]، رعاية لحاجة كل منهما وتفاوتها.

---

(١) إشارة إلى حديث: أن رسول الله ﷺ جعل للفرس سهمين، ولصاحبه سهمًا. متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٨٦٣)، ومسلم (١٧٦٢)، كلاهما في الجهاد والسير، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (٢٣٩٨٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٢٩٥٣)، وابن حبان في السير (٤٨١٦)، عن عوف بن مالك.

QaradawiBooks.com

وعلى هاتين القاعدتين يجب أن يقوم نظام الرواتب والمكافآت والمعونات.

يضع الاقتصاد الإسلامي نصب عينيه ألا ينحصر تداول الثروة في أيدي فئة قليلة من الأثرياء، على حين يحرم منها جمهور الناس. لهذا وزع القرآن الفيء على الفئات المحتاجة، وعلَّله بقوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

٣ ـ وتقوم السياسة الاقتصاديَّة الإسلاميَّة بعد ذلك على ترشيد الاستهلاك والإنفاق، بحيث تبعد عن حدي الإسراف والتقتير، كما نبَّه على ذلك القرآن في آيات عديدة، مثل قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

ونهى الرسول ﷺ بعض أصحابه عن الإسراف في الوضوء، فقال: أوَ في الماء سرف يا رسول الله؟ قال: «**نعم، وإن كنت على نهرٍ جارٍ**»[(١)]!

وبهذه التربية يصبح الاعتدال من الإنفاق خُلُقًا سائدًا في الأمة، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ [الفرقان: ٦٧]، وإلا كان سوء الاستهلاك بالوعة تلتهم كل ما تأتي به محاولات التنمية وزيادة الإنتاج.

٤ ـ وتقوم سياسة التداول في الاقتصاد الإسلامي على وجوب العدالة المحكمة بين المنتج والمستهلك، بين البائع والمشتري، وتحريم كل ما فيه ظلم أو ميسر.

(١) رواه أحمد (٧٠٦٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الطهارة (٤٢٥)، وضعَّفه الألباني في الإرواء (١٤٠)، ثم حسَّنه في الصحيحة (٣٢٩٢)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

ولهذا حرم الإسلام الربا، وأذن القرآن مرتكبه بحرب من الله ورسوله: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، ولعن الرسول ﷺ فيه آكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه[١]. وحرَّم الإسلام الاحتكار، ففي الصحيح: «**من احتكر فهو خاطئ**»[٢]. أي: آثم. وفي أحاديث أخرى وعيد شديد لمن يحتكر ما يحتاج إليه النَّاس: «**فقد برئ من الله، وبرئ الله منه**»[٣].

وتعمل السياسة الإسلاميَّة على تقليل الوسائط في التجارة بصفة عامَّة، ومنع الوسائط الطفيلية الَّتي تربح من الناس بغير جهد تبذله، ولا حاجة تسدها في المجتمع.

٥ ـ وممَّا يجب التنبيه عليه والتنويه به هاهنا: أنَّ السياسة الاقتصاديَّة الإسلاميَّة الحقَّة، هي الَّتي تعمل على إقامة تكامل اقتصادي بين الأقطار الإسلاميَّة بعضها وبعض، بحيث تكتفي اكتفاء ذاتيًّا، زراعيًّا وصناعيًّا، ولا يصبح زمامها في يد غيرها، بحيث لو كف عنها الإمداد بالقمح أو الأرز لهلكت جوعًا، أو وقف عنها الإمداد بالسلاح لهلكت ضعفًا وذلًّا.

إنَّ العالم الإسلامي يملك من مصادر الثروة، وأسباب القوَّة، ومقومات الحضارة ـ المادِّيَّة والروحيَّة والفكريَّة ـ ما يجعل منه كتلة

---

(١) سبق تخريجه صـ٨٢.

(٢) رواه مسلم في المساقاة (١٦٠٥)، وأحمد (١٥٧٥٨)، عن معمر بن عبد الله القرشي.

(٣) رواه أحمد (٤٨٨٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن أبي شيبة في البيوع (٢٠٧٦٩)، وأبو يعلى (٥٧٤٦)، والحاكم في البيوع (١١/٢)، وذكره ضمن عدة أحاديث، وقال: هذه الأحاديث الستة طلبتها وخرجتها في موضعها من هذا الكتاب احتسابًا لما فيه الناس من الضيق والله يكشفها، وإن لم يكن من شرط هذا الكتاب. وقال الذهبي: عمرو بن الحصين العقيلي تركوه، وأصبغ بن زيد الجهني فيه لين. عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

عالميَّة متميزة، قادرة على أنْ تقود العالم من جديد، فضلًا عن أنْ تكون قادرة على حماية نفسها من التبعية الاقتصاديَّة أو العسكريَّة أو السياسيَّة أو الثقافيَّة.

وحرام على أمة تبلغ نحو ألف مليون نسمة، وتملك أخصب بقاع الأرض في صرة العالم، وملتقى القارات والحضارات، ومهبط النبوات والرسالات، وتستند إلى تاريخ مشرق موصول الحلقات، أن تعيش عالة على غيرها، ممَّن لا يدينون بدينها، حتَّى في القوت اليومي لشعوبها، وفي السلاح الضروري لجيوشها، معتمدة على الاستيراد، وهي قادرة على الابتكار والإنشاء.

أمَّا مزايا الاقتصاد الإسلامي عن الاقتصاد الوضعي ـ رأسماليًّا كان أو اشتراكيًّا ـ فألخصها في ثلاث:

أولًا: أنَّه اقتصاد لا ينفصل عن العقيدة، فأساس بنائه هو التوحيد.

فالكون كله لله، والإنسان كله لله، والمال ـ تبع لذلك ـ مال الله، وصاحب المال إنَّما هو مستخلف فيه، ووكيل عليه، فهو أشبه بأمين الصندوق، يجب عليه أنْ يتقيد بأوامر المالك الحقيقي ونواهيه.

وكذلك هدف هذا الاقتصاد، العمل على إشباع حاجات الإنسان الأساسيَّة، وتحقيق مطالبه الحيوية، حتَّى يستطيع أن يؤدي بتجرد وإحسان عبادة الله وحده ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ [قريش: ٣، ٤].

ثانيًا: إنَّه اقتصاد لا ينفصل عن الأخلاق، ولا يقبل مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»، فإن الله طيب لا يقبل إلَّا طيبًا. ولهذا يرفض كل كسب أو منفعة مادية على حساب القيم والفضائل.

QaradawiBooks.com

من هنا حرم الخمر والميسر، وإن كان فيهما منافع تجارية أو اقتصاديَّة لبعض الناس، وحرم بيع العنب ممَّن يعصره خمرًا، وإن كان من وراء ذلك ربح عظيم. وحرم بيع الأصنام والخنزير والمسكرات ونحوها، وإنْ خسرت الأُمَّة من جراء ذلك بعض المصالح الجزئية، كنقص عدد السواح وما شابه ذلك. وفي هذا يقول القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً (أي: فقرًا) فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٨].

ثالثًا: إنَّه اقتصاد متوازن، لا يجنح إلى الإفراط أو التفريط، شأن الأنظمة الوضعية.

فهو لا يطغى على الفرد وحقوقه وحرياته وحوافزه، ويسحق شخصيته، ويجعله مجرد ترس صغير يدور به دولاب كبير، أراد أم لم يرد، كما هو النظام الماركسي اليساري الجماعي.

كما لا يدلل الفرد ويضخمه، ويدع له الحبل على الغارب، ليثرى وينتفخ ويطغى على حساب المجتمع، وحقوق فئاته الضعيفة المطحونة، الَّتي تشكو الهزال برغم كدحها وشقائها، ويسمن غيرها دون أن يقدم عملًا. كما هو الحال في النظام الرأسمالي الفردي.

إنَّ الاقتصاد الإسلامي نظام وسط، يأخذ من الفرد للجماعة، ومن الجماعة للفرد.

يعطي كلًّا منهما حقه، ويطالبه بواجبه، ولا يقيم بينهما حربًا، إذ لا يستغني أحدهما عن الآخر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهو ـ عن طريق التربية والتشريع جميعًا ـ يقيم الموازين القسط بينهما.

* كيف ساهم الاقتصاد الإسلامي في صدر الإسلام في نشر الرخاء والعدالة الإلٰهيَّة بين شعوب الأرض؟

ـ من أراد أن يعرف جواب هذا السؤال بوضوح، فعليه أنْ يقرأ تاريخ الأمة الإسلاميَّة قراءة الفاحص المدقق، وخصوصًا يوم كان الإسلام إسلامًا، وكان المسلمون مسلمين.

هناك سيجد كيف حقَّق الإسلام ضمانًا اجتماعيًّا تميز بشموله للمسلمين وغير المسلمين من مواطني الدولة الإسلاميَّة، وشموله أيضًا لكل فئات المحتاجين، سواء كانت حاجاتهم أصلية كالفقراء والمساكين، أو عارضة كالغارمين وأبناء السبيل، كما تميز بشموله لكل الحاجات الَّتي يتطلب الإنسان إشباعها وتحقيق كفايتها.

ولم يكتف الإسلام هنا بتحقيق حد الضرورة، ولا حدّ الكفاف، بل ولا حدّ الكفاية، بل تمام الكفاية، ومن ذلك المطعم والملبس والمسكن والعلاج. بل منه كتب العلم لأهله، وأدوات الحرفة لأهلها، والزواج لمن احتاج إليه. وعلى كل فرد قادر أنْ يمارس من العمل ما يحقق له ولأسرته تمام الكفاية، وعلى المجتمع أنْ يساعد على ذلك، فإن عجز عن العمل، أو لم يجد عملًا يلائمه، أو كان دخله من عمله لا يكفيه، كان على الدولة المسلمة أنْ تحقق له تمام الكفاية من الزكاة، ومن سائر موارد الدولة الأخرى، وممَّا تفرضه على الأغنياء من حقوق بعد الزكاة حتَّى يكتفي الفقراء.

QaradawiBooks.com

وقد رأينا عمر بن الخطاب يأمر خازن بيت المال بفرض معونة دورية ليهودي محتاج بما يكفيه ويغنيه عن السؤال، وجعل ذلك قاعدة عامَّة له ولأمثاله، قائلًا: إنَّه من مساكين أهل الكتاب[١].

وكان منادي عمر بن عبد العزيز ينادي كل يوم في النَّاس: أين المساكين؟ أين الغارمون (المَدِينون)؟ أين الناكحون (الراغبون في الزواج)[٢]؟ وذلك ليُشْبع حاجاتهم من بيت المال.

وقد حكم عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهرًا، ما انتهت حتَّى كان الرخاء قد عمّ إلى حدٍّ جعل صاحب الزكاة، يتعب في العثور على من يستحق زكاته، فقد استغنى الناس بعد الإسلام.

يقول يحيى بن سعيد: بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقيَّة، فاقتضيتُها (جمعتُها) وطلبت فقراء نُعطيها، فلم نجد فقيرًا، ولم نجد من يأخذها منا، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس[٣].

ولما أرسل عامل الزكاة إلى أمير المؤمنين ابن عبد العزيز بذلك وسأله: ماذا يصنع بحصيلة الصدقات عنده، أرسل إليه يقول: اشتر بها رقابًا فأعتقها[٤].

---

(١) رواه أبو يوسف في الخراج صـ ١٣٩، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد، نشر المكتبة الأزهرية للتراث.

(٢) البداية والنهاية (٦٩٦/١٣)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم صـ ٦٥، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ط٦، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(٤) المصدر السابق.

QaradawiBooks.com

وهكذا تحولت حصيلة الزكاة كلها لتحرير الرقيق من أسر الرق، بعد أنْ أدَّت مهمتهـا في تحرير الفقـراء من ذل الفقـر. وبذلك كانت الأمة الإسـلاميَّة أوَّل أمة في التاريخ تعمل بوحي من دينها على التخلص من الرق، وتحرير الرقيق.

لقد غيَّر الإسـلام المفاهيم والأوضاع المالية الَّتي كانت سائدة في العالم عند ظهوره.

لقد كانت الضرائب تفرض على الفلاحين والحرفيين وصغار التجار وأمثالهم مـن الكادحين، لتنفق علـى الملك أو الإمبراطور وحاشـيته وأعوانه وجيشه وموظفيه، بحيث نستطيع أن نقول: إنَّها كانت تؤخذ من الفقراء لترد على الأغنياء! فجاء الإسلام ليجعل الزكاة فريضة تؤخذ من الأغنياء لترد على الفقراء.

فلا تحل الزكاة لغني، ولا لذي مرَّة سوي.

ومن ناحية أخرى، كانت الضرائب تؤخذ من القرى والأقاليم النائية لتنفق على العواصم والمـدن الكبرى، لتزداد فخامتهـا، وترف أهلها، وتظل القرى الفقيرة تزداد فقرًا، تجني التمر وتأكل النوى، وتزرع القمح ويأكل أهلها التراب.

فجاء الإسلام في الزكاة بسياسـة التوزيع المحلي، بحيث لا تنتقل الزكاة أكثر من المسـافة الَّتـي تقصر فيها الصلاة، إلَّا إذا اسـتغنى أهل الإقليم الَّذي أخذت منه الزكاة. وهذا مصداق أمره ﷺ لمعاذ حين أرسله إلى اليمن: أن يأخذ الزكاة من أغنيائهم ليردها على فقرائهم[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

* هل يمكن أن يكون الاقتصاد الإسلامي بديلًا عن النظريات الاقتصاديَّة المعاصرة، الَّتي ثبت إفلاسها بعد أن تعددت مثالبها عند التطبيق؟

ـ لا أقول: إنَّ الاقتصاد الإسلامي يمكن أن يكون بديلًا من المذاهب الاقتصاديَّة المعاصرة، الَّتي ثبت إفلاسها ـ فحسب ـ بل أقول: إنَّ هذا هو الواجب الَّذي يفرضه الإسلام على أبنائه، وكيف يوجب الإسلام على النَّاس ما ليس بممكن؟

إنَّ الاقتصاد الإسلامي بروحه ومادَّته وشكله، وبما قام عليه من دعائم اعتقادية وفكرية وأخلاقية، وبما تميز به من شمول وتوازن هو البديل الفذ، الَّذي تستطيع البشرية أن تستغني به عن إفراط الشيوعيَّة، وتفريط الرأسماليَّة، وغلبة المادِّيَّة النفعية على المذاهب الاقتصاديَّة الوضعية جميعًا.

ولكن هذا البديل لن يؤتي أكله إلَّا بشروط:

١ ـ أن تتبنَّاه دولة مسلمة حقًّا، مصممة على أنْ تجعل منه حقيقة واقعة، باعتباره جزءًا من نظام الإسلام المتكامل.

٢ ـ أن يتكوَّن لدينا فقه اقتصادي إسلامي أصيل، نابع من أصول الإسلام ونصوصه ومقاصده الكلية، متحرر من التعصب لرأي قديم، أو العبودية لفكر جديد. وقد وجدت نواة طيبة لهذا الآن، وهي جديرة أن تنمو وتتسع بالممارسة والتطبيق. فالفقه النظري عادة يحيا ويقوى بالتطبيق العملي.

٣ ـ أن يحرس هذا التطبيق أناس وَاعُون للإسلام من ناحية، مخلصون متجردون من ناحية أخرى. يعتبرون العمل في هذا الميدان

QaradawiBooks.com

جهادًا وقربة إلى الله، لا مجرد موظفيـــن يتقاضون أجرًا، لا يعنيهم نجح العمل أم أخفق.

وهذا ما نوصي به المؤسسات الاقتصاديَّة الإســـلاميَّة أن تراعيه في جهازها الوظيفي، مثل المصارف، وشـــركات الاســـتثمار الإســـلاميَّة، فلا توظف إلَّا المؤمنين برســـالتها، الصادقين في التزامهم بالإســـلام، اعتقادًا وفكرًا وخُلُقًا وســـلوكًا. فبعض الموظفين في هذه المؤسَّســـات حرب عليها، ومعاول لهدمها، عن جهل حينًا، وعن ســـوء نية حينًا آخر. كما أنَّ عليهـــا أنْ تقيم لهـــم دورات تفقيه وتوعية لترفع من مســـتواهم الإسلامي العلمي والسلوكي.

* كيف يتصدى الاقتصاد الإســـلامي للمشـــكلة الاقتصاديَّة؟ وكيف يعالج مشكلات الفقر والتنمية؟

إنَّ الإسلام في علاج المشـــكلات الاقتصاديَّة، لا يقف جامدًا على أسلوب معين، أو صورة واحدة، قديمة أو جديدة.

إنَّه ينتفع هنا بتراث السابقين، وتجارب اللاحقين، ومحاولات الأمم المختلفة في تنمية مواردها، وزيادة إنتاجها، والتغلب على المعوقات في سبيلها. شـــعاره في ذلك: الحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها. فإذا كان لدى بعض الدول تجربة ناجحة في زراعة الصحراء، أو في توطين البدو، أو في تحســـين الإنتاج الزراعي كمًّا وكيفًا، أو في الاســـتفادة من الثروة البحرية، أو الثـــروة المعدنية إلـــخ، فإن من حق الاقتصاد الإسلامي ـ بل من واجبه ـ الانتفاع بها، والاقتباس منها، بقدر ما يلائم ظروف البـــلاد، وأحوال الناس، وقيـــم المجتمع، ولا يهمنا أن تكون هذه التجربة الناجحة قـــد وقعت في أمريكا الرأســـماليَّة، أو في

QaradawiBooks.com

روسيا الشيوعيَّة، إنَّما المهم أن نقتبس ما نقتبسه بوعي وبصيرة، بعيدين عن محاكاة القرود، وترديد الببغاوات، على أن نضفي على التجربة بعد ذلك صبغتنا وطابعنا الخاص، حتَّى تلتحم بنظامنا وتنسجم مع بقية أجزائه، وبذلك تفقد جنسيتها الأصلية وتنتمي إلينا. بيد أنَّ الَّذي يجب التنويه به هاهنا ـ أي إزاء نظرة الإسلام إلى حلول المشاكل الاقتصاديَّة ـ أمران هما على غاية من الأهمِّيَّة:

الأول: إنَّ الاقتصاديين الوضعيين يضعون جلَّ تفكيرهم واهتمامهم في الناحية المادِّيَّة وحدها، مغفلين جانبًا هامًّا، بل هو أهم الجوانب، وهو الإنسان، الَّذي هو السبب الأول في وجود المشكلات، والسبب الأول أيضًا في حلّها.

فلا قيمة لأي حل وعلاج، ما لم يرتكز أساسًا على الإنسان.

الإنسان هو المنتج، وهو المستهلك، وهو الموزع، والموزع عليه، وهو البائع، وهو المشتري، وهو العامل، ورب العمل، وهو المالك والمستأجر، وهو الحكومة، وهو الشعب.

فالمشكلة الاقتصاديَّة إذنْ هي في جوهرها مشكلة إنسانية. فلا بدَّ من العناية بالإنسان قبل كل شيء، حتَّى يُحسِّنَ الإنتاج، ويعتدل في الاستهلاك، ويعدل في التوزيع، ويضع كل شيء في موضعه بأمانة وإتقان. فإنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء، ويحبّ الإتقان من كل عامل، فليس بالاقتصاد أو الإنتاج يتغير المجتمع، أو يتغير التاريخ، بل إنَّما تتغير الحياة والمجتمع والتاريخ إذا تغير الإنسان، وإنَّما يتغير الإنسان بتغير نفسه وفكره وأخلاقه وسلوكه. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

QaradawiBooks.com

الأمر الثاني: وهو مكمل للأمر الأوَّل: أنَّ الإسلام لا يعرف شيئًا منفصلًا مستقلًّا بذاته اسمه «الاقتصاد»، فالواقع أنَّ الاقتصاد جزء من الحياة بمادياتها ومعنوياتها، بسلبياتها وإيجابياتها.

وإذا كنا ننكر على دُعاة الروحيَّة المجردة إهمالها للجوانب المادِّيَّة، والمشكلات الاقتصاديَّة، برغم تأثيرها على أفكار الناس وعلاقاتهم وتصرفاتهم. بل على عقائدهم نفسها، حتَّى جاء في الحديث الاستعانة بالله من «الكفر والفقر» في سياق واحد، وحتَّى روي «**كاد الفقر أن يكون كفرًا**»[1]. وقيل: إذا ذهب الفقر إلى بلد، قال له الكفر: خذني معك!

والكفر الآن هو الماركسيَّة والمبادئ الهدامة، أقول: إذا كنا ننكر هذا على دُعاة الروحيَّة، فنحن ننكر كذلك على رجال الاقتصاد الوضعي غفلتهم عن جوانب أخرى في الحياة، لعلها أشد تأثيرًا في دنيا الناس وتفكيرهم وسلوكهم، وهي الجوانب الدينيَّة والخلقية والنفسيَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة، إلخ.

والإنسان ليس مجرد «حيوان منتج» أو «مستهلك»، بل هو مخلوق له أشواقه وتطلعاته إلى الأفق الأعلى.

فلا بدَّ أن تراعى مواهبه وخصائصه وقدراته، بحيث نعمل على وضعه كما أراد له خالقه: إنسانًا مكرمًا حرًّا مريدًا عاملًا لدينه ودنياه، لا مجرد (مسمار) أو (ترس) صغير في ماكينة كبيرة، يدار فيدور، ويحرك فيتحرك، ويوقف فيتوقف.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٥٣/٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦١٨٨)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٤٠٨٠)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

إنَّ الله تعالى وصف عباد الرحمن بقوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ۞ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ۞ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۞ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ۞ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ۞ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ... ﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٦٨]، فجاء المعنى الاقتصادي، وهو وصفهم بالاعتدال في الإنفاق ـ ضمن أوصافهم الأخرى: الربانية والإنسانية والأخلاقية المتنوعة.

ومثل ذلك قوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨].

فنجد في هذه الآية باقة من الفضائل الدينيَّة، والاجتماعيَّة، والسياسيَّة، والاقتصاديَّة، جنبًا إلى جنب، في نسق واحد، لا تمايز بينها ولا انفصام.

وهكذا يجب أن نعالج مشكلات الفقر والجوع والتنمية وغيرها علاجًا متكاملًا.

لا نعالج كل مشكلة على حدة، مفصولة عن المشكلات الأخرى، فإن الحياة كجسد واحد، تتأثر أعضاؤه وأجزاؤه بعضها ببعض، شئنا أم أبينا.

ولا غرو أن يكون تكوين الإيمان الصحيح، والخلق الفاضل، والضمير الحي، هو الخطوة الأولى على طريق البناء والعلاج الناجع.

ومطاردة الخرافات والإلحاد والانحلال والأنانية، هي الشرط الأساسي للنجاح.

QaradawiBooks.com

وكل جهد يبذل في هذا السبيل غير ضائع عند الناس ولا عند الله.

* ما هو موقف الاقتصاد الإسلامي من أمراض العصر الاقتصاديَّة، كالفوائد والتأمين؟

ـ لقد مرَّ تفكير المنتسبين إلى الإسلام في هذا العصر بعدة مراحل:

أولاها: التبعية المطلقة للفكر الغربي ومسلماته مع التبجح والمباهاة بهذه التبعية وهذا التقليد الأعمى: مرحلة سلامة موسى وطه حسين ومن على شاكليهما في البلاد الإسلاميَّة، الأخذ بالحضارة الغربيَّة كلها: خيرها وشرها، وحلوها ومرها، ما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب.

والثانية: مرحلة التبعية الجزئية مع التبرير، وقد لا تختلف عن سابقتها إلَّا في محاولة إعطاء سند شرعي لتلك التبعية، ومحاولة إلباس «الخواجة» الأجنبي «عمامة إسلاميَّة»!!

وهذه مثل سابقتها، بل لعلها أشد خطرًا، وأبرز مثال لها كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق، وكتاب «من هنا نبدأ» لخالد مُحَمَّد خالد[1].

والثالثة: مرحلة الاستقلال الفكري مع الاعتذار عن الإسلام ومبادئه وأحكامه، وذلك بعد أن وضع الإسلام ونظمه وأحكامه في قفص الاتهام، وأخذ الكاتبون في المحاماة عنه، والدفاع عن قضاياه، في كل

(١) نشرت الصحف المصرية أخيرًا أنَّ الأستاذ خالد محمد خالد أعلن براءته من هذا الكتاب وما كان على شاكلته ممَّا نشر في تلك المرحلة من حياته. وهذا ما كان مظنونًا بمثله، وما نحمد الله عليه. ولكن بقي عليه ألا يأذن بنشر هذه الكتب إلَّا معقبا عليها بفِكْرِه الجديد.

QaradawiBooks.com

ما خالف فيه الإسلام الفكر الغربي، والحضارة الغربيَّة، كأنَّما على الإسلام أن يكون موافقا للغرب وفلسفته الحضارية، وإلا فعليه أن يدافع عن نفسه، ويقدم المبررات والمعاذير.

والرابعة: مرحلة الاستقلال مع الاعتزاز بالإسلام، وعرض رسالته كما هي بصراحة وقوة، ونقد ما عند الآخرين من فلسفات ومذاهب دينية أو وضعية، ودعوتهم إلى الإسلام دين البشرية العام الخالد، ومنهج الخالق لإسعاد الخلق.

ولا عجب أن وجدنا الفكر الإسلامي في بعض مراحله ينهزم أمام الفكر الاقتصادي الغربي، ويحاول أن يبيح الفوائد الرِّبويَّة تحت عناوين ومبررات شتى من أبواب متعددة، من باب «الأضعاف المضاعفة» وأخرى من باب «ربا الجاهلية» وثالثة من باب «الضرورة»، وكلها تعلات واهية لا تقوم على ساقين.

ولهذا سرعان ما طرحها الفكر الإسلامي الزاحف، ولفظها لفظ النواة. ولقد حضرت منذ أكثر من ثلاث سنوات المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي، المنعقد في مكة المكرمة بدعوة من جامعة الملك عبد العزيز، وحضرت مئات من كبار المتخصصين في الشريعة والاقتصاد، فكانوا مجمعين على منع الفوائد، ولم تثر هذه المسألة قط في المؤتمر حتَّى قال بعض الَّذين حضروا مؤتمرات إسلاميَّة سابقة في «كوالا لامبور» وغيرها: العجيب أنَّ المشكلة الَّتي شقت المؤتمرات السابقة إلى فريقين متعارضين لم يظهر لها هنا وجود!

قلت له: هذا دليل على أنَّ الفكر الإسلامي أخذ يتحرر من التأثر، ومن الهزيمة الداخليَّة يومًا بعد يوم.

QaradawiBooks.com

وفي مؤتمر الفقه الإسلامي الَّذي عقد بعد ذلك بالرياض، أجمع المؤتمرون، من علماء الفقه، ورجال القانون والاقتصاد على أنَّ الفوائد أو أي أرباح محددة تشترط سلفًا ـ هي من الربا المحرم في الإسلام تحت أي اسم كانت، ولم يقف الأمر عند هذا الحل، فبدأ الفكر الإسلامي بإيجاد البدائل الشرعيَّة للبنوك الرِّبويَّة، وبدأت المصارف الإسلاميَّة تظهر إلى حيز الوجود، وتثبت وجودها رغم العوائق والصعوبات.

ومن هنا أقول: إنَّ موقف الاقتصاد الإسلامي من الفوائد قد أصبح واضحًا وحاسمًا، ولله الحمد، وهو المنع والتحريم. ثم إيجاد البديل العملي. وهو المصارف الإسلاميَّة.

أمَّا قضيَّة التأمين، فلا تزال بين أخذ ورد، وجذب وشد، وقد كتبت فيها بحوث عديدة، ما بين مترخص ومتشدد.

والذي أقوله بإيجاز دون الدخول في التفصيلات: إنَّ التأمين على الأشياء كالسيارات ونحوها أقرب إلى الحِلّ.

وأمَّا التأمين على الحياة فأقرب إلى الحرمة. وأولى من هذا وذاك، أن نضع نحن لأنفسنا أنظمة مستقلة، خالية من الربا والميسر، مستفيدين ممَّا تحققه الزكاة عن طريق «سهم الغارمين»، وممَّا يحققه الإسلام من تكافل اجتماعي شامل.

وعندنا من الكفايات الفقهية والاقتصاديَّة والفنية ما يمكننا من إيجاد البديل الإسلامي عن التأمين، كما وجدنا البديل عن البنوك التجارية الرِّبويَّة.

ومن هنا أقول: إنَّ المرحلة الخامسة الَّتي انتهى إليها الفكر الإسلامي اليوم هي مرحلة «إيجاد البدائل الشرعيَّة» للمؤسسات الاقتصاديَّة المحرَّمة أو المشوبة بالتحريم.

QaradawiBooks.com

وقد بدأنا هذا بعدد من البنوك الإسلاميَّة، وبشركات الاستثمار والمضاربة الإسلاميَّة، والتكافل أو التأمين الإسلامي. وهي تنمو يومًا بعد يوم. والحمد لله.

* ما الَّذي ترونه لنجاح رسالة «البنوك الإسلاميَّة» في إرساء قواعد الاقتصاد الإسلامي، وخصوصًا بلورة المبدأ الإسلامي القائل: بأن للمال وظيفة اجتماعيَّة؟

ـ أرى أن ممَّا يعين على نجاح «البنوك الإسلاميَّة» في رسالتها الجليلة لإرساء قواعد الاقتصاد الإسلامي، ولا سيما لتوظيف المال لخدمة المجتمع عدة أمور:

١ ـ على البنوك الإسلاميَّة أن تُوعِّي جماهير المسلمين بحقيقة رسالة «البنوك الإسلاميَّة»، وأنَّها تمثل التحرر الحقيقي من بقايا التبعية، والخضوع للاقتصاد الاستعماري الرأسمالي الغربي، الَّذي فرض على بلادنا نظام البنوك الرِّبويَّة، وتركها من بعده تحمل فكرته، وتنفذ خطته، وهي في الوقت نفسه تمثل تجسيدًا حيًّا ليقظة الأمة الإسلاميَّة، وتثبت أن لها وجودًا إسلاميًّا حقًّا في ذلك الميدان الَّذي هزمت فيه يومًا أمام الحضارة الوافدة، وهو الميدان الاقتصادي.

يجب أن يعي المسلمون في كل مكان أن هذه اليقظة الَّتي يقترن الوعي فيها بالعمل لها ما بعدها.

كما أنَّ الإسهام في هذه البنوك بالمال أو بالجهد أو بالفكر، عبادة وقربة، بل هو فريضة دينية، لنتحرر من رجس الربا ولعنته، ولا نأذن بحرب من الله ورسوله.

QaradawiBooks.com

وما لم ينتشـــر هذا الوعي بين الجماهير المسلمة في شتى الأقطار، فإننا نكون مقصرين.

فإذا ما انتشر هذا الوعي بين المســـلمين، فإن كل مسلم سينظر إلى البنك الإسلامي كما ينظر إلى المســـجد، من حيث إنَّه يحبه بل يقدسه، ويحرسه، ويحرص على بقائه وروائه أكثر من حرصه على بيته.

٢ ـ على البنوك الإسلاميَّة أن تستخدم أحدث أساليب العصر، لإنجاز معاملات النـــاس، وتوفير الوقـــت والراحة لهم، حتَّى يفهـــم الناس أنَّ الارتباط بتعاليم الإسلام ليس عقبة في ســـبيل التقدم. بل الإسلام يريد من أبنائه دائمًا الأخذ بـ «التي هي أحسن»

والإسلام لا يمنع اقتباس هذه الأساليب من أي بلد، وأي نظام، فإن الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها.

٣ ـ على البنوك الإســـلاميَّة أن تهتم غاية الاهتمام بالعنصر البشري، الَّذي يجسم التجربة للناس، فلا تقع فيما تقع فيه المؤسسات الأخرى من حيث الخضوع للأهواء والمحســـوبيات في تعيين المديرين والموظفين، الَّذين لا يعرفون من الإســـلام إلَّا اســـمه، ولا يؤمنون بفكرة المصارف الإســـلاميَّة ورســـالتها. ولا يطبقون الإســـلام فـــي حياتهم الشـــخصيَّة، ولا الأســـرية. ولم يكلفوا أنفسهم أن يفقهوا شـــيئًا عن الإسلام، ونظامه الاقتصادي، ومعاملات البنوك في ضوء الشريعة على وجه الخصوص.

إنَّ على البنوك الإســـلاميَّة من أوَّل الأمر أن تحســـن الاختيار، وأن تنتقي لجهازها الإداري والفني أفضل العناصر من ناحية الكفاية والمقدرة الفنية، ومن ناحية الالتزام بالإسلام وقيمه الخلقية، كما وجهنا إلى ذلك القرآن: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

QaradawiBooks.com

فالقوة تمثل جانب الكفاية والخبرة. والأمانة تمثل جانب الديانة والتقوى. ولا بدَّ منهما معًا لقيام أي مؤسسة إسلاميَّة حقيقيَّة.

ولهذا يجب أن يختار موظفو البنوك الإسلاميَّة ممَّن يعون رسالتها الإسلاميَّة، ويؤمنون بها، ويكونون بسلوكهم خير عنوان لها، سواء في علاقتهم بالله، أو في علاقتهم بالناس. وأن تقيم لهم دورات تفقيه وتثقيف ما بين الحين والحين.

٤ ـ أن تنوع أساليبها الاستثمارية، فلا تقف عند الاستثمارات القصيرة الأجل، ولا تسجن نفسها داخل ذلك «القمقم» الرهيب، المعروف باسم «المرابحة»، وأن تخرج إلى باحة المشاركات والمضاربات الشرعيَّة، وأن تقوم بدور فعال في تنمية المجتمع الَّذي تقوم فيه، فتنشئ الشركات، وتقيم المؤسسات، وتدخل ميادين الزراعة والصناعة والتعدين، وغيرها، وأن تبذل في ذلك كل ما تستطيع حتَّى تؤدي رسالتها على الوجه المنشود.

٥ ـ أن تستوثق البنوك الإسلاميَّة من صحَّة أعمالها شرعًا، وذلك بعرضها على هيئة رقابتها الشرعيَّة الخاصة، أو على الهيئة العليا للرقابة والفتوى التابعة لاتحاد البنوك الإسلاميَّة، وذلك فيما يحدث فيه الاشتباه أو الخلاف.

وذلك حتَّى لا يشوش عليها بعض ذوي الغرض والهوى، أو بعض الموسوسين والمتزمتين من جراء الوقوع في بعض المشتبهات.

ووصيتي لهيئات الرقابة الشرعيَّة ألا تقف في فتواها عند مذهب معين، تضيق به على الناس. ففي نصوص الشريعة وقواعدها الكلية، ومقاصدها العامة، الَّتي تتجلى في ثروتنا الفقهية العريضة، منذ عهد الصحابة والتابعين ـ ما يخرج عباد الله من الضيق إلى السَّعَة، ومن العسر إلى اليسر.

QaradawiBooks.com

٦ ـ أن تعنى بالجانب الاجتماعي والثقافي، فهو جزء من رسالتها بجوار الجانب الاقتصادي؛ لذا يجب أن تعنى بصغار المساهمين وبصغار المودعين والمستثمرين، وتهتم بالفلاحين والعمال والحرفيين ونحوهم من الفئات الضعيفة في المجتمع، الَّتي بها يرزق الناس وينصرون. وأن تعنى بوضع الزكاة والمعونات والتبرعات والقروض الحسنة في مواضعها الصحيحة، وأن يكون لها دور ثقافي وتربوي إسلامي، عن طريق المحاضرات وإرسال الدُّعاة، ونشر الكتب والرسائل الإسلاميَّة وغيرها.

٧ ـ أن يكون بين البنوك الإسلاميَّة ـ مهما اختلفت البلدان الواقعة فيها ـ تعاون وتنسيق مشترك، بحيث يستفيد بعضها من خبرة بعض، ويتعلم بعضها من أخطاء بعض، ويشد بعضها أزر بعض، حتَّى يتكون منها جبهة اقتصاديَّة قويَّة، قادرة على تنفيذ المشروعات الكبرى، وعلى الوقوف في وجه البنوك الرِّبويَّة، الَّتي لن تكف عنها، وخاصَّة عندما تثبت وجودها، ويتكاثر عملاؤها يومًا بعد يوم.

وهذه هي المهمة الملقاة على عاتق «الاتحاد الدولي للبنوك الإسلاميَّة»، وهي مهمة ثقيلة يجب أنْ يعان عليها، كما يجب التوسع في إنشاء هذه البنوك، حتَّى تكون شبكة مصرفية إسلاميَّة، تشمل كل أقطار الإسلام، فضلًا عن أوربا وأمريكا وغيرهما.

وبذلك تصمد في وجه التحدي، بل تأخذ هي في التحدي.

٨ ـ يجب أن يقوم بجوار «البنوك الإسلاميَّة» مؤسسات اقتصاديَّة إسلاميَّة أخرى، تكمل دور البنوك وتساعدها، مثل شركات الاستثمار الإسلاميَّة، وسوق الأوراق المالية الإسلاميَّة.

QaradawiBooks.com

وهذه كلها من لوازم قيام اقتصاد إسلامي متكامل. وقد قرّر فقهاؤنا: أنَّ ما لا يتم الواجب إلَّا به، فهو واجب، وقد بدأ الوعي الإسلامي في هذا المجال يؤتي أكله، فظهرت عدة مؤسسات إسلاميَّة، مثل: الشركة الإسلاميَّة للاستثمار الخليجي، وما قدمته من مضاربات، وشركة ارينكيو، وابن سينا للخدمات الطبية، وغيرها.

ونرجو أن ينمو هذا الاتِّجاه ويتصاعد، حتَّى ينبثق من خلال هذه الألوان والأنواع «عملة إسلاميَّة» مشتركة، لتقف بقوَّة أمام العملات العالميَّة.

والحمد لله الَّذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

شاهد على العصر
(الحلقة الأولى)

في لقـــاء أجرته إذاعة جمهوريَّـــة مصر العربيَّة مع الأســـتاذ الدكتور يوســـف القرضاوي وأذاعته من خلال برنامج «شـــاهد على العصر» في حلقتين: أولاهما في مســـاء الأحد الموافق للثالث عشـــر من شهر ربيعٍ الأوّل ١٤٠٧هـ الموافق ١٦ نوفمبر ١٩٨٦م. والثانية في الأحد التالي.

في هذا اللقاء دار الحوار صريحًا حول كثير من المســـائل الَّتي تُهِمُّ المسلمين وتشغل أفكارهم في مشارق الأرض ومغاربها.

وقدَّم الإذاعي الكبير الأديب الشـــاعر الأســـتاذ عمر بَطِّيشـــة مُقَدِّم البرنامج الحلقة الأولى من الحوار بقوله:

أيُّها الأصدقاء، يتساءل بعض المراقبين عن حقيقة الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة، ويختلفون حـــول تقييمها، وترتبط معظم التســـاؤلات حول مواجهة الإســـلام بتحديات العصـــر، والمواقف الجديدة في السياســـة والاقتصاد والمجتمع.

لذلك نطرح اليوم تســـاؤلاتٍ تدور حول: قضايا السلفيَّة والتجديد، والأصالـــة والمعاصرة، والوَحْـــدة والتفرُّق، والغزو الفكـــري والثقافي، والدعوة الإسلاميَّة خارج الأُمَّة الإســـلاميَّة. وكلُّها تساؤلات نُقَدِّمها إلى

QaradawiBooks.com

شاهدنا على العصر اليوم، وهو أحد أعلام المُجَدِّدين في الفكر الإسلامي المعاصر، وقد وُصِفَ بأنَّه من المُتَمَيِّزين بالاعتدال بين محكمات الشرع ومقتضيات العصر.

ولد عام ١٩٢٦م وحفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة من عمره، وأكمل تعليمه في معاهد الأزهر الشريف حتَّى حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٣م، وكان موضوع رسالته عن «الزكاة وأثرها في حلِّ المشكلات الاجتماعيَّة».

له أكثر من خمسة وثلاثين مؤلَّفًا[١]، تُرجم الكثير منها إلى عددٍ من لُغات المسلمين وبعض اللغات العالميَّة، كما طُبع معظمها مرَّات عديدة. كما شارك في معظم المؤتمرات والندوات والملتقيات الإسلاميَّة على امتداد العالم الإسلامي، ولنا معه حوار نرجو أن يُقَدِّم لنا فيه شهادة على العصر.

المحاور: الداعية الإسلامي الكبير فضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي عميد كُلِّيَّة الشريعة بقطر، أهلًا بكم.

الحقيقة هي تساؤلات عديدة تلك الَّتي جاءت في المُقَدِّمة الَّتي قلتُها الآن، ولكنَّنا نُرْجِئها إلى أن نستمع من فضيلتكم أوَّلًا إلى مجمل رؤيتكم العامَّة لهذا العصر، وأهمُّ الظواهر والمُتَغَيِّرات والملامح الَّتي ترصدونها فيه، وأهمُّ ملاحظاتكم عنه.

فضيلة الشيخ القرضاوي: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(١) نحو مائتي كتاب الآن.

QaradawiBooks.com

(وبعد)

فإنَّ الشهادة في نظري كمسلم توجب على الشاهد أمورًا، من هذه الأمور: أن يأتي الإنسان بالشهادة على وجهها، كما يقول القرآن الكريم.

ثم الشهادة يجب أن تكون مُنْصفة عادلة، لا يميل الإنسان فيها إلى أحد، ولا يمنعه من العدل حبٌّ ولا بغض، كما في القرآن الكريم: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٨].

الشهادة هذه صفة من صفات المسلم: أن يكون قائمًا بالشهادة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٣].

وأن يقوم بها مخلصًا لله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢].

ومن هنا كان مطلوبًا من الإنسان إذا شهد أنْ يشهد بحَقٍّ وعدلٍ، وخصوصًا إذا شهد على العصر، فهو لا يشهد في قضيَّة جزئيَّة بين فردين، أو بين زوج وزوجته، إنَّه يشهد على «العصر»، ومن هنا كانت المسؤوليَّة كبيرة.

وقد وصف الله هذه الأُمَّة بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فأرجو أن تكون شهادتي من النوع الَّذي يُرضي الله تبارك وتعالى.

المحاور: إن شاء الله ونحن سعداء بهذه المقدمة الَّتي تُعَمِّق خطَّ البرنامج وفكرته، وهذا يُشَرِّفُنا كثيرًا ويُسْعِدُنا أيضًا.

إذن ننطلق مع العالم الكبير الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي إلى الرؤية العامَّة والمجملة لهذا العصر.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: هذا العصر شـــهدنا فيه تغيُّرات كثيرة، وكثيرة جدًّا، بل هو عصر التغيُّرات الســـريعة والمفاجئة الَّتي لم تكن تخطر ببال أحد، شـــهدنا تغيُّرات في مجال العلم، ثورة التكنولوجيا، العلم الَّذي غزا الفضاء، عصر الصناعة الثاني، كان هناك عصر الصناعة الأوَّل وهو الَّذي تُوَفِّر فيه الآلة الجهد البدني للإنسان، الآن نحن في عصر الصناعة الثاني الَّـــذي توفِّر فيه الآلة الجهد الذهني للإنســـان، عصر «الكمبيوتر».

نعم، هي الثورة الصناعيَّة الثانية، شهد عصرنا هذه الثورة العلميَّة في مجالات الفضاء والكمبيوتر، والثورة البيولوجيَّة وعلوم المستقبل، الثورة في علوم الحياة، الهندســـة الوراثيَّـــة، تَحَكُّم في الجينـــات وفي جنس الجنين، أشياء أصبحت هائلة ـ هذا ما شهدناه ـ وإذا كان لي من ملاحظة على ثورة العلم في عصرنا فهنا أقف وَقْفَتَيْن:

الوقفة الأولى: أنَّ العلم أوَّل ما ظهر كان يبدو منافيًا للدِّين؛ لأنَّه ظهر في الغرب ـ في أوربا ـ وكانت أوربـــا في وقت من الأوقات ـ في عصر محاكم التفتيش وغيرها ـ تقف الكنيسة ضدَّ أيِّ مكتشفات أو مخترعات أو تُقَدُّم فكريٍّ، باســـم الدِّين للأســـف. فلما انتصر العلم كان في ظاهر الأمر أنَّه انتصار على الدِّين.

والواقع أنَّه لم يكن انتصارًا على الدِّين من حيث هو دين، ولكن كان انتصارًا على الكنيسة الغربيَّة ورجالها! فأخذ العلم في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر موجة أنَّه مناوئ للدِّين.

جاء القرن العشـــرون، فإذا بالعلم يســـير في مســـار المواكبة للدِّين والتأييد للدِّين، وهذا مكســـب كبيـــر لنا نحن الَّذين نـــرى أنَّ الدين هو

QaradawiBooks.com

جوهر الوجود وسرُّ الحياة. ولا قيمة للوجود، ولا للحياة، ولا معنى لها إذا لم يكن هناك دين، ولم يكن هناك إلٰه، ولم يكن هناك آخرة.

العلم إذنْ أصبح في صفِّ الدِّين، وأصبح يدعو إلى الإيمان. وهذه ملاحظة أولى على هذه الثورة العلميَّة الضخمة الَّتي حدثت في هذا العصر.

الملاحظة الثانية: الملاحظة الأولى كانت سارَّة، أمَّا الملاحظة الثانية فهي مؤسفة ومحزنة، وهي أنَّنا ـ نحن المسلمين، نحن العرب ـ ما موقفنا من هذه الثورة العلميَّة؟ وما موقفنا من هذه الآفاق؟ لا زلنا للأسف عالةً على غيرنا. مع أنَّ العلم عندنا عبادة، نحن المسلمين، والتفكير ـ كما يقول العقَّاد رَحِمَهُ اللَّهُ: هو فريضة إسلاميَّة. نحن نتعبد بالعلم (نعتبر العلم عبادة)، والمنهج العلمي التجريبي الَّذي عرفه الغربيون أساسًا اقتبسوه من الحضارة الإسلاميَّة، اعترف بهذا كثيرون، مثل: بريفولت ودرايبر وجوستاف لوبون، وجورج سارتون، وغيرهم.

وأخيرًا، رجاء جارودي، الَّذي اهتدى إلى الإسلام، هؤلاء اعترفوا بأنَّ المنهج التجريبي الاستقرائي، هذا منهج إسلامي أُخِذَ من الحضارة الإسلاميَّة.

فرانسيس بيكون ـ الَّذي يعتبر أبا الفلسفة التجريبيَّة، وقبله سَمِيُّه روجر بيكون، هؤلاء كانوا تلاميذ الحضارة الإسلاميَّة، وكانوا رسل الحضارة الإسلاميَّة العربيَّة إلى الغرب، وكانت الحضارة الإسلاميَّة هي حضارة العلم في العالم كلِّه. وكانت اللغة العربيَّة هي لغة العلم لعدَّة قرون، وكانت المراجع العلميَّة هي المراجع الإسلاميَّة المكتوبة بالعربيَّة في الطب والفيزياء والكيمياء والتشريح والفَلَك، إلى آخره.

QaradawiBooks.com

والأعلام والأسماء العربيَّة مثل: ابن رشد، ابن سينا، الرازي، البيروني، الزهراوي، وابن الهَيْثم، وابن النَّفِيس، وغيرهم. هذه الأسماء كانت أسماء عالميَّة، لم تكن مجرد أسماء إسلاميَّة أو عربيَّة، فللأسف نحن في عصرنا هذا ننظر إلى الماضي يوم كُنَّا قادة الدُّنْيا في الجانب العلمي في كل ناحية من النواحي، ولم يكن هناك انفصال بين العلم والدِّين قطُّ.

ابن رشد الفقيه القاضي صاحب كتاب «بداية المجتهد» في الفقه، هو صاحب «الكُلِّيَّات» في الطبِّ، الَّذي أصبح مرجعًا في الغرب بعده لعدَّة قرون، وهو نفسه أكبر شارح لأرسطو في الفلسفة للغرب، وكان هو مرجع الغربيِّين، ومن خلاله تعرَّفوا على فلسفة أرسطو (وهو أعظم فلاسفة المسلمين على الإطلاق، في نظر بعض مُؤَرِّخي الفكر).

ولم يكن عندنا نحن المسلمين انفصالٌ بين العلم والدِّين، ولم يكن هناك شيء اسمه ديني وشيء غير ديني، أعني هذا التقسيم الَّذي نعرفه في عصرنا هذا، هناك تعليم ديني وتعليم غير ديني، ورجل دين ورجل غير دين. هذا تقسيم غير معروف عند المسلمين، العلم كلُّه ديني، والنَّاس كلُّهم رجالٌ لدينهم، ليس هناك طبقة معيَّنة ـ كهنوتيَّة أو إكليروس ـ هناك متخصِّص في علم الدين، كما أنَّ هناك متخصصًا في علم الطبِّ، وهذا التخصُّص تفرضه طبيعة الحياة ويفرضه الإسلام نفسه، لا بدَّ في كلِّ فنٍّ من الفنون وفي كلِّ علمٍ من العلوم أن يوجد المختصُّون والخبراء: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

هذا في كلِّ فنٍّ وفي الدِّين أيضًا: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢]، القرآن قال

QaradawiBooks.com

هذا حينما نفر المسلمون كلُّهم للجهاد، وإذا نفر الجميع للجهاد فمن يُعَلِّم النَّاسَ أو يُفَقِّههم؟

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾.

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢].

فهاتان ملاحظتان على عصرنا بالنسبة للتطوُّر العلمي الضخم الَّذي شهده عصرنا.

ومن الأشياء الَّتي لاحظناها في هذا العصر على المستوى العالمي سقوط الخلافة الإسلاميَّة.. نحن لم نشهد يوم سقوط الخلافة، ولكن شهدنا آثارها، قرأنا شوقي وهو يرثي الخلافة فيقول مخاطبًا لها:

عَادَتْ أَغَانِي الْعُرْسِ رَجْعَ نُوَاحِ! ونُعِيتِ بَيْنَ مَعَالِمِ الْأَفْرَاحِ!
كُفِّنْتِ فِي يَوْمِ الزِّفَافِ بِثَوْبِهِ وَدُفِنْتِ عِنْدَ تَبَلُّجِ الْإِصْبَاحِ[1]!

المحاور: عندما تُوُفِّيَ أمير الشعراء سنة ١٩٣٢م كان عند فضيلتكم ستُّ سنوات فقط.

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم، ولكن قرأنا شوقي بعد ذلك، وعشنا معه أيَّام المسلمين، ومآسي المسلمين، فسقوط الخلافة الإسلاميَّة كان من أبرز الأحداث؛ لأنَّه على رغم ما كان على الخلافة العثمانيَّة من مآخذ، وما فيها من نقاط ضعفٍ كانت تُمَثِّل آخر تجمُّع للمسلمين تحت راية العقيدة.

كان المسلمون يُكَوِّنون أُمَّة ضخمة تمضي تحت راية الإسلام، ولم يحدث بعد ذلك أن تجمع المسلمون تحت رايةٍ واحدة، مع أنَّنا نجد

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١/١٠٥، ١٠٦).

QaradawiBooks.com

هناك كُتَلًا ضخمة تحت عناوين شَـتَّى: قوميَّة أو مذهبيَّة، أو غير ذلك، ولكن فقد المسلمون بفقد الخلافة الهُوِيَّة الإسلاميَّة الجامعة.

المحاور: هذا، وإنَّنا في عصر التكتُّلات والتجمُّعات الكبرى في العالم.

فضيلة الشـيخ القرضاوي: نحن فـي عصر التجمُّعـات والتكتُّلات الكبرى، ولكنْ لا يراد للمسـلمين وحدهم أن يتكتَّلوا ويتجمَّعوا ليظلُّوا أممًا شتَّى ودولًا شتَّى، نحن المسلمين ـ كما أمرنا الله ـ أُمَّة.

القرآن يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمـران: ١١٠]، ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [المؤمنـون: ٥٢]. فهي «أُمَّة»، ولكن الاسـتعمار والقوى المعادية للإسـلام أرادتنا أن نكون «أُمَمًا» يُجَافي بعضنا بعضًا، وربَّمـا يُقاتل بعضنا بعضًا، نتقاتل أحيانًا على حدود سياسيَّة!

أتعجَّب حينما أنظر في الخريطة العالميَّـة، فأجد دولًا ضخمة على مساحة الخريطة، ثمَّ أنظر في الدول الإسـلاميَّة، فأجد دويلات لا تكاد تراها على الخريطة؛ تحتاج إلى مِجْهَر حتَّى تراها!

ما الَّذي مزَّق هذه الدول؟

بعض النَّاس قال: كيف انتصرت إسرائيلُ عليكم وأنتم كذا وأربعون دولة أيُّها المسلمون؟!

قلتُ: إنَّهـا انتصرت لأنَّنا كـذا وأربعون دولة! لو كُنَّـا دولةً واحدة ما استطاعت أن تنتصر علينا.

ليس المهمُّ هو الكثرة، إنَّ رسولنا ﷺ حذَّرنا من عصرٍ نكون فيه كثرةً كغثاءِ السَّـيْل. الكثرة الغثائيَّة، وغثاء السيل هو ما يحمله السيل من قشٍّ

QaradawiBooks.com

وحطب وورقٍ وأشياءَ غير متجانسة، أشياء خفيفة سطحيَّة، وليس بينها تجانس، وليس لها هدف؛ لأنَّ السَّيْلَ ليس له مجرى معلوم كالنهر، النهر له منبع ومجرى ومصبٌّ، أمَّا السَّيْل فلا تعرف أين يتَّجه.

فحينما تكون الأُمَّة في المرحلة الغثائيَّة تكون هذه قيمتها، فلا يُهِمُّ الكثرة وحدها.

نحن المسلمين حوالي ألف مليون ـ أعني مليارًا ـ بل أكثر، من الناحية العدديَّة، كمٌّ كبير، ولكنَّه كمٌّ بلا كيف، كثرة كغثاء السيل كما جاء في الحديث الَّذي رواه أحمد وأبو داود: «**ولينزعنَّ اللهُ من صدور عَدُوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوهن**». قالوا: وما الوهن، يا رسول الله؟ قال: «**حبُّ الدُّنْيا وكراهيةُ الموت**»[١].

الصحابة يسألون عن الوهن، لا يسألون عن معناه اللُّغَوي، فمعناه اللُّغوي معروف أنَّه الضعف، إنَّما يسألون عن عِلَّته، عن سرِّه، عن سببه.

نحن كثرة، فما الَّذي يجعل عدوَّنا يتجرَّأ علينا، وينتزع المهابة منا؟

المسلمون الأوائل كانوا يُنْصَرُون بالرُّعْب مسيرة شهر، كان خالد بن الوليد حينما يكتب إلى الأكاسرة والقياصرة وهؤلاء النَّاس يختم رسائله بهذه الكلمة: وإلَّا غزوتُكم بقومٍ يُحِبُّون الموت كما تُحِبُّون الحياة[٢]. فأمَّا إذا ركن النَّاس إلى الدُّنْيا، وكرهوا الموت، وأحبُّوا الحياة، وأخلدوا إلى الأرض، فلن يُخيفوا عدوًّا، ولن ينصروا صديقًا.

---

(١) تكملة الحديث السابق.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في التاريخ (٣٤٤١٧)، وأبو يعلى (٧١٩٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٨): رواه أبو يعلى وفيه مجالد وهو ضعيف وقد وُثِّق. عن الشعبي مرسلًا.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فالمهم أنَّنا ـ نحن المسلمين ـ فقدنا هذا التجمع والتكتُّل في عصر هو عصر التجمُّعات والتكتُّلات، أنواع شتَّى من التجمُّعات والتكتُّلات، بعضها عسكري، وبعضها سياسي، وبعضها دِيني، وبعضها اقتصادي، وبعضها ثقافي، أنواع. حتَّى المختلفون قديمًا أصبحوا الآن يتقاربون فيما بينهم.

اليَهوديَّة والنَّصرانيَّة منذ قرون عديدة كان بينهم خلافات وصراعات، واليَهوديَّة مُتَّهمة بقتل المسيح والتآمر عليه، أخيرًا رضوا أن يوجدوا بينهم شيئًا من التقارب والوفاق، وأصدر الفاتيكان وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح.

سياسة الوفاق المعروفة بين المعسكر الرأسمالي والمعسكر الشيوعي، أو المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي.

ما بالنا نحن المسلمين لا يُراد لنا أن نتقارب أو نجتمع، أو يكون لنا هدفٌ مرسوم؟ هذا للأسف من كيد أعدائنا من ناحية، ومن ضعف أمرنا من ناحية أخرى.

المحاور: سيادتكم تقولون: «لا يُرَاد لنا» وكأنَّ أمرنا معلَّق بإرادة الآخرين، وهذا أحد العلل الَّتي نشكو منها: أنَّنا نَكِلُ أمرَنا دائمًا إلى الآخرين، لماذا لا يكون الزمام في أيدينا؟ هذا هو السؤال؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذا في الواقع كلام طيِّب جدًّا، وأنا كتبتُ هذا في بعض ما كتبتُ، قلتُ: إنَّنا كثيرًا ما نُعَلِّق كُلَّ أوزارنا وكل أخطائنا وكل تقصيرنا على غيرنا، وأحيانًا نقول: إنَّه خُطِّط لنا، والقوى الأخرى خطَّطت لنا: اليَهوديَّة العالميَّة، والاستعمار العالمي، والشُّيوعيَّة العالميَّة، وكذا وكذا، وكأنَّنا ـ كما ذكر بعضهم ـ أحجارٌ على رقعة الشِّطْرَنج! وكأنَّه لا إرادةَ لنا ولا اختيار.

QaradawiBooks.com

الحقيقة أنَّه لا بدَّ أن نُفَرِّق بين أمرين، لأنَّنِي في الحقيقة منهجي في الحياة دائمًا هو المنهج الوسط، هناك أناس يُهَوِّلون من أمر القوى الخارجيَّة وتأثيرها، بحيث نبدو نحن وكأنَّنا لا اختيار لنا قطُّ، كأنَّنا مُسَيَّرون لا مُخَيَّرون! وهذا نوع من الجبريَّة السياسيَّة كالجبريَّة الدِّينيَّة، ففي العقائد هناك أناس يُسمُّونهم «الجبريِّين»، وهم الَّذين يقولون: إنَّ الإنسان لا إرادة له، وأنَّه مُسَيَّرٌ لا مُخَيَّر، وهو كالرِّيشة في مهبِّ الرِّيح. وهناك أيضًا جبريَّة سياسيَّة أي تجعلنا ليس لنا أيُّ إرادة، القوى الخارجيَّة هي الَّتي تُسَيِّر أمورنا كلَّها ولا نملك أيَّ قرار. وهذا تهويل.

أيضًا بعض النَّاس يقول: لا، ليس هناك أيُّ قُوى، ونحن الَّذين نصنع مصيرنا بأيدينا، والواقع أن هناك فعلًا تأثيرات خارجيَّة تُؤَثِّر على كثيرٍ من أمورنا، وتضغط علينا أحيانًا ضغوطًا علنيَّة، وأحيانًا ضغوطًا خَفِيَّة، ولها أصابع تلعب من وراء ستار حينًا، وتلعب على المكشوف حينًا آخر. لا ننكر هذا، والأدلَّة على هذا كثيرة، ولكن نظلُّ نحن المسؤولين، وحتَّى هذا نحن مسؤولون عنه كذلك.

لماذا يُخطِّط الآخرون لنا، ولا نُخَطِّط لأنفسنا؟!

إلى متى نظل نقول: القُوَى المعادية خطَّطت لنا؟

لماذا نظلُّ نحن ضحايا مُخَطَّطات الغَيْر ولا نُخَطِّط لأنفسنا؟!

فنحن مسؤولون أيضًا.

وهنا في الواقع ـ في موضوع المسؤوليَّة هذا ـ أمرٌ هو أحد سلبيَّاتنا: أنَّنا عادة كُلُّ واحد يحاول أن يرمي الحِمْل على غيره، حينما تسأل: ما السبب فيما نحن فيه من تَخَلُّف؟ ما السبب فيما نحن فيه من خلل

QaradawiBooks.com

اقتصـــاديٍّ أو اجتماعي، أو خلل أخلاقـــيٍّ أو سياســـي؟ فبعض النَّاس يُحَمِّلون المســـؤوليَّة على الحُـــكَّام، وبعضهم يلقون المســـؤوليَّة على العلماء، وبعضهم يقول: المسؤوليَّة على القُوَى الخارجيَّة.

والواقع أنَّ الكُلَّ مســـؤول، ويجب أن يتحمَّل كلٌّ مسؤوليَّته، وكما جاء في الحديث المشـــهور عن النبيِّ ﷺ: «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته**»[1]. فالكلُّ مسؤول، وإن كانت المسؤوليَّة تتفاوت.

أضرب لك مثلًا: بعض العلماء والدُّعاة في يومٍ من الأيام كان يُكَلِّم بعض النَّـــاس، فقال له أحـــد الحاضرين: صار لكم أربعون ســـنة وأنتم تتكلَّمون، فماذا عملتـــم؟! فـــكان ردُّه: وأنتم لكم أربعون ســـنة وأنتم تسمعون، فماذا عَمِلْتُم؟!

نعم، ردٌّ مُفْحِم، فلماذا نجعل المُتَكَلِّم عليه مســـؤوليَّة والسامع ليس عليه مسؤوليَّة؟ أصبحنا شريكَيْن معًا، ومن هنا فإنَّ الكلَّ عليه المسؤوليَّة.

من الأحداث المُهِمَّـــة الَّتي حدثت في هذا العصـــر: أنَّ هذا العصر حدث فيه تغيُّر بين أوائله وأواخره، نحن الآن على مشارف القرن الحادي والعشـــرين، في أوائل هذا القرن كان هناك انحســـار في جانب التديُّن، وانحســـار نحو الجانب الإســـلامي وبخاصَّة الجانب الفِكْـــري، فالغزو الفكري عمل عمله، خطورة الاســـتعمار ليس في احتلاله الأرض فقط، احتلال الأرض ليس مشـــكلة؛ لأنَّه لا بدَّ أن يأتي يوم يجلو عن الأرض ويحمل عصاه ويرحل عـــن الديار، إنَّما الخطـــورة حينما يحتلُّ الأنفس والعقـــول، خصوصًا أنَّ احتلال الأرض أمرٌ حِسِّـــي يُشَـــاهَد فيُقَاوَم، أمَّا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاستقراض (٢٤٠٩)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

احتلال العقل، فأمرٌ معنوي، لا يُلْمَسُ ولا يُحَسُّ، ولذلك أحيانًا تتبعه وأنت راضي النفس، وأنت مختار، ويُخَطِّط لك وأنت تمشي وراءه، وهذه هي الخطورة، أن يفتنك عن نفسك.

ولم يكن في المقابل ـ من الناحية الإسلاميَّة ـ لم يكن هناك إمكانات تقابل هذا الغزو في أوَّل الأمر. أستطيع أن أقول: إنَّه كان هناك انحسار حتَّى إنَّه في وقتٍ من الأوقات لم تكد ترى من المُتَدَيِّنين إلَّا القليلين، كبار السنِّ والعجائز من النَّاس. الإنسان بعد أن يُحال إلى التقاعد يذهب إلى المسجد، يُفَكِّر في الصلاة وفي التوبة، يُفَكِّر في الحج والعمرة، يقرأ بعض الكتب الدِّينيَّة.

الآن نجد الأمر تغيَّر، نحن في عصر الصحوة الإسلاميَّة الَّتي أشرتَ إليها في مقدّمة هذا البرنامج النافع إن شاء الله، عصر الصحوة الإسلاميَّة نحن نعيشه الآن، الانبهار الَّذي حدث من قبل بالحضارة الغربيَّة بدأ ينقشع لأسبابٍ كثيرة، من هذه الأسباب: أنَّ الحضارة الغربيَّة جاءت من المُسْتَعْمِر فتحرَّرنا مع المستعمر، فبدأنا نتحرَّر من آثاره الفِكْريَّة والاجتماعيَّة والتشريعيَّة، إلى آخره.

من ناحية أخرى: في أوج الحضارة الغربيَّة لم يكن يظهر فيها عيوب، كانت عيوبها مُغَطَّاة بالجوانب الكثيرة الحسنة فيها، الآن بدأت عيوبها تنكشف حتَّى للمُفَكِّرين من أهلها، وللنُقَّاد منها.

وجدنا أناسًا كثيرين من مُفَكِّري الغرب ينقدون الحضارة الغربيَّة مثل شبلينجر وتوينبي ـ المُؤَرِّخ الشهير في كتاباته ـ وألكسيس كاريل... الكثيرون من نُقَّاد الحضارة الغربيَّة حتَّى رجاء جارودي أخيرًا.

QaradawiBooks.com

الحضارة الَّتي تنفق عشرات المليارات على السلاح، على حين هناك مليارات من البشر، لا تجد القُوت، ولا تجد الدواء. هذه ليست حضارة، وكما قال أحد المُفَكِّرين الشرقيِّين لفيلسوف غربي: إنَّ الحضارة الغربيَّة استطاعت أن تجعل الإنسان يُحَلِّق في الهواء كالطير، ويغوص في البحر كالحوت، ولكنَّه لم يحسن أن يمشي على الأرض كإنسان.

المهمُّ الجانب الإنساني في الحضارة، أين الإنسان؟!

ولذا ثار عليها أهلُها أنفسُهم، ما نسمعه وما نقرؤه وما نراه من الشباب الغربيِّين الَّذين يتسمَّوْن الخنافس أو الهيبيز أو العُراة، أو غير ذلك. الَّذين نراهم يخرجون إلى البراري حُفَاة، بالملابس المُمَزَّقة، تركوا حياة الأزرار والأتوماتيك، تركوا هذا كلَّه ويعيشون في الصحراء، ويَحْيَوْن حياة بدائيَّة، لماذا؟!

الحياة المرفَّهة الأتوماتيكيَّة هذه لم تُشبع نَهَمَهم الرُّوحي، لم تملأ فراغهم العقائدي، لم تَحُلَّ المشكلات الفِكْريَّة عندهم، لم تُجِبْ عن الأسئلة الخالدة الَّتي يُفَكِّر فيها الإنسان وفي أجوبتها دائمًا: من أين؟ وإلى أين؟ ولِمَ؟

من أين جئتَ وجاء هذا العالم من حولي؟ وإلى أين أذهب بعد أن أعيش أيامًا تطول أو تقصُر؟ وبين الحياة والموت: لماذا أعيش؟ وما هي رسالتي؟ هل أنا جئت لمجرَّد أن آكُلَ وأشرب، وألهو وألعب؛ أنا تراب! جاء من تراب، ويمشي على التراب، وينتهي إلى التراب؟!

قصَّة الحياة هي كلُّها: «أرحام تدفع، وأرض تبلع»، ولا شيءَ وراء ذلك، ﴿نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤]. كما قال الدهريُّون قديمًا.

QaradawiBooks.com

هؤلاء ثاروا على هذه الحضارة، أبناؤها ثـاروا عليها وتمرَّدوا على آليَّتها؛ لأنَّهم لم يشعروا بالسعادة، إنَّهم يحتاجون إلى شيءٍ آخر، يُحِسُّون به، وإن لم يعرفوا ما هو!

والواقع أنَّ الَّذي يملك هذا الشيء الآخر الَّذي يملأ الفراغ الرُّوحي والفكري عند الإنسـان، ويعطيه الأجوبة عن الأسـئلة الَّتي يسألها، هو الإسلام، الَّذي يعطي الإنسان الآخرة ولا يحرمه من الدنيا: «اعملْ لدنياكَ كأنَّك تعيش أبدًا، واعمـلْ لآخرتِكَ كأنَّك تموت غـدًا»[1]. ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

الإنسـان في حاجة إلى منهـج متـوازن، المنهج الَّـذي لا يُحَطِّم خصائص الإنسان الذاتيَّة، لا يُحَطِّمها من الداخل، والَّذي يُوَفِّر له السعادة الحقَّة، ليس مُجَـرَّد منهج يُوَفِّر له المتعة ولا يُوَفِّر له السـكينة، يُوَفِّر له الرفاهية ولا يُوَفِّر له الطمأنينة القلبيَّـة. هذا هو المنهج الَّذي يحتاج إليه الإنسان في عصرنا، ولا يوجد إلَّا في الإسلام.

المحـاور: ولهذا يرصـد العالم الكبير ـ الأسـتاذ الدكتور يوسـف القرضاوي ـ صحوة إسـلاميَّة في هذا العصر، ولهذا فضيلتكم تُسَـمُّونه عصر الصحوة الإسلاميَّة؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: نعم، أنا أقول: عصر الصحوة الإسلاميَّة، وهذه الصحوة لها مظاهرها، نجد آثـار هذه الصحوة في كلِّ مكان، هي صحوة عالميَّة أولًا، وأنا أقول هذا عن شهادة فعلًا.

(١) رواه الحارث في مسنده (١٠٩٣) البغية، موقوفًا على عبد الله بن عمرو، وقد شاع بين جمهور المسلمين حتى حسبوه حديثًا، وذلك لموافقته ضمنًا للأصول الإسلامية.

QaradawiBooks.com

إذا اعتبرتني شـاهدًا في هذا العصر أقول عن شـهادة: لمستُ هذه الصحوة في مصر، ومصـر ـ كما رأيتُ ـ من أرجى بلاد الله للإسـلام، لمسـتها في العالـم العربي كلِّه، فـي الجناح المشـرقي، وفي الجناح المغربي، وجدتُ الصحوة الإسـلاميَّة في العالم الإسلامي خارج العالم العربي، بل أقول: وجدتُ هذه الصحوة خارج العالم الإسلامي، هناك في أمريكا ـ وقد زرتها أكثر من ستِّ مرَّات، وذهبت إلى أوربا مرارًا عديدة، وذهبت إلى الشرق الأقصى: وجدتُ هذا في ماليزيا، في إندونيسيا، في سـنغافورة، وفي هونج كونج، في كوريا، في الفِلِبِّيـن، في اليابان، في الجاليـات الإسـلاميَّة المختلفة الَّتي تعيـش أقلِّيَّة. ومع هـذا وجدتُ المسلمين الملتزمين بالإسلام، فهي صحوة عالميَّة.

وهي صحوة شـبابٍ أكثرُ منها صحوة شـيوخ، كان التدين قديمًا ـ كما أشـرت من قبل ـ يكاد يكون مقصورًا على العجائز والشـيوخ والكبار من النَّاس، الآن اذهب إلى المساجد تجد معظم الَّذين يؤمُّون المساجد من الشـباب الغضِّ، وأي نوع من الشـباب؟ إنَّهم الشباب المثقَّـف، معناه أنَّنـا تخلَّصنا من عقـدة النقص القديمـة: أنَّ الدِّين للمُتَخَلِّفين أو للأُمِّيِّين أو لأهل القرى، لا، أصبح الدِّين الآن للشباب المُثَقَّف، للشـباب وللشـابَّات أيضًا، تجد الآن المسلمات الملتزمات والمُصَلِّيات الصائمات المُحَجَّبات.

في وقتٍ من الأوقات ـ ولا أكتمك حديثًا ـ كان الإنسـان يمشي في شوارع العواصم الكبرى لبلاد الإسلام، فلا يكاد يجد امرأةً مُحَجَّبة.

قضيَّة المرأة كانت من القضايا الَّتي هُزمنا فيها بسرعة أمام الحضارة الغربيَّة، بعد أن كانت المعركة في أوَّل الأمر هي مسـألة سفور الوجه،

QaradawiBooks.com

أعني أنَّ المرأة تخلع النقــاب ـ النقاب فقط ـ وتخرج ســافرة، وتتعلَّم وتذهب إلى المدرسة، وتعمل إذا احتاجت إلى العمل.

في وقتٍ من الأوقــات وقف النَّاس ضدَّ هذه الأوليات، وللأســف وقف بعضهم ضدَّ هذه الأشياء باسم الدِّين، والدِّين من هذا بَرَاء، المرأة المسلمة في العصر الأوَّل شاركت في الحياة مشاركة فعَّالة سَجَّلتها كتب السُّــنَّة والسِّــيرة النبويَّة والتاريخ الإســلامي. الآن نرى في الجامعات والكُلِّيَّات والمدارس الفتيات المُحَجَّبات بالآلاف ومئات الآلاف، لهذا نحن الآن نقول: إنَّها صحوة شباب، وصحوة شابَّات.

وفي مواســم الحجِّ والعمرة تجد الآن تطوُّرًا قد جدَّ عن أيَّام زمان، في صِغَرِنــا كان الَّذين يذهبون إلى الحجِّ هم النَّــاس الَّذين يريدون أن يختموا حياتهم بحَجَّة مبرورة، ليعود أحدهم من ذنوبه كيوم ولدَتْه أمُّه، فكان الإنسان الَّذي أكل الدهر عليه وشــرب، وأصبح على حافَّة القبر، يذهب ليحُجَّ، الآن ما عادت هذه الفكرة قائمــة، معظم الَّذين يحجُّون الآن من الشباب.

إنَّها صحوة سلوك، وصحوة فكرٍ وعقل أيضًا، أصبح الشباب يريد أن يقرأ عن الإسلام، أصبح الكتاب الإســلامي هو الكتاب الأوَّل في سوق التوزيع، اذهب إلى أي معرض كتابٍ تجد الكتاب الإسلامي هو الكتــاب الأوَّل الَّذي يضرب الرقم القياســي، وهذا بشــهادة الخبراء والأرقام وشــهادة الإحصائيَّات، بل هناك في بعض البلاد الَّتي زرتها مثل الجزائر الشقيقة قالوا لي: إنَّه حين يُقام معرض يبيت الشباب عند باب المعــرض، حتَّــى إذا فُتــح في الصبــاح هجموا علــى الكتب الإسلاميَّة، فنفدت في ســاعات؛ لأنَّه تأتي أعداد محدودة من الكتب

QaradawiBooks.com

لطلبٍ غير محدود، فهي مسألة العرض والطلب. وهي مظاهر لظاهرة واحدة هي الصحوة.

ومن مظاهر هذه الصحوة: المؤسَّسات الاقتصاديَّة الإسلاميَّة، البنوك الإسلاميَّة، شركات الاستثمار الإسلامي، الشركات الَّتي تعمل في الاقتصاد الإسلامي والتأمين الإسلامي، وهذا في بلاد كثيرة.

وأيضًا في وقت من الأوقات كان يُقال: إنَّه لا يمكن أن تقام بنوك بغير فائدة، كان يُقال لنا من قبل: إنَّه لا حياة بغير اقتصادٍ، ولا اقتصادَ بغير بنوك، ولا بنوك بغير فائدة! فأريحوا أنفسكم.

كان فينا من يقول: إنَّنا لا بدَّ أن نأخذ الحضارة الغربيَّة بعُجَرِها وبُجَرِها، بخيرها وشرِّها، بحلوها ومُرِّها، ما يُحَبُّ منها وما يُكْرَه، وما يُحْمَد منها وما يُعَاب، ومن ظنَّ غير ذلك فهو خادعٌ أو مخدوع!

المحاور: هذه مدرسة قائمة في الفكر فعلًا، وما زالت موجودة للآن!

فضيلة الشيخ القرضاوي: موجودة فعلًا، ولكن كان صوتها عاليًا قبل ذلك، بل كادت تكون هي المسيطرة على التثقيف والتفكير، والمنفردة بالتأثير والتوجيه، الآن هي موجودة، ولكنَّ صوتَها أصبح ضعيفًا، وأصبحت الآن تحاول أن تتملَّق الفكر الإسلامي، وتحاول أن تُغَلِّف نفسها بغلافٍ ما، لم تعد تُصَرِّح بهذا، فهذه المدرسة موجودة، ولكن لم تعُدْ بالقوَّة الَّتي كانت عليها.

بعد هذا ـ أي بعد هذه المرحلة ـ جاءت مرحلة «التبرير»: نحاول أن نُلْبِس الخواجةَ عمامة! أعني: نحاول أن نسند الأوضاع الَّتي جاءتنا من الغرب بفتاوى شرعيَّة!

QaradawiBooks.com

بعد ذلك أصبحنا في موقف الدفـاع، أي: انتقلنا إلى مرحلة أخرى هي مرحلة الدفاع، وكأنَّ الإسلام في قفص الاتِّهام، ومُهِمَّتُنا أن ندافع عن هذا المُتَّهم!

لماذا لا نكون كالغربيِّين في كذا؟

كأنَّ الأصـل هو الغـرب وأنَّ النَّـاس جميعًا يجـب أن يكونوا في تفكيرهم وسلوكهم غربيِّين!

وإذا لم نوافق ـ نحن المسلمين ـ الغرب، فنحن محتاجون إلى حُجَّة نحتجُّ بها، وندافع بها عن أنفسنا!

كان هذا في وقتٍ من الأوقات، أسـتطيع أن أقـول: إنَّنا قد تجاوزنا هذه المراحل كلَّها، وأصبحنا الآن في مرحلة المواجهة، نقول للغربيِّين: نحن لنا حضارتنا ولكم حضارتكم، لكم دِينُكم ولنا دِينُنا، لكم عملُكم ولنا عملنا، نحن لسنا أذيالًا لأحدٍ ولا أتباعًا لأحد، نحن رؤوس لأنفسنا، بل نحن الأُمَّة المتميِّزة، نحن الأُمَّة الوسـط، نحـن الَّذين نملك منهجًا لا يملكه غيرنا، هذه هي المرحلة الجديـدة ـ مرحلة المواجهة ـ مرحلة الصحوة الإسـلاميَّة الَّتي نقولها. ولكن أنا كشاهد ـ كما قلت ـ أرجو أن أكون عادلًا.

أقول أيضًا: إنَّ الصحوة الإسلاميَّة تحتاج إلى ترشيدٍ وتسديد، ففيها فجوات، وفيهـا أخطاء، وفيهـا جوانب ضعف، يجب علـى المُفَكِّرين والدُّعاة والعلماء أن يرشـدوها، هذه الصحوة فيها من خيرِ ما أنتجه هذا العصر، ونعتبر الشباب المسلم المُتَدَيِّن هذا هو أعظم ما في بلادنا الآن، وهذا الترشيد والتسديد لا يكون باتِّهامها كما يُفَكِّر بعض النَّاس، إنَّما أن

QaradawiBooks.com

نعامل هؤلاء برُوح الأبوَّة، بوسطيَّة الإسلام، لا بإسلام الغُلاة والمُتَشَدِّدين، ولا إسلام أولئك الَّذين أيضًا يريدون أن يُحَمِّلوا الإسلام ما ليس فيه، فنحن مشكلتنا أنَّنا نقع بين طرفي الإفراط والتفريط، هذه مشكلتنا في معظم الأمور.

هناك أناسٌ يريدون باسم التجديد أن يُحِلُّوا كلَّ شيء، ويُبَرِّروا الأوضاع الَّتي جاءتنا من الغرب كما قلتُ لك، أن يُلبسوها عباءة إسلاميَّة وباسم «التجديد» وهذا ليس تجديدًا، هذا تبديدٌ وليس بتجديد!

ومقابل هؤلاء، آخرون يريدون أن يُبقوا كلَّ قديمٍ على قِدَمه، وشعارهم: ليس في الإمكان أبدع ممَّا كان! وما ترك الأوَّل للآخر شيئًا!

لا، فكم ترك الأوَّل للآخر، وهناك في الإمكان أبدع ممَّا كان، وما دام الإنسان هو خليفة الله في الأرض، وميَّزه الله بالعقل والإرادة، وآتاه القدرة على العلم والعمل والتجديد والابتكار، فنحن قادرون على أن نفعل كثيرًا، مُهِمَّة الإنسان المسلم أن يبدع ويبتكر ويُجَدِّد حتَّى في أمور الدِّين.

قامت معركة في وقتٍ ما بسببِ كلمة «تجديد الدِّين»، بعض النَّاس من تَخَوُّفه وتَحَوُّطه قال: ليس هناك تجديد في الدِّين. وقامت مناقشة بين فضيلة الشيخ الشعراوي والأستاذ أحمد بهاء الدِّين حول هذا: هل هناك تجديد في الدِّين؟ وأنا لا أرى أيَّ مانعٍ من استخدام كلمة «التجديد في الدِّين». بعض النَّاس يخاف من استخدام مثل هذه الكلمات في غير موضعها، ولكن هذا لا يجعلنا ننفي الحقائق؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ كما جاء في الحديث الَّذي رواه أبو داود وغيره قال:

QaradawiBooks.com

«**إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأسِ كلِّ مائة سنة من يُجَدِّد لها دِينَها**»[١]. فبنصِّ الحديث: إنَّ الدين يقبل التجديد، ولكنَّ المُهِمَّ أن نُحَدِّد المفاهيم ولا نتركها هلاميَّة رَجراجة، ما المقصود بتجديد الدين؟ هل معناه أنَّنا نخرج طبعة جديدة من الدين؟ لا، إنَّ الدِّين اكتمل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. وليس بعد القرآن وحي، وليس بعد مُحَمَّد ﷺ رسول، ولا بعد الإسلام شريعة.

إنَّما معنى تجديد أيِّ شيء هو أن تعيده إلى ما كان عليه، يعني: إذا كان عندنا بناء أثري ـ قصر أو مسجد ـ ونريد أن نُجَدِّده، فليس معنى أن نُجَدِّده أنَّنا نهدم البناء الأثري ونقيم مكانه عمارة شاهقة حديثة، هذا ليس من التجديد في شيءٍ، إنَّما أن تحاول أن تُرَمِّمه وتعيده إلى وضعه القديم يوم ظهر، أن تزيل عنه الصدأ والأتربة والغبار والأشياء الطارئة عليه، وإذا وَهَى شيءٌ منه تقويه، بحيث يبدو كما كان من قبل، وكذلك حينما أُجَدِّد الدِّين، أحاول أن أعود به إلى ما كان عليه في أيَّام الرسول ﷺ وأيَّام الصحابة وأيَّام كان الإسلام إسلامًا، وأيَّام كان المسلمون مسلمين، أعيده إلى نقائه الأول، إلى صفائه الأول، نعيده دينًا ميسَّرًا وميسِّرًا، دينًا يحل للناس مشكلاتهم.

المحاور: في الواقع ـ كما ذكرتم ـ هناك المُسْتَغْرِبون أو الَّذين يحاولون الاعتماد على الحضارة الغربيَّة ويصبحون تابعين لها، هذا فريق. وفريق آخر يرى أنَّ الحلَّ في اتِّباع الإسلام في فطرته الأصيلة. الآن: هناك فريق ثالث يوافق على الرأي الأخير، ولكنَّه يريد من الإسلاميِّين أن يجدوا صيغة أو تصورًا لكيفيَّة مواجهة الإسلام لقضايا

(١) سبق تخريجه صـ١٢.

QaradawiBooks.com

العصر بالتفصيل، يعني: نظرته للسياسة، الأحزاب، الاقتصاد، المجتمع، كلُّ هذه مسائل ينبغي أن تصاغ على شكل نظريَّة إسلاميَّة، ما رأي فضيلتكم في هذا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: جماعة المُسْتَغْرِبِين ومن دار في فلكهم يريدون تفصيلاتٍ لكلِّ شيء، والتفصيل في كلِّ شيءٍ ليس مطلوبًا، يعني هذا ـ عادة ـ حينما يقوم اتِّجاه يريد أن يُغَيِّر من الحياة، هذا يأتي عادة بالأصول العامَّة والخطوط العريضة، هذا ملحوظ حتَّى في الماركسيَّة، أعني أنَّ ماركس لم يأت بتفصيلات، فهذه الخطوط العريضة موجودة من ناحية. ومن ناحية أخرى أنا أقول أيضًا: حتَّى الكثير من التفصيلات موجود بالفعل، يعني الآن: إذا نظرت إلى موضوع كموضوع الاقتصاد الإسلامي، صدرت عشرات الدراسات حول الاقتصاد الإسلامي، وبعضها دراساتٌ مُتَخَصِّصة وبتفصيلاتٍ: في النقود، في البنوك، في الإنتاج، في التوزيع، في الربا، في الزكاة، في كذا وكذا. والعشرات من رسائل الدكتوراه، وهذا ليس بالأمر الصعب، وقد رأينا أناسًا كثيرين حكموا واستمرَّ حكمهم فترات طويلة، ولم يكن عندهم برامج مُفَصَّلة ولا شيء من هذا.

المحاور: إذن، ممكن الوصول إلى رؤية؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: ممكن الوصول إلى رؤية، وهنا الآن الفكر الإسلامي غنيٌّ، ويستطيع أن يُحَدِّد ملامح كثيرة، بل يمكن أن يُحَدِّد تفصيلاتٍ أكثر، وهو ليس بالأمر الصعب إذا صدقت النيَّة وصدق العزم، وكما قيل: إذا صدق العزم وضح السبيل. المهمُّ أنَّنا انتهينا من المرحلة الَّتي كان يجمد فيها الإسلام باسم أن باب الاجتهاد مغلق، أو أنَّنا لسنا

غير مرخصة للطباعة

قادرين على الاجتهـــاد. أو أنَّ الأقدمين صنعوا كلَّ شـــيء، لا، لا بدَّ أن نجتهد لعصرنا وكما قال علماؤنا: إنَّ الفتوى تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان والحال والعرف. فالآن عصرنا تغيَّر فيه شيءٌ كثير، قالوا هذا في عصور كانت رتيبة، بطيئة الحركة والتطوُّر، والأنماط تكاد لا تتغيَّر.

في عصرنا هذا الَّذي تحدَّثنا عنه في أوَّل هذا اللقاء وما فيه من تغيُّرات ضخمة أصبحت هناك أشياء جديدة لم يخطر للسابقين أمرها على بال.

هذه كلُّها تحتاج مِنَّا إلى اجتهاد، وهو ما نُسَمِّيه بالاجتهاد الإنشائي، بجوار اجتهادٍ آخر نُسَـــمِّيه الاجتهاد الانتقائـــي. أي أن ننتقي من أقوال الأئمَّة والفقهاء الســـابقين ما هو أليق بعصرنا، وأوفق بمصالحنا، وأولى بتحقيق مقاصد الشرع ومصالح الخلق.

المحاور: فضيلتكم كنتم ذكرتم أيضًا الجانب الإنشـــائي، هل لنا أن نعرف ما هو؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الجانب الإنشـــائي في الاجتهاد: ما يتعلَّق بالقضايا الجديدة الَّتي لم يعرفها فقهاؤنا السابقون، أضرب لك مثلًا في ذلك: هناك قضايـــا طبيَّة جديدة ـ مثـــلًا تتعلَّق بعلم الطـــبِّ، وكثير من الأشياء العلميَّة، مثلًا: قضيَّة زرع الأعضاء، هل يجوز زرع الأعضاء؟ هل يجوز ذلك عن طريق التبرُّع؟ هل يجوز أن يبيع الإنسان عضوًا منه؟

هناك قضايا اســـتجدَّت في هذا العصر لم يكن يعرفها السابقون من علمائنا، ولم يقولوا فيها رأيًا، فرأينا فيها رأيًا إنشائيًّا ـ أعني: ليس مجرَّد ترجيحٍ أو انتقاءٍ من آراء ســـابقة موجودة، أي: نحن نُنْشِئ شيئًا جديدًا، فهو شيء ناشـــئ عن تفكيرنا نحن في ضوء الأدلَّة الشـــرعيَّة، فهذا هو المقصود بالاجتهاد الإنشائي.

QaradawiBooks.com

المحاور: لعلَّ هذا المنهج الَّذي عرضه علينا الآن الداعية الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي في التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر يذكرنا بالعبارة الشهيرة للأستاذ عبَّاس محمود العقَّاد، والَّتي أشرتم إليها فضيلتكم في بداية هذا اللقاء: أنَّ التفكير فريضة إسلاميَّة، ويمكن بهذه العبارة أن نختتم هذا الجزء الأوَّل من شهادة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي، وأنا لم أسأل أسئلتي بعد، فهل تأذن فضيلتكم بلقاء ثانٍ للأسئلة المُفَصَّلة.

فضيلة الشيخ القرضاوي: يسعدني ذلك، وأرجو أن نُوَفَّق في الإجابة عن الأسئلة إن شاء الله.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

شاهد على العصر

(الحلقة الثانية)

المحاور: وفى مساء الأحد الموافق للعشـرين من شهر ربيع الأوَّل ١٤٠٧هـ ـ ٢٣ نوفمبـر ١٩٨٦م أذيعـت الحلقة الثانية من الحـوار. وقدَّم الأستاذ عمر بَطِّيشة للحلقة بقوله:

أيُّها الأصدقاء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

التقينا في حلقة الأسبوع الماضي مع الجزء الأوَّل من شهادة المُفَكِّر الإسلامي الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي عميد كُلِّيَّة الشريعة بقطر، وقد تناول الثورة العلميَّة والتكنولوجيَّـة الهائلة، وعودة العلم إلى تأييد الدِّين في العالم المُتَقَدِّم.

وقال: إنَّ العالم الإسـلامي أصبح في هذا العصر عالة على الغرب بعـد أن كان هو مصدر التقدُّم للغرب، حينمـا كان العلم في بلادنا غير مُنْفَصِلٍ عن الدين، أمَّـا الآن فقد فصلنا الدِّين عن العلـم والتعليم في العالم الإسلامي.

وقال: إنَّ سقوط الخلافة الإسلاميَّة على ما كان فيها من ضعف أفقد المسلمين الهُوِيَّة الإسـلاميَّة الجامعة، فتمزَّق العالم الإسلامي إلى دول ودُوَيْـلات مُتَفَرِّقـة متنازعة في عالـمٍ يجنح إلـى التكتُّـل والتجمُّع والمصالحة والوفاق.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

وقال: إنَّ الاستسلام للجبريَّة السياسيَّة العالميَّة هو تهويلٌ لقوَّة الآخرين، كما أنَّ عدم تقدير قوَّتهم تهوينٌ من هذه القوَّة.

وأكَّد أنَّنا كلَّنا مسؤولون عن التخلُّف والضعف الَّذي وصل إليه عالمنا الإسلامي، وأنَّ عصرنا هو عصر الصحوة الإسلاميَّة العالميَّة، والمواجهة الفِكْريَّة الحضاريَّة مع الغرب ومع الغزو الفِكْري؛ لأنَّ الانبهار بالحضارة الغربيَّة بدأ ينقشع بعد أن بدأ أبناؤها أنفسهم يثورون عليها.

وأكَّد أنَّ الإسلام هو المنهج المتوازن بين المادَّة والرُّوح، والدُّنْيا والآخرة، وأنَّ الدِّين أصبح الآن للشباب وليس للكهول فقط، كما كان قديمًا، وأنَّ مظاهر الصحوة الإسلاميَّة تتمثَّل في الشباب المُثَقَّف والكتاب الإسلامي والأزياء والبنوك والشركات والمعارض الإسلاميَّة.

وقال: إنَّنا الآن نعيش مرحة المواجهة مع حضارات العالم، ونعيش مرحلة رفض التبعيَّة، وأنَّنا نقع بين طرفي نقيض هما: الإفراط والتفريط.

أمَّا المطلوب ـ من وجهة نظره وفي شهادته ـ فهو التوازن والاعتدال.

ثُمَّ تناول منهجه في الاجتهاد، ومفهومه في التجديد في الدِّين، وهو إعادته إلى ما كان عليه، وتساءل عن كيفيَّة الوصول إلى برنامج أو تصوُّر إسلامي، وأوضح الفرق بين الاجتهاد الإنشائي والاجتهاد الانتقائي.

أيُّها الأصدقاء، والآن إلى الجزء الثاني من شهادة هذا المُفَكِّر المصري الإسلامي الكبير.

الداعية الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي ـ عميد كُلِّيَّة الشريعة بقطر ـ أهلًا بكم في الجزء الثاني من شهادتكم.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: أهلًا بكم يا أستاذ عمر.

المحاور: الحقيقة أنَّ الجزء الأوَّل استغرق معظمه في صدر الشهادة الَّذي رصدت فيه فضيلتكم أهم الظواهر المُتَعَلِّقة بهذا العصر الَّذي نعيشه. ننتقل في هذا الجزء إلى بعض الأسئلة التفصيليَّة، ويمكن أن أستطرد من ختام الجزء الأوَّل الَّذي كنتم فضيلتكم تتحدَّثون فيه عن قضيَّة التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، وأطرح على فضيلتكم هذا التساؤل الَّذي قاله الكثيرون في هذه الأيَّام: إذا كان الدِّين واحدًا، فلماذا تتعدَّد الرؤى والمناهج وزوايا التفكير، وتختلف فيما بينها حركات التجديد إلى حدِّ الصدام أحيانًا؟!

فضيلة الشيخ القرضاوي: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(وبعد)

فمن سُنَّة الله في البشر أن يختلفوا، ولا خطر في الاختلاف إذا أمكن أن يجتمع النَّاس على الأصول الكُلِّيَّة والأهداف الكبرى، وقديمًا وُجد في الفكر الإسلامي مدارس فقهيَّة، ومدارس كلاميَّة، وتعايش بعضها مع بعض، ولكن ساد المنهج الأوسط في الغالب، الوسطيَّة هي الَّتي تفوز في النهاية، فأهل السُّنَّة غلب مذهبهم على المذاهب الأخرى؛ لأنَّهم وسط في الفرق، كما أنَّ المسلمين وَسَط في الأمم، وحتَّى مذهب أهل السُّنَّة جاء من يُجَدِّده ويُطَعِّمه، مثل مدرسة ابن تيمية، لا مانع أن يوجد في عصرنا رؤى مُتَعَدِّدة، وأن يوجد هناك زوايا للنظر في مختلف الأمور، على شرط أن ينظر كلُّ واحد للآخر أنَّه ليس عدوًّا، أعني أنْ يكون هناك قدر مشترك بحيث يُحسن الأخ الظنَّ بأخيه، وقد قال الإمام الشافعي

QaradawiBooks.com

كلمة ينبغي أن تكون شعارًا: «رأيي صوابٌ يحتمل الخطأ، ورأيُ غيري خطأ يحتمل الصواب»[١]، الاحتمال في الجانبَيْن: احتمال الخطأ عندي، واحتمال الصواب عند صاحب الرؤية الأخرى. هذا يُقرِّب المسافة بين الطرفين، إنَّما الخطأ والخطر هو أن يظنَّ كلُّ إنسان له رؤية خاصَّة أنَّه يُمَثِّل الحقَّ الَّذي لا يشوبه باطل، والصواب الَّذي لا يقبل الخطأ.

لا، هذه رؤى واجتهادات بشريَّة ما دامت في إطار الإسلام العامِّ، هناك أيضًا يمكن أن نختلف، ولكن على أساس أن نختلف اختلاف تنوُّع وليس اختلاف التضادِّ، ولشيخ الإسلام ابن تيمية عبارة في بعض الاختلافات الَّتي تردُّ عن الفقهاء والمُفَسِّرين في شرح بعض الأشياء.

أضرب لك مثلًا يُقَرِّب الموضوع: حينما يقول المُفَسِّرون في قول الله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]. تجد من مُفَسِّري السلف من يقول: الصراط المستقيم هو الإسلام. وآخر يقول: الصراط المستقيم هو القرآن. وآخر يقول: الصراط المستقيم هو السُّنَّة. وآخر يقول: الصراط المستقيم هو اتِّباع أبي بكر وعمر وباقي الخلفاء الراشدين.

ابن تيمية يقول: ليس هذا الاختلاف اختلافَ تضادٍّ وتناقض، إنَّما هو اختلاف تنوُّع[٢]. أي: إنَّ كلَّ واحد يضرب مثلًا بما يرى أنَّ الشخص يحتاج إليه، تقول: الصراط المستقيم أنَّك تتبع السُّنَّة إذا رأيته مُفَرِّطًا في اتِّباع السُّنَّة، وإذا كان هناك واحدٌ يهمل شأن القرآن تقول له: الصراط

(١) نقل ابن حجر الهيتمي أنَّ ذلك مذهب الشافعية، الفتاوى الفقهية الكبرى (٣١٣/٤)، نشر المكتبة الإسلامية.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٨١/١٣)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

المستقيم هو أن تتَّبع القرآن. وهكذا، فمن الممكن أن توجد رؤى مُتَعَدِّدة للاجتهادات الإسلاميَّة.

واحد يهتمُّ بجانب العقيدة، وآخـر يهتمُّ بتحرير العبادة من البدع، وثالث يهتمُّ بالجانب الخلقي، وغيره يهتمُّ بالجانب السياسي ووجود اتِّجاه إسلاميٍّ سياسـيٍّ أو معسكر إسـلاميٍّ سياسـيٍّ، وواحد يهتمُّ بالتربية والتكوين.

ليكنْ هذا، على أن تكون هذه الرؤى المُتَعَدِّدة تُمَثِّل تنوُّعًا وتخصُّصًا، كلُّ واحدٍ يهتمُّ بالجانب الَّذي يرى نفسه أقدر عليه، وأقدر على الإحسان فيه، بشرط ألَّا تُؤَدِّي إلى التصادم، وألَّا يحاول كلُّ واحد هَدْمَ الآخرين، بل يُحْسِنُ الظنَّ بالآخرين.

ويلتقـي الجميع في القضايـا الكبرى، هناك قضايـا لا بدَّ أن يقف الجميع فيها صفًّا واحدًا. أقول هنا: إنَّه يجب أن تكون نظرة النَّاس الَّذين يقفون في الجانب الإسلامي ـ والأصل كما قلتُ: دينُهم واحد. لا ينبغي أن تُفَرِّقهم الرؤى الجزئيَّة المختلفة. وهناك قاعدة معروفة اسمها «قاعدة المنار الذهبيَّة»، قاعدة وضعها السيِّد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب «المنار»، وتبنَّاها الشيخ الشهيد حسـن البنَّا، لها مدلول جيِّد جدًّا، وعبارتها عبارة مركَّزة ودالَّة أبلغ الدلالة تقول: «نتعـاون فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيمـا اختلفنا فيـه». وهذه يجـب أن تكون شـعار كلِّ العاملين للإسلام: نتعاون فيما اتَّفقنا عليه، وما اتَّفقنا عليه كثير.

المحاور: لو أذن لي الداعية الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي بالإضافـة هنا في هذه الجزئيَّة، نتذكَّـر دور مصر على مدى التاريخ الإسـلامي في التجميع في وجه التفريق، وفي التوحُّد في وجه

QaradawiBooks.com

التشـــرذم والمذهبيَّة والتمزُّق والاختلافات والانقسامات الَّتي ذكرتموها فضيلتكم الآن، أعتقد أن دورَ مصر هنا دورٌ لا يُنْكَر.

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم، دور مصر عن طريق القادة الَّذي حكموا مصر في وقت من الأوقات مثل صلاح الدين الأيوبي، وغير هؤلاء، دور في العصـــر الحديث مثل جمال الديـــن الأفغاني ومحاولـــة إيقاظ العالم الإسلامي وتحريكه، والدعوة إلى الوَحْدة، والدعوة إلى الجامعة الإسلاميَّة في مقابل الدعوات الَّتي أرادت أن تُفَرِّق المسلمين بين عصبيَّات إقليميَّة أو عصبيَّات عنصريَّة أو رايات مختلفة، وكذلك تلميذه الشيخ مُحَمَّد عبده والشـــيخ رشـــيد رضا، والحركة الإســـلاميَّة الحديثة ودعوتها إلى توحيد المسلمين، الحركة الإسلاميَّة الحديثة ـ الحقيقة ـ مبعثها الأوَّل مصر.

وأنا أقول بحـــقٍّ: إنِّي رأيتُ أثر مصر في أنحـــاء العالم كلِّه، فحينما ذهبت إلى الفِلِبِّين وجدتُ الَّذين يقودون الثورة الإســـلاميَّة في الفِلِبِّين أصلهم شباب درسوا هنا في مصر، في الأزهر، وعادوا يحملون الدعوة الإســـلاميَّة، ويحملون الثورة على الديكتاتوريَّة وعلى التعصُّب الأعمى ضدَّ الإسلام هناك.

فدور مصـــر لا ينكر، وهـــذا ما يجعلنا في الحقيقة نقـــول: إنَّ مصر ينبغي أن تظلَّ رائـــدةً وقائدة، لا ينبغـــي أبدًا أن تتـــرك دورها لتنحصر وتعيش لنفسها كما ينادي بعض النَّاس، ومصر ينبغي أن يظلَّ دورُها دورَ الريادة والقيادة للعالم الإسلامي بعيدًا عن الإقليميَّة.

طبعًا المطلوب من كلِّ مصري أن يعمل لبلده، طبيعي ـ حتَّى الحكم الإســـلامي ـ أنَّ الإنســـان مطلوبٌ أن يعمل لنفســـه: «**ابدأْ بنَفْسِكَ**»[1]،

(١) رواه مسلم في الزكاة (٩٩٧)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

والحديث الآخر يقول: «**ابدأْ بمن تَعُولُ**»[1]. الجيران لهم حقٌّ، وأقربهما بابًا له حقٌّ أكبر من غيره، والأقربون أولى بالمعروف.

هذه طبيعة الأشياء حتَّى في الزكاة، نقول: إنَّ الزكاة تؤخذ من الإقليم لتصرف فيه، تؤخذ من أغنيائه لتُرَدَّ على فقرائه، إذا استغنى أهل الإقليم نذهب إلى من هو أبعد منه. وهكذا.

فلا يمنع الإسلام أن يعمل الإنسان لوطنه ولإقليمه الَّذي يعيش فيه، ولكن ليس معنى هذا أن يُسْجَن داخل هذه الإقليميَّة، ولذلك الَّذين يريدون لمصر أن تنحصر في الإقليميَّة المصريَّة يقتلون مصر، لا يريدونها أن تظلَّ مخلصة لدورها الريادي التاريخي، مصر من عهد صلاح الدين وعهد قطز، بقيادة صلاح الدِّين هزمت الصليبيِّين في «حِطِّين»، واستردَّت بيت المقدس. وبقيادة قُطُز هزمت القوى الأخرى، قوَّة التتار في عين جالوت بعد أن أصبح هؤلاء التتار أو المغول هم الَّذين يُرْعِبُون العالم. بمجرَّد أن يُذكر التتار ـ ينتشر الرعب في كلِّ مكان ـ فقد كانوا مثل: ﴿**ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ**﴾ [الذاريات: ٤١، ٤٢]، كان المثل السائر: «إذا قيل لك: إنَّ التتار قد انهزموا. فلا تُصَدِّق»، نفس ما كُنَّا نسمعه في هذا العصر، أسطورة القوَّة الَّتي لا تُقْهر! كان هذا حال التتار وأسقطوا بغداد سنة ٦٥٦هـ، وسالت الدماء من الميازيب في الشوارع، واسودَّ نهر دجلة ممَّا ألقي فيه من كتب، بعد سنتين فقط ـ سنة ٦٥٨هـ ـ كانت معركة «عين جالوت» بقيادة قُطُز القائد المملوكي مع الجيش المصري. وكانت معركة من المعارك الحاسمة في التاريخ، ونصر الله المسلمين في الخامس

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤)، كلاهما في الزكاة، عن حكيم بن حزام.

QaradawiBooks.com

والعشرين من رمضان في سنة ٦٥٨هـ بعد سنتين فقط. هذا دور مصر، ولكن حينما تقاد بالإسلام.

قُطُز كادت تدور عليه الدائرة لولا أنَّه حينما رأى التخاذل والفرار من بعض النَّاس ممَّا كان في قلوبهم من رعب بالنسبة للتتار ألقى بخوذته على الأرض، وصاح الصيحة التاريخيَّة الشهيرة: «وا إسلاماه» هذه غيَّرت المجرى، جعلت الجنود يعودون حينما تنادى بالإسلام.

المحاور: هذه هي مصر، ويمكن حتَّى في الجزئيَّة الَّتي بدأنا بمناقشتها وهي جزئيَّة وقوف مصر في وجه التمذهب والتشرذم بين الفِرَق الإسلاميَّة المختلفة نجد أنَّه رغم أن حُكَّامها كانوا من الشِّيعة في العصر الفاطمي إلَّا أن مصر لم تتشيَّع، وهذا يدلُّ على طبيعتها في ردِّ التمذهب، وفي محاولة توحيد الإسلام في وَحْدَة واحدة.

فضيلة الشيخ القرضاوي: هم لم يكونوا مجرَّد شيعة، بل كانوا من غُلاة الشيعة، وهم لم يكونوا فاطميِّين، ثبت تاريخيًّا أنَّهم ليسوا من نسل فاطمة، اسمهم «العبيْدِيُّون» وهذا اسمهم الحقيقي. رغم أنَّهم عاشوا في مصر، وكان لهم حُكَّامهم، وكانت لهم أُبَّهتهم، وكانوا ينافسون الخلافة العبَّاسيَّة، ولكن لم يستطيعوا أن يتركوا أثرًا في ضمير الشعب.

مصر الآن هي البلد الوحيد الَّذي ليس فيه طوائف من الناحية الدِّينيَّة، فهذا الغلوُّ الَّذي حمله الفاطميُّون، بمجرَّد ذهابهم أذهب الله كل آثارهم، ولم يُبْقِ إلَّا بعض البدع والتقاليد مثل الموالد ونحوها، وهذه الأشياء لا تتعلَّق بالفكر إنَّما تتعلَّق بالسلوك الَّذي يُؤثِّر على بعض العوامِّ، فمصر بخير، وكما قلت في الحديث السابق: إنِّي أجد مصر أرجى بلاد الله للإسلام، ونستطيع أن نجعل منها قوَّة عالميَّة لا نظير لها.

QaradawiBooks.com

المحاور: ولكن لو أذن لي فضيلة الداعية الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي، كما ذكرتم فضيلتكم: إنَّ مصر هي محراب الإسلام وحصنه الحصين، ومصر الَّتي شهد لها المؤرِّخ العالمي «جريستد» عالم المصريَّات الشهير عندما سمَّى عنوان كتابه ومؤلَّفه عن مصر «فجر الضمير» دلالة على أنَّ مصر عرفت في الحضارة الفرعونيَّة الثواب والعقاب والبعث والجنَّة والنَّار والضمير، فما تفسير فضيلتكم أنَّه رغم أنَّ الإنسان المصري هو سليل هذه الروح الإيمانيَّة المتدينة العميقة الأصيلة، نرى بعض السلبيَّات وبعض الانحرافات هنا وهناك على هذه الأرض في هذه المرحلة من العصر؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا شكَّ أن مصر قلعةٌ من قلاع الإسلام الكبرى، وهذا أيضًا يجعل هناك قوى كثيرة تتربَّص بها، وتحاول أن تكيد لها في الخفاء، ولا أريد أن أضخِّم هذا ـ كما قلنا؛ لأنَّه ليس من منهجي التهويل في هذه الأمور ولا التهوين، لكن هناك بالفعل بعد سقوط الخلافة العثمانيَّة انتقلت القوى المعادية من الأستانة (إستانبول) إلى القاهرة، خشية أن تقود مصر تيارًا إسلاميًّا عالميًّا جديدًا، فمن أجل هذا يجب أن نحذر من دسائس هذه القوى من ناحية.

ومن ناحية أخرى: إنَّ الاستعمار الَّذي احتلَّ مصر فترة طويلة من الزمن خرَّب ما خرب وترك آثاره، وهناك أيضًا أوضاع وأنظمة تعرَّضت لها مصر تسبَّبت في هذا الَّذي نراه من سلبيات وتسيُّب وانحراف، ولكن للإنصاف أقول: إنَّ هذا لم يمسَّ لباب الإنسان المصري، نستطيع بقليل من التصميم والإصرار على بناء هذا الإنسان أن نعيده إلى فطرته؛ لأنَّ الفطرة سليمة؛ إذن ليس علينا إلَّا أن نجلو الصدأ عن هذه الفطرة ونزيل

QaradawiBooks.com

العوائق، وننقي هذا الزرع من الأشياء الَّتي تحاول أن تأكله أو أن تبتلعه، فنحتاج إلى أن نتيح الفرصة لجوٍّ صِحِّي يتربَّى فيه الإنسان المصري المسلم على الإسلام الصحيح. وهذا أمرٌ يجب أن يتعاون فيه الجميع، وبخاصَّة أنَّ الهدم دائمًا أسهل من البناء، وقد عبَّر عن هذا الشاعر تعبيرًا جيدًا حينما قال:

فَلَوْ أَلْفُ بَانٍ خَلْفَهُمْ هَادِمٌ كَفَى فَكَيْفَ بِبَانٍ خَلْفَهُ أَلْفُ هَادِمِ[1]؟!

أي: إنَّ ألف بانٍ لو كان من ورائهم هادم واحد يستطيع أن يزيل آثار بنائهم، فإذا كان الأمر بالعكس: الهدَّامون كثيرون، والبنَّاؤون قليلون، البنَّاء واحد، والهدَّامون ألف!

نحن نحاول أن نحمي مصرنا حماها الله، من هؤلاء الهدَّامين، نريد أن نكثر من البنَّائين وأن نَشُدَّ عَضُدَهم، ونحن نعتقد أن رصيد الفطرة عند هذا الشعب عظيم، وهو كذلك عند شعوبنا العربيَّة والإسلاميَّة أيضًا؛ لأنَّ الشعب المصريَّ مَثَلٌ بارز أمام الشعوب الأخرى.

إذن رصيد الفطرة مع البنَّائين والداعين إلى البناء الصحيح.

المحاور: يتساءل الداعية الإسلامي الكبير الشيخ مُحَمَّد الغزالي: أيصنع العقل الغربي السيَّارة ونشتريها نحن لنكتب عليها: «عين الحسود فيها عود» أو «كايدة الأعداء»؟!

هل نستقدم خبراء ليُعَلِّمونا نظافة البيوت والمدن والنظام والسير في الشوارع؟

فما تعليق فضيلتكم على هذا التساؤل من الشيخ الغزالي؟

---

(١) من شعر عبد الله بن الريَّة المالقي. انظر: أعلام مالقة صـ ٢٢٧، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: والله هو تساؤلٌ محقٌّ، وهو يؤيِّد ما قلته في الحلقة السابقة حينما تحدَّثنا عن العلم المعاصر وعصر الصناعة الثاني، وأين نحن من هذا كلِّه؟! نحن للأسف فعلًا نستورد أدوات الحضارة ولا نصنعها. أعني: مهمَّتنا أن نستهلك ولا نُنْتِج. مع أنَّنا كما قلتُ مرارًا: أُمَّة «سورة الحديد»، لم نتعلَّم صناعة الحديد، وقد قال الله تعالى فيها: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]. وانظر إلى هذا التعبير، تعبير له إيحاؤه ودلالته: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ إشارة إلى الصناعات الحربيَّة. ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى الصناعات المدنيَّة.

المحاور: وحتَّى في الناحية السلوكيَّة أيضًا ـ ليس فقط في الناحية الصناعيَّة أو الحضاريَّة ـ في الناحية السلوكيَّة يقول: نستقدم خبراء ليُعَلِّمونا السيرَ في الشوارع والنظافة في البيوت.

فضيلة الشيخ القرضاوي: مع أنَّنا نحن أصحاب الدِّين الَّذي يجعل النظافة من الإيمان: «**الطُّهُور شطرُ الإيمان**»[(١)]. وهذا الدِّين بُني على النظافة، وأوَّل شيء ندرسه في الفقه الإسلامي كتاب اسمه «كتاب الطهارة». هناك فوضى في حياتنا مع أن ديننا دِينُ النظام. أحد قادة الفرس نظر إلى جيش المسلمين أيَّام سيدنا عمر، فنظر إلى المسلمين العرب صفوفًا صفوفًا، لا خلل، لا فُرْجة بين الصفوف، الصفُّ مُسْتَقِيم، إمامهم يقوِّمهم.

يقوم كلُّ واحد منهم إلى الطهارة يُنَظِّف نفسه ويستاك فينظف أسنانه ويكرم شعره: «**من كان له شعر فليكرمه**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، عن أبي مالك الأشعري.

(٢) رواه أبو داود في الترجل (٤١٦٣)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤٣٤/٨)، والطبراني في الأوسط (٨٤٨٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٥٠٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الإمام يركع فيركعون، يسجد فيسجدون، يقرأ فينصتون، غاية في النظام والنظافة والتعاون والانسجام.

نظر الرجل إلى هؤلاء وقال: «أكل كبدي عمر، لقد علَّم هؤلاء البداة الجُفَاة مكارم الأخلاق»[١]! الواقع أن عمر ليس هو الَّذي علَّمهم، الَّذي علَّمهم وعلَّم عمر معهم هو رسولُ الله ﷺ، هو الإسلام.

نحن للأسف نريد أن نستورد من غيرنا، مع أنَّه ينبغي أن تكون أولويَّتنا للإنتاج. نحن من ناحية العلم لم نعمل بالعلم، وكذا من ناحية الصناعة، بل من ناحية الزراعة، كُنَّا نقرأ في الصغر: إنَّ بلادنا بلاد زراعيَّة، إذن البلاد الزراعيَّة هذه يجب أن يكون عندها من الخيرات الزراعيَّة ما يُغْنِيها عن غيرها، ولكن مع الأسف، لا زلنا عالة على غيرنا، نحن نستورد من أقواتنا حوالي ٦٠٪ أو أكثر! أين الاستقلال الحقيقي إذا كُنَّا لا نملك القوت الَّذي نُطْعِمه أبناءنا؟ نحن في حاجة لأنْ نُفَكِّر من جديد على ضوء إسلامنا الَّذي يُعَلِّمنا أن نكون أحرارًا وسادة في ديارنا، كيف نُنَفِّذ قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]. ورباط الخيل في هذا العصر هو الدبابات والمصفَّحات ـ لأنَّ لكلِّ عصر خيله، فلا بدَّ من العمل والإنتاج مع الوعي والتصميم، وهذا أيضًا كما قلت في حاجة إلى بناء الإنسان.

الإنسان هو الَّذي يحسن أن ينتج، وينتج شيئًا سليمًا وشيئًا جيِّدًا، فما دام هناك من ينتج أي شيء فيقول لك: أهي ماشية، وخلِّها على الله! فلن نفلح، إنَّ مسمارًا واحدًا في جهازٍ أو صامولة، أو لمسة أخيرة في التشطيب، تفسد هذا الشيء. نريد من يفهم معنى قول النبيِّ ﷺ:

(١) تاريخ الطبري (٥٣٢/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

«**إنَّ اللهَ يحبُّ من أحدكم إذا عمل عملًا أن يُتْقِنه**»[١]، «**إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء**»[٢]. وكتبه أي: فرضه، يعني: إحسان العمل فريضة إسلاميَّة، النَّاس يسألون بالتعبير العامِّي: أين قُفِلت؟ لأنَّ اللمسات الأخيرة هذه مهمَّة. إنَّنا في حاجة لأن نبني الإنسان كي نبني الصناعة، ونبني الزراعة، ونصنع المجتمع من جديد، وهذا ما ينبغي أن تقوم به الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة، وأن نتيح لها الفرص لتبني هذا الإنسان المنشود.

المحاور: سأنتقل مع فضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي إلى جانب آخر في هذه الشهادة من جوانبكم العديدة، هو جانب الشعر، ونسأل: هل عدم اهتمام فضيلتكم بإظهار هذا الجانب هو موقف من الشِّعر؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أنا كنتُ أقول الشعر في الحقيقة في مطلع حياتي، حتَّى إنِّي في وقت من الأوقات عُرفت بالشعر أكثر ممَّا عرفت بغيره، كان إذا قيل: القرضاوي، يقولون: القرضاوي الشاعر؟ يعني: قبل الخطيب أو الداعية، أو كذا. هذه كانت فترة من الزمن، ثمَّ شُغلت فعلًا بالجانب الفقهي، والجانب الفكري، والجانب الدعوي، فشغلنا عن الشعر، لكن أحيانًا تأتي ظروف معيَّنة مثل ظروف المعتقلات الَّتي امتحن بها أبناء الحركة الإسلاميَّة، فالإنسان كان لا يجد الكتاب الَّذي يقرأه، ويكون عنده قدر من الفراغ وقدر من الصفاء، فيقول الشعر في هذه الأوقات. ولذلك تجد كثيرًا من شعري هو شعر المِحَن[٣].

---

(١) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٤)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١١١٣)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

(٣) ذهب أكثر شعري القديم في أتون المحن الَّتي أصابت الإخوان المسلمين في مصر، وبقيت بعض قصائد قديمة، مع أخرى حديثة، جمعها بعض الأخوة في ديوان نشر في عمان والقاهرة بعنوان: نفحات ولفحات، ثم نشرت مجموعة أخرى بعنوان: المسلمون قادمون.

QaradawiBooks.com

المحاور: لو سألت فضيلتكم عن البيت أو الأبيات الَّتي تعتبرونها شهادة على هذا العصر فماذا تقولون؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: سأقول بعض أبيات تُمَثِّلني أو تُمَثِّل خَطِّي، أبيات من القصيدة الشهيرة باسم «النونيَّة» الَّتي أنشأتها في السجن الحربي ١٩٥٤ ـ ١٩٥٦م.

كان في أواخر هذه القصيدة أبيات تعبر عَنِّي وعن موقفي أقول فيها:

ضَعْ فِي يَدَيَّ الْقَيْدَ، أَلْهِبْ أَضْلُعِي ... بالسَّوْطِ، ضَعْ عُنُقِي عَلَى السِّكِّينِ
لَنْ تَسْتَطِيعَ حِصَارَ فِكْرِيَ سَاعَةً ... أَوْ نَزْعَ إِيمَانِي وَنُورَ يَقِينِي
فالنُّورُ فِي قَلْبِي، وَقَلْبِي فِي يَدَيْ ... رَبِّي، وَرَبِّي نَاصِرِي ومُعِينِي
سَأَعِيشُ مُعتصمًا بِحَبْلِ عَقِيدَتِي ... وَأَمُوتُ مُبْتَسِمًا لِيَحْيَا دِينِي!

المحاور: هذه شهادة نعتبرها على عصرٍ مضى أو مرحلة مضت من العصر.

فضيلة الشيخ القرضاوي: مرحلة مضت نرجو ألَّا تعود إن شاء الله، نحن نعتقد أنَّه لا يمكن أن نبني الإنسان الَّذي ننشده ولا يمكن أن تنتعش القيم، وأن ينتعش الإسلام صانع القِيَم إلَّا في جوِّ الحُرِّيَّة.

المحاور: فضيلة الداعية الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي، الأستاذ السيد أبو الحسن الندوي في ردِّه على تساؤله الَّذي جعله عنوانًا لمؤلفه وهو «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»، يُعَدِّد السيد أبو الحسن الندوي معتمد دار العلوم بالهند عددًا من أمراض الحضارة المعاصرة الَّتي تتمثَّل في رأيه في التعصُّب والعِرْقيَّة، وبطلان الحاسة الدِّينيَّة، وطغيان المادَّة والانحلال الخلقي

QaradawiBooks.com

والاجتماعي، وكلُّها أدواء تتَّفق مع رؤية فضيلتكم الَّتي ذكرتموها في الجزء الأوَّل من هذه الشـهادة، ويناشـد العرب ـ مع أنَّه هندي ـ أن يعودوا إلى القيادة العالميَّة الَّتي هيَّأتها لهم البعثة المُحَمَّديَّة، وأعلنتها سورة الإسراء، فهل تشاركونه فضيلتكم هذه الرؤية؟ وما هو تصوُّركم لطريقة العلاج ولِمَا نشكو منه؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: أمَا إنِّي أشـارك الأسـتاذ الكبير السيِّد أبا الحسن الندوي فيما قاله، فأنا أشاركه مشاركة مائة في المائة، وأرى أنَّ العالم فقد الكثير وخسـر الكثير بانحطاط المسلمين وتخلُّفهم عن القيادة العالميَّة، وهذا الدَّوْر لم يشـغله أحد، ولا يمكن أن يشغله أحد غير أُمَّة الإسـلام، والدور دور المسـلمين حتَّى من الناحية التاريخيَّة، أعني: إذا نظرت إلى أدوار التاريخ بين الشـرق والغرب تجد أن زمام الحضارة في وقـت من الأوقـات كان في يـد الشـرق: الحضارات الفرعونيَّة، والآشوريَّة، والبابليَّة، والفارسـيَّة، والصينيَّة، والهنديَّة، ثمَّ انتقل هذا إلى الغرب: الحضارة اليونانيَّـة والرومانيَّة، ثمَّ عاد هذا إلى الشرق عن طريق الحضارة الإسلاميَّة الَّتي قادت الدُّنْيا عدَّة قرون ـ كما تحدَّثنا في الحلقة الماضية ـ ثمَّ انتقلت الشعلة إلى الغرب مرَّة أخرى، والغرب الآن لم يحسـن القيام بحقِّ هذه الأمانة، فأصبح العالم يُعاني ما يُعانيه الآن من إفلاس رُوحي في الجانب الأخلاقي، للأسف حدث هذا التحلُّل المُذْهِل، حتَّى البلاد الَّتي كُنَّا نعتبرها محافظة في أوائل هذا القرن، اذهب إلى هذه البلاد وانظر ماذا أصابها الآن، وماذا يشـكو منه علماؤها أنفسـهم ومُفَكِّروها: الأمراض الجنسـيَّة، الإيدز، والشـذوذ وغيره، لم تعـد هذه البلاد قادرة على أن تظل مسـتمرة في هذا الدور القيادي، وكما قال بعض مفكريهم: إنَّنـا نعيش على ظل الظل، فعلام

QaradawiBooks.com

يعيش مَنْ بعدنا[١]؟ أي: نحن نعيش على ظـــل النَّاس المتديِّنين الَّذين بنوا هذه الحضارة، بل ظلَّ مَن بعدهم ممَّن ورث بعض تديُّنهم، فعلى أيِّ شيء تعيش الأجيال الآتية، ولم يبق للإيمان ظلٌّ، ولا ظلُّ ظلٍّ؟!

يعني: الحضارة الغربيَّة فيها أمـــراض وأدواء كبيرة جدًّا، ولكن عادة الجسم القوي لا تظهر فيه الأمراض، ولكن حينما يبدأ في الضعف تبدو الأعراض المرضيَّة عليـــه، هذه الحضارة بدأت تشـــيخ، والمفروض أن يكون هناك ورثة لهذه الحضارة، فمن غيرُنا؟

ولكن نحن نعاني أيضًا من العلل، غير أنَّا نقول: نحن الآن في عصر الصحوة، فالمفروض أنَّنا نستفيد من هذه الصحوة لنرث هذه الحضارة، يجب ألَّا تفوت علينا هذه الفرصة، هذا ما ينبغي أن نُفَكِّر فيه.

هذه الصحوة الإسلاميَّة هي نعمة كبرى على هذه الأُمَّة، يجب على الجميع أن يعرف هذا: حكَّامًا ومحكومين.

يجب أن يكون هناك وعي عامٌّ على أن نعترف بهُوِيَّة هذه الأُمَّة.

مَن نحن؟ نحن مسلمون، إذن لا ننتصر إلَّا بالإسلام.

لو انتصر النظام الرأســـمالي في ديارنا وقامت أنظمة رأسماليَّة، هل يعتبر هذا انتصارًا لنا؟

لا، هو انتصار لبلاد الرأسماليَّة الأمِّ؛ أمريكا وغيرها.

لو انتصرت الماركسيَّة في بلادنا هل يعتبر انتصارًا لنا؟

لا، هو انتصار لروسيا أو للصين أو لغيرهما.

---

(١) انظر: محاورات رينان الفلسفية صـ ٥٦، ترجمة علي أدهم، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

متى ننتصر نحن؟

حينما ننتصر بإسلامنا.

هذا هو أساس هُوَيَّتنا الحضاريَّة، فيجب أن نعرف من نحن؟ ولذلك لا بدَّ أن يقوم هذا الوعي العامُّ يشارك فيه كلُّ من له فِكْرٌ ورأي، يجب أن تقام ندوات لمثل هذا.

لعلَّك سمعتَ عن الندوة الَّتي أقمناها عن الحوار بين الإسلاميِّين والعِلمانيِّين نحاول أن نُقَرِّب المسافة بين هؤلاء وهؤلاء، عسى أن يستفيد الإسلاميُّون ممَّا يسمعونه من العِلمانيِّين، وعسى أن يستفيد العِلمانيُّون ممَّا يسمعونه من الإسلاميِّين.

المحاور: هذه الندوة الَّتي ضربتم فضيلتكم فيها مثلًا لما يمكن أن تؤدِّي إليه العِلمانيَّة كما يحدث في لبنان والهند؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم، قلت: إنَّ العِلمانيَّة ليست حلًّا للمشكلة الطائفيَّة، بعض النَّاس يقولون: إنَّه إذا وُجدت أديان مُتَعَدِّدة في بلدٍ ما فدواء هذا التعدُّد للأديان وتعدُّد الطوائف هو العِلمانيَّة. قال هذا بعض الأساتذة في ندوة «الإسلام والعِلمانيَّة»، واحتججتُ عليهم بما يقع في لبنان والهند وغيرهما. وقد كان هذا حُجَّة قاطعة على العِلمانيَّة ودُعاتها؛ لأنَّ هذه البلاد من يوم نشأتها عِلمانيَّة، ومع هذا فإنَّ العِلمانيَّة لم تُغْنِ عن طائفيَّتها، بل الطائفيَّة موجودة، ونحن نرى الهند وما فيها من طائفيَّة، طائفة السيخ، طائفة الهندوس المتعصِّبين وما يحدث للمسلمين وغيرهم من مجازر في بلاد شتَّى وأوقات شَتَّى، ولبنان قريبٌ منَّا، والأحداث على مرأى ومسمع منا، العِلمانيَّة لم تُغْنِ عنهم شيئًا.

QaradawiBooks.com

بدل هذا الكلام نتصارح: المسلم يجب أن يظلَّ مُسْلِمًا، والمسيحي يجب أن يظلَّ مَسِيحِيًّا، ولا نضغط على أحدٍ أن ينخلع من دينه، ندع النفاق السياسي.

أنا لا يمكن أن أترك ديني لأُرْضي المسيحي، ولا المسيحي سيترك دينه ليُرضيني كمسلم. لماذا لا يبقى كلٌّ منا على دِينِه، ونتعاون فيما اتَّفقنا عليه، ونتسامح فيما اختلفنا فيه. والإسلام لا يريد أن يذبح من يخالفنا في الدِّين. لا، بالعكس نحن نقول: لا داعي للنفاق السياسي، لتكن هناك مصارحة، أنا مسلم ولي شريعة، والله يأمرني أن أُطَبِّق هذه الشريعة، وهذه القوانين الشرعيَّة قائمة على مُثُل عليا دينيَّة الأصل في الأديان كلِّها، فمن المعقول أن نتَّفق عليها.

الإسلام حرَّم الزنى، فهل المَسيحيَّة تُبيح الزنى؟! الإنجيل يقول: «قد كان من قبلكم يقولون: لا تزن، والحقَّ أقول لكم: مَن نظر بعَيْنه فقد زنى»[1]. إذن جاء المسيح بالعفاف والإحسان الَّذي جاء به الإسلام، هنا نجد نفس المعنى قاله النبي ﷺ: «**العينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما اللمس، والرجلان تزنيان وزناهما المشي، والفَرْج يُصَدِّق ذلك أو يُكَذِّبه**»[2]. القولان ينبعان من عين واحدة، ولذلك ينبغي أن تشيع هذه الرُّوح بَيْنَنا وبين أخوتنا المسيحيِّين، بدل أولئك الَّذين يوقظون الفتن النائمة، ويكيدون في الخفاء، وليس هذا في مصلحة الإسلام، ولا في مصلحة المَسيحيَّة، ولا في مصلحة أي الفريقين، وإنَّما من مصلحة أعداء الله، وأعداء الأوطان، وأعداء الأُمَّة.

---

(١) إنجيل متَّى (٢٨/٥، ٢٩).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٤٣)، ومسلم في القدر (٢٦٥٧)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

المحاور: بالعكس، إنَّ الوحدة الوطنيَّة في مصر دائمًا يُضرب بها المثال في تجميع المِصْريِّين كلِّهم في وَحْدة وطنيَّة واحدة، ومعروفةٌ السماحة الَّتي يعيش في ظلِّها المسلمون والأقباط على أرض مصر طَوَال القرون الماضية، وهذا شيء معروف في التاريخ، يمكن لو قلت بعض العناصر لفضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي كسبيل للعلاج من بعض العلل الَّتي نشكو منها نقول: يجب التخلُّص مثلًا من الاهتمام بالشكل على حساب الجوهر، والاهتمام بالفروع على حساب الأصول، ويجب أن نُقَرِّب المسافة بين القول والعمل والسلوك.

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم، هذا جزء من برنامجٍ أو من ورقة عمل كنتُ قَدَّمتها لملتقى الفكر الإسلامي في الجزائر منذ سنتين، كان الملتقى عن الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة، وقدَّمتُ برنامجًا لترشيد هذه الصحوة، فمن ضمن ما قلتُه: أن ننتقل من الشكل إلى الجوهر، من الفروع إلى الأصول، من الجزئيَّات إلى الكليَّات، من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل، من المُخْتَلف فيه إلى المُتَّفق عليه، من النوافل إلى الفرائض، من أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب، من التشاحن إلى التعاون، من الارتجال إلى التخطيط، من العاطفيَّة إلى العلميَّة، من التعسير إلى التيسير، من التنفير إلى التبشير. وكلُّ نقطة من هذه النقاط تحتاج إلى شرحٍ وإلى تفصيلٍ[1].

أضرب لك مثلًا من المختَلف فيه إلى المُتَّفق عليه، نجد للأسف أن بعض فصائل الصحوة الإسلاميَّة يكادون يشغلون أنفسهم بالأمور المختلف فيها، في الطهارة والصلاة واللباس والمُرَفِّهات ونحوها، وهذه

(١) راجع كتابنا: الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، نشر دار الشروق، القاهرة.

QaradawiBooks.com

ليست مشـــكلتنا، مشـــكلتنا الأمور المُتَّفق عليها المتروكة: يعني النَّاس يختلفون: الغناء حلالٌ أم حرام؟ الموسيقا حلال أم حرام؟ إطلاق اللحية واجب أم غير واجب؟ أشـــياء من هذا النوع للأسف، في بعض الأماكن الَّتي أذهب إليها تكاد تكون هذه الأسئلة الَّتي أُسأل فيها حتَّى في أمريكا! ذهب المسلمون ـ للأسف ـ إلى أمريكا ومعهم هذه الخلافات الجُزْئيَّة، نقلوها معهم من بلادهم!

أقول: يا جماعـــة إنَّكم جئتم في بـــلاد وصلت إلـــى القمر، فكلُّ ما تسألونني عنه هو: الذَّبْح بأيِّ طريقة؟ وأشياء من هذا النوع، وتطويل اللحية، وتقصير الثوب... ســـبحان الله العظيم! أهذا كلُّ ما يُهِمُّكم من أمر الإسلام؟!

مرَّة من المرَّات قلتُ لهم: لن أجيبكم عن الأسئلة التقليديَّة المُكَرَّرة، عن اللحم الحلال والذبح وشحم الخنزير والجُبْن، ونحوها.

فللأســـف هذه الأشـــياء الخلافيَّة هي الَّتي تشـــغل من تفكير بعض الشباب وبعض فصائل الصحوة الإسلاميَّة الشيء الكثير، فنحن نريد أن نهتمَّ بالأشـــياء المُتَّفق عليها، نهتمُّ بالفرائض بدل النوافل، عندنا قاعدة تقول: «إنَّ الله لا يقبل النافلة حتَّى تؤدَّى الفريضة»[1]، للأسف تجد أناسًا يشتغلون بالنوافل ويُضيِّعون الفرائض!

تذهب لمصلحة حكوميَّة تجد رجلًا يُعَطِّل مصلحتك؛ لأنَّه صائم يوم الاثنين أو يوم الخميس! هل من أجل صوم نافلة تُعَطِّل مصالح الناس؟ هذا لا يجوز.

(١) وردت هذه القاعدة في وصية أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، رواها ابن شـــبة في تاريخ المدينة (٦٧١/٢)، وابن أبي شيبة في المغازي (٣٨٢١١).

QaradawiBooks.com

الحديث النبوي الشريف يذكر بالنسبة للزوجة أنَّها لا يجوز أن تصوم تطوعًا وزوجها شاهد إلَّا بإذنه[١]؛ لأنَّ هناك حقًّا يتعلَّق بالزوج، فكلُّ واحد عنده شيء يتعلَّق بحقوق الآخرين لا يجوز أن تشغله النافلة عن الفرض.

هل تذهب للحجِّ وعليك ديون للناس؟ هذا لا يُقبل شرعًا.

كنتُ بالأمس مع بعض الأخوة الَّذين يحجُّون لعلَّه للمرَّة الأربعين! وقلتُ لهم: لم هذا؟ لو أنَّك يا أخي تركت هذا الحج، ووسَّعت مكانًا لغيرك من المسلمين بدل الزحام الَّذي يدوس النَّاس فيه البشر تحت أقدامهم من كثرة الزحام، لو نويت أن تترك مكانًا لغيرك وتُقَلِّل الزحام وأنفقت هذا المال في مصلحة المسلمين، لكان هذا أولى.

ولكن للأسف لا يفعلون هذا؛ لأنَّ هناك شهوة، متعة نفسيَّة ورُوحيَّة، ولكن المسألة ليست مسألة متعة. أنا أنظر إلى ما هو أصلح، واحد أيضًا قال لي: أنا أذهب ببعض النَّاس يحجُّون على حسابي من غير القادرين ـ عشرين فردًا ذاهبين ليحجُّوا، فهم محتاجون لمن يخدمهم، قلتُ له: ومن كلَّفك أن تجعل هؤلاء يحجُّون على نفقتك وعلى حسابك؟ إنَّ الله جعل الحجَّ على من استطاع إليه سبيلًا، فهؤلاء أعفاهم الله من هذه الفريضة، لماذا تُكَلِّفهم أنت؟ وتُكَلِّف نفسَكَ هذا؟ أليس أولى من هذا مساعدة المجاهدين بدلًا من أن تشبع شوقًا لرجل، هو مشتاق أن يذهب ليطوف بالبيت، ويسعى بين الصفا والمروة! ولكن

(١) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلَّا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلَّا بإذنه...». رواه البخاري في النكاح (٥١٩٥)، ومسلم في الزكاة (١٠٢٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أولى من إطفاء هذا الشوق: أن تطعم جائعًا في إفريقيا أو في آسيا يكاد يقتله الجوع. يئن من الجوع أنين الملسوع، أن تؤوي مشردًا لا يجد سقفًا يظله، تدفع ديون مدين مثقل، تُخَفِّف بعض آلام النَّاس، تُشَغِّل عاطلًا، تُدَرِّب عاملًا، تُعَلِّم أُمِّيًّا.

إنَّ هذه المشكلات هي الَّتي جعلتني أنادي بإقامة هيئة إسلاميَّة خيريَّة عالميَّة لتحقيق وتعميق العمل الخيري الاجتماعي.

نحن نريد أن نقيم أعمالًا خيريَّة اجتماعيَّة، نُعلِّم فيها الجاهل، ونشغِّل العاطل، ونُدَرِّب العامل، ونطعم الجائع، ونكسو العاري، ونرعى اليتيم، ونؤوي المُشَرَّد.

نحن في حاجة إلى فقه جديد، لنعلم الأُمَّة كيف تختار الأولويَّات، فقه الأولويَّات ـ فقه «مراتب الأعمال» كما نُسَمِّيه نحن دُعاة الصحوة ـ أمر واجب؛ لأنَّ الشرع أعطى تسعيرة لكلِّ أمر، لماذا نشتغل بالمفضول ونترك ما هو أفضل منه؟ نشتغل بالمرجوح ونترك الراجح، نشتغل بالنافلة ونترك الفريضة، نشتغل بفرض الكفاية ونترك فرض العين، نشتغل بفرض الكفاية الَّذي قام به البعض ونترك فرض الكفاية الَّذي لم يقُمْ به أحد. نسأل الله أن يُوَفِّقنا إلى فقه كتابه وسُنَّة نبيِّه، وإلى فقه دِينه فقهًا راشدًا صحيحًا، وهذا هو أساس نهضتنا الحقيقيَّة وأساس بنائنا المنشود لهذا العصر.

المحاور: وهكذا ـ أيُّها الأصدقاء ـ نصل إلى ختام هذه الشهادة الثريَّة الَّتي قدَّمها لنا المُفَكِّر الإسلامي الكبير فضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي. نشكره عليها شكرًا جزيلًا ونرجو أن نلقاه دائمًا على خير.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: ونشـــكرك يا أخ عمر، ونسأل الله أن ينفع ببرنامجك هذا، أن ينفع به كلُّ من اســـتمعه، وأن ينفعنا نحن به أيضًا، وأن يجعل يوم أُمَّتنا خيرًا من أمســـها، وأن يجعل غدها خيرًا من يومها، اللهمَّ آمين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الاجتهاد.. فريضة وضرورة

أجرت جريدة «الأهرام» القاهرية حديثًا مع الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي عميد كُلِّيَّة الشريعة بقطر نشر خلال شهر فبراير ١٩٨٦م يدور حول الاجتهاد:

يقول فضيلته: إنَّ الاجتهاد فريضة وضرورة، فريضة من الوجهة الشرعيَّة، وضرورة من الناحية الواقعيَّة. ونحن الآن في حاجة إلى نوعين من الاجتهاد: أحدهما: اجتهاد ترجيحي انتقائي. والآخر: اجتهاد إبداعي إنشائي. وأعني بـ «الترجيحي الانتقائي» أن عندنا ثروة هائلة من المدارس الفقهيَّة المختلفة لا يجوز أن نقول: قال فلان وقال فلان. أين موقفنا نحن من هذه الأقوال المتعدِّدة، وقد تكون متعارضة في بعض الأمور؟

فحيث يرى البعض ـ على سبيل المثال ـ أنَّ الزكاة تجب في كلِّ الزروع والثمار وكلِّ ما أنبتت الأرض، يرى آخرون أنَّها لا تجب إلَّا في مزروعات معيَّنة، فالقصب لا تجب فيه الزكاة، وكذلك الحال في القطن والشاي والتفاح والمانجو، وهذا ما جعل بعض الشيوعيِّين في بعض بلاد الشرق الأقصى الَّتي زرتها يقولون: إنَّ الإسلام يوجب الزكاة على الزرَّاع الفقراء ـ زُرَّاع القمح والشعير ـ ويعفي منها الإقطاعيِّين الكبار

QaradawiBooks.com

(أصحاب مزارع المطاط والشاي)؛ لأنَّهم أخذوا بمذهب الشافعي ونسوا مذهب أبي حنيفة.

النوع الثاني: الاجتهـــاد الَّذي يتطلَّبه العصر هو ما يُسَـــمِّيه **الدكتور القرضاوي**: «الاجتهاد الإبداعي الإنشائي»، ويعني به ما يتعلَّق بالمسائل الجديدة في عصرنا الَّتي لم يعرفها الســـابقون أو ربَّمـــا عرفوها ولكن بحجم ضئيل، في مجال المال والاقتصاد ـ على ســـبيل المثال ـ جدَّت شركات لم يكن لنا بها عهد من قبل، مثل شركات المساهمة والتضامن والتأمين، والشـــركات القابضة، والمصارف والبنـــوك وما تقوم به من أعمال كثيرة، خطابات الضمان والاعتمادات المستندية هذه كلها تحتاج من العلماء أن يجتهدوا، وقد يجدون في فقه السلف ما يعاونهم، ولكن لا شـــكَّ أن كثيرًا منها لم يُفرض على الســـلف، أو لـــم يكن بالصورة القائمة الآن. ثمَّ الأمور المتعلِّقة بالطبِّ كزرع الأعضاء، وهل يجوز أن نأخذ عضوًا من كافر لمسلم أو من حيوان ـ كالخنزير والكلب ـ لإنسان، لا بدَّ أن يقول الفقه المعاصر بناء على اجتهاد معاصر رأيه في كل هذه الأمور، لا بدَّ أن نجتهد لعصرنا كما اجتهد فقهاؤنا السابقون لعصرهم، بشرط أن نراعي النصوص من ناحية، ونراعي المقاصد العامَّة للشريعة من ناحية أخرى.

وفي موضوع الاجتهاد يرى الدكتـــور القرضاوي ضرورة مراعاة عدَّة أمور عامَّة منها:

* الاجتهاد ليس بابًا مفتوحًا لكل من «هبَّ ودب». لا بدَّ للمجتهد أن يكون على معرفة تامة بالكتاب والسُّـــنَّة واللغة العربيَّة ومقاصد الشريعة وأصول الفقه ومعرفة النَّاس والحياة.

QaradawiBooks.com

* الأمور الَّتي قطعت فيها الشريعة بحكم لا ينبغي أن تكون موضعًا للاجتهاد، وإلا قلبنا الشريعة كلها رأسًا على عقب.

* لا بدَّ أن نفسح صدورنا للمجتهد حتَّى وإن أخطأ، فهو ليس معصومًا، ولعلَّه لم يُخطئ.

فالرأي الَّذي نعتبره الآن خطأ قد يأتي زمان يعتبره صوابًا كما اعتبرت آراء شيخ الإسلام ابن تيمية ـ في الطلاق ـ في وقت من الأوقات، آراء مرفوضة وهي الآن موضع الاحترام والثقة من لجان الفتوى في معظم بلدان العالم الإسلامي.

تشجيع المجتهد يساعد على استمرار مسيرة الاجتهاد، ومن مزايا الإسلام أنَّه جعل للمجتهد أجرَيْن إذا أصاب وأجرًا إذا أخطأ.

ويختم الدكتور القرضاوي حديثه مع المُحَرِّر بقوله: «حينما ننادي بتطبيق الشريعة الإسلاميَّة والعودة إلى أحكامها لا بدَّ أن ننادي في الوقت نفسه بضرورة وجود الاجتهاد».

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

من الأسباب الرئيسة لتخلُّف المسلمين عدم فهمهم للإسلام، واهتمامهم بالجوانب الشكليَّة[1]

كان ملتقى الفكر الإسلامي الَّذي عقد خلال الشهر الماضي ـ سبتمبر ١٩٨٦م ـ في الجزائر فرصة للقاء عددٍ من أبرز العلماء والمُفَكِّرين الإسلاميِّين الَّذين اشتركوا فيه. وقد عرضنا في الأسبوع الماضي للقاء الَّذي تمَّ مع المجاهد الإسلامي الكبير الشيخ أبي الحسن الندوي ـ واليوم نعرض للقاء الَّذي تمَّ مع الداعية الإسلامي الكبير الدكتور يوسف القرضاوي عميد كُلِّيَّة الشريعة بجامعة قطر وصاحب العديد من المؤلَّفات والدراسات الإسلاميَّة.

المحاور: كيف ينظر الداعية الكبير إلى ما يجري الآن على الساحة الإسلاميَّة من سلبيَّات وخلافات وحروب أبرزها الآن الحرب الدائرة بين إيران والعراق؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: بعض النَّاس يرجعون ما يجري الآن على الساحة الإسلاميَّة إلى تخطيط اليَهوديَّة العالميَّة والصَّلِيبيَّة الغربيَّة والشُّيوعيَّة الدوليَّة، وأنا لا أريد أن أنفي المؤامرة الخارجيَّة فيما يحدث؛ لأنَّنا نعتقد أنَّ هناك بالفعل كيدًا للمسلمين على كلِّ مستوى، ولكن أريد

(١) جريدة الأهرام القاهرية، بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٨٦م، وأجرى الحوار الأستاذ محمود مهدي، مساعد رئيس التحرير، والمشرف على القسم الديني بالأهرام.

QaradawiBooks.com

أن نتحمَّل المسؤوليَّة، إنَّ المسلمين لسوء فهمهم لدِينهم ودنياهم يقعون في مثل هذه الأمور؛ لأنَّ هذه الحروب القائمة بينهم لا لمصلحة الدِّين ولا لمصلحة الدُّنْيا. الدِّين يرفض أن يقتل المسلم أخاه المسلم، وقد حذَّرنا رسولنا الكريم ﷺ من هذا القتال حين قال: «**لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا يضربُ بَعْضُكم رقابَ بعض**»[١]، وقال: «**سباب المسلم فسوقٌ وقتاله كُفْر**»[٢]. الإسلام يرفض تمامًا أن يشهر المسلم سلاحه في وجه المسلم. وإنِّي لفي عجبٍ كيف أصبح المسلمون الَّذين وصفهم الله بأنَّهم أشدَّاء على الكُفَّار رحماء بينهم، أصبحوا أشدَّاء على أنفسهم رحماء بغيرهم. إنَّ تُجَّار الحروب وحدهم هم المستفيدون من ضعف المسلمين، فحين يتقاتلون يبيعون لهم السلاح بالبلايين، وحين تضع الحروب أوزارها هم الَّذين يكسبون البلايين الَّتي ستنفق في تعمير ما خرَّبته الحروب ودمَّرته.

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي:

«الحقُّ أنَّ الحرب بين إيران والعراق حربٌ لا عقل لها، لا يستطيع الإنسان أن يُبَرِّرها بأيِّ منطق، لا بمنطق الدِّين، ولا بمنطق الدُّنْيا، ولا بمنطق الاقتصاد، ولا بمنطق الأخلاق، وينبغي أن تُوقَف فورًا. وعسى أن يسعى العقلاء من المسلمين ـ وقد سعى بعضهم من قبل، ولكن للأسف لم يأتوا بنتيجة ـ أقول: عسى أن يسعى العقلاء مرَّة ومرَّة حتَّى يتوقَّف هذا النزيف الدموي الخطير الَّذي لا يرضى عنه الله ولا العقلاء من النَّاس».

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

المحاور: يرى البعض أن يلتقي عدد من علماء الأُمَّة ومُفَكِّريها في بلدٍ محايد ـ غير العراق وإيران ـ ويواصلوا السعي في تحقيق الصلح، فماذا ترون؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أرى أنَّه لا بدَّ من السعي للصلح، وإذا صدق العزم وَضَح السَّبِيل، ومن سار على الدرب وصل، والله تعالى يقول في قصَّة النزاع بين الزَّوْجَيْن: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء: ٣٥].

ولما بعث عمر رضي الله عنه حَكَمَيْن في قضيَّة من هذا النوع وعادا قائلين: لم نستطع الإصلاح. قال لهما: أصلحا نيَّتكما وعُودا. فعادا بنيَّة غير الأولى فوفَّقهما الله[1].

ولهذا أقول: إذا اجتمع أناس من أهل العلم والفكر الإسلامي ممَّن لا يشكُّ أحدٌ في صدقٍ نيَّتهم وعملهم وإخلاصهم، وعلى أرض محايدة، ووجهوا نداء إلى الفريقين، لعلَّ الله سبحانه ببركة هذه النيَّة الصالحة يوفق بين الفريقين ويتحقَّق الصلح بينهما.

أزمة في الدعوة والدُّعاة:

المحاور: ماذا ترى في دُعاة اليوم.. فيمن يتصدُّون لمسؤوليَّة الدعوة؟ هل تعتقد كما يعتقد البعض أنَّنا نعيش الآن حالة أزمة في الدعوة والدُّعاة؟ وما هو المخرج من هذه الحالة من واقع خبرتكم الطويلة في هذا المجال؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: إنَّ هناك أزمة في الدعوة والدُّعاة لا شكَّ في ذلك، ولكن لا بدَّ أن نُحَدِّد ما المراد بالدعوة والدُّعاة؟

(١) إحياء علوم الدين (٤٩/٢)، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

ليس المراد عندي بالداعيــة مجرَّد الخطيب الَّــذي يُؤَثِّر في النَّاس بوعظه وصوته وقصصه الَّتي يثير بها العواطف، هذا قد يوجد، وإنَّما أريد الداعية الفقيه، الداعية الَّذي يعرف حقيقة الإسلام ويعرف ما يجري في هــذه الحياة، لا يعيــش منعزلًا عن عصــره، وما يدور فيه مــن تيارات وما يعتريه من مشكلات. نحن نريد الداعية الَّذي يفقه أحكام الله الشرعيَّة وســنن الله الكونيَّة، نحن الآن في حاجة إلى الداعيــة الفقيه الَّذي يُعلم النَّاس الإسلام حقَّ التعليم، الداعية الَّذي لا يشــغل النَّاس بالسُّنَّة وهم يضيعون الفرض، ويشغلهم بأمرٍ مختلفٍ فيه وهم يرتكبون الكبائر!

وللأسف، فإنَّ كثيرًا من المسلمين يشتغلون بالمرجوح عن الراجح، وبالمفضول عن الفاضل، وبالنوافل عــن الفرائض، مع أنَّ المُقَرَّر عندنا فقهًا أنَّ الله تعالى لا يقبل النافلة حتَّى تؤدَّى الفريضة. والسلف يقولون: «من شــغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور»[1].

من هنا لا بدَّ من إعداد دُعاة على مستوى الإسلام من ناحية، وعلى مستوى الدعوة المطلوبة.

وقد تناول الحديث مع الدكتور القرضاوي عددًا كبيرًا ممَّا يدور الآن على الساحة الإســلاميَّة نعرض اليوم لبعضه، ونواصل عرض الباقي في الأسابيع القادمة.

لقد تحدَّثنا عن واقع العالم الإســلامي المعاصر، وأسباب التخلُّف الَّذي يعيــش فيه معظم المســلمين في بــلاد العالم. كمــا تحدَّثنا عن

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٤٣/١١).

QaradawiBooks.com

مشكلات الدعوة ومستوى الدُّعاة، وما يرتبط بذلك من فراغٍ دِيني لدى بعض الشباب، وتطرُّف في الفهم والسلوك لدى البعض الآخر. وتناول الحديث مع الداعية الإسلامي الكبير قضايا إسلاميَّة أخرى مثل: قضيَّة تطبيق الشريعة، والحرب بين إيران والعراق بصفة خاصَّة، والمنازعات القائمة بين المسلمين بصفة عامَّة والسبيل لمواجهتها.

ثُمَّ كان لنا حديث مُفَصَّل حول الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في وقت جدَّت فيه كثير من المسائل ـ خاصَّة في جانب المعاملات ـ تحتاج إلى حسمٍ يُريح ضمائر المؤمنين.

عن الواقع المعاصر للمسلمين وأسباب تخلُّفهم بعد أن كانوا قبل في مرتبة القيادة والريادة في كثير من مجالات الحياة يقول الدكتور يوسف القرضاوي:

«ما نحن فيه اليومَ هو نتيجة لما وقع للمسلمين في الأعصُر الأخيرة، حينما أساؤوا فهم الإسلام وأساؤوا تطبيقه، فأخذوا منه جانبًا ونسوا جوانب. لقد اهتمُّوا ببعض الجوانب العباديَّة وبعض الجوانب الشكليَّة، أمَّا الجوانب الاجتماعيَّة، والجوانب العلميَّة، والجوانب الَّتي تتعلَّق بكيان الأُمَّة، فقد أهملت رغم أنَّ الإسلام أعطى هذه الجوانب الشيء الكثير، ولننظر في قول النبيِّ ﷺ: «**ألا أدلُّكم على أفضل من الصلاة والصيام والصدقة؟ إصلاح ذات البَيْن**»[1]. إنَّ النبيَّ ﷺ هنا أعطى المعنى الاجتماعيَّ أكثر من المعنى التعبُّدي الفردي».

(١) رواه أحمد (٢٧٥٠٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩١٩)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٩)، وقال: حديث حسن صحيح. عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

ويضيف **الدكتور القرضاوي**: «لقد قرَّر فقهاء الأُمَّة أن كُلَّ علم يحتاج إليه المسلمون في دِينهم أو دُنْياهم، فإنَّ تعلُّمه وإتقانه فرض كفاية تأثم الأُمَّة كلُّها إذا فرطت فيه ـ وأولو الأمر خاصَّة.

إنَّ الطبَّ والهندسة والتشريح والفيزياء والكيمياء وغيرها، علوم يحتاج إليها المسلمون، ومع هذا لم تُعْطَ حقَّها، واشتغل المسلمون بما سمَّوْه علوم الدِّين، وتوسَّعوا فيها توسُّعات لم تكن عند السلف الصالح، وكان أولى بهم لو شغلوا أنفسهم بما يُهِمُّهم ويرفع من شأنهم في أمر دُنْياهم، وقد ترتَّب على هذا أنَّ أوربا الَّتي أخذت منا منهج الحضارة الإسلامي: المنهج التجريبي الاستقرائي، استفادت به وارتقت، ونمنا نحن وتخلَّفنا، وبعد أن أفقنا وجدنا المسافة شاسعة بيننا وبين القوم ونريد اللحاق بهم فلا نستطيع».

التخلُّف جريمة في حقِّ الإسلام:

المحاور: كيف نخرج من هذا التخلُّف ونُعَوِّض ما فاتنا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا بدَّ من وعي بضرورة هذا الأمر، واعتباره فريضة علينا، إنَّ التخلُّف جريمة منكرة في حقِّ الإسلام، ثمَّ لا بدَّ من تفجير طاقات الإنسان المسلم عندنا، ولا يُفَجِّر هذه الطاقات إلَّا الإيمان.

لا بدَّ من تنمية الإيمان في نفوس النَّاس، القرآن الكريم يشير إلى أنَّ الإنسان عنده أحيانًا طاقة تُماثل عشرة أمثال ما عند غيره كما في قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥]. الإنسان بالصبر والاحتمال يمكن أن يكون عنده ما عند عشرة أمثاله، ومن هنا نستطيع أن نُهيِّئ ونُجَنِّد طاقات أُمَّتِنا لو قُدْناها بالإيمان، قُدْناها بالله أكبر، لو رفعنا أمامها المصحف وقلنا لها: سيري على بركة الله.

QaradawiBooks.com

التقدُّم ليس كلمة تُقَال، ولكنَّه يحتاج إلى مناخٍ صِحِّي، مناخ إيماني، مناخ أخلاقي، مناخ سياسي، والَّذين يظنُّون أنَّ عمليَّة التكنولوجيا والتقدُّم المادِّي بعيدة عن العقيدة أو بعيدة عن الأخلاق مخطئون، إنَّنا لا نستطيع أن نوجد الصانع الَّذي يُتْقن عمله ويتفوَّق فيه ويصنع الآلة المُحْكَمة إلَّا في ظلِّ أخلاقٍ تُرَاعى فيها الأمانة ويعرف فيها الصانع: «**إنَّ الله يحبُّ إذا عمل أحدُكم عملًا أن يتقنه**»[١]، و«**إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيءٍ**»[٢].

وباختصار، فإنَّ العودة إلى الإسلام الحقيقي الَّذي نُحْسِن فهمه ونُحْسِن تطبيقه، ونعيش في رحابه، هي الَّتي توصلنا إلى التقدُّم المنشود وتجعلنا نتجاوز مرحلة التخلُّف الَّتي نشكو منها.

* * *

(١) سبق تخريجه صـ١٧٠.

(٢) سبق تخريجه صـ١٧٠.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مسؤوليَّة الحركة الإسلاميَّة والخطوط العريضة لترشيدها[1]

إنَّ الفهم الصحيح للإسلام والعمل المستمرَّ الدؤوب يحقِّقان للحركة الإسلاميَّة تجنُّب المزالق الَّتي قد تعترضها.

والكتاب الَّذي نعرض له اليوم للداعية والمُفَكِّر الإسلامي الكبير الدكتور يوسف القرضاوي يتناول: «مسؤوليَّة الحركات الإسلاميَّة والخطوط العريضة لترشيدها».

وقد أكَّد المؤلف أنَّ مفتاح شخصيَّة الأمة الإسلاميَّة ومفجِّر طاقاتها هو الإيمان بالله تعالى الَّذي جعلها من قبل: «خير أُمَّة أخرجت للناس»، وحقَّق لها النصر على أعظم الإمبراطوريات رغم قلَّة عددها وعُدَّتها.

فنحن نملك أعظم عقيدة وأكمل رسالة، فما أحوجنا إلى الاستفادة من كل الطاقات الفِكْريَّة والبشريَّة والاقتصاديَّة، والعمل الصادق لتجديد الدين وتحكيم شريعته وإحياء الأُمَّة به والعودة به إلى مكانه الطبيعي والتاريخي في قيادة المجتمع، وتطبيقه في كلِّ مجالات الحياة خُلُقًا وسلوكًا، وفكرًا وشعورًا، واعتقادًا وتعبدًا، وتشريعًا وتوجيهًا، وقضاء وتنفيذًا، فالحركة الإسلاميَّة قبل كلِّ شيءٍ هي دعوة للناس أن يقوِّموا المُعَوِّج ويصلحوا الفساد ويتداركوا ما ضاع.

(١) جريدة الأهرام القاهرية، بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٩٨٦م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويقول المؤلف: «إنَّه من غيــر العدل أن نُحمل الحركة الإســلاميَّة مسؤوليَّة كلِّ ما عليه مسلمو اليوم من تمزُّق وتخلُّف هو حصيلة عصور الجمود وعهود الاستعمار وعهود الحكم العثماني بعد الاستقلال.

الحركة الإســلاميَّة عليها قدر من المســؤوليَّة يــوازي ما لديها من أســباب وإمكانات ماديَّة ومعنويَّــة هيَّأها الله لها، اســتخدمت بعضَها، وأهملت بعضًا آخر، وأساءت استعمال بعض ثالث».

حدَّد المؤلف الأسباب الذاتيَّة الَّتي عاقت الحركة الإسلاميَّة عن بلوغ غاياتها في إقامة المجتمع الإسلامي المنشود واستئناف الحياة الإسلاميَّة القائمة على عقيدة الإسلام وشريعته نوجزها فيما يلي:

أوَّلًا: ضعف النقد الذاتي:

ينبغي للحركة الإســلاميَّة أن تقــف بين الحين والحين مع نفســها للتقويم والمراجعة، وأن تُشَجِّع أبناءها على تقديم النصح وإن كان مُرًّا، والنقد وإن كان موجعًا، فالحركة الإســلاميَّة ليست مِلْكَ نَفْسِها بل مِلْك الأُمَّة الإســلاميَّة كلِّها وملك الأجيال الإســلاميَّة القادمة، فمن حقِّها أن تعرف ما في هــذه الحركة من مواضع القوَّة وما يؤخــذ عليها من نقاط الضعف لتأخذ منها العبرة. والواجب أن يُفتــح باب النقد الذاتي لأهله القادرين عليه.

ثانيًا: الانقسام والاختلاف:

من الواجــب على قــادة الحركة الإســلاميَّة أن يحاولــوا التقريب والتوفيق بين الهيئات الإسلاميَّة على اختلاف نزعاتها، وأن يبرز العلماء والمفكرون مواضــع الاتفاق الَّتي يجــب التعاون فيها، وتقريب شُــقَّة

QaradawiBooks.com

الخلاف في مواضع الاختلاف، وتخفيف حدَّة الجدل والخروج من هذه الدراسة بورقة عمل أو وثيقة شرف يمكن أن يلتقي الجميع عليها.

ثالثًا: غلبة الاتِّجاه العاطفي على الاتِّجاه العقلي والعلمي:

وقد أبرز المؤلِّف ثلاثة أمور من آثار غلبة العاطفة:

١ ـ قصور الدراسة والتخطيط لواقع الأُمَّة والقوى المعادية للإسلام.

٢ ـ الاستعجال في خوض معارك قبل أوانها وأكبر من طاقاتها.

٣ ـ المبالغة في الإعجاب بأنفسنا ونبالغ في النقد لغيرنا.

رابعًا: الخوف من التجديد:

من نقاط الضعف في الحركة الإسلاميَّة أنَّها تخاف من الاجتهاد ولا ترحب كثيرًا بالتجديد ولا تميل إلى مواكبة التطوُّر.

ويقول المؤلف: «وقد تحدَّثت عن الخطوط العريضة لمستقبل الحركة الإسلاميَّة المنشودة في فهم الإسلام ـ في ملتقى الفكر الإسلامي الثامن عشر بالجزائر (يوليو ١٩٨٤م) ـ وحدَّدت المنطلقات العشرين، والَّتي اعتبرت بمثابة «ورقة عمل» لتوجيه الحركة الإسلاميَّة، ويكفيني أن أشير إلى عناوين هذه النقاط، ولا ريب في أن كلَّ نقطة منها تحتاج إلى تفصيل، فلا بدَّ أن تنتقل دائرة الاهتمام والتركيز من الفروع والجزئيَّات إلى الأصول والكُلِّيَّات، من النوافل إلى الفرائض، ومن المُخْتَلَف فيه إلى المُتَّفَق عليه، ومن أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب، ومن طرفي الغُلُوِّ والتفريط إلى الوسطيَّة والاعتدال، ومن التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير، ومن الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد، ومن الكلام والجدل إلى العطاء والعمل، ومن العاطفيَّة والارتجال إلى العلميَّة

QaradawiBooks.com

والتخطيط، ومن التعصُّب على المخالفين في الرأي إلى التسامح معهم، ومن الإثارة إلى التفقيه، ومن الكمِّ إلى الكيف، ومن سماء الأحلام إلى أرض الواقع، ومن الاستعلاء على المجتمع إلى المعايشة له، ومن الانكفاء على الماضي إلى معايشة الحاضر والإعداد للمستقبل، ومن الاستغراق في العمل السياسي إلى الاهتمام بالعمل الاجتماعي، ومن الاختلاف والتشاحن إلى التعاون والتآلف، ومن إهمال شؤون الحياة إلى التعبُّد بإتقانها، ومن الإقليميَّة الضيِّقة إلى العالميَّة الواسعة، ومن الإعجاب بالنَّفْس إلى محاسبة النفس».

ويستطرد المُؤَلِّف فيقول:

«لا بدَّ للحركة الإسلاميَّة أن تُحَدِّد لنفسها ميادين للعمل تخدم بها دِينَها وأُمَّتها، وألَّا يستهلك العمل جانبًا واحدًا، فما زال العمل الاجتماعي يحتاج إلى مزيدٍ من العمل والجهد.

وهذا ما دعانا للمناداة بتكوين «الهيئة الخيريَّة الإسلاميَّة العالميَّة» الَّتي تعمل بكلِّ طاقاتها على توفير الغذاء للجائع، والكساء للعاري، والدواء للمريض، والرعاية لليتيم، والإيواء للمُتَشَرِّد، والتعليم للجاهل، والتشغيل للعاطل، والتدريب للعامل، والمشاركة الجادَّة في تنمية المجتمعات الإسلاميَّة من داخلها».

المستقبل يبشر بالخير للحركة الإسلاميَّة:

ويقول المُؤَلِّف: «وممَّا يُقَوِّي رجاءنا في المستقبل:

١ ـ أن معنا الحقَّ الَّذي قامت به السماوات والأرض، والقرآن الكريم الَّذي يحمل الهداية للفرد، والسكينة للأسرة، والخير للإنسانيَّة.

QaradawiBooks.com

٢ ـ وأنَّ معنا فطرة الإسلام والَّتي يرجع إلى حظيرتها كلَّ يومٍ أعدادٌ غفيرة تهتدي بعد ضلال وتنضمُّ إلى موكب الإسلام.

٣ ـ وأنَّ معنا شعوب الأُمَّة الإسلاميَّة الَّتي غدا الإسلام لُحْمتها وسَداها وأصبح جزءًا لا يتجزَّأ من كيانها العقلي والنفسي والاجتماعي، فلا يمكنها أن تعيش وتُحقِّق ذاتها إلَّا بالإسلام.

٤ ـ وأنَّ معنا مصلحة الإنسانيَّة الَّتي شقيت بفلسفات البشر وتشريعات الأرض، فما عاد يسعدها إلَّا هداية السماء، ولا توجد هذه الهداية نقيَّة مُصَفَّاة إلَّا في رسالة مُحَمَّد ﷺ الَّتي حفظ الله كتابها.

٥ ـ ومعنا ـ قبل ذلك كلِّه وبعده ـ تأييد الله تبارك وتعالى الَّذي وعد بنصر مَنْ ينصره، وتكفَّل بأن يظهر دِينَه على الدِّين كُلِّه ولو كره الكافرون، وأن يتمَّ نوره وإن كاد له الكائدون».

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الأسوة الحسنة[١]

نستأنف اليوم حديثًا بدأناه في الأسبوع قبل الماضي مع الداعية الإسلامي الكبير الدكتور يوسف القرضاوي عميد كُلِّيَّة الشريعة بقطر، وصاحب العديد من الدراسات والأبحاث في مجال الفكر الإسلامي.

يُحَدِّثنا اليوم عن أسباب التطرُّف لدى بعض الشباب، وكان قد عالج هذا الموضوع في كتابه «الصحوة الإسلاميَّة بين الجمود والتطرُّف» فيقول:

«إنَّ ثَمَّة أسبابًا كثيرة لهذا التطرُّف، منها ما هو علميٌّ وفكريٌّ ونفسيٌّ، ومنها ما هو اجتماعيٌّ وسياسي، كذلك فإنَّ للفراغ الديني دوره في هذا الموضوع بسبب عدم وجود كثيرين من الدُّعاة الَّذين يعلمون النَّاس الإسلام الصحيح».

ويرى **الدكتور القرضاوي**: أنَّ التطرُّف يحتاج إلى حكمة في معالجته فلا ينبغي أن نقف ممَّن نعتبرهم متطرفين موقف ممثل الاتِّهام، وإنَّما ينبغي أن نقف منهم موقف الأبوة، نشعرهم بقربهم منا وحرصنا عليهم. ومن هنا نستطيع أن ندخل إلى قلوبهم وعقولهم، ونبدأ في إقناعهم

(١) جريدة الأهرام القاهرية، بتاريخ ٢٤ أكتوبر ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

بالإسلام الصحيح ونعرض عليهم الحجج، وهي معنا كثيرة، وهي دائمًا في جانب الاعتدال، فليس في الإسلام إفراط ولا تفريط.

ويركز الداعية الإسلامي الكبير على أن يقوم بهذه المُهِمَّة علماء لا شُبهة عليهم؛ لأنَّ بعض من يقومون بها قد يُتَّهَمُون عند بعض الشباب بأنَّهم دُعاة للسلطة أو أنَّهم أبواق لغيرهم، ويعملون لحساب الآخرين، ولهذا من المهمِّ لكي نردَّ هؤلاء الشباب إلى صراط التوازن، ونخرجهم من هذا الغُلُوِّ والتطرُّف، أن نراعي هذا الجانب عند من يُخاطبون الشباب.

ثُمَّ ينتقل بنا الحديث مع الدكتور القرضاوي إلى موضوع تطبيق أحكام الشريعة الإسلاميَّة، هل يبدأ التطبيق على الفور ـ كما يرى البعض ـ أم لا بدَّ من التهيئة؟

فيقول: «إنَّه أوَّلًا يحب أن يُؤَكِّد على أنَّ الإسلام كما يفهمه هو نظام حياةٍ يصحب الإنسان في رحلة حياته من صرخة الوضع إلى أنَّة النزع، بل من قبل أن يولد وبعد أن يموت، لأنَّ هناك توجيهات وأحكامًا تتعلَّق بالجنين في بطن أُمِّه وأحكامًا أخرى تتعلَّق بالإنسان بعد موته كتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه وتنفيذ وصاياه وقضاء ديونه وتوزيع تركته.

الإسلام الَّذي يفهمه منهاج حياة كامل، ولا يجب قصره على الجانب القانوني وحده، والعقوبات تدخل في هذا الجانب. صحيح أنَّ الحدود جزءٌ لا يتجزَّأ من الشريعة ولكنَّها ليست كُلَّ الشريعة».

وعن طريق التطبيق يقول: «لا بدَّ من تهيئة، وإن كانت هناك أشياء لا تحتاج إلى تهيئة ينبغي أن نبدأ بها على الفور، كتنقية المجتمع من المظاهر غير الإسلاميَّة. أمَّا الأمور الَّتي تحتاج إلى تهيئة فهي تتعلَّق مثلًا بالنظام الاقتصادي ونظام التعليم، فهذا لا يتمُّ بين يومٍ وليلة، لا بدَّ أن

QaradawiBooks.com

نكون واقعيِّين ونقول بالتهيئة أولًا، بشـــرط ألَّا يتَّخذ هذا سبيلًا لإرجاء الأمر وتمويته.

يجب أن نعود إلى الإســـلام كُلِّه: عقيدة، وعبادة، وأخلاقًا، وشريعة، وينبغي أن نضع خطَّة لتحويل المجتمع إلى مجتمع إسلامي.

في عصور الاشـــتراكيَّة كانوا يقولون: نحن لم نُطَبِّق الاشتراكيَّة، بل نحن في مرحلة التحول الاشتراكي.

نحن أيضًا نريد مرحلة التحوُّل الإســـلامي، والتحـــوُّل ليس مُجَرَّد كلام يقال، بـــل يحتاج إلى خطَّة وتحديد منهج وتحديد وســـائل، كما يحتاج إلى تحديد مراحل، كلُّ مرحلةٍ تُسَلِّم إلى ما بعدها حتَّى يتحقَّق التطبيق الكامل».

وما زال الحديث مســـتمرًّا مع الداعية الإســـلامي الكبيـــر الدكتور يوسف القرضاوي.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هل نعيد كتابة تاريخنا الإسلامي[١]

فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي مع من ينادي بإعادة النظر في كتابة تاريخنا الإسلامي تدفعه إلى ذلك أسبابٌ منها:

أنَّ زيفًا كثيرًا قد تعرَّض له تاريخنا الإسلامي في فترات بعينها لعبت فيها الأهواء دورها.

ومنها: أنَّ تاريخنا الإسلامي قد كتب نقلًا عن روايات شفهيَّة ينقص أكثرها السند والتوثيق.

لكنَّه يضع شروطًا يُرَكِّز عليها ويُحَدِّدها تفصيلًا مطالبًا بمراعاتها عند إعادة كتابة تاريخنا الإسلامي وإلَّا أصبح الأمر فوضى وأصبحنا في حاجة إلى إعادة كتابته من جديد!

يقول **الدكتور القرضاوي**: «إنَّ التاريخ ذاكرة الأُمَّة ومرآة ماضيها الَّتي تنطلق منها إلى مستقبلها، ولا يجوز للأمة أن تهمل تاريخها وتبدأ من الصفر إلَّا إذا كانت أمة فاقدة لذاكرتها فهي أُمَّة مريضة ـ إذن ـ ومبتلاة، ولو جاز هذا لأُمَّة من الأمم لما جاز لأُمَّتنا الإسلاميَّة الَّتي صنعت تاريخًا

(١) جريدة الأهرام القاهرية، بتاريخ ٧ أكتوبر ١٩٨٨م وأجرى الحوار الأستاذان سيد أبو دومة وسامي دياب.

QaradawiBooks.com

من أعرق التواريخ وحضارة شـامخة الذرى فاقت الحضارات بشمولها وتوازنها وربَّانيَّتهـا وإنسـانيَّتها وأخلاقيَّتها، فلا غـرو أنْ يهتمَّ العلماء والمُفَكِّرون بالتاريخ وكتابة التاريخ.

ومن هنا اتَّفق مع مَنْ نادَوْا بإعادة النظر في كتابة تاريخنا الإسلامي بشـرط أن يبدأ ذلك بمنهاجٍ قويمٍ وفـي ضوء مفاهيـم واضحة، ومن منطلقات يتَّفق عليها وإلَّا أصبح الأمر فوضى، وأصبحنا بعد إعادة كتابة تاريخنا الإسـلامي في حاجة إلى أن نطالب بإعـادة كتابته مرَّة أخرى، وهكذا يدور الأمر أو يتسلسل!

تاريخنا تَعَرَّض لكثيرٍ من الزيف:

والَّذي يجعلنـا نوافق الداعين إلى إعـادة كتابته بمنهـجٍ جديدٍ أن تاريخنا تعرَّض لدخـول كثيرٍ من الزيف إليه وخاصَّة فـي فترات معيَّنة لعبت فيها الأهواء دورها، ودخلت فيها عناصر مُخَرِّبة، واسـتغلَّت فيها قوى خَفِيَّة الفتن الَّتي حدثت والَّتـي كانت لها هي أصابع ذات أثر كبير في تحريكها وإشعالها وإيصالها إلى أمد لم يكن يتوقَّعه أحد».

روايات شفهيَّة ينقصها السند والتوثيق:

ويسـتطرد **الدكتور القرضاوي**: «إنَّ تاريخنا الإسلامي قد كُتب نقلًا عن روايات شفهيَّة ينقص أكثرها السند والتوثيق، لهذا كان أهمُّ ما نحتاج إليه في كتابة تاريخنا الإسـلامي هو توثيقَ المصـادر، ولا أعني بتوثيق المصادر مجرَّد أن يقال: هذه الواقعـة ذكرها الطبري أو البلاذري أو ابن الأثير في كتابه كذا الجزء كذا، فهـذا ليس توثيقًا، فإنَّ هؤلاء المؤرِّخين قد جمعوا في كتبهم الصحيـح والضعيف والموضوع، وكان أكبر همِّهم

QaradawiBooks.com

أن ينقلوا كلَّ ما بلغهم من روايات دون أن يُعمِلوا مِبْضَع الجَرْح والتعديل في رواتها أو يتأمَّلوا في متونها وموضوعاتها كما فعل علماء الحديث في نقد رواياته.

ومن هؤلاء المُؤَرِّخين أنفسهم علماء كبار في علم الحديث ومعرفة الأصول اللازمة لنقد الروايات والمعايير العلميَّة بتوثيقها أو تصنيفها، ولكنَّهم لم يستخدموا خبرتهم هذه في نقد الروايات التاريخيَّة، والطبري مثال بارز لهذا النوع من العلماء، فهو في كتبه الحديثيَّة والفقهيَّة ينقد الأسانيد ويُمَحِّص الروايات ويقبل منها ويردُّ حسَب المقاييس العلميَّة المعروفة، ولكنَّه لم يفعل ذلك في كتابه «تاريخ الرسل والملوك» المعروف بـ «تاريخ الطبري».

وسبب ذلك في يقيني أمران:

الأوَّل: أنَّه يرى أنَّ التشدُّد في الأسانيد والنقد للروايات إنَّما يجب فيما يتعلَّق بأمر الحلال والحرام والفرائض وغيرها، أمَّا التاريخ فهو في نظره لا يستحقُّ هذه المعاناة، وهذا ما ذكره بصراحة في مقدِّمة تاريخه فقال: «إنَّنا لم نردَّ بهذا الكتاب الاحتجاج أو الاستدلال».

الأمر الثاني: أنَّه نقل الروايات بأسانيدها، وهم يقولون: «من أسند لك فقد حمَّلك»، أي: حمَّلك مسؤوليَّة البحث عن السند.

فلنعدْ إلى منهج الجرح والتعديل:

وهذا كان سهلًا في زمنهم، حيث كان النَّاس على صلة بعلم الأسانيد ومعرفة الرجال، إذا ذُكر راوٍ معين عرف النَّاس قيمة الرواية الَّتي يرويها، لكنَّ الخطر يكبُر حينما يفقد النَّاس هذه المَلَكة وهذه

QaradawiBooks.com

المعرفة، فإذا قــرأ أحدنا كتابًا مثــل تاريخ الطبري اســتوت عنده كلُّ الأسماء الَّتي تقترن بالروايات.

وواجبنــا الآن أن نرجع إلى منهــج المُحَدِّثيــن، أي: منهج الجرح والتعديل في نقد الأســانيد الَّتي تروى بها الوقائع التاريخيَّة في أُمَّهات الكتب وفي غيرها مــن الكتب الَّتي تُروى بالأســانيد أيضًا، ولو كانت كتب أدب كالأغاني أو العِقْد الفريد أو نحو ذلك.

أمور ينبغي أن تراعى:

ويُركِّز الدكتور يوسف القرضاوي على أمورٍ ينبغي أن تراعى في رأيه عندما نعيد كتابة تاريخنا الإسلامي:

١ ـ فيجب أن نكون عُدولًا في نظرنا إلى هذا التاريخ، فلا يجوز أن نضخم ناحية من النواحي السلبيَّة على حساب النواحي الإيجابيَّة.

فإذا أخذت كتابًا كالأغاني وأردت أن تأخذ منه صورة المجتمع في العصر العبَّاســي فلقد ظلمت العصر العبَّاســي؛ فكتــاب الأغاني يُمَثِّل شريحة مُعَيَّنة من المجتمع ليست هي المجتمع الحقيقي ولا أغلبه.

كذلك ينبغي أن نكون عدولًا عند تقويم الأشــخاص، فإذا أردنا أن نقوِّم شخصيَّة كشخصيَّة هارون الرشيد فعلينا أمران:

الأول: أن نُمَيِّــز بين الصحيح وغيــر الصحيح مــن الروايات الَّتي تتحدَّث عن الرشيد، وما أكثر التزييف في هذه الأشياء وخاصَّة من الَّذين يهوون المبالغات ويجعلون من الحبَّة قُبَّة.

والثاني: أن نُقَوِّم الشــخص بمجموع أعماله ومواقفه وآثاره، فرجل كالرشيد كان يغزو عامًا ويحج عامًا، وكان يستنصح الوُعَّاظ ويبكي عند

QaradawiBooks.com

الموعظة، ويقوم الليل ويكرم العلماء، فمثل هذا لا يُتَصَوَّر أن يكون بالصورة الَّتي يأخذها كثير من النَّاس من «ألف ليلة وليلة» ويُسَمُّون ذلك تاريخًا!

٢ ـ ويجب أيضًا عند إعادة كتابة تاريخنا الإسلامي ألَّا نخضعه للأهواء والتيارات الأيديولوجيَّة المختلفة، فالليبرالي يريد أن ينظر إلى تاريخنا من وجهة نظر ليبراليَّة أو رأسماليَّة، والاشتراكي أو الماركسي يريد أن يكتب التاريخ الإسلامي ويفسره في ضوء التفسير المادِّي، ويريد أن يقسر الأحداث قسرًا لتمشي في ركاب نظريَّته، حتَّى إنَّه يقسم الصحابة بين يمينٍ ويسار، ويدير عجلة التاريخ على هذا الأساس.

كما أنَّ المتطرفين من القوميِّين يريدون أن يكتبوا تاريخنا الإسلامي من وجهة قوميَّة بحتة، ينصرون فيه العروبة على الإسلام، ويقيمون بينهما حربًا لا مبرر لها، فالإسلام هو صانع أمجاد العروبة ومُخَلِّد ذكرها وباعث أُمَّتها وصاحب رسالتها، والعروبة هي وعاء الإسلام ولغتها هي لسانه وأرضها هي حرمه، ولكن قومًا يريدون أن يحذفوا الإسلام ويبقوا العروبة وحدها، يقولون: حضارة عربيَّة لا إسلاميَّة، وبطولات عربيَّة لا إسلاميَّة، حتَّى من لم يكونوا عربًا من ناحية العنصر جعلوهم عربًا كعماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي. وهؤلاء مسلمون عرَّبهم الإسلام.

٣ ـ ويجب ألَّا ننسى إذا كتبنا عن الصحابة في تاريخنا الإسلامي أن هؤلاء الصحابة هم الَّذين آمنوا برسول الله ﷺ ونصروه واتَّبعوا النور الَّذي أُنزل معه من المهاجرين والأنصار، وأنَّ القرآن الكريم أشاد بهم، وأنَّ الرسول ﷺ ذكرهم بكلِّ خير، وحذَّر من الإساءة إليهم، فأيِّ كتابة عنهم

QaradawiBooks.com

ينبغي أن تضع هذه العناصر المُتَّفــق عليها في اعتبارها لا على معنى أنَّ الصحابة معصومون وأنَّهم لا يقع منهم خطأ، ولكن على ما قاله النبيُّ ﷺ في شــأن واحد من أهل بدر أخطأ خطأً كبيرًا عند تخطيطهم لفتح مكَّة، حتَّى هــمَّ عمر أن يضــرب عنقه قائــلًا إنَّه قــد نافق، فقــال النبيُّ ﷺ: «**وما يدريكَ يا عمر، لعلَّ الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فإنِّي قد غفرتُ لكــم؟**»[1]، فعَلَّمه النبــيُّ ﷺ أنَّ الرجل الَّــذي له تاريخ لا يسقط بموقفٍ واحد، وأنَّ سوابقه تشفع له، وهذا هو العدل والإنصاف في النظرة إلى هذه المرحلة الخطيرة من مراحل تاريخنا العظيم.

٤ ـ وينبغي أن نراعي عند إعادة كتابة تاريخنا الإسلامي أنَّ التاريخ ليس هو التاريخ السياسي فقط، أعني أنَّ التاريخ ليس هو تاريخ الملوك والحكام وحدهم، وإنَّما يجب أن يكون تاريخ الشعوب والمجتمعات أيضًا.

وكذلك فإنَّ تضخيم الجانب العسكري في تاريخنا الإسلامي ـ ابتداء من السِّــيرة النبويَّة وما بعدها ـ أعطى انطباعًا لدى الناشئة وغيرهم بأنَّ الإسلام دينُ سَيْفٍ وحرب، وأنَّه معركة مُسْتَعِرة الأُوَار مستمرَّة اللهيب، فالسِّيرة النبويَّة غزوات، وعهد أبي بكر وعمر فتوح، وعصر عثمان وعليٍّ حرب أهليَّة، وعصر الأُمويِّين عصبيَّات وحروب، مُغْفِلين جانب الرسالة وجانب الدعــوة وجانب الحضارة في هذا التاريــخ، وهذا كلُّه يجب أن يُصَحَّح وأن ينظر إلى التاريخ نظرة شاملة متكاملة.

٥ ـ كذلك يجــب أن ننبِّه إلى أنَّ كثيــرًا ممَّن يكتبــون في تاريخنا الإســلامي يقعون ـ من حيث يشعرون أو لا يشــعرون ـ أسرى لما كتبه المستشرقون في هذا الجانب.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد (٣٠٠٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤)، عن عليٍّ.

QaradawiBooks.com

ولا ننكر أنَّ للمستشرقين جهودًا في كتابة تاريخنا وغيره من نواحي تراثنا الرحب، ومنهم منصفون إلى حدٍّ كبير، ولكن قلَّما تخلو كتاباتهم من ثغرات وآفات بعضها يرجع إلى طبيعة تكوينهم الفكري والعقائدي، فهم ينظرون إلى العالم كُلِّه وإلى التاريخ كُلِّه من زاوية الغربي الَّذي يرى أن أوربا هي أم الدُّنْيا وأنَّ الحضارة من هناك بدأت وإليها انتهت، كما أنَّ نظرتهم إلى الإسلام تحكمها عُقد موروثة منذ الحروب الصَّلِيبيَّة، قد تكمن ولكنَّها لا تزول، وتختفي ولكنَّها لا تموت!

وقد اعترف كثيرٌ منهم بهذه العُقْدة إذا كتبوا عن الإسلام والمسلمين.

ومن هنا ينبغي ألَّا تؤخذ النتائج الَّتي وصلوا إليها قضايا مسلَّمة، وإنَّما ينبغي أن تناقش في ضوء منهج النقد والتمحيص للروايات.

ويستنكر الدكتور يوسف القرضاوي وصف البعض لتاريخنا الإسلامي بأنَّه ظلمات بعضها فوق بعض، وبأنَّ الغالبيَّة العظمى من حُكَّامنا المسلمين ـ بعد عصر الراشدين ـ كانوا حُكَّام ظلمٍ، فيقول: «إن في ذلك ظلمًا أي ظلم، وتحاملًا أي تحامل على تاريخنا».

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مشكلات النظام غير الإسلامي

المحاور: هناك مجموعة أمور نرى أنَّ لها علاقة وثيقة بقضايا الاجتهاد.

يرى بعض الكتَّاب والمُفكِّرين الإسلاميِّين أنَّ الإسلام كفيل بحلِّ المشكلات الذاتيَّة الناجمة عن تطبيق نظامه بعد أن تجذَّرت أسبابها بسبب إبعاد الشريعة عن الساحة، وأنَّ سببَ كثيرٍ من المشكلات الَّتي نراها هو تطبيق أنظمة غير إسلاميَّة، ولو طُبِّق النظام الإسلامي لَمَا كان لها وجود، ولما احتاجت إلى اجتهادٍ وحلول، وأنَّ الاجتهاد لمثل هذه المشكلات يمكن أن يُصنف في باب إيجاد المُبَرِّرات أو المُسَوِّغات لحركة المجتمعات غير الإسلاميَّة، ويأتي على حساب العمل لإقامة المجتمع الإسلامي، وإنَّ الإسلام يأبى مثل هذا التجزئة والتبعيض، ويجب أن يؤخذ كَكُلٍّ، حتَّى شاعت الكلمة المشهورة: «خذوا الإسلام جملة أو دعوه».

وقد لا تكون المشكلة ـ كما نتصوَّرها ـ بهذه السهولة، خاصَّة وأنَّ هذه المجتمعات هي مجتمعات مسلمين، إن لم نشترط في تسمية المجتمع الإسلامي، أن يكون ملتزمًا الإسلام في نظامه.

والمسلمون يواجهون بمشكلات كثيرة لا بدَّ لهم من التعامل معها.

فما مدى دقَّة هذا الرأي؟ وهل نترك المسلمين تائهين، أم لا بدَّ لنا من الاجتهاد في بيان حُكْمِ الشرع، فيما يقع ضمن مقدورهم؟

QaradawiBooks.com

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: قد ناقشـــتُ هذا الرأي حـــول «الاجتهاد المعاصر ومدى جِدِّيَّته وجدواه» في الفصل الأخير من كتابي «الاجتهاد في الشريعة الإسلاميَّة»، مناقشة تفصيليَّة، وخلاصة ما أقوله هنا أنَّني أُقَدِّر وجهة نظر هؤلاء الكُتَّاب والمُفَكِّرين الإســـلاميِّين، وأُقَدِّر دوافعهم الَّتي دعتهم إلى هذا القول، وهم مأجورون إن شاء الله على اجتهادهم، أصابوا فيه أم أخطؤوا.

ولكنِّـــي أخالفهم في هذا الاتِّجـــاه، وأرى أنَّ من واجـــب الفقيه أو المُفَكِّر المســـلم أن يجيب النَّاس المســـلمين من حوله إذا سألوه: ماذا سيصنعون في شؤونهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم القائمة بالفعل؟ وما الحلُّ لما يعانون من مشكلات، وإن كان سببها البُعد عن الإسلام؟

إنَّك لا تســـتطيع أن تؤجل الإجابـــة حتَّى يقوم المجتمع المســـلم الكامل، وتستأنف الحياة الإســـلاميَّة المتكاملة، ولا تستطيع أن توقف عجلة الحياة الاجتماعيَّة، فلا تتحرك يَمْنة ولا يَسْـــرة، حتَّى تعود أحكام الإسلام كلُّها.

إنَّ النَّاس ولا بدَّ سيظلُّون يبيعون ويشترون، ويُنْتِجون ويَسْتَهْلكون، ويتبادلون الســـلع والخدمات، وينشـــئون فيما بينهم علاقـــات متنوعة، مُتَأَثِّرين في هذا كلِّه بمُؤَثِّرات شتَّى، عقائديَّة وثقافيَّة واجتماعيَّة وسياسيَّة، ومن هذه الأشـــياء ما يوافق الإســـلام كلَّ الموافقة، ومنها ما يخالفه كلَّ المخالفة، ومنها ما يوافق في بعض، ويخالف في بعض.

والمســـلم الحريص على دِينِه لا بدَّ أن يســـأل: ما موقفي من هذا؟ كيف أتعامل مع البنك، ومع التأمين، ومع الأســـهم والســـندات، ومع شهادات الاستثمار؟ إلخ.

QaradawiBooks.com

كما يسأل آخرون عن هذه المؤسَّسات القائمة الَّتي برزت في غَيْبة الشريعة الإسلاميَّة، والحياة الإسلاميَّة، والَّتي لا ينكر أن بعضها كان من زرع الاستعمار إبَّان سطوته ونفوذه؛ هل هذه المؤسَّسات مرفوضة من ألفها إلى يائها؟ أم منها ما يُقبل، ومنها ما يُرفض؟ وإذا كانت مرفوضة فما البديل الإسلامي لها؟ أم لا يوجد بديل لها في الحلِّ الإسلامي؟

إنَّنا نعلم أنَّ الله تعالى لا يحرم على النَّاس شيئًا إلَّا وفي الحلال ما يُعَوِّضهم عنه، ولا يمكن أن يسدَّ الشارع على النَّاس بابًا إلَّا ويفتح لهم بابًا ـ وربَّما أبوابًا ـ خيرًا منه.

وهذا كُلُّه يوجب علينا أن نجتهد في ضوء نصوص الشرع وقواعده للبحث عن حلول إسلاميَّة للمشكلات الَّتي يعانيها النَّاس، ويريدون أن يعرفوا حكم الشرع فيها، وكيف يتعاملون معها.

وأن نجتهد كذلك لإيجاد البدائل النظريَّة الإسلاميَّة للمعاملات والمؤسسات غير الإسلاميَّة، حتَّى يُهَيِّئ الله من يحول البدائل النظريَّة إلى واقع عملي، كما حدث بالنسبة لفكرة البنوك الإسلاميَّة.

كلُّ ما أؤكِّده هنا أشدَّ التأكيد هو تحذير المجتهد أو المفكر المسلم من الخضوع لضغط الواقع القائم، ومحاولة تبريره والاعتساف في تفسير النصوص، وليِّ أعناقها، لإضفاء الشرعيَّة عليه؛ مع أن هذا الواقع لم يصنعه الإسلام ولا المسلمون مختارين، بل صُنع لهم، وفرض عليهم، وأورثوه بعد ذلك فاستسلم له من استسلم، من باب الرضا بالأمر الواقع، كما يجب على المجتهد المسلم ألا ينسى بحال أنَّ الإسلام نَسِيجُ وَحْدِهِ، وأنّا لسنا عبيدًا للحضارة الغربيَّة، وأنَّ لنا دِينَنا، وللغرب دِينه، ولنا تراثنا،

QaradawiBooks.com

وله تراثه، فنحن نأخذ منه وندع وفقًا لمواريثنا وقيمنا الدِّينيَّة والحضاريَّة، ولا نقبل أن نتبع سُننه شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع.

على أنَّ كثيرًا من المجالات الَّتي تحتاج إلى اجتهاد جديد ليس ناشئًا عن تطبيق أنظمة غير إسلاميَّة، بل هي من ثمار تطوُّر الحياة والمجتمعات في العصور الحديثة، وخصوصًا بعد ثورة التكنولوجيا، وقفزات البيولوجيا، ووثبات علم الطب والجراحة، وثورة الاتصالات والمعلومات، وغزو الفضاء، وصنع «الكومبيوتر» إلخ، ممَّا أثار مشكلات لا تعد، تحتاج إلى حلول، وأسئلة لا تحصى، تحتاج إلى إجابات.

فهل يسعنا أن نصمت ونغلق أفواهنا، حتَّى يحكم الإسلام مائة في المائة، أم نجتهد لبيان موقف الشرع من هذه المُسْتَجَدَّات، وأجرنا على الله؟

أعتقد أنَّ واجبًا علينا أن نجتهد في هذه المجالات وتلك، محاولين أن نجلي موقف الإسلام في غير غُلُوٍّ ولا تفريط، ولا حرج علينا إنْ أخطأنا في محاولاتنا، فسيوجد من يهديه الله للصواب، ولن تجتمع هذه الأُمَّة على الضلالة، والاجتهاد من أهله ـ ولو أخطأ ـ خيرٌ من الجمود وإبقاء كلِّ شيء على ما هو عليه، فالجمود موتٌ، والاجتهاد حياة، والمجتهد مأجورٌ، والجامد غير معذور.

أمَّا عبارة «خذوا الإسلام جملة أو دعوه» فهي صحيحة إذا رُفعت شعارًا في وجه من يقول: نأخذ بعض الإسلام ونرفض بعضه الآخر، مثل: نأخذ بالصلاة، ولا نأخذ بالزكاة، نأخذ بتحريم الميتة والدم، ولا نأخذ بتحريم الخمر والميسر، نأخذ أحكام الأسرة، ولا نأخذ أحكام الحدود... هكذا، فمثل هؤلاء نقول لهم ما قاله الله تعالى لبني إسرائيل: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

QaradawiBooks.com

بيد أنَّنا نُنَبّه على أنَّ الاجتهاد في عصرنا له مزالق كثيرة، انزلق إليها كثيرون، ولم ينجُ منها إلَّا الراسخون في العلم، الَّذين يجمعون بين الثقة والورع والاعتدال.

كما أنَّ الاجتهاد الصحيح المنشود له معالم وضوابط يجب أن يحرص عليها من وضعته الأقدار في موضعِ من يجتهد أو يفكر للمسلمين.

وقد تحدَّثت عن هذه الضوابط، وتلك المزالق، بالتفصيل اللازم، في مقام آخر[1].

أمَّا إذا وُجِدَ إنسانٌ مسلمٌ غريق في المُحَرَّمات، ويريد أن يتوب من بعضها، وإن بقي مصرًّا على بعضها الآخر، فتوبتُه مقبولةٌ كما قرَّر ذلك أئمَّة الإسلام، مثل الغزالي وابن القيِّم وغيرهما، ولا يُشترط في التوبة أن تكون من جميع الذنوب، وإلَّا لحجرنا ما وسَّع الله تعالى.

ومثل هذا يقال في المجتمع المسلم، الَّذي يريد أن يتطهر من بعض الموبقات الَّتي ورثها من عهود سابقة، ويريد أن يتقدَّم خطوة نحو التطبيق الكامل للإسلام، فنحن نرحب بهذه الخطوة، ونطالب بالمزيد.

ومثل ذلك لو حدث عدوان على البقيَّة الباقية من تشريع الإسلام في مجتمعنا مثل قوانين الأسرة والميراث والوصيَّة والوقف وغيرها، فإذا حاول الحُكَّام تقليصها أو الاعتداء على شيء منها، فلا يمكن أن نقابل ذلك بالصمت والاستسلام، مُبَرِّرين ذلك بهذه الدعوى الغريبة: إمَّا الإسلام كلُّه، وإمَّا لا شيء!

(١) انظر: الاجتهاد في الشريعة الإسلامية صـ ٢٢٥ ـ ٢٤٥، فصل: معالم وضوابط لاجتهاد معاصر وقويم، نشر دار القلم، الكويت، ط ٣، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

ولا أنسى أن أقرر هنا أنَّ الاتِّجاه إلى رفض الاجتهاد في قضايا المجتمع، واتِّهام الَّذين يفتون النَّاس في هذه الأمور بالهزيمة النفسيَّة إنَّما هو فرعٌ عن أصلٌ كبير، هو القول بجاهليَّة المجتمع الحالي، فليس هو بالمجتمع الإسلامي الَّذي نبحث له عن حلول لمشكلاته، بل يجب أن ينصب بحثنا وعملنا على دعوته إلى عقيدة الإسلام قبل كُلِّ شيء، حتَّى يفهم معنى «لا إلٰه إلَّا الله» ويصحَّ إسلامه.

ومن أجل هذا أنكر هذا الاتِّجاه الدعوة إلى محاسن النظام الإسلامي، وبيان مزاياه وفضائله في مقابلة الأنظمة المستوردة من الشرق أو الغرب؛ إذ لا معنى لبيان النظام والعقيدة مفقودة.

المحاور: ويمكن أن يتفرع عن القضيَّة السابقة قضيَّة أخرى هي: أن بعض المسلمين اليوم يرى ضرورة إرجاء الاجتهاد في الفرعيات، والمشكلات الَّتي تعترض المسلمين حتَّى تقوم الدولة الإسلاميَّة الَّتي تلتزم الإسلام عقيدةً وشريعةً في شؤونها كلِّها، إلى درجة يخشى معها التنازل عن بعض الأحكام الشرعيَّة الواقعة ضمن تكليف الأفراد.

فضيلة الشيخ القرضاوي: طالما سمعتُ مثل هذه الأفكار، وعجبتُ منها! فالفقيه المسلم لا يَسَعُه أن يسأل عن شيءٍ يقع لمسلم ـ وعنده علم يستطيع أن يجيب به ـ ثمَّ يصمت ويدعه في حيرته، ويكتم عنه علمه، والحديث يتوعَّد من فعل ذلك بعذاب الله تعالى: «**من سُئل عن علمٍ فكتمه، أُلْجِمَ يومَ القيامة بلجامٍ من نار**»[1]، والشريعة لا تقف عاجزة أمام

(١) رواه أحمد (٧٥٧١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وقال: حسن. كلاهما في العلم، وابن ماجه في المقدمة (٢٦٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٨٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أي قضيَّة، سواء وجدت دولة الإسلام الكاملة أم لم توجد، فلا بدَّ لها من حُكْمٍ على أيِّ فعل لكلِّ مُكَلَّف، في أيِّ حال كان، ولا يخلو عمل لمسلمٍ مُكَلَّف من حكمٍ شرعي من الأحكام الخمسة.

ولو أنَّ مسلمًا يعيش في غير دار الإسلام، فإنَّ أحكام الشريعة لا تدعه، لا بدَّ أن تُبَيِّن له الحلال والحرام والواجب والمستحبَّ والمكروه من تصرُّفاته حيث كان.

ولا يمكن أن نمنع الفَلَك من الدوران حتَّى تقوم الدولة الإسلاميَّة، ولا أن نسقط عن النَّاس فرائض الإسلام وواجباته حتَّى تقوم تلك الدولة، بل على المسلم أن يؤدي منها كل ما قدر عليه في نفسه وأسرته ومن حوله ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. فهو يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحجُّ البيت، ويدعو إلى الخير، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدافع عن حرمات الإسلام، ويقاوم المُبْطِلين... وكلُّها يحتاج إلى جهادٍ واجتهاد.

وأعتقد أنَّ الدولة الإسلاميَّة لن تقوم إذا ظلَّ كلُّ هَمِّنا هو انتظارها، وإرجاء كلِّ اجتهاد أو جهادٍ حتَّى تقوم، فهي «مهديُّنا» الغائب المُنْتَظِر، الَّذي لا حيلة لنا في ظهوره.

إنَّ الواجب في رأيي هو العمل المستمرُّ، والاجتهاد، والإعداد حتَّى تقوم الحياة الإسلاميَّة المتكاملة المنشودة، ولو اجتهدنا وأخطأنا فلا ضَيْر علينا؛ فلكلِّ مجتهدٍ نصيب.

* * *

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

خطاب التكليف ونصيب الفرد

المحاور: لا شكَّ أنَّ الكثير من الأحكام الشرعيَّة منوط بوجود السلطة الإسلاميَّة، كقضايا الحرب والسلم، وإيقاع العقوبات من حدودٍ وتعزيرات وما إلى ذلك ممَّا لا يخفى.

والسؤال المطروح هنا: هل يجوز للأفراد ـ حال غياب السلطة الإسلاميَّة ـ ممارسة ذلك بأنفسهم، من جَلْدٍ ورجمٍ وقطع؟

وما مدى ما يمكن أن يترتب على ذلك من مفاسد؟

وإذا كان ذلك ممَّا لا يجوز، فما نصيب الفرد من خطاب التكليف، مثلًا قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، وقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ [النور: ٢]، ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾ [المائدة: ٣٣] الآيات.

هل يمكن أن نقول بأنَّ نصيب الفرد هو العمل على إقامة السلطة الَّتي تُنَفِّذ الأحكام، وليس تنفيذ الأحكام؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: ليس للأفراد أن يقوموا بأنفسهم بإيقاع العقوبات الشرعيَّة على من اقترف الجرائم الموجبة لها، فليس لهم أن يقطعوا يد السارق، أو يجلدوا الزاني أو يرجموه، أو يجلدوا شارب الخمر، ويقتصُّوا من القاتل، وغير ذلك.

فقد جعل الشرع هذه الأشـياء للأئمَّة، أي لأولي الأمر، أو للدولة، ولو تُرك ذلك للأفراد لأصبح الأمر فوضى، وسـاد الاضطراب، ونصب بعض النَّاس من نفسه شرطيًّا وقاضيًا ومنفذًا.

صحيح أنَّ المسلمين جميعًا مسـؤولون مسؤوليَّة تضامنيَّة عن تنفيذ أحكام الله تعالى بمقتضى خطاب التكليف العامِّ لهم جميعًا في مثل قوله تعالى: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائـدة: ٣٨]، ﴿فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النـور: ٤] إلخ، فهذه الأوامر الإلٰهيَّة ليست للحُكَّام والمُنَفِّذين وحدهم، بل للأُمَّة كُلِّها.

فإذا قصَّر أولو الأمـر في تنفيذ الأحكام الشـرعيَّة، أو خانوا الأمانة الَّتي اؤتمنوا عليها. فعلـى الأُمَّة أن تنصح لهـم، وتأمرهم بالمعروف، وتنهاهـم عن المنكـر، لعلَّهم يسـتجيبون، وإلَّا لزم سـلوك كلِّ طريق مشروعة حتَّى يقوم أمر الله، وتعلو كلمته، على ألَّا ننسى هنا القاعدة الَّتي تقول: لا يجوز أن يزال المنكـر إذا خيف منكر أكبر منه، والواجب هنا: ارتكاب أخفِّ الضَّرَرَيْن، وأهون الشَّرَّيْن.

ولهذا كان صحيحًا ما قيـل: إنَّ نصيب الفرد في هـذه الحالة هو العمل مع العاملين الصادقين لإقامة السلطة الَّتي تُنَفِّذ الأحكام، وليس هو تنفيذ الأحكام.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تقنيـن الفقـه

المحاور: مـن المفروض أنَّ هناك فرقًا بين الفقـه كأحكام اجتهاديَّة مُتَفَرِّقة، وبين التقنيـن والقانون كضوابط ومقاييـس تُمَكِّن القاضي من العدالة أكثر، وتضبط الأقضيَة، وتُحقِّق الانسجام، خاصَّة إذا كان القاضي بعيدًا عن القدرة على الاجتهاد ومعرفة المصادر والمراجع كلها، أو غير قادر علـى الإحاطة بالآراء الفقهيَّـة، ولا يمتلك القـدرة على الترجيح والانتقـاء بما يناسـب الواقع، فهل تـرون ضرورة تقنيـن الفقه لضبط القضاء؟ وما موقع ذلك من الاجتهاد؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: عرضت لهذا الموضوع في بحثي «الفقه الإسـلامي بين الأصالة والتجديد» وبيَّنت أهمية التقنين لعالمنا اليوم، وأشرت إلى مخاوف بعض العلماء من التقنين، وكيف يمكن أن نتفاداها، إذا أحسنَّا وضع الأسس والضوابط الَّتي يقوم عليها التقنين المعاصر.

ولكنْ قرأت في هذه القضيَّة من قريب كلمـات مضيئة لعالمٍ كبير، ومُحَدِّث جليل، هو العلَّامة الشيخ أحمد مُحَمَّد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ في محاضرة له بعنوان: «الكتاب والسُّـنَّة يجب أن يكونا مصـدر القوانين في مصر» ألقاها منذ نحو نصف قرن من الزمان.

QaradawiBooks.com

ويسـرُّني أن أسـجِّل هنا ما ذُكر في هـذا الصدد لقـوَّة حجَّته، وفصاحة عبارته، قال رَحِمَهُ اللَّهُ في بيـان الخطة العمليَّة لاقتباس القوانين من الشريعة:

«لا تظنُّوا أنِّي حين أدعوكم إلى التشريع الإسلامي أدعوكم إلى التقيُّد بما نصَّ عليه ابن عابدين أو ابن نُجيم مثـلًا، ولا إلى تقليد الفقهاء في فروعهم الَّتي اسـتنبطوها غير منصوصة في الكتاب والسُّنَّة، وكثير منها فيه حرجٍ شـديد. كلَّا؛ فأنا أرفض التقليد كُلُّه ولا أدعو إليه، سواء أكان تقليدًا للمُتقدِّمين أم للمتأخِّرين، ثمَّ الاجتهاد الفردي غير منتج في وضع القوانين، بل يكاد يكون محالًا أن يقوم به فرد أو أفراد، والعمل الصحيح المنتج هو الاجتهاد الاجتماعي، فإذا تُبُودلت الأفكار، وتداولت الآراء، ظهر وجه الصواب، إن شاء الله.

فالخطة العمليَّة، فيما أرى: أن تُختار لجنة قويَّة من أسـاطين رجال القانون وعلماء الشريعة، لتضع قواعد التشريع الجديد، غير مقيَّدة برأي، أو مُقَلِّدة لمذهب، إلَّا نصوص الكتاب والسُّـنَّة، وأمامَهـا أقوال الأئمَّة وقواعد الأصول وآراء الفقهاء، وتحت أنظارها آراء رجال القانون كلُّهم، ثمَّ تستنبط من الفروع ما تراه صوابًا، مناسبًا لحال النَّاس وظروفهم، ممَّا يدخل تحت قواعد الكتاب والسُّـنَّة، ولا يصادم نصًّا، ولا يخالف شيئًا معلومًا من الدِّين بالضرورة.

فهذه اللجنة يجب أن تكون موفورة العدد، يكـون منها لجنة عليا، تضع الأسس وترسم المناهج، وتقسم العمل بين لجان فرعيَّة، ثمَّ تعيد النظر فيمـا صنعوا ووضعوا، لتنسـيقه وتهذيبه، ثمَّ صوغـه في الصيغة القانونيَّة الدقيقة، فيُعرض كاملًا على الأُمَّة، ليكون موضع البحث والنقد

QaradawiBooks.com

العلمي، حتَّى إذا ما استقرَّ الرأي عليه، عُرض على السلطات التشريعيَّة، لإقراره واستصدار القانون للعمل به.

وأوَّل ما يجب على اللجنة العليا عمله، أن تدرس ـ بنفسها أو باللجان الفرعيَّة ـ مسائل علم أصول الفقه، ومسائل علم أصول الحديث «مصطلح الحديث» لتحقيق كلِّ مسألة منها، وتوحيد منهج الاستنباط من الأدلَّة، فتحقق المسائل الَّتي يرجع فيها لدلالة الألفاظ على المعاني في لغة العرب، من نحو الحقيقة والمجاز، والعامِّ والخاصِّ، والصريح والمؤوَّل، والمُفسَّر والمجمل، وسائر قواعد الأصول، كأبواب القياس والاستحسان والمصالح المرسلة، وما إلى ذلك.

وتحقق القواعد في نقد رواية الحديث ورواته، من ناحية المتن وناحية الإسناد، وما يكون به الحديث صحيحًا يصلح للاحتجاج ويجب الأخذ به، وما يكون به ضعيفًا لا يصلح للاحتجاج.

وتحقق القاعدة الجليلة الدقيقة، الَّتي لم يحققها أحد من العلماء المتقدمين ـ فيما نعلم ـ إلَّا أنَّ القرافي أشار إليها إشارة موجزة في الفرق السادس والثلاثين من كتاب «الفروق»[1]، وهي الفرق بين تصرُّف رسول الله ﷺ بالفتوى والتبليغ، وبين تصرُّفه بالإمامة، وبين تصرُّفه بالقضاء، وهو بحثٌ أساسيٌّ لدرس الأحاديث والاستدلال بها درسًا صحيحًا، فيفرق به بين الأحاديث الَّتي لها صفة العموم والتشريع، وبين الأحاديث الَّتي جاءت عن رسول الله ﷺ تصرُّفًا منه بالإمامة، فليست لها صفة العموم والتشريع، بل المرجع في أمثالها إلى ما يأمر به الإمام من المصالح العامَّة، وبين الأحاديث في أقضيَة جزئيَّة، تصرُّفًا منه ﷺ

(١) الفروق (٢٠٦/١) وما بعدها، نشر عالم الكتب.

QaradawiBooks.com

بالقضاء، فيكون الحديث عن قضيَّة بعينها، يُستنبط منه ما يُسَمَّى في عصرنا «المبدأ القضائي».

وقد حقَّقت مثالًا من مُثُل هذه القاعدة العظيمة في شرحي على كتاب «الرسالة» للإمام الشافعي[1].

وأجل عمل وأعظمه أثرًا أن تُحقِّق اللجنة باب «تعارض الأدلَّة والترجيح بينها» فذلك هو علم الأصول على الحقيقة، وذلك هو ميدان الاجتهاد، وذلك هو أساس الفقه والاستنباط.

فإذا تمَّ هذا، ووُجدت القاعدة الَّتي يُبنى عليها الاستدلال والاستنباط، نُظر في القواعد العامَّة الَّتي يرجع إليها الفقهاء في فقههم، على اختلاف مذاهبهم، وطبقت عليها قواعد الأصول الَّتي أقرتها اللجنة العليا أو اللجنة العامَّة، «أصول الفقه وأصول الحديث» ثمَّ وُزنت بميزان الكتاب والسُّنَّة الصحيحة، وأُخذ منها ما قام الدليل على صحَّته وموافقته للتشريع الصحيح.

ثمَّ تدرس اللجنة القواعد العامَّة للقوانين الوضعيَّة، على اختلاف مبادئها وأنواعها، وتزنها بميزان القواعد التشريعيَّة الإسلاميَّة، فتختار منها ما تقضى المصلحة العامَّة باختياره، ممَّا لا يعارض نصًّا من نصوص الكتاب والسُّنَّة، ولا يُناقض شيئًا معلومًا من الدِّين بالضرورة، ولا قاعدة أساسيَّة من قواعد التشريع الإسلامي.

وبعدَ هذا كلِّه، بعدَ أن تستقرَّ القواعد الَّتي تستنبط الفروع والمسائل على أساسها، وتوضع الموازين الصحيحة البيِّنة، حتَّى لا تتشعَّب الطرق

(١) الرسالة صـ ٢٤٠ ـ ٢٤٢، نشر مصطفي البابي الحلبي، ط١، ١٣٥٨هـ ـ ١٩٤٠م.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

بالمجتهد، تُقسم أبواب الفقه بين اللجان الفرعيَّة، لتطبق فروع المسائل وجزئيَّاتها على القواعد الَّتي أُقِرَّت، وتضع لها الأحكام الصحيحة الَّتي تقتضيها الأدلَّة الصحيحة نصًّا أو استنباطًا.

وهذا عملٌ كبيرٌ ضخم، لا يضطلع به إلَّا العلماء الأفذاذ المخلصون، من علماء الشرع وعلماء القانون، فيجب أن يسمو اختيارهم على الرغبات الشخصيَّة والأهواء الحزبيَّة، وما إلى ذلك ممَّا قد يُفسد الاختيار أو يضعفه.

وسيدعوهم هذا العمل إلى أن يفرغوا له وحده، فلا يجوز أن يُعهد إلى أي واحد منهم بعمل غيره، حتَّى يكون وقتُهم كلُّه وقفًا عليه، ليسير على وتيرة واحدة سيرًا حثيثًا موصلًا إلى الغرض المقصود منه في أقرب وقت وأوجزه. وسيدعو إلى اختيار عشراتٍ كثيرةٍ من الأعضاء والمساعدين، ولعلَّه مع كلِّ هذا لا يتمُّ في أقل من عشرين سنة» اهـ.

وقد قامت جهود مُتَعَدِّدة في أكثر من بلدٍ إسلاميٍّ وعربيٍّ لاقتباس القوانين من الشريعة، ووضعت بعض أحكام الفقه في صورةِ موادَّ قانونيَّة.

ولكن هل روعي فيها ما ذكره الشيخ من أعمال تتعلَّق بأصول الفقه وأصول الحديث، وتحقيق رواية الحديث، وبيان التشريعي العام من السنة من غيره، وتمحيص قواعد التعارض والترجيح، إلى آخر ما ذكره الشيخ الجليل، ممَّا قدر له عشرين سنة أو تزيد؟

أعتقد أنَّ قليلًا ممَّن يعملون في ميدان التقنين هم الَّذين يلتفتون إلى مثل هذه الأمور، ولعلَّ المجامع الفقهيَّة المعاصرة تجمع أمرها على القيام بهذا الواجب، الَّذي لا يحتمل التأخير.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

قيادة حركة الشباب

المحاور: من الاجتهادات الضروريَّـة والمطلوبة اليوم، إيجاد أوعية شرعيَّة لحركة الشباب المسلم.. فهل ترون أنَّ الَّذين يقودون هذا الشباب لا بدَّ لهم من التحقق بالقدرة على الاجتهاد والترجيح، بمعنى أنَّه لا بدَّ لهم من مؤهَّل فقهي إلى جانب المؤهلات القياديَّة الأخرى؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: هذا هو الأصل في كلِّ قيادة إسلاميَّة؛ أن يكون لديها قدر كافٍ من الفقه في الدين، والعلم بالشـريعة، تعرف به ما يصحُّ وما لا يصحُّ من الأفكار، وما يجـوز وما لا يجوز من الأفعال. وبدون هذا يمكـن أن يقع هؤلاء القادة أسـارى لمفاهيـم دخيلة على الإسلام، متسـلِّلة من الغرب أو الشرق، وهم لا يشـعرون، ويمكن أن يورطوا شبابهم في أعمال يظنُّونها جائزة ـ وربَّما واجبة! ـ وهي مرفوضة بالمعيار الشرعي.

وقد رأينا بعض القيادات لبعض التجمُّعات الإسلاميَّة تُقَدِّم تصوُّرات وأنظمة باسم الإسلام، في مجالات السياسة والاقتصاد والحكم، تحمل رُوحَ التزمُّت والحرفيَّة والجمود على ما قاله بعض المتأخِّرين من فقهاء المذاهب ممَّا يلائم زمنهـم وبيئتهم وحالهم، ولكنَّـه لا يلائمنا بحال، ونسي هؤلاء أنَّ الفتوى تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان والعُرف والحال.

QaradawiBooks.com

وكذلك رأينا من هؤلاء مَن ينقصه «فقه مراتب الأعمال»، ووضع كلِّ عمل في مرتبته الشـرعيَّة، بحيـث لا يعظَّم الهَيِّـن، ولا تُهَوَّن العظائم، ولا يُقدَّم ما حقُّه التأخير، أو يُؤَخَّر ما حقُّه التقديم، ولا يُقَدَّم الفرع على الأصل، ولا النافلة على الفريضة، ولا المختلف فيه على المُتَّفَق عليه.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تعديل شرائط الاجتهاد

المحاور: في عصر تقدَّمت فيه الطباعة، وأُلغيت فيه المسافات، وشاعت المعرفة، وظهرت الموسوعات في شتَّى العلوم العامَّة ـ إلى جانب العلوم الشرعيَّة الأصوليَّة واللُّغويَّة ـ وتوفَّرت هذه الأمور جميعها.

هل ترون شيئًا من التعديل بشرائط المجتهد بعد هذه الإضافات الَّتي لم تكن موجودة سابقًا، والَّتي أصبحت تقوم في كثير من الأحيان مقام الذاكرة في الحفظ؟

وهل بإمكاننا القول بأنَّه يكفي تَحَقُّق المَلَكة والقدرة على النظر، حيث تكفَّلت المكتبة اليوم بالأمور الأخرى الَّتي كان لا بدَّ من حفظها ومعرفتها؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الأصوليُّون أنفسهم الَّذين ذكروا الشروط الَّتي يجب توافرها في المجتهد، ذكروا لها أيضًا «مُخَفِّفات» تجعل تحصيلها غير عسير، حتَّى في الزمن الماضي.

فالإمام الغزالي في كتابه الشهير «المستصفى» بعد أن ذكر شرط المعرفة بكتاب الله، بيّن أن فيه تخفِيفَيْن:

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

أحدهما: أنَّه لا يشترط معرفة جميع الكتاب، بل ما يتعلَّق بالأحكام منه.

والثاني: أنَّه لا يشترط حفظها عن ظهر قلب، بل أن يكون عالمًا بمواضعها، بحيث يطلب فيها الآية المحتاج إليها في وقت الحاجة.

وكذلك في شرط معرفة السُّنَّة ـ الأصل الثاني للأحكام ـ قال: وفيها التخفيفان المذكوران؛ إذ لا يلزم معرفة ما يتعلَّق من الأحاديث بالمواعظ وأحوال الآخرة ونحوها.

والثاني: لا يلزم حفظها عن ظهر قلب، ويكفيه أن يعرف مواقع كلِّ بابٍ فيُراجعه وقت الحاجة إلى الفتوى، وإن كان يقدر على حفظه فهو أحسن وأكمل[1].

هذا ما قاله الغزالي منذ تسعة قرون أو تزيد، ولا شكَّ أن عصرنا يمنحنا قدرات أكبر، وبهذا تكون لدينا تخفيفاتٌ أكثر.

المهمُّ هو التكوين العلمي الأصيل، الَّذي يُمكِّن صاحبه من القدرة على فهم الكتاب والسُّنَّة، وذلك بهضم المعارف اللغويَّة والأصوليَّة اللازمة لحسن الفهم، والإحاطة بمقاصد الشريعة وكُلِّيَّاتها، ووجود المَلَكة الأصيلة الَّتي يقتدر بها على استنباط الحكم المناسب للواقعة، وهذه المَلَكة لا تُولَد من فراغ، بل من قُدرة فطريَّة موهوبة، تمدُّها معارف مكتسبة، ومعايشة طويلة وعميقة للنصوص الجزئيَّة والمقاصد الكُلِّيَّة معًا.

(١) المستصفى صـ ٣٤٢، ٣٤٣، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

هذا إلى جوار معرفة مستنيرة للعصر والبيئة والحياة، وسنن الله فيها، وما يمور في باطنها من أفكار وتيارات، وما يحدث على ظاهرها من أعمال وتصرُّفات.

فالفقيه الَّذي يعيش بين الكتب وحدها، مُتَرَهِّبًا في صومعة القراءة والمطالعة، بعيدًا عن دُنْيا الواقع، ومشكلات النَّاس، يُخشى ألَّا يقع اجتهاده في موقعه الصحيح.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الاجتهاد الأكثر ضرورة

المحاور: أعتقد أنَّ الاجتهاد في مجال العبادات قد بلغ مداه وأكثر، ولم تبقَ فيه استزادةٌ لمستزيدٍ، وأنَّ المطلوب اليوم الاجتهاد في مجال المعاملات خاصَّة المعاملات المستحدَثة.

يضاف إلى ذلك ضرورة الانتفاع من الإنجازات العصريَّة في مجال الإدارة نظام الماليَّة والحكم والتقدُّم في مؤسَّسات تحقيق الشورى.

فهل يقع هذا ضمن دائرة الاجتهاد المطلوب اليوم والأكثر ضرورة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: من المسلَّم به أنَّ مجال العبادات لا يحتاج إلى كثير من الاجتهاد، ولكن لا نسلم أنَّها ليست في حاجةٍ إلى الاجتهاد.

وقد قسمتُ الاجتهاد المطلوب لعصرنا إلى نوعين: إبداعي إنشائي، وترجيحي انتقائي.

فالأوَّل: مطلوب لبيان الرأي في المسائل الجديدة الَّتي لم يعرفها فقهاؤنا السابقون.

والثاني: مطلوب لاختيار أرجح الآراء من تراثنا الفقهي العريض، وأليقها بتحقيق مقاصد الشرع ومصالح الخلق.

QaradawiBooks.com

ولا ينكر أيُّ عالِمٍ له بعض الإلمام بالفقه أنَّ الاجتهاد بالمعنى الثاني مُحْتَاج إليه في كلِّ مجال ـ حتَّى مجال العبادات نفسها ـ لكثرة الاختلاف بين الفقهاء والمذاهب فيها.

وما أحوج المُثَقَّف العصري إلى شيءٍ يُرِيح ضميره من الخلاف الَّذي ليس أهلًا لأن يَفْصِل فيه، بل يحتاج إلى مَن يذكر له القول المختار بدليله، ليطمئنَّ قلبه، ويعمل به.

على أنَّ هناك أشياء في مجال العبادات تحتاج إلى نوع من الاجتهاد الإنشائي أيضًا، مثل تحديد وقت صلاة العشاء وصلاة الفجر في بلاد معيَّنة يطول فيها النهار جدًّا ويَقْصُر الليل جدًّا، وقد يحدث العكس، وكذلك الصوم في رمضان.

ومثل استخدام الحساب الفلكي في إثبات أوائل الشهور العربيَّة، وبخاصَّة رمضان وشوَّال وذو الحجَّة، بناء على أنَّ الأُمَّة لم تعد «أُمِّيَّة» كما كانت من قبل، فقد أصبحت تكتب وتحسب إلخ، ومثل الإحرام لركاب الطائرات بعد النزول إلى جُدَّة، إلخ.

فإذا جئنا إلى الزكاة ـ وهي معتبرة في عداد العبادات، بل هي شقيقة الصلاة ـ وجدنا أنَّها في حاجة إلى الاجتهاد الإنشائي والانتقائي معًا، وهو ما حاولناه في كتابنا «فقه الزكاة».

ولا يزال كثيرٌ من موضوعاتها يُعرض على المجامع الفقهيَّة، وقد أُلفت في الكويت الشقيقة هيئة شرعيَّة عالميَّة لقضايا الزكاة المعاصرة، شرفتني أن أكون نائبًا لرئيسها.

ومع هذا يبقى المجال الأكبر والأوسع للاجتهاد هو مجال المعاملات وشؤون الحياة المُتَطَوِّرة: اقتصاديَّة وسياسيَّة وإداريَّة،

QaradawiBooks.com

ولا مانع من الاســتفادة ممَّا عند غيرنا ممَّا يتَّفق مــع قيمنا وعقيدتنا وشريعتنا وتقاليدنا المحمودة، فالحكمة ضالَّة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحقُّ بها. المهمُّ ألَّا نفقد هُوِيَّتَنــا، ولا نحاكي مُحاكاةَ الببغاء، أو نُقَلِّد تقليد القِرَدَة.

* * *

غير مسموح للطباعة
نسخة مجانية

التخلُّص من الازدواجيَّة

المحاور: يلحظ الإنسان لونًا من الازدواجيَّة ـ دون التعرُّض لأسبابها الكثيرة ـ الَّتي قد يكون في مقدمتها: نظام التعليم.

فنرى أنَّ هناك علماء مُتَخَصِّصين في المصارف والماليَّة والإدارة مثلًا، يفتقدون الرؤية الإسلاميَّة الشُّموليَّة، ونرى بعض المشتغلين بقضايا الفقه والشريعة لا يمتلكون القدر الكافي من العلوم الأخرى، الَّذي يمكنهم من الحكم على الأشياء؛ بل قد يتجاوز الأمر ذلك، فيُفتي في الدِّين مَن لا علم له بالشريعة، ويقول في العلوم مَن لا اختصاص له، كالكلام في علوم الأحياء والأجنَّة، والفلك وما يتفرع عن ذلك.

كيف يمكن أن ننظر إلى هذه الأمور؟ وما هو السبيل للتخلُّص من هذه الازدواجيَّة الَّتي نلمحها اليوم في أكثر من مجال؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: سيظلُّ النَّاس مختلفين باختلاف تخصُّصاتهم واهتماماتهم، وخصوصًا في عصرنا الَّذي عُرف بأنَّه عصر التخصُّص الدقيق جدًّا.

ولا ريب أنَّ الانحصار في التخصُّص كثيرًا ما يؤدِّي إلى التقوقع، وإغلاق الأبواب على النفس، وجهل ما عند الآخرين جهلًا كليًّا، وهذا ما تحاول بعض الجامعات الحديثة تفاديه؛ بطرح بعض المُقَرَّرات

QaradawiBooks.com

المشتركة لجميع طُلَّابها من كلِّ التخصُّصات نظريَّة وعمليَّة، حتَّى توجد بينهم قاسمًا مشتركًا من الثقافة والنظرة الموحَّدة للقضايا الكبرى.

والخطر على كلِّ حال ليس في التخصُّص، إنَّما في الازدواج الَّذي يفرز أناسًا لا يعرفون من الدِّين شيئًا، وآخرين لا يعرفون عن ثقافة العصر شيئًا.

وأعتقد أنَّ هذا اللون من الازدواج الصارخ، قد بدأ يختفي إلى حدٍّ كبير.

والَّذي يُهِمُّنا تأكيده هنا هو وقوف كلِّ فرد أو فريق عند حدود علمه، ولا يخوض فيما لا يحسنه، ويرجع في كلِّ علم إلى أهله وخبرائه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

كما يجب أن يتعاون أهل العلم ـ على اختلاف تخصُّصاتهم ـ فيما يخدم دِينهم، ويصلح دنياهم.

وقد شاركتُ في تجربة رائدة نافعة تقوم بها المنظمة الإسلاميَّة العالميَّة للعلوم الطِّبِّيَّة في الكويت برئاسة الأخ الفاضل الدكتور عبد الرحمن العوضي، وهي تجمع عددًا من الفقهاء المعتبرين، مع عدد من الأطبَّاء المرموقين، للبحث في بعض القضايا المُهِمَّة، مثل الإجهاض، وبنوك الحليب، وبداية الحياة ونهايتها، إلخ.

ويتولَّى الأطبَّاء شرح هذه الموضوعات بكلِّ ما يحيط بها من ظروف، ويبدأ الفقهاء في محاولة استنباط الحكم بعد المناقشة المستفيضة الَّتي تنتهي بقرار مجمع عليه أو مختلف فيه، أو يؤجَّل البتُّ إلى دورة أخرى.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقريبٌ من هذا ما يحدث في المصارف الإسلاميَّة، فنحن في هيئة الرقابة الشـــرعيَّة، لا نُفتي في المعاملات الَّتي تعـــرض علينا إلَّا بعد شـــرحٍ وتوضيحٍ وتفصيلٍ من إدارة المصرف والمسؤولين فيه، وبعد أخذٍ وردٍّ وبحثٍ قد يطول، ننتهي إلى الرأي الَّذي نراه أرجح وأقرب إلى الصواب.

* * *

نسخة مجانية
غير مخصصة للطباعة

غير مرخصة للطباعة

منجزات الأمم الأخرى

المحاور: نتكلَّم كثيرًا عن ضـرورة الانتفاع بمنجزات الأمم الأخرى ـ شرط أن يخضع ذلك لمقياس سليم في الأخذ والردِّ ـ وكيف أن سَلَفَنا استطاعوا في عصر تألُّقهم من الانتفاع بعطاء الأمم الأخرى.

هل تعتقدون أنَّ الأمم المُتَخَلِّفة قادرة على اسـتخدام هذا المقياس؛ الَّذي هو في الحقيقة ثمرةٌ لتقدُّم علميٍّ وحضاري، هذا إلى جانب أنَّه لو كُنَّا نمتلك هذا المقياس لما كُنَّا فيما نحن فيه من السقوط الحضاري؟

كيف ترون حلَّ هذه القضيَّة؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: لقد اسـتفادت أمم دوننا فـي الحضارة بمنجـزات الأمم الأخـرى، كما في بلاد الشـرق الأقصـى، ولم تفقد خصائصهـا الذاتيَّة، وحسْـبُنا «كوريا» الَّتي بدأت نهضتهـا بعد الحرب العالميَّة الثانية، وهي اليوم تغزو بمنتجاتها أسواق العالم، وتراها اليابان اليوم أخطر منافس لها.

إنَّنا لسـنا دون هـؤلاء، وعندنا مـن رصيدنا الثقافـي والحضاري ما يجعلنا أهلًا لأن ننتفع بما عند الآخرين دون أن نذوب فيهم.

الشـيء المهمُّ هنا أن نصل إلى درجة كافية مـن وضوح الرؤية لما نأخذ وما ندع، ومن صدق العزم على تغيير الواقع.

QaradawiBooks.com

ولا يعين على ذلك إلَّا إيمان صادق يُحَرِّك كوامن الأُمَّة، ويُفَجِّر طاقاتها المذخورة، ويدفعها إلى الأمام بقُدُرات لم يحسب لها أحدٌ حسابًا.

وأيُّ تجاهلٍ لهذا الإيمان المستكنّ في ضمير الأُمَّة، أو إهدارٍ له، أو افتئاتٍ عليه، إنَّما هو خيانة لهذه الأُمَّة، وتضليل لها عن أهدافها، وسير بها في متاهات لا تنتهي بها إلى مُسْتَقَرٍّ، ولا تهتدي معها إلى طريق.

إنَّ الأُمَّة في حاجة إلى قيادة مُبْصِرة، تدرك أن قضايا التقدُّم والتنمية والعلم والتكنولوجيا، لا تنفصل عن قضايا الإيمان والأخلاق.

وإنَّ الأُمَّة الَّتي لا رسالة لها، لا تستطيع أن تنافس الأمم الأخرى، الَّتي تشعر أن لها رسالة حضاريَّة، وخصوصًا إذا كانت متفوِّقة عليها.

إنَّ المفتاح في أيدينا، ولكنَّا لا نستعمله، أعني مفتاح الإيمان، إيمان الإسلام الحقِّ، الَّذي لا تتغيَّر الأمة بغيره، فهو وحده الَّذي يُغَيِّرها من داخلها، ومن أعماقها.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

العين السحريَّة

المحاور: يرى بعضهم أنَّ الفقهاء والمجتهدين في الدِّين يجب أن يكونوا أشبه بالعين السحريَّة الَّتي تراقب عمليَّة الإنتاج، وتحكم على جودته أو رداءته، وليس بإمكانهم الإنتاج نفسه لعدم تخصُّصهم في العلوم الأخرى، والعصر اليوم عصر تخصُّص، فما رأيكم بهذا الأمر؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذا قاله المُفَكِّر الجزائري المرحوم مالك بن نبي فيما أذكر، وهو صحيح في بعض المقامات الَّتي يحتاج فيها الفقيه إلى خبرة المتخصص الآخر، كما ذكرت في مجال المستجدَّات في الطبِّ والمستجدَّات في الاقتصاد.

ولكن في بعض المقامات قد يحدث العكس، ونجد الفقيه البصير يقترح على الآخرين ما قد يحلُّ بعض المشكلات، أو يطبُّ لبعض الأدواء من صيدليَّة الشريعة.

وأذكر أنَّ الفقهاء هم الَّذين اقترحوا على الاقتصاديِّين والماليِّين البدائل الشرعيَّة للمعاملات الربويَّة المُحَرَّمة، من مثل المضاربة والمشاركة والمرابحة وغيرها.

نسخة مجانية

كما أنَّ بعضها كان من مقترحات الإداريِّين والماليِّين.

وأيًّا كان المبادرة من الفريقين، فالَّذي يحتاج إليه الجميع هو التفاهم والتعاون بالرأي والجهد، على ما فيه خير الإسلام والمسلمين.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

فقه المعركة وفقه الأوراق

المحاور: طرح بعض الكتاب والعاملين في إطار الحركة الإسلاميَّة، قضيَّة هامة ـ في نظرنا على الأقل ـ وهي أنَّ هناك فقهًا يسمى فقه المعركة، أو فقه الحركة، ويُقصد به الفقه الميداني الَّذي تكسبه التجارب والمعاناة، مستهديًا بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وأنَّ هناك فقهًا نظريًّا بعيدًا عن المعاناة، لا يخرج عن كونه تصوُّرات مجرَّدة لا قيمة علميَّة لها، أسماه: فقه الأوراق، ما رأيكم بهذه القضيَّة؟ وما الحدود الفاصلة بين فقه المعركة وفقه الأوراق؟ وهل هذه التفرقة دقيقة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: «فقه الأوراق» هذا ـ إن صحَّت التسمية ـ ليس فقهًا، وليس اجتهادًا حقيقيًّا، الفقه الحقُّ والاجتهاد الحقُّ هو الَّذي ينطلق من معايشة النَّاس، ومعرفة ما هم فيه، والفقيه الحقُّ هو الَّذي «يُزَاوج بين الواجب والواقع» كما يقول الإمام ابن القَيِّم، فلا يعيش في دائرة ما ينبغي أن يكون، غافلًا عمَّا هو كائنٌ وواقعٌ بالفعل، إنَّ «فقه الدِّين» لا يمكن أن ينفصل عن «فقه الحياة»، وهذا هو «الفقه القرآني».

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فالفقه في نظر القرآن يشمل الفقه في أمر الله وشرعه، كما يشمل الفقه في سننه في خلقه، ولهذا وصف القرآن المشركين والمنافقين بأنَّهم: ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

وقال بعد أن ذكر بعض آيات الله في الكون: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

فالفقه هنا أعمق وأوسع من مجرَّد معرفة الأحكام الشرعيَّة الجزئيَّة من أدلَّتِها التفصيليَّة؛ إنَّما هو إدراك بصير يربط أحكام الله في شرعه بعضها ببعض، ويربط قوانين الله في أرضه بعضها ببعض، ولا يكتفي بالنظر إلى السُّطوح دون الأعماق.

ويزداد هذا الإدراك عمقًا بالخوض في معترك الحياة، والصراع مع الفراعنة والطغاة، والدخول في أتون الابتلاء والمحن، الَّذي ينفي الخبث، ويصقل المعادن، ويَمِيز الخبيث من الطيِّب.

لقد مرَّ شيخ الإسلام ابن تيمية مع بعض أصحابه على قومٍ من جنود التتار يشربون الخمر ويلهون بأقداحها سُكارى مخمورين، فأنكر عليهم بعض مَن معه، فقال له الشيخ: دعهم في سكرهم، فإنما حرم الله الخمر؛ لأنَّها تصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء تصدُّهم الخمر عن قتل الأنفس، ونهب الأموال[1]!

وهذا هو الفرق بين «الفقيه الحرفي»، أو ما سمَّيْته «فقيه الأوراق»، وبين فقيه الحياة أو فقيه الميدان والمعركة. الأوَّل: أنكر المنكر الَّذي رآه

(١) إعلام الموقعين (١٣/٣)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

دون اعتبار للمقصد والواقع. والثاني: نظر إلى الواقع في ضوء المقاصد، فقال ما قال.

لقد رأينا فقهاء الأوراق، يقاتلون على أشياء يمكن التسامح فيها، أو الاختلاف عليها، أو تأجيلها إلى حين، ويغفلون قضايا حيويَّة مصيريَّة، تتعلَّق بالوجود الإسلامي كلِّه، وهؤلاء قومٌ قد لا ينقصهم الإخلاص، ولكن ينقصهم الفقه، ولئن جاز تسميتُهم «علماءَ» فلا يجوز تسميتُهم «فقهاء» لو كانوا يعلمون.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التآكل من الداخل
أكبر خطر يُهَدِّد الصحوة[1]

في مسيرة الأُمَّة «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» فقدَّموا لنا الفعل المُنْتِج الَّذي أسهم في صنع تاريخها والتأثير في حاضرها وتحديد ملامح مستقبلها وظلَّت بصماتهم واضحة على هُوِيَّتها وكينونتها مع تعاقب الأجيال والسنين.

هؤلاء الرجال كانوا فرسانًا في ميادينهم ومشاعل نور إضاءة الطريق للقادمين بعدهم ليسيروا على دربهم، وينهجوا نهجهم، ويُكملوا المسيرة من بعدهم.

وفي هذا الزمان المتلاطم الأمواج العظيم التحديات نجد أنَّنا دومًا في حاجة إلى هؤلاء الرجال القدوة نستلهم قيمهم ونقتفي آثارهم ونبحث عن المخرج من مأزق الأُمَّة وسط أوراقهم.

وفي محاولة للتلاقي مع فكر وعطاء هؤلاء، قامت «عُكَاظ» بإجراء استبيان لاختيار أهم ثلاثين شخصيَّة خدمت الإسلام خلال القرن الماضي، وقد شارك في هذا الاستبيان ثلاثة وخمسون عالمًا ومُفَكِّرًا من كافَّة أنحاء العالم الإسلامي حيث قام كلُّ واحد منهم بترشيح أهمِّ الشخصيَّات من وجهة نظره، وقد تمخَّض الاستبيان عن اختيار هؤلاء:

(١) جريدة عكاظ السعودية، يوم الجمعة ١٣ رمضان ١٤١١هـ ـ ٢٩ مارس ١٩٩١م، وأجرى الحوار الأخ صالح عبد الفتاح.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الدكتور يوسف القرضاوي العالم والفقيه والمُفَكِّر والداعية الإسلامي المعروف، أحد الرجال الَّذين جنَّدوا حياتهم في سبيل الله عاملين لنشر الإسلام داعين إلى الإيمان والتمسُّك بحبل الله.

فهو فقيه مُعَلِّم، فقَّه النَّاس في أمور دينهم، وصحَّح مفاهيم مغلوطة كثيرة علقت بعقيدتهم وكادت أن تُفْسِد عليهم دِينَهم.

وهو خطيب ألهب العواطف، وأنار العقول، وغرس في نفوس الأجيال قيم الإسلام وتعاليمه.

وهو قدوة في فكره ومنهجه، تتمثَّل فيه الاستقلاليَّة في الفهم، وعدم التبعيَّة، وبذل الجهد الخارق لمواجهة التيارات الهدَّامة، ودفع العمل الإسلامي إلى الأمام انطلاقًا من كتاب الله العظيم وسُنَّة رسوله الشريفة.

وهو مجتهد، ناقش بجرأة أحكامًا ومواقف وسيرًا قصد من ورائها تصحيحَ المفاهيم السائدة، والردَّ على المغلوط فيها، لتقديم الإسلام في أكمل وجه، وإيضاح أوجه الخلل والتأكيد على أنَّ المواقف وظروف الواقع قد توجب أحكامًا تختلف في ظروف ومواقف أخرى، فلا عصمة إلَّا لمحمَّد ﷺ.

وهكذا انطلق الدكتور القرضاوي في سِنٍّ مُبَكِّرة داعيًا إلى الإسلام، وباحثًا متعمقًا، ودارسًا واعيًا، ليُقَدِّم الأنموذج للداعية المُتَمَيِّز.

وفي هذا الحوار يحكي الدكتور القرضاوي رحلته مع الدعوة الإسلاميَّة وهمومها وواقعها في العصر، ويطرح أفكاره قابلًا ورافضًا، ومُتَّفِقًا ومُنْتَقِدًا، ناهلًا في كلِّ ذلك من مَعِين الإسلام الَّذي لا يَنْضُب.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يتيـمٌ مُكـرَّم

المحاور: لتسمح لنا يا شيخ في البداية أن نُلقي نظرةً من قرب على حياتك ونشأتك!

فضيلة الشـيخ القرضاوي: أنا من مواليد قرية «صفط تراب» التابعة لمركز المحلَّـة الكبرى بمحافظـة الغربيَّة في جمهوريَّة مصـر العربيَّة، ولدت عام ١٩٢٦م، في أسـرة متديِّنـة رقيقة الحال، حيـث يعمل أهلي بالزراعة، وقد تُوُفِّي والدي وأنا في الثانية من عمري، وربَّاني عَمِّي الَّذي أحاطني بالرعاية الشديدة هو وأبناؤه الَّذين وجدت فيهم العوض الكبير، فلم تعترضني أيَّة مشـاكل في طفولتي، بل وجدت عناية ورعاية وحنانًا وحبًّا ومودَّة من أقاربي عامَّة.

وعندما بلغت الخامسـة من عمري التحقت بكُتَّـاب القرية لأحفظ القرآن الكريم، وفي السـابعة دخلت المدرسـة الإلزاميَّة التابعة لوزارة المعارف ودرست فيها الحساب والتقويم والتاريخ والصحَّة وغيرها.

وأتممتُ حفظ القرآن في العاشـرة من عمري حفظًا مُجَوَّدًا، وبعدها كان النَّاس يُقَدِّمونني لأؤمَّهم في الصلاة فحُرمت مـن وقت مُبَكِّر من اللعب، وفرص المرح الَّتي قد يستمتع بها الصغار.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وعندما أنهيتُ دراستي بالمدرسة الإلزاميَّة كنتُ أتطلَّع إلى ذلك اليوم الَّذي أصبح فيه عالمًا، ولكنَّ عَمِّي تردَّد في البداية، معتقدًا أنَّ طريق العلم شاقٌّ وطويل، ونصحني أن أتعلَّم حِرْفة توفِّر لي أسباب العيش من أقصر طريق، لكنَّني أصررتُ على مواصلة مسيرة العلم والتحقتُ بمعهد طنطا الدِّيني حيث بقيتُ فيه أربع سنوات، ثمَّ انتقلت للمعهد الثانوي الَّذي استمرَّت فيه الدراسة خمس سنوات، ورحلت بعدها للقاهرة حيث درست في كُلِّيَّة أصول الدِّين، وحصلت على الشهادة العالِيَة عام ١٩٥٣م وكنت الأوَّل على دفعتي، والتحقتُ بتخصُّص التدريس في كُلِّيَّة اللغة العربيَّة، وحصلت على العالميَّة مع إجازة التدريس، وحُزْت المرتبة الأولى من بين خمسمائة طالب من كُلِّيَّات الأزهر الثلاث، ثمَّ التحقت في عام ١٩٥٧م بمعهد البحوث والدراسات العربيَّة العالية التابع لجامعة الدول العربيَّة، وحصلت منه على دبلوم عالٍ في شعبة اللُّغة والأدب، كما حصلت بعد ذلك على (الدكتوراه) بمرتبة الشرف من كُلِّيَّة أصول الدِّين.

القراءة والاحتكاك بالعلماء:

المحاور: الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي، هل تعتقد أنَّ التعليم الرسمي مثلما ذكرت مسيرتك معه كافٍ لتأهيل الداعية؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا، ليس وحده، بل إنَّ مَن ينصب نفسه أو يعدها لأمانة العلم والدعوة، عليه أن يستكمل تكوين شخصيته، ولذلك لم أقتصر على الدراسة الرسميَّة في الأزهر، وطفقتُ أقرأُ كلَّ ما استطعت أن أقرأ، أشتري الكتاب، وأحيانًا أستعيره أو أذهب إلى دار الكتب منذ أن كنت في المرحلة الابتدائيَّة، واتَّجهت في قراءاتي الأولى للأدب

QaradawiBooks.com

والشـــعر، وشُـــغِلْتُ بالشـــعر وشُـــغِفْتُ به فترة غير قليلـــة، وقرأت في الإســـلاميَّات والتفســـير والحديث والفقه والكلام والفلسفة والتصوُّف والتربية والعلوم والتاريخ والعلوم الإنسانيَّة.

وممَّا ســـاعدني في هذه الناحية اتِّصالـــي المُبَكِّر بدعـــوة الإخوان المسلمين والتعرُّف على مؤسِّســـها الأوَّل الشيخ حسن البنَّا، والاستماع إليه منذ السنوات الأولى في الدراسة في معهد طنطا، وهذا فتح لي بابًا واسعًا غير باب التلقي الرسمي من المشايخ.

فقد تعرَّفت على الإســـلام الشـــامل، وزاد اهتمامـــي بقضايا الأُمَّة، وهموم الدعوة، ومشكلات المجتمع، وأتاح لي ذلك خطاب مجموعات مُتَنَوِّعة ومتباينة من النَّاس غير تلك المجموعات الَّتي كنتُ أخاطبها في القرية، وأمدَّني ذلـــك بزاد كبير من الخبرة والتجربـــة في ميدان الدعوة ومجال التربية.

بين الغزالي وابن تيمية:

المحاور: البعض تعتريهم التحوُّلات في حياتهم، فهل هناك تحوُّلات في حياة الدكتور القرضاوي أم أنَّ درب الحياة كان يسير في اتِّجاه واحدٍ منذ البداية؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: خَطِّي الأساسي لم يتغيَّر كثيرًا؛ لأنَّ الله أنعم عليَّ بأن أربط هـــذا الخطَّ بالإســـلام، معرفة به وحبًّا لـــه وغَيْرة عليه، وجهادًا في سبيله، وسعيًا في خدمة قضاياه.

ولكن بحكم التوسُّـــع في المعرفة والتعرُّف على المدارس الفِكْريَّة المختلفة يُمْكِنُني أن أقـــول: إنَّه قد اعتراني بعض التحوُّل، فقد كنتُ في

QaradawiBooks.com

مطلع شبابي شديد الإعجاب بالإمام أبي حامد الغزالي، وكانت كتبه أوَّل ما قرأتُ، خصوصًا «إحياء علوم الدين» و«منهاج العابدين».

وبعد أن أُتِيح لي الاطِّلاع على مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القَيِّم وغيره، وجدت فيها ألوانًا من التجديد لم تكن في مدرسة الإمام الغزالي، واعتبرت أنَّ هذه المدرسة تكمل السابقة، وبينهما تكامل لا تضارب، وتناسق لا تنافر. وهذا لعلَّه نهجٌ لي في مساري الفكري، فأنا لا أتعصَّب لمدرسةٍ بعينها، ولا لشيخٍ بعينه، بل أنظر إلى الجميع نظرةَ مَن يأخذ من كلِّ واحد خير ما عنده، على نهج ما قال بعض السلف الصالح: «خذْ ما صفا ودعْ ما كَدِر».

البنَّا أستاذي ومُعَلِّمي:

المحاور: هناك عدد من الشخصيَّات تُؤثِّر في حياة الإنسان، فمَن هؤلاء الَّذين تركوا بصماتهم على فكر الدكتور القرضاوي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أعظم الشخصيَّات الَّتي أثرت في فكري ومشاعري وسلوكي هي شخصيَّة الإمام حسن البنَّا، فقد استمعتُ إليه مبكرًا في حياتي، وأعجبت به ورأيت فيه الأستاذ والمعلم والمربي والداعية والمفكر، ولهذا تلقَّفت تقريبًا كل ما كتبه من رسائل ومقالات وبيانات ونهلت منها، ووجدت فيها زادًا ونبراسًا.

وهناك شخصيَّات أخرى تأثَّرتُ بها مثل الشيخ البهي الخولي صاحب كتاب «تذكرة الدُّعاة»، وكذلك الشيخ مُحَمَّد الغزالي مدَّ الله في عمره، والدكتور مُحَمَّد عبد الله دراز، والشيخ محمود شلتوت رحمهما الله، ولكن الله أكرمني، فلم أحاول أن أكون نسخة من واحد من هؤلاء الأفذاذ.

QaradawiBooks.com

لماذا نحن الضحيَّة دومًا؟

المحاور: لننطلق قليلًا إلى العموميَّات ونتساءل: هناك العديد من المُعَوِّقات والتحدِّيات الَّتي تواجه العمل الإسلامي، فكيف يرى فضيلتكم هذه المُعَوِّقات وأثرها السلبي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هناك مُعَوِّقات كثيرة أمام العمل الإسلامي، بعضها مُعَوِّقات خارجيَّة والأخرى داخليَّة، ولقد اهتممتُ بهذا الأمر مدَّة طويلة، ورصدتُ بعض هذه المُعَوِّقات في كتابي «الحلّ الإسلامي فريضة وضرورة»، وركَّزتُ على العوائق الداخليَّة؛ لأنَّني وجدت أنَّنا تحدثنا طويلًا عن المُعَوِّقات الخارجيَّة، ومُخَطَّط الصهيونيَّة العالميَّة، والصَّلِيبيَّة الغربيَّة، والشُّيوعيَّة الدوليَّة، ووجدت أنَّنا نلقى دائمًا التبِعة على هذه المخططات، لكن هذا لا يُمثِّل عذرًا لنا؛ لأنَّه يُثير تساؤلًا مفاده: لماذا نظل دائمًا ضحيَّة تخطيط غيرنا، ولا نُخطِّط لأنفسنا؟ لماذا نظلُّ دائمًا الفريسة وهم الصيَّادون؟ ينبغي أن نبحث في أنفسنا وعن الخلل فينا.

والقرآن الكريم يشير إلى هذا في تعقيبه على غزوة أُحُدٍ، إذ يقول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

لا بدَّ أن يبحث الإنسان في داخل نفسه عن السبب الَّذي جعله لا يصل إلى ما يُحقِّق النصر الَّذي يبتغيه، ولا عيب في هذا، فالإنسان مُعَرَّض للنجاح والفشل، والنصر والهزيمة، لكنَّ المهمَّ أن يتدارك أخطاءه أو خطاياه، ويحاول أن يجعل يومه خيرًا من أمسه.

QaradawiBooks.com

خلل في فقه الأولويَّات:

وبعد توقُّف يعود فضيلتــه مرَّة أخرى إلى الحديث عــن المُعَوِّقات الداخليَّة، ويقول:

ينبغي أن نُرَكِّز على العوائق الداخليَّة؛ فهناك خلل في فقه الأولويَّات، فقد نُقــدِّم النافلة على الفريضــة، وقد نُقدِّم فــرض الكفاية على فرض العَيْن، وقد نُقَدِّم فرض العَيْن الَّذي يتعلَّق بالفرد على فرض العين الَّذي يتعلَّق بالجماعة.

وكذلك فقه السنن الَّتي أقام الله عليها هذا الكون.

وقد ذكرتُ في كتابي «الصحوة الإســلاميَّة بين الاختلاف المشروع والتفرُّق المذموم»، أنَّ هنــاك قواعد في الفقه يجب أن نهتمَّ بها مثل فقه المقاصــد العامَّة للشــريعة، وفقه الســنن الكونيَّــة والاجتماعيَّة، وفقه الموازنات، وفقه الأولويَّات. أي نُمَيِّز بيــن ما يأخذ رقم (١)، وما يأخذ رقم (١٠) في أمور الدِّين والحياة، وذكرتُ أنَّ الإســلام بضع وســبعون شُعْبة أعلاها: لا إلٰه إلَّا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، فلا ينبغي أن نجعل الأعلى أدنى والأدنى أعلى.

الصحوة تتآكل من الداخل:

ولا زال الحديث للدكتور القرضاوي الَّذي يضيف قائلًا:

«كذلــك فقه الاختلاف وكيــف تختلف آراؤنــا ولا تختلف قلوبنا، وكيف يمكن أن يكون لكل منــا رأيه واجتهاده، دون أن يؤدي ذلك إلى عداوة ولا بغضاء، كيف نســتطيع تطبيق هذه القاعدة الذهبيَّة الَّتي نادى

QaradawiBooks.com

بها العالم الجليل الشـــيخ مُحَمَّد رشـــيد رضا: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

هذه أشياء مُهِمَّة يجب أن نتخطَّاها سواء من حيث الشكل أو الخلل في الترتيب أو في التكوين أو من حيث استعجال الثمرة قبل أوانها، ومن حيث التشـــتُّت الَّذي يعانيه العاملـــون في حقل الدعـــوة، فقد أصبحوا مدارس مُتَفَرِّقة، وليتهم مدارس في الرأي والفكر، ولكنَّهم جماعات ينفر بعضها من بعض، ويجافي بعضها البعض، بـــل يعادي بعضها البعض، وهذا يجب أن يزال من واقع الأُمَّة، وينبغي أن نلتفت إلى هذه الآفات؛ لأنَّهـــا هي الَّتي تُعِيـــن القوى المعادية للإســـلام على ضـــرب الصحوة الإسلاميَّة من داخلها، وبذلك تتآكل الصحوة من الداخل قبل أن تُضرب من الخارج».

ثمار طيِّبة للصحوة:

المحاور: بصفتكم أحد المعاصرين للعمل الإســـلامي، فكيف ترون خطوات التحرُّك نحو تحقيق الغاية الكبرى من تمكين الإسلام في نفوس المسلمين والعمل به؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: العمل الإســـلامي أنتج، ومن الظلم أن نقول: إنَّه لم يُحَقِّق شـــيئًا؛ لأنَّ هذا يصيبنا بالإحبـــاط، ولا يقدم إجابة صحيحة للواقع؛ لأنَّنا نشهد الآن داخل وخارج العالم الإسلامي صحوة إســـلاميَّة نلمس آثارها وثمارها، وهي صحوة العقـــول الَّتي تحاول أن تفهم الإســـلام، وصحوة القلوب والمشـــاعر المُتَدَفِّقة بالحبِّ للإسلام والغَيْـــرة على قضاياه، وهي صحـــوة الالتزام والعمـــل، يتمثَّل في هذه المســـاجد العامرة، وفي الحرص على أداء الحجِّ والعمرة، وفي الالتزام

QaradawiBooks.com

بالحجاب الإسلامي بعد أن كان شيئًا نادرًا، بل شاذًّا في الحياة الإسلاميَّة قبل عقود قليلة.

فلا شك أنَّنا نلمس آثار الصحوة الإسلاميَّة، الَّتي تجسَّدت في الجهاد الأفغاني وصموده أمام أكبر قوَّة إلحاديَّة في التاريخ، وكذلك أثر الصحوة داخل الاتحاد السوفييتي، والانتفاضة الفلسطينيَّة الَّتي سميت في أوَّل الأمر «ثورة المساجد» وحملت المصاحف وجعلت شعارها: «لا إلٰه إلَّا الله والله أكبر»، وجعلت أنشودتها: «خيبر خيبر يا يهود.. جيش مُحَمَّد سيعود».

هذه الانتفاضة لا شكَّ أنَّها من ثمار الصحوة، ولا يستطيع أحد أن ينكر أنَّ الحركة الإسلاميَّة قد آتت أكلها، واستطاعت إلى حدٍّ كبير أن تصنع إنجازًا عظيمًا يتمثَّل في هذا التوجُّه الإسلامي الَّذي يغلب على أيِّ توجُّه آخر في بلدان كثيرة.

فهناك آثار ينبغي ألا نُهَوِّن منها، بل إنَّها ردٌّ عمليٌّ على تلك المكايد الضخمة والخفيَّة الَّتي يُدَبِّرها أعداء الإسلام الَّذين يملكون الخبرة والرجال والأدوات والمال والعتاد، ومع كلِّ هذا استطاع الإسلام أن ينتج شيئًا.

هذا ما نخاف منه:

ويستدرك الدكتور القرضاوي قائلًا:

«لكن كل ما نخافه على الصحوة الإسلاميَّة هو ما أسميناه (التآكل من الداخل)، والانشغال بالقضايا الجزئيَّة عن القضايا الكُلِّيَّة، والاستغراق في المُخْتَلَف فيه وترك المُتَّفق عليه».

QaradawiBooks.com

عين للإسلام وعين للعصر:

المحاور: لا يخفى عليكم أنَّ الدعوة الإسلاميَّة هي واجب الإنسان المسلم في كلِّ زمانٍ وعصر، فكيف ترَوْنَ ملامح الدعوة في هذا العصر الَّذي تَقَدَّم فيه الإنسان وخَطَا خطوات واسعة على الأرض؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: يجب أن ننظر إلى الإسلام بعينٍ، وإلى العصر ومشكلاته بعينٍ أخرى، فلا نغفُل أصول الإسلام ولا نتجاهل مشكلات وقضايا العصر، وليس معنى أنَّنا ننظر إلى قضايا العصر أن نُطَوِّع الإسلام للعصر، ولكن أن نُطَوِّع العصر للإسلام.

وقد سئلت لماذا لا يتطوَّر الإسلام؟ فقلت: ولماذا لا يُسْلِم التطور؟ وهذا يعني أن ينقاد العصر للإسلام، ولكن أي الإسلام هو؟ إنَّه الإسلام من مصادره الأصلية ومنابعه الصافية.

الإسلام كما كان يفهمه الصحابة رضوان الله عليهم والَّذي اتبعته بإحسان المدارس الإسلاميَّة الأولى، ليس الإسلام المتسيِّب، وليس الإسلام المتشنج المتشدِّد؛ لأن بعض المسلمين أصبحوا أثقالًا على النَّاس في حين أنَّ النبي ﷺ جاء لرفع الأثقال عن النَّاس، ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

الإسلام الَّذي نتطلَّع إليه هو الإسلام الَّذي يجمع الأمرين: الدِّين والعصر، وهذا لا يعني أنَّنا نريد أن نُمَيِّع الإسلام ونجعله عجينة للتشكيل لكلِّ من هبَّ ودبّ، ولكلِّ من يدَّعي الاجتهاد وهو لم يُحِطْ بالقرآن والسُّنَّة، ولم يَدْرس أصول الفقه، ولم يتذوَّق اللغة وليست عنده الملكة الَّتي تجعل منه الفقيه المجتهد؛ لأنَّ أمثال هؤلاء ليسوا مُجَدِّدين وإنَّما مُبَدِّدون.

QaradawiBooks.com

نحن نريد الفهم الصحيح للإسلام، وأن يتحوَّل هذا الفهم إلى طاقة إيمانيَّة للإسلام، فنحن لسنا مستشرقين ندرس الإسلام فقط، لكن الإسلام عقلٌ ذكيٌّ وقلبٌ نَقِيٌّ.

نحن نريد العقل المتوقِّد، والعاطفة الدافقة، والإرادة الدافعة، والعمل الملتزم، والخُلُق القوي، فهذه هي الشخصيَّة الَّتي نريدها، وإذا فعلنا ذلك نكون قد سرنا على الطريق الصحيح.

هؤلاء خدموا الإسلام:

المحاور: سؤال أخير، ما هي أهم الأعمال الَّتي خدمت الإسلام في هذا العصر من وجهة نظركم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا يمكن أن نقول إنَّ هناك عملًا فكريًّا أو دعويًّا واحدًا؛ فهناك عدد كبير من العلماء والمُفَكِّرين أعطوا للإسلام، ومن هؤلاء الإمام مُحَمَّد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وتفسير المنار، الَّذي جمع بين السلفيَّة والتجديد والأصالة والمعاصرة، ودعا إلى الاجتهاد الصحيح وحارب العصبيَّة والتقليد. والعلَّامة محبُّ الدين الخطيب صاحب الفتح والزهراء، وهناك علماء أجلاء آخرون مثل: الشيخ مُحَمَّد أبو زهرة، والشيخ أبي الأعلى المودودي، والشيخ حسن البنَّا، والشيخ مصطفى السباعي، والشهيدين عبد القادر عودة، وسيِّد قطب، والشيوخ مُحَمَّد الغزالي، وسيِّد سابق، وأبي الحسن الندوي، ومصطفى الزرقا، ومحمد المبارك، ومحمد قُطْب، وآخرون في المغرب العربي مثل: ابن باديس، والبشير الإبراهيمي، فكلُّ هؤلاء قدَّموا للإسلام وخدموه، وكتاباتهم في حاجة إلى القراءة الفاحصة البيِّنة، لتستفيد منها أجيال الشباب ولتُشِعَّ آفاقُها نحو مزيدٍ من الفهم الواسع لهذا الدِّين العظيم.

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الإسلام والعقلانيَّة(١)

من القضايا الَّتي كثر الجدل حولها: «علاقة الإسلام بالعقل»، فقد ظهر تيار فكري يحمل لواء العقلانيَّة، ويدافع عنها، ويجعل من العقل حاكمًا لا يُرَدُّ حكمه، وانقسم حملة هذا اللواء فريقين في ظاهر الأمر أمام الدِّين عامَّة، وأمام الإسلام على وجه الخصوص:

الفريق الأوَّل: رفض الدِّين رفضًا تامًّا، واتَّهم الفكر الدِّيني بأنَّه فكر ديماجوجي، معطل للعقل، قائم على الخرافة.

الفريق الثاني: تعامل مع الدِّين ولكنْ مُقَرِّرًا أنَّ العقل هو الحكم الفصل في قضايا الدِّين، وأنَّه إذا تعارض النصُّ مع العقل، وجب إخضاع النصِّ للعقل، مهما كان النصُّ قطعيَّ الدلالة والثبوت.

وكان علينا ونحن نستفتح هذا الملحق الديني الأسبوعي أن نضع هذه القضيَّة في مُقَدِّمة القضايا الفِكْريَّة الإسلاميَّة الَّتي سنتناولها بإذن الله تعالى.

وكانت لنا تساؤلات حول العقلانيَّة، طرحناها على ضيوفنا.

(١) نشر في جريدة بالدوحة، بتاريخ ٥ يونيه ١٩٨٩م، وأدار هذا الحوار الصحفي الأديب الشاعر د. رشدي إبراهيم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

سألناهم عن علاقة الإسلام بالعقل والعقلانيَّة.

وبماذا نُبَرِّر موقف دُعاة العقلانيَّة من الدِّين؟

وعن المناطق الَّتي يجب على العقل ألَّا يرتادها بمفرده حتَّى لا يهلك؟

وكيف نوائم بين جنوح العقل وحكمة الشرع؟

وقد طرحنا القضيَّة على فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي الَّذي تفضل ببيان أبعادها وإبراز كلِّ جوانبها، فقال:

«لا ينبغي أن تُتْرك هذه الألفاظ هلاميَّةً مائعة رَجراجة غير مُحَدَّدة الدلالة، يستخدمها كلُّ فريق فيما يؤيِّد مذهبه ووجهته وفلسفته في الحياة فينبغي أن يُحَدِّد المراد.

فالعقل وما يُشْتَقُّ منه كلمة محبَّبة للإنسان، لكن قد يُفَسِّرها بعضُهم تفسيرًا غير مقبول.

وما المراد بالعقلانيَّة؟

العقلانيَّة مصدر صناعي موجود في اللغة العربيَّة زيدت فيه الألف والنون كالعِلمانيَّة، وهي مشتقَّة من مادَّة العقل، ونحن المسلمين أولى النَّاس بتمجيد العقل، وما يتفرَّع منه وما يصدره هذا العقل إذا استخدم العقل في مجاله وبحدوده وضوابطه.

أعظم قضيتَيْن:

بل علماؤنا المُحَقِّقون يقولون: إنَّ العقل عندنا أساس النقل؛ ومعنى هذا أنَّنا نُقيم النقل على أساس العقل؛ لأنَّ العقل هو الَّذي يثبت لنا أعظم قضيتَيْن من قضايا الدِّين.

QaradawiBooks.com

القضيَّة الأولى:

قضيَّة وجود الله ﷻ، فهذه لا يمكن الدليل عليها من الوحي ولا من النقل، إذا جادلني مادِّي أو شيوعي ملحد عن وجود الله لا أقول له: قال الله تعالى، وقال الرسول؛ لأنَّه لا يؤمن بالله ولا بالرسول، كيف أخاطبه بقول الرسول، وهو لا يؤمن بالمُرْسل نفسه؟ لا بدَّ أن أبحث معه القضيَّة من جذورها بحثًا عقليًّا فأقيم له الدليل على وجود الله بالعقل، وهذا ما يُؤَيِّده القرآن نفسه؛ لأنَّ القرآن ذكر أدلَّة عقليَّة صرفه على وجود الله ﷻ في مناقشته للمشركين والجاحدين من مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۞ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]».

ومضى فضيلة الدكتور القرضاوي يقول:

«فقضيَّة إثبات الوجود الإلٰهي قضيَّة عقليَّة، صحيح هي قضيَّة فطريَّة أيضًا، هي غريزة فطريَّة وضرورة عقليَّة، لا نستطيع أن نُفَسِّر الكون وما فيه من حياة وما فيه من إبداع وما فيه من تنظيم إن لم نقل بوجود إلهٍ خالقٍ ومُنَظِّم ومُبْدِع وراء هذه المخلوقات، قانون العِلِّية أو السببيَّة قانون فطري يجعلنا نقول: لا بدَّ أنَّ وراء الصنعة صانعًا، ووراء التنظيم مُنَظِّمًا، ووراء الحركة محرِّكًا، وهو ما عبَّر عنه الأعرابي حينما قال: «البَعْرة تدلُّ على البعير، وأثر السير يدلُّ على المَسِير، فكيف بسماءٍ ذات أبراج، وأرضٍ ذات فجاج، وبحارٍ ذات أمواج؟! أفلا يدلُّ ذلك على العليِّ القدير».

من أجل هذا نقول: إنَّ وجود الله ﷻ دليله العقل».

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

القضيَّة الثانية، إثبات النبوَّة:

وأضاف فضيلته: «ثمَّ هناك قضيَّة بعد ذلك، بعد أن نثبت أنَّ هناك إلهًا وربًّا له صفات الكمـــال، هذا الربُّ العظيـــم الأعلى من حكمته ورحمته أنَّه لم يدع خلقه هَمَلًا ولم يتركهم سُـــدًى ولم يخلقهم عَبَثًا، بل أرسل إليهم رســـله مُبَشِّـــرين ومنذرين؛ لئلَّا يكون للنَّاس على الله حُجَّة بعد الرسل.

كيف يثبت إمكان الوحي ووقوع الوحي بالفعل ووجود الرسل وأن فلانًا هذا رســـول مؤيَّد من عند الله... هذه قضيَّة عقليَّة، فلا تستطيع أن تثبت الوحي بنفسه، لأنَّ هذا دَوْر[1]، وهذا باطل.

إذنْ لا بدَّ أن تقيم الدليل على ثبوت الوحي بالعقل، فثبوت النبوَّة، والرســـالة لرســـول معيَّن، كيف نثبتها؟ كيف نُثْبت نبوَّة مُحَمَّد ﷺ؟ نثبتها بالعقل.

فالله أظهر على يديه من الآيـــات والبيِّنات ما يقطع بأنَّه لا يتكلَّم من عند نفسه، ولا يُمَثِّل إرادته بل يُمَثِّل الإرادة الإلٰهيَّة، وتلك هي المعجزة.

ولذا قال علماؤنا: دلالة المعجزة على صدق الرســـول دلالة عقليَّة، فالقرآن دلالته على صدق مُحَمَّد ﷺ دلالة عقليَّة.

فإذن القضيَّتان الكبيرتان: قضيَّة وجود الله وقضيَّة إثبات النبوَّة، هاتان قضيَّتان عقليَّتان ومن هنا قال علماؤنا: العقل أساس النقل».

---

(١) والدَّوْر يعني: توقف كل من الشَّيْئَيْنِ على الآخر. كما يقوله المناطقة. انظر: المعجم الوسيط مادة (د. ا. ر).

QaradawiBooks.com

القرآن يُمَجِّد العقل:

واستطرد فضيلة الدكتور القرضاوي قائلًا: «نحن إذن ـ نحن المسلمين ـ لا نخاف من العقل، بالعكس نحن نُرَحِّب بالعقل ولا يوجد في الدُّنْيا كتاب أشاد بالعقل ونوَّه به مثل القرآن الكريم.

لا يوجد كتابٌ دِينيٌّ فيه تمجيد لأولي الألباب، ستَّ عَشْرة آية في القرآن الكريم تتكلم عن أولي الألباب. وهناك أحاديث عن أولي النُّهى وذي حِجْر، ومادَّة: «عقل، يعقل، يعقلون» موجودة في القرآن بكثرة، ثمَّ الحديث عن الكتاب الَّذي يقول للناس: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾، أي أن أي قضيَّة لا تُقْبَل بغير برهان.

ولذلك نجد القرآن ينشئ العقليَّة العلميَّة، ويحارب العقليَّة الخُرافيَّة الَّتي تُصَدِّق أي دعوى تُقال لها، العقليَّة العلميَّة الَّتي ترفض الجمود على ما كان عليه الآباء، العقليَّة المُقَلِّدة: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]. هذا يرفضه القرآن سواء أكان تقليد الآباء أو تقليد السادة والكبراء ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]. أو تقليد العوامِّ من النَّاس: «**لا يكُنْ أحدُكم إمَّعة يقول أنا مع النَّاس إن أحسنوا أحسنتُ، وإن أساؤوا أسأت**»[1]، إنَّما يريد من الإنسان أن يُفَكِّر وأن يستخدم عقله لا عقل غيره، يُفَكِّر مع صديقٍ له، أو يُفَكِّر مع نفسه، يخلو بنفسه ويُفَكِّر بعيدًا عمَّا يُسَمُّونه: تأثير العقل

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٧)، وقال: حسن غريب. والبزار (٢٨٠٢)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٧١)، عن حذيفة بن اليمان. ولكنَّه يتماشى مع القواعد العامة، والمبادئ الكلية في الإسلام.

QaradawiBooks.com

الجمعي، وهذا ما أشار إليه القرآن حينما قال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦]، خصلة واحدة: أن تقوموا لله ـ أي مخلصين ـ في طلب الحقيقة مثنى مع واحد، أو فرادى مع نفسك، ثمَّ تتفكَّروا في أمر نبوَّة مُحَمَّد، ما بصاحبكم من جِنَّة، لا يمكن أن يكون مثل هذا الإنسان صاحب الخُلق العظيم مجنونًا، فكروا فالإسلام يدعو إلى التفكر ويعتبر التفكر عبادة، وفي القرآن: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، و﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، إلخ.

فالدعوى إلى التفكُّر، إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]، عمليَّة النظر والتفكُّر، دعوة إلى النظر والفكر، الحملة على التقليد بكلِّ أنواعه، على الجمود بكلِّ صوره، الدعوة إلى إقامة البرهان.. القضايا الحِسِّيَّة يستخدم فيها الحِسَّ: ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]. الشيء الَّذي لم تشهده لا تحكم به، القضايا العقليَّة لا بدَّ فيها من برهان عقلي، القضايا النقليَّة والتاريخيَّة لا بدَّ فيها من برهان نقلي: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]. هذه هي العقليَّة العلميَّة، العقليَّة الَّتي ترفض الظنون في مقام اليقين».

اليقين لا الظن:

ويمضي فضيلة الدكتور القرضاوي في حديثه قائلًا:

«في مجال تأسيس العقائد والحقائق لا بدَّ من يقين لا يقبل الظن، ولذلك نجد القرآن حمل على المشركين، يقول: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٣٦]، حمل على النصارى في اعتقادهم

QaradawiBooks.com

حول المسيح وصلبه قال: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]. الظن لا يغني من الحقِّ شيئًا، رفض اتباع الظنون في مقام اليقين، رفض اتباع الأهواء والعواطف، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

هذه هي العقليَّة العلميَّة، فإذا كانت العقلانيَّة بهذا المعنى لا نقول يقبله الإسلام بل يرحب به، بل يدعو إليه، بل يعتبره فريضة، يريد من الإنسان المسلم أن يكون ذا عقليَّة علميَّة، عقليَّة ترفض الخرافات، وترفض الأباطيل، وترفض الدعاوى بغير برهان من الله ﷻ، فلا بدَّ من هذه العقليَّة، ولذلك نحن ليس عندنا ما عند أصحاب الأديان الأخرى من مثل قولهم: «اعتقدْ وأنت أعمى»، أو «أغمضْ عينَيْك ثمَّ اتبعني»، أو «إنَّ الجهالة أمُّ التقوى».

ليس عندنا شيء من هذا، بل لا بدَّ أن يكون الإيمان عن بينة، والدعوة على بصيرة: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود: ١٧]، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]. نريد المسلم الَّذي يحيا على نور، لا يعيش في ظلمات التقليد دون أن يدري شيئًا من حوله، يلقَّن أشياء ولا يعرف أصلها من فصلها، لا! ليس هذا هو الإسلام».

وفي الأسبوع القادم نستكمل ـ بمشيئة الله ـ حديث فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الإسلام والعقلانيَّة
نحن دُعاة العقلانيَّة ولكن[1]!

في الأسبوع الماضي، وفي حوارنا حول قضيَّة «الإسلام والعقلانيَّة» تفضل الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي ببيان أن أعظم قضيتين عقديتين، وهما وجود الله وإرسال الرسل، لا بدَّ من إثباتهما بالعقل، فالعقل أساس النقل كما يقول علماؤنا، وأكَّد أنَّ المسلمين أولى بتمجيد العقل إذا استخدم في مجاله.

واليوم نتابع مع فضيلة الداعية الإسلامي الكبير الدكتور يوسف القرضاوي الحديث حيث يقول فضيلته:

«نحن دُعاة العقلانيَّة، نحن المسلمين دُعاة العقلانيَّة، نحن نرفض الخرافات والأباطيل، ومن خلال هذه العقليَّة وفي ظلها قامت حضارة إسلاميَّة شامخة جمعت بين العلم والإيمان، بين العقل والنقل».

المحاور: بمناسبة العقل والنقل، هل يقع تعارض بينهما، وكيف يمكن درء هذا التعارض؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لم ير علماؤنا إطلاقًا أي تعارض أو تناقض بين صحيح المنقول وصريح المعقول، وقد ألَّف في ذلك شيخ الإسلام

(١) نُشر في جريدة بالدوحة، بتاريخ ١٢ يونيه ١٩٨٩م.

QaradawiBooks.com

ابن تيمية كتابًا ظهر في عشرة أجزاء اسمه «درء تعارض العقل والنقل»، فلا يمكن أن يتعارض عقل صريح مع نقل صحيح، وإذا رأيت تعارضًا، فلا بدَّ أن ما ظننته نقلًا ليس صحيحًا، أو ما ظننته عقلًا ليس صريحًا.

ويستطرد فضيلة الدكتور قائلًا: «لا يمكن لأنَّ العقل أثر من آثار رحمة الله بالإنسان وفضله عليه، والنقل هو وحي الله للإنسان، فكيف تتعارض آثار الله بعضها مع بعض، لا يمكن أن يحدث التعارض إلَّا من الناحية الظاهرية الشكلية، لكن عند التأمل لا يمكن أن يوجد تعارض، ولا بدَّ أن يكون هناك توفيق بين ما يُظنّ من التعارض أو أن أحدهما ليس صحيحًا.

فلذلك ليس عندنا مشكلة الدين والعلم، ما يسمونه بالتعارض بين الدين والعلم، أو بين العقل والنقل، لا يوجد عندنا هذا إطلاقًا؛ الدين عندنا علم، والعلم عندنا دين، الدين عندنا يقوم على أساس من العلم، وأوَّل آية نزلت في كتابنا: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١ ـ ٥]. أوَّل ما نزل على قلب مُحَمَّد ﷺ مادَّة القراءة والعلم والتعلم والقلم، فالدين عندنا علم، والعلم عندنا دين، وطلب العلم فريضة، سواء أكان علم دين أم علم دنيا، حتَّى علوم الدُّنْيا، الإسلام اعتبر تعلمها فريضة كفائيَّة إذا كان يحتاج إليها المسلمون».

متى يعزل العقل نفسه؟

ويضيف فضيلة **الدكتور القرضاوي**: «نحن المسلمين لا نعاني مشكلة عانتها النَّصرانيَّة في المجتمع الغربي، مسألة التعارض بين العلم والدين، وقامت من أجل ذلك محاكم التفتيش وحرق العلماء، وحدث ما حدث، ليس عندنا شيء من هذا.

QaradawiBooks.com

فإذا كانت العقلانيَّة هـــي هذه فنحن كما قلنا: دُعـــاة عقلانيَّة، أمَّا إذا كانت العقلانيَّة أن نرفض وحي الله ﷻ، أو نغلِّب باســتمرار العقل على النص ولو كان النص قطعي الثبوت قطعي الدلالة، فهذا ليس من العقلانيَّة في شـــيء؛ لأنَّه كما يقول الإمام الغزالي: إنَّه إذا ثبـــت وجود الله بالعقل وأثبتنا النبوة بالعقل، وأثبتنا نبوة مُحَمَّد ﷺ وأنَّه لا ينطق عن الهوى، وأنَّ القرآن كتاب من عند الله، إذا ثبت ذلك كله بالعقل ـ يقول الإمام الغزالي في هذا الوقت: عند ذلك يعزل العقل نفسه ويتلقى من الوحي.

العقل هو الَّذي أثبت صدق الرســـالة وصدق الوحي وصدق القرآن، إذن على هذا العقل أن يعزل نفسه ويتلقى، فما ثبت أنَّه من الوحي على العقل أن يقول: سمعنا وأطعنا، وإلا حدث تناقض بين العقل ونفسه.

قد يأتي الدين بشـــيء فوق مســـتوى العقل، ولكنَّـــه لا يأتي بما يحيله العقل، فلا يأتي الدين بما يســـتحيل عقلًا، وإنَّما بما يستحيل عادة، والاستحالة العاديَّة أمر يتغيَّر، كم من أشياء كانت مستحيلة في عادات النَّـــاس تغيَّرت، لـــو ذكرنا لأجدادنا منذ عشـــرات الســـنين ما يحدث الآن لقالوا: هذا جنون، أشياء كانت مستحيلة عادة أصبحت عادة نعايشها يوميًّا».

أيُّها العقل.. قف هنا:

* فضيلة الدكتور، على ضوء هذا هل هناك مناطق لا يجوز للعقل أن يجتازها، بمعنى أن عليه أن يقف منها موقف المتلقي؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: قد قرَّرنا أنَّ الدِّين قد يأتي بما يســـتبعده العقل، ولكنَّه لا يأتي بما يحيله، فما يأتي بـــه الدِّين من غيبيَّات تتعلَّق بالعالم غير المنظور، بالملائكة والجنَّ والشياطين، بالعرش، بالكرسي،

QaradawiBooks.com

باللوح، بالقلم، ما يأتي به من أحوال الحياة البرزخيَّة: القبر وما فيه من نعيم وعـذاب، أو أحوال الآخرة، وما فيها من بعث وحشـر وحسـاب وسؤالٍ وميزان، وصحفٍ وصراطٍ وجَنَّة ونار، هذه الأشياء على العقل أن يسلم بها ما دام الوحي قد جاء بها.

فالعقل هنا عليه أن يسـلِّم بهذه الأشـياء إذا كان يحترم نفسه، وإلَّا كذَّب نفسـه في تصديقه للوحي أولًا، ثمَّ هناك أشـياء ينبغي للعقل أن يسلم بها وهي ما كان مقطوعًا به من ناحية الثبوت ومن ناحية الدلالة.

ما كان قطعي الثبـوت والدلالة فعلى العقل أن يسـلم له، لا يقول العقـل: لماذا نصلي في اليـوم خمس مرات؟ ولماذا لـم تكن ثلاثًا أو أربعًا؟ ولماذا كان بعض الصلوات ركعتين وبعضها ثلاثًا وبعضها أربعًا؟ ولماذا كان الركوع مرَّة واحدة والسجود مرتين؟ هذه الأشياء لا يستطيع العقل أن يفصل فيها، وقد شـبَّهها الإمام الغزالـي بالأدوية الَّتي يصفها الطبيب للمريض، لا يستطيع المريض أن يفهم لماذا يجعل الطبيب هذا الدواء قبل الأكل وهذا بعد الأكل، وهذا حبَّة واحدة وهذا حبَّتَيْن، شَرْحُ هذا لكلِّ مريض فوق مستواه، والعبادات أشـبه بأدوية رُوحيَّة للإنسان، فعلى الإنسان إذا سلَّم بمعرفة الطبيب وخبرته أن يقول: إنَّ هذا لا يخلو عن حكمة، قد يعرف بعضها، وقد يغيب عنه بعض آخر.

فهناك أشياء ينبغي أن نُسَلِّم بها كمجال الغيبيَّات ومجال العبادات، حتَّى الأحكام الشـرعيَّة، هناك أحكام قطعيَّة، هذه لا ينبغي للنَّاس أن يُعملوا فيها عقولهـم بزعم أنَّهـم أدرى بمصالحهـم. لا، إنَّهم أدرى بمصالحهم، ولكنَّهم ليسوا أعلم من ربِّ العباد بالعباد: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]».

QaradawiBooks.com

ويُضيف فضيلة الدكتور القرضاوي قائلًا:

«كثيرًا ما سقط العقل الإنساني في ورطات عديدة، بعض النَّاس في وقت من الأوقات بعقولهم قالوا: لماذا لا نبيح البِغاء، بدلًا من أن نترك النَّاس يزنون بعيدًا عن إشراف الدولة، لنُنَظِّم الزِّنى، وليكن تحت إشراف الدولة، وأناس إلى الآن يريدون إباحة الخمور، وحتَّى مع اكتشاف العقل الإنساني لمَضَرَّة الخمر بالفرد وبالأسرة والمجتمع والاقتصاد ومَضَرَّتها بالعقل وبالأخلاق مع هذا يستسلم العقل أمام الهوى.

العقل في حاجة لمُعِين:

فالَّذين يريدون أن يُخضعوا النصوص لعقل الإنسان هؤلاء مخطئون ولا يمكن أن يترك العقل وحده، العقل في حاجة إلى مُعِين كما بيَّن ذلك الإمام مُحَمَّد عبده في «رسالة التوحيد» حيث أشار في هذه الرسالة إلى أنَّ العقل في حاجة إلى معين يعينه؛ لأنَّه أحيانًا تكتنفه أشياء تلبِّس عليه الأمور».

ويستطرد فضيلته قائلًا:

«وبقي في القضيَّة مسألة مُهِمَّة وهي: إذا قلنا العقل فعقل مَن؟ عقل الخواص أم عقل العوام؟ لقد رأينا الفلاسفة يختلفون بعضهم مع بعض إلى حد التناقض، هذا يثبت وهذا ينفي، هذا يبني وهذا يهدم، فمن معه الحقُّ منهم: الفلاسفة المثاليُّون أم الواقعُّيون، المادِّيُّون أم الإلٰهيُّون؟ أيُّ الفلاسفة؟ هذا رأيناه، فالعقول تختلف، رأينا العرب قبل الإسلام عقولهم أجازت لهم أن يئدوا البنات، الإنسان يئد ابنته، أيُّ عقل هذا؟!

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لذا نقول: إنَّ العقل الإنســاني وحده لا يؤمن أن يترك وحده، وإنَّما ينبغي أن يُؤَيِّد وأن يُصَان بوحي الله تبارك وتعالى ليُسَدِّد خطاه ويعصمه من الزلل حتَّى يستمرَّ في الطريق المستقيم، فالعقل بدون وحي معرَّض للخطأ والخطل والخطر، كما رأينا الَّذين مشوا وراء عقولهم وحدها بعيدًا عن هدى الله تعالى.

هذا ما ينبغي أن يُفهم في هذه القضيَّة الكبيرة: قضيَّة العقلانيَّة، بعيدًا عن الإفراط والتفريط».

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عِزَّة الإسلام بيد علمائه وشبابه فهل يفعلون[1]؟

أثنـاء زيارته الأخيـرة لدولـة الإمـارات، مدعُوًّا لإلقـاء عدد من المحاضرات العامَّة والتخصصيَّة، كان لقاء مجلَّة «الإصلاح» مع الأستاذ يوسف القرضاوي، عميد كُلِّيَّة الشريعة بقطر.

وحينما يجتمع فهم الفقيه وبيان الأديب وحرارة الداعية في شخص مثل الدكتـور القرضاوي، فذلك يعنـي أنَّ اللقاء معـه كملاقاة البحر الزاخر بالدرر، إذا حدَّدت زمنًـا لجَنْيِ لآلئه، ضاع منك الزمن، وفاتك من اللآلئ الكثير.

فإنَّ للزمن عنـد الدكتور القرضاوي حسـابًا آخر، فخـلال الثماني والأربعين سـاعة الَّتي خصَّصها لزيارة الإمارات، كانت عقارب الساعة عدوه الأوحد في تحرُّكاته ولقاءاته وأحاديثه، فدقَّة الفقيه علَّمته أنَّ الوقت ثمين جدًّا، لكن حرارة الداعية أقنعته أنَّ الدعوة بكلمةٍ طيِّبة يهون أمامها كلُّ ثمين.

لذلك وافق الدكتور يوسـف القرضاوي على اقتطـاع جزءٍ من وقته المتسارع ليخصَّ «الإصلاح» بهذا الحديث القيم.

(١) مجلة الإصلاح، دبي، شوال ١٤٠٤هـ ـ يوليو ١٩٨٤م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المحاور: الملاحظ أنَّ الحديث عن الصحوة الإسلاميَّة بات يتصدَّر الكثير من الكتب والدراسات والمقالات الَّتي يطرحها الكُتَّاب والمفكرون الإسلاميون اليوم، فما هي حدود هذه الصحوة؟ وما هي الإيجابيَّات والسلبيَّات الَّتي تُمَيِّزها؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: يراد بالصحوة الإسلاميَّة: حركة البعث الإسلاميِّ الممتدِّ في آفاق عالمنا الإسلامي، شرقه وغربه، عربه وعجمه، بل الممتد خارج هذه الحدود، إلى أمريكا وأوربا والشرق الأقصى، حيث نجد آثار هذه الصحوة في الجمعيَّات الطُّلَّابيَّة والتجمُّعات الشبابيَّة الإسلاميَّة الَّتي أثَّرت في كثير من شبابنا المهاجر للدارسة أو للعمل، فهي موجودة في كل مكان، ولعلَّ هذا ما حفز القوى المعادية للإسلام وأجهزتها الراصدة أن تخطِّط لضرب هذه الصحوة، وتؤلب القوى الخائفة والحاقدة داخل العالم الإسلامي للوقوف في وجهها.

ولهذه الصحوة مظاهر عديدة، تتجلى في الحركة الإسلاميَّة الطلابية، وفي الحركة الفِكْريَّة والثقافيَّة، وعلى الصعيد العملي نجد صحوة إسلاميَّة أيضًا في حركة البنوك الإسلاميَّة، في المدارس الإسلاميَّة، في الحركات والجماعات الإسلاميَّة المختلفة، الجمعيَّات الإسلاميَّة، المجلَّات والصحافة الإسلاميَّة، هذه كلُّها تعتبر مظاهر إيجابيَّة لهذه الصحوة، ولكن هناك بعض السلبيَّات، مثل: المبالغة في بعض الفروع الَّتي ليست من أصول الإسلام ولا من صلبه ولا من فرائضه، وإقامة معارك جدليَّة من أجلها، ومقاتلة الآخرين عليها، والانشغال بالجزئيَّات عن الكُلِّيَّات، وبالقضايا الجانبيَّة عن المعارك المصيريَّة والكبرى، وسوء الظن بالآخرين سوءًا يُؤَدِّي في بعض الأحيان إلى تفسيقهم أو تبديعهم أو تكفيرهم، مع عدم رعاية الوجه الآخر من الفكر والرأي، كل هذا

QaradawiBooks.com

يسبِّب بعض السلبيَّات الَّتي نراها في الصحوة الإسلاميَّة، وهذه قد يُغَذِّيها بعض المعادين للإسلام، لتظلَّ الحركة الإسلاميَّة مشغولة بهذه الفروع الجانبيَّة عن القضايا الكبيرة، ولتظلَّ الجماعات العاملة مشغولة بعضها ببعض فتتآكل من الداخل فضلًا عن ضربها من الخارج.

استقامة الطريقة ومعرفة الزمان:

المحاور: إذن، هل تعتقد أنَّ هذه الصحوة بهذه السلبيَّات والإيجابيَّات تواكب في مسيرتها الزمن مقابل مسيرة الجاهليَّة وقوى الشَّرِّ والكفر الأخرى؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا شكَّ أنَّ قُوى الشرِّ والكفر الأخرى تملك من القدرات والإمكانيَّات ما لا تملكه الصحوة الإسلاميَّة، وعند هذه القوى من الطاقات المادِّيَّة ما يفوق إمكانيَّاتنا، لقد أصبحوا يستخدمون العلم في كلِّ شيء، ودخل الكمبيوتر إلى صفِّهم في الصراع، بينما نحن مع الأسف لا نملك للآن مركز معلومات «أرشيف» كاملًا للعاملين للإسلام ولا المعادين له، وهذا يدل على مدى عجز العاملين للإسلام إلى الآن، إنَّهم يحتاجون إلى تخطيط وتنظيم على مستوى العصر.

نعم، نحن نملك مقابل هذه طاقات أخرى معنويَّة؛ لأنَّنا أصحاب العقيدة الصحيحة والرسالة الخاتمة، ونملك أعظم رسالة في الوجود، وعندنا تراث عظيم لا تملكه أُمَّة من الأمم، وعندنا رصيد الفطرة في قلوب المؤمنين، وعندنا وعد الله تعالى بالنصر لمن آمن به وعمل لدينه، عندنا هذا كله، ولكن ينبغي أن يكون عندنا أيضًا التخطيط والتنظيم على مستوى عصرنا، ورحم الله امرأً عرف زمانه واستقامت طريقته، لا بدَّ من الأمرين: استقامة الطريقة ومعرفة الزمان والعصر ومتطلباته،

QaradawiBooks.com

وأعتقد أنَّ الوعي بهذا أصبح قائمًا، والشـعور بالنقص هو بداية طريق الكمال كما يقولون.

يجب أن نتحمَّل المسؤوليَّة:

المحاور: هل تعتقد أن هذا النقص والتخلُّف المادِّي يعود سببه إلينا نحن أم إلى القوى الخارجيَّة؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: نحـن نعتقد أن للقـوى الخارجيَّة دورًا، ولكنِّـي لا أقر نوع التفكير الَّـذي يريد أن يرجع كل شـيء إلى القوى الخارجيَّـة المعادية للإسـلام، وإذا كانت هناك قوى أخـرى تخطط لنا فلماذا نظل كذلك ولا نخطط لأنفسنا؟ نحن أيضًا مسؤولون.

نتعاون فيما اتَّفقنا عليه:

المحاور: عند الحديث عن الصحوة الإسلاميَّة تبرز بشكل لافت للنظر قضيَّة تعدُّد الجماعات الإسلاميَّة العاملة في ساحة الدعوة، دون أن يختفي الاختلاف وربَّما التنافر الَّذي يفصل بعضها عن بعض في أحيان كثيرة.

هل تعتقد أنَّ ظاهرة التعدديَّة ظاهرة صِحِّيَّة، وما هو المفهوم الصحيح الَّذي يجب أن يسـود بين هذه الجماعات لتوظيف طاقاتها مجتمعة في خدمة مصلحة المسلمين كافَّة؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: التعددية ظاهرة مفروضـة فرضها غياب فريضة كبرى من فرائض الإسـلام، فإذا عدنا إلى الصـدر الأوَّل ـ عهد النبوَّة المُطَهَّرة وعهد الخلافة الراشـدة الَّتي أجمع عليها المسـلمون ـ فلا نجد إلَّا جماعة واحدة تحت قيادة واحد هي جماعة المسلمين، تحت إمامة واحدة لرسـول الله ﷺ، ثمَّ تحت إمامة الخليفة الراشد من بعده،

QaradawiBooks.com

وظل العمل للإسلام على هدي جماعة واحدة، تحت إمامة راشدة واحدة، حتَّى اختفت الخلافة الراشدة المبايعة بيعة شرعيَّة من مسلمي الأرض، فقام أعلام الدُّعاة المصلحون المخلصون بالدعوة إلى العمل من أجل الإسلام، ومن ثَم نشأت الجماعات وتعددت.

أي أنَّه لا تعدُّد في الجماعات الإسلاميَّة إذا كان المسلمون يعيشون تحت سلطان خلافة راشدة انعقدت ببيعة شرعيَّة، أمَّا اليوم وقد غابت الخلافة عن حياة المسلمين، فعلى الجماعات الإسلاميَّة أن ينسق بعضها مع بعض، وأن يكون هناك قدر من التفاهم والتعاون بينها، وأن يعي الجميع خطورة الموقف الَّذي نحن فيه، وخطورة القوى الَّتي تعادي الإسلام وتعمل على تدمير المسلمين، يجب أن نتفق عليها.

ونحن نعرف القاعدة المشهورة ـ قاعدة المنار الذهبيَّة الَّتي وضعها السيد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ، وتبناها الإمام الشهيد حسن البنَّا ـ وهي قاعدة: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»، وإذا كان المرء مجتهدًا فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر.

وينبغي أن يكون شعارنا: «إنَّ رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب»، والصواب والخطأ كلاهما يؤجر الإنسان فيه، فالمخطئ معذور بل مأجور أجرًا واحدًا.

هذه هي العلاقة الَّتي ينبغي أن تكون بين العاملين في الجماعات الإسلاميَّة المختلفة إذا صحت النيات.

إنَّما إذا وجد الهوى، ووجدت أحقاد شخصيَّة، فهذا هو الخطر، وهذه هي الثغرة الَّتي يدخل منها خصوم الإسلام.

QaradawiBooks.com

ومع الأسف يمكن أن تستغل جماعة من بعض القوى لضرب جماعة أخرى ثمَّ يضرب الجميع في النهاية.

بين الشباب والعلماء:

المحاور: في كتابك الأخير «الصحوة الإسلاميَّة» تحدَّثت عن ظاهرة إعراض الشباب عن العلماء، وذكرت بالتفصيل أسباب ذلك، ونودُّ أن تُحدِّثنا عن علاج هذه المعضلة، والدور الموكول إلى العلماء في تذويب هذا الحاجز بينهم وبين الشباب أوَّلًا، ومن ثَمَّ النهوض بهم إلى المستويَيْن العلمي والنفسي المطلوبَيْن.

فضيلة الشيخ القرضاوي: علاج ذلك ذو شِقَّين: شقّ يتَّصل بالعلماء، وشقّ يتَّصل بالشباب، فالعلماء عليهم أن يُصَحِّحوا موقفهم أيضًا، فلقد أعرض الشباب عن كثير منهم لما رأى فيهم عدم الاهتمام بالإسلام، ورأى فيهم التقرب من سلاطين الجور، والوقوف مع السلطة في الحق والباطل، ورآهم سراعًا إلى موائد الظلمة، رآهم يعرضون عن الشباب ولا يقولون كلمة حق، رأى هؤلاء انشغلوا عن الدين بالدنيا، بل عن العلم نفسه، حتَّى إن كثيرًا منهم لم يكوِّن نفسه التكوين العلمي الصحيح بحيث يستطيع أن يفهم الدين والحياة، ويعرف قضايا العصر وما تستحقه، فعلى هؤلاء أن يصحِّحوا موقفهم، وعلى العلماء الَّذين رزقهم الله الفقه والإخلاص أن يقتربوا من الشباب وألا يبتعدوا بأنفسهم، فهناك الكثير من العلماء الطيبين، ولكنَّهم يُؤْثِرون الهرب من المجتمع وما فيه، ويرون العزلة أسلم طريق، في البعد عن الحكام والبعد عن الشعب نفسه، لكن الحل ليس في الفرار، وإنَّما أن يبحث أولئك عن الشباب للأخذ بيده وتسديد طريقه.

QaradawiBooks.com

وعلى الشباب واجب آخر، عليهم أن يتواضعوا ويحترموا الاختصاص، ويعلموا أنَّه سُنَّة الله في الكون؛ إذ جعل لكلِّ علمٍ أهلَه كما قال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، فلا بدَّ أن يرجع الشباب إلى أهل الاختصاص، ومع الأسف ـ ونحن في عصر التخصُّص ـ نعترف بالتخصُّص في كلِّ ناحية إلَّا في الناحية الشرعيَّة والإسلاميَّة، والدِّين وحده هو الَّذي أصبح كلأً مباحًا يفتي فيه من شاء!

وبعض الشباب يأخذهم الغرور، فمجرد أن قرأ بعض الكتب الدِّينيَّة يظنُّ أنَّه قد أصبح مفتيًا وقادرًا على أن يخطِّئ كبار الأئمَّة وكبار الصحابة أنفسهم، ويقول: نحن رجال وهم رجال! وهذه مشكلة السطحيَّة، فنصف العلم يُفسد أكثر من الجهل، وكما قالوا: فإن أخطر النَّاس على الحياة نصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي، ونصف متكلم، فنصف المتفقه يفسد البلدان، ونصف المتطبب يفسد الأبدان، ونصف النحوي يفسد اللسان، ونصف المتكلم يفسد الأديان.

المحاور: ألا ترى ـ أستاذنا الفاضل ـ أنَّ الإعراض يكون في كثير من الأحيان إعراضًا من الشباب عن سلوك العالِم وليس عن علمه؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هناك بعض الشباب يغالون في هذه الناحية، فقد يكونون محقّين بالنسبة لسلوك بعض الَّذين يبيعون دينهم بدنياهم أو بدنيا غيرهم، لكن هناك بعض العلماء الَّذين يكون لهم ترخصات في بعض الأحيان بناء على فقه عندهم، ويجب معرفة هذا أيضًا، والمسائل الخلافيَّة لا ينبغي أن تكون موضع إنكار، وعلماؤنا قالوا: لا إنكار في المسائل الاجتهاديَّة، إنَّما العالم الَّذي يرتكب محرَّمًا صراحة أو يترك واجبًا لا شكَّ فيه، فهذا يُرفض تمامًا، ومع هذا قد يستفاد منه وكما قيل:

QaradawiBooks.com

فَخُذْ بِعِلْمِي وَلَا تَرْكَنْ إِلَى عَمَلِي يَنْفَعْكَ عِلْمِي وَلَا يَضْرُرْكَ تَقْصِيرِي[1]

بين العِلمانيَّة والعقلانيَّة:

المحاور: تثار في هذه الفترة قضيَّة العِلمانيَّة في مقابل الإسلام، ويحاول البعض الإيحاء بأنَّ العِلمانيَّة هي العقلانيَّة، هل من صحَّة لهذا الربط، ومن ثمَّ هل من حدود بين الفكر العقلاني والفكر الديني في الإسلام؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: من المهم في مثل هذه الأمور تحديد المفاهيم، وتبيان ما هي العِلمانيَّة فعلًا، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره. هناك بعض النَّاس يخلطون عن سوء فهم أو سوء قصد بين العِلمانيَّة والعلميَّة، لكن المعروف أنَّ العِلمانيَّة أصبحت مصطلحًا معينًا ومحددًا، يعني فصل الدين عن الدولة، وعزل الدِّين عن الحياة، والقرآن عن السلطان.

وهذا أمر مرفوض؛ لأنَّ الدولة الَّتي لا إسلام لها لا يقبلها المسلم، والدين الَّذي لا دولة له لا يعرفه الإسلام، فهو يحتاج إلى حكم يطبق تعاليمه ويقيم حدوده، وإذا جاز الفصل بينهما في النَّصرانيَّة لم يجز أبدًا في الإسلام، فعندهم: دَعْ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله. أمَّا نحن فلا نقبل هذه القسمة، ليس الإنسان عندنا مشطور شطرين، شطر لقيصر وشطر لله، وليست الحياة عندنا مقسومة قسمين؛ قسم للدين وقسم للدولة، والقسمان بل الحياة كلها والإنسان كله لله، وقيصر وما لقيصر لله الواحد الأحد.

(١) القائل الخليل بن أحمد الفراهيدي، كما في طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي صـ ٤٧، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف، ط ٢.

QaradawiBooks.com

أمَّا العلميَّة والعقلانيَّة فأمر يرحِّب به الإسلام ويقوم عليه، وعلى هذا قامت الحضارة الإسلاميَّة الَّتي جمعت بين العلم والإيمان، دون أن تعرف صراعًا بينهما كما عرفته المجتمعات الأخرى، حتَّى قال علماؤنا: إنَّ العقل أساس في معرفة النقل، فالوحي يُعرف بالعقل، والمعجزات والآيات المثبتة للنبوة، والَّتي تدل على أن هذا رسول الله حقًا تعرف بالعقل، فأعظم قضيتين في الوجود يُعرفان عن طريق العقل: الألوهيَّة والنبوَّة.

في السياسة الشرعيَّة:

المحاور: يساهم الإسلاميون بين حين وآخر وفي بعض البلدان في العمل السياسي العام ضمن مواصفات وشروط الأوضاع الراهنة الَّتي لا تدين بالولاء التام للإسلام، هل ترى في مثل هذه المساهمة إيجابيَّة ومكسبًا للحركة الإسلاميَّة، أم أن لك رأيًا آخر؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذه الأمور تدخل في باب ما يسمَّى السياسة الشرعيَّة، وهي باب واسع يشمل كل ما فيه مصلحة للأمة الإسلاميَّة وللجماعة الإسلاميَّة والحركة الإسلاميَّة، وهي تقوم على أساس الموازنة بين المنافع والمضار، والمكاسب والخسائر، فلا ينبغي أن نقف من هذه الأمور موقف المتشنج الَّذي يرفض كل شيء، ولا موقف من يقبل أيَّ شيء أيضًا.

فإذا كان في قبول بعض هذه الأوضاع مصلحة للحركة الإسلاميَّة والعمل الإسلامي جاز ذلك، والإسلام واسع الأفق في هذه الناحية.

وقد رأينا النبي ﷺ يحالف خزاعة في صلح الحديبية، واستعان ﷺ بالمشركين في بعض الأحيان كما في غزوة حنين، فهناك إذنْ مَن يقفون

QaradawiBooks.com

معك وقد يكون منطلقهم ليس منطلقك، وهدفهم غير هدفك، لكنهم يتفقون معك في هدف مرحلي، وأنت تتفق معهم في حدود هذا الهدف.

والإنسان الناضج هو الَّذي يستغل التناقضات بين أعدائه، ويستطيع أن يأخذ أقرب المخالفين إليه، ولهذا يجب على المسلم أن يصنف خصومه ومخالفيه، وأن يستفيد من هذا لمصلحة العمل الإسلامي، على ألَّا نذوب في أحد ولا نميع فيه، ولا نفرط في عقائدنا وأصولنا، فكما أنَّه لا ينبغي أن نقف متحجرين أمام ما وسع الله، لا يصح أن نفتح الأبواب على مصاريعها لنفقد شخصيتنا ونلغي وجودنا ونصبح أذنابًا لغيرنا.

غير مرخصة للطباعة

شغلنا العلم عن الشعر:

المحاور: الكثير من قرَّاء الأستاذ يوسف القرضاوي لا يعرفون عنه مساهمته الثرَّة والمضيئة في حقل الأدب الإسلامي والشعر بالتحديد، ولقد تغنَّى الشباب المسلم ورددوا كثيرًا النونية الشهيرة الَّتي نظمت في الخمسينيات دون أن يعلموا جميعًا من قائل هذه الملحمة البديعة.

أين الأستاذ يوسف الآن من الشعر والأدب؟ وهل استمرَّ العطاء في هذا الاتِّجاه ضمن مسيرة الحياة العلميَّة ومسؤوليَّاتها الجسيمة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أمَّا الأدب فلا أعتقد أنِّي انفصلتُ عنه، ولكن الأدب أدبان: هناك الأدب المتخصص كالمقالات الأدبيَّة، والنقد الأدبي، وهناك الأدب الَّذي يدخل في ميدان العلم فيصاغ العلم به، وهذا ما يسمونه بالأسلوب العلمي المتأدب؛ أنا أعتقد أنِّي أستخدم الأدب في كتاباتي ودراساتي ومؤلفاتي، وأحاول أن أكتب العلم بلغة أدبية، سهلة

QaradawiBooks.com

بيِّنة مقروءة، وبدون تكلف، فأحـــاول أن أجمع بين دقَّة الفقيه ووضوح الأديب وحرارة الداعية قدر ما أستطيع.

أمَّا الشعر فيبدو أنَّنا تركناه من مدَّة، كانت المحن عادة مثيرات للشعر، كلما هجرنـــاه تأتي محنة فيهيئ الله فـــراغ الوقت والذهـــن لعمل بعضه، كالملحمة النونية الَّتي ذكرتها، وقد أنشئت في السجن الحربي سنة ١٩٥٥م، لم يكن معنا وقتها ورق ولا قلم، فكنت أروي أبياتها للإخوان وأنشـــدها لهم، فيتناقلونها بالرواية الشفهيَّة على طريقة الأقدمين ويحفظونها.

وظلَّت هكذا حتَّـــى إنِّي لمَّا أردتُ أن أنشـــرها بعد ذلك حاولت أن أجمعها من صدور الرواة، هنا وهناك وقـــد تفرقوا، ولذلك ضاعت منها أبيات ووجدت روايات مختلفة أحيانًا باختلاف الرواة، وهكذا. والكثير من الشـــعر الَّذي أنشـــدته ضاع في أتون المحن، وأنا منذ مدَّة لم أنشد شعرًا، والآن لم يعد هناك فراغ لهذا، فقد شغلنا العلم عن الشعر، وصعب على الإنسان أن يشتغل بالعلم ويفرغ فيه جهده ثمَّ يجد وقتًا للشعر، فهو يحتاج إلى صفاء معين وفراغ[1].

المحاور: ماذا تذكر الآن من القصائد الَّتي نظمتها وما زلت تتأثر بها؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: هناك ممَّا أذكره نونيَّة مـــن النونيَّات، وكثير من شعري الباقي نوني، ألقيت ســـنة ١٩٤٩م بمناسبة ليلة القدر كان مطلعها:

(١) جدت ظروف بعد ذلك أثارت شاعرية الشاعر، وهي ابتلاؤه بالانزلاق الغضروفي سنة ١٩٨٥م، وقعوده في البيت عدة أشهر، وسفره إلى ألمانيا للعلاج، وقد أثمرت هذه الفترة مجموعة من القصائد نشـــر بعضها في ديوانه: نفحات ولفحات، وبقيت قصائد أخرى قديمة وجديدة لم تنشر، وقد طبعت مجموعة أخرى تحت عنوان: المسلمون قادمون، نشر مكتبة وهبة.

QaradawiBooks.com

عَشِقْتُها فاســترقَّت قَلْبِيَ الْعَانِي ... فقمتُ أعزفُ فِيهَا عَذْبَ أَلْحَانِي
سمَّوه شــعرًا، وإنِّي لا أراه سوى ... آهاتِ قَلْبِي وإحساساتِ وِجْدَانِي

ومنها:

يَــا لَيْلَــةً زَانَهَــا رَبِّي وَشَــرَّفَهَا ... تَنْزِيلُــهُ فِــي دُجَاهَــا نُــورَ قُرْآنِ
دُسْــتُورُ حَــقٍّ وَتَشْــرِيعٍ وتَرْبِيَةٍ ... يَبْقَى وَإِنْ زَالَ هَــذَا الْعَالَمُ الْفَانِي
رَبَّى رِجَالًا مَغَاوِيرَ اهْتَدَوْا وغَزَوْا ... إِنَّ الرُّجُولَــةَ مِــنْ نُــورٍ ونِيــرَانِ
أَمْسَــى بِلَالٌ بِــهِ مِنْ ذِلَّــةٍ مَلِكًا ... وَصَارَ سَلْمَانُ شَــيْئًا غَيْرَ سَلْمَانِ
للهِ فِتْيَــانُ حَقٍّ لَــوْ رَأَيْــتَ فَتًى ... مِنْهُــم تَرَى مَلَكًا فِي زِيِّ إِنْسَــانِ
فَمَنْ يُدَانِــي أَبَا بَكْــرٍ وَصَاحِبَهِ ... ومَنْ يُجَــارِي عَلِيًّا وَابْــنَ عَفَّانِ
هَذَا الْكِتَابُ غَدَا فِي الشَّرْقِ وَاأَسَفَا ... شَمْسًــا تُضِيءُ وَلَكِنْ بَيْنَ عُمْيَانِ
يُحَاطُ بِالطِّفْلِ حِرْزًا مِنْ أَذًى ورَدًى ... وفيها حِرْزُ الْوَرَى مِنْ كُلِّ خُسْرَانِ
يُتْلَى عَلَى مَيِّتٍ فِي جَوْفِ مَقْبَرَةٍ ... وَلَيْــسَ يَحْكُمُ فِي حَــيٍّ بِدِيوَانِ
فكَيْفَ نَرْقَى وَمِعْــرَاجُ الرُّقَى لَنَا ... أَمْسَــى يُجَرُّ عَلَيْهِ ذَيْلُ نِسْيَانِ[1]؟

* نشكر لفضيلتكم هذا الحديث الممتع، ونفعكم الله بالإسلام، ونفع الإسلام والمسلمين بكم.

* * *

(١) انظر: نفحات ولفحات صـ ٥٣ ـ ٥٦، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

QaradawiBooks.com

أسئلة مُهِمَّة
حول الدعوة والتربية والمرأة والحضارة(١)

المحاور: تتعرَّض الأُمَّة الإسلاميَّة للعديد من هجمات أعدائها منذ القديم وحتَّى وقتنا هذا والَّذي اتَّخذ فيه الهجومُ أشكالًا مختلفة منها المباشرة ومنها غير ذلك، والسؤال هنا: هل أعدَّ الإسلام أبناءه لمواجهة مثل هذا الأمر؟

وما مدى التزام هؤلاء الأبناء بتعاليم هذا الدِّين؟

الإعداد العقلي والنفسي للإنسان المسلم:

فضيلة الشيخ القرضاوي: أجل، أعدَّ الإسلام أبناءه عقليًّا ونفسيًّا لهذا الأمر، حين علمهم أنَّ أعداءهم لن يغفلوا عنهم، ولن يغمدوا يومًا أسلحتهم الَّتي شهروها من قبل في وجوههم.

وحسْب المسلمين أن يقرؤوا قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]، قد يُغَيِّرون أسلحة القتال والغزو، ولكن المعركة باقية ما بقي في الدُّنْيا حقٌّ وباطل.

كما علَّمنا الله تعالى في كتابه أنَّهم ـ وإن اختلفوا فيما بينهم ـ متَّفقون علينا وولاؤهم لن يكون لنا، ولهذا كان علينا أن نتجمَّع على حقِّنا في

(١) أعدَّت الأسئلة الأخت فوزية صعب وبعثت بها إلى أ. د. القرضاوي، فردَّ عليها كتابة، ونشرتها جريدة اليوم، بالسعودية في عدة حلقات.

QaradawiBooks.com

مواجهة تجمعهم على باطلهم، وإلَّا كانت الفتنة والفساد الكبير، وفي هذا يقول القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣].

أوَّل ما يجب على المسلمين إزاء هذا التكتُّل الغازي أن ينسوا كلَّ خلافاتهم، ويقفوا صفًّا واحدًا في معركة وجودهم وبقائهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: ٤].

وممَّا يؤسف له أنَّ المسلمين لم يعوا هذا التوجيه الإلٰهي، فغفلوا وأعداؤهم مستيقظون، وتفرَّقوا وأعداؤهم مجتمعون، وقعدوا وغيرهم يقاتلون، وما نهضوا به من عمل لم يكونوا فيه على مستوى دينهم، ولا مستوى عصرهم، ولا مستوى تخطيط أعدائهم، أصبحنا نسمع: هذا من تخطيط الصهيونيَّة أو الصَّلِيبيَّة أو الشُّيوعيَّة، كأنَّ هذا عذر لنا، فلماذا لا نُخَطِّط لأنفسنا، بدل أن نُنَفِّذ بأيدينا مُخَطَّط أعدائنا؟!

لقد وصف الله أصحابَ نبيِّه بأنَّهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩]، ونحن أشدَّاء على أنفسنا، رحماء بغيرنا! أشد الحروب ضراوة هي الَّتي تقع بين بعضنا وبعض، كذلك وصف الله اليهود قديمًا بقوله: ﴿بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]، وللأسف هذا هو وضعنا اليوم!

وإن كان هناك أمل، فهو في أن تسدَّ الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة النقص، وتتلافى القصور والتقصير إذا قُدِّر لمسيرتها أن تستمر وتسلك سبيل القصد والرشاد، ومراعاة سُنَن الله في الأنفس والآفاق.

QaradawiBooks.com

أزمة مسلمين وليس أزمة إسلام:

المحاور: يقال إنَّنا نعيش في عصر أزمة مسلمين وليس أزمة إسلام، ما مدى صحَّة هذا القول؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذا صحيح، فالإسلام نفسه محفوظ في كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، والله تعالى قد تكفَّل بحفظ كتابه بنفسه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وهذا يتضمن حفظ السنة أيضًا كما قال الإمام الشاطبي لأنَّها المُبَيِّنة له وحفظ المبيَّن يشمل في ضمنه حفظ المبيِّن[(١)].

ولكنَّ المهمَّ هنا المسلمون الَّذين يرى النَّاس فيهم الإسلام عقيدة وعبادة وخُلقًا وسلوكًا، كأصحاب رسول الله ﷺ، الَّذين كان كل منهم قرآنًا يسعى على قدمين، فهل نجد هؤلاء اليوم؟

صحيح أنَّ المسلمين يبلغون اليوم ـ من حيث الكمِّ والعدد ـ نحو ألف مليون من البشر، ولكنَّهم ـ إلَّا مَن رحم ربك ـ كما ورد في حديث أبي داود «**كثرة كغثاء السيل**»[(٢)]، وإنَّما شُبِّهوا بالغثاء؛ لأنَّه كمٌّ كبير يتَّسم بالخفَّة والسطحيَّة، وعدم التجانس وفقدان الهدف! على خلاف ماء النهر الَّذي يتدفَّق في مجرى معلوم، ومسار مرسوم.

وهناك فرق بين المسلم الَّذي يحمله الإسلام، والمسلم الَّذي يحمل الإسلام، مسلمو اليوم يحملهم الإسلام عبئًا على ظهره، والمسلم

(١) راجع: الموافقات في أصول الشريعة (٣/٤) وما بعدها، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٨.

QaradawiBooks.com

المنشود هو الَّذي يحمل الإسلام فكرة واضحة في رأسه، وعقيدة راسخة في قلبه، وعبادة خالصة لربِّه، وأخلاقًا متكاملة في حياته.

غير مرخصة للطباعة

جيل النصر المنشود:

المحاور: هل صحيح أنَّ استرداد بيت المقدس لن يكون إلَّا بإعداد «جيل النصر» كما سمَّيتموه في بعض مقالاتكم؟ وكيف يمكن إعداد هذا الجيل؟ وعلى مَن يقع العبء الأكبر في إعداده؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: كتبتُ في مجلة «الأمة» القطرية في عددين متتاليين عن «جيل النصر المنشود» الَّذي يُرجى أن تتحقَّق على يديه الآمال وتتحوَّل الهزائم والنكسات إلى انتصارات، والَّذي تتجسد فيه الصحوة الإسلاميَّة الرشيدة، وهو جيل لا يتكون في يوم وليلة، بل يحتاج إلى حضانة طويلة المدى، وتربية عميقة الجذور، حتَّى يستطيع أن يغلب اليأس بالأمل، ويملأ الفراغ بالعمل، وينتقل من الانفعال إلى الفعل، ومن الارتجال إلى التخطيط، ومن الغوغائية إلى العلميَّة، ومن التشاحن إلى التعاون، ومن الاستيراد إلى الأصالة.

وقد بينت ما ينبغي أن يكون عليه هذا الجيل المرتقب من سمات وأوصاف وأخلاق، تجعله أهلًا للمهمة المنشودة منه، وقلت في ختام مقالي الثاني:

«هذا هو الجيل الَّذي ننشده، وتنشده معنا الأمة كلها من جاكرتا إلى رباط الفتح، وهو الَّذي نسعى جاهدين لتكوينه، ونذيب حبات قلوبنا من أجله.

وهو الَّذي تعمل القوى العالميَّة والمحليَّة المعادية للإسلام على إجهاضه قبل أن يُولد أو وأده بعد أن يوجد، فإن أعياها هذا أو ذاك، فتحاول

QaradawiBooks.com

تضليله عن الهدف الحقيقي بأهداف موهومة، وشغله عن معركته الكبرى بمعارك جانبيَّة تافهة، وتعويقه عن السير بصدامات تفتعلها على الطريق، وإلهائه عن ضرب العدو بضرب بعضهم ببعض، وإغراقه في دوامة من الجدل لا يخرج منها، إلى غير ذلك من أسباب الفتنة وأساليب الكيد.

هذا الجيل وتكوينه يجب أن يكون الشغل الأوَّل للحركات الإسلاميَّة المعاصرة كما يجب على الدُّعاة والمفكرين والفقهاء والمربّين أن يتعاونوا على حُسن إعداده وتربيته تربية متكاملة: روحيًّا، وجسميًّا، وعقليًّا، وأخلاقيًّا، واجتماعيًّا، وسياسيًّا، ويعملوا على حمايته من نفسه أولًا حتَّى لا يتآكل من الداخل، ثمَّ حمايته من كيد الأعداء، وجهل الأصدقاء، إنَّه الجيل الَّذي ادَّخره الله ليحمل روح أبي بكر في مقاومة الردة وحرب المرتدين، ووصفه الله بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

إنَّ هذا الجيل المنشود هو جيل النصر، وهو الَّذي تُحرَّر على يديه فلسطين وأفغانستان وأريتريا، وبخارى وسمرقند، وكل أرض دنَّسها الطواغيت والفجار.

هو الجيل الَّذي ترتفع به راية الله في أرض الله، ويسود به دين الخالق دُنْيا الخلق، وتشرق به أنوار السماء على ظلمات الأرض، هذا الجيل هو الجدير بأن يتنزَّل عليه نصر الله، وأن تسير في ركبه الملائكة، وأن يكون كل شيء في الوجود مسخَّرًا لنصرته، حتَّى يقول الحجر والشجر: يا عبد الله، يا مسلم، هذا عدوُّك خلفي فتعال فاقتله».

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإسلام والسياحة:

المحاور: السياحة والاصطياف بالنسبة للعربي المسلم في الدول المعادية للإسلام وما يتبعها من تبذير أموال المسلمين هناك حيث أثبتت الإحصائيَّات عن السياحة في بريطانيا أنَّ مجموع سُيَّاح إحدى الدول الخليجيَّة في العام الماضي (١٩٨٣م) بلغ (٥٣٦٦٠) سائحًا أنفقوا حوالي (٦٢,٦) مليون جنية إسترليني خلال فترة لم تتعدَّ في المعدل (١٧) يومًا للواحد، ما رأي فضيلتكم في أبعاد هذا العمل الَّذي يمثل خطورة كبيرة على الأمة الإسلاميَّة في الداخل والخارج؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا يحرِّم الإسلام على المسلم السياحة، والضرب في الأرض، بل لا يوجد دين عُنِي بذلك مثل الإسلام الَّذي شرع السفر لطلب العلم، والسفر لطلب الرزق، والسفر للعبادة كالحج والعمرة، والسفر للجهاد، والسفر لغير ذلك من الأغراض المشروعة، ومنها: الترويح عن النفس والتعرف على العالم وما فيه من عجائب ومفارقات حتَّى قيل: السفر نصف العلم، ولا عجب أن شرع الإسلام من أجل ذلك جملة من الأحكام والرخص، والآداب، والأذكار الَّتي تتعلق بسفر المسلم، كما جعل في مصارف الزكاة متَّسعًا لمعونة من ينقطع في سفره، وإن كان ممَّن له مال في بلده، حتَّى لا يهلك في الطريق بهلاك الراحلة أو انقطاع الزاد، وما أكثر ما تحدث الحكماء، وتغني الشعراء بالسفر وفوائده، ومما حفظناه في صبانا ما نُسب إلى الإمام الشافعي:

مَا فِي الْمُقَامِ لِذِي عَقْلٍ وذِي أَدَبٍ ... مِنْ رَاحَةٍ، فَدَعِ الْأَوْطَانِ وَاغْتَرِبِ
إِنِّي رَأَيْتُ وُقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ ... إِنْ سَالَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ[1]

(١) ديوان الشافعي صـ ٣٦، شرح نعيم زرزور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

إلى آخر الأبيات المعروفة.

وما نسب إلى الإمام عليٍّ كرم الله وجهه:

تغرَّب عن الأوطان في طلب العُلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تَفَرُّجُ هَـمٍّ، واكتسـابِ مَعِيشَـةٍ وعلـمٍ، وآدابٍ، وصحبةِ ماجِدِ[1]

ولكن الَّذي نلاحظه أنَّ سـفر العرب ـ وبخاصَّـة أهل الخليج ـ في السـنوات الأخيرة إلى البلدان الأوربيـة، أصبح ظاهـرة تلفت النظر، وتسـتوجب التوقف لتحليلها ومراجعة ما يترتَّب عليها مـن آثار بالغة الخطورة، وذلك من عدة أوجه:

أولًا: إنَّ هـذه البلاد الأوروبيـة مخالفة لنا في قيمهـا ومفاهيمها وتقاليدها الاجتماعيَّة، ويخشـى بدوام الاتصال بها والمعايشة لهم أن يؤثِّروا علينا وخصوصًا على شبابنا وشـاباتنا، فتهتز في أنفسهم قيمنا الراسـخة، وتقاليدنا المبنية على عقائد ديننا وأحكام شـريعتنا، وهذا ما حدث ويحدث بالفعل، ولا سـيما أنَّ أوربا بعد الحـرب العالميَّة الثانيـة قد أصابها مـن التحلل والانهيـار الخُلقي ما جعـل مفكريها ومصلحيها يشـكون مُرَّ الشـكوى منه، وينـذرون بسـوء العاقبة من استمراره.

وقد حكى لي أحد الأخوة ممَّن زار لندن في هذا الصيف المنصرم: أنَّه شـاهد في حديقة «الهايد بارك» بعض المناظر الشـاذة المكشـوفة، فسألته ابنته الصغيرة: ماذا يفعل هؤلاء؟ فقال لها: هؤلاء حيوانات!

(١) ديوان الإمام علي بن أبـي طالب صـ ٦٠، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، نشـر مكتبة الكليات الأزهرية.

QaradawiBooks.com

فقالت له: وماذا تفعل الحيوانات؟ ولم يستطع الأب أن يجيب، فانتقل إلى مكان آخر، فرأى منظرًا أسوأ من سابقه! فلم يجد حيلة إلَّا الرجوع إلى المنزل.

ثانيًا: إنَّ هذه البلاد أصبحت حافلة بسماسرة الفساد والإفساد الَّذين يتلقفون شبابنا منذ نزولهم من الطائرة، لإغراقهم في الشهوات المحرمة، الَّتي تُنهك صحتهم، وتُفسد أخلاقهم، وتُبدِّد أموالهم وتعوِّدهم على أشياء مرذولة حتَّى يعودوا إلى أوطانهم، وقد مسخت شخصَّياتهم، وتغيرت أفكارهم وقيمهم، وهم يحاولون أن ينشروا ما تعوَّدوا عليه داخل أوطانهم نفسها فينتشر الفساد بالعدوى كما يعدي الأجرب السليم، وقد حدثني بعض الشباب الصالح أنَّهم كان لهم أصدقاء مستقيمون حتَّى سافروا فوقعوا في الشَّرَك، ولم يعودوا إلى ما كانوا عليه من طهارة الاستقامة.

ثالثًا: إنَّ السياحة الآن أصبحت موردًا من الموارد الهامة لكثير من الدول المعاصرة، وقد أصبحنا نحن العرب من أضخم الموارد لعدد منها، والعجيب أنَّها تأخذ أموالنا ولا تتحدث عنا إلَّا بسوء.

وكان الواجب علينا أن نضنَّ بهذه الأموال عن تلك البلاد الَّتي تقف من قضايانا موقفًا شائنًا، وأن نجتهد في جعل السياحة داخل بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة.

ولو أنفقنا ما يصرف على الاصطياف في أوروبا وغيرها على تحسين المواطن السياحية في بلادنا، لارتقينا بها ارتقاء كبيرًا، وفي بلد مثل السعودية نجد في الطائف وأبْهَا وغيرها ما يُغني عن أوربا لو وجَّهنا عنايتنا إليها، وفي مصر وشمال إفريقيا مناطق سياحية في غاية الروعة والجمال.

QaradawiBooks.com

الإسلام ومناهج التربية الحديثة

المحاور: يقول علماء التربيــة: إنَّ مناهج التربية الحديثة قد تطوَّرت وغدَتْ رائدة في وســائلها وتنوع أســاليبها. مــا رأي فضيلتكم في هذه التربية؟ وهل اســتطاعت أن تصلح شيئًا من فســاد المجتمع؟ وما هو البديل من وجهة نظركم؟

فضيلة الشــيخ القرضاوي: لا ننكــر ولا ينكر أحد درس شــيئًا عن التربية الحديثة، ما انتهــت إليه مناهجها من تطــور، وما حفلت به من خطوات سباقة في وسائلها وأساليبها نظرًا لأهميتها في تكوين الأجيال، وصناعة إنسان الغد، وقد توافرت عليها عقول كبيرة من رجال الفلسفة أو علم النفس، أو المشتغلين في الحقل التربوي، ولا بدَّ لنا أن نستفيد من هذه الوسائل والأســاليب لتطوير التعلم عندنا وتحسينه فالحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق بها.

ولكن ينبغي لنا أن ننبِّه هنا على بعض النقاط:

أولًا: أنَّ الأهم من وسائل التربية وأســاليبها هو أهدافها، أعني: ماذا نريد بالتربيــة؟ أيّ نوع من النَّــاس نريد أن نربِّيــه؟ فلا ريب أن هدفنا الأسمى من التربية ليس نفس هدف الغربيِّين الليبراليين، وأهدافنا العليا من الحياة غير أهدافهــم، ونظرتنا إلى الوجود والتاريــخ غير نظرتهم، وفلسفتنا في التعامل مع الفرد والمجتمع غير فلسفتهم.

نحن نريد الإنســان المؤمــن المنتج، الصالح في نفســه، المصلح لغيره، الَّذي يعيش في الحياة لهدف ورســالة، لا نريــد ترابًا يأكل من التراب، ويمشــي على التراب وينتهي إلى التراب! نريد إنســان «سورة العصر» الَّذي لخص القرآن أوصافه وســماته بهذه الكلمات المعدودة:

QaradawiBooks.com

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر].

نريد الإنسان المنتج المعْطاء الَّذي يعطي الحياة كما يأخذ منها، ولا يتخلى عن العمل والعطاء حتَّى تلفظ الحياة آخر أنفاسها. حتَّى لو قامت الساعة، وفي يده فسيلة يريد أن يغرسها، فلا يقوم حتَّى يغرسها، كما علمه رسول الله ﷺ[1]، ويؤدي الواجب قبل أن يطلب الحق، ويحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، ويعيش لأمته المسلمة قبل أن يعيش لذاته، إلخ.

هذه الأهداف المنشودة في تربية المسلم والمسلمة.

ولا يخفى أنَّ ثمة ارتباطًا وثيقًا بين الوسائل والأهداف، ولو نظرنا إلى التربية في عالم الحيوان، لوجدنا أنَّ البقرة الَّتي تُربَّى للحم، غير الَّتي تُربَّى لدرِّ اللبن، غير الأخرى الَّتي تُربَّى للعمل في الحقل والسقي والحرث، فلكل نوع وسائل وأساليب في تربيته يختلف عن الآخر.

ولهذا يجب أن نحدِّد هدفنا من التربية ما هو؟ هل هو مجرد الإنسان الناجح في حياته الدنيا؟ كما تدعو إليه المدرسة «البراجماتيَّة» مدرسة المنفعة؟ هل هو الإنسان المحايد بالنسبة لله والنبوة والآخرة والأديان كما هي التربية العِلمانيَّة؟ أو هو إنسان آخر له إيمانه وقيمه وضوابطه السلوكيَّة المتميزة الَّتي سماها القرآن: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

---

(١) رواه أحمد (١٢٩٨١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩)، والضياء في المختارة (٢٧١٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وبهذا يجب أن تكون المناهج والوسائل كلها في خدمة «الهدف المقصود والرسالة المنشودة».

ثانيًا: إنَّ التربية في مفهوم الإسلام هي التربية المتكاملة، وليست التربية الدِّينيَّة وحدها كما يتوهم كثيرون.

فالتربية «الدِّينيَّة» نوع واحد من أنواع التربية «الإسلاميَّة» الَّتي يحرص عليها الإسلام ويدعو إليها.

وأستطيع أن أذكر هنا بضعة عشر لونًا من التربية تدخل في إطار التربية الإسلاميَّة مثل:

التربية العقليَّة، والتربية البدنيَّة، والتربية الصحيَّة، والتربية الخُلقية، والتربية العلميَّة، والتربية المهنيَّة، والتربية الأدبيَّة، والتربية الفنِّيَّة (الجماليَّة)، والتربية الجِنْسيَّة، والتربية الاجتماعيَّة، والتربية العسكريَّة، والتربية الاقتصاديَّة، والتربية السياسيَّة، والتربية الإنسانيَّة، بالإضافة إلى التربية الدِّينيَّة أو الرُّوحيَّة كما قد تُسمَّى، وكلُّها ينبغي أن تتكامل وتسير جنبًا إلى جنب حتَّى تتكون في إطارها الشخصيَّة المسلمة الَّتي تُناط بها الآمال.

ثالثًا: إنَّ المنهج والأسلوب والكتاب كلها أمور مُهِمَّة في التربية، ولكن أهم منها: المربي، المعلم، العنصر الفعَّال في التربية، والَّذي قد يستطيع بإخلاصه وقدرته أن يتدارك قصور المنهج والكتاب، ويمكنه بعكس ذلك أن يُفسد المنهج الصالح، ويُميت الكتاب الحي، ويُحيل جذوة الطالب المتقدم إلى رماد!

رابعًا: لا يجوز أن تكون المدرسة وحدها مسؤولة عن التربية، فالأسرة أيضًا مسؤولة، الأبوان مسؤولان، وتعاون البيت والمدرسة أمر

QaradawiBooks.com

واجب، وليست مُهِمَّة الآباء والأمهات أن ينجبوا الأبناء أو البنات، ثمَّ يدعوهم في ميدان الحياة وحدهم، كل ما عليهم أن يوفروا لهم الطعام والشراب والكساء، ووسائل الراحة والترفيه، ولا يدرون ما يحدث بعد ذلك، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، والرسول ﷺ يقول: «**كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته**»[1].

ثم إنَّ الأجهزة والمؤسسات التوجيهية المختلفة عليها مسؤوليَّة مماثلة عن التربية، سواء أكانت رسمية أم شعبية: الصحافة، والإذاعة والتلفاز، والشعر والأدب، وغيرها، كلها مسؤولة، وبخاصَّة أجهزة الإعلام، الَّتي كثيرًا ما تهدم ما تبنيه المؤسسات التربوية، وقد عقد مكتب التربية العربي لدول الخليج ندوة مُهِمَّة تحت عنوان «ماذا يريد التربويون من الإعلاميين»؟ صدرت أبحاثها ومناقشاتها في مجلد، لعل إخواننا من رجال الإعلام يفيدون منها.

لقد أطلت في الإجابة عن هذا السؤال لما له من أهمية خاصَّة ولا مستقبل لأمتنا إلَّا بتربية إسلاميَّة تستمد روحها وأصولها من الإسلام، وتستفيد من كل مستحدثات العصر، دون انغلاق على القديم، ولا افتتان بالجديد.

مناهج التربية الإسلاميَّة وتكوين جيل النصر المنشود:

المحاور: وبمناسبة الحديث عن التربية وأهميتها، هل ترى مناهج التربية الدِّينيَّة «الإسلاميَّة» ومقرراتها في مدارس البلاد الإسلاميَّة كافية في تكوين الجيل المسلم المنشود؟

---

(١) سبق تخريجه صـ١٤٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: ممَّا لا خلاف عليه أنَّ البلاد تتفاوت تفاوتًا كبيرًا فيما بينها فيما يتعلق بالتربية الدِّينيَّة «الإسلاميَّة»، فهناك بلاد تجعل التربية الدِّينيَّة شيئًا على الهامش، أو مادَّة اختيارية ليس فيها نجاح ورسوب.

وهناك من يجعل التربية الدِّينيَّة تابعة للغة العربيَّة، ليس لها مدرسها الخاص، ولا تفتيشها الخاص، وكثيرًا، تبتلع حصصها في جوف اللغة العربيَّة، وهناك من يضع تحت عنوان التربية الدِّينيَّة، مفاهيم معينة يراد قسر الدين عليها قسرًا، ومن يضخم أشياء معينة من الدين على حساب أشياء أخرى، وهناك من يعطي للتربية الدِّينيَّة ـ أو ما يسمى في بعض البلاد مثل قطر: العلوم الشرعيَّة ـ من العناية الكمية والكيفيَّة شيئًا كثيرًا.

ولكن أود أن أؤكد هنا جملة حقائق مُهِمَّة كنت كتبتها لبعض المؤسسات التربوية العربيَّة بشأن التربية الدِّينيَّة «الإسلاميَّة»:

١ ـ ليست التربية الإسلاميَّة مجرد معلومات دينيَّة أو حقائق إسلاميَّة تُلقى في الدرس المخصَّص للدين، ضمن الخطة الدراسية، إنَّ التربية الإسلاميَّة ليست مقصورة على شحن الذاكرة بالمعلومات وإن كانت صحيحة ونافعة، إنَّها عمليَّة أعمق وأكبر، لهذا يجب أن تخاطب العقل والقلب معًا، وأن تهدف إلى تكوين العقليَّة الإسلاميَّة والنفسية الإسلاميَّة ومن ورائها الشخصيَّة الإسلاميَّة المنشودة.

٢ ـ إنَّ حصة الدين أو العلوم الشرعيَّة الرسميَّة لا ينبغي أن تكون هي وحدها مجال التربية الإسلاميَّة، فكل المواد العلميَّة والأدبية يجب أن تُسهم في التربية الإسلاميَّة، ودرس من دروس الفيزياء أو الكيمياء أو الأحياء أو الجغرافيا، إذا عرضه معلم مؤمن من زاوية إسلاميَّة، ومن

QaradawiBooks.com

منطلق إيماني، يكون أشد تأثيرًا في أنفس الناشئة وغرس معاني الإيمان فيها من درس الدين الرسمي. وربَّ موضوع من موضوعات القراءة أو نص من نصوص الأدب، أو فصل من فصول التاريخ، أو قانون من قوانين العلم. إذا كُتب وعُرض في ضوء حقائق الإيمان والإسلام، يؤتي ثمرة للتربية الإسلاميَّة المنشودة، فوق ما تؤدِّيه كتبها المقررة.

إنَّ التوجيه غير المباشر أنفع دائمًا من التوجيه المباشر، والتوجيه من غير المحترف أقوى تأثيرًا من توجيه المحترف، والتوجيه الَّذي لا يُطلب للامتحان أشد لصوقًا بالنفس ممَّا يدرس لأجل الامتحان.

٣ ـ إنَّ التربية الإسلاميَّة ليست مقصورة على الدرس في الفصل أو الصف فقط، إنَّ المدرسة كلها يجب أن تكون ميدانًا للتربية الإسلاميَّة، إنَّ النشاط المدرسي يجب أن يتَّجه لخدمة التربية الإسلاميَّة، كلمات الصباح، الإذاعة المدرسية، مجلات الحائط، الملصقات، اللوحات، الندوات، المحاضرات، نشاط الأسر، نشاط الجماعات المختلفة، وعلى رأسها جماعة التربية الإسلاميَّة.

٤ ـ إنَّ الجانب العملي في التربية له المقام الأوَّل في التأثير، ولهذا يجب أن ينال العناية اللائقة به، حتَّى يوضع العِلم النظري موضع الممارسة والتطبيق، وأبرز مثل على ذلك هو العناية بالمسجد، وإقامة الصلاة جماعة في ميقاتها، بعد إعلان الأذان من إذاعة المدرسة، وأن يهرع الجميع إلى الصلاة: الطلاب والمعلمون، والإدارة، وفي مقدمة الجميع مدير المدرسة.

٥ ـ إنَّ التربية الإسلاميَّة ليست محصورة في داخل المدرسة، فحسب إنَّما ينبغي أن تمتد إلى ما وراء المدرسة من نشاطات متنوعة تقوم تحت

QaradawiBooks.com

إشراف المدرسة نفسها، من رحلات كشفية أو علميَّة أو اجتماعيَّة، ومن معسكرات ومخيمات، ومن أندية مسائية وأندية صيفية، إلخ.

كما ينبغي أن تستعين المدرسة بمجالس الآباء والأمهات للتعاون على حسن توجيه الأبناء والبنات، التوجيه الإسلامي المطلوب.

وهذا كله لا يُقلل من أهمية منهج التربية الإسلاميَّة، وكتاب التربية الإسلاميَّة، ودرس التربية الإسلاميَّة، ومعلم التربية الإسلاميَّة، فهذه ـ ولا شكَّ ـ أساس البناء، وإن كانت وحدها لا تكفي. وللتفصيل مجال آخر.

تجربة المصارف الإسلاميَّة:

المحاور: ما مدى نجاح تجربة المصارف الإسلاميَّة، وهل تتوقعون لهذه التجارب الثبات والاستمرار؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: تجربة المصارف الإسلاميَّة، تجربة تستحق التنويه والتشجيع والتأييد ولا شك، فقد نقلتنا من الميدان النظري إلى الميدان التطبيقي، وبعد أن كان يُقال: إنَّه يستحيل أن يُقام اقتصاد إسلامي بلا بنوك، ويستحيل أن تقوم بنوك بلا فوائد (والفوائد هي الربا)، أصبح النَّاس يشهدون بأعينهم قيام هذه المؤسسات الماليَّة والمصرفية على غير الربا، لقد مضى وقت على المسلمين في هذا العصر، حاول بعضهم ـ تحت تأثير الهزيمة النفسيَّة أمام حضارة الغرب وأنظمته ـ أن يلوي أعناق النصوص الإسلاميَّة ليبيح الربا، ويبرره بأسانيد شرعيَّة مفتعلة. ثمَّ جاء عصر انتصر الاتِّجاه الأصيل القائل بأنَّ الربا حرام حرام حرام، ولا بدَّ من إيجاد بديل للمؤسسات الربوية.

QaradawiBooks.com

ثم جاء عصر إيجاد البدائل على الورق، ثـــمَّ انتقلت من الورق إلى حيز الواقع وقام أوَّل بنك إسلامي في «دبي» منذ نحو تسع سنوات، تلته بنوك أخرى في عدد من البلدان الإسلاميَّة.

وقد استطاعت هذه المصارف الإسلاميَّة أن تعيد للمسلمين ثقتهم بينهم وبين أنفسهم، وأن تفتح لهم أبوابًا للاستثمار كانت مهملة مثل المشاركة والمضاربة والمرابحة، وهيَّأت للكثيرين من أفراد المسلمين أن يودعوا أموالهم لتستثمر في الحلال، وهيَّأت للكثير من أصحاب المشـروعات أن يجدوا التمويل اللازم لمشـــروعاتهم بطريقة بعيدة عما حرم الله.

ولا ندعي ـ كما لا تدعي المصارف الإسلاميَّة نفسها ـ أنَّها وصلت إلى درجـــة الكمال، فهي لا تـــزال في أوَّل الطريق، وهـــي لا تملك إلَّا مســـاحة ضئيلة جدًّا ممَّا تملكه البنوك الربوية، وهـــي دائمة العمل على تطوير نفسها وتحسين أدائها من عدة أوجه:

١ ـ من ناحيـــة إعداد العناصـــر البشـــريَّة الَّتي تجمع بيـــن الالتزام الإســـلامي في الخُلق والسلوك والفهم لأحكام الشـــريعة، وبين الخبرة الماليَّـــة والمصرفية والإداريَّـــة، وهذا أمر في غاية الأهميـــة، وينبغي أن يتعـــاون عليه كل مـــن يهمه أمر الإســـلام عامَّة، والاقتصاد الإســـلامي ومؤسَّساته خاصَّة.

٢ ـ من ناحية الخـــروج من بعض الأطر الَّتي بـــدأت بها المصارف الإســـلاميَّة لاعتبارات معروفة مثل «توفير الربـــح للمودعين»، واحتلت مساحة كبيرة من نشاطها، مثل «بيع المرابحة» الَّذي لا أشك في جوازه، وقد ألفت في ذلك كتابًا خاصًّا، ولكن يحسن بالمصارف الإسلاميَّة أن

QaradawiBooks.com

تخرج إلى ميادين التنمية المختلفة في المجتمعات الإسلاميَّة والاتجاه إلى المشروعات الطويلة الأجل، الَّتي قد لا تعطي مردودًا للمساهمين فيها إلَّا بعد مدَّة.

٣ ـ من ناحية التعاون فيما بين المصارف الإسلاميَّة على ما فيه مصلحتها جميعًا، والوقوف في وجه المكايد الَّتي قد تدبَّر لها، وهذا ما يتمثل اليوم في مجلس اتحاد المصارف الإسلاميَّة، الَّذي بدأ يفكر في مشروعات جماعية كبيرة مثل «المصرف الإسلامي العالمي» الَّذي يُرجى أن يؤسَّس برأس مال قدره (٥٠٠ مليون دولار) للقيام بالمشروعات الطويلة المدى، ويتبع هذا المجلس هيئة عليا للفتوى والرقابة الشرعيَّة، من مجموعة من علماء العالم الإسلامي.

وبهذا أقول: إنَّ التجربة ـ والحمد لله ـ راسخة القدم، مصمِّمة على الاستمرار في المسيرة، ماضية في درب التطوير والتحسين بعزم صادق وإرادة لا تلين، ومن سار على الدرب وصل، وإذا صدق العزم وضح السبيل.

مواجهة المنظَّمات التبشيرية:

المحاور: المنظَّمات التبشيريَّة في العالم الغربي تقوم بدور فعَّال في العالم الإسلامي، أليس من المفروض أن تكون هناك منظمات إسلاميَّة تقاوم هذا الغزو وتدعو إلى الإسلام؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذا هو المفروض الَّذي يوجبه علينا الدين، ويفرضه علينا الواقع، حماية لوجودنا الإسلامي من الهجمات الشرسة، الَّتي تريد أن تجتثنا من جذورنا، وهذا ما جعلني أدعو منذ

QaradawiBooks.com

حوالي سنتين إلى وجوب الوقوف الجماعي في وجه هذا الغزو المسلح الخطير، وخصوصًا بعد أن قرأنا ما نشر ـ مؤيَّدًا بالوثائق ـ عن المؤتمر التنصيري الَّذي اجتمع في ولاية «كولورادو» بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٧٨م لغاية محددة هي العمل على تنصير المسلمين في العالم، ورصدوا لذلك مبلغًا من المال هو ألف مليون دولار، وأنشؤوا معهدًا لهذا الغرض سمِّي «معهد زويمر»، إحياء لذكرى هذا المبشر المعروف في الشرق الأوسط في أوائل هذا القرن، وقد بدأ القوم نشاطهم بالفعل في شتَّى أنحاء البلاد الإسلاميَّة وبين الأقليات والجاليات والتجمُّعات الإسلاميَّة خارج العالم الإسلامي، وهم يستغلون ضحايا الفقر والتشرد والمرض والجهل والأميَّة في آسيا وإفريقيا، ويتسللون من ذلك لفتنتهم عن دينهم، ونحن لا نلوم القوم إذا بذلوا ونشطوا لنشر دينهم إنَّما نلوم أنفسنا إذا تقاعسنا عن الدفاع عن ذاتنا، ولم نبذل مثل ما بذلوا، ونحن لا ينقصنا المال، ففي المسلمين من يملكون الملايين وعشرات الملايين ومئات الملايين، بل إنَّ المسلمين ـ الَّذين يبلغ عددهم اليوم مليارًا من البشر ـ لو دفع كل واحد منهم دولارًا واحدًا، لجمعنا الألف مليون، وإذا كان اليهود في الأربعينيات في الولايات المتحدة، وغيرها، قد رفعوا شعار: «ادفع دولارًا تقتل عربيًّا» فنحن نرفع شعار: «ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا».

نحن لا نريد أن نقتل أحدًا، ولا أن نعتدي على أحد، وإنَّما نريد الإبقاء على كياننا ووجودنا، ولا نقبل من أحد أن يسلخنا عن ذاتيتنا، وإنِّي لأحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه أن كلَّل جهودي بالنجاح، وقامت لهذا الغرض مؤسسة كبرى باسم «الهيئة الخيريَّة الإسلاميَّة العالميَّة»، ومقرها دولة الكويت الشقيقة، ولكنَّها للمسلمين في كل

QaradawiBooks.com

مكان، وقد اجتمعت جمعيتها التأسيسية في ١٧ و١٨ من شهر رمضان الماضي، من (١٦٠) شخصيَّة إسلاميَّة تمثل الأمة المسلمة في الشرق والغرب، وأقرت النظام الأساسي واختارت مجلس الإدارة، وبدأت العمل وينتظر من ورائها خير كثير.

وهذه الهيئة لا تعمل في المجال السياسي ولا العسكري إنَّما مجالها النشاط الخيري والاجتماعي والتنموي، كما حدد ذلك نظامها الأساسي، ومهمتها الأولى أن توفر الطعام للجائع، والكساء للعريان، والدواء للمريض، والإيواء للمشرَّد، والرعاية لليتيم، والتعليم للجاهل، والتشغيل للعاطل، والتدريب للعامل، والارتفاع بمستوى المسلمين حيثما كانوا، والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والرد العلمي الموضوعي على شبهات خصوم الإسلام وأباطيلهم، وبيان حقائق الدين، ونشر اللغة العربيَّة وتعليم القرآن بأساليب العصر.

وعلى جميع المسلمين أن يشدُّوا أزر هذه الهيئة، ويقفوا بجانبها، فهي ليست ملك فرد ولا مجموعة ولا دولة، ولكنَّها ملك الأمة الإسلاميَّة كلها وملك الأجيال القادمة أيضًا.

محاولة تطبيق الشريعة في بعض البلاد الإسلاميَّة:

المحاور: تطبيق الشريعة الإسلاميَّة في السودان والباكستان ـ ما مدى نجاح هذه التجربة؟ وما هو الدور الَّذي يمكن أن تُسهم به الدول الإسلاميَّة وخاصَّة الدل الخليجية في مساندة هذه التجربة المباركة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: في المؤتمر الإسلامي العالمي الأوَّل الَّذي انعقد في الخرطوم بمناسبة مرور سنة على البدء بتطبيق أحكام الشريعة، اعترض بعض الأخوة على استخدام كلمة «تجربة» بشأن تطبيق الشريعة

QaradawiBooks.com

الإسلاميَّة في السودان أو غيره، وحجتهم أنَّ التجربة ما يحتمل الصواب والخطأ، كما يمكن التفكير في العدول، وهذا لا ينطبق على الشريعة الإسلاميَّة، ولا ريب أنَّ الاعتراض مقبول، وقد يُقبل من باب التسامح أو المشاكلة، كما يقول علماء البلاغة في قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠]، إلخ.

والأولى استعمال كلمة «ممارسة أو مسيرة أو نموذج» أو نحو ذلك ومعلوم أنَّ المتَّفق عليه خير من المختلف فيه.

ولنرجع إلى الموضوع ذاته، وهنا أقول:

إذا كان تطبيق الشريعة فرضًا دينيًّا لازمًا علينا بحكم عقد الإيمان ومعنى الإسلام، فلا يجوز أن نفكر في مدى نجاح التطبيق أو عدمه فإذا نجح تمسكنا به، وإذا أخفق رجعنا عنه!

إذ لا خيار لنا في ذلك إلَّا إذا خنا زمننا وتحدَّينا إيماننا، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ويقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ٦٥].

ويقول: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

كل ما يجوز قوله هنا أنَّنا نتابع التطبيق بيقظة وبصيرة واجتهاد متفتح على العصر، ومرتكز على الإسلام في ينابيعه الصافية، وأن نحذر من الانحراف، وسوء التطبيق حتَّى لا يحسب هذا على الإسلام ذاته، ولقد

QaradawiBooks.com

قلت لإخواننا في السودان: إنَّني باسمي واسم إخواني العلماء نضع أنفسنا جنودًا تحت تصرفكم لترشيد المسيرة وتوجيهها إلى الخطّ الإسلامي السليم.

ومما نبَّهت وأنبِّه عليه دائمًا: أنَّ تطبيق الشريعة ليس معناه إقامة الحدود فقط، ولا مجرد تغيير القوانين الوضعيَّة بقوانين إسلاميَّة، فالقوانين وحدها لا تصنع المجتمعات، نحن نريد للمجتمع أن يحيا بالإسلام، ويحيا للإسلام، ونصبغ حياته كلها بصبغة الإسلام، وهذا يحتاج إلى عمل تربوي، وعمل إعلامي، وعمل فكري، وعمل اجتماعي، وعلى كل المستويات، ولا بدَّ أن تتعاون المؤسسات والأجهزة كلها على صناعة المجتمع المنشود، وهو لا يصنع بين عشية وضحاها، كما نبَّهت وأنبِّه دائمًا: أنَّ الإسلام كلٌّ لا يتجزأ: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، ولا يجوز أن نكون مثل بني إسرائيل الَّذين قرَّعهم الله بقوله: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ﴾ [البقرة: ٨٥]؟!

وقد قال الله لرسوله: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة: ٤٩] فالإسلام «وصفة» متكاملة، يرتبط بعضها ببعض، وليس معنى هذا أن نرفض ما يطبَّق من الإسلام حتَّى يطبق كله مائة في المائة، بل المهم أن تكون النيَّة قائمة على أخذ الإسلام كله، وأن تكون خطة مرسومة للتحول الكامل إلى الإسلام الكامل.

وقد أعجبني تسمية الإخوة في السودان لهذه المرحلة «التحول نحو الإسلام»، فهم لا يزعمون أنَّهم طبقوا كل شيء، ولكنَّهم في الطريق سائرون.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأمر آخر في غايــة الأهمية، وهو العنصر البشــري الَّذي يعيش في الإسلام، ويعيش فيه الإسلام إيمانًا وفكرًا وسلوكًا، هذا العنصر يجب أن تكون له الأولويَّة في سد الثغرات وملء المواقع، وتوجيه أزمَّة الأمور، فإن من أخطر الأشــياء أن يوكل أمر تطبيق الإســلام إلــى من لا يؤمن بالإســلام، وهذا هو باب الهلاك، كما في الحديث: «**إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[1].

الترغيب والترهيب في الدعوة الإسلاميَّة:

المحاور: يُبرز بعض الدُّعاة مسألة العقوبات، والعقاب بالنار، وسخط الله على العصاة كأســاس هامّ لردع النَّاس عــن المعاصي، فأيهما أفضل الترغيب أم الترهيب، والبدء بالجنة أم النار؟

فضيلة الشــيخ القرضــاوي: الموقف الســليم هنا ما ذكــره الإمام علي ﷺ حين قال: «ألا أخبركم بالعالم كل العالم؟ مَن لم يوئس عباد الله من روح الله، ولم يؤمِّنهم من مكره»[2]. ومعنى هذا أن يعمل العالم أو الداعية على الموازنة بين الرجــاء والخوف، والرغب والرهب في نفس الإنســان، فلا يبالغ في التخويف والترهيب بحيث يبلغ به درجة اليأس مــن روح الله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوســف: ٨٧]. ولا يبالغ في الترجيــة والترغيب بحيث ينتهي إلى درجة الأمن من مكر الله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

ومن يقرأ القرآن يجده يوازن بين الأمريــن، فهو حين ذكر صفات الله تعالى يذكر صفات الرحمــة وصفات القوَّة، أو صفــات الجمال وصفات

(١) رواه البخاري في العلم (٥٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الدارمي في المقدمة (٣٠٥)، وأبو داود في الزهد (١٠٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الجلال، كما في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِ﴾ [غافر: ٣]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦].

وحين يذكر الآخرة يذكر الثواب والعقاب، والرحمة والعذاب، والجنَّة والنار: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ﴾ [الحديد: ٢٠].

وحين يوصف المؤمنين يجعلهم بين الرجاء والخوف: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ومما يروى عن أمير المؤمنين عمر قوله: لو نادى منادٍ يوم القيامة: كل النَّاس في الجنة إلَّا واحدًا. لخفت أن أكون ذلك الواحد، ولو نادى منادٍ: كل النَّاس في النار إلَّا واحدًا. لرجوت أن أكون ذلك الواحد[1].

وقد رأيت بالتجربة في ميدان الدعوة والإرشاد: أنَّ تغليب جانب الرحمة والرجاء يؤثِّر في كثير من النَّاس، ويفتح لهم باب التوبة، ويبقيهم على خيط موصول بالدين، مهما يكون واهيًا.

أمَّا تغليب جانب التخويف والتغليظ دائما، فقد يؤثِّر في عدد من النَّاس، ولكنَّه كثيرًا ما يؤدي إلى نتائج عكسية، فبعض النَّاس إذا عرف أنَّه غريق في المعصية، وأن جهنَّم له بالمرصاد، يعتقد أنَّه هالك هالك لا محالة، فيتمادى في الخطايا، ويستمر في الذنوب وييأس من المغفرة، وقد يدفعه هذا إلى ارتكاب أعظم الموبقات، كما أنَّ المبالغة في

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥٣/١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التخويف قد تورث عقدًا مَرَضية تضر أكثر ممَّا تنفع، فلنتبع طريقة القرآن في المزج بين الرجاء والخوف بتوازن واعتدال، ولنذكر أمر الله لرسوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

التخصُّص العلمي الدقيق في علوم الشريعة:

المحاور: نلاحظ أنَّ أقسام التعليم الجامعي تقوم على التخصص ثمَّ التخصص الدقيق بعد ذلك، هل يصلح هذا النهج بالنسبة لعلماء الشريعة؟ ولماذا لم يلتزم العلماء الأوائل بهذا النهج؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: سنة الله أنَّ الإنسان لا يستطيع أن يحسن كل شيء، فلا بدَّ أن ينقطع لشيء يحسنه ويتفوق فيه، وهذا معنى التخصص، وهو ما أشار إليه القرآن حين قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ولهذا رأينا في الصحابة رضي الله عنهم القُوَّاد والعلماء، ورأينا في العلماء منهم من اشتهر بالرواية كأبي هريرة، ومن اشتهر بالدراية كابن عباس، وبعد الصحابة رأينا التابعين المحدِّث والمفسر والفقيه، كما وجدنا فيهم من يجمع ذلك كله.

وهكذا بعد عصر التابعين نجد فيهم من يغلب عليه نوع من التخصص في ناحية من نواحي الثقافة الإسلاميَّة، ومن نجد ثقافته ثقافة موسوعية كما يتَّضح ذلك في مثل أبي جعفر ابن جرير الطبري، فهو شيخ المفسرين، وتفسيره يدل على علوِّ كعبه في معرفة اللغة والقراءات

QaradawiBooks.com

وكل ما يتعلق بعلوم القرآن. وهو إمـــام في التاريخ، وكتابه فيه معروف، وهو كذلك في الحديث والأثر، وله كتاب «تهذيب الآثار» الَّذي لم يكن له نظير فـــي بابه، وهو في الفقـــه إمام، له مذهب مســـتقل كان له أتباع يُسَـــمَّون بـ «الطبريَّة» انقرضوا، ونجد مثل هذا في رجل كابن الجوزي، وابن كثير، والغزالي، وابن تيمية، وابن القيم وغيرهم.

بل نجد مثل ابن رشد الحفيد يبلغ القمة في الفلسفة حتَّى إنَّ شرحه لأرسطو كان مرجعًا للعالم كله لعدة قرون، وفي الطب في كتابه الشهير «الكُلِّيَّات»، وفي الفقه في كتابه الفريد «بداية المجتهد ونهاية المقتصد».

غير أن عصرنا اليوم لم يعد يســـمح بظهور هذا النـــوع من الرجال الموسوعيين الَّذين كان أحدهم يعتبر دائرة معارف لعصره.

ذلك أن اتِّساع المعرفة ونموَّها المطَّرد ـ الَّذي يعبرون عنه بـ «انفجار المعرفة» جعل من المتعذر ـ بل من المستحيل ـ على شخص مهما يكن نبوغه الإحاطة بكل هذه المعارف، بل أصبح العلم الواحد ينقســـم إلى عدة فروع، والفرع إلى تخصصات، فالطب أقســـام، وكل قسم منه يتفرع إلى شُعب كثيرة، وكذلك الفيزياء والكيمياء، والهندسة وغيرها.

ومثل هذا يقال في العلوم الإسلاميَّة، فقد يتعذر أو يتعسَّر ظهور من يجمع هذه العلوم كلها، لهـــذا كان لا بدَّ من التخصص في بعضها، مثل علوم القرآن والسُّـــنَّة، علوم الفقه والأصول، علوم العقيدة والمعقولات، وقد تتفرع هذه نفســـها، فيوجد من يتخصص في التفسير وعلوم القرآن، ومن يتخصص في الحديث وعلومه ورجالـــه، ومن يتخصص في الفقه وحده، وفي أصول الفقه وحده، وهكذا.

QaradawiBooks.com

بل هناك من يتخصص في متون الحديث، ومن يتخصص في رجال الحديث، ومن يتخصص في فقه مذهب بعينه، إلخ.

وعلى هذا الأســاس وُجدت في الجامعات الإسلاميَّة كليات بعضها لأصول الدين (أي: العقائد وما يلحق بها)، وبعضها للشريعة (أي للفقه وأصوله)، وبعضها للدعوة، وبعضها للقــرآن الكريم، وبعضها للحديث الشريف، وهناك جامعات لم تنشــئ لهذه التخصصات كليات مستقلة، وإنَّما اكتفت بإنشاء أقسام لها داخل كلياتها.

وهذا لا بأس به ما دام القصد منه التعمق والتبحُّر في فرع معين من فــروع الثقافــة الإســلاميَّة، ولكنِّي أشــترط لهــا أن يــدرس في هذه التخصصات كلها قدر مشترك لا بدَّ منه في أصول الثقافة الإسلاميَّة في العقيــدة والفقه وأصوله والتفســير وعلوم القــرآن، والحديث وعلومه، والسيرة والتاريخ الإسلامي، بحيث يستوعب الحد الأدنى الَّذي لا يسع العالم المسلم جهله بدعوى أنَّه متخصص في غيره، ثمَّ يأتي التخصص بعد ذلك.

الموقف السليم من قضيَّة تحديد النسل:

المحاور: إنَّ قضيَّة تحديد النسل قضيَّة هامة شغلت أذهان الكثير من أبناء المسلمين، ولقد اختلفت فيها الأقوال، وتضاربت الآراء بين محلل ومحرم، فما رأي فضيلتكم في تحديد النسل؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: النســل من المقاصد الأساسيَّة للزواج في نظر الإســلام، حتَّى يتحقَّق بقاء النوع الإنساني، ويقوم بدوره في عمارة

QaradawiBooks.com

الأرض إلى ما شاء الله، وإلى هذا يشير القرآن بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: ٧٢]. وفي الحديث: «**تناكحوا تناسلوا**»(١).

ولا ريب أنَّ القوَّة العددية من النِعم الَّتي يمنُّ الله بها على النَّاس، ومما يفخر بها المفاخرون، ويخوف بها المتربصون.

والقرآن يقول في معرض الامتنان: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ [الأعراف: ٨٦].

والشاعر العربي يقول:

ملأنا البَر حتَّى ضاق عَنَّا وماءُ البحر نملؤه سفينا(٢)

والآخر يعتذر عن قلَّة العدد بقوله:

تُعَيِّرنا أنَّا قليلٌ عديدنا فقلت لها: إنَّ الكرام قليلُ(٣)

ولكن ممَّا لا ينازع فيه أنَّ الإسلام لا يريد كثرةً كغثاء السيل، بل يريد الكم والكيف معًا، فإذا تعارضا فالكيف مقدم على الكم.

ومن ثَم لا أجد مانعًا من الشرع يحول بين الأسرة وبين «تنظيم نسلها» لا «تحديده»، على معنى أن تجعل بين كل طفل وآخر مدَّة من الزمن يتمكن فيها الطفل من استيفاء حقِّه في الرضاع والرعاية، والرضاع حولان كاملان لمن أراد أن يتم الرضاعة: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٨.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم صـ٩١، من معلقته، تحقيق إيميل بديع يعقوب، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

(٣) ديوان السموءل بن عاديا، صـ٦٧، صُنعة أبي عبد الله نفطويه، تحقيق د. واضح الصمد، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

وكذلك إذا كانت صحَّة الأم، أو مقدرتها على حسن الرعاية والتربية، بدنيًّا ونفسيًّا واجتماعيًّا، لا تمكنها من توالي الحمل والولادة والإرضاع، إلخ.

فلا تكلف نفس إلَّا وسعها، ولا تُضارَّ والدة بولدها، والله يريد بعباده اليُسر ولا يريد بهم العسر، والمهم هنا مصلحة الأم ومصلحة الطفل، ولا ضرر ولا ضرار.

وقد كان الصحابة إذا أرادوا ألا تحمل المرأة عزلوا عنها، ولم ينههم الله ولا رسوله عن ذلك، وأحب أن أنبه هنا إلى عدة نقاط:

١ ـ لا يجوز أن يكون من المسوغات لمثل هذا الأمر خوف الرزق، فإنَّ الله قد تكفل برزق كل حي: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]، والله قبل أن يخلق النَّاس بارك في الأرض وقدر فيها أقواتها.

ولكن إذا خاف أن يجرَّه كثرة الأولاد إلى التورط في الحرام، مثل قبول الرشوة، أو الدخول في المكاسب المحظورة، أو نحو ذلك فهذا اعتبار ديني يحسب حسابه.

٢ ـ يجب أن يبقى تنظيم النسل مسألة تخضع لظروف الأسرة، يتفق عليها الزوجان فيما بينهما، دون أن يحرجا أنفسهما في دين أو دنيا.

ولا ينبغي أن يكون ذلك فلسفة عامَّة للدول تحمل عليها النَّاس جميعًا، وأولى من تركيز الجهد على تحديد النسل أن تُبذل جهود علميَّة منظمة لنتعلم منها الاستخدام الأمثل للطاقات البشريَّة المعطلة عندنا، الَّتي تستهلك ولا تنتج، وتستورد ولا تنشئ، وتأخذ ولا تعطي!

QaradawiBooks.com

٣ ـ إنَّ بعض الأمم بلغ تعداد سكانها ألف مليون نسمة أو أكثر ولم تضق بهم، وجعلت ذلك مصدر قوَّة لها، واستغلتها إلى أقصى حدٍّ ممكن، ونحن عندنا من مصادر الثروة ما يسع أضعاف أعدادنا لو أنَّنا ـ نحن العرب والمسلمين ـ حققنا التعاون والتكامل فيما بيننا، وأكمل كل منا نقص أخيه، وأحسنا استغلال ما وهبنا الله من نعم وخيرات.

كنت في السودان قريبًا بمناسبة مرور سنة على بدء تطبيق الشريعة، ورأينا هناك حاجة السودان إلى استغلال المساحات الشاسعة من أرضه الصالحة للزراعة، الَّتي تبلغ نحو مائتي مليون فدان منها حوالي (٨٠ مليونًا) قابلة للزراعة بأدنى النفقات، فلماذا لا يساهم الخليج ببعض ملايينه ـ أو بلايينه ـ الَّتي تعمل في أوربا وأمريكا؟ ولماذا لا تساهم مصر بخبراتها الفنية وأيديها العاملة؟ ولماذا؟ ولماذا؟!

دور المرأة في الصحوة الإسلاميَّة:

المحاور: فكر المرأة المسلمة في وقت الصحوة إلى أين يتجه، وكيف تعامل المرأة الملتزمة أخواتها المسلمات البعيدات عن الدين؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: ينبغي أن يتجه فكر المرأة المسلمة في عهد الصحوة، إلى المشاركة الإيجابيَّة في توجيه المجتمع إلى الإسلام الصحيح، وفي إزالة العوائق من طريق المرأة المسلمة وتحريرها من آثار الاستعمار بكل أنواعه وألوانه.

إلى جانب تحريرها من رواسب الأفكار القديمة، الَّتي ليست من الإسلام في شيء، ونصيحتي لكل مسلمة ملتزمة ممَّن هداها الله وشرح صدرها للاستقامة على طريق النور، أن تعامل أخواتها البعيدات عن الدين بالرفق، وتدعوهنَّ بالحكمة وتستعين بالصبر.

QaradawiBooks.com

فقد عمل الغزو الثقافي والاجتماعي عمله في عقل المرأة المسلمة وسلوكها، واستطاع في وقت قصير أن يُخرج المرأة المسلمة من أدبها الإسلامي وتفكيرها الإسلامي، مقلدة المرأة الغربيَّة تقليدًا أعمى، وتسير وراءها شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، فكل «مُودَة» تخرج من هناك مقبولة، وإن تكن سخيفة ومرذولة، حتَّى لو دخلت «جحر ضب» لدخلت خلفها، كما بيَّن ذلك الحديث النبوي الشريف[1]، وهو يصور فقدان الشخصيَّة والتبعيَّة المطلقة، وهذا يجعل من الواجب على أهل الدعوة من المسلمين والمسلمات الترفُّق بهؤلاء الأخوات والبنات، من أسيرات هذا الغزو الغربي المركز، وعملائه وأجهزته داخل وطننا العربي والإسلامي.

ومن هذا الترفق: أن نقبل منهنَّ التدرج، فمن أدت منهنَّ الصلاة وأخَّرت الحجاب شكرنا لها صلاتها ودعوناها إلى الخطوة الأخرى.

ومن قبلت تغطية الرأس ولم تغط الرقبة مثلًا أثنينا على هذه الخطوة منها وقلنا لها: لا زلنا ننتظر منك الكثير، ومن المهم هنا أن نتخذ «التيسير» منهجًا لنا، ولا يحسن بنا أن نتبنى أشد الآراء تزمتًا ثمَّ نشكو من عدم الاستجابة لنا، وقد بعثنا ميسِّرين ولم نبعث معسِّرين، ومَن لم تستجب لنا من أوَّل مرَّة لم نذمها ولم نيأس منها، بل نصبر عليها ونكرر الدعوة مرَّة ومرَّة حتَّى يفتح الله قلبها للهداية.

---

(١) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**». قلنا: يا رسول الله، اليهود، والنصارى قال: «**فمن**». رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

وقد تبين لي من تجربتي في الدعوة والإفتاء والتدريس الجامعي ومن أسئلة الأخوات التحريرية والمشافهة والهاتفية: أنَّ المرأة أرق قلبًا، وأقرب إلى التدين والخشية من الرجل.

ولا بد للداعية والموجهة من استخدام أقصى الحكمة في مخاطبة المسلمة المعاصرة، ومعرفة الأمور الَّتي يحسن التركيز عليها، والشبهات الَّتي ينبغي دفعها، والمفتريات الَّتي يجب ردها، والأحكام المجهولة الَّتي يلزم بيانها، حتَّى لا يظلم الإسلام ذاته حين يُنسب إليه ما كان عليه المسلمون بالأمس في عصور التخلف، أو ما هم عليه اليوم في عصر التبعيَّة الثقافيَّة من جور على المرأة، وإهمال لحقوقها المقررة في شريعة الله سبحانه.

بين المرأة المسلمة والمرأة الغربيَّة:

المحاور: وضع المرأة الغربيَّة في عصرنا هذا، هل يمكن اتِّخاذه مثالًا يحتذى به للمرأة المسلمة، ولماذا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا تصلح المرأة الغربيَّة مثالًا تحتذيه المرأة المسلمة لأنَّها مخالفة للمسلمة في عقيدتها ومُثُلها وأهدافها وآدابها وتقاليدها.

المرأة الغربيَّة لا ترى في العلاقات الجنسية ما تراه المرأة المسلمة الَّتي تقيدها فكرة «الحلال والحرام» في كل ما تأخذ وتدع، وليست طليقة العنان تفعل ما يحلو لها كالمرأة الغربيَّة الَّتي لم تعد تبالي بمظاهر الإباحية والانطلاق الغريزي المجنون في الحدائق والطرقات والأماكن العامَّة، على أنَّ المرأة الغربيَّة اليوم لم تعد راضية عن نفسها، وعما انتهى إليه حالها، صحيح إنَّها زاحمت الرجال بالمناكب في مواضع العلم

QaradawiBooks.com

والعمل والأسواق، ولكنَّها في النهاية فقدت خصائص أنوثتها، وأصبحوا يطلقون على المرأة العاملة هنـاك «الجنس الثالث»، أي الَّذي لم يعد له خصائص الجنس اللطيف من رقَّة ونعومة وعاطفة ولم يكسب خصائص الجنس الخشـن بمزاحمته في مواضـع عمله، بل هو جنـس بين بين كالغراب الَّذي حاول أن يقلد النسر، فلا صار نسرًا ولا بقي غرابًا.

موقف المرأة المسلمة من الأحداث الإسلاميَّة المعاصرة:

المحـاور: الأحـداث الَّتي تجابهها أمة الإسـلام، ما موقـع المرأة المسلمة منها وماذا عليها عمله؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: إذا رجعنا إلى عصر الإسلام وما بعده من عصور الازدهار الإسـلامي، نجد أنَّ المرأة كان لها دورها في مسـيرة الدعوة منذ يومها الأوَّل وفي العهد المكي والعهد المدني.

ولا ينسـى أحد دور أمهـات المؤمنين، ونسـاء الصحابة رضي الله عنهن. فقد شـاركن في العبادة والعمل والجهاد، ووجدنا البخاري يذكر في صحيحه «باب غزو النساء وقتالهن».

ووجدنا في كتب التراجم والطبقات على اختلاف أنواعها عددًا غير قليل من النساء المتفوقات في شتَّى المجالات.

واليوم بعد أن فشا التعليم بين نساء المسلمين لا بدَّ أن يعود للمرأة مكانها الطبيعي، لتُسـهم في مسـيرة الصحوة الإسـلاميَّة، وبناء الحياة الإسلاميَّة المرجوة ومناصرة القضايا الإسلاميَّة أينما كانت.

فالعمل للإسـلام وقضاياه المصيريَّة ليس وقفًا علـى الرجال، فالمرأة مسؤولة كالرجل ومكلفة مثله، وقد قال تعالى: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم

QaradawiBooks.com

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وقال ﷺ: «**إنَّما النساء شقائق الرجال**»[١]، ومما يحتم على المرأة أن تعمل لدينها: أنَّ المرأة اليَهوديَّة والنَّصرانيَّة والشُّيوعيَّة ونحوها تعمل لعقيدتها وتبذل من جهدها ووقتها ومالها ما تراه واجبًا عليها، بل رأينا منهنَّ من تجوب الفيافي وتعيش في الأدغال لنشر عقيدتها، ومن لا تبالي بدخول السجن من أجل فكرتها.

فكيف ترضى المسلمة أن تظل هي حبيسة في قفصها الذهبي لا يهمها أمر دينها ولا تؤرِّقها مصائب أمتها ولا تقاوم باطل الأخريات بحقها؟!

إنَّ المرأة المسلمة اليوم ـ وبخاصَّة المثقفة ـ تستطيع أن تخدم دينها، وتعمل لنصرة قضاياه، في عدة مجالات:

أولًا: في العمل مع بنات جنسها ولا سيما المتأثرات بالحضارة الوافدة، لتوعيتهنَّ وتجنيدهنَّ لنصرة دينهن، والإسهام في العمل الإسلامي، وهذا ليس بالمجال الضيِّق فالمرأة نصف المجتمع.

والمسجونات في سجن التخلُّف لا بدَّ من دعوتهنَّ والمثابرة معهن، والمعايشة لهنَّ بحسن الصحبة وإعطاء الأسوة الحسنة حتَّى تتغير أفكارهنَّ ومشاعرهن، وتقوى إرادتهنَّ على الاستجابة لنداء الله، والسير في قافلة العمل بالإسلام، ثمَّ العمل للإسلام.

وكثير من المتدينات ـ مثل كثير من المتدينين ـ يحسبن أنهن بمجرد الصلاة والصيام أدَّين كل واجباتهنَّ غافلات عن واجبات الدعوة

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن لغيره. وأبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، وقال: وإنَّما روى هذا الحديث عبد الله بن عمر، عن عبيد الله ابن عمر، وعبد الله ضعَّفه يحيى بن سعيد من قبل حفظه. كلاهما في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

والنصيحة (التي هي الدين)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وكلها فروض عامَّة يلزم كل مسلم ومسلمة أن يقوم بما يستطيعه منها، وأن يتعاون مع غيره فيها: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

ثانيًا: هناك مجال آخر مهم لعمل المسلمة الملتزمة وهو عملها داخل أسرتها، مع زوجها إن كانت زوجة ومع أبنائها إن كانت أمًّا، فإن كان هؤلاء من أهل الدعوة والعاملين للإسلام كانت لهم خير معوان على رسالتهم، كما كانت زوجات السلف الصالح وأمهاتهم يحرِّضنهم على الجهاد، وعلى الثبات على الحق والصبر على الأذى في سبيل الله، ورُبَّ كلمة تشجيع أو تثبيت من زوجة صالحة أو أم مؤمنة كان لها أكبر الأثر في موقف زوجها أو ابنها، كما لمسنا ذلك في وصية الخنساء لأبنائها الأربعة في معركة القادسية، وفي وصية أسماء ذات النطاقين لابنها وهو محاصر مقطوع: عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم جميعًا.

وإذا كان الزوج أو الأبناء من ذوي التدين الانسحابي المنزوي عن قضايا المسلمين، فعليها أن تجتهد في دعوتهم بالحكمة إلى أن يدلوا بدلوهم في العمل للإسلام، حتَّى تحكم شريعته وتتحرَّر أرضه وتتَّحد أمَّته على كلمة الله وينهزم الباطل في رؤوس المسلمين وفي حياتهم أمام الحق الَّذي بعث الله به محمدًا ﷺ.

وإذا كان الزوج أو الولد بعيدين عن الدين، فالواجب هنا مضاعف، والمعركة طويلة، وسلاحها الحكمة والصبر، وعلينا أن نبذر الحَبَّ ونرجو الثمار من الرب، ولا يضيع الله أجر المحسنين.

QaradawiBooks.com

ثالثًا: في مجال العمل الإسلامي العام، الَّذي يشترك فيه الرجال والنساء ويخاطب فيه الجنسان أيضًا، فالمرأة المسلمة الملتزمة إذا كانت داعية أو مربية أو أديبة أو صحفية، أو ذات موهبة أو قدرة خاصَّة يمكنها أن تشارك بجهدها ومواهبها في تغذية العمل الإسلامي والفكر الإسلامي وتحريكهما وإمدادهما بالوقود اللازم والمستمر، والَّذي يتطلب من كل قادر وقادرة ألا يضنّ عليه بما يدفعه خطوة إلى الأمام، أو على الأقل يميط الأذى عن طريقه.

اختيار الزوج والزوجة:

المحاور: ما رأيكم في زواج الملتزم بفتاة مستهترة غير ملتزمة بحجَّة أنَّ الفتاة الصالحة هي فتاة قد صلح إيمانها، وأنَّ الأخرى في حاجة لمن يصلحها؟

وكذلك زواج الفتاة الملتزمة بفتى مستهتر للحجج السابقة؟

ما تعليق فضيلتكم على هذا؟ وهل لهذا العمل من آثار تمس المجتمع المسلم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الإسلام يوجِّه الشاب المسلم إذا أراد الزواج إلى اختيار الفتاة الصالحة، الَّتي تكون عونًا له على أمر دينه؛ تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، وتنصح له إذا حضر، وتحفظه إذا غاب في نفسها وماله كما قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

وهذا ما ينبغي أن يلتفت إليه المسلم ويحرص عليه ولا يكون همه محصورًا في مجرد الجمال أو النسب أو المال بل الصلاح كما قال

QaradawiBooks.com

الرسول الكريم: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»[١]، وقال: «**من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي**»[٢]، وقال: «**ما استفاد المؤمن من بعد تقوى الله خيرًا من امرأة صالحة**»[٣].

وصلاح المرأة إنَّما يتجلى في التزامها الديني، بحيث تُكيِّف سلوكها وفقًا لأمر الله ونهيه، وحلاله وحرامه، فمن وجد هذه المرأة فقد وجد كنزًا عظيمًا لا يجوز التفريط فيه بحجج واهية، وحسبنا وصية رسول الله ﷺ الواضحة لطالب الزواج، والَّتي وضعت أمامه المعيار الَّذي لا يخطئ: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[٤].

فإذا كان هذا هو التوجيه النبوي، فكيف يترك المسلم الملتزم ليتزوج بامرأة مستهترة تنغّص عليه عيشه، وتغدو حجر عثرة في طريقه، بدل أن تكون عونًا له؟ مع أنَّ الطبيعي أن ينجذب إلى مَن تكون على شاكلته، فشبيه الشيء ينجذب إليه، والطيور على أشكالها تقع.

ومثل هذا يقال للفتاة المسلمة ولأهلها عندما يتعرض لها الخُطَّاب، فالواجب تخير صاحب الدين الَّذي يرعى حقها، ويتقي الله فيها، ويعينها على التزامها، ويضع يده في يدها للعمل معًا في خدمة الإسلام، وفي

---

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٩٧٢)، والحاكم في النكاح (١٦١/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وضعَّف إسناده ابن حجر في التلخيص الحبير (٢٥٥/٣)، وحسَّنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (١٩١٦)، عن أنس بن مالك.

(٣) رواه ابن ماجه في النكاح (١٨٥٧)، والطبراني (٢٢٢/٨)، وضعف سنده العجلوني في كشف الخفاء (١٨١/٢)، وقال: له شواهد تدلُّ على أن له أصلًا. عن أبي أمامة.

(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

هذا جاء الحديث الشـــريف: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلَّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»[١].

أمَّا الزواج من مستهتر بدعوى أن تعمل على صلاحه وهدايته، فهي نية طيبة ولكنَّها مخاطرة كبيرة، لا تؤمَن نتائجها، والمعهود أن يحاول هو التأثير عليها، فإن لم يســتطع نكَّد عليها وأزعجهــا بجوِّه الغريب عنها، وأصدقائه البعيدين عن الإسلام، وهذا ما حذر منه السلف حين قالوا: من زوَّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها[٢]!

وقالوا: إذا زوجت ابنتــك فزوجها ذا دين، إنْ أحبهــا أكرمها، وإنْ أبغضها لم يظلمها[٣].

ومن هنا أؤكد أنَّ المنهج المقبول والميســور هنا أن يبحث المسلم الملتزم، وتبحث المســلمة الملتزمة عمَّن يشابهه ويلتقي معه في التزامه وتفكيره وسلوكه، بل يحسن أن يكون كلاهما متقاربين في نمط التفكير والاتجاه، حتَّى لا يعيشــا حياتهما في جدل دائم، قد يــؤدِّي في النهاية بحياتهما المشتركة.

هذا هو منطق الفطــرة، ومنطق الواقع، ومنطــق القرآن: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦].

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤) موصولًا ومرســلًا. ومعنى الإرســال هنا: انقطاع ما بين ابن عجلان وأبي هريرة، وقــد رجَّح البخاري المنقطع على المتصل. وابــن ماجه (١٩٦٧)، كلاهما في النكاح، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣١٤/٤)، والقائل الشعبي.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في العيال (١٢٥)، والقائل الحسن البصري.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

تزويج الأب ابنته بغير رضاها:

* يقال بأنَّ الشـافعية يبيحون للأب تزويج ابنته البكر البالغة بدون رضاها. إذا كان هذا صحيحًا، فهل يتفق مع المنهج الإسـلامي العام في اشتراط موافقة الفتاة المسبقة؟ وهل يشترط الولي دائمًا في عقد الزواج؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: من الواجب إزاء هذا السؤال المهم أن نقرر عدة حقائق:

أولًا: هنا قاعدة أساسـيَّة لا يختلف فيها اثنان، وهي أنَّ كل مجتهد يصيب ويخطئ، وأن كل واحد يؤخذ من كلامه ويترك إلَّا المعصوم ﷺ، والإمام الشافعي إمام عظيم من أئمَّة المسلمين، ولكنَّه بشر غير معصوم، وقد قال هو عن نفسـه: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمـل الصـواب»[(١)]، كمـا روى عنه قولـه: «إذا صـحَّ الحديث فهو مذهبي»[(٢)]، وفي رواية: «فاضربوا بقولي الحائط»[(٣)].

ثانيًا: من الإنصاف للمجتهدين أن نضع آراءهم في إطارها التاريخي، فإنَّ المجتهد ابن بيئته وزمنه، ولا يمكن إغفال العنصر الذاتي للمجتهد، وقد عاش الإمام الشـافعي في عصر قلَّما كانت تعرف الفتاة عمَّن يتقدم لخطبتها شـيئًا إلَّا ما يعرفه أهلهـا عنه، لهذا أعطـى والدها خاصَّة حقَّ

(١) الفتاوى الفقهية الكبرى (٣١٣/٤).

(٢) اشتهر هذا المعنى عن الإمام الشـافعي في غير ما مناسبة؛ ذكر بعضها السبكي في رسالته: معنى قول الإمام المطلبي إذا صح الحديث فهو مذهبي صـ ٨٥ ـ ٩٠، نشـر مؤسسة قرطبة. واحتجَّ به الشـافعية في كتبهم، منهم العلامة النووي في شرح صحيح مسلم (٥٥/١٤)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ، والعراقي في طرح التثريب (٢٦٣/٢)، نشر دار إحياء التراث العربي، مصورة من الطبعة المصرية القديمة.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢١١/٢٠).

QaradawiBooks.com

تزويجها ولو بغير استئذانها، لكمال شفقته عليها وافتراض نضجه وحسن رأيه في اختياره الكفء المناسب لها، وانتفاء التهمة في حقه بالنسبة لها.

ومن يدري لعل الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ لو عاش إلى زماننا ورأى ما وصلت إليه الفتاة من ثقافة وعلم، وأنَّها أصبحت قادرة على التمييز بين الرجال الَّذين يتقدمون إليها، وأنَّها إذا زوجت بغير رضاها ستستحيل حياتها الزوجية إلى جحيم عليها وعلى زوجها. لعلَّه لو رأى ذلك لغيَّر رأيه كما غيره في أمور كثيرة، فمن المعلوم أنَّه كان له مذهبان: **أحدهما**: قديم قبل أن يرحل إلى مصر، **والثاني**: جديد بعد أن انتقل إلى مصر واستقر فيها، ورأى فيها ما لم يكن قد رأى، وسمع فيها ما لم يكن قد سمع، وأصبح من المعروف في كتب الشافعية: قال الشافعي في القديم، وقال الشافعي في الجديد.

ثالثًا: أنَّ الشافعية شرطوا لتزويج الأب ابنته البكر بغير إذنها شروطًا منها:

١ ـ ألا يكون بينه وبينها عداوة ظاهرة، كطلاق أمها، أو نحو ذلك.

٢ ـ أن يزوِّجها من كفء.

٣ ـ أن يزوِّجها بمهر مثلها.

٤ ـ ألَّا يكون الزوج معسرًا بالمهر.

٥ ـ ألَّا يزوجها بمن تتضرَّر بمعاشرته كأعمى وشيخ هرم، إلخ.

وفي هذه الشروط تخفيف لبعض آثار الإجبار، ولكنَّها لا تحل المشكلة من جذورها.

بعد هذا نقول: قد صحَّ عن النبي ﷺ جملة أحاديث توجب استئمار الفتاة أو استئذانها عند زواجها، فلا تزوج بغير رضاها، ولو كان الَّذي

QaradawiBooks.com

يزوجها أباها، منها ما في الصحيح: «**لا تُنكح البكر حتَّى تُستأذن**» قالوا: كيف إذنها؟ قال: «**أن تسكت**»[١]، «**البكر تُستأذن في نفسها، وإذنها صمتها**»[٢]، «**الثيِّب أحقُّ بنفسها، والبكر يستأذنها أبوها**»[٣].

وفي السنن في حديث ابن عباس: أنَّ جارية بكرًا أتت النبيَّ ﷺ فذكرت أن أباها زوَّجها وهي كارهة، فخيَّرها النبي ﷺ[٤].

وعن عائشة: أن فتاة دخلت عليها، فقالت: إن أبي زوَّجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، وأنا كارهة، قلت: اجلسي حتَّى يأتي رسول الله ﷺ، فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه، فجعل الأمر إليها، فقالت: يا رسول الله، قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن يعلمَ النَّاس أن ليس للآباء من الأمر شيء[٥].

والظاهر من حالة هذه المرأة أنَّها بكر، كما قال صاحب «سبل السلام»، ولعلها البكر الَّتي في حديث ابن عباس، وقد زوَّجها أبوها كفئًا ـ ابن أخيه ـ وإن كانت ثيبًا، فقد صرحت أن ليس مرادها إلَّا إعلام النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء! ولفظ «النساء» عام للبكر والثيب، وقد قالت هذا عنده ﷺ فأقرها عليه.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥١٣٦)، ومسلم (١٤١٩)، كلاهما في النكاح، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في الحيل (٦٩٧١)، عن عائشة.

(٣) رواه مسلم في النكاح (١٤٢١)، وأحمد (٢١٦٣)، عن ابن عباس.

(٤) رواه أحمد (٢٤٦٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط البخاري. وأبو داود (٢٠٩٦)، وابن ماجه (١٨٧٥)، كلاهما في النكاح، ورجَّح أبو داود إرساله، وقال الحافظ في فتح الباري (١٩٦/٩): الطعن في الحديث لا معنى له، فإن طرقه يَقْوى بعضُها ببعض.

(٥) رواه أحمد (٢٥٠٤٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والنسائي في النكاح (٣٢٦٩).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وكأنَّ هذه الفتاة الراشـدة البصيرة أرادت أن توعي بنات جنسـها بما جعل لهن الشارع من الحقّ في أنفسهن، حتَّى لا يتسلط عليهنَّ بعض الآباء أو مَن دونهم من الأولياء، فيزوجوهن بغير رضاهن لمن يكرهنه ويسخطنه.

وقال الإمام الشوكاني في «نيل الأوطار»، ظاهر الأحاديث أنَّ البكر البالغـة إذا تزوَّجت بغير إذنهـا لم يصح العقد، وإليـه ذهب الأوزاعي والثوري والعترة والحنفية، وحكاه الترمذي عن أكثر أهل العلم[١].

وقبل الشوكاني قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «فتاويه»: إنَّ استئذان البكر البالغ واجـب على الأب وغيـره، وإنَّه لا يجـوز إجبارها على النكاح، وإن هذا هو الصـواب، وهو رواية عن أحمـد واختيار بعض أصحابه، وهو مذهب أبي حنيفة وغيره... وقال: إن جعل البكارة موجبة للحجر مخالف لأصول الإسـلام، وتعليل الحجر بذلك تعليل بوصف لا تأثير له في الشرع[٢].

وقال الإمام ابن القيِّم في «زاد المعاد» بعد ذكر ما حكم به النبي ﷺ من وجوب استئذان البكر: «وموجب هذا الحكم: ألا تُجبر البكر البالغ على النكاح، ولا تزوَّج إلَّا برضاها، وهذا قول جمهور السلف ومذهب أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايات عنه، وهو القول الَّذي ندين لله به، ولا نعتقد سواه، وهو الموافق لحكم رسول الله ﷺ وأمره ونهيه، وقواعد شريعته ومصالح أمته» وأفاض في بيان ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣].

(١) نيل الأوطـار (١٤٧/٦)، تحقيق عصام الدين الصبابطي، نشـر دار الحديـث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/٣٢، ٢٣).

(٣) زاد المعاد (٨٧/٥ ـ ٩١)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

وهذا أيضًا ما أديـــن لله به، ولا أعتقد ســـواه، وإن قـــال مَن قال بخلاف ذلك.

وأمَّا تزويج المرأة نفســـها بغير إذن وليها، فهو جائز عند أبي حنيفة وأصحابه إذا تزوَّجت كفئًا، حيث لم يصح عندهم حديث في اشـــتراط الولي، وهذا أيضًا عند الظاهرية في شأن الثيب، عملًا بقوله ﷺ: «**والثيب أحق بنفسها من وليها**»[(١)].

ورأي الجمهور أنَّ الوليَّ شـــرط للزواج أخذًا بحديث: «**لا نكاح إلَّا بولي**»[(٢)]، وغيره من الأحاديث، والحكمة في هذا أن يتم الزواج بتراضي الأطراف المعنية كلها، وحتَّى لا تكون المرأة إذا تزوَّجت بغير إذن أهلها تحت رحمة الزوج وتسلطه حيث لم يكن لأهلها رأي في زواجها.

وعلى كل حـــال إذا قضى قـــاض بصحة هذا الـــزواج فهو صحيح، ولا يملك أحد نقضه كما قال ابن قدامه في «المغني»[(٣)].

الإسلام وعمل المرأة:

المحـــاور: عمل المـــرأة إلى أيِّ مـــدى ينبغي أن يكـــون، وهل من الضروري حصره في مجالات معينة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: عمل المرأة الأوَّل والأعظم الَّذي لا ينازعها فيه منازع، ولا ينافسها فيه منافس، هو تربية الأجيال، الَّذي هيَّأها الله له

(١) سبق تخريجه صـ٣١٤.

(٢) رواه أحمد (١٩٥١٨)، وقال مخرِّجوه: حديـــث صحيح. وأبو داود (٢٠٨٥)، والترمذي (١١٠١، ١١٠٢)، وقال: العمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي وغيرهم. وابن ماجه (١٨٨١)، ثلاثتهم في النكاح، عن أبي موسى الأشعري.

(٣) المغني لابن قدامة (٨/٧)، نشر مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

بدنيًّا ونفسيًّا، ويجب ألا يشغلها عن هذه الرسالة الجليلة شاغل مادي أو أدبي مهما كان، فإنَّ أحدًا لا يستطيع أن يقوم مقام المرأة في هذا العمل الكبير، الَّذي عليه يتوقَّف مستقبل الأمة، وبه تتكوَّن أعظم ثرواتها وهي الثروة البشريَّة، ورحم الله شاعر النيل حافظ إبراهيم حين قال:

الأم مـدرسـة إذا أعـددتـهـا أعددت شـعبًا طيِّـب الأعراق[1]

وهذا لا يعني أن عمل المرأة خارج بيتها محرَّم شـرعًا، فليس لأحد أن يحرم بغير نصّ شرعيّ صحيح الثبوت، صريح الدلالة، والأصل في الأشياء والتصرفات العادية الإباحة كما هو معلوم.

وعلى هذا الأسـاس نقول: إنَّ عمل المرأة في ذاته جائز، وقد يكون مطلوبًا إذا احتاجت هي إليه، كأن تكون أرملـة أو مطلقة ولا مورد لها ولا عائل وهي قادرة على نوع من الكسب يكفيها ذل السؤال أو المنة.

وقد تكون الأسرة هي الَّتي تحتاج إلى عملها كأن تعاون زوجها، أو تُرَبّي أولادها، أو إخوتها الصغار، أو تساعد أباها في شيخوخته، كما في قصَّة ابنتي الشيخ الكبير، الَّتي ذكرها القرآن الكريم في سورة القصص، وكانتا تقومـان على غنم أبيهمـا: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣].

وقد يكون المجتمع نفسه في حاجة إلى عمل المرأة كما في تطبيب النساء وتمريضهن وتعليم البنات، ونحو ذلك من كل ما يختص بالمرأة، فالأولى أن تتعامل المرأة مع امرأة مثلها، لا مع رجل، وقبول الرجل في بعض الأحوال يكون من بـاب الضرورة الَّتي ينبغـي أن تقدَّر بقدرها،

(١) انظر: ديوانه صـ ٢٧٠.

QaradawiBooks.com

ولا تصبح قاعدة ثابتة، وإذا أجزنا عمل المرأة فالواجب أن يكون مقيدًا بعدة شروط:

١ ـ أن يكون العمل في ذاته مشروعًا، لا تشوبه شائبة إثم، فلا يجوز لمسلمة أن تعمل في ملهى أو مرقص أو سكرتيرة خاصَّة لرجل يقتضي عملها معه الخلوة بها متى شاء.

٢ ـ أن تلتزم أدب المرأة المسلمة إذا خرجت من بيتها: في الزي والمشي والكلام والحركة: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

٣ ـ ألا يكون عملها على حساب واجبات أخرى لا يجوز لها إهمالها، كواجبها نحو زوجها وأولادها وهو واجبها الأوَّل وعملها الأساسي.

التضامن الإسلامي:

المحاور: الدعوة إلى التضامن الإسلامي هل هي دعوة حديثة أم هي دعوة عريقة قديمة؟ وما واجب المسلمين لتحقيق التضامن الإسلامي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الدعوة إلى التضامن الإسلامي دعوة حديثة، فقد كان المسلمون في غنى عنها يوم كان لهم دولة واحدة، تجمع شتاتهم، وتوحِّد صفهم تحت راية الخلافة، فلما نجحت المؤامرات اليَهوديَّة والصليبيَّة في هدم قلعة الخلافة العثمانيَّة الَّتي كانت تمثل آخر تجمع للأمة الإسلاميَّة تحت علم العقيدة الإسلاميَّة، على ما كان بها من عيوب ونقاط ضعف، وبعد زوال الخلافة، وظهور الدول

QaradawiBooks.com

القوميَّة، وبـــروز النزعات العنصريَّـــة والإقليميَّة حدث فـــراغ كبير، في العلاقات بين المسلمين بعضهم وبعض.

وشعر المخلصون أنَّ العالم الإســـلامي في حاجة إلى صيغة تقرب بين أبنائه، وتجمعهم صفًّا في مواجهة الشدائد والنكبات الَّتي تنزل بهم باعتبارهم مســـلمين لهم عقيدة واحدة، وقِبْلة واحدة، ومهددون بأخطار واحدة، ولهم آمال ومصالح مشتركة.

فهذا التضامن هو الصيغة البديلة للوحدة الإسلاميَّة، وهو بديل أدنى وأضعف بلا شك، ولكن أفضل من لا شيء.

وإن كان يؤخذ عليه أنَّه لم يســـتطع أن يثبت وجـــوده حتَّى الآن في القضايا الكبرى، مثل قضيَّة الزحف الشيوعي الأحمر على أفغانستان، أو الحرب بين العراق وإيران، أو مساندة الأقليات الإسلاميَّة المضطهدة في كثير من البلدان، إلى غير ذلك من القضايا الإسلاميَّة، وإذا كان تضامن العرب ـ وهم الدائرة الأضيق ـ فيما بينهم قد أصيب في السنوات الأخيرة بما أصيب به إلى حدّ الجفـــاء والتعادي، وربَّمـــا الاقتتال! فلا غرو أن يكون التضامن الإسلامي ـ وهو أوسع دائرة ـ على هذا الحال الَّذي نراه.

ولكنا لا نيأس أن يقوى هذا التضامن مـــع الأيام، كلما قوي الوعي الإسلامي ونما شـــعور الأخوة الإســـلاميَّة، وطغى ذلك على العصبيَّات القوميَّة والوطنيَّة الضيقة، وانكشف زيف المذاهب والحلول المستوردة الَّتي فرَّقت الأمة بين يمين ويسار، وبين شرق وغرب، وتحرر إلى كينونة الأمة الكبرى الَّتي تســـتطيع بإمكاناتها المادِّيَّة والبشـــريَّة والروحية أن تكون القوَّة الثالثة، الَّتـــي تحفظ التوازن في العالم وتقـــدم إليه قارورة الدواء وســـفينة الإنقاذ، بعقيدتهـــا ونظامها الرباني والإنســـاني العالمي

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

المتوازن، الَّذي يصل الأرض بالسماء ويربط الدُّنْيا بالآخرة، ويمزج بين المادَّة والروح، ويوازن بين حرية الفرد ومصلحة المجموع.

نظرة الإسلام إلى الجنس:

المحاور: يلاحظ في المجتمعات المتحضرة والمتخلفة التهافت على قضايا الجنس وما يتبعها من مفاسد ورذائل، فما هو العلاج الحاسم لهذا الفساد الجنسي؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: بعض الأديان ينظر إلى الجنس على أنَّه نَجَس أو قَذَر، ينبغي أن يتنزه عنه الصالحـــون والصِدِّيقون، وأنَّ الحياة المثالية للمتدين هي حياة الرهبانية.

وفي مقابل هؤلاء نجد الحضارة الغربيَّـــة الحديثة الَّتي أطلقت العنان للغرائز الجنسية، حتَّى غدا النَّاس في ظلها يكادون يتسافدون في الطرقات.

وقد كانوا يزعمون في أوَّل الأمر أنَّهم إذا أطلقوا الحرية الجنسية، يحلون عقد الكبـــت والحرمان، ويعيشـــون حياة الاســـتمتاع بلا خوف ولا خجل، ولكنَّهم مع كل ما صنعوا لم تنته مشكلاتهم، بل زادت تعقيدًا، ولم يحدث الري المتوقع، بـــل ازداد العطش والتكالب، وغدت الفتـــاة الجميلة مجالًا للصراع إلى حد الاقتتال عليها، والمحرومة من الجمال تضطر لتلقي بنفسها في أقذر المواقع، وانتشرت الأمراض الجنســـية الَّتي تهدد بأوخم العواقب مثل «الإيدز» الَّذي يفقد الجسم المناعة ويعرضه لأخطر الأدواء.

ولا غرو أن قال أحد الكتاب الأمريكيين: «إن خطر الطاقة الجنســـيَّة قد يكون في نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذريَّة».

وينبِّه المؤرخ الشـــهير أرنولد توينبي إلى أن شيوع الجنس وسيطرة الغرائز الجنسية يمكن أن يؤدي إلى تدهور الحضارات.

QaradawiBooks.com

وهذا ما حذر منه الإسلام أشد التحذير، وخصوصًا من الاختلال الاقتصادي، والانحلال الجنسي كما في حديث: «**ما ظهر الزنا والربا في قرية إلَّا أحلوا بأنفسهم عقاب الله** ﷻ»[(١)].

وحديث: «**ما ظهرت الفاحشة في قوم حتَّى يُعمل بها فيهم علانية إلَّا سلط الله عليهم الطاعون، والأوجاع الَّتي لم تكن في أسلافهم**»[(٢)].

وموقف الإسلام من الجنس في غاية الحكمة والاعتدال، فهو لا يرفض الجنس ولا يستقذره، ولكن يوجِّهه الوجهة النافعة للفرد والمجتمع، وذلك عن طريق الزواج المشروع الَّذي يربط بين رجل وامرأة برباط مقدَّس، به تتكوَّن الأسرة الصالحة الَّتي هي نواة المجتمع الصالح، وفي هذه الحالة من حق الزوجين أن يستمتع كلاهما بالآخر، حتَّى إنَّ الإسلام ليعتبر ذلك عبادة وصدقة: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وفي الحديث الصحيح: «**وفي بضع أحدكم صدقة**». قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[(٣)]. والإسلام ييسر الزواج ويعين عليه، ويزيل العوائق من طريقه، ويرغب في يسر المهر، وتسهيل كل صعب.

---

(١) رواه أحمد (٣٨٠٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو يعلى (٤٩٨١)، وابن حبان في الحدود (٤٤١٠)، وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب (٢٨٥٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥٨١): لأبي يعلى فقط، وجود إسناده. عن ابن مسعود.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٥٤٠/٤)، كلاهما في الفتن، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (١٠٦)، عن ابن عمر.

(٣) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٤٧٣)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

كما يجتهد في سد طريق الحرام، عن طريق تطهير المجتمع من أسباب الفساد والإغراء، مثل التبرج والاختلاط المتحلل، والصور المثيرة، والقصص الخليعة، والأغاني المانعة، وغير ذلك. كما يُعاقب كل من يجاهر بتعدي حدود الله، ويرتكب الفاحشة علانية، أو يروج لها بصورة من الصور.

وقبل ذلك يُربَّى المسلم والمسلمة على الطهارة والعفَّة والإحصان، وخشية الله تعالى ومراقبته، الَّتي تجعله يرفض الحرام وإن فُتح له إليه ألف باب وباب، قائلًا: إنِّي أخاف الله ربَّ العالمين، حتَّى يكون من السبعة الَّذين يُظِلُّهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلَّا ظله[1].

الدين والدولة:

المحاور: نلاحظ أنَّ بعض علماء المسلمين قديمًا وحديثًا يبتعدون عن المشاركة في أعمال الدولة، على ماذا يدل ذلك؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الإسلام لا يفصل بين الدين والسياسة، كما تفعل أديان أخرى، ولا يرى أنَّ شطر الحياة لقيصر، والشطر الآخر لله، بل يرى أن قيصر وما لقيصر لله الواحد الأحد. ولذا لا يقبل قسمة الحياة كما لا يقبل قسمة الإنسان، وليس من مفاهيم الإسلام ولا أحكامه أن تكون هناك سلطتان مستقلتان، **إحداهما:** روحية تختص بشؤون الدين، **والأخرى:** زمنية تختص بأمور السياسة. وإنَّما سلطة واحدة وكيلة عن الأمة ومنفِّذة لشرع الله الَّذي يشمل الدين والدُّنْيا معًا.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الكسوف (١٠٣١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ولا يقبل الإسلام أن يكون دينًا لا سياسة فيه، كما لا يرضى سياسة لا دين لها. ولا يجوز في نظر الإسلام أن يكون أهل السياسة جاهلين بالدين أو منحرفين عنه، كما لا يجوز لأهل الدين أن يكونوا جاهلين بسياسة أمَّتهم وقضايا أوطانهم، ومَن لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم، وواجب النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم الَّتي هي الدين كله كما في الحديث الصحيح[1]. وواجب التواصي النجاة من خسران الدُّنْيا والآخرة، وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الَّذي هو أساس خيريَّة هذه الأمة، كل هذا يقتضي من المسلم ألا يعيش في صومعة منعزلًا عن آلام أمته ومعاناتها، متلذِّذًا بعباداته أو قراءاته دون مشاركة فيما يوجبه انتماؤه إليها، وولاؤه لها: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١].

ومع هذا لا يزال هناك مسلمون متدينون يرون أنَّ حسبهم من الدين أن يقيموا شعائر العبادات الشخصيَّة، ولا يهمهم تحرَّرت أرض الإسلام أو لم تُحرَّر، حكمت شريعة الإسلام أم لم تحكم، عزَّ المسلمون أم ذلوا، اتَّحدوا أم تمزقوا، قامت خلافة الإسلام أم هدمت. ولا ريب أن هذا كله من سوء الفهم لرسالة الإسلام، وشمولها لكل جوانب الحياة، وهو فهم متأثر بمعنى الدين في النَّصرانيَّة وغيرها.

كما أنَّ هناك أسبابًا أخرى جعلت بعض المسلمين الفاهمين لشمول الإسلام، والَّذين عملوا لقضاياه العامَّة يعزفون في بعض الأحيان عن العمل السياسي، من ذلك: أنَّ السياسة تقوم في الغالب على المناورة واللف

(١) إشارة إلى حديث: «**الدين النصيحة**». قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**». رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، عن تميم الداري.

QaradawiBooks.com

والــدوران، وطبيعة التديُّن تأبى إلَّا الصراحة والصدق والخط المســتقيم، ولهذا يجد المتدين نفســه غريبًا في دُنْيا السياســة وتياراتهــا وألاعيبها، ولا يتقن أن يحاربهم بمثل ما يحاربونه به فيلوذ بالفرار ناجيًا بنفسه.

وناحيــة أخــرى: إنَّ معظم البلاد الإســلاميَّة يغيــب فيها معنى الشورى أو الديمقراطية، وتُحكم الشعوب فيها بغير إرادتها، ولا يؤتى العمل السياســي فيها ثمرته لعوامل داخليَّة وخارجيَّة، ولهذا تُجهض كل المحــاولات الَّتي تعمل لتغييــر الأوضاع العــوج، إلى أوضاع إسلاميَّة مستقيمة.

وطالما رأى النَّاس حركات إسلاميَّة كبرى عملت وجاهدت وقدَّمت تضحيات جمَّة، ولم تصل في النهاية إلى ما تريد من الإصلاح والتغيير، برغم ما دفعت من ثمن باهظ، ولعلَّ هذا ما جعل المصلحين الإسلاميِّين في خاتمة مطافهم يعودون إلى حقل التربية والتثقيف والتوجيه، والبداية من أوَّل الســلم من إصلاح الفرد، الَّذي هو أســاس إصلاح المجتمع، وترك السياسة بما فيها من مهازل ومآس تُضحك وتُبكي، ولعلَّ هذا سر ما روي عن الأستاذ الإمام مُحَمَّد عبده من قوله: أعوذ بالله من السياسة، ومن ساس ويسوس، وسائس ومسوس!

ورأيي أنَّ الواجب على أهل الدين ألا يدعوا أمور السياسة للعِلمانيِّين والماركسيين وغيرهم، ممَّن يكرهون الإسلام، أو يجهلونه، أو لا يهمهم أمره، والحق أن أمر السياســة مــن الخطورة بحيث لا ينبغــي أن يُترك لهؤلاء وحدهم وهم الَّذي بيدهم توجيــه أزِمَّة التعليم والإعلام والثقافة والتشريع وسائر نواحي الحياة، الَّتي تضع للناس مفاهيمهم ومشاعرهم وتقاليدهم وأنظمتهم جميعًا.

QaradawiBooks.com

ولن ترقى شعوبنا إلى مصافّ الأمم المتحضّرة إلَّا إذا شاركت جماهيرنا في سياسة أوطانها، ولم تدع أمورها لحفنة من النَّاس ـ عسكريين أو مدنيين ـ يلعبون بمصايرها كما يشاؤون وهي بمعزل عما يجري، كما قال الشاعر عن «تيم»:

ويُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ ولا يُستأذنون وهم شُهُودُ[1]!

الدجَّال والحضارة الحديثة:

المحاور: هناك من يقول: إنَّ الحضارة الصناعيَّة الفنيَّة الحديثة هي الدجال الَّذي ورد ذكره في أحاديث الرسول الكريم محذِّرًا أمته منه، ما تعليق فضيلتكم على هذا القول؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الحضارة الصناعيَّة الغربيَّة الحديثة لها مزايا كثيرة لا ينكرها إلَّا مُكابر، فقد قامت على مجموعة من القيم الاجتماعيَّة المُهِمَّة مثل: إتقان العمل، والنظام والتعاون، وحسن الإدارة، واحترام العِلم القائم على الملاحظة والتجربة، وقد سهَّلت للإنسان الاستفادة من العلم عن طريق التكنولوجيا الهائلة الَّتي شهدها عصرنا، وبذلك اختصرت الزمن، وطوت المسافات، وقربت بين أطراف العالم، حتَّى أصبح العالم الكبير كأنَّه قرية واحدة.

واستطاعت هذه الحضارة أن توفِّر المجهود البدني للإنسان عن طريق الآلة، ثمَّ في رحلتها الثانية استطاعت أن توفِّر مجهوده الذهني عن طريق هذا الجهاز العجيب «الكومبيوتر».

---

(١) البيت لجرير. انظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب (٣٣٢/١)، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، نشر دار المعارف، القاهرة، ط١.

QaradawiBooks.com

ولكن هذه الحضارة ينقصها جانب مهم، لم تلتفت كثيرًا إليه، وهو الجانب الربَّاني أو الروحي في حياة الإنسان، إنَّها عُنيت بالجانب المادي، وأغفلت جانب الروح، وبهذا عمرت الأرض، وخربت الإنسان، هيَّأت له وسائل الرفاهية والمتعة، ولم تهيئ له أسباب السكينة والطمأنينة؛ لأنَّ مصدر هذه هو الإيمان.

وهذا لا يعنيها لأنَّ أكبر همِّها محصور في تحسين الوسائل والأدوات، وليس في تحقيق المقاصد والغايات! ولهذا كانت حضارة مبتورة ناقصة بحكم نشأتها وظروفها التاريخيَّة، حيث كانت الكنيسة الغربيَّة الَّتي تمثل الدين هناك قد وقفت عائقًا في سبيل التقدُّم والتحرر والإبداع.

وقفت مع الجهل ضد العلم، ومع الجمود ضد التطور، ومع العبوديَّة ضد التحرر، ومع الملوك ضد الشعوب؛ فثارت عليها الجماهير قائلة: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس!

ومن هنا كانت هذه الحضارة جديرة أن توصَف بأنها ليست حضارة المسيح ابن مريم، وإنَّما هي حضارة المسيح الدجَّال، فهو أعور، وهي حضارة عوراء.

على معنى أنَّها تنظر إلى الحياة والإنسان والكون من ناحية واحدة، وهي الناحية المادِّيَّة، وتنسى أن للكون إلهًا، وأنَّ للإنسان روحًا، وأنَّ للحياة غاية هي الإعداد لحياة أخرى هي خير وأبقى، وليس معنى مثل هذا الكلام أن هذا هو التفسير المراد من «المسيح الدجال»، الَّذي ورد في الأحاديث النبويَّة الصحيحة وحذر منه النبي ﷺ، وإنَّما هو من باب التفسير «الإشاري»، والَّذي يذكره بعض علماء التفسير، وهو غير التفسير الحقيقي المبيِّن للمراد بالنص.

QaradawiBooks.com

فمن المعلوم الَّذي لا يخفى على دارس للحديث أن «الدجال» الَّذي وردت به النصوص إنَّما هو شخص من البشر، يخرج على النَّاس مدَّعيًا الألوهية، ويملك من أساليب التأثير ما يمكنه من إضلال بعض النَّاس، وفتنتهم عن دينهم، ولكن المؤمنين قد عرفوه قبل أن يوجد، فلا تزيدهم خوارقه وألاعيبه إلَّا إيمانًا مع إيمانهم، ويقينًا بحقهم، ولو نالوا في سبيل ذلك الشهادة.

وليس من المنطق العلمي في شيء أن نرد الأحاديث الَّتي استفاضت وثبتت صحتها وتلقتها الأمة في سائر عصورها بالقبول، كما لا يجوز لنا أن نؤَوِّلها تأويلًا يبطل معناها، ويخرجها عن ظاهرها المتبادر للفهم بلا حجة. كما هو شأن الباطنية الَّذين أهدروا رسالة اللغة حين فسروا ألفاظها بحسب أهوائهم ومعتقداتهم الخاصة لا بحسب دلالتها الوضعيَّة، فأفسدوا بذلك اللغة والدين جميعًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حديث عن الدعوة والدُّعاة[1]

المحاور: سألت الشيخ يوسف القرضاوي ونحن بصدد هذا الحوار: من أين نبدأ؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نبدأ من القرية، فأنا ابن الريف، وابن الأزهر، وابن القرآن، أنا ابن تلك الأسرة القروية البسيطة الَّتي تصحو على الأذان وتنام على كلمات الله، ولا يعرف أبناؤها طريقًا إلى التعليم في غير الأزهر الشريف.

وما أعذب كلمات الشيخ بعد ذلك، وهو يتحدَّث عن رحلته وتعليمه ومسيرة أيامه مع كتاب الله، ولكنَّه وهو يبدأ في الحديث عن نقطة التحول في حياته حين قدِّر له أن يلتقي بدعوة الشيخ حسن البنَّا، فيتحوَّل بها ومعها من التديُّن الفردي إلى الدعوة العامَّة، يختلج صوته وترف الكلمات على شفتيه وكأنها تخرج من قلبه ويسترسل في حديث عذب فيه من الصدق بقدر ما فيه من العمق والإلهام.

وهنا ـ حين بدأ الشيخ يتحدث عن الدعوة والدُّعاة ـ كان لا بدَّ أن يبدأ هذا الحوار.

---

(١) مجلة المسلمون، بتاريخ ٦ رجب ١٤١٢هـ ـ ١٠ يناير ١٩٩٢م، وأجرى الحوار الأستاذ خلف السليمان في البحرين.

QaradawiBooks.com

ولكن الشيخ يوسف القرضاوي تحرج كثيرًا، وهو يتحدث عن جهوده في ميدان الدعوة، وقال: إنَّ الحديث عن النفس شيء ثقيل، فالله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. وظنّي أن أعظمنا جهدًا لم يقدم لدينه شيئًا يذكر قياسًا إلى ما قدمه وقام به أئمتنا وعلماؤنا السابقون، لقد شرَّفنا الله بالإسلام، وحقيق بنا أن نكون على مستوى هذا الشرف الرفيع، فهل قدمنا نحن للإسلام ما ينبغي أن نقدمه؟ هل فعلنا من أجل ديننا هذا ما فعله ويفعله الآخرون لأديانهم؟

المحاور: أنت تنكر نفسك يا شيخ، فأنت تعيش في ساحة الدعوة منذ خمسين سنة، وقد أثريت المكتبة العربيَّة بشيء غير قليل من الكتب الأمهات.

فضيلة الشيخ القرضاوي: بل هذا جهد المقل، فبرغم كل ما قدَّمته من كتب إلَّا أن لدي منها عددًا لم يكتمل، وبعضها بدأت الكتابة فيه قبل عشرين سنة ولم أكمله إلى الآن، ولدي مشروعات متعددة لأكثر من كتاب ولكن وقتي وطاقتي لا يسعفاني لإنجازها.

المحاور: إنَّ كتبك الموجودة تلقى رواجًا كبيرًا، وتسد جانبًا هامًّا في المكتبة الإسلاميَّة فكيف تراها؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذا من فضل الله تعالى وتوفيقه فله وحده الشكر، أمَّا الفضل الأكبر ففي انتشار هذه الكتب وإعادة طبعها مرَّات متعددة إلى حدٍّ أن كتابًا مثل «الحلال والحرام» طبع أكثر من أربعين مرَّة، وقال البعض عن كتاب «فقه الزكاة» إنَّه كتاب القرن في الفقه الإسلامي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المحاور: لقد تنوعت هذه الكتب ما بين التفسير والحديث إلى الفقه والأصول والدعوة والفكر الإسلامي، ولكنِّي قد أذكر هنا كتاب «ثقافة الداعية» لأنَّنا أحوج ما نكون إلى هذه الكتب المتَّزنة الَّتي تتحدث عن الدعوة والدُّعاة، فكيف ترى أبعاد هذه القضيَّة من خلال واقع الصحوة الإسلاميَّة اليوم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: يحتاج الداعية إلى عدد من الصفات حتَّى يستطيع أن يقوم بالدعوة إلى الله ﷻ بطريقة تؤدي إلى بلوغ الهدف، ولكن، ما هو الهدف من الدعوة؟

الهدف هو هداية البشر إلى الإسلام وإخراجهم من الظلمات إلى النور، والأخذ بأيدي النَّاس إلى الله ﷻ لحشدهم في ساحة الإسلام الصحيح حتَّى يرتبطوا بهذا الدين الحق علمًا وعملًا وخُلُقًا وفكرًا وسلوكًا، ذلك ما نريده على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والأمة كلها، وتلك مُهِمَّة جليلة لا بدَّ أن يستشعر الداعية خطورتها وأهميتها معًا، ممَّا يستوجب التهيؤ لها بكل الأسلحة الشرعيَّة والفِكْريَّة والخلقية جميعًا.

المحاور: تلك مواصفات صعبة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم، إنَّها في صعوبة المُهِمَّة الكبرى نفسها، إذ إنَّ الداعية لا بدَّ أن يتمتع بميراث النبوة أو بشيء منه ابتداء من الرحمة بالصغير والتقدير للكبير وانتهاء بالاستعداد للإجابة عن كل سؤال من الناس: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

QaradawiBooks.com

شباب الدعوة:

المحاور: هل يتمتع شباب الدعوة أو شباب الصحوة بهذا الميراث العظيم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: على شباب الدعوة مراجعة أنفسهم وعليهم أن يتواضعوا قليلًا، وأن يستفيدوا ممَّن قبلهم من الصحابة والعلماء، عليهم ألا يستعلوا على أحد وألا يزكوا أنفسهم، وبحسب الإنسان من الشر أن يحقر أخاه المسلم، وأن يسيء الظن بالآخرين. إنَّ الاجتهادات تختلف، والساحة تتسع للجميع، ومن اجتهد في أمر وبذل وسعه فيه فهو دائر بين الأجر والأجرين.

المحاور: ولكن شباب الصحوة أو شباب الدعوة هؤلاء يواجهون بمعوقات كثيرة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم، إنَّ المعوِّقات أكثر من أن تُحصى، وهي معوقات خارجيَّة وداخليَّة أيضًا.

المحاور: ما هي المعوقات الخارجيَّة كما تراها؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هناك مخططات تتآمر على الإسلام، ومن أهمها وأظهرها المخططات اليَهوديَّة والصَّلِيبيَّة والشُّيوعيَّة والإلحادية والماسونية والعِلمانيَّة. وقد أسفرت هذه المخطَّطات كلها عن نفسها بشكل فاضح مع بروز الصحوة الإسلاميَّة في السنوات العشرين الأخيرة، وهدفها واضح بالطبع، وهو إجهاض هذه الصحوة وتعويق مسيرتها وتخويف أولي الأمر منها.

المحاور: وكيف يمكن مواجهة هذه المؤامرة الخارجيَّة الشاملة؟

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

فضيلة الشـــيخ القرضـــاوي: بالتصدي لها، ولكن مـــن خلال عمليَّة عقلانيَّة شاملة حتَّى يفهم الجميع حقيقة هذه الصحوة. وفي هذا الإطار فأنا أدعو دائمًا إلى الحوار مع غير المسلمين على مستويات متعددة:

أولًا: على المســـتوى الديني مع رجال الأديـــان الآخرين لنُبيِّن لهم حقيقة الإسلام، وأنَّ بيننا وبينهم مجالًا مشتركًا يمكن أن نعمل فيه معًا، ضد الإلحاد والانحلال.

ثانيًا: على المســـتوى الفكري مع المستشرقين والمفكّرين الأجانب لأنَّهم أقدر على الحوار العقلي.

وثالثًا: على المستوى السياسي مع مَن يصنعون القرار في الغرب.

والهدف مـــن هذا الحوار المتصل مع هـــذه الحلقات الثلاث هو أن نبيِّن لخصوم الإســـلام حقيقة هـــذا الدين القيم، وأن نـــرد على أباطيل المبطلين وأكاذيب المفترين؛ لأن كثيرًا ممَّا يُنسب إلى الإسلام ليس من الإسلام في شـــيء، فهم يريدون أن يأخذوا من أحوال المسلمين ـ الَّذي يجهلون الإســـلام ـ حجَّة على الإسلام نفســـه، وهنا ينبغي أن نقول: إنَّ المسلم ليس حجة على الإسلام، ولكن الإسلام حجة على المسلمين.

المعوقات الداخليَّة:

المحاور: هذا عن معوقات الدعوة مـــن الخارج، فماذا عن معوقاتها الداخليَّة؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: إنَّ هذه المعوقات الداخليَّة ليســـت أقل خطرًا من المعوقات الخارجيَّة، وإن كان بعضها أثرًا من آثارها، ومن أهم هذه المعوقات: عقـــوق بعض الحكام وعملهم ضد الدعوة الإســـلاميَّة.

QaradawiBooks.com

فمن هؤلاء الحكام مَن لم يتربَّ على الإسلام، ومنهم من نشأ في أحضان الشُّيوعيَّة والصَّلِيبيَّة، وهؤلاء يكرهون الإسلام أو يعادونه؛ لأنَّهم لا يعرفون عنه شيئًا، ومن جهل شيئًا عاداه.

ومن الحكام من لا يكرهون الإسلام ولكنَّهم يخافونه، وبعد هذا ـ أو قبله ـ فإن علينا أن ننظر في أنفسنا، ونقوم بما يسمَّى بالنقد الذاتي؛ لأن فينا أخطاء، ونحن لسنا ملائكة مطهَّرين ولا أنبياء معصومين، نحن بشر نجتهد في خدمة الإسلام، ولكنَّنا قد نخطئ، ولا بدَّ من أن نقوِّم أنفسنا من داخلنا.

المحاور: قد تكون المشكلة بحق هي هؤلاء الحكام الَّذين لم يتربوا على الإسلام، ممَّا يوجِد بينهم وبين العلماء صراعًا على نحو مَّا، فكيف ترى هذه العلاقة بين العلماء والحكام؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الصراع بين العلماء والحكام في بعض البلدان ليس صراعًا مفتعلًا، ولكنَّه حقيقة واقعة، خصوصًا مع هؤلاء الحكام الَّذين يضمرون العداء لا للعلماء فقط، بل للإسلام نفسه، ومثل هؤلاء الحكام اللادينيين قد يسمحون للشيوعيين والكفَرة بكل شيء، ولا يسمحون للمسلمين بأي شيء، فكيف يمكن أن تكون العلاقة مع هؤلاء.

ولكن هناك نوعًا آخر من الحكام الَّذين يعرفون حقَّ الله في شعوبهم، وهؤلاء لا بدَّ أن تقوم بينهم وبين العلماء جسور من الودّ والتفاهم والثقة، بحيث يشعر الحاكم أنَّه في حاجة إلى نُصح العالِم، ويشعر العالِم بأنَّ اقترابه من الحاكم فيه منفعة لدين الله، لا بدَّ للعلاقة من شكل يحفظ للعلماء كرامتهم بحيث لا يُنظر إليهم على أنَّهم من المتهافتين على

QaradawiBooks.com

أبواب السلاطين أو المنافقين لهم، وقديمًا قالوا: «خير الأمراء مَن يزور العلماء، وشر العلماء من يزور الأمراء».

المحاور: ولكن ما أندر هؤلاء الحكام الَّذين يعرفون للعلماء أقدارهم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: المفترض أن تكون هناك علاقة طيبة بين العلماء وولاة الأمر، ومصدر هذا التقدير يأتي من أنَّ الأصل في الإسلام أن يكون الحاكم عالمًا، فقد كانوا يشترطون قديمًا في الإمام والخليفة والقاضي أن يكون مجتهدًا وليس مجرد عالم فقط.

وهكذا كان الخلفاء الراشدون كلهم من الأئمَّة المجتهدين، وفي مرحلة تالية قيل: إنَّه يجوز ألا يكون ولي الأمر مجتهدًا، بل ممَّن يستعين بالمجتهدين.

والمعنى هو أنَّه يجب على الحاكم أن يتودَّد لأهل العلم ويقرِّبهم إليه ويزورهم في بيوتهم، ويطلب منهم النصح ويسمع لمواعظهم ويستشيرهم في أموره، وهذا كله من دلائل قوَّة الحاكم وصلاحه واستقامته وفضله، ولكن الَّذي يحدث الآن ـ لأسباب ليس الآن مجال الخوض فيها ـ أنَّ العلماء أصبحوا في جانب، والحكام في جانب آخر، وليس ثمَّة وسيلة للتواصل بينهما، الأمر الَّذي يفضي إلى كثير من التناقض وسوء الفهم.

ومن هنا، فلا بدَّ من أن تكون هناك وسيلة للحوار، ويتحقق هذا بمبادرة من الحكام أنفسهم؛ لأنَّ العالم لا ينبغي له أن يسعى إلى الحاكم إلَّا ناصحًا، والمناصحة هنا ليس معناها التشهير والمداهنة، بل إبلاغ كلمة الحق بالحكمة لا بالضعف، وبالطريقة الَّتي تؤثر في النفس أبلغ

QaradawiBooks.com

التأثير، يقول رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**»[١]، ويقول: «**إنَّ الله يرضى لكم ثلاثًا** ـ ومن هذه الثلاث ـ: **أن تناصحوا من ولاه الله أموركم**»[٢].

المحاور: هذا حديث طويل عن هموم الدعوة والدُّعاة، فإلى أين ينتهي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لعلَّه ينتهي إلى الخير إن شاء الله بإعلاء كلمته في الأرض.

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) سبق تخريجه صـ٣٢٣.

(٢) رواه أحمد (٨٧٩٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن حبان في الزكاة (٣٣٨٨)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الجزائر واختيار الإسلام[1]

المحاور: بعد فوز جبهة الإنقاذ الإسلاميَّة في الجزائر بأغلبية ساحقة في الجولة الأولى للانتخابات البرلمانية في الجزائر، كثرت التكهنات وتعالت الأصوات وعمَّ اللغط في الأوساط الإعلامية والسياسيَّة والدوائر المهتمة، في شبه حملة مسعورة على الإسلام والمسلمين في الجزائر، قد يكون لها ما يبررها عند الصليبيِّين واليهود والمشركين ومن والاهم، فهؤلاء أعداء لكل ما هو إسلامي، ولكن ليس من مبرر لها عند العرب والمسلمين الَّذين صوَّروا فوز الإسلاميِّين، وكأنَّه ظلام يأتي من المغرب العربي، وأخذوا في عرض تفاصيل الصورة الظلماء بين تشدد ورجعية ودكتاتورية، وغير ذلك ممَّا ينبغي ألا يُنسب للإسلام وأهله، بل الواجب أن يُنسب لكل من يتربَّص بالإسلام والمسلمين الدوائر.

ولأنَّ هذه الاتهامات والشكوك لا محل لها في الإسلام وأهله العاملين له، ولأن فوز الإسلاميِّين في الجزائر نقطة تسجل للإسلام الَّذي ضيَّع أبناؤه كل النقاط، فقد عرضنا الأمر برمته على فضيلة الداعية الكبير الدكتور يوسف القرضاوي، الَّذي انطلق من «صفط

(١) أجرى هذا اللقاء الأستاذ محمود عوض، المحرر بجريدة العرب القطرية في ٩ يناير ١٩٩١م، قبل استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد، ونشر في جريدة العرب بتاريخ ١٤ يناير.

QaradawiBooks.com

تراب» القرية الَّتي ضمَّ ثراها رفـات آخر صحابي مات في مصر، وهو الصحابي الجليل عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ليجوب بقاع الدُّنْيا حاملًا رسـالة الدعـوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ حتَّى أصبـح عَلَمًا من أعلامها ورمزًا من رموزها في قرننا الحالي، ليجلي ما عز على الأفهام من الوقائع، وليبين بوافر خبرته وقرب عهده بالشعب الجزائري ما دق من العبر والأحداث.

فضيلة الشيخ القرضاوي: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(وبعد)

فإنَّ المرء ليعجب من هذه الحملة المسـعورة ضد الجزائر وشعبها بعد ظهور نتائج الانتخابات فـي الجولة الأولى في الجزائر الشـقيقة، والَّتي أسفرت عن نجاح الجبهة الإسلاميَّة للإنقاذ نجاحًا ساحقًا، وبفارق شاسع وجد شاسـع بينها وبين القوى الأخرى حتَّى جبهة التحرير الَّتي هي الحزب الحاكم، والَّتـي أجرت الانتخابات عـن طريق حكومتها، فالحكومـة الجزائريـة الَّتـي تمثـل جبهة التحريـر هي الَّتـي أجرت الانتخابات، ولا يسعنا هنا إلَّا أن نشـيد بهذه الانتخابات الحرة، ونحن في بلادنا العربيَّة نشـكو إلى الله تعالى ونشكو إلى الضمير العالمي من تزوير الانتخابات، سئمنا التسـعات الأربع (٩٩,٩٩) وإذا تواضع أحدهم جعلها (٩٩,٩٨) فهذا دلَّ على نزاهة كبيرة!

ولذلك حينما تقوم انتخابات بهذه الصورة الَّتي يُترك للشعب فيها أن يُعبر عن نفسـه بحرية وبلا ضغـط ولا إكراه ولا محـاولات للتزييف، فلا يسع الإنسـان إلَّا أن يُكْبر هذا ويُكْبر الرجل الَّذي خطا هذه الخطوة

QaradawiBooks.com

بشجاعة، وهو الرئيس الشـــاذلي بن جديد، وهذا واقع يجب أن نعترف به، ومن لا يشكر النَّاس لا يشكر الله.

حقيقة ذهبنا إليه مع فضيلة الشـــيخ الغزالي بعد سماحه بالتعدد في الجزائر، وبعد احتكار للحكم دام مدَّة طويلة، احتكرته الاشتراكيَّة الثورية الماركسيَّة، شـــكرناه على هذا الموقف بالســـماح بقيام حزب إسلامي علني، حيث لم يُسمح بذلك في البلاد الإسلاميَّة العربيَّة بالذات الأخرى للأسف الشديد، أمَّا هذه النتيجة فلا ينبغي أن يكون فيها استغراب.

نحن نقول في العلم الإسلامي حســـب ما قرره علماؤنا: إنَّ ما جاء على الأصل لا يُسأل عنه، إنَّما يُسأل عن علة ما جاء خلاف الأصل، فهل رجوع النَّاس إلى الإسلام شيء يُستغرب؟ وخصوصًا بعد عصر الصحوة الإســـلاميَّة؟ ليس هذا بغريب. إنَّمـــا يكون غريبًا لو تـــم هذا في عصر التغريب والفرنسة حيث عاشت الجزائر (١٣٠) سنة تحت وطأة استعمار اســـتيطاني لا يكتفي بمجـــرد الحكـــم، ولا يكتفي باحتـــلال الأرض ولا يكتفي بانتهاب الخيرات، ولكنَّه يريد أن يلغي هُوية الشعب، ولهذا حارب الإسلام والعربيَّة معًا حتَّى لا يبقى دين ولا تبقى لغة، الدين الَّذي هو أصل الشعب وأساس انتمائه، واللغة هي وعاء الإسلام ولسانه، وعاء حضارته ولسان ثقافته.

ولكن ذهب هذا كله هباء وجفاء وبقي ما ينفع النَّاس، بقي الإسلام بفضـــل الله تعالى، ثمَّ بفضـــل أولئك العلمـــاء المجدِّديـــن المجاهدين المرابطين الَّذين أصرُّوا أن يعيدوا الشعب إلى أصالته، بواسطة المدارس الإســـلاميَّة المختلفة الَّتي لقنوا فيها الشـــعب ما عبر عنه نشـــيد الشيخ عبد الحميد بن باديس:

QaradawiBooks.com

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال: حاد عنَ اصْلِهِ أو قال: مات. فقد كذب[1]

وبدأ الإسلام يجري في عروق النَّاس بقوة، وبدأت العربيَّة تُتَعلم، وكان هذا نواة الجهاد ونواة التحرير فيما بعد.

صحيح أنَّ الإسلام زرع والعِلمانيَّة حصدت، وهذا أمر جربناه كثيرًا في بلاد شتَّى، فالإسلام هو الَّذي يُحرِّك، وهو الَّذي يدفع الشعوب لتبذل من دمها، وتضع رأسها على أكفها وتعطي في سبيل الله حتَّى تتحرَّر، فإذا تحرَّرت كان هناك اللصوص المدربون على سرقة ثمار الثورات والحركات التحررية ليقطفوا هم الثمرة يانعة لم يتعبوا فيها ولم يكد لهم فيها يمين، ولم يعرق لهم فيها جبين، ولكن ما إن أتيحت الفرصة للشعب الجزائري ليعبر عن نفسه، وليتنفس الصعداء بعد زوال حكم بومدين، حتَّى بدأت هذه الصحوة الإسلاميَّة في البروز والظهور والانتشار حتَّى امتلأت بها المساجد والجامعات والمعاهد والمدارس.

وامتلأ بهذا الشباب المؤمن المستقيم على منهج الله ﷻ، الغيور على دين الله، هذا الشباب الَّذي أريد له أن يُفَرْنَس يومًا ما، عاد إلى الإسلام بقوة، كأنَّما يثأر لنفسه من هذا الزمن الَّذي مضى، وجُرِّد فيه من دينه وثقافته وحضارته، وأريد له أن ينسلخ من ذاتيَّته وشخصيَّته التاريخيَّة، كأنَّما يريد أن يثأر من هذا الماضي.

عاد الشباب بقوة وعادت الفتيات بقوة إلى الإسلام، وظهر الحجاب في الشوارع والطرقات والمدارس والكُلِّيَّات، وهذه حركة نسائية طوعية

(١) انظر: آثار ابن باديس (٣٣٤/٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

اختيارية لم يُكره فيها أب ابنته على هذا الالتزام، ولا زوج زوجته، وإنَّما هي حاجة من بنات الإسلام للعودة إلى الإسلام.

وحينما ذهب عشرات العلمانيات والمتحللات من النساء يطالبن بإلغاء الشريعة الإسلاميَّة من الأحوال الشخصيَّة، قوبل تحركهن بمسيرة مليونية، حوالي مليون من النساء المسلمات والفتيات المسلمات يطالبن بتحكيم الشريعة الإسلاميَّة.

كان هذا كله دليلًا على تحول حقيقي وتغير جذري في الشعب الجزائري، تغيرت عقليته، وتغيرت نفسيته، وهذا التغير كان تغير عودة إلى الأصل، عاد إلى الجذور، فلا عجب أن يظهر أثر هذا التغيُّر وتظهر آثار هذه الصحوة الَّتي رأيت بعض ثمارها في المحاضرات الَّتي كان يحضرها عشرات الآلاف، وأحيانًا تبلغ المئات.

كنت أذهب إلى بعض المساجد، فأجد الميادين والطرقات الموصلة إلى المسجد قد امتلأت، وعطلت المواصلات.

فهذا في حد ذاته استفتاء، وليس الانتخاب وحده هو المعَبِّر عن رأي الشعب، المسيرات الَّتي سارت للاحتجاج على أمور معينة منذ ظهرت الحرية ونمت هذه الصحوة، ودلَّت على اتِّجاه الشعب، ماذا يريد!

فلما كانت انتخابات البلدية قبل ذلك ظهر فوز التيار الإسلامي المتمثل في جبهة الإنقاذ في ذلك الوقت، وهو الَّذي لفت الأنظار إلى قوَّة هذا التيار في الشعب الجزائري، ثمَّ لما جاءت هذه الانتخابات ظهر ذلك بوضوح، وبدا ماذا يريد الشعب الجزائري.

QaradawiBooks.com

أنا أقــول: إنَّ الشــعب الجزائري لم ينتخــب جبهة الإنقــاذ لذاتها ولا لأشــخاص القائمين عليها، فالحقيقة هذا اختيار للإســلام ولمنهج الإسلام، وجبهة الإنقاذ كل ما فعلته أنَّها وجدت فراغًا فملأته.

كان هناك فراغ لا بدَّ أن يملأ، لقد سئم النَّاس هذه الحلول المستوردة الَّتي جنــت على الأمة ما جنت، هــذه المذاهب والأنظمــة القادمة من الغرب ومن الشرق، سئم هذه الأنظمة الَّتي جرَّت عليه الخراب والبطالة والانحلال والتبعيَّة والمشكلات الَّتي تتفاقم يومًا بعد يوم، ومضى الزمن لا يعالجها بل يعقدها، الشعب يريد أن يتحرر من هذا، ويريد أن يتخلص من الحكم القديم ومخلفاته كلها، فلم يطعــم على يديه من جوع، ولم يأمن من خوف، ولم يسعد من شقاء، ولم يقو من ضعف، فكان لا بدَّ أن يتغير هذا كله. يريد التحرر من هذا الماضي الَّذي جاء بعد التحرير، ولم يربح شيئًا من ورائه لا لدينه ولا لدنياه، ويريد أن يكون هذا التغيير على أساس من الإسلام الَّذي رجع إليه، فجبهة الإنقاذ ملأت هذا الفراغ.

كان النَّــاس يريدون أن يتخلصــوا من هذا الشــيء الظالم المظلم، ويريدون أن يتخلصوا بالإســلام، أن يكون المخلِّص هو الإسلام، وأن تكون الرجعة إلى الإسلام، فملأت هذا الفراغ.

فالناس حينما اختاروا جبهة الإنقاذ لم يختاروا عبَّاس مدني ولا على بلحاج ولا عبد القادر حشاني لذواتهم، وإنَّما اختاروا الإسلام، الحزب الَّذي يمثِّل الإسلام في نظرهم، فهذا اختيار لاتجاه، اختيار لمنهج جديد.

ولهذا يجب أن تُحترم إرادة الشــعب الجزائري، فالشــعب أراد هذا بأغلبيته الســاحقة، فلماذا يريد بعض النَّاس أن يتدخَّلــوا في إرادة هذا الشعب، وأن يجبروه على غير ما يريد.

QaradawiBooks.com

والعجب كل العجب أن يأتي هذا ممَّن يزعمون أنَّهم يتكلمون باسم الديمقراطية، سواء في العالم الغربي أم في العالم العربي. الَّذين يدْعون إلى الديمقراطية ويتغنون بها هم أنفسهم الَّذين يريدون أن يلغوا ثمرة انتخابات جاءت في ظل الديمقراطية.

إذا جاءت الديمقراطية ـ حتَّى ولو كانت مزيَّفة ـ بالعِلمانيِّين أو بالشيوعيين أو بأهل اليسار أو بأهل اليمين كانت مقبولة؟ وإذا جاءت بالإسلاميِّين أصبحت مرفوضة؟ أي منطق هذا؟! هل هذا منطق؟!

يريدون أن تكون الديمقراطية لصالحهم فإذا جاءت في غير صالحهم رُفضت.

ورأينا هذه الاستعداءات من هنا وهناك، الَّتي تُحرِّض الجيش الجزائري على أن يتدخَّل بالقوَّة المسلحة وبالعنف الدموي، لإلغاء ما جاء عن طريق انتخاب حر قامت به الحكومة نفسها، الَّتي يمثلها هذا الجيش نفسه.

معنى هذا أنَّ هؤلاء يريدون أن يوقعوا الشعب الجزائري بعضه ببعض، يريدون لهذا الشعب أن تصطدم فيه القوات المسلحة بقوة الشعب، ولو حدث هذا فلن يقبل الشعب الجزائري هذه النتيجة، وقد حدث من قبل أن خرج الشعب إلى الشوارع سنة ١٩٨٨م، واصطدم بالقوات المسلحة وجرت الدماء أنهارًا، وهذا قبل أن تظهر النتيجة الرسميَّة في ظل الديمقراطية لانتخابات حرة ديمقراطية.

لا يتوقع في مثل هذه الحالة إلَّا أن يغلي البلد غليانًا وأن ينفجر، فإن الضغط يولد الانفجار، ومثل هذا الانفجار لا يعلم عواقبه إلَّا الله، فالذين يريدون هذا لا يرعون مصالح الشعب الجزائري ولا يريدون به خيرًا،

QaradawiBooks.com

يريدون أن تقوم حرب أهليَّة بين النَّاس بعضهم وبعض، وبين الجيش الَّذي من المفترض فيه أن يكون حاميًا للشـــعب، يصبح هو مقاتل الشعب وهو الَّذي يُطلق النار على الشعب، على أهله وعلى إخوانه، وعلى بناته وأبنائه.

ولهذا فأنا أظن أنَّ الجيـــش الجزائري ـ بما نعرفه عـــن أبنائه الَّذين جاهدوا وقاتلوا وبذلوا وضحُّوا ـ لا يقبل هذا، ولن يستمع إلى الإغراءات ولا التحريضات الَّتي تأتي من كل مكان لهم أن يوقفوا الزحف الإسلامي والمد الإسلامي، ولو تدخَّل الجيش فلن تكون إلَّا كارثة.

قد يقبل النَّاس أو يســتكينوا مدَّة من الزمن، ولكن هذا لا يســتمر ولا يمكن أن يستمر.

ولهذا ننصح القوات المسلحة في الجزائر أن يكونوا عند حُسن الظن بهم وألا يكونوا أعداء لشعوبهم، ولأمتهم ولوطنهم، ولا يستجيبوا لهذه الوساوس الشـــيطانية الَّتي تأتيهم من هنا وهناك، وأن يكونوا أكثر عقلًا وحكمة وشجاعة من الاستجابة لهذه المكايد، الَّتي لا يراد من ورائها إلَّا الشر كل الشر للشعب الجزائري.

ونعجب حقيقة لأناس في بلاد العرب يكيلـــون التهم لجبهة الإنقاذ في حين يرحبون بجبهة القوى الاشتراكيَّة الَّتي يرأسها حسين آيت أحمد، ويتحدثون عن المسيرة الَّتي ســـيَّرها ومعه دُعاة العنصريَّة للمطالبة بمنع الإسلام أن يكون له رأي وتوجيه وحكم لسياسة البلد، هذه جبهة تعمل لحساب الغرب، ولحساب الثقافة الفرنسية والحضارة الغربيَّة.

والآن سيَّرت مظاهرة ضد الإســـلام، والعام الماضي سيَّرت مظاهرة ضد التعريـــب، ضد اللغـــة العربيَّة، تريـــد ألا تكون العربيَّـــة هي اللغة الســـائدة، وأنا أعرف أنَّ الكثيرين من البربر في الحقيقة هم مســـلمون

QaradawiBooks.com

صادقون يعتبرون الإسلام أساس هُويتهم، وأنَّ العربيَّة لغة دينهم وثقافتهم، وكثير منهم يتكلمون العربيَّة كأحسن ما يتكلم بها العرب الخلَّص، ومنهم الخطباء والأدباء والشعراء، ويرفضون هذا الاتجاه.

فنعجب للذين يدَّعون العروبة ويؤيدون هؤلاء الَّذين يدْعون إلى عنصريَّة تعادي العرب وتعادي الإسلام وتوالي فرنسا وتوالي الغرب وحده.

المحاور: تكثر هذه الأيام الاتهامات بالتشدد والرجعية والعودة إلى الوراء وغيرها ممَّا يريد مروجوها وصم الإسلام وجبهة الإنقاذ الإسلاميَّة بها؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذه الاتهامات سمعناها من قبل، والواقع أن جبهة الإنقاذ جبهة عريضة ليست حزبًا معينًا أو جماعة تقوم على تربية الأفراد على منهج معين، هي قاعدة جماهيرية عريضة ضمَّت جماعات مختلفة وضمَّت أناسًا غير منتسبين إلى أيِّ جماعة أو حزب، ففيها المتشدِّد وفيها المتساهل وفيها المتوسط وهذا شيء طبيعي، ولكن أنا أعتقد أنَّه بعد أن دخلت الجبهة المعترك السياسي وخالطت الآخرين وحاورتهم أصبح لديها كثير من المرونة في معالجة الأشياء، لهذا بعض التصريحات الَّتي كانت تُسمع من بعض أفرادهم قديمًا بدؤوا يتجاوزونها وينأون عنها، وبدؤوا يراعون الوضع الإقليمي والوضع العام لبلدهم وأصبحوا يقولون: نعترف بالديمقراطية.

البعض يقولون: إنَّهم حينما يصلون إلى الحكم لن يسمحوا بالديمقراطية، سيلغون التعدد وسيكتمون الأنفاس، سيحجرون على الحريات. وهذا تَقوُّل عليهم دون وجه حق، والعقلاء من قادة الجبهة

QaradawiBooks.com

ـ ومنهم حشاني الَّذي يتكلم باسم الجبهة حاليًا ـ ينكر هذا ويقول: سنحترم الديمقراطية وسيظل الخيار الديمقراطي ساريًا، وهذا ما نأمله منهم.

وآمل من الإخوة في جبهة الإنقاذ أن يبادروا ويعلنوا للناس أنَّ الديمقراطية الَّتي وصلوا بها إلى هذا الوضع يحترمونها ولا يحيدون عنها، وأن يعلنوا كل ما يطمئن النَّاس على حقوقهم وحرياتهم وأنَّهم لن يكونوا ضد القوى الأخرى الَّتي لم تعطهم أصواتها، حتَّى دُعاة العنصريَّة هؤلاء.

ومما يسرني في هذا أنَّ بعض القادة الفرنسيين قالوا: يمكننا أن نتعامل مع جبهة الإنقاذ الإسلاميَّة كما نتعامل مع غيرها.

أريد أن أضيف إلى مناشدتي للجيش: مناشدتي للرئيس الشاذلي بن جديد الَّذي سمح بالتعددية، والَّذي يُعتبر صمَّام أمان في هذه الفترة بحكمته ونفوذه، أن يمنع نشوب حرب أهليَّة تأكل الأخضر واليابس ولا يخسر فيها إلَّا الشعب الجزائري، نحن نأمل إن شاء الله أن يكون يوم الجزائر خيرًا من أمسه، وأن يكون غدها خيرًا من يومها، ونسأل الله أن يُعينهم إن شاء الله على غد أفضل.

المحاور: بماذا تنصحون الإخوة في جبهة الإنقاذ الإسلاميَّة بالجزائر؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نصيحتي للإخوة في جبهة الإنقاذ تتلخص في هذه الوصايا العشر:

١ ـ أن يتفاهموا مع كل الفصائل الإسلاميَّة وإن اختلفوا في بعض القضايا والتفصيلات، وليكن شعارهم: نتعاون فيما اتفقنا عليه ونتسامح فيما اختلفنا فيه.

QaradawiBooks.com

٢ ـ أن يستمعوا لكل نُصح يوجَّه إليهم، ولا يضيقوا ذرعًا، فليس هناك أحد أكبر من أن يُنصح (بضم الياء)، ولا أحد أصغر من أن يَنصح (بفتح الياء)، وقد كان عمر يقول: «رحم الله امرأً أهدى إليَّ عيوب نفسي»[(١)].

٣ ـ أن يستعينوا بكل الخبرات والكفاءات العربيَّة والإسلاميَّة في مجالات الفكر والتربية والسياسة والاقتصاد وغيرها، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه.

٤ ـ أن يفتحوا باب الحوار مع الأطراف المختلفة ـ وإن لم تكن إسلاميَّة ـ اتباعًا لأدب القرآن في جدال المخالفين بالتي هي أحسن.

٥ ـ أن يراعوا سُنَّة التدرج، فإنَّ الله خلق الدُّنْيا في ستة أيام، وفرض الفرائض، وحرَّم المحرَّمات على مراحل، ليعلموا أو يُعلِّموا الآخرين أن ما هُدم في قرن وثلث لا يُبنى في سنة أو سنتين!

٦ ـ أن يتذكَّروا أن للضرورات أحكامها، وأنَّ الضرورات تبيح المحظورات، وأنَّ هناك أعذارًا وظروفًا مخفِّفة للأفراد والجماعات، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

٧ ـ أن يوجِّهوا أكبر همهم إلى إيجاد حلول لمشكلات النَّاس، حتَّى يشتغل العاطل، ويطعم الجائع، ويأمن الخائف، وتزدهر الحياة، وتعمر الأرض.

٨ ـ أن يهتموا بالتربية والتوجيه، وبناء العقول والضمائر والأخلاق، قبل الاهتمام بإصدار القوانين والقرارات والجزاءات، فالقوانين وحدها لا تصنع المجتمعات.

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني صـ ٢١٧، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

٩ ـ أن يربُّوا الشعب ـ عن طريق الإعلام والدعوة والتعليم ـ على العمل لا الجدل، وعلى البناء لا الهدم، وعلى تقديم الجوهر على الشكل، والأصول على الفروع، والفرائض على النوافل، وغير ذلك ممَّا يقتضيه فقه الأولويَّات، ولا يدَعوا صوت الغوغاء يعلو على صوت الحكماء.

١٠ ـ أن يُغلِّبوا التيسير على التعسير، والتبشير على التنفير، والرفق على العنف، وأن يقودوا النَّاس إلى الله بزمام الحب، ولا يسوقوهم بسياط الخوف، وأن يظهروا الإسلام في صورة كريمة سمحة، للموافق والمخالف، ليكون كما أراده الله: «رحمة للعالمين».

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإسلام والغرب[1]

المحاور: الإسلام هو الإسلام، لكنَّ الغرب يحتوي الجغرافيا والسياسة والتاريخ والمصالح والثقافة، هل يمكن أن نبدأ الحوار حول «الحوار مع الغرب» بتحديدٍ لمفهوم الغرب أم نعتبره كلُّه غربًا واحدًا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا بدَّ أن نحدِّد ما هو الغرب الَّذي نريد أن نحاوره، فليس الغرب مجرَّد منطقة إقليميَّة، ولكن حينما نقول الغرب نقصد حضارة معيَّنة وثقافة مُعَيَّنة ذات مُقَوِّمات وخصائص، وقديمًا قال أحد الأدباء: الشَّرق شرقٌ والغرب غربٌ ولن يلتقيا[2]. ولكنَّ هذا الكلام قد يُقبل على عمومه، ولكنَّ هناك التفصيل: ما هو الشرق؟ وما هو الغرب؟ فليس الشرق شرقًا واحدًا، ولا الغرب غربًا واحدًا.

ولكن إذا نظرنا إلى الغرب باعتباره صاحب الثقافة المهيمنة الآن والحضارة السائدة بطابعها المادِّي والنفعي الَّذي لا يهتمُّ بالغيبيَّات، ولا يقيم لحاكميَّة الله تعالى وزنًا في الحياة، وكما قال ليبولد فايس ـ أو

(١) حوار أجراه في الدوحة د. حسن علي دبا، ونشر في مجلة المجتمع الكويتية.
(٢) هو الشاعر الإنجليزي كبلنج، وقد رد عليه أحمد زكي أبو شادي ردًّا مفحمًا، انظر: الأدب العربي المعاصر في مصر لشوقي ضيف صـ ١٥٠، نشر دار المعارف، ط ١٣.

QaradawiBooks.com

محمَّد أسد ـ: «إنَّ الحضارة الغربيَّة وإن كانت لا تجحد الله البتَّة، فليس لله مكان في نظامها الحالي»[1]، النظام الفكري والثقافي خاصَّة.

نحن حينما نحاور الغرب نعتقد أنَّه حوار مع الآخر، والحوار مع الآخر ليس معناه أن يكون الآخر هو أنت، وإلَّا لم يكن آخر! فلا بدَّ أن يكون المُقَدَّس عنده غير المقدَّس عندك، لا بدَّ من خلاف، ولا مانع أن يحاور الإنسان مُخَالِفه، بل نحن مأمورون بهذا كما أمرنا القرآن بأن نجادل أهل الكتاب بالَّتي هي أحسن: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

المُقَدَّس هنا وهناك:

المحاور: هل هناك مانع من أن يحاور الإسلام الغرب؟ هل يمكن أن يكون اختلاف المُقَدَّس عند الإسلام عن المُقَدَّس عند الغرب عائقًا في قيام مثل هذا الحوار؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نحن لا نمانع من مُنْطَلَق دِينِنا أن نحاور الآخرين مع اعتقادنا أنَّنا مختلفون في أشياء كثيرة، منها أنَّ المقدَّس عندنا غير المُقَدَّس عندهم، والمنطلقات عندنا غير المنطلقات عندهم، والأهداف عندنا غير الأهداف عندهم، والوسائل والمناهج عندنا غير الوسائل والمناهج عندهم، رغم هذا فنحن مأمورون أن نحاور هؤلاء ونجادلهم بالَّتي هي أحسن.

(١) انظر: الإسلام على مفترق الطرق صـ ٤١، ترجمة د. عمر فروخ، نشر دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

QaradawiBooks.com

من يقرأ القرآن الكريم في الحقيقة يجده كتاب حوار في الدرجة الأولى، الأنبياء حاوروا أقوامهم، حوارات سجَّلها القرآن، حوار نوح لقومه فقالوا: ﴿يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَالَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

حوار إبراهيم لأبيه وقومه كما قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: ٨٣].

حوار موسى مع فرعون حوار طويل سجَّلته سورة طه وسورة الشعراء وغيرهما من السور، بل أعجب من هذا حوار الله تعالى مع خلقه: تجد القرآن قد ذكر لنا أنَّ الله ﷻ حينما أراد أن يخلق آدم قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وأراد أن يثبت لهم هذا فعَمِلَ امتحان مسابقة بينهم وبين آدم، إلى آخر ما نعرف من قصَّة استخلاف آدم في سورة البقرة في القرآن.

بل أعجب من هذا حوار الله مع أعدى أعدائه إبليس: كيف أذن لإبليس أنْ يحاوره، قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ۞ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ۞ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۞ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۞ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ [ص: ٧٥ ـ ٨٠]، إلى آخر هذا الحوار الطويل بين إبليس وبين ربِّ العِزَّة ﷻ.

فهذا يدلُّنا على أنَّ للحوار مجالًا رحبًا ومكانًا واسعًا في الفكر الإسلامي وفي الساحة الإسلاميَّة، بدءًا من القرآن الكريم فالسُّنَّة النَّبويَّة، فالتراث الإسلامي كلُّه مليء بهذه الألوان من الحوارات المختلفة.

QaradawiBooks.com

الحوار مع الآخرين في السُّنَّة والتراث:

المحاور: هل يمكن أن نتعرَّف على صورة الحوار مع الآخرين في ضوء السُّنَّة النبويَّة الشريفة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: في السُّنَّة حوارات مختلفة مع النبيِّ ﷺ، فالَّذين كانوا يأتون إليه ويُسْلِمون ويسألونه: «**آلله أمرك بهذا**». كما في حديث ضِمَام بن ثَعْلَبة وحديثه[١]. بل رأينا سؤال جبريل يسأل النبيَّ ﷺ: ما الإسلام؟ وما الإيمان؟ وما الإحسان؟ وما الساعة؟ ـ وما المسؤول عنها بأعلم من السائل ـ والسؤال عن أمارتها، إلى آخره[٢]، هناك حوارات شتَّى.

وهناك من يأتي النبيَّ ﷺ يستأذنه في الزنى، فيقول له: «**أتحبُّ أن يزني أحد بأمِّكَ؟**». يقول له: لا. «**بأختك؟**». لا. «**بابنتك؟**». لا. «**بعمَّتكَ؟ بخالتك؟**». وفي كل مرَّة يقول له: لا. فيقول ﷺ: «**كذلك النَّاس لا يُحِبُّونه لأمَّهاتهم، ولا لبناتهم، ولا لعمَّاتهم**»[٣]. إلى هذا الحدِّ كان النبيُّ ﷺ يسمح بالحوار بينه وبين الآخرين. وينتهي بأن يخرجوا من عنده وهم راضو الأنفس، مطمئنِّي القلوب.

في التراث الإسلامي ملاح مُمَيِّزة للحوار بين المسلمين وغيرهم:

الحوار بين علماء المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى موجود في التراث، حوار الإمام الباقلَّاني مع بعض الملوك النصارى[٤]، وحواره مع

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٣)، ومسلم في الإيمان (١٢)، عن أنس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩، ١٠)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٢٢٢١١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والطبراني (١٦٢/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٤٣): رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. عن أبي أمامة الباهلي.

(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (٥٧/٧ ـ ٦٨)، نشر مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط١.

QaradawiBooks.com

الأحبار، ومع الرهبان. وهناك رسائل وكتب في التراث يمكن الرجوع إليها في مظانِّها.

اختلاف الموقف الحضاري:

المحاور: الموقف مختلف: ألا ترون أنَّ هناك فرقًا بين الوضع الحضاري الحالي والوضع الماضي، كان المسلمون قوَّة، وكانت لهم حضارة، أمَّا اليوم فهم الأضعف، كيف يكون الحوار؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: المسلمون في الماضي كانت لهم حضارة، وكانوا أصحاب الحضارة الأولى في العالم، وكانوا هم العالم الأوَّل، وهم الآن العالم الثالث، كما يقال، وربَّما يُنْسَب بعضهم إلى العالم الرابع لو كان هناك عالم رابع! ولكنَّ المسلمين أقوياء بثقافتهم، بأصول حضارتهم، برسالتهم العظيمة الَّتي أكرمهم الله تعالى بها، هم أقوياء برسالة الإسلام، يملكون ما لا يملك العالم كلُّه، يملكون الرسالة العامَّة الخالدة الَّتي تحمل كلمات الله الأخيرة للبشريَّة، لا يوجد دينٌ يملك وثيقة سماويَّة سالمة من التحريف والتبديل اللفظي والمعنوي إلَّا المسلمون، فهم وحدهم الَّذين يملكون القرآن، هذه هي الوثيقة السماويَّة الوحيدة المحفوظة بحفظ الله ﷻ الَّذي قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

الكتاب هو الكتاب المحفوظ، حتَّى إنَّ المسلمين يحفظونه كما كُتبَ في عهد سيِّدنا عثمان، فقد تغيَّرت طرق الرسم والإملاء، لكن لم يجرؤ المسلمون على أنْ يُغَيِّروا رسم المصحف: فالصلاة تكتب بطريقة معيَّنة «صلواة»، الربا «ربوا» هكذا، كما كُتِبَتْ في عهد عثمان. وكذلك يُقرأ هذا الكتاب كما كان يقرأ في عهد النبوَّة بغَنِّه، ومَدِّه، وحركاته، وسكناته،

QaradawiBooks.com

ولذلك فإنَّ هناك علم التجويد، وعلم مخـارج الحروف، علوم تحافظ على القرآن الكريم كلِّه صوتيًّا، كما حُوفظ عليه كتابيًّا، بحيث يُقرأ ويُتلى كما كان مكتوبًا.

لا توجد أُمَّة تملك كتابًا محفوظًا بهذه الطريقة إلَّا المسـلمون؛ لأنَّهم أصحاب الرسالة الخاتمة، الرسـالة الخالدة، فإذا كان المسلمون الآن في فترات ضعفٍ مـادِّيٍّ ففي الواقـع هم يملكون هـذه الرسـالة العظيمة. والمسلمون على عِلَّاتهم، على ما بهم من ضعف، على ما يؤخذ عليهم من عيوبٍ ومساوئَ ننتقدها نحن عليهم، المسلمون هم أفضل أمم الأرض.

الأُمَّة الإسـلاميَّة هي أفضل الأمم، من ناحية إيمانهـا بالله، من ناحية توحيدها، من ناحية حفظها للقيـم الأخلاقيَّة الَّتي توارثتهـا عن النُّبُوَّات الهادية في مختلف مراحل التاريخ، الأُمَّة الإسـلاميَّة هي أقلُّ الأمم إغراقًا في المادِّيَّة، أقلُّ الأمم إغراقًا في المتع والشهوات: الجنس، الزنى، الشذوذ، أقل الأمم شُـربًا للخمور والمُسْـكِرات، أقلُّ الأمم إغراقًا في المُخَدِّرات، وهم أحرص الأمم على التمسُّـك الأُسْـري: برّ الوالدين، صلة الأرحام، الأسرة الممتدَّة الواسعة، ليست الأسـرة النوويَّة: الزوج وزوجته والأولاد الصغار، الأسـرة تشـمل الأولاد والبنات والأخوة والأخـوات والعمَّات والأعمام، والأخوال والخالات، صلة الرحم باعتبار ذلك عبادة وفريضة.

الأُمَّة الإسـلاميَّة على ما بها، ظلَّ عندها قِيَـمٌ متوارثة، فهي ترحم الضعيف، وتَقْري الضيف، وتحمل الكَلّ، وتَكْسَب المعدوم، وتُعين على نوائب الدهر، كما كان يفعل نبيُّها ﷺ، وتفعل هذا من تلقاء نفسها ليس لأمرٍ تجـاري، فيمكن أن تحدث بعض الأشـياء للمصلحة الاجتماعيَّة، ليس انبعاثًا ذاتيًّا، ليس لأنَّ هذا واجب في ذاته.

QaradawiBooks.com

أقول: إنَّه رغم أنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة بها عيوب، وفيها نقاط ضعفٍ كثيرة نُقرُّ بها هي أفضل الأمم ولا شكَّ على وجه هذه البسيطة.

هل تَخَفْ صرامة الموقف الفِكْري الإسلامي؟

المحاور: ذكرتم الآية الكريمة: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وأجبتم على سؤالي: هل يمكن وضع مُصْطَلح الحوار في إطار مصطلحَيِ الدَّعوة والجدل، هل يعني هذا الحوار تخفيف صرامة الموقف الفِكْري الإسلامي والعقائدي، لتقريب الآخرين إلى الإسلام؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لو التزمنا بأدب الحوار كما شرعه الإسلام، لأدَّى ذلك من غير شكٍّ، إلى التقارب مع الآخرين، فالإسلام يأمرنا في هذه الآية الَّتي وضعت أصول الدعوة والحوار أن ندعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نجادل بالَّتي هي أحسن، ونجد هنا فرقًا في التعبير: اكتفت الدعوة بالأمر بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكنَّها عند الجدال لم تكتفِ بالجدل الحسن، وإنَّما أمرت بالجدال بالَّتي هي أحسن، لماذا؟ لأنَّ الموعظة تكون مع الموافقين، فالموافق يكفي أن تعظه موعظةً حسنة، تُرَقِّق قلبه، تُحَرِّك ساكنه، تُرغِّبه في الخير، تُرَهِّبه من الشرِّ، يكفي أن تكون الموعظة حسنة، ولكنَّ الجدال يكون مع المخالِف، والمخالِفُ لا يكفي أن تجادله جدالًا حسنًا، وإنَّما أن تبذل جهدًا في أن يكون جدالك بالَّتي هي أحسن، أن تحاوره بأحسن الطرق، وأرقِّ الأساليب، وألطفِ العبارات، حيث لو كان هناك طريقتان: طريقة حسنة، وطريقة أحسن منها وأجود، فلا بدَّ أنْ تستخدم الطريقة الَّتي هي أحسن وأجود، فهذا هو الَّذي أمر به الإسلام؛ ولذلك نجد

QaradawiBooks.com

القرآن وهو يعلمنا الحوار مع الآخرين: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. مع أنَّه مُتَأَكِّد أنَّه على هدًى وأنَّ غيره على الضلال، ولكن يريد أن يُقرِّب هؤلاء من ساحته.

يقول: أحد الفريقين منَّا لا بدَّ أن يكون مخطئًا والآخر على صواب، فلا بدَّ أن نبحث مَن المخطئ ومَن المصيب، من المهتدي ومن الضالُّ منَّا ومنكم، ثمَّ يقول: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٥]. كان من الممكن أن يقول إمَّا: «لا تُسْأَلون عما عَمِلنا ولا نُسأل عمَّا تعملون»، أو يقول: «لا تُسألون عمَّا أجرمنا، ولا نسأل عمَّا تُجْرمون»، المقابلة تقتضي هذا، لكن نسب إلى نفسه ومن معه هذا «لا تسألون عمَّا أجرمنا». إن كُنَّا نحن أجرمنا، فأنتم لا تسألون عن إجرامنا، ولكنَّه لم يقُلْ: ولا نُسْأل عمَّا تُجْرِمون، حتَّى لا ينسب إليهم الإجرام ولكن ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

كلُّ هذا نوعٌ من التخفيف والتقريب وإزالة كلِّ ما يُوغِر الصدور ويباعد الشُّقَّة بين الطرفين، فهذا هو ما جاء به الحوار بالَّتي هي أحسن.

ولذلك نرى القرآن هنا يذكر مواضع الاتِّفاق وليس نقاط الاختلاف، ولذلك في حوار أهل الكتاب قال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وفي الآية الأخرى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [البقرة: ١٣٩]، يذكر الأشياء المُتَّفق عليها، وهذا مبدأ مهمٌّ جدًّا: إذا أردتَ أن تحاور الآخرين فابدأْ بالمُتَّفق عليه ليكون ذلك سبيلًا

QaradawiBooks.com

إلى أن نصل إلى قاسم مشترك بين الفريقين، لا نأتي إلى الشيء المختلف فيه ونقول به، فلا يمكن أن نلتقي، نقول: نبحث ماذا يجمع بيننا؟ نحن معًا نؤمن بالله، ولو إيمانًا إجماليًّا، نؤمن بالآخرة والجزاء الأخروي، نؤمن بعبادة الله وبالقيم الأخلاقيَّة، وبثبات هذه القيم، نؤمن بوَحْدة الإنسانيَّة، وبأنَّ الإنسان مخلوق مُكَرَّم، نأتي بأشياءَ يمكن أن تجمع بين المُخْتَلِفِين.

فإذا وضعنا هذه الأشياء المُتَّفق عليها يمكن أن تُقَرِّب بين المختلفين بعضهم بعضًا، من جهتنا نحن المسلمين مُسْتَعِدُّون للتقارب، المُهِمُّ أيضًا أن يكون عند الآخرين مثل هذه الرُّوح، فيعاملوننا بمثل ما نعاملهم به، ويقتربون مِنَّا بقدر ما نقترب منهم، فإذا حدث اقتراب من الطَّرَفَيْن، فإنَّه يمكن أن يلتقيا على كلمة سواء، كما كان النبيُّ ﷺ يدعو أهل الكتاب: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، جوامع لا يمكن للعاقل أن يرفضها: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، لستَ ربًّا لي، ولستُ عبدًا لك، كلُّنا عبيدٌ لربٍّ واحد، وينبغي أن نوحِّد الله ولا نشرك به، فهذه هي الجوامع الَّتي يدعو الإسلام إلى أن تكون هي ملاك الحوار وأساس بين الأطراف المختلفة.

لا تنازل عن الأساسيَّات

المحاور: هل يقتضي نجاح الحوار بين فريقين مختلفين أن يتنازل كلٌّ منهما عن شيء ويتمسَّك بأشياء أم أنَّ الحوار يكون بحثًا عن نقاطِ تقارُبٍ أكثرَ من تقديم تنازل؟

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: هناك أشياء لا يمكن التنازل عنها، فنحن نحاول أن نذكر مواضع الاتِّفاق، ولكن ليس معنى هذا أن أتنازل عن شيءٍ أساسيٍّ عندي، حينما أراد الكفار من مشركي قريش أن يُفاوضوا النبيَّ ﷺ على أن يتنازل عن عبادة إلهه مدَّة من الزمن، يعبد آلهتهم مدَّة، ويحاولون أن يقترب الفريقان بعضهم من بعض، رفض هذا، وجاءت السورة الفاصلة الحاسمة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]. لأوَّل مرَّة يُخاطَب المشركون بهذه اللفظة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

فالقرآن عادة حينما يخاطب المشركين يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]، وأمَّا اليهود والنصارى فيقول: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، أو: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ١٠١]، وهذا أيضًا من الحوار بالَّتي هي أحسن: أنَّك تختار أرقَّ الألفاظ وأقربها إلى قلب مُخَاطَبك، إنَّما هو هنا قال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]، بهذا التكرار وهذا التأكيد. لأنَّ المسالة تحتاج إلى حسم، لا يمكن أن يتنازل الإسلام عن عقائده وعن قيمه وعن فرائضه، وعن أخلاقيَّاته، التنازل غير وارد بالمرَّة، ومع هذا: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، لي عملي ولكم عملكم: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

إنَّما اختصم الإسلام مع الشرك واصطدم به ووقع ما وقع؛ لأنَّهم قالوا: «لنا ديننا وليس لك دينك»، «لنا عملنا وليس لك عملك»، «من حقِّنا أن نعبد الأصنام، وليس من حقِّكَ أن تعبد الله»، «من حقِّنا أن ندعو إلى الوثنيَّة، وليس من حَقِّكَ أن تدعو إلى الإسلام»، ورفعوا في وجهه السيفَ والتعذيب، فكان لا بدَّ للإسلام أن يُدافع عن نفسه.

QaradawiBooks.com

التنازل عن أيِّ مبدأ أو أيِّ عقيدة أو أيِّ فريضة أو أيِّ قيمة، هذا غير مقبول بالمرَّة، نحن نتحاور وكلٌّ مِنَّا يتمسَّك بمبادئه، إنَّما أتنازل عن أساسيَّاتي ليس هذا أمرًا ضروريًّا للحوار إطلاقًا، وإذا أريد مِنِّي هذا، فمعناه أنَّ الحوار فاشلٌ من أوَّل الأمر.

الأساسيَّات المُحْكَمات: محلّ اتِّفاق إسلامي:

المحاور: ما هي الأمور الَّتي تعني الأساسيَّات في نظركم، والَّتي لا يمكن التنازل عنها في الحوار مع الغرب؟ فلا يخفى ما بين المسلمين أنفسهم من اختلافات هل تكون الأساسيَّات محلَّ اختلافٍ أصلًا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نحن نتكلَّم عن الأساسيَّات المُحْكَمات، هناك أشياء يمكن أن يختلف فيها النَّاس أهي أساسيَّة أم غير أساسيَّة؟ فلا ينبغي أن نُصدر الأمور الخلافيَّة عند الحوار، فأنا لا آتي لأدافع عن النقاب مثلًا، نقاب المرأة، لا، إنَّما أدافع عن الحجاب، فالحجاب أمرٌ مفروضٌ بنصوص القرآن والسُّنَّة وبإجماع الأُمَّة، إنَّما النقاب فيه كلامٌ كثير.

فحينما أحاور الآخرين لا ينبغي أن أجعل قضيَّة النقاب قضيَّة أساسيَّة، ومسألة الجهاد في سبيل الله للدفاع عن الأرض والعرض والحرمات، هذا أمرٌ لا كلام فيه. إنَّما الجهاد للهجوم على العالم كما يُصَوِّره بعض النَّاس، هذا أمر ليس واردًا، ونحن هنا نتبنَّى ما تبنَّاه علماء المسلمين المعاصرين الشيخ رشيد رضا، والشيخ شلتوت، والشيخ عبد الله دراز، والشيخ أبو زهرة، والشيخ الغزالي، وهؤلاء كلُّهم يتبنَّون أنَّ الجهاد في الإسلام للدفاع عن الدِّين والدولة والحُرُمات والأرض والعِرْض، وليس لغزو العالم كما يُصَوِّره بعضُ النَّاس.

QaradawiBooks.com

هناك أشـــياء يمكن أن يختلف فيها النَّاس بعضهـــم من بعض، إنَّما نحن حين نريد أن نحاور الآخرين، لا بدَّ أن تتَّضح لنا الصورة الإسلاميَّة الحقيقيَّة الَّتي تدلُّ عليهـــا المُحْكَمات من النصوص، القواطع، يجب أن نُفَرِّق بين ما هو قطعيٌّ وما هو ظَنِّي، الأشياء الَّتي نستمسك بها ونقاتل دونها ولا نُفَرِّط في ذرَّة منها هي القطعيَّات، أمَّا الظَّنِّيَّات والاجتهاديَّات وما فيه القيـــل والقـــال، وما يمكـــن أن يخضع لاختلاف التفســـيرات واختلاف الأفهام وتعدُّد الاجتهـــادات، هذا لا ينبغي أن نضعه في مقدّمة الحوار بيننا وبين الآخرين.

كيف تكون الثقافة العالميَّة قاسمًا مشتركًا؟

المحاور: تُطْرَح في ســـياق بحث العلاقة بين الإسلام والغرب فكرة الثقافة العالميَّة لتكون قاسمًا مشـــتركًا في الحوار بينهما، وتعني الثقافة العالميَّة الثقافة الكونيَّة الَّتي تتشـــكَّل من خصائص إنسانيَّة تستوعب كلَّ الثقافات الشَّرقيَّة والغربيَّة، وتُحْيي الضمير الفردي وتحافظ على مصالح المجتمع في الوقت نفســـه، وهي ثقافة قادرة علـــى النظر بوضوح إلى ما بين الثقافات والمجتمعات من علاقة وتعريفها.

هل ترون إمكانيَّة وجود هذه الثقافة العالميَّة قاسمًا مشتركًا للحوار؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذا وصف للثقافة الإسلاميَّة في الحقيقة، فالثقافة الَّتي تحمل هذه الخصائص هي الثقافة الإسلاميَّة، ولكن حسب ما هو قائم وما هو واقع لا توجـــد ثقافة كونيَّة أو ثقافـــة عالميَّة، بعض النَّاس يريدون أن يجعلوا من الثقافة الغربيَّة المسيطرة ثقافة عالميَّة، وهذا ليس بصحيح، هي ثقافة عالميَّة بمعنى أنَّها منتشـــرة في العالم، وسائدة ومُسَيْطِرة على الأفكار، ومُسَـــيْطِرة على الإعلام، وعلى أدوات التثقيف

QaradawiBooks.com

في العالم، هذا صحيح، إنَّما ليست هي الثقافة العالميَّة، هناك ثقافات مخالفة لها في الشرق وفي الغرب، هناك الثقافة اليابانيَّة أو الثقافة الصينيَّة، والثقافة الهنديَّة، والثقافة الإسلاميَّة، والثقافات الإفريقيَّة.

لأنَّ الثقافات في الواقع تتأثَّر بالأديان، ثقافة أيِّ قومٍ من الأقوام تتأثَّر بالعقائد السائدة، والقيم السائدة، والمواريث الفكريَّة والدِّينيَّة عند كلِّ قبيلة من القبائل أو أُمَّة من الأمم، هذا ما قاله «ت. سي. إليوت» وغيره، إنَّ تأثير الدين في الثقافة أمرٌ مفروغ منه، فلا يمكن أن تكون هناك ثقافة واحدة مع وجود أديان مختلفة، إذا اعترفنا بتعدُّد الأديان فلا بدَّ أن نعترف بتعدُّد الثقافات.

فمن أجل هذا ليست هناك ثقافة عالميَّة كونيَّة، إلَّا إذا أريد أن تكون هناك ثقافة مفروضة على الجميع، نحن ننطلق من تعدُّد الثقافات، نحن وإن كُنَّا نرى أن ثقافتنا هي الَّتي يمكن أن تُحَقِّق ما ذكرتَه في سؤالك: «الثقافة الَّتي تنظر إلى الإنسان وتحيي ضمير الفرد، وتحمي مصالح المجتمع، وتصل الأرض بالسماء، وتُحَقِّق القيم الروحيَّة والقيم المادِّيَّة» هي الثقافة الإسلاميَّة، ونحن مع هذا لا نفرض ثقافتنا بالإكراه على العالم، حينما كانت ثقافتنا هي السائدة وحضارتنا هي القائدة أيَّام ازدهار الحضارة الإسلاميَّة، وسعنا الثقافات الأخريات، لم يفرض الإسلام ثقافته على كلِّ النَّاس، وإنَّما ترك الآخرين وأديانهم، لم يفرض عليهم العقائد الإسلاميَّة ولا العبادات الإسلاميَّة ولا الفرائض الإسلاميَّة، ولا المحرمات الإسلاميَّة.

ما فرض على النَّاس الزكاة، لماذا؟ لأنَّ الزكاة وإن كانت ضريبة ماليَّة، ولكنَّها عبادة دينيَّة، ركن من أركان الإسلام، فلم يشأ أن يفرض

QaradawiBooks.com

على أهل الذمَّة الَّذين هم كما يقول الفقهاء من أهل دار الإسلام؛ يعني يحملون الجنسيَّة الإسلاميَّة أو المواطنة في الدول الإسلاميَّة. لم يفرض عليهم هذا؛ لأنَّه سيفرض عليهم عبادة، فهذا ينافي السماحة الإسلاميَّة، من أجل هذا لم يفرض عليهم الزكاة، ولم يفرض عليهم الجهاد، والجهاد دفاع عن الأرض والدار والدين والدولة، ولكن الجهاد أيضًا ـ وإن كان دفاعًا ـ فهو فريضة دينيَّة، بل هو من أعظم ما يتقرَّب به المسلم إلى ربِّه، ولذلك لم يفرض عليهم الجهاد.

ومن أجل هذا فرض شيئًا بديلًا عن الزكاة من ناحية، وبديلًا عن الجهاد من ناحية وهو ما سُمِّي: الجزية، وما هي الجزية؟ بدلًا من الزكاة الَّتي يدفعها المسلم، وبدلًا من الجهاد، فهذا يدفعه من ماله، وذاك يدفعه من دمه، قال له: ادفع شيئًا حتَّى تكون عضوًا في الدولة الإسلاميَّة، وتتمتَّع بحمايتها يكون لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم.

الإسلام لا يُفرض على غير المسلم!

لم يَفرض الإسلام على غير المسلم ممَّن يعيش في داره أن يُحَرِّم الخنزير الَّذي يُحَرِّمه الإسلام، أو يُحَرِّم الخمر الَّذي يُحَرِّمه الإسلام، ما دام دِينُه يُبيح له أن يأكل الخنزير ويشرب الخمر، قال له: كُل الخنزير واشرب الخمر، وربِّ الخنزير واعصُر الخمر، بشرط ألا تُرَوِّج ذلك بين المسلمين في مناطقهم الخاصَّة، حتَّى قال أبو حنيفة: إنَّه لو أنَّ المسلم أتلف خمرًا أو خنزيرًا لنصراني، فإنَّ عليه أن يتحمَّل ثمنه؛ لأنَّه مال متقوَّم عنده، فلا يجوز أن يعتدى عليه بالإتلاف. إلى هذا الحدِّ احترم الإسلام ثقافات الآخرين كما احترم دياناتهم وعقائدهم، وترك لهم كنائسهم وعباداتهم، فالإسلام يحترم الثقافات المُتعدِّدة؛ لأنَّه ما دامت

QaradawiBooks.com

هناك أديان مُتعدِّدة، فلا بدَّ أن تكون هناك ثقافات معبِّرة عن هذه الديانات ولعقائدهم، والقيم الَّتي جاءت بها والعبادات والفرائض الَّتي نادت ودعت إليها فهذا فرع عن ذلك.

الثقافة الإسلاميَّة ثقافة وسطيَّة:

المحاور: هل يمكن أن تكون الثقافة الإسلاميَّة متَّسعًا ـ بما لديها من خصائص إنسانيَّة لاستيعاب أبناء الثقافات الأخرى؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لو أردنا ثقافة تتسع للعالم حقيقة ويمكن أن تجمع الجميع، ثقافة وسطيَّة، ليست ثقافة روحيَّة خالصة كبعض المذاهب المغرقة في الجانب الروحي والجانب النسكي والعبادي، ولا ثقافة مادِّيَّة خالصة تهمل الغيبيَّات، وتهمل السماء، وتهمل الآخرة، إنَّما ثقافة جمعت بين الروحيَّة والمادِّيَّة، مزجت بين المثاليَّة والواقعيَّة بين الدُّنْيا والآخرة، بين العقل والقلب، بين الفرد والمجتمع، لو أُرِيد للعالم ثقافة يمكن أن يُلتقَى عليها لقُلنا: إنَّها الثقافة الإسلاميَّة.

ولكن جرت سنَّة الله أنَّ النَّاس لا يمكن أن يلتقوا على ثقافة واحدةٍ؛ لأنَّهم لا يمكن أن يلتقوا على دين واحد، وهذه سُنَّة من سنن الله، وقد ذكر القرآن هذا: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]، ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، فلا يمكن أن يجتمع النَّاس على دِين واحد، إنَّما اختلاف النَّاس هذا واقع بمشيئة الله، ومشيئته مُعَبِّرة عن حكمته: اقتضت حكمة الله أن يختلف النَّاس؛ لأنَّه وضع للإنسان العقل والإرادة، فما دام قد أعطاه العقل والإرادة، فكلُّ واحدٍ سوف يُفَكِّر لنفسه، ويريد لنفسه، سيختار الطريق، فلا يمكن أن يلتقي النَّاس.

QaradawiBooks.com

وهذا من أسباب التسامح الَّذي جاء به الإســلام: أنَّه اعتبر اختلاف النَّاس ناشئًا عن مشــيئة إلهيَّة من ناحية، ومن ناحية أخرى أنَّ الحساب على هــذا الاختلاف إنْ كان هدًى أو ضلالة، صوابًــا أو خطأً، ليس في هذه الدار، إنَّما في الدار الآخرة: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [الحــج: ٦٨، ٦٩]، الحساب ليس الآن، وإنَّما الحساب في دار الحساب.

وهذا ممَّا يُخَفِّف مســألة الاختلاف بين النَّــاس، إنَّ اختلافنا واقع بمشــيئة الله، إذا كان أحدنا مهتديًا والآخر ضالًّا، فالحساب إلى الله يومَ الحســاب: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

الحوار فريضة وضرورة:

المحاور: فــي كتابكم «أولويَّــات الحركة الإســلاميَّة» ذكرتم أنَّ الحوار مع الغرب فريضــة وضرورة، وقلتم: إنَّه حــوار على الصعيد الدِّيني، وعلى الصعيد الفِكْري، وعلى الصعيد السياســي، ما تعنون بكلِّ ذلك؟

فضيلة الشــيخ القرضاوي: لقد ذكرتُ في هذا الكتاب أنَّنا نعيش في عالمٍ تقارب بعضُــه مع بعض، حتَّى قال أحد الأدبــاء: إنَّ العالم أصبح قرية واحدة، نُسمِّيه «قريتنا الكبرى».

وكما أقول دائمًا: هو لم يَعُد قريةً كُبْرى، بل أصبح الآن قرية صُغْرى؛ لأنَّ ما يحدث في أقصى العالم تعلم به بعد لحظات في الطرف الأقصى الآخر، فتقارب العالمُ جدًّا.

QaradawiBooks.com

ولذلك لا يمكن أن ينعزل فيه بعض النَّاس عن الآخرين، إذا كُنَّا نريد أن نعيش بإسلامنا، فلا بدَّ أن نتحاور مع الآخرين لنُزِيح الغشاوة الَّتي غشيت على عقول القوم، نزيح ما على أبصارهم من غشاوة، وما على قلوبهم من طَبْع، والشبهات الَّتي استقرَّت في أذهانهم طَوَال عصورٍ مضت.

هناك من عهد الحروب الصليبيَّة أشياء توارثها القوم عن الإسلام وعن القرآن، وعن محمَّد، وعن الحضارة الإسلاميَّة، وعن الشريعة الإسلاميَّة، وأشياء مغلوطة ومكذوبة، ولا بدَّ أن نبذل جهدًا في أن نلتقي مع هؤلاء القوم ونتقارب معهم ونُبَيِّن لهم أنَّ المسلمين ليسوا وحوشًا، والإسلام ليس غولًا مفترسًا، ودعاة الإسلام ليسوا إرهابيِّين كما تُصَوِّرونهم، هذا لا يمكن أن يتمَّ في عُزْلة عن هذا العالم، ومحادَّة لهؤلاء القوم، وإنَّما ينبغي أن يكون بالتواصل معهم، وبالحوار معهم، ولذلك ينبغي أن يكون حوارًا على كلِّ مستوى، ذكرتُ الحوار على المستوى الدِّيني مع القسس والأحبار والرُّهبان وهؤلاء النَّاس.

تجربة مع المستشرقين

المحاور: هل ترون أنَّ الحوار مع رجال الدِّين من الغرب يمكن أن يُؤتي ثماره؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لقد لقيتُهم منذ ثلاث سنوات تقريبًا، وكنتُ أنا وفضيلة الشيخ محمَّد الغزالي في زيارة إلى ألمانيا، والتقينا بالفعل مع عدد من المستشرقين ومنهم بعض القسس، والتقينا يومًا كاملًا، لقاء حوار، ووجدت ـ حسب ما لمستُ ولمس فضيلة الشيخ معي أيضًا ـ أنَّ هذا اللقاء كان له ثمرته: أنَّ كثيرًا من الشبهات زالت من الأذهان، اللقاء المباشر له فائدته: أسئلة وأجوبة، فأعتقد أنَّ هناك أناسًا يمكن أن يُجْدي

QaradawiBooks.com

الحوار معهم، هناك أناسٌ لا شكَّ مُتَعَصِّبون لا يمكن أن يُجْدِي معهم الحوار، هؤلاء كالَّذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۞ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦]، هذا الصِّنْف موجود.

لكنْ هناك صِنْف آخر، وقد نجتمع مع ثلاثين شخصًا، قد يكون من هؤلاء الثلاثين عشرة جيِّدون أو حتَّى خمسة، لا يخلو الأمر من أن يكون في المجموعة أناس مُنْصِفون، فنحن نبحث عن هؤلاء المُنْصِفين المتقبِّلين الَّذين يُحَكِّمون المنطق، ونحن رأينا من الغربيِّين كثيرين أنصفوا المسلمين وأنصفوا الثقافة الإسلاميَّة والحضارة الإسلاميَّة والتاريخ الإسلامي، وأنصفوا الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة.

ونحن نقرأ في الصحف الآن أنَّ صحفيِّين وكُتَّابًا من أهل الغرب يتكلَّمون كلامًا جيدًا عن الإسلام، هذا الكاتب الأمريكي الَّذي كتب عن أنَّ الخطر الإسلامي وهْم وليس حقيقة، «جون سبوزيتو»، وله كتاب معروف[1].

كثير من الكُتَّاب الآن يعترف بفضل الإسلام، وسبق الحضارة الإسلاميَّة، ويعترف للصحوة الإسلاميَّة بأنَّ إيجابيَّاتها أكثر من سلبيَّاتها، وأنَّ المسلمين ليسوا خطرًا، وأنَّ الإسلام ليس خطرًا، الإسلام خطر على الإلحاد وعلى الفساد، وعلى الاستبداد، ولكنَّه ليس بخطر، وهذا ما نقوله للنَّاس: إنَّ الإسلام رحمة، رحمة الله للعالَمِين.

(١) التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، نشر دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

فأنا أعتقد أنَّ الحوار على المستوى الديني مع القُسُس ورجال الدِّين، والمستوى الفكري مع المستشرقين والكُتَّاب الَّذين يهتمُّون بأمر الإسلام والعروبة والشَّرق، ومع السياسيِّين الَّذين يصنعون القرار السياسي.

فإذا استطعنا أن نصل إلى هؤلاء فهو خير، وهذا ما حاوله أخونا د. حسن التُّرَابي حينما ذهب إلى أمريكا وزار الكونجرس، والتقى بكثيرٍ من هؤلاء، واستطاع فعلًا أن يُؤَثِّر في عددٍ منهم.

الَّذي ينظر إلى الأمر بمنظار العقل يمكن أن يُؤثِر الحوار فيه، أمَّا الَّذي ينظر إلى الأمر بمنظار المصلحة، فهذا لا يمكن أن يرجع إلَّا إذا وجد المصلحة في أن يُسَايِرَك في الحوار.

هناك أناس يُفَكِّرون بالعقل وبالمنطق سنستطيع التأثير عليهم، على كلِّ حال نحن نعتقد أنَّنا أصحاب الحقِّ، وأن منطقنا أقوى من منطق الآخرين، ولا نخاف على أنفسنا، ولذلك لا حرج علينا أن نعرض ما عندنا من بضاعة، وأن نحاور الآخرين بالَّتي هي أحسن، وأعتقد أنَّنا الكاسبون من وراء ذلك إن شاء الله.

وإن لم نكسب نكون قد أقمنا الحجَّة، وأبطلنا تَعِلَّات الآخرين كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. نحن علينا الدعوة، وعلى الله الهداية، علينا البلاغ، وعلى الله الحساب، نبذر الحَبّ، ونرجو الثمار من الربّ.

المادَّة والرُّوح كيف يلتقيان؟

المحاور: الغرب هو المادَّة، بينما الإسلام هو الرُّوح والمادَّة، كيف يلتقي الإسلام مع الجانب الآخر الَّذي هو المادَّة فقط؟

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذا ما أجبنا عنه حينما قلنا: إنَّنا مختلفون مع الغرب. ولكن كما نقول أيضًا: الغرب ليس كلُّه مادَّة، إذا أردنا أن نكون منصفين، فنقول: إنَّ الغرب تغلب عليه المادَّة، ولكن هناك أيضًا جانب رُوحي في الغرب.

وهذا الجانب الروحي هو الَّذي صنع الحضارة، الحضارة لم يصنعها المادِّيُّون، بل صنعها رجال متديِّنون، وكما قال «رينان»: نحن نعيش على ظلِّ الظلِّ، فعلامَ يعيش من بعدنا[1]؟ نحن نعيش على ظلِّ المتديِّنين، والمتديِّنون كانوا ظلًّا لمن قبلهم، فماذا تصنع الأجيال القادمة؟

هناك أناس تؤمن بالقيم، علينا أن نبحث عن هؤلاء ونتحاور معهم، ثمَّ علينا أن نقول لهم: نحن نُكَمِّلُكم، أنتم عندكم المادَّة وليس عندكم الرُّوح، نحن عندنا الرُّوح، والرُّوح الَّتي لا تنكر المادَّة.

إنَّ مَيْزة الإسلام أنَّه يقول للغربي: أنا عندي الرسالة الَّتي تُعطيك الرُّوح ولا تُفْقِدُكَ المادَّة، تعطيك الإيمان ولا تسلبُكَ العلم، تعطيك الآخرة ولا تحرمك الدُّنْيا، تصلك بالسماء ولا تنزعك من الأرض، فعندنا الرسالة المتوازنة. نستطيع أن نقول لهم هذا رغم اختلاف ما بيننا وبينهم.

دلالة خطاب وليِّ العهد البريطاني:

المحاور: هل يمكن اعتبار خطاب وليِّ العهد البريطاني في مركز أكسفورد للدراسات الإسلاميَّة بلندن ـ وأنتم عضوٌ فيه ـ بداية عهد جديد في العلاقة بين الإسلام والغرب؟

(١) انظر: محاورات رينان الفلسفية صـ ٥٦.

QaradawiBooks.com

قــال: إنَّ ما يربط بين الاثنيــن أكثر ممَّا يُفَــرِّق، وليس من مصلحة الاثنين العداء الخفيُّ أو المكشوف؟

فضيلة الشــيخ القرضاوي: لا أزعم أنَّه بداية عهد جديد، ولكن هذا يؤكِّد ما قلتُه: إنَّ الغرب ليس غربًا واحدًا، وإنَّ الغربيِّين ليسوا كلُّهم على فكرٍ واحد، وعلى درجةٍ واحدةٍ من العداء للإسلام، أو العداء للشرق.

هناك أناس تحرَّروا مــن هذه العُقَد، وأصبح لهــم مواقف طيِّبة من الإســلام، وأصبح عندهم نظرة أكثر شــموليَّة، وأفق أكثر رحابة، وفهم أعمق للعلاقة بين الإسلام والغرب، والأمير «تشارلز» ولي عهد بريطانيا من هؤلاء، والحقيقة محاضرته محاضرة جيِّــدة، وينبغي أن نُحَيِّيه على هذا، ونُنَوِّه بهذا التوجُّــه المتوازن المنصف الَّذي تحرَّر من الرواســب القديمة، وتعامل مع المســلمين معاملــة الندِّ للنِّــدِّ، فلا يتعامل برُوح الحروب الصليبيَّة القديمة، ولا برُوح الاستعمار الحديث.

تخلَّصنا مــن العهدَيْن معًــا: عهد الحــروب الصليبيَّــة، ومن عهد الاســتعمار، وأصبحنا أممًا حُرَّة بعضها يتعايش مــع بعض، فلا بدَّ أن يعرف كلٌّ مِنَّا الآخر معرفة جيِّدة ويستفيد منه، ويأخذ من الآخر ما ليس عنده: عندهم علــمٌ وتكنولوجيا نأخذ نحن العلــم والتكنولوجيا، عندنا القيم والرسالة العظيمة نعطيهم هذه القيم، وتلك الرسالة، ولو أمكن أن يحدث هذا التفاعل لكان أمرًا جيدًا.

مراحل العلاقة بين الإسلام والغرب:

المحاور: مرَّت العلاقة بين الإســلام والغرب بثلاث مراحل: العصر العبَّاسي وما كان به من ملامح معروفة، ثمَّ العصر الأندلسي، ثمَّ فترات

QaradawiBooks.com

الحملة الفرنسيَّة، فالمرحلة المعاصرة، هناك من يرى أنَّه لا انفصال بين المراحل الثلاث، وإذا كنتم مع هذا الرأي، فماذا يُمَيِّز المرحلة الحاليَّة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: في العصر العبَّاسي كان للإسلام جولة عظيمة، وخصوصًا العصر العبَّاسي الأوَّل؛ لأنَّ في العصر العباسي الثاني انحطَّت الدولة الإسلاميَّة. أمَّا في العصر العباسي الأوَّل أيَّام هارون الرشيد وعلاقته بشارلمان، أيَّام المأمون، أيَّام العصر الذهبي للحضارة الإسلاميَّة. كان المسلمون يتعاملون على أنَّهم أصحاب الدولة الأولى في العالم، وكانوا يُظْهِرون السماحة لغير المسلمين، كان الرشيد يقول للسحابة في السماء: شَرِّقي وغَرِّبي وأمطري حيث شئتِ، فسيأتيني خَرَاجُكِ[1]. كانت الدولة الإسلاميَّة هي القوَّة الكبرى في العالم، وكانت تتعامل مع الغرب من هذا المنطق.

بعد ذلك للأسف حدثت أمور، بعد أن ضعفت الدولة شيئًا فشيئًا جاء الغرب، جاءت الحروب الصليبيَّة وما حدث فيها، وسالت الدماء للركب وقُتل عشرات الآلاف، وتمَّ احتلال القدس والمسجد الأقصى، وبقي المسجد الأقصى تسعين عامًا في يد الصَّليبيِّين، وبقيت الممالك الصليبيَّة نحو قرنين، وحدث هذا الصراع الرهيب، وترك الرواسب في الأنفس، هذا ما ينبغي أن نعترف به، ولم يكن الإسلام هو المعتدي، ولكنَّ الغرب كان هو المعتدي، حتَّى إنَّ الغربيِّين هؤلاء اعتدوا على مسيحيِّين من أبناء دِينِهم، وهم في طريقهم ما تركوا لا مسلمًا ولا مسيحيًّا ولا غير ذلك، ثُمَّ تحالف الغرب الكتابي ـ والمفروض أنَّ

(١) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي (٢٨٥/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

الغرب مسيحي ـ مع الشَّـرق الوثني مع التتار، تحالفوا معهم على غزو الديار الإسلاميَّة، لقد أثبت التاريخ أنَّ هناك تعاونًا بين الفئتين، ودمَّرت الحضارة الإسلاميَّة وعاصمتها بغداد.

هذه مرحلة ينبغي أن تُعْـرَف؛ لأنَّ هذه المرحلـة تركت آثارها في نفوس الغربيِّين ـ كما قلـتُ من قبل ـ وأفادتهم. إنَّ هـذا اللقاء جعلهم يسـتفيدون من المسـلمين كثيـرًا، رأوا ما لم يكن فـي بلادهم، فبلاد المسلمين على ما كان بها من ضعف في ذلك الوقت، كانت فيها منارات بغداد والقاهرة وغيرهما، كانت تعتبر منارات للعلم وللحضارة في ذلك الوقت، فاستفاد الغربيُّون من هذا الأمر.

الاستعمار وآثاره:

ثم بدأت الحملات الاسـتعماريَّة: بـدأ الإنجليز فـي الهند، وكان المسـلمون هم الَّذين يحكمون الهند في ذلك الوقت، ثمَّ بدأت الحملة الفرنسـيَّة، وبدأت مرحلة جديدة فـي العلاقات بين الغرب والشـرق، وانتهت طبعًا باستعمار البلاد الإسلاميَّة والتحكُّم في هذه البلاد: التحكُّم التشريعي، والتحكُّم الثقافي، والتحكُّم التربوي، والتحكُّم الاجتماعي.

الحوار مع العقلاء من العلمانيِّين:

المحاور: بعض العلمانيِّين يرمي إلى إزاحـة الدِّين تمامًا عن الحياة مثل مؤلِّف «العلمانيَّة من منظور مختلف»، فكيف يكون حوارٌ بينه وبين الإسلاميِّين؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أنا لم أقُلْ بالحوار مع كلِّ العلمانيِّين، بل مع العقلاء والمنصفين مـن العلمانيِّين، هناك ـ كما قلـت ـ عِلْمَانيُّون

QaradawiBooks.com

لا يعادون الدِّين، كما كان على سبيل المثال النحَّاس باشا، رجل مصلٍّ وصائم، وعنده نوعٌ من التديُّن، ولكنَّه لم يفهم شمول الإسلام، لم يُحط بالرسالة الإسلاميَّة كما ينبغي، ولعلَّه لو وجد فرصة تعرض عليه الإسلام الحقيقي كما نزل بـه القرآن، وكما دعـا إليه محمَّـد ﷺ، وكما فهمه الصحابة، وكما طبَّقه الراشـدون وكما قامت عليه الحضارة الإسـلاميَّة الأولى، لعلَّه لو وجد من يعرض عليه هذا ويشرحه حقَّ الشرح ويُصَوِّره التصوير الَّذي ينبغي لعلَّه تراجع عن كثير من آرائه.

إنَّمـا العلماني القُـح الَّذي يرفـض الدِّين عامَّة والإسـلام خاصَّة، ولا يرى أنَّ الدِّين ينبغي أن يخرج من ضمير الإنسـان، والدِّين في رأيه علاقة بين ضمير الإنسـان وربِّه، وإن كان لا بدَّ أن يخـرج فليكُنْ إلى المعبد (المسـجد أو الكنيسـة) فقط، وليس له علاقة بالحياة، ولذلك يرفض الشرائع والقيم والأحكام الَّتي جاءت بها الأديان.

هذا لا معنى للحوار معه، يمكن أن أحـاوره لأقيم عليه الحجَّة كما فعلنا نحن حينما حاورنا بعض العلمانيِّين، فلقد شاركتُ في الحوار مع بعض العلمانيِّين المُتَصَلِّبين، وشـاركناهم وأقمنا عليهـم الحجَّة، ولم يجدوا جوابًا لما عرضناه وقلناه عن الإسلام، فكشفناهم أمام النَّاس، وقد رأينا هنا في قطر حوارًا تكملة لهذا الحوار، مع الشخص نفسه (د. فؤاد زكريا)، وقد كان معه في هذا الحوار بالدوحـة أخونا د. محمَّد عمارة، ورأينا كيف كان الفكر الإسـلامي هو الأقوى حُجَّة، والأوضح مَحَجَّة، والأعلى سلطانًا.

لا مانع أن نحاور هؤلاء أو نناظرهم، بعضهم يُسَـمِّي ذلك مناظرةً، وأُفَضِّل أن أُسَمِّيها محاورة، لإقامة الحُجَّة عليهم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العلمانيَّة تجترُّ الماضي:

المحاور: هل يمكن أن نعتبر نشر بعض الكتابات العلمانيَّة الَّتي نشرت في بدايات هذا القرن محاولة لاستحضار الفكر العِلْماني لنهايات القرن العشرين أم يدلُّ على إفلاس العلمانيَّة المعاصرة من وجهة أخرى كما رأى بعضُهم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هو في الواقع هذا يدلُّ على إفلاس هذا الجيل الحاضر من العلمانيِّين، فبدؤوا ينبشون في القبور، ويبحثون عن الكتب القديمة مثل «كتاب الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق، وهو الكتاب اليتيم للرجل الَّذي لم يكتب غيره، والَّذي أبى أن ينشره طَوَال حياته، ولم يُعِدْ نَشْره، ورفض أن يُعاد نشره، وقال كلامًا يضادُّ فكرته في الكتاب، ومع هذا فإنَّ هؤلاء النَّاس يريدون أن يُحْيُوا المقبور، ويُعِيدوا نشر الكتاب، فليكُنْ! وكتاب «الشعر الجاهلي» لطه حسين.

حتَّى طه حسين في آخر حياته اتَّجه اتِّجاهًا آخر غير «الشعر الجاهلي»، وله كلام في أحاديث الأربعاء وغيره مخالف لما نشر في «الشعر الجاهلي»، واتِّجاهه فيما كتب في الإسلاميَّات أخيرًا، وخصوصًا كتاب «مرآة الإسلام» يدلُّ على أنَّ الرجل بدأ يتَّجه اتِّجاهًا آخر.

فهؤلاء يريدون أن يرجعوا القَهْقَرى، ويعودون إلى الأشياء الَّتي عفَّ عليها الزمن، وردَّ عليها النَّاس في ذلك العصر، فكتاب «الإسلام وأصول الحكم» ردَّ عليه الشيخ الخضر حسين[١]، والشيخ بخيت المطيعي[٢]،

(١) في كتابه: نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم.

(٢) في كتابه: حقيقة الإسلام وأصول الحكم.

QaradawiBooks.com

وردَّ عليه فريد وجـدي، وردَّ عليه أناسٌ كثيرون، هـؤلاء يريدون إحياء الموتى، ولكن الموتى لا يحيون!

حقيقة المفهوم الغربي للإنسان:

المحاور: الإنسان فيما يُسَمَّى بعلوم الإنسان في الغرب مجرَّد ذرَّة، وذكر الشيخ راشد الغنوشـي في كتابه الأخير أنَّ «الإنسان في الغرب» المواطن لا يحمل تكريمًا في ذاته لأنَّه إنسان؛ وإنَّما تكريمه في انتمائه لنَسَـقٍ تاريخي واجتماعي وثقافي معيَّن اسـمه: الوطن، أو الطبقة، أو الجنس الأوربي، هـذا المفهوم في الغرب واقعٌ وموجـود، بدليل أنَّ هؤلاء الصَّليبيِّين اعتدَوْا على النصارى من بني جلدتهم في الشرق، هل هذا يجعل الموقف يحمل اطمئنانًا للحوار القادم بين الإسلام والغرب؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: الغربيُّون للأسف وإن قالوا في دساتيرهم ومواثيقهـم ومواثيق حقوق الإنسـان ومواثيق الأمـم المُتَّحِدَة بحقوق الإنسـان وتكريم الإنسـان، وقالوا: إنَّ النَّاس يولدون أحرارًا متساوين، وهذا ما سـبقهم به عمر بن الخطاب، يعني هذه الكلمـة الَّتي تبدأ بها الدساتير: «الناس يولدون أحرارًا متساوين». قالها عمر بن الخطاب عفو الخاطر بدون تحضير ولا تفكير، قالها لعمرو بن العاص: متى استعبدتم النَّاس وقد ولدتهم أُمَّهاتهم أحرارًا[1].

الغرب قال هذا، ولكن حينما نحاول أن ننزل من المسـتوى النظري إلى المسـتوى التطبيقي والواقعي نجد للأسـف أنَّ هذا الإنسان المُكَرَّم ينحصر في الإنسان المواطن، لم يعُد الإنسان من حيث هو إنسان، نحن عندنا: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسـراء: ٧٠]، ما دمت ابنًا لآدم فأنت مُكَرَّم،

(١) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم صـ ١٩٥، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

الإنسان من حيث هو إنسان، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، الخطاب للإنسان من حيث هو، الرسول ﷺ في حَجَّة الوداع وفي مِنًى يقول: «**يا أيُّها النَّاس، ألا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلَّا بالتَّقْوى**»[(١)]. فنظرة الإسلام للإنسان من حيث هو، بغضِّ النظر عن رأسه مستديرة أم مستطيلة، لونه أبيض أم أسود، عينه زرقاء أم سوداء، أنفه أفطس أم غير أفطس، بغض النَّظر عن كلِّ ذلك.. إنَّما من حيث هو إنسان، وكما يقول الشاعر المسلم:

إِذَا كَانَ أَصْلِي مِنْ تُـرَابٍ فَكُلُّها بِلَادِي وَكُلُّ العَالَمِيـنَ أَقَارِبِي[(٢)]

فهذه هي نظرة الإسلام للإنسان. أمَّا هم نظرتهم إلى الإنسان من حيث المواطنة، فهي الأساس، فإذا استعمروا بلدًا أو دخلوها بأيِّ طريقة كانت لم يُراعوا لأهل هذه البلاد حُرْمة، ولا وزنًا.

حَتَّى في أوطانهم: هناك التمييز العنصري، حتَّى قال بعضهم: انتهى دور الرجل الأبيض، ولكنَّ بعضهم لم يُسَلِّم بذلك.

وحَتَّى إنَّ «ألكسيس كارل» صاحب كتاب «الإنسان ذلك المجهول»، يعترف في كتابه بتفوق الأجناس البيضاء[(٣)]!

---

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

(٢) القائل أبو الصلت أُمَيَّة بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي. كما في وفيات الأعيان (٢٤٤/١)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

(٣) الإنسان ذلك المجهول صـ ١٧٨ ـ ١٧٩، ترجمة شقيق أسعد فريد، نشر مكتبة المعارف، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

وهذا أمرٌ غير علمي، ليس هناك لونٌ أفضل من لون، ولا عنصُر أرقى من عنصر، كلُّهم إنسان.

حتَّى في داخل هذه الأوطان نجد هذا التمييز بين عنصُرٍ وعُنْصر، وبين لون ولون، في أمريكا وفي أوربا هذا موجود للأسف، حتَّى إنَّ هناك كنائسَ للبِيض وكنائس للسود.

ومعروفٌ لنا القصَّة الشهيرة حينما ذهب رجل أسود إلى كنيسة للبِيض، ولمحه القسُّ الَّذي يلقي المحاضرة الدِّينيَّة، فبعث إليه ورقة يقول له: أُحِبُّ أنْ أُعْلِمَك أن كنيسة السود تقع في الشارع الفلاني. أي معنى ذلك أنِ اخرُج من هذا المكان، فليس لك موضع فيه. حتَّى بيوت العبادة تُمَيِّز هذا التمييز.

ذكر الأستاذ سيِّد قُطْب رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه حينما كان في أمريكا، في كتابه الَّذي لم يُنْشَر للأسف «أمريكا الَّتي رأيت» يقول: إنَّه كان في مدينة من المدن، وجاء بعض الزُّنُوج يُغَنُّون للنَّاس، وسهر النَّاس، وأَشْجَوْا النَّاس بأنغامهم وألحانهم، وبعد أن فرغ الحفل، لم يجدوا مكانًا يأويهم، فليس هناك فندق يقبل السُّود، ولا أحد من أهل المدينة يقبلهم ضيوفًا عنده، وبَقُوا في الشارع إلى الصباح.

المحاور: هل يمكن أن تكون صورة احترام الإنسان في فلسفات أخرى غير رأسماليَّة قائمة، خاصَّة أنَّ فلسفة كالاشتراكيَّة ترفع شعار العدالة الاجتماعيَّة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: وليس هذا عند الرأسماليِّين فقط، بل عند الشيوعيِّين، ذكر الأستاذ جلال كشك رَحِمَهُ اللَّهُ في أحد كتبه أنَّه في روسيا أحبَّ شابٌّ أفريقي أسود فتاةً روسيَّة شقراء، فغار منه الشُّبَّان البيض،

QaradawiBooks.com

كيف يحبُّ الأســود هذه الفتاة الشــقراء، وكيف تتجاوب معه، فما كان منهم إلَّا أن قتلوه. ووجد الشــباب الأفارقة زميلهم جثَّة في أحد الأيام، فثاروا ومشوا في مظاهرة احتجاجًا على هذا العمل، فما كان من الطُّلَّاب البِيض إلَّا أن قاموا بمظاهرة مضادَّة لهؤلاء السود، تقول لهم: عودوا إلى غاباتكم أيُّها القرود.

هؤلاء هم الاشتراكيُّون الشيوعيُّون الماركسيُّون، فالإنسان من حيث هو إنســان عند هؤلاء لا يوجد، حتَّى المواطن، فإنَّه ليس كلُّ مواطنٍ عندهم يجد هذه المساواة الَّتي نجدها في الإسلام الَّتي يقول عمر رضي الله عنه عن بلالٍ، وعن أبي بكر يقول: أبو بكر سيِّدُنا وأعتق سيِّدَنا. يقصد أعتق بلالًا رضي الله عنه [1].

جميع المسلمين في جميع العصور يقولون: «سيِّدنا بلال»، لا ينظر أحدٌ إلى أنَّ لونه كان أســود. «**يا أيُّها النَّــاس، ألا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيٍّ علــى عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلَّا بالتَّقْوى**»[2].

المفهوم الغربي للإنسان والحجاب:

المحاور: هــل يمكن أن يتَّصل بمفهــوم الغرب للمواطنــة بما يتمُّ للمسلمين في فرنسا خاصَّة النساء المســلمات ورفض الغرب الفرنسي لحجاب المرأة المسلمة؟

فضيلة الشــيخ القرضاوي: نقول: إنَّ الإنسان من حيث هو لا يُكرَّم، ولا يُعطي الحُرِّيَّة من حيث هو إنسان، وإنَّما إنسان مُعَيَّن، يمشي مع هذا

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٧٥٤)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٧٤.

QaradawiBooks.com

المجتمع، مع دِينِه، ومع ثقافته السائدة، فإذا خرج إنسان على السائد، حتى الفرنسي الأصيل المسلم إذا أسلم لم يَعُدْ له حقٌّ، ولم يُعْطَ حقَّه في أنَّ ابنتَه أو زوجته تلبس هذا الحجاب أو تدخل المدرسة، بل يُفرض عليه أن تنزع زوجتُه الحجاب، أين كرامة الإنسان؟ وأين حُرِّيَّتُه؟

لم يعد هناك حُرِّيَّة للإنسان من حيث هو، إذا كنت تحترم الإنسان من حيث هو فلا بدَّ أن تحترم عقيدته، لا بدَّ أن تحترم ثقافته، لا بدَّ أن تحترم القيم الَّتي يؤمن بها، هذا يؤمن بأنَّ الحجاب فرض، وأنَّه لا يجوز له دِينًا أن تخلع امرأته الحجاب، والفتاة أو المرأة تقول: لا يجوز خلعه، فهذا حرام عليّ، أدخل من أجله النار. كيف تفرض على إنسانة النَّار وتُغْضِب ربَّها؟! أيُّ ثقافة هذه؟!، وأيُّ حُرِّيَّة؟!، وأيُّ كرامة للإنسان إذا كان لا يستطيع أن يمارس عقيدته وشعائره وواجباته الدِّينيَّة، تحت سلطان هذه الثقافة وتلك الحُرِّيَّة؟!

هل مصادرة الحلال والحرام رفض للحوار؟

المحاور: هل يُعَدُّ مصادرة كتابكم «الحلال والحرام في الإسلام» ـ رغم تراجع فرنسا عن تلك المصادرة، ثمَّ إلغائها بعد ذلك ـ رفضًا من الغرب ـ ممثلًا في فرنسا ـ للحوار مع الإسلام؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذا جزء ـ كما قلت في تلك الأيام ـ من الحملة المعادية للإسلام في تلك البلاد، وخصوصًا إذا عرفنا أنَّ بداية هذا الأمر، جاء في الثاني عشر من أكتوبر، بعد المؤتمر الَّذي حضرتُه في فرنسا، وكان عن الحوار بين المسلمين وغير المسلمين، وكان له أثرٌ جيِّد، ولكنْ من المسائل الساخنة الَّتي أُثِيرت فيه: مسألة الحجاب، وناقشتُ الحاضرين من الفرنسيِّين مناقشة لم يجدوا أمامها جوابًا.

QaradawiBooks.com

إنَّهم قالــوا: إنَّ الحجاب هذا رمزٌ ديني. وقلتُ لهــم: إنَّه ليس رمزًا دينيًّا؛ لأنَّ الرمز ما ليس له وظيفة يُؤَدِّيها غير الإعلان والشــعار، وذلك مثل الصليب على صدر المسيحي، أو القلنسوة على رأس اليهودي.

هذه هي فعلًا رموز دينيَّة، ليس لها وظيفة مُعَيَّنة، ســوى أنَّها إعلان بأنَّ هذا يهودي، وإعلان بأنَّ هذا مسيحي.

ولكنَّ الحجاب له وظيفة، وهي أنَّه يُؤَدِّي وظيفة الســتر والاحتشام، فالمسلمة مأمورة أن تحتشــم، تُغَطِّي شَــعْرها ونَحْرَها وعُنُقَها. هذا هو معنى الحجاب، فله وظيفة الستر والاحتشام.

وحتَّى لو فُرِضَ أنَّه رمز، أنتم لم تمنعوا المسيحي أن يضع الصَّلِيب على صدره، ولم تمنعــوا اليهودي أن يضع الطاقية على رأســه، فلماذا تمنعون المسلم، بل أنتم سمحتم للسِّيخي أن يلبس عمامة السيخ، ويأخذ ترخيصًا بقيادة الدراجة البخاريَّة دون أن يلبــس غطاء الرأس الحديدي (الخوذة)، من أجل عمامته السيخيَّة هذه!

وهذا كلُّه من رواســب الحروب الصليبيَّة، رواســب العُقَد القديمة، وينبغي أن نَتَحَرَّر من بقايا هذه العُقَد، ويتعامل بعضُنا مع بعضٍ نِدًّا لنِدٍّ.

المحاور: هل دارت مناقشة في ذلك المؤتمر في فرنسا حول قضايا الإسلام والغرب يُمْكِن أن تكون باعثًا على مصادرة كتابكم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لقد ناقشناهم في مثل هذه القضايا مناقشة طويلة، وكان هناك بعض المُتَعَصِّبين حاضرين، ويبدو أنَّهم نقلوا شيئًا من هذا، فوصل إلى الدار الناشــرة للكتاب في ذلك الوقت أنَّه قد يصلكم منع لكتاب «الحــلال والحرام»، ولكــنَّ محاميَ دارِ القلم الَّتي تنشــر الكتاب ردَّ على هؤلاء بأنَّ الكتاب لا يحمــل أيَّ فكرٍ يمكن أن يمنع،

QaradawiBooks.com

وليس فيه أيِّ شـــيء، بالعكس فإنَّ هذا الكتاب سَـــمْح ومُيَسِّـــر، إلخ، فسكتوا من ذلك اليوم بعد ردِّ المحامي، إلى أن جاء هذا المنع أخيرًا.

بعد الحملة الَّتي أُثِيرت ضدَّهم، حتَّى من الفرنســـيِّين أنفسهم، ومن الإعلاميِّين والصحفيِّين ومن العالم الإســـلامي ومن الإيكو ومن اتِّحاد المُنَظَّمات الإســـلاميَّة في فرنســـا، والكلُّ ذكر أنَّ الكِتَـــاب ليس معاديًا للغرب، كما يقولون، بالعكس فالكتاب في فصلـــه الأخير يتحدَّث عن علاقة المسلم بغير المسلم بصورة هي في غاية السماحة، وليس فيه أيُّ نبرة معادية كمـــا يقول خطاب المنـــع، وإذا كانوا يقولـــون: إنَّ الكتاب معارضٌ أو معادٍ للقيـــم الَّتي قامت عليها الجمهوريَّـــة، فمن ضِمْن هذه القيم المســـاواة بين الرجل والمرأة، وذكروا في هـــذا أنَّ الكتاب يُبيح ضربَ المرأةِ عند النشوز.

وردَّ عليه بعض الفرنسيِّين وقالوا: هذا مذكورٌ في القرآن، ومذكورٌ في بعض كتب الأديـــان، ولكنَّ الكتـــاب حينما عرض هذا الأمـــر قال: إنَّ الضرب ليـــس مطلوبًا لكلِّ امـــرأة، ولا لكلِّ حالة، إنَّمـــا هذه في بعض الحالات الشاذَّة، والأولى ألَّا يتعرَّض المسلم للضرب؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ولن يَضْرب خيارُكم**»[1]، وإذا ضرب فضَرْب خفيف غير مُبَرِّح، بعيد عن الوجه، وكما قال النبيُّ ﷺ لإحدى الخادمـــات يومًا: «**لولا القِصَاص يومَ القيامة لأوجعتُكَ بهذا السِّواك**»[2]، يعني لم يُمْسِك سوطًا أو خشبة يكسر

(١) رواه الحاكم (١٩١/٢)، وصحح إســناده، ووافقه الذهبي، والبيهقـــي (٣٠٤/٧)، كلاهما في النكاح، عن أم كلثوم بنت أبي بكر.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨٤)، وأبو يعلـــى (٦٩٤٤)، والطبراني (٣٧٦/٢٣)، وجود إسناده الهيثمي في المجمع (١٨٤١١)، وضعَّفه الألباني في الصحيحة (٤٣٦٣)، عن أم سلمة. ولكن القود يوم القيامة ثابت بأحاديث أخرى صحاح.

QaradawiBooks.com

بها رأسها أو يُبَرِّح بها جسدها. ولقد عرض الكتاب هذا الأمر عرضًا مُفَصَّلًا، فالضرب بعد الوعظ، وبعد الهجر في المَضْجَع، إلخ.

وهذا لا ينفي المساواة الأساسيَّة بين الرجل والمرأة، فالقرآن نقل لنا ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، المرأة من الرجل، والرجل من المرأة، كلاهما يُكَمِّل الآخر، ليس كلاهما خصمًا للآخر، المرأة مُكَلَّفة مثل الرجل ومجزية بالجنَّة أو بالنَّار مثل الرجل تمامًا، والرسول ﷺ يقول: «**إنَّما النساءُ شقائقُ الرجال**»[1]. فالمساواة هي الأساس.

لم يجدوا جوابًا أمام هذا كلِّه، ولذلك تراجع وزير الداخليَّة، وطلب حفظًا لماء الوجه من عميد مسجد باريس أن يكتب التماسًا للوزير، للسماح بالكتاب، وفعلًا كتبوا هذا، وذهب الوزير إلى مسجد باريس، وقال: إنَّه سيُفْرِج عن الكتاب، وإنَّ هذا كان خطأً إداريًّا سخيفًا. وهو في الواقع خطأٌ إداريٌّ، وخطأٌ سياسيٌّ، وخطأ ثقافيٌّ.

جارودي وحوار الحضارات

المحاور: يرى المُفَكِّر «رجاء جارودي» في كتابه «حوار الحضارات» أن تحتلَّ الحضارات غير الغربيَّة مكانًا متساويًا في الأهميَّة بجوار الثَّقافة والحضارة الغربيَّة. ويرى أيضًا أنَّه ينبغي أن ينظر إلى الفلسفة على أنَّها طريقة في الحياة وليست بحثًا فكريًّا، وأن يحتلَّ علم الجمال مكانةً مُتَمَيِّزة في مثل مكانة العلوم والتقنيات، وأنْ يكون للمستقبليَّة والتفكير في المستقبل مكانة، مثل مكانة التاريخ في الأهميَّة على الأقلِّ. وذلك كلُّه لكي ينشأ حوار بين الحضارات، كيف تَرَوْن هذه القضايا؟

(١) سبق تخريجه صـ٣٠٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا بأس بكلِّ ما ذكره المُفكِّر الكبير الأستاذ «رجاء جارودي»، وإن كان ما ذكره موجودًا حتَّى في الثقافة الغربيَّة والحضارة الغربيَّة بأقدارٍ معيَّنة، أعتقد أنَّ علم الجمال له مكانه، ونحن المسلمين أيضًا نُقَدِّر الجمال، والقرآن الكريم يربِّي الإحساس بالجمال عند الإنسان المسلم. فجمال الكون: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ [فصلت: ١٢]، ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦]، فهذه الزينة الكونيَّة. وزينة الأرض: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠]، البهجة: الحُسْن، القرآن يلفت النظر إلى هذا.

حتَّى الجمال في الحيوان، يعرض القرآن هذه اللوحة: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]، ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]، وهذا جانب المنفعة، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾، جانب الجمال وليس فقط جانب المنفعة: تأكل منها وتَشْرب لبنها، هذا جيِّد، لكن انظر: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾، حتَّى إنَّه يقول: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨]، جانب الزينة.

وفي البحر: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤]، انظر كيف ذكر جانب المنفعة وجانب الجمال ليستمتع النَّاس بجانب الجمال، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، الطيِّبات من الرزق جانب، والزينة وأضافها إلى الله تشريفًا لها وتنويهًا بقدرها، ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ﴾، والنبيُّ ﷺ يقول: «**إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال**»، حينما قال له بعض

QaradawiBooks.com

الصحابة، سمع منه: «**لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كِبْر**». قال: يا رسولَ الله، إنِّي أحبُّ الجمال في كلِّ شيء، وأحبُّ أن يكون ثوبي حسنًا ونعلي حسنًا، وما أحبُّ أن يفوقني أحدٌ بشِراك نَعْل، فهل هذا من الكبر؟ قال له: «**إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال، الكِبْر بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ النَّاس**»(١).

الإسلام يرى الاهتمام بالجمال على أن يكون لهذا أيضًا ضوابطه الشَّرعيَّة.

الإسلام والمستقبل:

أمَّا النظرة المستقبليَّة، فقد ذكرت في أكثر من كتاب لي أنَّ الإسلام ينظر إلى المستقبل، نجد في القرآن حرف السِّين كثيرًا ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤]، ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٢ ـ ٤]، ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، قال الصحابة حينما قرأها الرسول: أيُّ جَمْع؟ نزل هذا في مكَّة، وبعد سنين طويلةٍ في غزوة بدر قرأها، فقالوا: عرفنا أنَّها جاءت لترشد إلى اليوم.

ويقول في سورة المُزَّمِّل، وهي مكِّيَّة: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، سيكون في المستقبل كذا وكذا وكذا، فالنظرة المستقبليَّة هذه نظرة إسلاميَّة والرسول ﷺ نبَّأنا بأشياء كثيرة في المستقبل ليلفت نظرنا إلى ما سيحدث في آخر الزمان، فلا مانع من استشراف المستقبل، بل هذا ينبغي للمسلمين أن يهتمُّوا بهذا الأمر.

(١) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٦٤٤)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

فإذا كانت النظرة المستقبليَّة والاستشراف المستقبلي والاهتمام بالجماليَّات والاهتمام بالماديِّيَّات، فإنَّه يجب الاهتمام بالمعنويَّات بصفة عامَّة بجوار الاهتمام بالحِسِّيَّات وبالتكنولوجيَّات.

لا ينبغي أن يشغل النَّاس الجانب المادِّي وحده، عن الجانب الروحي والجانب الجمالي، وأجمل الجمال هو الإيمان بالله ﷻ، وبالدار الآخرة، وبالقيم العليا، وبالجمال المعنوي أيضًا.

ولا أدري هل يقصد فقط الجمال المادِّي في الكون؟ أم يقصد ما هو أعظم لأنَّ هناك جمالًا معنويًّا، والقرآن يقول: ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]، ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]، فهناك صبرٌ جميلٌ وصفحٌ جميلٌ، وفي أكثرَ من شيءٍ معنويٍّ وصفه القرآن بالجمال، وهذا يدلُّ على أنَّ الجمال ليس وصفًا للحِسِّيَّات فقط، حتَّى المعنويَّات فيها جمال، وأجمل الجمال وأكمل الكمال هو جمال الله تعالى وكماله: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمال**»، فينبغي أن نتعلَّق بمصدر الجمال الأعلى ومصدر الكمال كلِّه، وهو الله تبارك وتعالى.

ما يدعو إليه الأستاذ جارودي نحن نوافقه عليه في إجماله، ولا ينبغي أن تكون الحضارة الغربيَّة وحدها هي الحضارة وتُغْفِل كلَّ الحضارات الأخرى؛ لأنَّ الغربيِّين الآن ينظرون إلى أنفسهم على أنَّ حضارتهم هي الحضارة، وما عداها من الحضارات «صفر على الشمال»، ينبغي أن تكون الحضارات على قَدَمٍ متساوية مع الحضارة الغربيَّة

تعامل الدولة العُثمانيَّة والغرب، هل هو النموذج؟

المحاور: تُعَدُّ تجربة العلاقة بين الدولة الإسلاميَّة مُتَمَثِّلة في الخلافة العُثمانيَّة والغرب جديرة بالتأمُّل في هذا السياق، هل يمكن أن تتَّخِذ هذه

QaradawiBooks.com

التجربة أنموذجًا لعلاقة قادمة مأمولة بين الإسلام والغرب؟ رغم أنَّه يُشَار إلى اقتصار التعامل العُثماني مع الغرب في المجال العسكري أكثر من غيره من مجالات الحياة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: تعامل الغرب مع الدولة العُثمانيَّة ليس هو النموذج الَّذي يُحتذى؛ لأنَّ الغرب منذ تعامَل مع هذه الدولة، وتعاملت معه هذه الدولة كان ينظر إليها بعَيْن الرِّيبة والتوجُّس، وكانت هذه الدولة في أوَّل أمرها دولة قويَّة، لها سلطانها، ولها طموحاتها، وقد دخلت أوربا في أوَّل الأمر فاتحة، وطرقت أبواب «فيينا» عدَّة مرَّات، واستولت على «البلقان»، ولا شكَّ أنَّه قد كانت هناك تجاوزات في بعض التعاملات، ولكن من نظر إلى ما قامت به الدولة العُثمانيَّة وما قام به الأوربيُّون أنفسهم في البلاد الَّتي فتحوها واستعمروها يجد تفوُّقَ هذه الدولة من ناحية القيم والتزامها بالشَّرْع.

لقد كان الخليفة أو السلطان لا يستطيع أن يبُتَّ في الأمور الكبيرة إلَّا بعد أخذ فتوى من شيخ الإسلام، المفتي الأكبر، وعلى هذا حينما أراد بعضهم أن يفتك بغير المسلمين، أبى رجال الشرع هذا، وقالوا: إنَّ هؤلاء أهل ذمَّة، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، فتراجع السلطان عن ذلك[1].

وظلَّ هذا الأمر على ما هو عليه إلى أن ضعفت الدولة العُثمانيَّة وخضعت لضغوط الغربيِّين عليها: وكان ينقص القيادة العُثمانيَّة ـ في ذلك الوقت ـ أمر مُهِمٌّ، فإنَّ القيادة كما قال شيخنا أبو الحسن الندوي لا تتمُّ إلَّا بأمرين: الجهاد والاجتهاد، الجهاد يمثل القوَّة العسكريَّة،

(١) انظر: تعليقات شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون (١٧٧/١)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، فاس، ١٩٣٦م.

QaradawiBooks.com

والاجتهاد يمثل القوَّة العِلْميَّة والفكريَّة، ولقد أجاد العُثمانيُّون العنصر الأوَّل: عنصر الجهاد، ولكنَّهم لم يُجيدوا العنصر الثاني، غلب عليهم التقليد والعصبيَّة، واتِّباع المُتَأخِّرين من العلماء، ولم يُجَدِّدوا في الدِّين، ولم يبتكروا في الدُّنْيا.

ومن هنا تطوَّر العالم من حولهم، وظلُّوا هم على حالهم، إلى أن فوجئوا بتفوُّق أوربا، تكنولوجيًّا وعسكريًّا وعلميًّا، وفي كلِّ النواحي، واضطرُّوا إلى أن يأخذوا من أوربا، بعد أن كانوا في مركز العطاء والمركز الأعلى، أصبحوا يأخذون من أوربا، وجاء عصر التجديدات والإصلاحات فأخذوا من قوانين أوربا ومن أنظمتها شيئًا فشيئًا، ولذلك ظلَّ هناك قصورٌ ونقصٌ في هذه القيادة إلى أن ضعفت وصار الأوربيُّون يُسمُّونها: الرجل المريض، وظلَّت أعناقهم مشرئبَّة، وأعينهم مُتَطَلِّعة إلى تركة هذا الرجل المريض، ومتى تُقسم؟ وعلى مَنْ تُقْسم؟ وظلَّ هذا الأمر إلى أن تمَّ ذلك في الحرب العالميَّة الأولى، وانتهت دولة بني عثمان تمامًا حينما استولى أتاتورك على الدولة، وألغى الخلافة، وفصم ما بينه وبين العروبة والإسلام فصلًا نهائيًّا، حتَّى الحروف العربيَّة نفسها عاداها، حتَّى المظاهر الَّتي كانت تُمَثِّل نوعًا من التقاليد المرعيَّة عند النَّاس، كلُّ هذا أُلغي وفرضت العلمانيَّة على التشريع، والعلمانيَّة على التعليم، والعلمانيَّة على الثقافة، والعلمانيَّة على التقاليد، حتَّى أصبح الحجاب ممنوعًا، حتَّى حُرِّم الأذان باللغة العربيَّة.

ومن هنا نقول: إنَّ النموذج العثماني ليس هو النموذج الَّذي يُحتذى في هذه العلاقة، إنَّما ينبغي أن نختار لنا نموذجًا نُقَيِّمه على أساس من الشرع والموازنة بين المصالح والمفاسد، وبين الدِّين والدُّنْيا، وبين

QaradawiBooks.com

الثوابت والمتغيِّرات، وبين التـــراث والمعاصرة. هذا ما ينبغي أن تكون عليه الصلة بالغرب اليوم.

الهمجيَّة والمدنيَّة بين الإسلام والغرب:

المحاور: في غمرة اضطرارنا للتعامل مع الغرب يرى هذا الغرب أنَّ أيَّ معركة تمَّ له الانتصار فيها هو انتصار للمدنيَّة على الهمجيَّة، ويعني بالهمجيَّة العالم الإســـلامي، بينما يرى أنَّ أيَّ معركة انتصر فيها العالم الإســـلامي هو انتصار للهمجيَّة على المدنيَّة، ما هي الموازنة المطلوبة في ذلك؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: هذا كلامٌ غير علمي، وغير منطقي، وهو يخالف التاريخ، ويخالف الواقع، فما كان المسلمون همجًا في وقت من الأوقات، إنَّما كانوا دُعاة المدنيَّة والحضـــارة، وكانوا هم الَّذين يملكون زمام الحضارة طَوَال قرون عِدَّة، كانوا هم أصحاب الحضارة، والحضارة كانت إســـلاميَّة وعربيَّة لأنَّها كانت مكتوبـــة بالعربيَّـــة، وانطلقت أوَّل ما انطلقت من أرض العرب، فهي حضارة عربيَّة إســـلاميَّة، كانت أسماء علماء المســـلمين هي أشـــهر الأســـماء في العالم: العلمـــاء في الطبِّ، والعلماء في الفَلَك، والعلماء في الفيزيـــاء، والعلماء في الكيمياء، وفي الرياضيَّات، وفـــي البصريَّات، كانت المراجع العِلْميَّة مراجع إســـلاميَّة، وكانت أوربا تستفيد من هذه المراجع، كانت الجامعات الكبرى جامعات إســـلاميَّة عربيَّة، كانت اللُّغة الَّتـــي يكتب بها العلم هـــي اللُّغة العربيَّة، فكيف يقال: إنَّ المسلمين يُمَثِّلون الهمجيَّة وكان غيرهم يمثل المدنيَّة.

الحقيقة أنَّ أوربا في تلك الســـنين ما كانت تعرف ضوء المدنيَّة إلَّا من سَمِّ الخياط، لا تراه إلَّا من سمِّ الخياط! وفي الوقت الَّذي كانت فيه

QaradawiBooks.com

مئات الحَمَّامات في قرطبة، كانت أوربا لا تعرف الحمَّامات، بل كان بعض القِدِّيسِين يقول: وا أسفاه كان القِسِّيسون قبلنا يعيش أحدهم لا يَبُلُّ أطرافه بالماء، ولكنَّنا أصبحنا في زمنٍ يدخل فيه النَّاس الحمَّامات[١]!

وذلك عدوى من المسلمين! كيف يقال: إنَّ المسلمين يُمَثِّلون الهمجيَّة، والغربيُّون يُمَثِّلون المدنيَّة؟ انظر ماذا حدث حينما فتح المسلمون فتوحاتهم، يقول «جوستاف لوبون»: ما عرف التاريخ فاتحًا أعدل، ولا أرحم من العرب[٢]؛ لأنَّ الفتح كان كلُّه رحمة، وكلُّه سماحة، وكلُّه إقامة العدل، وانظر ماذا فعل الغربيُّون حينما دخلوا بلاد الإسلام؟ ماذا فعلوا حينما دخل الصليبيُّون بيت المقدس؟ ألوف مُؤَلَّفة، حوالي سبعين ألفًا قُتلوا، وغاص النَّاس في الدماء إلى الرُّكَب، وحينما استردَّ صلاح الدِّين بيت المَقْدِس، لم يفعل ما فعله هؤلاء النَّاس، بالعكس: عفا وسمح وأصلح، وكان مثالًا للمسلم المقتدي برسول الله ﷺ، حينما دخل مكَّة وعفا عن أهلها، وقال لهم: «**اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء**»[٣].

فالكلام لا يُلقى على عواهنه هكذا، وهو كلام لا يُؤَيِّده التاريخ، ولا يؤيِّده الواقع، ولو رأينا ماذا صنع الاستعمار في البلاد الَّتي دخلها، وماذا صنع في أفريقيا وآسيا، وكيف فعل مع المغلوبين من المسلمين ومن غير المسلمين. ماذا فعل الاستعمار الفرنسي في الجزائر؟ وكيف

(١) ذكر ذلك العلامة أبو الحسن الندوي في كتابه القيم: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ ١٥١، في حديثه عن الطهارة، نشر مكتبة الإيمان، المنصورة.

(٢) انظر: حضارة العرب لجوستاف لوبون صـ ٦٠٥، ط ٣، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٦م.

(٣) انظر: السيرة النبويَّة لابن هشام (٤١٢/٢)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

QaradawiBooks.com

حوَّل المساجد إلى كنائس، إلى متاحف، وإلى مستشفيات، رأيتُ هذا بنفسي حينما زرتُ الجزائر، ماذا فعل الغربيُّون حينما أخذوا الأحرار من أفريقيا بالحيل واقتادوهم وربطوهم بالسلاسل، وذهبوا بهم إلى أوربا وإلى أمريكا، وهذا أمر معروف، مئات الآلاف من الأحرار حُوِّلوا إلى عبيدٍ، وهم الَّذين صنعوا أمريكا وغيرها بسواعدهم وكَدِّ يَمِينهم وعَرَق جَبِينهم.

الواقع أنَّ آثار الاستعمار وما تركه في الديار الَّتي دخلها، شيءٌ يَنْدى له الجبين وتَتَفَتَّت له الأكباد، وانتفخت به بطون الكتب، ولسنا في حاجة إلى أن نُعِيد هذا.

وإذا نظرنا إلى موقف كلٍّ من الإسلام والمدنيَّة لطال بنا المدى واتَّسع المجال، ويكفي أن نعود في هذا إلى ما كتبه الإمام الشيخ محمَّد عبده في كتابه الشهير «الإسلام والنصرانيَّة مع العلم والمدنيَّة»، حينما ردَّ على فرح أنطون الَّذي زعم أنَّ الإسلام لا يتَّسع للمدنيَّة بحُكْم أصولِه وقواعده.

وكتب هذا الكتاب الرائع «الأصول الستَّة الَّتي يُخالف بها الإسلام المسيحيَّة» فيمكن لمن أراد أن يتوسَّع في الموضوع أن يرجع إلى هذا الكتاب القَيِّم.

نهاية التاريخ والصراع العقائدي:

المحاور: يرى «فرانسيس فوكوياما» في «نهاية التاريخ» أنَّ الصِّراع العقائدي سوف يختفي، لن تختفي المبادئ والأفكار، لكن لن تكون هناك خلافات جوهريَّة في الأفكار، ويرى أنَّ التقدُّم لن يكون محكومًا بالصراع الأيديولوجي، ولكنَّ التقدُّم التكنولوجي سيكون له الكلمة

QaradawiBooks.com

الأخيرة، ورغم أنَّه يرى أنَّ الإسلام يُمَثِّل مَشْروعًا مختلفًا عن المشروع الليبرالي الَّذي يتوقَّع له السيادة، فإنَّه من المهمِّ أن نتعرَّف على رؤيتكم الإسلاميَّة لفكرة نهاية التاريخ لدى «فوكوياما».

فضيلة الشيخ القرضاوي: في رأيي أنَّ صراع الأفكار والأيديولوجيَّات والأديان والمذاهب سيكون هو الصراع المهمَّ، وليس من الضروريِّ أن يكون صراعًا بالسلاح، إنَّما هو صراع بالحجَّة والبرهان، وأعتقد أنَّ البشريَّة في الزمن القادم لن تجد لها واحة تستريح فيها، ولن تجد بَرًّا ترسو عليه سفينتُها إلَّا بَرَّ الإسلام.

فالإسلام هو الَّذي يُمَثِّل برَّ الأمان للبشريَّة القلقة الحائرة المُعَذَّبة الَّتي استطاع الإنسان فيها أن يصل إلى القمر، ولكنَّه لم يستطع أن يُسْعِد نفسه على سطح الأرض.

إنَّ البشريَّة في حاجة ـ كما قلنا من قبل ـ إلى رسالة متوازنة، ورسالة التوازن الحقيقيَّة تتمثَّل في الإسلام. ولن يجد العالم سكينته وسعادته الروحيَّة وتوازنه إلَّا في رسالة محمَّد ﷺ، وأعتقد أنَّ العالم سيأوي إلى هذا الدِّين بعد أن أَشْقَتْه الأيديولوجيَّات الأخرى، ولن تستطيع اليهوديَّة ولا النصرانيَّة، ومن باب أولى لن تستطيع الأديان الوضعيَّة والأديان الوثنيَّة في آسيا أو إفريقيا أن تُقَدَّم إليه قارورة الدواء أو مِضَخَّة الإطفاء.

إنَّ البشريَّة مُعَذَّبة ومريضة وفي حاجة إلى دواءٍ يشفيها. تشكو من هذا الحريق، وهذا السُّعار المادِّي الَّذي يأكل باطنها، ولن تجد الإطفاء إلَّا في الإسلام.

كلُّ ما نرجوه هو أن تقوم الأُمَّة الإسلاميَّة بدورها، وأن تعرف أنَّ معها ما ليس مع العالم، وأنَّ عندها ما ليس عند العالم، ولا بدَّ أن تقوم

QaradawiBooks.com

بذلك جماعة من النَّاس، هي الطائفة أو الأُمَّة الَّتي ذكرها القرآن: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١].

من فضل الله أنَّ النَّاس لا يجتمعون على ضلال، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. سيظلُّ هناك من يؤمن بهذه الرسالة الخالدة، ويظل هناك من يدعو إليها، ويعيش لها، وهي الطائفة المنصورة الَّتي جاء ذكرها في أحاديث: «**لا يزال من أُمَّتي أُمَّةٌ قائمةً بأمر الله، ما يضرُّهم من كذبهم ولا من خالفهم، حتَّى يأتيَ أمرُ الله وهم على ذلك**»(١).

أملنا في هذه الطائفة الَّتي تجسِّد الصحوة الإسلاميَّة والمدَّ الإسلامي في هذا العصر، أن تتقدَّم هذه الطائفة بهذا الإسلام إلى العالم، الإسلامِ الصحيح غير الْمُحرَّف، الإسلام المتوازن، الإسلام الأوَّل، أي: إسلام القرآن والسُّنَّة، الإسلام الَّذي فهمه الصحابة، الإسلام قبل أن تُضاف إليه الزوائد والشوائب، وتلحق به المبتدَعات والمحدَثات، الإسلام الْمُنقَّى.

هذا هو الَّذي ينبغي أن ندعو العالم إليه: نهتمُّ بالجوهر لا بالشكل، وبالأصول لا بالفروع، وبالكُلِّيَّات لا بالجزئيَّات، ونُقَدِّم هذا الإسلام إلى الدُّنْيا لترى فيه خلاصها وسلامتها من كلِّ ما تعانيه.

نخالف فوكوياما والمستقبل للإسلام:

المحاور: بهذه الصورة أنتم ترون رؤية مختلفة عمَّا يرى فوكوياما في «نهاية العالم»؟

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٦٠)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم، إنَّ الإسلام صاحب المستقبل إن شاء الله، ونحن عندنا البشائر لهذا من القرآن والسُّنَّة والتاريخ والواقع، إنَّ المستقبل لهذا الدِّين، وهذه الأُمَّة إن شاء الله.

فوكوياما لم يختلف على أيِّ دينٍ من الأديان سيكون المستقبل له، لكنَّه رأى أنَّ التقدُّم التكنولوجي هو الَّذي سيحسم الصراع لا الدِّين والفِكْر؟

التقدُّم التكنولوجي هو وسيلة، وليس غاية، ويمكن أن تتغيَّر الموازين فقد يكون التقدم التكنولوجي الآن مع الغربيِّين، ولا ندري ماذا يخبِّئه المستقبل؟ كان الاتِّحاد السوفيتي معه تقدُّم تكنولوجي، وكان يمتلك ترسانة من الأسلحة النوويَّة الذَّرِّيَّة والإستراتيجيَّة لا يملك مثلها أحد ما عدا الولايات المتَّحِدَة.

من قرأ الأرقام الَّتي كان يملكها الاتِّحاد السوفيتي من القوَّة العسكريَّة النوويَّة وغيرها، يعجب كيف سقط الاتِّحاد السوفيتي، كيف انهار الاتِّحاد السوفيتي، انهار ومعه التكنولوجيا العالية، ومعه الأسلحة النوويَّة، ولكن هذه لم تُغْنِ عنه شيئًا، ممَّا يدلُّ على أنَّ التكنولوجيا ليست وحدها الحاسمة كما يقول فوكوياما، هناك أشياء أخرى.

من يملك الحسم في مستقبل الإنسان؟

المحاور: في رأيكم من يملك الحسم في مستقبل الإنسان إذن؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الإنسان هو الحاسم، العنصر الإنساني هو الحاسم: ما قيمة أن يملك الإنسان تكنولوجيا ولكنَّه غير سعيد في حياته، قد يتمرَّد الإنسان على هذه التكنولوجيا الَّتي أشقته، خصوصًا بعد

QaradawiBooks.com

أن أفقدته هذا التوازن في حياته النفسيَّة، وفي حياته العائليَّة، حتَّى في الحياة الكونيَّة. فقد التوازن، فقد التوازن البيئي: طبقة الأوزون، وغلبة التلوث البصري والسمعي والضوضاء ومن كل ناحية على البيئة، ثمَّ ما بين أجزاء الكون بعضها وبعض، هذا كلُّه سبَّبته التكنولوجيا.

العالم قد يَضِيق بهذا ذَرْعًا، فهناك أحزاب الآن تُسمَّى: أحزاب الخُضْر في البلاد الأوربيَّة، تريد أن تعود إلى الطبيعة، تريد ألَّا تلوث الطبيعة.

أعتقد أنَّ العالم يتغيَّر، وأنَّ الإنسان هو الَّذي سيُغيِّر العالم بتوجُّهاته وأفكاره قبل كلِّ شيء.

ماذا يريد الإسلام من الغرب؟

المحاور: مع تلك الجولات والسفرات الَّتي تلتقون فيها مع أجزاء الأُمَّة في الشرق وفي الغرب: ماذا يريد الإسلام من الغرب في هذا العصر؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نريد من الغرب أن يقف من قضايانا موقفًا عادلًا، لا يَكِيل بكيلين في النظر في قضايانا وقضايا غيرنا، وواضح أنَّه يتحيَّز ولا يعدل في قضايا فلسطين وإسرائيل، وفي البوسنة والهرسك، وفي كشمير، وفي قضايا الأقليَّات الإسلاميَّة المظلومة، والحملة المستمرَّة على إيران والسودان.

وعلى حين أنَّه يتحيَّز لإسرائيل ويسمح لها بترسانة نوويَّة، فإنَّه يُصِرُّ على حرمان العراق من كلِّ قوَّة، حتَّى جاع الأطفال وماتوا من الجوع، وحاصر باكستان حتَّى توقَّف برنامجها النووي، ويعلن مُؤَخَّرًا الحرب على إيران ـ كما نرى في موقف الولايات المُتَّحِدة الآن ـ وهي تريد أن تمتلك قوَّة نوويَّة إسلاميَّة خاضعة للوكالة الدوليَّة.

QaradawiBooks.com

وهذا الموقف مـــن الغرب الَّذي يُحرِّم على إخواننا في البوســـنة أن يشتروا السلاح ليدافعوا عن أنفسهم، وقد تعاونت في ذلك الأرثوذكسيَّة الروسيَّة واليونانيَّة، والكاثولوكيَّة الفرنسيَّة، والبروتستانتيَّة البريطانيَّة.

وبعض الغربيِّين يُسَـــمِّي هـــذا العداء للإســـلاميَّة مثل ما كان من العداء للسامية.

نرجو من الغرب أن يُغَيِّر نظرته هذه بما فيها من محاباة وتمييز، وأن يقف الموقف العادل من هذه القضايا.

مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب:

المحاور: هل ترون أنَّ هناك مســـتقبلًا للعلاقة بين الإسلام والغرب في العصر الحاضر؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: أعتقـــد أنَّ هذه العلاقة يمكـــن أن تتطوَّر وتتحسَّـــن وتأخذ دورًا إيجابيًّا إذا وثق المسلمون بأنفسهم، واستمسكوا بالعروة الوُثْقى الَّتي لا انفصام لها، وهي عُروة الإسلام العظيم، ووقفوا أُمَّة واحدة لها رســـالتها الحضاريَّة والإنســـانيَّة والدينيَّـــة، ولها ماضيها وتراثها، ولها مستقبلها المرجوُّ أيضًا إن شاء الله.

وإذا استطاع الغرب أيضًا أن يفهم المســـلمين ويفهم هذه الأُمَّة ويعي أن ليس هناك أُمَّة تســـتطيع أن تفرض نفسها على العالم وأن تعيش وحدها، ولا حـــقَّ للآخرين في الحياة، بل لا بـــدَّ للنَّاس أن يعيشـــوا وَفْق ما يريدون، والأُمَّة الإســـلاميَّة أُمَّة عريقة، وأُمَّة كبيرة، وأُمَّة ذات رسالة، ومن حقِّ هذه الأمَّة أن تعيش لرسالتها، وأن تعيش وَفْق عقيدتها.

QaradawiBooks.com

ما الَّذي يضرُّ الغربيِّين أن يعيش المسلمون مسلمين كما أمرهم الله، وكما فرض عليهم دينهم، يُحِلُّون ما أحلَّ الله، ويُحَرِّمون ما حرَّم الله ويؤدُّون ما فرض الله، ويُحَكِّمون ما شرع الله، ما الَّذي يضرُّ الغربيِّين من هذا؟

أيُّهما أولى للإنسان الغربي: المسلم المُتَمَسِّك بدِينه الَّذي يراقب الله في الصغيرة والكبيرة، ويؤدِّي واجبه ويحكم بالعدل مع من يحبُّ ومع من يكره: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة: ٨]، متسامحًا مع غيره كما أمره الإسلام، وكما كان شأن المسلمين في عصور الازدهار الحضاري، أم نموذج الإنسان الَّذي لا دين له، الَّذي يعيش عاريًا من الدِّين، لا عقيدة تستره، ولا شريعة تحكمه، ولا أخلاق تقوده، ولا قيم تُسَيْطر عليه وتُوَجِّه مسيرته؟

ما الَّذي يضرُّ الغربيِّين؟ الإنسان المسلم المتعبِّد لربِّه، الملتزم بأخلاقيَّات هذا الدِّين في سلوكه مع ربِّه، وسلوكه مع نفسه، وسلوكه مع أسرته، وسلوكه مع المؤمنين من أمثاله، وسلوكه مع الآخرين ممَّن يخالفونه في العقيدة.

أعتقد أنَّه من الخير للغربيِّين أن يتعاملوا مع أُمَّة تحترم دِينَها وعقائدها، وتعيش بها، وتعيش لها، وتعمل بدِينِها، وتعمل لدِينِها، ويتعاملوا مع هذه الأُمَّة معاملة النِدِّ للنِدِّ.

ولا بدَّ للغربيِّين أن يتخلصوا من العقد القديمة، الَّتي ورثوها من أيَّام الحروب الصليبيَّة، ومن هذه الأحقاد السوداء، فقد انتهى هذا العصر.

وينبغي أن نتحرَّر من هذه العقد، ومن هذه الرواسب، وينبغي أن

QaradawiBooks.com

يتحرَّروا أيضًا من عقدة الاستعلاء، أنَّهم هم السادة، وأنَّ غيرهم هم البرابرة كما كان يعتقد الرومان من قديم.

لا بدَّ أن نتعامل معاملة الأنداد المتساوين: فكلُّنا بشر، وكلُّنا لآدم وآدم من تراب.

إذا سادت هذه النظرة، أعتقد أنَّه يمكن أن يثمر الحوار، ويمكن أن يثمر ذلك علاقة طيِّبة وحسنة.

نقول للغربيِّين: دعونا نعيش بديننا، ونعيش وَفْق عقائدنا، وشرائعنا وقيمنا، نعطي ونُؤَدِّي الواجب، ونأخذ الحقَّ ولا نظلم أحدًا ولا نجور على أحدٍ.

هذا ما نطالب به الغربيِّين، ونرجو أن يسمع ذلك العقلاء منهم، والمنصفون، وأن نحيا لنبني حضارة عالميَّة إنسانيَّة، العلوُّ فيها للحقِّ، والكلمة فيها للإيمان، والنصر فيها للخير، وهذا ما نرجوه ونتوقَّعه إن شاء الله، وما ذلك على الله بعزيز.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

ماذا جرى من حوار بين د. يوسف القرضاوي و«مارغاريتا» السكرتير الأوَّل للسفارة الأمريكيَّة؟

إذا كانت مؤسَّسات الأبحاث والدراسات في الولايات المُتِّحِدة الأمريكيَّة في حالة عملٍ دائمٍ منذ فترة ليست قصيرة اهتمامًا بالظاهرة الإسلاميَّة، فإنَّ معرفتنا لإحدى هذه المؤسسات وهي مؤسَّسة «RAND» الَّتي تبلغ ميزانيَّتها مائة مليون دولار لا تبعث على الدهشة.

وفي سفارات الولايات المُتِّحِدة الأمريكيَّة في العالم الإسلامي اهتمام مماثل، حيث يحرص بعض العاملين فيها على استطلاع آراء علماء ومُفَكِّري العالم الإسلامي في القضايا الساخنة الَّتي يمرُّ بها العالم.

مؤخَّرًا قامت السكرتير الأوَّل للسفارة الأمريكيَّة بدولة قطر بزيارة إلى الدكتور يوسف القرضاوي الداعية والمُفَكِّر المعروف، ومدير مركز أبحاث السُّنَّة والسِّيرة بجامعة قطر بمكتبه، ودار بينهما حوار اطَّلعتُ عليه المجتمع، ورأيتُ أن أقدم صورة منه للقارئ:

سألتْ «مارغارتيا دايان راغديل» د. يوسف القرضاوي عن رغبتها في اللقاء معه للتعارف فقال: ليس هناك في الإسلام ما يمنع التعارف، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وبعد أن أكَّدت السكرتير الأوَّل للسفارة الأمريكيَّة متابعتها لأعمال د. القرضاوي، سواء خطبة الجمعة الَّتي يَبُثُّها تليفزيون قطر كلَّ أسبوع من مسجد عمر بن

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخطاب بالدوحة، أو برنامجه الأسبوعي الَّذي يُذاع بالتليفزيون أيضًا مساء كلِّ جمعة.

• سألته **عن رأيه بالذات فيما يحدث في مصر والجزائر من أحداث «العنف» و«التطرُّف»**.

ـ فقال فضيلة د. القرضاوي: ليس كلُّ ما يحدث من أحداث عنفٍ من عمل الإسلاميِّين، فهناك أشياء تبرَّؤوا منها، ولم يتحمَّلوا مسؤوليَّتها، مثل العنف في المدارس والحافلات، وحادثة الأزبكيَّة، وقهوة ميدان التحرير بـ «مصر»، فهناك جهات يُهِمُّها ارتكاب حوادث مثيرة فظيعة لتُحمَّل أوزارها للإسلاميِّين.

أسباب ودوافع العنف:

ليست كلُّ الدوافع إسلاميَّة، فكثير ممَّا يحدث دوافعه ثأريَّة ـ في مصر مثلًا ـ وخصوصًا أنَّ معظم الَّذين يقومون بهذه الأعمال من أبناء الصعيد، والصعيد عنده تقاليد راسخة أشبه بالعقائد الَّتي لا يتنازل عنها، وهي الثأر للدم أو للعِرْض، فهذا أمرٌ لا تهاون فيه عندهم، وكثير ممَّا يحدث الآن هو عمليات ثأرٍ وانتقام.

• قالت السكرتير الأوَّل: **ولكنَّ كثيرًا من الغربيِّين لا يعرفون مثل هذا!**

ـ قال د. القرضاوي: هذه مُهِمَّتكم أنتم، وعلى الَّذين يعيشون في العالم العربي والعالم الإسلامي أن ينقلوا هذه الأشياء على ما هي عليه، ويصحِّحوا الأخطاء والأوهام، حسَب معرفتهم بالواقع.

إنَّه من نتائج غياب التيار الإسلامي المعتدل الَّذي لم يجد ما يُعبِّر عنه من خلال القنوات الرسميَّة والقانونيَّة، كما سُمح للتيارات

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأخرى، ففي مصر مثلًا سُمح للشيوعيِّين أن يكون لهم حزب، وأن يكون لهم صحيفة، وأن يكون لهم حقُّ التجمُّع والدعوة، في حين لم يُسمح للإسلاميِّين.

لماذا يُرفَض قيام حزبٍ دينيٍّ في مصر؟

والحجَّة في هذا أنَّه لا يريد قيام أحزابٍ على أساسٍ دينيٍّ، والسؤال هو:

كيف يمكن أن يُسْمَح لحزبٍ يُنكر الدِّين ويرفضه، ولا يُسمح لحزبٍ يعتمد الدِّين أساسًا للتشريع والتوجيه في مجتمع المفروض أنَّه يقوم على الدِّين أصلًا. الدِّين فيه ليس شيئًا على الهامش، ولكنَّ الدِّينَ جوهرُه وحياتُه.

وإذا قيل: إنَّ هذا قد يُسَبِّب مطالبة الأقباط بحزب، فهذا لا مانع منه، نحن شخصيًّا لا نمانع أن يكون للأقباط حزبٌ يتبنَّى مطالبهم، وإن كان الإسلاميُّون الَّذين طالبوا بحزبٍ إسلامي قد فتحوه للمسلمين ولغير المسلمين، قالوا: إنَّنا نُطالب بمبادئ إنسانيَّة عامَّة: سيادة قيم الإيمان، والقيم الأخلاقيَّة العليا الَّتي جاءت بها كلُّ الرسالات السَّماويَّة، ومقاومة الإلحاد والإباحيَّة والتهتُّك والمُسْكِرات والمُخَدِّرات، وتربية الشباب على الفضيلة، وتحقيق العدالة الاجتماعيَّة، وإقامة الشورى وحُرِّيَّات النَّاس، وصيانة الأعراض والحرمات. وهذه أشياء لا يختلف عليها مسلمٌ ومسيحي. ويتَّفق عليها كلُّ المؤمنين بالدِّين. وبالفعل جاهر بعض المسيحيِّين المصريِّين بالانضمام إلى هؤلاء المطالبين بحزبٍ إسلامي.

ثُمَّ ما المانع من قيام حزبٍ إسلاميٍّ وهناك في أوربا عددٌ من الأحزاب الَّتي تقوم على أساسٍ مسيحي، كالحزب الديمقراطي

QaradawiBooks.com

المسيحي، والحزب الاشتراكي المسيحي في أكثرَ من بلدٍ من بلدان أوربا. نعرف أنَّ ذلك في ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا. وبعضها تولَّى السلطة والحكومة أكثر من مرَّة. فلماذا يُمنع الإسلاميُّون وحدهم من ممارسة حقِّهم؟ وهل يجوز ـ في منطق العدل والإنصاف ـ أن يُحرَم الإنسان من ممارسة حقِّه السياسيِّ لمجرَّد أنَّه إنسان متديِّن، ويُقيم شعائر الله، ويُحِلُّ حلاله ويُحَرِّم حرامَه؟

الشارع المصري يتَّهم أمريكا:

• ثُمَّ سألت السكرتير الأوَّل: **لماذا لا تعطي الحكومة الحقَّ للإسلاميِّين في أن يكون لهم حزب؟**

ـ أجاب فضيلة د. القرضاوي: إذا أردت الصراحة فإنَّ الشارع المصري يتَّهم الأمريكان بأنَّهم وراء ذلك، يقولون: إنَّ أمريكا هي الَّتي لا تريد هذا الأمر وتُخوِّف فيه أصحاب السلطة.

• فقالت: **وما مصلحة أمريكا في هذا الأمر؟**

ـ قال فضيلته: ليس لأمريكا أيُّ مصلحة في هذا، بل هذا في الواقع ضدُّ مصلحتها، ليس من مصلحة أمريكا أن تُعادي الإسلام أو تُعادي القوى الإسلاميَّة أو تعادي التيارات الإسلاميَّة المتوازنة والمعتدلة إطلاقًا، ولكن هناك أناسًا وقوى من مصلحتها أن يظلَّ الإسلام شيئًا مخوفًا مكروهًا، فهم يُخَيِّلون لأصحاب القرار في أمريكا والقوى المؤثِّرة أنَّ الإسلام «بعبع» مُخِيف، وأنَّه يُمَثِّل ما يُسَمُّونه: الخطر الأخضر الَّذي يجب أن يحذر منه بعد زوال الخطر الأحمر الشيوعي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهذا في الحقيقة وهم، فالإسلام ـ خصوصًا فيما يُمَثِّله تيار الوسطيَّة الَّذي نحن من دُعاته ـ ليس خطرًا على أحد، بل هو رحمة الله للعالَمين، والعالم كلُّه عامَّة في حاجة إلى الإسلام، والمسلمون خاصَّة.

• **سألت «مارغاريتا» عن قوَّة هذا التيار الوسطي وما يُمَثِّله؟**

ـ قال د. القرضاوي: إنَّ تيار الوسطيَّة هو الَّذي يُمَثِّل تيار القاعدة العريضة والجمهور الأعظم، كلُّ ما في الأمر أنَّ الآخرين صوتهم عال، والإعلام المحلِّي والإعلام العالمي يريد أن يُضخِّمهم لدوافع وأهدافٍ ما، لكن تيَّار الاعتدال ـ في الواقع ـ هو الأعظم والأغلب.

• **ماذا عن ظاهرة التطرُّف في مصر والجزائر؟**

ـ وعن ظاهرة التطرُّف والعنف قال د. القرضاوي للسكرتير الأوَّل:

إنَّ ظاهرة التطرُّف والعنف ليست ظاهرة إسلاميَّة، بل ظاهرة بشريَّة، وظاهرة عالميَّة، وموجودة في كلِّ العالم: ألا يوجد في أمريكا تيار ضدّ الملونين، وهذا الَّذي تسبَّب في حوادث «لوس أنجلوس» وما وقع فيها من أشياء؟ ألا يوجد في بريطانيا الجيش الجمهوري الأيرلندي والصراع بين الكاثوليك والبروتستانت؟ ألا يوجد الآن في أوربا هذه النزعة في ألمانيا وغيرها وهي النازيَّة الجديدة الَّتي تواجه الأجانب إلى حدِّ القتل، فقد قتلوا النساء في بيوتهنَّ، المعاداة لكلِّ ما هو أجنبي؟ ثمَّ ألا يوجد في إسرائيل أيضًا تطرُّف وعنف؟

فلماذا يركز على ظاهرة التطرُّف والعنف في البلاد الإسلاميَّة وحدها؟ مع أنَّ الَّذين يتبنَّون العنف في البلاد الإسلاميَّة لعلَّهم أكبر عذرًا من غيرهم؛ لأنَّ عليهم من الضغوط ما ليس على غيرهم.

QaradawiBooks.com

حقيقة الجزائر والديمقراطيَّة:

• عن الجزائر سألت «السكرتير الأول» للسفارة الأمريكيَّة بالدوحة د. يوسف القرضاوي عن رأيه في الأحداث هناك.

ـ فقال فضيلته: لماذا تنادون بالديمقراطيَّة في العالم كلِّه، وتتبنَّوْنها وتدافعون عنها، وتقاومون كلَّ من يقف في سبيلها، وتحاولون إسقاطه، إلَّا في البلاد الإسلاميَّة عندما جاءت صناديق الانتخاب بالإسلاميِّين عن طريق انتخابات نزيهة تُشْرِف عليها السلطة الحاكمة نفسها من قبل، وأعطتهم الأغلبيَّة أصواتها، رفض العالم الغربي هذا الأمر، ولم يقبل أن يصل الإسلاميُّون إلى السلطة، فلماذا يزنون بمِيزَانين ويكيلون بكَيْلين.

• قالت السكرتير الأوَّل: إنَّ هؤلاء النَّاس الَّذين وصلوا إلى السلطة وصلوا بالديمقراطيَّة، لكنَّهم لا يريدون أن يستمرُّوا عليها، يريدون أن يلغوا الديمقراطيَّة بعد ذلك.

ـ قال د. القرضاوي:

إنَّني كنتُ في الجزائر، وقد سمعتُ الشيخ عبَّاس مدني بنفسه، حينما سُئل هذا السؤال في التليفزيون الجزائري وأنكر هذا وقال: من قال هذا؟ أنا المُتَحَدِّث الرسمي لجبهة الإنقاذ ولم أقُلْ هذا، فالاعتماد على كلمة تصدر من خطيب مسجد في بلدة من البلدان أو حيٍّ من الأحياء ليس من العِلْميَّة أو من الموضوعيَّة في شيء.

وأضاف: ولنفترض أنَّ هؤلاء لن يُنَفِّذوا ما وعدوا به من الاستمرار في الديمقراطيَّة، فسنجعل لهم الفرصة، وقد كانت الجزائر تحكم قبل ذلك حكمًا دكتاتوريًّا على يد الاشتراكيَّة الماركسيَّة المعادية للغرب

QaradawiBooks.com

والموالية للســـوفييت، فلماذا صبروا عليها وســـكتوا عنها؟ وحين يأتي الإسلاميُّون فهم الَّذين يرصدون ويقاومون، لندع لهم الفرصة، لنرى ماذا سيفعلون، كما أعطيتَ الفرصة لغيرهم من الليبراليِّين والثوريِّين!

غير مرخصة للطباعة

المستقبل، إلى أين؟

• وفي النهاية قالت «مارغاريتا»: إنَّه رغـــم وجاهة ما تقوله عن تيَّار الوسطيَّة الإسلاميَّة، ففي رأيي أنَّ التيار الَّذي سيغلب ويسود في النهاية هو تيَّار التطرُّف والعنف.

ـ فقال فضيلة د. القرضاوي: أنـــا ـ على عكس ما تقولين ـ أعتقد أنَّ التيار الَّذي سيغلب في النهاية ويسود هو تيار الاعتدال والوسطيَّة.

• **لماذا؟**

• لأنَّه هو الَّذي يُمَثِّل رُوح الإسلام، ولأنَّه هو الَّذي تعتنقه الأكثريَّة، ولأنَّ التطرُّف دائمًا قصير العمر، ولا يستمرُّ طويلًا، فإنَّ الْمُنْبَتَّ لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى.

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

ماذا دار بين د. يوسف القرضاوي و«جويس ديفيز» الصحفيَّة الأمريكيَّة[1]؟

في ظلِّ العداء المتنامي بين الغرب والعالم الإسلامي، تبرز أصوات تحاول استبطان الحقيقة خلف الأحداث والإعلام، من هذه الأصوات مذيعة ومحرِّرة أمريكيَّة هي «جويس ديفيز» هدفها «إعطاء فكرة صحيحة للشعب الأمريكي عن الإسلام والمسلمين».

تقول: «ولدتُ مسيحيَّة بطبيعة الحال، وعندما قررتُ أن أبحث في الإسلام كنتُ كغيري أحمل كثيرًا من سوء الفهم والمعلومات غير الصحيحة عنه».

ولم تكتفِ بدرس الفكر والدِّين الإسلامي تقريرًا وبحثًا قدر ما اهتمَّت بتكوين الفكر مقابلة وحوارًا. وخلال رحلة طويلة لها زارت الشَّرق الأوسط، ذهبت إلى مصر وباكستان والأردن وبريطانيا وقطر، وفي مستهلِّ بحثها عن الإسلام كقوَّة سياسيَّة، التقت بشخصيَّات إسلاميَّة بارزة حاورتهم بشأن الديمقراطيَّة والإصلاح السياسي والعلاقة مع الغرب.

(١) محررة للإذاعة الوطنية العامة في واشنطن، متخصصة في قضايا أفريقيا والشرق الأوسط، عضو معهد السلام الأمريكي، زميلة ببرنامج معهد جينجر راندولف للسلام الدولي.

نسخة مجانية

في زيارتها لدولة قطر كان الهدف الأساسي في اتِّصالاتها معي هو حوارها مع المُفَكِّر الإسلامي الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي، وكان هذا الحوار حول عدَّة قضايا إسلاميَّة هامَّة منها: تيار الاعتدال والوسطيَّة الَّذي يمثله د. القرضاوي، ومصادر قوَّة هذا التيار بعيدًا عن العنف، وأنَّه رسالة الإسلام الحقيقيَّة. والشباب الَّذي يُمَثِّل الصحوة الإسلاميَّة، ولماذا يتَّجه نحو الدِّين في الشرق، بينما يبتعد عنه في الغرب. ثمَّ ما هي آفاق العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب حيث حدَّدها د. القرضاوي في أربعة محاور، وأخيرًا لماذا لا تتوحَّد الحركات الإسلاميَّة لتصير حركة إسلاميَّة واحدة؟

لماذا توجهت نحو الوسطيَّة؟

• **ديفيز:** بما أنَّ فضيلتكم تُعتبر من روَّاد المُفَكِّرين الإسلاميِّين المعاصرين: هل يمكن أن تخبرنا بالمزيد عن الطريق الَّذي اتَّخذته في حياتك وقادك بهذا العمق إلى الإسلام، كيف بدأت، ومن وَجَّهك؟

ـ **د. القرضاوي:** هذا الطريق اسمه الوسطيَّة الإسلاميَّة، وهو طريق لم نبتدعه، فهو يُعَبِّر عن رُوح الإسلام، وهو التيار الَّذي أُعَبِّر عنه، وجنَّدت نفسي في السنوات الأخيرة ومنذ فترة للعمل من أجله، وهو تيار الوسطيَّة الإسلاميَّة، وهذه الوسطيَّة ليست ابتداعًا من عندي، إنَّما هي رُوح الإسلام الحقيقي، الَّذي عَبَّر عنه القرآن بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فالقرآن يدعونا إلى هذه الوسطيَّة حيث يقول الله تعالى: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٨، ٩]، والطغيان في الميزان: الزيادة عن الحدِّ، الإخسار: نقصٌ عن المطلوب. لا إفراطَ ولا تفريط، هذا هو المنهج الإسلامي الصحيح،

QaradawiBooks.com

والنبيُّ ﷺ يقــول: «**إيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّمــا هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدِّين**»[١]، ويروي عنه ابن مسعود: «**هلك المُتَنَطِّعون**» ثلاثًا[٢]، والمتنطِّعون: المتشدِّدون المتعمِّقون في الدِّين، الَّذين يُكَلِّفون النَّاس فوق طاقتهم، والدِّين يُسر لا عُسر فيه، وهذا هو العامل الأوَّل.

أمَّا العامل الثاني: فهو أنِّي نشأت في مدرسة تعمل في خدمة الإسلام، هذه المدرسة قام عليها رجلٌ يتميَّز بالاعتدال في فِكْره وتحرُّكه وعلاقاته، وذلك هو الإمام الشهيد حســن البنَّا، فقد كان هذا الرجل أُمَّة وحده في هذه الناحيــة، حيــث كان يتعامل مع جميــع النَّاس، حتَّــى كان بعض مستشــاريه من الأقباط، وأدخلهم في اللجنة السياســيَّة، وكان يصطحب بعضهم في المؤتمــرات، ورأى التقارب مع الشِّــيعة؛ ولذلك اســتقبل زعماءهم في المركز العامِّ في القاهرة «المركز العام للإخوان المسلمين»، فهذا الاعتدال عندي من تأثُّري أيضًا باتِّجاه حسن البنَّا ومدرسته.

العامل الثالث: عامل شــخصي، وهو أنَّني شــخصيًّا ممَّن وهبهم الله فطرة الاعتدال والتوازن في النظر إلى الأمور: فأحبُّ دائمًا ألَّا أكون من المُغَالِين إلى اليمين، ولا المتطرِّفين إلى اليســار، وهــذه موهبة إلهيَّة. بعض النَّاس يميلون إلى التشدُّد، وبعضهم يميل إلى التحلُّل والتسيُّب، وأنا أجد نفســي دائمًا في الموقف الوســط، فهذا عامل شخصي بجوار العامل الأساســي الَّذي يتَّصل بجوهر الإسلام نفســه، وعامل التجربة، تجربتي في حركة الإخوان المســلمين، وهذه هي العوامل الثلاثة الَّتي أعتبرها مُؤَثِّرة في اتِّجاهي.

---

(١) رواه أحمد (١٨٥١)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، جميعهم في المناسك، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، عن ابن مسعود.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أشخاص يوصفون بالاعتدال:

• **ديفيز:** هل يمكن لفضيلتكم أن تُعَيِّن أو تُحَدِّد أشـــخاصًا يمكن أن تصفهم بالاعتدال كفضيلتكم؟

ـ **د. القرضاوي:** نعم، أعتقد أن فضيلة الشيخ محمَّد الغزالي في مصر في الخطِّ نفسه تقريبًا، ود. محمَّد عمارة «الآن» ـ لأنَّه قبل ذلك كان في الخط القريب من العِلْمانيِّيـــن، والآن أصبح قريبًا من هذه الناحية ـ ومن المُفَكِّرين المعتدلين في مصر: الأستاذ طارق البشري، ومن الفلسطينيِّين: د. أحمد صدقي الدجاني، وفي السودان: د. حســـن الترابي، ود. عصام البشـــير، وهناك أعداد من النَّاس لا أســـتحضرهم الآن. ومـــن الكُتَّاب الصحفيِّين: الأستاذ فهمي هويدي.

على تفاوت طبعًا بين هؤلاء بعضهم وبعض، قد تجد هذا أقرب إلى أحد الطرفين من الآخر، ولكن في الجملة نستطيع أن نعتبر هؤلاء ممَّن يُمَثِّلون الخطَّ المعتدل.

• **ديفيز:** هل فضيلتكم راسخ القدم في مســـألة الاعتدال أم أنَّك قلقٌ على أن يصطبغ الإسلام بالتطرُّف؟ هل أنت قلق من أنَّ المتطرفين يهدِّدون الرسالة الحقيقيَّة للإسلام؟ وما الدافع وراء خط الاعتدال القوي هذا؟

ـ **د. القرضاوي:** قوَّة هذا التيار تنبع عن عدَّة مصادر: **أوَّلًا:** من موافقته لرُوح الإســـلام كما قلت، الأمر الآخر أنَّ هذا التيار أقوم وأرسخ جذورًا من التيارات الأخرى.

وثانيًا: أنَّ تيـــارات التطرُّف والعنف تيارات ليســـت عميقة الجذور، فهي طارئة لأسبابٍ مختلفة، وعوامل عارضة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

وثالثًا: أنَّ هذا التيار ـ الوسطيَّة ـ هو الأعرض قاعدةً، والأكثر جمهورًا، والملاحظ أن تيار التطرُّف والعنف ليس له قاعدةٌ كبيرة، ولولا أنَّ الإعلام يُضخِّمه ما وجدنا له مثل هذا الأثر، فتيار الاعتدال هو صاحب الشعبيَّة العريضة والكبيرة، كما لاحظنا ذلك في مصر، ولاحظتُه في الجزائر، وفي السودان، في إقبال الجماهير الغفيرة على رموز تيار الوسطيَّة، وهذا يدلُّ على أنَّه تيار متجاوب مع فطرة النَّاس.

هل رسالة الإسلام هي الاعتداليَّة والوسطيَّة؟

• **ديفيز**: إذن فالرسالة الحقيقيَّة للإسلام هي قوَّة معتدلة، تشمل الحياة كلَّها، هل ترى أنَّ رسالة الإسلام هي رسالة الاعتداليَّة والوسطيَّة؟

ـ **د. القرضاوي**: نعم أنا أريد أن أقول هذا وأكثر، فالإسلام رسالة سلام للعالم حقيقة، وما دامت الأخت (ديفيز) تُمَثِّل معهد السلام[1]، فنرى أنَّ الإسلام هو رسالة سلامٍ وتعاونٍ وتعارفٍ بين الشعوب، والقرآن الكريم يقول: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣]، والرسول ﷺ قد اعتبر صلح الحديبية فتحًا، كما اعتبره القرآن فتحًا مبينًا، فالعام الَّذي استطاع النبيُّ فيه أن يعقد صلحًا مع المشركين اعتُبر عام فتح، ونزلت سورة الفتح، وامتنَّ الله بها على المسلمين؛ لأنَّ الإسلام لا يريد القتال إلَّا إذا اضطرَّ إليه، كما قال في القرآن الكريم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فإذا فُرِضَ القتال نقاتل، إنَّما إذا وُجِدَت الفرصة،

(١) مؤسسة غير حزبية مُشكَّلة ومموَّلة من قبل الكونجرس لتوسيع إمكانية الدولة (الولايات المتحدة الأمريكية) لدعم الحلول السلمية للنزاعات الدولية، بالإضافة إلى برنامج الزمالة، ونشاطات المعهد تشمل: المنح الجامعية، والمشروعات البحثية الداخليَّة، ومجموعة من النشاطات التربوية العامة والممتدة والخدمات المكتبية والمطبوعات.

QaradawiBooks.com

فإنَّ الإسلام يمدُّ يدَه ليُصافح النَّاس جميعًا، وحينما يستطيع المسلمون ألَّا يخوضوا معركةً يكون هذا نعمة، ويذكر القرآن الكريم عن المشركين الَّذين غَزَوُا المدينة غزوة الخندق، والأحزاب بقوله: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، فالقتال ليس أمرًا مطلوبًا، وتعبير: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ يوحي أنَّه كلَّما استطعنا ألَّا ندخل في معركة، فإنَّ ذلك يكون نعمة من الله ﷻ، فالإسلام دعوة إلى السلام، ودعوة إلى حوار بين المختلفين، لذلك فقد قال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، إنَّ الجدال أو الحوار لم يَرض القرآن أن يكون بأسلوبٍ حسن فحَسْب، بل لا بدَّ أن يكون بأسلوبٍ أحسن، فلو وُجد هناك أسلوبان: أسلوب حسن وأسلوب أحسن منه، فينبغي أن نسلك الأحسن الَّذي يُقَرِّب القلوب بعضها من بعض، ولا يوغر الصدور، ويستعمل أرقَّ العبارات وألطفها، وهذا هو موقف الإسلام.

ديفيز تسأل: ما هو صلح الحديبية؟!

• **ديفيز:** هل هذا الصلح كان فتحًا مبينًا للإسلام؟ ما هو هذا الصلح؟ هل كان هناك سلام بين هذه الجماعات؟

ـ **د. القرضاوي:** قصَّة صلح الحديبية أنَّ النبيَّ ﷺ أراد أن يذهب وأصحابه إلى مكَّة للعمرة، ليطوفوا بالبيت الحرام، وبالكعبة، فذهبوا مُسالمين لا يريدون قتالًا، كذا شأنهم كشأن سائر العرب: لهم حقٌّ في هذا البيت، لكنَّ المشركين من أهل مكَّة رفضوا أن يدخلوا الكعبة، وصدُّوهم عن المسجد الحرام، فتحمَّس المسلمون وقالوا: لا بدَّ أن نُقاتل، وبايعوا النبيَّ ﷺ على القتال حتَّى الموت، تحت الشجرة

QaradawiBooks.com

المعروفة، وكان وقوفهم عند مكان اسمه الحديبية (بئر في الطريق)، وهناك حدثت مفاوضات، فبعث النبيُّ ﷺ من المسلمين عثمان بن عفان، وبعث المشركون مندوبًا عنهم، وحدثت مفاوضات، انتهت بهذا الصلح لمدَّة عشر سنوات، ألَّا تحدث حرب بين المسلمين والمشركين، ويرجع المسلمون هذه السنة دون أن يعتمروا، ويعودوا في السنة القادمة. وكانت هذه الهدنة لمدَّة عشر سنوات، وأنزل القرآن فيها بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وسأل الصحابة رسول الله ﷺ: أهذا فتح؟ كيف يُسمَّى فتحًا وهم لم يدخلوا مكَّة؟! قال الرسول: «**نعم هو فتح**»[1]. لأنَّه اعتبر أنَّ هذا السلام بينه وبين المشركين وإتاحة الفرصة ليلقى بعضهم بعضًا، ويستمع بعضهم من بعض، وتنتشر الدعوة سلميًّا؛ اعتبر هذا فتحًا مبينًا، هو فتح، لكنَّه ليس فتحًا عسكريًّا، كما هو الشأن في الفتح.

ماذا حدث في الجزائر؟ ومتى يكون القتال؟

• **ديفيز**: هناك بعض الأماكن مثل الجزائر حيث حاول المسلمون بالطرق السلميَّة، لكنَّ حكومتهم فاسدة، هل تعتقد أنَّ هناك بعض المناسبات ـ أو المواقف ـ الَّتي يتعيَّن على المسلمين فيها أن يقاتلوا؟

ـ **د. القرضاوي**: في أوَّل الأمر وقفت القوَّة المعادية، وحالت دون الشعب الجزائري وما اختاره لنفسه عن طريق الدبابة والمدفع وقوَّة الجيش، وحاول الإسلاميُّون أن يُعبِّروا عن أنفسهم بوسائط أخرى غير العنف، مثل: النزول في الشوارع، الإضرابات، البيانات، كان هناك أناس معتدلون حتَّى من جبهة الإنقاذ أنفسهم، مثل: عبد القادر حشَّاني، وغيره،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجزية (٣١٨٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٨٥)، عن سهل بن حنيف.

QaradawiBooks.com

كانت لهم تصريحات جيِّدة، ولكن هذه الوسائل كلّها رُفِضَت من قِبَل السلطة، وانتهت بحلِّ جبهة الإنقاذ صاحبة الحكم حسَب ما أظهرته نتائج الانتخابات، حُلَّت واعتُبِرَ نشاطها محظورًا، وأُخِذَ رجالُها إلى السجون والمعتقلات، فكان معنى هذا أن يكون هناك عنف، عندما تسدُّ الطريق على إنسان، ولا تجد سبيلًا أمامك: ماذا تستطيع؟ حتَّى لو أراد المعتدلون وقف العنف، فإنَّك لا تستطيعه؛ لأنَّه في هذه الحالة تتشعَّب الأمور.

وشيوخ الجبهة وقادتها في السجون والمعتقلات، ولم يبقَ إلَّا عنصر الشباب، والشباب المتحمِّس الَّذي يشعر أنَّه ظُلم، وأنَّ حقَّه قد اغتُصب بالعنف، فبطبيعة الحال يُقَابل هذا العنف بعنفٍ مثله.

فالمسألة هنا ليس ماذا يرى الإسلام، فالواقع يفرض نفسه على الساحة، ومع هذا بقي المعتدلون في ذلك الوقت يدعون إلى وجوب حقن الدماء، وأنَّه لا بدَّ من التحاور، وأن يتدخَّل العقلاء في هذه القضيَّة؛ لأنَّ أحدًا من أهل الاعتدال لا يرضى أن يسفك دمَ إنسان بريء؛ لأنَّه في هذه الحالة يُؤخذ البريء والمسيء، والسلطة وغير السلطة، فقد أصيب أناس برآء، فحتى مع هذا الموقف كان المعتدلون الإسلاميُّون يدعون إلى ضرورة السعي لحقن الدماء، وفتح باب الحوار لتجنيب الجزائر مخاطر هذه الفتنة الخطيرة والعظيمة، لقد دعا أشخاص إلى مقاومة هذا العنف بالاعتدال، يُمَثِّلون تجمعات إسلاميَّة أخرى، غير جبهة الإنقاذ مثل: محفوظ النحناح رئيس حزب (حمس) حركة مجتمع السلم، وعبد الله جاب الله رئيس حزب النهضة الإسلامي أيضًا، وهما رغم هذا كانوا يدعون للخروج من المأزق في الجزائر عن طريق الحوار، وليس عن طريق العنف.

QaradawiBooks.com

رسالتي إلى الشباب:

• **ديفيز:** ما هي رسالتك الخاصَّة الَّتي تُوَجِّهها إلى الشباب المسلم، والشباب عمومًا؟

ـ **د. القرضاوي:** إنَّني أعتبر الأمر في غايــة الأهميَّة، ذلك أنِّي أعتبر الشباب هم مســتقبل الأُمَّة، الثروة البشــريَّة، وهي في نظري أعظم من الثروة النفطيَّة، والثروات المادِّيَّة المختلفة، فالأمم بإنسانها، لا بذهبها، ولا ببترولها، ولا بنفطها، والشباب بالذات هم عماد الصحوة الإسلاميَّة.

العمود الفقري للصحوة الإسلاميَّة هم الشباب، وهذا واضح في بلد مثل: مصر أو الســودان، وفي الجزائر، وفي الخليج هنا نجد أنَّ الشباب هم الَّذين يملؤون المســاجد في الصلوات، وهم الَّذين يملؤون مواسم الحجِّ والعمرة في مكَّة والمدينة، وهم الَّذين يقرؤون الكتاب الإسلامي، الفتيات أيضًا اللائي التزمن الحجاب طوعًا واختيارًا، دون ضغطٍ أو إكراهٍ من أحد، بل أحيانًــا يكون هذا بالرغــم من معارضــة الأهالي والآباء والأمَّهات، هذا كلُّه يتمثَّل في الشــباب؛ وذلك لأنَّ الصحوة الإسلاميَّة عمادها الشباب.

والشباب بطبيعته فيه نوعٌ من الاندفاع، بحكم السِّنِّ وبحكم الحيويَّة الدافقة، والطاقة الشــبابيَّة، وربَّما يزيد من هذا الاندفاع شعوره بالظلم، وأنَّه لم يأخذ حقَّه، لا من قادة أوطانه وزعمائه السياسيِّين، ولا من الغرب المســيطر والحاكم بحضارته وتقنيته وتوجهاته السياسيَّة، خصوصًا مع العالــم الثالث، ويدفعه الشــعور بهذا الظلم إلى شــيء مــن العنف أو التطرُّف، ولهذا اهتممتُ في هذه المرحلة منذ نحو عشــرين عامًا تقريبًا بالتوجُّه إلى الشــباب، محاولة ترشيد الصحوة الشبابيَّة، صحوة الإسلام

QaradawiBooks.com

الَّتي تتمثَّل في هذا الشباب، ترشيد مسيرتها، وترشيد خطواتها، بحيث تسلك طريق الاعتدال وتبتعد عن العنف، وفي اعتقادي أنَّه ليس هناك حاجة للتطرُّف والعنف؛ لأنَّ الدعوة إلى الإسلام تنتشر انتشارًا واسعًا يمينًا وشمالًا، تكسب كلَّ يوم أرضًا، ويدخل النَّاس فيها أفواجًا، بنين وبنات، المثقَّفين كافَّة والمهنيِّين، كما نرى ذلك واضحًا في مصر في نقابات المهندسين والأطبَّاء والصيادلة والمعلِّمين والمحامين والصحفيِّين، اكتساح هذه الطبقات المثقَّفة، وما دامت الدعوة تنتشر وتكسب أنصارًا، فلماذا التطرُّف والعنف؟ الَّذي يلجأ إلى التطرُّف والعنف هو الَّذي يشعر بخَيْبة أمله، ويشعر أنَّ الطريق أمامه مسدود.

وذلك هو الَّذي جعلنا ندعو الشباب إلى الاعتدال، وهو بهذا يربح ولا يخسر، ويُحرز في كلِّ يوم مكاسب جديدة، فهذا كان اهتمامي فيما بين هذين العَقْدين من الزمن.

وأحب من الشباب أن يهتمَّ بتكوين نفسه تكوينًا متكاملًا من الناحية العقليَّة بالثقافة، والروحيَّة بالعبادة والخُلُقيَّة بالفضيلة، ومن الناحية الجسمانيَّة بالرياضة، ومن الناحية الاجتماعيَّة بالخدمة والمشاركة في المجتمع، أن يهتمَّ بتنمية نفسه وتكوين نفسه التكوين المتكامل هذا، وبالمشاركة في إصلاح المجتمع، وألَّا يتعالى على المجتمع، وإنَّما يتغلغل فيه، يعمل في هذا المجتمع، يحاول أن يؤلِّف جمعيَّات خيريَّة، ينشئ مستوصفات طبِّيَّة لعلاج المرضى، ينشئ دُورًا لكفالة الأيتام، مدارس لتعليم الأُمِيِّين، وهذا ما جعلني في السنوات الأخيرة أدعو للاهتمام بالجانب الاجتماعي دون التركيز على الجانب السياسي وحده، أي: بجوار تكوينهم النفسي لا بدَّ أن يهتمَّ الشباب بالمجتمع وخدمته، ويتغلغلوا فيه ولا يتعالَوْا عليه.

QaradawiBooks.com

لقد أنكرت الانهماك في الجانب السياسي على حساب الجانب الاجتماعي، ينبغي عليهم أن يهتمُّوا بمشكلات المجتمع؛ لأنَّهم جزءٌ من هذا المجتمع، فالطبيب يداوي المريض، والمُعلِّم يمحو الأُمِّيَّة، إلى غير ذلك.

لماذا يُقبل الشباب نحو الإسلام في المشرق؟

• **ديفيز**: ينبهر الغرب لما يحدث للشباب في العالم الإسلامي: فحينما يبتعد الشباب في الغرب عن الدِّين والأخلاق، فعلى العكس من ذلك يحدث مع الشباب في العالم الإسلامي، **فهل يمكنك أن تخبرنا لماذا يحدث هذا الشيء، لماذا يتَّجه الشباب المسلم للدين، وليس للشيوعيَّة وما شابه ذلك؟**

ـ **د. القرضاوي**: إذا أردنا أن نكون صرحاء وننظر إلى الواقع بعين الإنصاف، فيكاد يكون المسلمون وحدهم الَّذين يُمثِّلون التديُّن الحقيقي في العالم، لقد قرأت أنَّ الإحصاءات تقول: إنَّ (٥٪) فقط من المسيحيِّين في الغرب هم الَّذين يذهبون إلى الكنيسة، ومن المعلوم أنَّ هؤلاء الـ(٥٪) لا يذهبون من أجل التديُّن فقط، بعضهم لا يذهب تديُّنًا، وإنَّما يذهب كنوع من التغيير في الحياة النمطيَّة، وبعضهم يذهب للمقابلات بين بعضهم وبعض، على حين المسلمون فهم أشدُّ الأمم تمسُّكًا بدينهم، حتَّى العصاة من المسلمين تجدهم أقرب ما يكونون إذا وجدوا من يُذكِّرهم بالله وبالآخرة، وسرعان ما يتوبون إذا استمعوا موعظةً من إنسان حيِّ القلب؛ وهذا يحدث ويتكرَّر؛ لأنَّ الإسلام في الحقيقة دين الفِطْرة السليمة، لا يُكَلِّف الإنسان شيئًا ضدَّ فطرته ولا ضدَّ عقله، والقرآن نفسه يقول: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. والأصل

QaradawiBooks.com

حتَّى في العقائد الإسلاميَّة أنَّها لا بدَّ أن تكون موافقة للعقل، والتكاليف الإسلاميَّة رغم شـدَّتها في بعض الأحيان، يُطْلب من الإنسان أن يذهب خمس مـرَّات في اليوم إلى المسـجد، وهذا لا يوجد فـي أيِّ دينٍ: أن يطالب أتباعه بمثل هذا.

ومع هذا: يجد المسلم في ذلك راحة لنفسه، وغذاءً لروحه، ويُنتشل الإنسـان بها من لُجَّة الحياة الَّتي يغرق فيها النَّاس، هذه الحياة المادِّيَّة، ويقف الإنسـان في هذه الصلوات بيـن يـدي الله ﷻ بطمأنينة القلب وسعادة الرُّوح.

الواقع أنَّ الإسـلام هو الدِّين الَّذي يُقدِّم للنفس الإنسـانيَّة في هذا العصر ما يغسلها من أدرانها، ويُقَدِّم لها العلاج الرُّوحي المفهوم للعقل، ويعطي الإنسـان الآخرة، ولكنَّه لا يحرمه من الدنيا، ويصله بالسـماء، ولكنَّه لا ينتزعه من الأرض الَّتي يقف عليها.

إنَّ عمليَّـة التوازن بين العقـل والقلب، وبين الـرُّوح والمادَّة، بين الجسـم والرُّوح، بين الدُّنْيا والآخرة، هذا التوازن لا نجده في رسـالةٍ ما إلَّا في الإسلام؛ فلذلك لا عجب أن يرجع النَّاس إلى الإسلام. ونحن نعتقد أنَّ الإسلام ليس للمسلمين فقط، ولكن للعالم أجمع.

ما هي حقيقة العلاقة بين الإسلام والغرب؟

• **ديفيز**: السـؤال الكبيـر الآن عـن العلاقة بين العالم الإسـلامي والغربي.

ـ **د. القرضاوي**: **أوَّلًا**: نريد من الغرب قبل كلِّ شيء أن يعترف بحقِّ الإسـلام في الوجود، وبحقِّ المسلمين أن يعيشـوا بإسلامهم. وإنَّ من

QaradawiBooks.com

الخير للغرب أن يكون المسلمون متديِّنين، يخافون الله ويراقبونه في أعمالهم، ويتمسَّكون بمكارم الأخلاق، أفضل لهم من أن يكونوا أناسًا ملحدين أو منحلِّين، أو إباحيِّين لا دِينَ لهم ولا خُلُق.

هذه هي القضيَّة الأولى: أن يعترف الغرب بحقِّ الإسلام وبحقِّ المسلمين في العيش بإسلامهم، فلو أنَّ المسلم يفرض عليه دِينُه أن يحكم بشريعته، ما الَّذي يَضِير الغرب أن يحكم المسلمون الشريعة في ديارهم وفي مجتمعاتهم، ويُطبِّقوها على أنفسهم.

الأمر الثاني: أن يؤمن الغرب بأنَّ الحياة تَتَّسع لأكثر من دينٍ، وأكثر من ثقافة، وأكثر من حضارة، وأنَّ هذا التنوُّع هو من صالح البشريَّة وليس ضدَّ مصلحتها، ولا يمكن أن تفرض حضارة واحدة، أو يفرض دينٌ واحد نفسَه على العالم كلِّه، وقد كان للمسلمين حضارة، ومع هذا كان في هذه الحضارة عناصر مختلفة من الناحية الدِّينيَّة والعرقيَّة، ساهمت في بناء الحضارة الإسلاميَّة، كان فيها يهود، وكان فيها نصارى، وكان فيها سُريان، وكان لهم دور في الحضارة الإسلاميَّة، وكان الكثير منهم مُقَرَّبين من الخلفاء المسلمين.

لذا نقول: إنَّه ليس هناك بأس من تعدُّد الأديان وتعدُّد الحضارات والثقافات، وأن تكون العلاقة بينها علاقة الحوار لا علاقة الصراع.

ونحن المسلمين عندنا أمران مهمَّان جدًّا في التعدديَّة الدِّينيَّة:

الأوَّل: هو أنَّ تعدُّد الأديان واقع بمشيئة الله تعالى، أي أنَّ الله لو شاء أن يجعل النَّاس أُمَّة واحدة لفعل هذا: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]، إنَّما لم يشأ ربُّنا هذا، أعطى للبشر حُرِّيَّة

QaradawiBooks.com

الاختيار، فلم يخلقهم ملائكة، على طرازٍ واحدٍ وطبعة واحدة، نسخة متكرِّرة، لا، فقد أعطاهم العقل وأعطاهم الإرادة، والاختيار، فبهذا تنوَّعت أديانهم واتِّجاهاتهم، وهذه مشيئة الله. ومشيئته طبعًا، متعلِّقة بحكمته، وهذا مقتضى الحكمة.

والأمر الثاني الَّذي يسهل على المسلمين قبول نظريَّة التعدُّد في العالم هو: أنَّ كلَّ إنسان يعتقد ـ كلُّ صاحب دين يعتقد ـ أنَّه على الحقِّ، وأن غيره على الباطل، وهذه طبيعة، إنَّما هذا لا يضرُّ؛ لأنَّ المسلم يعتقد أنَّه ليس الَّذي يوكل إليه حساب النَّاس إن ضلُّوا ولا على كفرهم إن كفروا، إنَّما الَّذي يحاسبهم هو الله تبارك وتعالى، والحساب ليس في هذه الدنيا، إنَّما الحساب في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥]. ففي الآخرة سيكون الحساب، وهذا يريح ضمير الإنسان المؤمن، أنَّ هناك إلهًا يحاسب النَّاس في يوم لا ريب فيه.

الأمر الثالث: أنَّ الغرب الآن هو صاحب القوَّة وسيِّد الموقف في العالم من الناحية العسكريَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة، ولهذا لا بدَّ من الغرب ـ كي يُحَسِّن صورته عند جماهير المسلمين ـ أن يقف موقف العدالة والإنصاف من قضايا المسلمين المختلفة، فإنَّ نظرة المسلمين إلى الغرب أنَّه متحيِّز ضد المسلمين سواء في أوربا أو في أمريكا، وهذا واضح في أمور كثيرة: في النزاع بين العرب وإسرائيل كان الغرب دائمًا مع إسرائيل، في الصراع الآن في البوسنة والهرسك نجد الغرب للأسف إمَّا أنَّه مماليء صراحة للصِّرب والكروات الَّذين فعلوا الأفاعيل بالمسلمين والمسلمات من سفك الدماء واغتصاب النساء وهدم

QaradawiBooks.com

المساجد وآثار المسلمين الحضاريَّة والثقافيَّة، وهذا على مرأى ومسمع من العالم الغربي والنظام العالمي الجديد، دون أن يُقَدِّم لهم شيئًا يُذْكر، وكان أقلّ شيء أن يسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم، فإنَّه للأسف حظر عليهم السلاح، وقالوا: حتَّى لا يُزاد سفك الدماء، ومعنى حظر السلاح عليهم أن يسفك الدماءَ جانبٌ واحد، والجانب الآخر لا يملك شيئًا.

نريد من الغرب لكي يحسن المسلمون ظنَّهم فيه أن يقف موقفًا عادلًا في هذه القضايا. الغرب ـ خاصَّة أمريكا ـ تؤيِّد الديمقراطيَّة في كلِّ مكان، وأحيانًا تتدخَّل الجيوش لفرض الديمقراطيَّة أو فرض من يدعو لها، إلَّا في بلاد المسلمين: فتؤيِّد أمريكا الأنظمة الدكتاتورية الَّتي تحكم الشعوب رغمًا عنها، والَّتي تُزَوِّر الانتخابات، والغرب ـ خصوصًا الأمريكان ـ يعرف بالطبع أنَّ هذه الانتخابات كلَّها مزوَّرة.

أمريكا تقف مع الحُكَّام المستبدِّين ضدَّ شعوبهم، وحينما جاءت صناديق الانتخابات بالإسلاميِّين في بلدٍ مثل الجزائر، وقف الغرب مع السلطة الغاشمة الَّتي قطعت على الشعب طريق اختياره، وحرمته ثمرة ما أراد لنفسه.

لذلك لا يستطيع الغرب أن يُحَسِّن صورته أمام المسلمين إذا كان في كلِّ قضايا المسلمين يقف ضدَّ ما تريده الشعوب الإسلاميَّة، هذا ما نريده من الغرب: أن يكون عدلًا، وأن يكون مُنْصِفًا، وألَّا يَكِيل بكَيْلَين في بعض القضايا.

والغرب يريد الآن أن يُدَمِّر العراقُ أسلحته، ونحن وقفنا ضدَّ العراق في أيَّام عدوانه، ولكن لماذا لا يقف الغرب مثل هذا الموقف مع إسرائيل وهي تملك ترسانة من الأسلحة النوويَّة؟!

QaradawiBooks.com

الأمر الرابع والأخير: هو أنَّنا نريد من الغرب في تعامله مع الشرق الإسلامي ألَّا يكتفي بمعرفته الإسلام والمسلمين والحركات الإسلاميَّة والجمعيَّات الإسلاميَّة بالتقارير الَّتي تأتي إليه عن طريق المخابرات والجهات الأمنيَّة وحدها؛ فقد تكون هذه الجهات لها مصلحة في المبالغة في تصوير الأمور أو عدم تقديرها التقدير الكافي، أو أنَّها لا تصل ولا تعرف جهات أخرى، ولهذا أجد أنَّه من الظواهر الصحيَّة والإيجابيَّة عقد مثل هذه اللقاءات، مثل ما تقوم به الأخت العزيزة في سعيها إلى اللقاء بمُفَكِّرين إسلاميِّين، والالتقاء بهم وجهًا لوجه، والاستماع إليهم مباشرة ودون وسائط.

وأعتقد أنَّ هذا الأمر مُهِمٌّ؛ لأنَّه لا يمكن أن تتحسَّن الصورة إذا ظلَّ الغرب ليس عنده فكرة إلَّا أنَّ الإسلام هذا غُول مفترس، وأنَّ هؤلاء المسلمين وحوش. فالتعامل مع هذه الصورة لا يمكن أن يثمر. لكن بمثل هذه اللقاءات وإقامة جسور للحوار متَّصلة يمكن أن يحدث التفاهم.

لقد دعوتُ شخصيًّا إلى هذا الحوار في كتابي «أولويَّات الحركة الإسلاميَّة»، دعوتُ إلى الحوار الداخلي والحوار الخارجي، دعوت إلى الحوار مع الغرب، والحوار على المستوى الدِّيني مع رجال الدِّين من الكرادلة والأساقفة والقسس، وإلى الحوار الفِكْري مع المستشرقين والمُفَكِّرين والكُتَّاب المهتمِّين بالعالم الإسلامي وصحوته، وإلى الحوار السياسي أيضًا مع من يصيغون القرار.

محاولة اللقاء بهؤلاء والاتِّصال بهم كما حاول د. حسن التُّرابي. فقد ذهب إلى أمريكا والتقى بالكونجرس، والتقى بكثيرٍ من السياسيِّين،

QaradawiBooks.com

أعتقد أنَّ هذا الحوار على هذه المستويات الدِّينيَّة والفكريَّة والسياسيَّة حوار نافع، ويزيل كثيرًا من الغبش في الرؤية، أو سوء الظنِّ في الآخرين.

لقد جرَّبت بنفسي بعض هذه اللقاءات، في ألمانيا التقيتُ أنا وفضيلة الشيخ الغزالي مع عددٍ من المستشرقين ورجال الدِّين الألمان في لقاء تعارفٍ وعمل، وظللنا يومًا كاملًا، ووُجِّهت إلينا أسئلة، وأجبنا عنها، وأزلنا كثيرًا من الشبهات، ونفينا كثيرًا من الاختلافات، فإنَّه يحدث أنَّ أمورًا لا أساس لها تكون مُقَرَّرة كأنَّها حقائق لديهم.

وكانت ثمرة اللقاء ـ فيما رأينا ـ طيِّبة، ووجدنا الكثير منهم يريد أن يعرف بعضهم بعضًا، وتمنَّى الجميع لو تتكرَّر مثلُ هذا اللقاءات، وقبل ذلك كان هناك من عدَّة سنوات وفد من رابطة العالم الإسلامي التقى وفدًا من الفاتيكان وكبار الرجال هناك، وكان لهذا اللقاء أثر طيِّب، كان في هذا اللقاء د. معروف الدواليبي، والأستاذ محمَّد المبارك، وسُجِّل هذا في كتاب.

هذه اللقاءات أعتقد أنَّها نافعة، فالتعرُّف على المسلمين وتوجُّهاتهم المختلفة أمر واجب، ولا يكفي فيه مجرَّد الاستماع إلى التقارير المخابراتيَّة والأمنيَّة.

إنَّما مثل هذه اللقاءات الَّتي بدأت بها الأخت، وقبل ذلك قابلتني سكرتيرة السفارة الأمريكيَّة في قطر، والقائمة بأعمال السفير في لقاء مطوَّل للتعرُّف على وجهة نظر الإسلاميِّين فيما يجري من حولهم من أحداث، وخصوصًا عن العنف والتطرُّف.

في رأيي أنَّ مثل هذا شائع، وأعتقد أنَّه إذا كان الغرب يُهِمُّه أن تتحسَّن صورته عند المسلمين أن يحاول عن كَثَب التعرُّف على

QaradawiBooks.com

المسلمين بتوجُّهاتهم المختلفة، وأن يأخذ صورة حقيقيَّة غير مهوَّلة بالمبالغات، أو بتدخُّل الأهواء البشريَّة.

تعدُّد الأديان، وتعدُّد الحركات الإسلاميَّة:

• **ديفيز**: بالنسبة لأناسٍ مثلي يدرسون ويحاولون التَّعلُّم: يختلط عليهم الأمر، حيث توجد حركات إسلاميَّة كثيرة، ما هو الإسلام الصحيح؟ وهل هناك أيَّة محاولات على طريق الحركات الإسلاميَّة المختلفة لكي تجتمع على كلمة سواء، بحيث تصبح حركة إسلاميَّة واحدة؟

ـ **د. القرضاوي**: الإسلام له مصادره المعروفة لدى المسلمين، والمعترف بها من جمهرة المسلمين، خصوصًا إذا قلنا بالنسبة للسُّنَّة الَّذين يُمَثِّلون الأغلبيَّة الإسلاميَّة، وإن كان الإسلام في النهاية يتَّفق في معظم الأشياء، فالمسلمون جميعًا يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالجزاء في الآخرة، والمسلمون جميعًا يعتقدون بوجوب الصلوات الخمس كلَّ يوم، والزكاة كلَّ عام، والصيام في شهر رمضان، والحجُّ إلى بيت الله الحرام، ويؤمنون بفضائل معيَّنة مثل: الصدق والأمانة والوفاء بالعهد، وهذه الأشياء، مجموعة أخلاقيَّات، ويُحَرِّمون أشياء معيَّنة مثل الزنى وشرب الخمر وأكل الربا، هذه أشياء يتَّفق فيها المسلمون جميعًا، ولا يكاد مسلم يختلف في هذا، حتَّى وإن كان مسلمًا سنيًّا أو شيعيًّا، إنَّما يحصل الاختلاف في الأمور العامَّة نتيجة أفهام مختلفة ومواريث مختلفة، كما ذكرت أنا مثلًا أثَّرت فيَّ نشأتي في مدرسة فكريَّة حركيَّة إسلاميَّة معيَّنة، وغيري نشأ في مدرسة أخرى، وهناك اختلافات بعضها راجع إلى الأشخاص أنفسهم، واحد متشدِّد جدًّا، وواحد مُيَسِّر، وهكذا لا بدَّ أن يكون هناك قدر من الاختلاف، ولا يضرُّ هذا الاختلاف إذا

QaradawiBooks.com

كانت الأصول الأساسيَّة مُتَّفَقًا عليها، وهناك قاعدة يؤمن بها تيار الوسطيَّة الَّذي تحدَّثت عنه، وهذه القاعدة تُسمَّى: القاعدة الذهبيَّة، وهي تقول: «نتعاون فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

فهناك أشياء كثيرة جدًّا نتَّفق ونتعاون فيها، كلُّنا لا يحبُّ الإلحاد: فلنحارب الإلحاد، كلُّنا ضدُّ الإباحيَّة فلنقاوم الإباحيَّة، كلُّنا ضدُّ الظلم، فلنقف ضدَّه معًا، كلُّنا ضدُّ الاستعمار، فلنقفْ معًا ضدَّ الاستعمار، كلُّنا يريد مساعدة الضعفاء والفقراء، فلنعملْ لتعليم الجاهلين.

هناك أشياء كثيرة بالمئات، فلنتعاونْ في تحقيق هذه الأشياء، وهناك أشياء نختلف فيها، فلنتسامحْ فيها، وليعذر كلٌّ مِنَّا الآخر في هذه الأشياء؛ لأنَّه يصعب على النَّاس جميعًا أن يتَّفقوا في شيءٍ واحد، فلا مانع من ذلك، فإذا قلنا بتعدُّد الأديان كما ذكرتُ في السؤال السابق، وأنَّ الحياة تتَّسع لأكثرَ من دين، وأكثرَ من حضارة، وأكثرَ من ثقافة، فكيف لا تتَّسع لأكثر من اتِّجاه داخل دين واحد، أو داخل حضارةٍ واحدة، لا مانع من هذا، إنَّما المهمُّ أن تظلَّ هناك مساحةٌ مشتركةٌ وقواسمُ مشتركة تسع الجميع.

بعض النَّاس يحلم أن تقوم حركة إسلاميَّة واحدة تتحدَّث بلسان الإسلام والمسلمين وتنفي ما عداها: أن نجعل النَّاس نسخة مُكَرَّرة، قوالب مصبوبة، وهذا غير طبيعة البشر، لا بدَّ للنَّاس أن يختلفوا، لا مانع من الاختلاف إذا كان اختلاف تنوُّع، وليس اختلافَ تناقض، ولقد خلق ربُّنا ﷻ الكون مختلفًا ألوانُه، لكنَّه اختلاف تنوُّع وليس اختلافَ تناقضٍ وتضادٍّ، فلا مانع أن توجد في الصحوة الإسلاميَّة مدارس مختلفة، ليس هناك مانع، حتَّى التيارات المتشدِّدة نفتح الحوار بيننا وبينها، ونحاول أن

QaradawiBooks.com

نكسب منها وأن نضمَّها إلينا، ومن هنا دعوتُ في كثيرٍ من كتبي إلى أنَّه لا مانع من أن تتعدَّد الجماعات العاملة للإسلام والمتحدِّثة باسمه، وأن يكون هناك أكثر من جماعة وأكثر من حركة، كلُّ ما في الأمر ألَّا يحاول بعضها أن يهدم بعضًا أو يجرح بعضها بعضًا، إنَّما يُنَسِّقون فيما بينهم، يتعاونون في المواقف المصيريَّة، في القضايا الكبرى مثل: قضيَّة البوسنة، كلُّ مسلم لا بدَّ أن يقف لينصر العدل ويقاوم الظلم، مجاعة في بلد إسلامي يجب على جميع الجماعات والحركات أن تقف لنصرة هذا البلد.

وإذا كُنَّا ندعو لحوار مع غير المسلمين بالَّتي هي أحسن، بأحسن الأساليب كما ذكرنا، فأولى وأحق وأوجب أنَّ المسلمين يتحاورون فيما بينهم أيضًا بالَّتي هي أحسن، إنَّما لا نستطيع أن نجعل من المسلمين نسخة واحدة؛ لأنَّ هذا ضدّ طبيعة الحياة نفسها، وضد طبيعة البشر، وضد طبيعة الدِّين نفسه؛ لأنَّ الدِّين نفسَه جاء نصوصًا مكتوبة بلغة معيَّنة، كلُّ واحدٍ يقرؤها ويفهم فيها فهمًا، فلا بدَّ أن تختلف الأفهام، كلُّ ما في الأمر أنَّنا نقول: إنَّنا نحاول أن نتَّفق على الأصول الأساسيَّة والأركان الأصليَّة، ولا مانع في الاختلاف في الفروع بعد ذلك مثل هذا الاختلاف رحمة وسَعة وثروة للأُمَّة.

القرضاوي شخصيَّة العام الإسلاميَّة[1]:

عندما تهاوت الرايات وخرست الألسنة وغاب الصوت المدوِّي وتشتَّت الكيانات في وطننا العربي والإسلامي خلال أحداثه وقضاياه الكبرى المعاصرة، تعالت راية الإسلام عالية خفَّاقة، تنافح عن عقيدة الأُمَّة ومُقَدَّساتها، وباستقراء الواقع نلاحظ أنَّ الشيخ الدكتور يوسف

(١) مجلة الضياء، تصدر عن أوقاف دبي، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، أجرى الحوار الأستاذ عيسى طيبي.

QaradawiBooks.com

القرضاوي يقود هذه المسيرة، ويرفع رايتها الأصليَّة بفكرٍ وسطيٍّ يجمع بين الأصالة والمعاصرة، يُوَائم بينهما بمنهجٍ شموليٍّ متميِّز، عرفته الأُمَّة فارسًا مِقْدَامًا يذود عن حمى الإسلام ومقدَّسات فلسطين، يقود حملة نضاليَّة عالميَّة منفردًا باستنهاض الضمير العربي والإسلامي إلى ردِّ المعتدي ومقاومته، فكان صوتًا وحيدًا يقرع آذان العالَمين.

وقامت اللجنة المُنَظِّمة لجائزة دبي الدوليَّة للقرآن الكريم باختيار الدكتور يوسف القرضاوي كشخصيَّة إسلاميَّة في دورتها الرابعة، وهو بحقٍّ اختيارٌ موفَّق مناسب خصوصًا في هذه الظروف العصيبة الَّتي أبلى فيها القرضاوي بلاءً حسنًا.

حملنا أوراقنا وجعبتنا وسارعنا إلى اللقاء به بعد إعلان اختياره شخصيَّة العام الإسلاميَّة.

تكريم لمدرسة الوسطيَّة:

المحاور: في بداية اللقاء ماذا يقول الدكتور يوسف القرضاوي في هذه المناسبة، وماذا يعني لكم هذا التكريم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا يسعني إلَّا أن أشكر اللجنة المُنَظِّمة لجائزة دبي الدوليَّة للقرآن الكريم، وعلى رأسها الأخ الأستاذ إبراهيم بو ملحة وإخوانه الأفاضل، وأشكرهم على حُسن الظنِّ بي بأن جعلوني الشخصيَّة الإسلاميَّة لهذا العام، وأسأل الله تعالى أن يغفر لي ما لا يعلمون.

وأشكر راعي الجائزة الفريق أوَّل سمو الشيخ محمَّد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي وزير الدفاع الَّذي جمع بين: رقَّة الشاعر، وصرامة المقاتل، وحنكة السياسي، وعقليَّة المُنَظِّم، أشكر له هذا الموقف.

QaradawiBooks.com

وأعتبر هذه الجائزة ـ أيُّها الأخوة ـ ليست تكريمًا لي، إنَّما الَّذي أعتزُّ به أنَّها تكريم وتقدير لتيار أُمَثِّله، وهو تيار الوسطيَّة الإسلاميَّة الَّذي يقوم على: التيسير في الفتوى، والتبشير في الدعوة، والجمع بين الأصالة والمعاصرة، يقوم هذا التيار على التجديد في الدين، والنهوض بالدُّنيا معًا، يُعايش الحاضر، ويستلهم الماضي، ويستشرف المستقبل، هذا التيار الَّذي أنادي به وأعتزُّ به وأتبنَّاه، ولي عقود من السنين وأنا أدعو إليه، وأعتبر هذه الجائزة تأييدًا لمفاهيم الفِكْر الوسطي وتقديرًا له.

وهي من ناحية أخرى تطوِّق عنقي؛ لأنَّها تعتبر ثقة من المسلمين بي، وهذه الثقة ليست رخيصة الثمن، بل هي غالية، وتلزمني ببذل المزيد من الجهود والعطاء لخدمة الإسلام ونُصرة قضاياه والوقوف في وجه أعداء هذه الأُمَّة مهما كلَّفنا ذلك، وسنظلُّ ثابتين على العهد حتَّى يُظهر الله دينَه أو نهلك دونه.

وهي من ناحيةٍ ردٌّ على أولئك الصهاينة الَّذين أرغوا وأزبدوا، وأبرقوا وأرعدوا لمواقف ضدّ كفِّ عدوانهم وإفسادهم في الأرض وقتلهم الأبرياء وانتهاكهم للحرمات وسفكهم للدماء وتدميرهم للمنشآت والمساجد ولكلِّ شيء، فوقفوا يقولون عني ما يقولون، ويطلبون من إسرائيل أن تضغط على الدول الَّتي أظهر في تليفزيوناتها وقنواتها الفضائيَّة لتمنعني من هذا الظهور، والحمد لله هذه الدول كرَّمتني ولم تمنعني.

فهذا ردٌّ عمليٌّ على هؤلاء الَّذين يظنُّون أنَّ العرب والمسلمين رهن إشارتهم، وأنَّ أمريكا بمجرَّد أن تلوم أو تُهَدِّد أو تشير، فإنَّ إشارتها حكم، وطاعتها غُنْم، فأنا أحمد الله على هذه الجائزة، وأقول كما علَّمنا الله أن

QaradawiBooks.com

نقول: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

وقد قيل للنبيِّ ﷺ: الرجل يعمل العمل، فيظهر عمله، ويثني النَّاس عليه ويمدحونه، فهل ذلك ينقص من أجره، فقال: «**تلك عاجلُ بشرى المؤمن**»[1]؛ لأنَّ المؤمن له بُشْرَيَان: بُشْرى في الحياة الدنيا، وبُشْرى في الحياة الآخرة، فهذه عاجل بُشْرى المؤمن.

وأسأل الله تعالى ألَّا يحرمنا بُشْرى الآخرة، وألَّا يكون نصيبنا من الدُّنْيا وحدها، أسأل الله أن نكون ممَّن قال الله فيهم: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

ونسأل الله ألَّا يحرمنا الحسنتين: حسنة الدُّنْيا، وحسنة الآخرة، كما علَّمنا ربُّنا أن نقول: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

فأنا أشكر لإمارة دبي وجائزة القرآن الكريم وللشيخ محمَّد بن راشد آل مكتوم ولدولة الإمارات بصفة عامَّة ولراعيها ورئيسها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الَّذي نسأل الله أن ينعم عليه بالعافية ويكتب له تمام الشفاء، اللهمَّ آمين.

إسرائيل تخاف الكلمة:

المحاور: على الرغم من أنَّ فضيلة الدكتور القرضاوي تميَّز بفكرٍ معتدل وتعلَّم على يديه الكثير من أبناء الأُمَّة، إلَّا أنَّ هذا الفكر الَّذي لا يدعو إلى التطرُّف في يومٍ من الأيام، ولا يدعو إلى التشدُّد، أزعج إسرائيل وأخافها عندما نطق بكلمة حقٍّ فيما يحدث في الأراضي

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٤٢)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٢٥)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

الفلسطينيَّة المحتلة، فإلى أيِّ مدًى، إسرائيل بهذا الجبروت والآلة العسكريَّة تخشى كلمة من فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نحن نتوهَّم بأنَّ إسرائيل قوَّة لا تُقْهر، وشوكة لا تُكْسَر، والواقع أنَّ إسرائيل ليست بهذه القوَّة المزعومة، الله ﷻ يقول في آبائهم من قبل: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤].

وتضرب كتب الأدب العربي مثلًا: قيل: إنَّ ثعلبًا أمسك بأرنب، فضغط على الأرنب، فصرخ، فانتفش الثعلب، فقال له: هذا ليس لقوَّتك، ولكن لضعفي.

لولا ضعفنا لما ظهرت إسرائيل بهذه القوَّة. نحن أقوياء حينما نملك إيماننا وإرادتنا، ونجمع كلمتنا، سنكون قوَّة إن شاء الله.

وأنا أضرب لك مثلًا بالتاريخ، التتار عندما ظهروا في القرن السابع الهجري وأسقطوا بغداد وحطَّموا الخلافة العبَّاسيَّة، كان هناك مثلًا يقول: «إنْ قيل لك إنَّ التتار انهزموا فلا تُصَدِّق»، ولكنَّ هذه القوَّة قُهِرَتْ أمام الجيش المصري بقيادة المُظَفَّر سيف الدِّين قُطُز في معركة شهيرة في التاريخ اسمها معركة «عين جالوت» كانت في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ، وبغداد سقطت سنة ٦٥٦هـ، أيْ بعد هذه المعركة بسنتين من سقوطها، ولم تقم للتتار قائمة بعدها.

فإسرائيل تُخيفها الكلمة خصوصًا كلمة الإسلام المعتدل، الغرب كان يقول من قبل: احذروا الإسلام المتطرِّف والمتشدِّد، ثمَّ ها هم قد غيَّروا النغمة قائلين: احذروا الإسلام المعتدل؛ لأنَّ الإسلام المُتَطَرِّف لا يدوم طويلًا، قصير العمر، الإسلام الَّذي يدوم ويستمرُّ ويُعطي ويُمْكِن أن

QaradawiBooks.com

يجمع الأُمَّة هو الإسلام المعتدل، فأصبحوا يخافونه ويقولون: احذروا هذا الإسلام المعتدل.

التكريم دعم لمسيرتي:

المحاور: حصلتم في الفترات السابقة على خمس جوائز عالميَّة وهذه هي السادسة، كما أنَّكم رُشِّحتم لجوائز دوليَّة أخرى، ماذا تُمَثِّل لديكم جائزة دبي الدوليَّة للقرآن الكريم خلافًا عما سبق من جوائز؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: جاءت هذه الجائزة في وقتٍ مهمٍّ ردًّا على الصهاينة من ناحية، وردًّا على الَّذين يشوشون على مسيرتي من ناحية أخرى، فلكلِّ واحدٍ خصوم، حتَّى الأنبياء لم يَسْلموا، قد جاء في الآثار الإسرائيليَّة أنَّ سيِّدنا موسى عليه السلام قال: يا ربِّ، كفَّ عَنِّي ألسنة النَّاس. فقال له: يا موسى، ذلك شيءٌ لم أختصَّه لنفسي، فكيف أختصُّكَ به؟!

لم يَسْلم ربُّنا من ألسنة عباده كما جاء في الحديث القدسي الَّذي رواه البخاري ومسلم: «**يشتمني ابنُ آدمَ وما ينبغي له أن يشتمني، ويُكَذِّبني وما ينبغي له، أمَّا شتمه فقوله: إنَّ لي ولدًا، وأمَّا تكذيبُه فقوله: ليس يُعِيدني كما بدأني**»[1]. فلذلك فهي تعتبر ردًّا على هؤلاء الَّذين يحاولون أن يُشَوِّشوا على مسيرة القرضاوي، فالحمد لله هذا تقدير من الأُمَّة، فأحمد لله عز وجل على ذلك.

المحاور: هل هو تشويش على القرضاوي أم تشويش على مسيرة القرضاوي؟

(١) رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: هو تشـويش على الفِكْر، وليس المقصود الشـخص في حدِّ ذاته، فليس بينـي وبينهم معركة شـخصيَّة، إنَّما هو تشـويش على الفِكْر الوسـطي، حيث يعاديـه المُتَطَرِّفـون إلى اليمين والمُتَطَرِّفون إلى اليسار.

فالإباحيُّـون والمُتسـيِّبون لا يعجبهـم هـذا الفكـر، والمُتَطَرِّفون والمُتَنَطِّعون لا يعجبهم هذا الفكر؛ لأنَّ هذا الفِكْر هو الصراط المستقيم.

والصراط المستقيم الَّذي يكون على يمينه سُبُل، وعلى يساره سُبُل، كما علَّمنا ذلك الرسـول ﷺ عندما خـطَّ على الرمل خطًّـا فقال: «**هذا صراط الله مسـتقيمًا**»، ثمَّ خطَّ عن يمينه وعن شـماله خطوطًا مُتَعَرِّجة ملتوية، وقال: «**هذه سُبُلٌ على رأس كلِّ منها شيطانٌ يدعو إليه**»، ثمَّ تلا قوله تعالـى: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ**﴾ [الأنعـام: ١٥٣][1]، فهذا صراط الله المسـتقيم، وتلك هي السبل الَّتي يقوم عليها شـياطين الإنس والجنِّ، وتحاول جاهدة مقاومة أصحاب الصراط المستقيم.

عمليَّات السلام الآتية:

المحاور: فضيلة الدكتور القرضاوي أنتم تمثِّلون التيار الوسطي الَّذي يُثير جدلًا كبيرًا في الساحة الثقافيَّة والسياسيَّة، وقد يتبادر إلى ذهن بعض المُفَكِّرين قائلين: أين هي وسطيَّة القرضاوي في عمليَّة السلام، لماذا لم نرَ وسـطيَّة القرضـاوي في تعاملـه مع اتفاقيَّات السـلام الإسـرائيليَّة

(١) رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٤)، وابن حبان في المقدمة (٦)، والحاكم في التفسير (٢/٢٣٩)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

الفلسطينيَّة وهو أمر واقع في الساحة، فكان تعاملكم حادًّا جدًّا، وهذا مشهود في وسائل الإعلام، فكيف تردُّ على هذا الادِّعاء؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هل معنى الوسطيَّة التنازل عن الحقوق والحرمات والمقدَّسات؟ هذا ليس من الوسطيَّة في شيء، فالوسطيَّة أحيانًا تقتضي أشياء تتمسَّك بها ولو بالسيف، ففي الوسطيَّة ثوابت لا تقبل التنازل ولا تقبل الاجتهاد والتطوير، فأنا في بعض القضايا مُيسِّر عادة، وبعض الأشياء أشدِّد، أشدِّد في الربا والتدخين، وأصدرت فتوى بتحريم سحب الجوائز الكبرى بالملايين فهذه لا دخل لها؛ لأنَّها ترويج لنوعٍ من القمار بين أبناء الأُمَّة، فتقتضي الوسطيَّة التشديد حيث يحسن التشديد، والتيسير حيث يحسن التيسير، أي أن تضع الشيء في موضعه، كما قال أبو الطيِّب المتنبِّي قديمًا:

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالعُلَا مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى[1]

فإذا وضعنا الندى في موضع السيف لا يُجْدي نفعًا خصوصًا مع إسرائيل، كما قال أيضًا المتنبِّي:

إِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا[2]

ولهذا عاملهم رسول الله ﷺ بشدَّة في غزوة بني قُرَيظة؛ لأنَّهم انضمُّوا إلى أعداء المسلمين المغيرين عليهم، ولذلك كان الموقف حازمًا وشديدًا. وكان هذا الإجراء يتواءم مع الموقف، فلو كان المسلمون في الموضع المغاير كما انتصروا في فتح مكَّة مثلًا قيل لهم:

---

(١) ديوان المتنبي صـ ٣٧٢، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٢) المصدر السابق نفسه.

QaradawiBooks.com

«**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[١]؛ لأنَّ الموقف غير الموقف، والجريمة غير الجريمة، والقوم غير القوم، العربي تملكه بالعفو، إنَّما الإسرائيلي لو عفوتَ عنه فيرى في هذا العفو نباهة وحيلة، وسذاجة من العربي.

القرآن هو المنهج العلمي لأُمَّتنا:

المحاور: هذه الجائزة الَّتي تأتي برعاية كريمة من سمو الشيخ محمَّد بن راشد آل مكتوم، وتأتي بهدف الحفاظ على القرآن الكريم وتكريم الدُّعاة والحفاظ على النشء، وهي في زمنٍ نتحدَّث فيه كثيرًا عن العولمة وتحدياتها والتقنيات الإلكترونيَّة، ممَّا جعل هذا النشء ينصرف عن كتاب الله، بماذا تنصحون أولياء الأمور من أبناء هذه الأُمَّة لكي يدفعوا بأبنائهم إلى الإقبال على كتاب الله في أسرهم ومجتمعاتهم ومؤسَّساتهم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: القرآن الكريم هو أساس وجود هذه الأُمَّة، العرب لم يكونوا شيئًا حتَّى نزل القرآن، الَّذي غيَّر العرب ونقلهم من ظلمات الجاهليَّة إلى نور الإسلام، وكما قال الإمام مالك رضي الله عنه: «لم يصلح آخر هذه الأُمَّة إلَّا بما صلح به أولها»[٢].

ولم يصلح أوَّلُها إلَّا بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فلا بدَّ من عودة إلى القرآن الكريم، عودة إليه حفظًا وعودة إليه تلاوة، وعودة إليه فقهًا وفهمًا، وعودة إليه عملًا وتطبيقًا.

فلا بدَّ أن نُحْسِنَ فهم القرآن، والقرآن أمرنا بتدبُّره: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]؛ ولذلك لنُحْسِنَ

(١) سبق تخريجه صـ٣٨٧.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣١/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهمه، ثمَّ نحسن تطبيقه والعمل به. مهمٌّ أن تحفظ القرآن، ولكن أن تعمل بالقرآن الكريم مهمٌّ أيضًا.

فنحن نريد أن يكون القرآن هو المنهاج العلمي لهذه الأُمَّة في مفاهيمها وتقاليدها وآدابها وسلوكيَّاتها وتشريعاتها وعبادتها ومعاملاتها، فلا يمكن أن يصلح حال هذه الأُمَّة إلَّا بالقرآن.

إكثار تلاميذ الوسطيَّة:

المحاور: ذكرتم بأنَّ تكريمكم هو تكريم لمدرسة الوسطيَّة الَّتي تُمَثِّلونها القائمة على التجديد والأصالة والمعاصرة، ما هي رؤيتكم لآليَّات تنفيذ هذه الوسطيَّة بعيدًا عن الجهد الفردي، وكيف يمكن تجسيد هذه الوسطيَّة في إطار مؤسَّساتي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أولًا: لا بدَّ أن نبدأ بالتوعية لإيضاح المراد بالوسطيَّة، فبعض النَّاس قد يفهمون الوسطيَّة التسهيل في كلِّ شيء!

الوسطيَّة أن تقف وسطًا بين الدُّعاة إلى المذهبيَّة الجامدة المقلِّدة المتعصِّبة ودعاة اللامذهبيَّة الَّذين يريدون أن يلقوا بالمذاهب في سلَّة المهملات، فلا بدَّ أن تقف بين هذا وذاك. أن تقف بين الَّذين يرفضون التصوُّف كلَّه سُنِّيه وملتزمه، والَّذين يأخذون التصوُّف بعُجَره وبُجَره. بين الَّذين يريدون أن نمشي وراء الغرب بحضارته بخيرها وشرِّها وحلوها ومُرِّها وما يُحْمَد منها وما يُكْره، وبين الَّذين يرفضون الغرب كلَّه ولا يريدون التعامل معه مطلقًا. وبين الَّذين يريدون أن يُعْمِلوا عقولهم وحدها ولا يلتفتون إلى الوحي، والَّذين يريدون أن نلتفت إلى الوحي ونُلْغي العقل، ونحن نريد أن نوازن بين العقل والنقل.

QaradawiBooks.com

للوسطيَّة معانٍ كثيرة وضَّحتها في كتبي، نريد الوعي بماهيَّة هذه الوسطيَّة، ونسعى إلى إكثار تلاميذ المدرسة الوسطيَّة، وهذا ما أقوم به من خلال تأليف الكتب والمقالات وعن طريق المحاضرات والخطب، وخُطَبي الآن أصبحت تذاع في القنوات الفضائيَّة، فأصبح مداها أوسع عن طريق البرامج التليفزيونيَّة، وأصبح هذا المنهج الوسطي معروفًا وله تلاميذ في جميع أنحاء العالم، فما ذهبت إلى بلدة من البلدان إلَّا ووجدت تلاميذ التيار الوسطي والَّذين يتابعونه بتفصيل، ثمَّ نريد أن نؤسِّس مؤسَّسات تقوم على مبادئ الوسطيَّة.

وقد قمتُ بحمد الله بإنشاء موقع على الإنترنت واسمه «إسلام أون لاين» افتتحناه بـ(٤) أكتوبر (١٩٩٩م)، ودعونا المؤسِّسين من أنحاء العالم الإسلامي وخارجه من الأقلِّيَّات والجاليات المسلمة حوالي مائة شخصيَّة.

وذكرت ملامح عشرة لهذا الموقع: أن يجمع ولا يفرق ولا يهدم، نتعاون فيما اتَّفقنا فيه وليعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، إلخ.

فهناك ملامح عشرة حتَّى إنَّ الحاضرين قالوا: إنَّ هذه الملامح العَشَرة يجب أن توضع في النظام الأساسي لتحدِّد المشروع من أوَّله واتِّجاهه أين يتَّجه.

فنريد أن ننشأ مؤسَّسات مختلفة تتبنى هذا الفكر الوسطي، وتنشأ عليها الأجيال القادمة، وسأتبرَّع بربع هذه الجائزة للموقع «إسلام أون لاين» على الإنترنت، وثلاثة الأرباع المتبقيَّة ستكون نواةً لإنشاء مؤسَّسة إسلاميَّة ترعى المتفوِّقين والمواهب في العالم الإسلامي، وهذا أمر يُهِمُّني.

QaradawiBooks.com

وأنا أتلقَّى العديد من الطلبات، حيث أجد طلبةً نوابغ من أبناء الأُمَّة الإســلاميَّة ولا يجدون جامعة يتعلَّمون فيها، وحــرام أن يضيع هؤلاء، فنحن نُعَوِّل عليهم لحمل الفكر الوسطي والراية الوسطيَّة للأجيال القادمة إن شاء الله.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

القرضاوي في حوار للقُرَّاء اليابانيِّين

أجرت صحيفة أســاهي اليابانيَّة اليوميَّة الحــوار التالي مع العلامة الدكتور يوسف القرضاوي، ضمن سبع شخصيَّات عالميَّة، قدَّمتهم على أنَّهم من رموز القرن الجديد.

والمعروف أنَّ أســاهي توزِّع أكثر من (٩) ملايين نسخة يوميًّا، وقد نشر الحوار في الصفحة الأولى للجريدة بتاريخ (٢٩) أبريل (٢٠٠٠م).

وأجراه دايجي ســادا موري المديــر الإقليمي لمكتــب الجريدة في الشرق الأوسط، الَّذي زار الشيخ مرَّتين بمنزله في الدوحة، لما زار موقع «إسلام أون لاين»، وبلغ من اهتمامه بالتعرُّف على كلِّ ما يُحِيط بالشيخ أن زار قريته الَّتي وُلِدَ بها في مصر «صفط تراب» بمحافظة الغربيَّة. وها هي الأسئلة مترجمة عن الإنجليزيَّة.

المحاور: ما تقديرك لنتائج الانتخابات الأخيرة في إيران؟

فضيلة الشــيخ القرضاوي: أرى أنَّ التجربــة الإيرانيَّة جيِّدة، ويجب الإشــادة بها وفقًا لما يراه علماء المســلمين، حيث إنَّها ترســيخ لمبدأ الشورى الَّذي أمر به الإسلام، وفيه أنَّ حقَّ الشــعب اختيارُ ممثِّليه وأن يزيحهم من سلطتهم إذا انحرفوا عن الإرادة الشعبيَّة.

QaradawiBooks.com

وأعتقد أنَّ هذا النوع من الخبرة السياسيَّة يُؤَثِّر على الدول المجاورة؛ نظرًا لأنَّ إيران دولة إسلاميَّة وخليجيَّة. وقد خطت بعض الدول الخليجيَّة بالفعل خطوات على طريق الديمقراطيَّة، فالكويت فعلت ذلك منذ سنوات، وأيضًا بدأت قطر ذلك مؤخَّرًا، وحتَّى المملكة العربيَّة السعوديَّة بدأت في إنشاء مجلس الشورى وسمحت للسيَّدات أن يشتركْنَ كمراقبات، فهذا تطوُّر يشير إلى أنَّ العمليَّة الديمقراطيَّة سوف تنتصر في النهاية[1].

ولقد زرتُ إيران منذ عامين، وكانت زيارة طيِّبة حيث التقيتُ بالرئيس الإيراني خاتمي والرئيس السابق رفسنجاني والعديد من علماء المسلمين هناك، وليس لديَّ النِّيَّة لزيارة إيران حاليًّا؛ لأنِّي مشغولٌ جدًّا، ولكن لا أمانع في زيارتها مرَّة أخرى؛ لأنَّني أؤيِّد تقوية الروابط بين الدول الإسلاميَّة في القضايا العامَّة.

المحاور: لقد قمتُ بنشر العديد من الكتب وشرائط الكاسيت الَّتي تلقى رواجًا ليس فقط في المنطقة العربيَّة، ولكن أيضًا على مستوى العالم وموقعك على الإنترنت أصبح واحدًا من أشهر مواقع المرجعيَّة الإسلاميَّة، فما الذي تُخَطِّط له الآن؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أنا بصدد تأليف كتاب عن الألفيَّة الثالثة لمعرفة أين نقف نحن المسلمين من هذه الألفيَّة الجديدة بكلِّ إنجازاتها وإخفاقاتها، فماذا أنجزنا نحن المسلمين في القرن الماضي؟ وفيم فشلنا؟

(١) كان هذا رأيي في التجربة الإيرانية سابقًا، ولم تكن أظهرت وجهها الطائفي، لا سيما في الانحياز إلى المستبد الظالم في سوريا ضد الشعب المطالب بحريته، وكذلك مواقفهم في العراق واليمن وغيرها.

QaradawiBooks.com

ولماذا؟ وأيضًا ماذا حقَّقت الإنسانيَّة؟ وأين فشلت؟ لقد حقَّقت الإنسانيَّة الكثير في العلوم والتكنولوجيا والإلكترونيَّات والعلوم الطبيعيَّة والفضاء والاتِّصالات والمعلومات، وهناك إنجازات ضخمة في المجالات العسكريَّة والطبِّ وحقوق الإنسان.

ولكنَّ هذا القرن كان قرن الحروب وسفك الدماء بشكلٍ غير مسبوق من قبل، ويكفي أنَّه شهد الحربين العالميَّتين الأولى والثانية اللتين راح ضحيَّتهما نحو (٦٠) مليون نسمة، فضلًا عن الحروب الإقليميَّة والموت على أيدي بعض الحكومات. وأيضًا شهد هذا القرن قنبلتي هيروشيما وناجازاكي، بالإضافة إلى انهيار الأخلاق في الحضارات المعاصرة.

لقد نجحت الإنسانيَّة في الوصول إلى القمر ولكنَّها فشلت في إسعاد الشعوب على وجه الأرض. هذه هي الموضوعات الَّتي سوف أتناولها، في كتابٍ إن شاء الله[1].

المحاور: لقد علمت أنَّه لم يُسْمَح لك بدخول الولايات المُتِّحِدة الأمريكيَّة بدعوى أنَّ خطبتك الأخيرة في شيكاغو كانت مؤيِّدة لحركة حماس؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لقد زارتني سفيرة الولايات المُتِّحِدة الأمريكيَّة في الدوحة في مكتبي منذ أسبوعين، وتحدَّثنا عن هذا الموضوع، وأخبرتني أنَّ النَّاس يقولون: إنَّني عالم إسلامي معتدل، فما هو الاعتدال بالنسبة لي؟ وقد أوضحت لها أنَّني أدعو إلى نهضة الإسلام بالحسنى، وأرفض العنف كالَّذي حدث في الجزائر ضد الرهبان

(١) أمتنا بين قرنين، نشر دار الشروق، القاهرة.

QaradawiBooks.com

الفرنسيِّين[1]، وقد أرسلتُ خطابًا إلى الرئيس الجزائري بوتفليقة أؤيِّد دعوته إلى الوئام المدني؛ لأنَّني أرفض العنف في الجزائر، ودعوتُ الشباب لإلقاء السلاح والمشاركة في خطَّة المصالحة. ولقد استجاب البعض بالفعل وألقوا سلاحهم، فهكذا أنا ضدُّ العنف.

وعندئذٍ سألتني السفيرة عن «حماس»، فقلتُ: إنَّ هذه هي نقطة الخلاف الرئيسيَّة بيننا، فأنتم تساندون إسرائيل دائمًا، ولكنَّنا نرى إسرائيل كيانًا بُني على الاغتصاب والعدوان، لقد احتلُّوا أرضًا ليست لهم، ودفعوا شعبها للفرار والتشرُّد بأعدادٍ كبيرة، والآن ها هي إسرائيل تريد أن تفرض سلامًا وَفْقًا لشُروطها، فمن حقِّ الفلسطينيِّين الدفاع عن بلدهم، وحماس والجهاد وحزب الله هم جميعًا حركات تدافع عن بلادها، فهذا ليس إرهابًا، ولكنَّه ردٌّ على العنف الموجَّه إلينا.

فقالت السفيرة لي: لقد تعلَّمت الكثير منك، وسوف أُقَدِّم تقريرًا بذلك، وتقوم الآن وزارة الخارجيَّة القطريَّة بمعالجة هذا الموضوع لإيجاد حلٍّ نهائي.

المحاور: خلال فترة ما بعد الحرب الباردة شاهدنا تفوُّقًا أمريكيًّا في العديد من المجالات، وخاصَّة في تكنولوجيا المعلومات، وما أحدثته من ثقافة غربيَّة خارقة، فهل نحن مقبلون على سيطرة أمريكيَّة جديدة في القرن القادم؟ وماذا عن صراع الحضارات؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا يمكننا أن نقبل ذلك على أنَّه شيء متوقَّع أو محتوم، بل يجب عمل توازن مقابل من خلال كتلة الدول

(١) هم سبعة رهبان فرنسيون قتلوا في ٢٧ مارس ١٩٩٦م، في دير تيبحيرين، ولاية المدية، جنوب الجزائر العاصمة.

QaradawiBooks.com

الإسلاميَّة ودول عدم الانحياز والعالم الثالث، ولا بدَّ لهؤلاء أن يُنَسِّقوا جهودهم لخلق كتلة تُحَقِّق التوازن في مقابل السيطرة الأمريكيَّة. يجب على الضعفاء أن يقوُّوا أنفسهم من خلال التكافل والتضامن.

لا أستطيع أن أتنبَّأ الآن بالنجاح، ولكن لا يجوز أن يقودنا ذلك إلى اليأس، فالكون قائم على التوازن، ولن تستطيع قوَّة عظمى واحدة أن تظلَّ وحدها مُسَيْطِرة على العالم، وسوف تنهض قوَّة أخرى لمواجهة وموازنة القوَّة الأمريكيَّة إن شاء الله.

المحاور: هل تتوقَّع أنَّ الولايات المُتِّحِدة الأمريكيَّة ستظلُّ طويلًا القوَّة العظمى وحدها؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا بالعكس، فإنَّني أرى أنَّ أمريكا تبدو قوَّة هائلة من الخارج، ولكنَّها تنطوي على العديد من الأخطاء، فهناك انهيارٌ للأخلاق، وانتشار للشُّذوذ واللِّواط، والمشكلات الاجتماعيَّة بين السُّود والبِيض.

ولقد انهار الاتِّحاد السوفيتي القوَّة العظمى الثانية في العالم رغم ترسانتها العسكريَّة والنوويَّة الهائلة.

إنَّ القوَّة الأمريكيَّة تحمل داخلها عيوبًا وإخفاقات، وهكذا أعتقد أنَّ القرن المُقْبِل سوف يكون ضدَّها وليس لها.

لقد كتب المُفَكِّر الأمريكي فوكوياما ـ وهو من أصلٍ يابانيٍّ ـ كتابًا قال فيه: إنَّ نهاية التاريخ هي نجاح الرأسماليَّة الحُرَّة، وهي نجاح للولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، ولكن بعد عامين ظهر كتاب لصمويل هنتنجون تحدَّث فيه عن صراع الحضارات. الحضارة الأمريكيَّة هي

QaradawiBooks.com

الأقوى من الناحية المادِّيَّة، ولكــن من الناحية الروحيَّة والأخلاقيَّة، هي ضعيفة جدًّا.

المحاور: ما هــي القيمة النفعيَّة الحقيقيَّة للإنترنت؟ هل هي شــيء يجلب عناصر إيجابيَّة للحياة الإنسانيَّة؟

فضيلة الشــيخ القرضاوي: الإنترنت وســيلة من الوسائل، يمكن أن يُستخدم في النفع وفي الضرِّ، والبعض يستخدمه في الضرِّ، حيث الفنون الإباحيَّة وما إلــى ذلك، أمَّا نحن فنحاول أن نســتخدمها في النفع، من خلال الدعاية للإسلام عند المســلمين وغير المسلمين على حدٍّ سواء، فنحن نريد اســتخدامها فــي تقديم الصــورة الصحيحة للإســلام لغير المســلمين، وتصحيح بعض الأفكار غير الصحيحة لدى المسلمين عن الإســلام، لذلك نعتقد إنَّه لزامًا علينا أن نســتخدم الشــبكة لمثل هذا الغرض بعد أن رأينا أنَّ البعض يســتخدمونها بطريقة غير مناســبة، وقد شوَّهوا صورة الإســلام، ونريد نحن أن نُصَحِّحها؛ ولذلك أسَّسنا موقع «إسلام أون لاين» على شبكة الإنترنت ومَقَرُّه قطر، ولكنَّه ليس مشروعًا قطريًّا بل مشروعًا عالميًّا.

المحاور: ألا ترى أنَّنا أخضعنا أنفســنا لنمط الاستهلاك الإلكتروني الَّذي تسيطر عليه الولايات المُتَّحِدة أيضًا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا، إنَّني لستُ أحد ضحايا هذا النمط؛ فأنا أفعل ما أريده على شــبكة الإنترنت، ولا أشــتري كلَّ يوم حاســبًا آليًّا، ولكن حيث إنَّ أغلب النَّاس لديهم الآن أجهزة الكمبيوتر الخاصَّة بهم، فلا بــدَّ أن أُفِيدهم بــدلًا من تركهم يقــرؤون ما يكتبه الآخــرون، فلم لا يكون لنا إنتاج على الإنترنت؟

QaradawiBooks.com

المحاور: مـــن وجهة نظركم إلـــى أيِّ مدًى انغمـــس العالم الغربي واليابان في المادِّيَّة بحثًا عن السعادة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: السعادة هي ما ينقص البشريَّة؛ لأنَّها تسير الآن في اتِّجاه الحياة المادِّيَّة وحسْب، إنَّ العالم تمكَّن من الوصول إلى القمر ويحاول الآن الهبوط على المريخ، ولكنَّ الأهمَّ هو ما يُســعدهم على الأرض.

والســعادة لا تتحقَّق إلَّا عن طريق الإيمان والدِّين، ويجب أن يعود النَّاس إلى الإيمان الصـــادق الَّذي يمنحهم الســعادة الروحيَّة. إنَّ المرء لا يمكن أن يشـــتري الســعادة ولا يمكن أن يُحَقِّقها من خلال الأجهزة الإلكترونيَّة وغيرها، فالسعادة تنبع من داخل الإنسان، ومن ثمَّ يجب أن يعود النَّاس إلى الله، وإلـــى الإيمان بالقيم الأخلاقيَّـــة، كما يجب على المُفَكِّرين والمُثَقَّفين والمؤسَّسات الثقافيَّة أن تدعم هذا الاتِّجاه، وإلَّا فإنَّ البشـــريَّة ستســـتمرُّ في الانحدار، ولن ينفع العلم في شيء إذا ما استمرَّ ذلك الانحدار.

المحاور: ما هـــي رؤيتكم للدور الَّذي يمكن أن يلعبه الإســـلام في العالم المعاصر؟ وهل يمكن أن يتسبَّب الدِّين في حروب؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: قد تقوم حروب بسبب الدِّين أو غيره، لكنَّ الحربَيْن العالميتَيْـــن الأولى والثانية اللتين أودتا بحياة أرواح عشـــرات الملايين من البَشَر لم تكونا بســـبب الدِّين، فأوربا المسيحيَّة كانت في حرب مع نفسها. واليابان والصين كانتا في حرب، لكنَّ هذه الحرب لم تنشب بســـبب الدِّين، فبعض الحروب قد تبدو حروبًا دينيَّة، ولكنَّ لها أسبابًا أخرى مثل أطماع بعض الملوك والحُكَّام.

QaradawiBooks.com

أودُّ أن أقول: إنَّ الإسلام يتميَّز بإقامة التوازن بين المادِّيَّات والرُّوحانيَّات دون أن يطغى أحدهما على الآخر، ودون أن يستبعد العلم، إنَّ هذا مَيْزة غير موجودة في الأديان الأخرى.

المحاور: ما هي العلاقة المُثْلى بين السياسة والشريعة الإسلاميَّة ونحن جميعًا ندرك أنَّ هذا هو أحد الموضوعات الَّتي يُثير حولها الغربيُّون جدلًا، خاصَّة وأنَّهم يُصِرُّون على فصل الدِّين عن السياسة كشرط لتحقيق الديمقراطيَّة الحديثة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا يمكن فرض الإسلام على غير المسلمين، ولا يمكن فرض الإيمان على أحد، وجميع الأديان تحثُّ على الفضيلة، وقوانين الأحوال الشخصيَّة لغير المسلمين تُطَبَّق على شؤونهم، ويتبقَّى القانون المدني والجنائي، ويقول بعض علماء المسلمين: إنَّ القوانين الجنائيَّة في الإسلام ينبغي أن تُطَبَّق على غير المسلمين، إلَّا أنَّ القانون المدني ينظر إليه المسلمون على أنَّه الشريعة، وعلى غير المسلمين أن ينظروا إليه على أنَّه مجرَّد قانون يماثل القوانين المدنيَّة الَّتي استوردناها من فرنسا أو من بريطانيا. والَّذي تقبله الأغلبيَّة ينبغي أن يسود والديمقراطيَّة هي حكم الأغلبيَّة.

المحاور: هل تُخَطِّط لزيارة اليابان في القريب؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لقد زرتُ اليابان ثلاث مرَّات أعوام (١٩٧٥، ١٩٧٧، ١٩٩٧م)، وزرتُ مدنًا ومؤسَّسات عدَّة، وكانت الزيارة بناءً على دعوة من مسلمي اليابان. أرجو أن تُبلِّغهم تحياتي.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

القرضاوي يوافق على الهدنة مع إسرائيل
طلبت من أمير قطر غسل يديه بعد مصافحة بيريز

«أسئلتك بالغة الصعوبة والقسوة هذه المرة»، هكذا علَّق فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي ـ الداعية الإسلامي الكبير، ورئيس مركز بحوث السنّة والسيرة بجامعة قطر ـ بعد أن أنهيتُ حواري معه الَّذي جرى بمكتبه قبيل ساعات من قيامه برحلة عمل إلى المملكة العربيَّة السعوديَّة، وقد تأجَّل موعد هذا الحوار أكثر من مرَّة بسبب سفريَّات الشيخ العديدة خارج قطر الَّتي يقيم بها منذ أكثر من (٣٥) عامًا.

ورغم قسوة وصعوبة الأسئلة، فإنَّه لم يرفض الإجابة عنها، وانطلق مُفَنِّدًا الاتِّهامات والرؤى المغايرة لرؤيته.

المحاور: أجمع الفقهاء ورجال الإفتاء على حرمة زواج المسيار لما يُسَبِّبه من اختلاطٍ للأنساب وفسادٍ خُلُقِي واجتماعيٍّ وضياعٍ لحقوق الزوجات، كما اعتبر العديد منهم أنَّه باب من أبواب الزنى، وقد كان لفتواكم بحلِّ زواج المسيار صدًى واسع، ألا ترون أنَّكم بذلك خالفتم إجماع العلماء وساعدتم على انتشار البلبلة بين الرأي العام العربي والإسلامي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذه دعوة مرفوضة، فليس هناك إجماع من العلماء على رفض ما يُسَمَّى بزواج المسيار، بالعكس، إنَّ عددًا من

QaradawiBooks.com

العلماء ـ وأكاد أقول معظمهم ـ يوافق على رؤيتي لزواج المسيار، والحقيقة أنا لا تَهُمَّني التسمية، فالعِبْرة في الأحكام الشَّرعيَّة للمسمَّيات والمضامين وليس للأسماء والعناوين.

فهذا الَّذي يُسمَّى زواج المسيار ليس زواجًا جديدًا، وإنَّما هو الزواج الَّذي يقوم فيه الزوج بالتوجُّه إلى بيت الزوجة، وليست المرأة الَّتي تتوجَّه إلى بيت الرجل، ومن هنا المرأة تكون باحثة فقط عن «الستر» «ضِلّ رجل ولا ضل حيط». حسَبَما يقول المثل الدارج.

وهي في هذه الحالة لا ترغب في أن ينفق عليها الرجل أو يُوَفِّر لها سكنًا، وإنَّما تريد رجلًا يستر عليها، فتتزوَّج من هذا الرجل.

وأحيانًا أخرى تكون المرأة لديها أطفال من زوج تُوُفِّي وتتزوَّج من رجل يأتي إليها في بيتها، وذلك رأيتُه بعيني كثيرًا: في قريتنا بمصر، وفي عصرنا الراهن، هناك نساء بعضهنَّ مطلقات، ونسبة الطلاق للأسف عالية جدًّا في بلاد الخليج، وكذلك هناك أرامل مات عنهنَّ أزواجُهنَّ، وهناك عوانس فاتهنَّ قطار الزواج بفعل التعقيدات الَّتي أدخلها النَّاس وعسَّروا بها ما يسَّر الله. وكثيرات من هؤلاء موظَّفات لديهنَّ المال والبيت، ويردن رجلًا متزوِّجًا من قبل، والرجل لا يريد أن ينقلها إلى بيت زوجته؛ لأنَّه كما تعلم أصبح في عصرنا ـ للأسف ـ تعدُّد الزوجات كأنَّه جريمة منكرة، وحُكْم بالإعدام على الزوجة الأولى.

لذلك فإنَّ الرجل يتَّفق مع المرأة على الزواج بها، ويأتي إليها في منزلها من خلال عقد شرعي ـ وهذا ما أكَّدت عليه مرارًا ـ وبشهودٍ وبقبولٍ وإيجاب، وهو عقدٌ غير مؤقَّت ويتَّسم بالديمومة، وليس كزواج المتعة المحدَّد بفتراتٍ زمنيَّة، وهو عقد كذلك تترتَّب عليه آثاره.

QaradawiBooks.com

المحاور: وماذا بخصوص حقوق أبناء هذا الزواج؟

أبناء هذا الزواج شرعيُّون، فهذا الزواج في المملكة العربيَّة السعوديَّة والإمارات يسجَّل في المحاكم الشَّرعيَّة، كلُّ ما في الأمر أنَّ الزوجة لا تُريد بيتًا ولا نفقة، فما المانع في هذا الزواج؟

ما المانع من إشباعِ حاجاتٍ فطريَّة بشريَّة لدى كثير من إخواننا المسلمين وأخواتنا المسلمات، البعض يقول: وكأنَّ المقصود بهذا الزواج هو الناحية الجنسيَّة فقط؟ حتَّى ولو فرض أنَّه كذلك، فإنَّ المسألة الجنسيَّة لها اعتبارها في المنظور الإسلامي.

السلام مع إسرائيل:

المحاور: قضيَّة أخرى ما زالت تشهد جدلًا وتتعلَّق بموقفك من السلام مع إسرائيل، فبينما أفتى العديد من العلماء بجواز الصلح مع إسرائيل رفضتم هذه الفتوى، فهل ذلك خلافٌ شرعيٌّ أم أنَّها معارضةٌ من أجل المعارضة، واختلافٌ من أجل الاختلاف، يساهم انتشارك الإعلامي في طرحه بقوَّة على الرأي العامِّ؟

إنَّني أدهش لمثل هذا الطرح، لقد شاركت في اجتماع للمجامع الفقهيَّة بالكويت قبل سنوات، وقد صدرت فتوى من العلماء الَّذين شاركوا في هذا الاجتماع ووقَّع عليها أكثر من (٣٠٠) عالم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي بتحريم الصلح مع إسرائيل بالطريقة الَّتي تجري الآن، كما شاركت قبل بعضة أسابيع في اجتماع المجمع الفقهي بالبحرين، وأصدر العلماء فتوى أخرى جديدةً تؤكِّد الفتوى القديمة ووقَّع عليها عددٌ كبيرٌ من العلماء أيضًا، وبالتالي فإنَّ دعوى الإجماع

QaradawiBooks.com

على جواز الصلح مع إسـرائيل غير صحيحة، إنَّـك تتحدَّث عن علماءَ يتأثَّرون بأوضاع معيَّنة تكون سببًا في فتواهم أو لعلَّهم لا يعرفون الواقع معرفة صحيحة، لقد ناقشت الشيخ عبد العزيز باز في فتواه على صفحات الصحف وقتها، وهو من العلماء البارزين المرموقين ومن أقرب العلماء إلى نَفْسِي، لكن قلتُ: إنَّ فتوى الشـيخ ابن باز ـ حفظه الله ـ مبنيَّة على عدم معرفة بفقـه الواقع، إنَّه لم يعـرف بالضبط ما وراء هـذا الصُّلْح، والمفتي يجب أن يفقه النصوص وأدلَّتها، ويفقه الواقع حتَّى تكون فتواه سليمة، وما أقتنع به أنَّ فتواي بعدم جواز الصلح مع إسرائيل مبنيَّة على أسـاس أنَّ أرض الإسـلام لا يجوز التنازل عنها بصورة اختياريَّة، فهذه الأرض لا يملك أحد أن يتنازل عنها، إنَّها أرض الأُمَّة الإسلاميَّة وروتها دماء المسلمين من الصحابة وتابعيهم.

المحاور: لكن يا فضيلة الشـيخ، لقد أقر الشيخ أحمد ياسين الزعيم الرُّوحي لحركة حماس بإمكانيَّة قيام هدنة مع إسرائيل.

فضيلة الشيخ القرضاوي: الهدنة شـرعًا أمرٌ جائز، وأنا لا أمانع في ذلك، فالهدنة تعني أن نكُفَّ عن القتال، وهذا ما فعله صلاح الدين مع الصَّليبيِّين، وهي بذلك تختلف تمامًا عـن الصلح، الَّذي يعني بوضوحٍ اعترافًا صريحًا بأنَّ ما اسـتولى عليه اليهود من أرضنا أصبح حقًّا لهم، فهذا لعبٌ بالدِّين، إنَّه ليس من الشرع في شيء، ويعني أنَّنا أصبحنا نُفْتي بالهوى، وأنَّنا أصبحنا فقهاء السلاطين أو علماء السلطة.

المحاور: في السـياق ذاتـه، فإنَّ فضيلتـك عندما انعقـد المؤتمر الاقتصادي للشَّرق الأوسـط في نوفمبر (١٩٩٧م)، لم تُعْلن معارضتك له رغم أنَّ إسرائيل شاركت فيه وقاطعه العرب.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذا غير صحيح، فقد أعلنتُ رفضي القاطع للمؤتمر في خطبة الجمعة، الَّتي بُثَّتْ مباشـــرة على الهواء من تليفزيون وإذاعة قطر، والَّتي ألقيها بالمســـجد الكبير، وهو أحد المساجد التابعة للدولة، كما أعلنتُ هذا الموقف عبر قناة الجزيرة، ويعلم المسؤولون في قطر موقفي هذا ويُقدِّرونه. وفي الحقيقـــة لم يَلُمْني أحدٌ على موقفي أو حتَّى يُوَجِّه إليَّ مجرَّد عتاب.

وأنت تعلم حينما زار شيمون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلي الدوحة أعلنتُ على المنبر أنَّ على الَّذين صافحوا بيريز ووضعوا أيديهم في يده أن يغسلوا هذه الأيدي سبع مرَّات، إحداهنَّ بالتراب.

المحاور: في حديثٍ سابقٍ لـ «الأهرام العربي» ردًّا على سؤال حول ما ذكره أحد الصحفيِّين من أنَّ إخوان قطر وراء عمليَّة الأقصر الإرهابيَّة. قلت: «هذا كلام يُمَثِّل ضربًا من الهذيان، ولا يستند إلى حقيقة، فالإخوان يَدِينون العنف ويُنْكرونه. ومن هم إخـــوان قطر، هل المقصود أنا؟ ربَّما أكون أبرز من يُمَثِّلهم في قطر، لكنَّنِي أَدِيـــن العنفَ بكلِّ قوَّة ووضوح، وقد دِنْتُ عمليَّة الأقصر».

وهنا تعلـــن فضيلتك صراحة أنَّك أبرز من يُمَثِّـــل إخوان قطر، لماذا أعلنت في حوارات عديدة ســـابقة أخرى أنَّك لســـت عضوًا بالإخوان، ولا علاقة لك بالتنظيم الدولي؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: بداية أقول: إنَّني دِنْـــتُ عمليَّة الأقصر في خطبة جمعة كاملة، أنكرت قتل الأبرياء المدنيِّين والسيَّاح بشدَّة، وأرى أنَّ ذلك جريمة في دِين الله وفي دنيا النَّاس، أمَّا فيما تسألني عنه فأقول لك: أنا لســـتُ من الإخوان تنظيميًّا، ولكن من الإخوان فكريًّا، وأنا لا أتنكَّر

QaradawiBooks.com

لدعوة الإخـــوان، وربَّمـــا يعتبرني الإخـــوان مفتيهـــم أو منظرهم، وهم يســـتفيدون من كتبي، وأنا مع فكـــرة الإخوان الكُلِّيَّـــة والعامَّة في نُصْرة الإســـلام وتحقيق أهدافه، وفي إقامة المجتمع الإسلامي، وفي الحماسة لكلِّ ما هو إسلامي، ومقاومة التيارات الَّتي تريد أن ترتدَّ بالأُمَّة القهقرى، وأنا أُمَثِّل الإخوان في هذه القضايا، ولكن ليست لي علاقة تنظيميَّة بهم.

المحاور: بعد أن كثُر الحديث حول فوائد البنوك، وهل هي ربًا مُحَرَّم أم أنَّها حلال، اعتبرت دار الإفتاء المصريَّة أنَّها حلالٌ وَفْقًا لفتاوى الشيخ نصر فريد واصل، واعتبر شيخ الأزهر أنَّها أيضًا حلال، وقال: إنَّه لا توجد بنوك إسلاميَّة وغير إســـلاميَّة، ومع ذلك أنت تُصِرُّ على أنَّ فوائد البنوك حرام، وأنَّ البنوك الإســـلاميَّة هي الحلال، وبعيدة تمامًا عن الربا. فهل تنطلق فتواك من الأقوال الَّتي تتردَّد حول مساهمتك في رأس مال العديد من البنوك الإسلاميَّة؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: نعم أنا أســـاهم في بنوك إسلاميَّة، لكنَّها مســـاهمات رمزيَّة. وأنا أرى أنَّ ذلك نوع من التشـــجيع لهذه المصارف والمؤسَّســـات الإســـلاميَّة، وقناعة مِنِّي بـــأنَّ هذه البنـــوك تُمَثِّل التوجُّه الإسلامي في التحرُّر من الفوائد الربويَّة الَّتي ابتلانا بها الاستعمار.

فالبنـــوك التقليديَّـــة القائمة في بلادنا لـــم نصنعهـــا، وإنَّما هي من مُخَلَّفات الاستعمار الرأسمالي وأنظمته الربويَّة، وأثبتنا لهم نظريًّا وعمليًّا أنَّ إقامة بنوك لا تمنح فوائد ربويَّة أمر يمكن تحقيقه، والبنوك الإسلاميَّة تتَّسع لكلِّ الأنشطة المصرفيَّة والماليَّة.

وعندما أُفتـــي بتحريم فوائد البنوك الربويَّة، فلســـتُ وحدي الَّذي أفتي بذلك، وإنَّما سبقني في ذلك مجمع البحوث الإسلاميَّة بالأزهر

QaradawiBooks.com

في عهد الشيخ حسن مأمون، وفي وجود علماء يُمَثِّلون (٣٥) دولة، وأكَّدوا وقتها أنَّ فوائد البنوك هي الربا الحرام، كما أكَّدت ذلك مجامع فقهيَّة عديدة.

المحاور: البعض يقول: إنَّك تحوَّلت إلى واحدٍ من مشايخ الفضائيَّات العربيَّة، وإنَّك لم تُحَقِّق شهرتك إلَّا بعد اعتقالك في مصر أوائل الستينيَّات لانتمائك لجماعة الإخوان المسلمين «المحظورة»، ثمَّ تلقَّفتك وسائل الإعلام العربيَّة الَّتي كانت تقف ضدَّ مصر في المراحل الأولى من عمليَّة السلام. ونصَّبتكَ شيخًا لمصالحها السياسيَّة، واستفدت أنت من هذا الموقف لتحقيق مكاسب مادِّيَّة وشخصيَّة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: إنَّني لم أسعَ إلى هذه الفضائيَّات، ولكنَّ مشاركتي فيها تُفرض عليَّ فرضًا، وأنا لا أستطيع أن أعتذر عن عدم المشاركة، فمنذ أن نشأ تليفزيون قطر قبل ثلاثين عامًا وأنا أُقَدِّم برنامجًا دينيًّا كلَّ يوم جمعة اسمه «هَدْي الإسلام»، وأحسب أنَّه برنامج مُشَاهَد حتَّى الآن.

وعند التفكير في إنشاء قناة الجزيرة في قطر رجاني المسؤولون عنها أنْ أُشارك في برنامج «الشريعة والحياة»، ونظرًا لأنَّني في قطر قلت: لا مانع، خصوصًا أنَّني على صلة بالمسلمين في أوربا وأمريكا، وأرى أنَّ هؤلاء محتاجون إلى فقه التيسير الَّذي أتبنَّاه؛ من أجل ذلك قبلتُ أن أعمل في برنامج «الشريعة والحياة» بالجزيرة، ولم أكُنْ أرغب في أن أذكر ذلك؛ لأنَّني لا أحصل على مليم واحد من قناة الجزيرة، وذلك ردًّا على ما ذكرتَه في السؤال أنَّني استفدت ماليًّا من هذه القنوات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المحـــاور: ألا تلاحـــظ فضيلتك هذا العـــزف الأمريكـــي على وتر ما يُسَمَّى بالاضطهاد الدِّيني للمسيحيِّين في مصر، وثمَّة حملات غربيَّة عديدة على هذا الصعيد. كيف ترى هذه المسألة؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: لم يحدث في تاريـــخ مصر أنْ كان هناك اضطهادٌ دينيٌّ أو طائفي، وكانت دائمًا الأخوَّة والوحدة الوطنيَّة هي الَّتي تسود المجتمع المصري، دومًا، ولم يحدث أثر لهذه الفتن إلَّا في عهد الاســـتعمار الَّذي أراد أن يلعب بهذه الورقة، ويتَّخذ منها أساسًا للتدخُّل في شـــؤون مصر، لكنَّ إخواننا الأقباط كانوا أذكى وأكثـــر وطنيَّة، ولم يستجيبوا لهذه المكايد الأجنبيَّة.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حوار في التحديات الجادَّة أمام العقيدة[1] (١)

القرضاوي: الفقه التقليدي ساند المسرفين في الطلاق:

يتناول الجزء الأوَّل من هذا الحوار قضايا ساخنة أخرى مثل: الزواج العرفي وزواج المسيار والمتعة، ومفهوم الاختلاط، ومصير مؤسَّسة الزواج المتعارف عليها إسلاميًّا، بالإضافة إلى قضيَّة «الخلع»، وهي الآن حديث الشارع المصري والمجتمعات الإسلاميَّة وغيرها من القضايا.

ويتناول الجزء الثاني الَّذي تنشره «زهرة الخليج» الأسبوع المقبل نظرة الإسلام إلى الثقافات الموروثة والوافدة، وموقفه من فوائد البنوك، والاستنساخ والتداوي.

الزواج بالإنترنت:

المحاور: جاء في تعريف باب الزواج ضمن خدمة الإسلام على الإنترنت: أنَّه خدمة مجانيَّة لمن يودُّ من الجنسين الإعلان عن رغبته في الزواج. ما مدى الحاجة إلى هذا الباب في زمن أصبح الاختلاط بين الجنسين هو القاعدة؟

(١) نشر في مجلة زهرة الخليج.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: صحيحٌ أنَّ الاختلاط أصبح موجودًا في هذا الزمان، ولكن مع ذلــك يوجد كثير من الرجــال الَّذين لا يجدون المرأة الَّتي تناســبهم، ويوجد كثير من الفتيات لا يجــدن الرجل الَّذي يلائمهنَّ، وكثرت العوانس في البيوت، وكثر الشــباب الَّذين لا يجدون الزوجة، ومهمَّة الموقع أن يُفْسِح المجال أمام الشابِّ للإعلان عن رغبته ومواصفاتــه المطلوبة فــي الزوجة المنشــودة، وكذلــك الفتيات، وأن يوصلهم فقط بعضهم ببعض، وعليهما أن يُتِّما الأمر، فالبرنامج لا يعقد زواجًا، وكلُّ مُهِمَّته هي توصيل رأســين في الحلال، بمعنى أنَّه يســهل لهما طريقة التعارف. وأعرف مــن أقاربنا من تزوَّج عن طريق الإنترنت، حدث بينهما بالصدفة حوار عبر الإنترنت حيث كان الشــابُّ يدرس في أمريكا، وتواصلا، وتعارفت العائلتان، وأتمُّوا الزواج. وهذا هو المقصود بهذه الخدمة.

زواج متنوِّع:

المحاور: زواج المســيار، الــزواج العرفي، الزواج السِّــرِّي، زواج المتعة، مسمَّيات لأشكال عديدة من الزواج، ما هو حكم الشرع في كلٍّ منها، وكيف عرفناها؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الزواج العرفي يقصد به الزواج غير المُوَثَّق، الَّذي ليس مُسَــجَّلًا عند القاضي الشــرعي أو عند المأذون، وهو زواج مستوفٍ أركانه الشَّــرعيَّة؛ فيه إيجابٌ وقَبول، ومهر، وشهود، وفي بعض البلاد يكون فيه وليٌّ أيضًا، بينما بعض البلاد لا تشترط الوليَّ، فالأحناف لا يشترطون الولي، ولكن يشــترطون أن تتزوَّج المرأة بكفءٍ لها، ولو تزوَّجت بغير كفء؛ من حــقِّ أوليائها أن يعترضــوا، كأن تكون مُثَقَّفة،

QaradawiBooks.com

وتزوَّجت رجلًا أميًّا، أو لو تزوَّجت رجلًا من مستوى أدنى بكثيرٍ من مستوى أسرتها، أو نحو ذلك، فمن حقِّ أوليائها أن يعترضوا.

فالزواج العرفي هو الزواج الَّذي يتمُّ بشروطه الشَّرعيَّة، لكنَّه لا يُسَجَّل لأسباب معيَّنة عند الزوج أو عند الزوجة، كأن يخشى الزوج من زوجته الأولى، أو نحو ذلك، فهو يفعل هذا، ويشهد عليه الشهود، ويكتب ورقة للزوجة، لكنَّه زواج غير مسجَّل، وهذا كان زواج المسلمين طَوَال العصور الماضية، ولم يكن الزواج يُسَجَّل في محكمة أو عند مأذون، ولكن في العصر الحديث وُجِدَ أنَّ النَّاس قد يتنكَّرون، فقد يتزوَّج الرجلُ المرأةَ ثمَّ يقول لها: لم أتزوَّجْكِ، أو تدَّعي امرأة على الرجل أنَّه زوجُها، وتقول بعد وفاته مثلًا: إنَّه زوجُها، وربَّما تُحْضِر شهودًا على ذلك، فترثُ من تَرِكَتِه.

ولذلك رؤي أنَّه من المصلحة أن يكون الزواج مُوَثَّقًا مُسَجَّلًا، ولذلك عندما ترفع زوجة على زوجها دعوى نفقة، وكان زواجهما عرفيًّا فإنَّ المحكمة لا تسمع هذه الدعوى.

في السرِّ:

المحاور: وماذا عن الزواج السِّرِّي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الزواج السِّرِّي يقصد به عند بعض النَّاس الزواج العرفي، ويطلقون عليه: السِّرِّي على أساس أنَّه غير مُعْلَن، لكن فيه الحدّ الأدنى من الإشهار، وهو الشهود، وفي مذهب المالكيَّة يُشترط ألَّا يقول الزوج عند العقد: اكتموا هذا. فإذا قال عند العقد: اكتموا هذا الزواج، فإنَّه يبطل عندهم، أمَّا إذا قال بعد العقد مثلًا: «إنَّه من المصلحة عدم إشاعة الخبر»، فإنَّ العقد صحيح. والمهمُّ أنَّه عند العقد لا يُوصِي بالكتمان.

QaradawiBooks.com

وإذا كان ما يُقْصَد بالزواج السِّـرِّي هو الزواج العرفي غير المسجَّل وغير المعلن إعلانًا، فهذا زواج صحيح.

أمَّـا إذا كان المقصود بالزواج السِّـرِّي ذلك الَّذي يتـمُّ بين الرجل والمرأة، كأن تقول له: «زوجتك نفسـي» أو «قبلت» وغيره، دون شهود، فهذا ليس زواجًا؛ لأنَّه غير مستوفٍ أركانَ العقد، وليس فيه الحدُّ الأدنى من الإشهار وهو الشهود؛ فهذا الزواج حرام.

أمَّا زواج المتعة، فهـو زواج بين الرجل والمرأة مـدَّة معيَّنة بمبلغٍ معيَّن، كأن يقول لها: «تزوجتُكِ مدَّة سـنة بمبلغ كذا»، وهو مُحرَّم عند أهل السُّنَّة، ويُجيزه الشِّيعة.

المحاور: وماذا عن زواج المسيار؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: إنَّه زواج ينتقل فيه الرجل إلى بيت المرأة، ولا تنتقل فيه المرأة إلى بيت الرجل، وسُـمِّيَ مسيارًا؛ لأنَّ الرجل يسير إلى المرأة من حين إلى آخر، وكثيرًا ما يسير إليها في النَّهار، يكون عند زوجته الأخرى ليلًا حتَّـى لا تعرف بأنَّه متـزوِّج، فيذهب إلى هذه في النهار وتلك في الليل، أو نحو ذلك.

إنَّه زواج شرعي، حتَّى إنَّ بعض البلاد تُسَجِّله وتُوَثِّقه، مثل: المملكة العربيَّة السعوديَّة، وفي هذا الزواج تقول الزوجة للزوج: إنَّها لا تريد منه شيئًا. فهي لديها أموالها من وظيفة أو إرث، ولكن ربَّما فاتها القطار، أو ترمَّلـت، أو طُلِّقت وهي في سِـنٍّ مُبَكِّرة، فأصبحـت بحاجة إلى «ظلِّ رجل» كما يقولون، فتتزوج الرجل المناسـب لها وتقول له: إنَّها متنازلة عن النفقة والسكن، ويتَّفقان على ذلك.

QaradawiBooks.com

والواقع أنَّ ذلك كان يقــع في مجتمعاتنا فــي الماضي، وهذا هو زواج المسيار.

وهو زواجٌ مستوفي الشروط من: شهود، ومهر، وإيجاب وقبول، وفي بعض الحالات يكون الوليُّ نفسُه موجودًا.

فــإذا نظرنــا إلى الــزواج العرفــي، فهــو زواج شــرعيٌّ من حيث المشروعيَّة، وكذلك زواج المسيار.

المحاور: ولماذا ظهرت هذه الأشكال من الزواج؟

فضيلة الشــيخ القرضاوي: زواج المســيار والزواج العرفي يُحَقِّقان أهدافًا معيَّنة لبعض النَّاس في مراحل معيَّنة، وهذا من الســعة الموجودة في الشريعة، والمرونة الموجودة في الفقه الإسلامي، حيث يمكن تحقيق احتياجات النَّاس في ظروف معيَّنة.

والزواج العرفي موجود منذ زمن، ففي الماضي كان النَّاس يعرفون أنَّ فلانًا تزوَّج فلانة دون تســجيلٍ أو ورقة، وربَّما في عصرنا هذا اتَّســعت حاجات النَّاس، وكثرت مشكلاتهم، وأصبحت نفقات الزواج غير مقدورٍ عليها عند الكثيرين من الشباب، حيث لا يستطيع الشابُّ في أوَّل حياته أن يُحَقِّق هذا الأمر؛ لأنَّه يحتاج إلى المهر وإلى تأثيث البيت، وإلى شــبكة، وإلى احتفالات عديدة، وكلُّ هذه تكاليف عسَّــر النَّاس بها ما يسَّــر الله، فكانت النتيجة أنَّ بعض النَّاس أخذوا يُفَكِّرون في هذه الأنواع من الزواج.

ولكن أريــد أن أُنَبِّه إلى أمرٍ يتعلَّق بالــزواج العرفي، وهو ما يجري الآن في بعض البلاد مثل مصر، وذلك في الجامعات من تزوُّج الطلاب والطالبات زواجًا عرفيًّا، ولكنَّه في الحقيقة ليس الزواج العرفي المألوف، فهذا الزواج ليس فيه إلَّا الاســتمتاع الجنســي فقط، ولا يريد الزوج أن

QaradawiBooks.com

يستمرَّ مع زوجته بعد ذلك، فهو زواج مدَّة الطلب فقط، ولذا فهما يكتمان ذلك، حتَّى عن أقرب النَّاس إليهما، ثمَّ تصبح الزوجة بعد ذلك في مشكلة بعد أن يطلقها؛ لأنَّها لم تعد بكرًا، ولا تستطيع أن تصارح أهلها بما حدث فتمتنع عن الزواج.

وهذه آفة كبيرة، وهذا النوع من الزواج لا أقِرُّه، ولكنَّني أقرُّ ذلك النوع من الزواج العُرْفي الَّذي كان يحدث في القِدَم، ويستمرُّ الزوج مع زوجته سنوات طويلة، وقد ينجب منها ويعترف بالأبناء.

وعلمتُ أنَّ قانون الأحوال الشخصيَّة الجديد في مصر اعترف بالزواج العُرْفي في أمر واحدٍ، وهو أن تطلب المرأة الطلاق.

وهذا معقول جدًّا لأنَّني أعرف حالة معيَّنة أراد أحد الآباء فيها أن يُزَوِّج ابنته بخاطبها زواجًا عرفيًّا في فترة الخطبة، حتَّى يدخل البيت ويستطيع أن يخلو إلى خطيبته، وأن تراه أمُّها دون حرج، ورأى الوالد لذلك أن يعقد زواجًا عرفيًّا بين ابنته والشابِّ، خلال هذه الفترة حتَّى يتَّعرف كلاهما على الآخر، ولكن بعد مدَّة وجد أنَّهما لا يصلحان لبعضهما البعض، فطلب من الشابِّ أن يُطَلِّقها فرفض، إلَّا إذا دفع له مبلغًا كبيرًا من المال. وكُنَّا في حَيْرَةٍ ماذا نفعل؟ فلو ذهبت الفتاة إلى المحكمة، فلن تُقْبَل دعواها لأنَّ الزواج عرفي، ولكنَّ القانون الجديد يجعل المحكمة تنظر في مثل هذه الحالات.

مُعَوِّقات الزواج الشرعي:

المحاور: وماذا عن مؤسَّسة الزواج الشرعي بشكلها المعروف؟ هل يعني ظهور تلك الأنماط من الزواج أنَّها تواجه أزمة أم أنَّها من وجهة

QaradawiBooks.com

نظر البعض أصبحت غير قادرة على مواكبة احتياجات ومتطلَّبات إنسان هذا العصر؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: لا أجد أنَّ هناك خطـــرًا، ولكنِّي أجد أنَّ هناك مشكلاتٍ تعوق الزواج الشرعي الطبيعي المألوف والمعتاد، ومنها: مشكلات اقتصاديَّة، مثل التعسف في طلب مهورٍ عالية جدًّا كما هو في بلاد الخليج وبلاد الشام.

وأحيانًا العكس في بلاد مثل: مصر وباكستان حيث يطلب من الأب أن يُجَهِّز بناته ويتكفَّل بجزءٍ كبيرٍ من نفقات الزواج، إن لم تكن جميعها.

وهنـــاك أحيانًا مشـــكلات اجتماعيَّة، مثل تلك الموجـــودة في بلاد الخليج، حيث لا يتزوَّج الخليجي إلَّا خليجيَّة، والبنات يشكين من هذا الأمر الَّذي قد يكون بالنســـبة للشـــباب فيه حماية لبناتهم، أمَّا بالنســـبة للفتيات فإنَّه لا يُحَقِّق شيئًا حينما يتقدَّم للفتاة من هو سوري أو مصري أو ســـوداني أو عراقي، وهو لائق بها، ومناســـب لها مـــن ناحية مركزه المالي والاجتماعي.

وهناك أحيانًا أيضًا اعتبارات اجتماعيَّة كأن يقول: هذا من أسرة أدنى من أســـرتنا، أو من قبيلـــة دون قبيلتنا، أو أنَّ لونه أســـمر، هـــذه أيضًا مشكلات لا بدَّ من النظر فيها، وهناك النفقات الهائلة الَّتي يتكلَّفها النَّاس في الزواج.

وهنا في دولة الإمارات فكرة جيِّدة لصاحب الســـمو الشـــيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة، وهي إنشاء صندوق للزواج يُساهم في حلِّ مشكلات الزواج وإعانة غير القادرين، وتيســـير الأمور وتسهيل الصعاب بالنسبة لهم، وهذا ما ينبغي أن يحدث في كلِّ بلدٍ على قدر استطاعته.

QaradawiBooks.com

الخُلع:

المحاور: ما هو المقصود بالخلع؟ وماذا أضاف للمرأة والأسرة؟ واعتماده ضمن قانون الأحوال الشخصيَّة في مصر ألا يعني القبول به أنَّ الزوجة كانت محرومة بموجب القانون من أحد حقوقها الشَّرعيَّة الَّتي منحها لها الإسلام؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الخلع هو تمكين المرأة من أن تخلع نفسها من الارتباط بالزوج، وهو مأخوذ من خلع الثياب، قال الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. صدق الله العظيم.

وسُمِّي الخُلع أحيانًا: الفدية، الافتداء، أخذًا بما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. صدق الله العظيم، أي إنَّه لا يحلُّ للرجل أن يأخذ من المرأة شيئًا في حالة اضطراب الحياة الزوجيَّة، وأن يخافا ألَّا يُؤدِّي كلٌّ منهما حقوق هذه الحياة الزوجيَّة.

ويكون الخُلع من قبل الزوجة، بمعنى أنَّها هي الَّتي تريد إنهاء العلاقة بينها وبين الرجل.

أمَّا إذا كان الرجل هو الكاره للمرأة، ويُريد أن يتزوَّج امرأة أخرى، فلا يجوز له أن يُضَيِّق عليها ويؤذيها لتفتدي نفسها منه، فهذا حرام.

لا يجوز للرجل الكاره للمرأة أن يأخذ منها شيئًا، وإنَّما يأخذ منها في حالة كراهتها وبُغضها له.

QaradawiBooks.com

لما جاءت امرأة ثابت بن قيس، وهو أحد الصحابة وقالت: «يا رسول الله، إنِّي لا أعيب على قيس في خُلُق ولا دِين، ولكنِّي أكره الكفر في الإسلام». وكانت تعني: كفر العشير، فهي لا تريد أن تكفر هذا العشير، ولا تؤدِّي إليه حقوق الزوجيَّة، ولذلك تريد فراقه.

وفي بعض الروايات إضافة: «إنِّي لا أطيقه بُغْضًا»، فقال لها النبي ﷺ: «**ماذا أعطاكِ؟**». قالت: أعطاني حديقة. قال ﷺ: «**أَتَرُدِّين عليه حديقَته؟**». قالت: نعم. وفي بعض الروايات قالت: نعم، وزيادة. فقال النبي ﷺ لزوجها: «**اقبلِ الحديقة، وطَلِّقها تطليقة**»[1].

فهل قوله ﷺ: «**اقبل الحديقة**». من باب المشورة على الرجل أم من باب الإلزام؟ قال أكثر الفقهاء: إنَّه من باب المشورة إليه والنصيحة له، وليس من باب الإيجاب والإلزام له. ولذلك قالوا: إنَّ الخُلع لا يتمُّ إلَّا بموافقة الزوج.

وهذا هو ما كان ساريًا في المدَّة الماضية حيث كان الخُلع يتمُّ إذا وافق الزوج.

والجديد في قانون الأحوال الشخصيَّة «المصري» أنَّه أخذ بالرأي الآخر الَّذي يقول: إنَّ من حقِّ القاضي أن يُلْزِم الزوج بالخُلع. وهنا جرى الكلام واعترض المعترضون.

وأنا لا أرى مانعًا من أن يحكم القاضي بالخُلع، ولكن بعد أن يتريَّث في هذا؛ لأنَّ المرأة تتسرَّع في النُّفْرة من الرجل، ونجد في الحياة أنَّه

(١) رواه البخاري في الطلاق (٥٢٧٣، ٥٢٧٤، ٥٢٧٥)، عن ابن عباس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لمجرَّد أن تغضب الزوجة تقول لزوجها: طَلِّقني! فالمرأة يمكن أن تتسرَّع وتهدم بيتها من أجل عاطفة طارئة.

والطلاق هو أبغض الحلال إلى الله، والتفريق بين المرء وزوجه من أعمال السَّحَرة الكفَرة، ومن الكبائر، فالرجل لا ينبغي أن يُسارع في الطلاق، والمرأة لا ينبغي أن تُسارع في طلب الخُلع، لِمَا جاء في الحديث الشريف: «**أيُّما امرأةٍ سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرامٌ عليها رائحة الجنَّة**»[1]؛ لأنَّها تهدم هذه المؤسَّسة وتنقض هذا الميثاق الغليظ، فحرام عليها رائحة الجنَّة.

وجاء في الحديث أيضًا: «**المختلعاتُ هُنَّ المنافقات**»[2]. والمقصود بذلك الزوجة الَّتي تطلب الخُلع بلا سبب، وهذا الحديث يُنَفِّر المرأة من نقض الحياة الزوجيَّة والإبقاء على هذه المؤسَّسة.

محاذير:

المحاور: هل تجد محاذير في الخُلع؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: إنَّ كثيرًا من العلماء يخشون من أنَّ هذا يفتح الباب أمام أيِّ امرأة، فتطلب الخُلع من زوجها، ويُسارع بعض القضاة المتعجِّلين فتنفصل عروة الحياة الزوجيَّة وهذه الرابطة المُقَدَّسة.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٧٩)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧)، وحسّنه، وابن ماجه (٢٠٥٥)، ثلاثتهم في الطلاق، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٩٢٨)، عن ثوبان.

(٢) رواه أحمد (٩٣٥٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والنسائي في الطلاق (٣٤٦١)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٦٣٢)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وينبغي كذلك التريُّث في الاستجابة لطلب المرأة الخُلع، حتَّى يتأكَّد القاضي من أنَّ الحياة الزوجيَّة بينهما مستحيلة، وليست مجرَّد غضبٍ مؤقَّت، أو أنَّ المرأة أغواها زميلٌ لها في العمل أو جارٌ لها، أو شيء من هذا، وتريد أن تترك زوجها، وأحيانًا زوجها وأولادها.

إنّ قانون الخُلع أضاف للمرأة الكثير، وليس معنى هذا أنَّ الشريعة تغيَّرت، أو أنَّ حقًّا شرعيًّا لها كان غائبًا، وإنَّما هو اجتهادٌ جديدٌ في ضبط أحكام الشريعة.

الفهم الخاطئ مسؤوليَّة المجتمع:

المحاور: هناك مجموعة من الامتيازات الَّتي خصّ بها الله تعالى الرجل دون المرأة مثل: حقّ الطلاق، وتعدُّد الزوجات، والقوامة، والحصَّة في الميراث. وما نلاحظه في مجتمعاتنا أنَّ الرجال أصبحوا يبالغون في تفسير تلك المزايا والصلاحيَّات بما يتماشى مع أهوائهم، كيف ترون «المفهوم الشعبيَّ» لتلك المزايا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: المفهوم الشعبيُّ هذا لا يُسأل عنه الإسلام، إنَّما يُسأل عنه المجتمع، والمجتمع مطالب بأن يتعلَّم الإسلام الصحيح، وعلى العلماء والمربِّين أن يُثَقِّفوا الشعب ثقافة إسلاميَّة صحيحة، وأن ينوِّروا الشعب بالثقافة الإسلاميَّة الصحيحة. فهذا بعض من آثار الثقافة الغازية، ويجب أن نخرج من هذه الهوَّة.

ولا ينبغي للرجل أن يفهم أنَّه مُطْلَق العِنَان يُطَلِّق متى شاء، ويتزوَّج متى شاء؛ فهذه أمورٌ لها ضوابطها، والطلاق لا يجوز في كلِّ حالة، والتفريق بين الزوجين من أكبر الذنوب.

QaradawiBooks.com

لكنَّ المسلمين ضيَّعوا ـ للأسف ـ الحقَّ، وأسرفوا في استعمال الطلاق، وساند الفقه التقليدي ذلك بحيث إنَّ الرجل إذا حلف في السُّوق على شخصٍ آخر بالطلاق أن يفعل كذا وكذا ولم يفعل؛ أنَّ امرأته تصبح «طالقًا»، وأحيانًا «طالقًا» بالثلاث، أي ليس له حتَّى حقُّ الرجعة!

وهذه الاجتهادات موجودة وسائدة، ولكنَّ الإسلام ضيَّق في الطلاق، وقد أسرف المجتمع في استخدام الطلاق في غير موضعه.

وكان الشاعر العراقي معروف الرصافي قد وقع في مشكلة مشابهة حينما طلَّق امرأته بالثلاث عقب مشادَّة معها، وأفتاه الجميع بوقوع الطلاق، وأنَّه لا سبيل لعودتها إليه إلَّا بعد زواجها بما يُدْعى «المُحَلِّل»، وهو ملعون في الإسلام. حتَّى أفتاه البعض بمذهب ابن تيمية وابن القيِّم.

وكتب في ذلك يقول:

أَلَا قُلْ فِي الطَّلَاقِ لِمُوقِعِيهِ ... بِمَا فِي الشَّرْعِ لَيْسَ لَهُ وُجُوبُ
غَلَوْتُمْ فِي دِيَانَتِكُمْ غُلُوًّا ... يَضِيقُ بِبَعْضِهِ الشَّرْعُ الرَّحِيبُ
أَرَادَ اللهُ تَيْسِيرًا وَأَنْتُمْ ... مِنَ التَّعْسِيرِ عِنْدَكُمُو ضُرُوبُ
وَقَدْ حَلَّتْ بِأُمَّتِكُمْ كُرُوبٌ ... لَكُمْ فِيهِنَّ لَا لَهُمُ الذُّنُوبُ
وَهَى حَبْلُ الزَّوَاجِ وَرَقَّ حَتَّى ... يَكَادُ إِذَا نَفَخْتُ لَهُ يَذُوبُ
كَخَيْطٍ مِنْ لُعَابِ الشَّمْسِ أَدْلَتْ ... بِهِ فِي الْجَوِّ هَاجِرَةٌ حَلُوبُ
يُمَزِّقُهُ مِنَ الْأَفْوَاهِ نَفْثٌ ... وَيَقْطَعُهُ من النَّسْمِ الهُبُوبُ
فَدَى ابْنَ القَيِّمِ الْفُقَهَاءُ كَمْ قَدْ ... دَعَاهُمْ لِلصَّوَابِ فَلَمْ يُجِيبُوا
فَفِي «إِعْلَامِهِ»[1] لِلنَّاسِ رُشْدٌ ... وَمُزْدَجَرٌ لِمَنْ هُوَ مُسْتَرِيبُ

(١) يعني كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين.

QaradawiBooks.com

نَحَـا فِيمَـا أَتَـاهُ طَرِيـقَ عِلْـمٍ نَحَاهَـا شَـيْخُهُ الحَبْـرُ الْأَدِيبُ
وبيَّـنَ حُكْـمَ دِيـنِ اللهِ لَكِـنْ مِـنَ الْغَالِيـنَ لِـمْ تَعِـهِ الْقُلُوبُ
لَعَّـلَ اللهَ يُحْـدِثُ بَعْـدُ أَمْـرًا لَنَـا فَيَخِيـبُ مِنْهُمْ مَـنْ يَخِيبُ

أمَّا بالنسبة لتعدُّد الزوجات، فهذا ليس متاحًا للرجل كلَّما شاء، وإنَّما لا بدَّ أن يكون قادرًا على النفقة على بيتَيْن، ولا بدَّ أن يكون قادرًا على إحصان الزوجتَيْن، ولا بـدَّ أن يكون واثقًا من العـدل بينهما في النفقة والمبيت: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣]. صدق الله العظيم.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حوار في التحديات الجادَّة أمام العقيدة[١] (٢)

الشيخ القرضاوي: العلاج بالقرآن كما يعرض اليوم بدعة لم تمارسها عصورنا الزاهرة.

تناول الجزء الأوَّل من هذا الحوار الممتع مع الدكتور يوسف القرضاوي، موقف الإسلام من الأحوال الشخصيَّة، مع اهتمامٍ خاصٍّ بالزواج بأنواعه وما يقرُّه الشَّرْع الإسلامي، أو يرفضه، بالإضافة إلى الطلاق وتعدُّد الزوجات، كما عرض للموقف من «الخلع» بما يثيره من جدال في الوقت الحالي.

ويُرَكِّز الجزء الثاني هنا على قضايا معاصرة عدَّة، مثل العلوم والطبِّ والتكنولوجيا، ومفهوم الأخلاق، والسلوكيَّات الصحيحة.

ويضع الشيخ القرضاوي في هذا الحوار النقاط على الحروف، فيُقَدِّم الموقف الإسلامي الواضح، انسجامًا مع حقيقة وضوح العقيدة الإسلاميَّة ذاتها.

ثقافة مغلوطة وأخرى غازية:

المحاور: تحدَّثتم في مُقَدِّمتكم للكتاب التعريفي بخدمة «إسلام أون لاين» عبر شبكة الإنترنت عن نوعين من الثقافات ينبغي التصدِّي

(١) نشر في مجلة زهرة الخليج.

QaradawiBooks.com

لهما: **الأوَّل**: هو الثقافة الموروثة المغلوطة. **والنوع الثاني**: هو الثقافة الوافدة الغازية. فما هو المقصود بذلك؟ وكيف تُقَيِّمون حجم خطر كلٍّ منهما؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: ما أريده بالثقافة الموروثة المغلوطة هو التخلُّف في تاريخنا الإسلامي، ونحن نعلم أن تاريخنا الإسلامي قد مرَّ بمراحل، فهناك عصر الازدهار والتجديد والاجتهاد والإبداع في العلم وفي الأدب، والتطوُّر في الصناعة، ثمَّ جاءت عصورٌ فيها انحطاطٌ وتخلُّف، كانت لها رواسب في الأفكار، مثل شيوع عقيدة الجبر الَّتي ترى أنَّ الإنسان ليس له إرادة ولا اختيار، وشيوع الاعتقادات الشركيَّة، والاعتقادات في القبور والأولياء والأضرحة، وتفسير التوكُّل على أنَّه تواكل، وإهمال الأخذ بالأسباب، وتفسير الزهد على أنَّه إعراضٌ عن الحياة، وعن الإنتاج للحياة، والحبس العلني للمرأة والتضييق عليها، حتَّى رأينا بعضهم يقول: إنَّ المرأة الصالحة لا تخرج من بيت أبيها إلَّا مرَّتين: مرَّة إلى بيت زوجها، ومرَّة إلى قبرها.

وهذه الأشياء هي ما أقصده بالثقافة الموروثة المغلوطة، ثقافة عصور التخلُّف، وهي لا تمثِّل الثقافة الإسلاميَّة الصحيحة، ولا تُمَثِّل الإسلام كما هو في ينابيعه الصافية، وكما فهمه الصحابة والتابعون لهم بإحسان والقرون الأولى.

أمَّا الأمر الثاني، وهو الثقافة الوافدة الغازية فقد أضيفت إلى الثقافة الموروثة المغلوطة، وهي ثقافة عصور الانحطاط.

وجاءت هذه الثقافة الوافدة إلينا في فترة ضعفنا ووصول الحضارة الغربيَّة إلى الأوج، ودخول الاستعمار الغربي إلى بلاد المسلمين،

QaradawiBooks.com

وتمكُّنه منهم، وانبهار المسلمين بهذه الثقافة أو هذه الحضارة، وما حملته من أفكارٍ ومفاهيمَ وتقاليد وشرائع وأنظمة.

وأُصِبنا في فترة الانبهار هذه بأشياء كثيرة، فهذه الثقافة لها فلسفة معيَّنة، ومن ضمن فلسفتها: المادِّيَّة. أي أنَّها لا تؤمن كثيرًا بالرُّوحانيَّات ولا بما وراء الطبيعة.

وهذه الأشياء ـ كما قال ليوبولد فايز ـ: «إنَّ الحضارة الغربيَّة لا تجحد الله البتَّة»[1]. يعني ليس جحودًا صريحًا ومطلقًا، ولكن ليس لله مكانٌ في نظامها الفكري.

فالثقافة الغربيَّة ثقافة تغلب عليها المادِّيَّة والحِسِّيَّة، كما تغلب عليها النفعيَّة أي أنَّها لا تعتبر المبادئ أوَّلًا ثمَّ المصالح ثانيًا. ولكنَّ المصالح أوَّلًا ثمَّ المبادئ ثانيًا إن كان ولا بدَّ منها، وشاعت الإباحيَّة في هذه الثقافة الَّتي انتهت إلى ما نراه الآن من إباحة الشذوذ الجنسي، وإطلاق إباحة العلاقات الجنسيَّة بين الرجال والنساء، وزواج الرجال بالرجال والنِّساء بالنِّساء، ونوادي العُراة (العُرْي المطلق). فهذه هي الثقافة الوافدة الغازية.

ونحن مبتلَوْن بهاتين الثقافتَيْن: الثقافة الأولى بتأثيرها غالبًا على الجماهير، والثقافة الثانية بتأثيرها غالبًا على النُّخب والصفوة المثقَّفة، ومهمَّتُنا ـ نحن المُفَكِّرين والدعاة في عصرنا ـ أن نستخدم الأدوات المختلفة ـ ومنها الإنترنت ـ لمقاومة هذَيْن النوعَيْن من الثقافة، لنُبْرز الثقافة الإسلاميَّة الصحيحة الَّتي تُمَثِّل الإسلام بشموله وتوازنه وعمق نظرته إلى الكون والحياة والإنسان، وإلى الله، وإلى الوجود، وإلى التاريخ.

(١) الإسلام على مفترق الطرق صـ ٣٩.

QaradawiBooks.com

الربا البنكي حرام:

المحاور: ما زالت مسائل البنوك وفوائدها غير واضحة بالنسبة لكثيرٍ من النَّاس، خاصَّة ما يتعلَّق بحدود الحلال والحرام فيها. ما هو رأي فضيلتكم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لقد أجمعت كلُّ المجامع الفقهيَّة الإسلاميَّة ابتداءً من مجمع البحوث في الأزهر الشريف، الَّذي أجمع سنة (١٩٦٥م) برئاسة الإمام الأكبر الشيخ حسن المأمون، وبحضور مُمَثِّلين من العلماء من (٣٥) دولة إسلاميَّة على أنَّ فوائد البنوك هي الربا الحرام، وأكَّد هذا المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، وأكده المجمع الفقهي الإسلامي المنبثق من منظمة العمل الإسلامي، وأكَّد هذا أيضًا مؤتمر الفقه الإسلامي العالمي المنعقد في السبعينيَّات، وأكَّدته مؤتمرات المصارف الإسلامية الَّتي انعقدت في دبي والكويت وإسطنبول والقاهرة.

وأصبح هذا أمرًا معلومًا، وكاد هذا الملف يغلق لولا أنَّ أحد العلماء ظهر برأيٍ جديد، غير معتبر حقيقة، والعلماء مُتَّفِقون أو شبه مُتَّفِقين على أنَّ فوائد البنوك حرام، ومن أجل هذا قامت البنوك الإسلاميَّة، كان الاتِّفاق على تحريم الفوائد نظريًّا أوَّل الأمر، وحينما تساءل الناس: أين البديل؟ وُجدت البدائل، وهي البنوك والمصارف الإسلاميَّة الَّتي انتشرت في العالم الإسلامي كلِّه. ونحن الآن في مرحلة تحسين هذه البدائل؛ لأنَّ فيها أيضًا بعض نقاط الضعف الَّتي نحاول تفاديها، وتطوير وتحسين آليات تلك البنوك.

QaradawiBooks.com

الاستنساخ بين الإجازة والتحريم:

المحاور: أتاح الاستنساخ الوراثي التكاثر بجنسٍ واحدٍ دون الآخر، ما هو حكم الشرع في ذلك، خاصَّة في حالة تطبيق الاستنساخ على الإنسان؟ وما مدى أهميَّة سلطة الدِّين على العلم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الاستنساخ إذا كان في النبات فلا حرج فيه بهدف زيادة الإنتاج وتحسين النوعية إلى آخره، أمَّا بالنسبة للحيوان فلا أقول بإجازته بإطلاق، ولكن يجوز إذا لم يكن فيه إيذاء للحيوان، الَّذي أُمِرْنا أن نرحمه، يقول النبي ﷺ: «**دخلت امرأةٌ النَّار في هِرَّة حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»[(١)]. فإذا كان الاستنساخ لا يؤذي الحيوان، فلا مانع منه، وهو غير جائز إن كان فيه أذى للحيوان.

أمَّا إجراء الاستنساخ على الإنسان، فهذا لا يجوز بأيِّ حالٍ من الأحوال لما فيه من فساد للحياة الَّتي أقرَّها الله سبحانه وتعالى بألوانٍ مختلفة. كما أخبرنا بذلك في كتابه العزيز بقوله: ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ﴾ [النحل: ٦٩]. صدق الله العظيم، ويعني ذلك أنواعًا مختلفة ولكن ليس شيئًا واحدًا يتكرَّر. لذا نجد أنَّ كلَّ إنسان مخالف للآخر في الملامح والمظهر والبصمة وما إلى ذلك، فإذا تمَّ استنساخ شخصَيْن متطابقَيْن كيف يمكن أن تتعرَّف المرأة على زوجها، مثلًا، أو نعرف أنَّ هذه العلامة خاصَّة بفلان؟ وغير ذلك الكثير، ما يعني ظهور مفاسد في الحياة الاجتماعيَّة والحياة العامَّة. ومن أجل هذا لا يجوز إدخال الاستنساخ إلى المجال الإنساني.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

ويستطرد القرضاوي قائلًا: تتمثَّل الفطرة السويَّة في إقامة حياة زوجيَّة بين الزوجين، لتحقيق السكن والمودَّة والرحمة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]. صدق الله العظيم. كما أنَّ الحياة الزوجيَّة والأُسْريَّة السويَّة ضروريَّة. حتَّى ينشأ الأولاد في ظلِّ أسرة يتعلَّمون خلالها المحبَّة والتعاطف والتعاون والإيثار واحترام الملكيَّات، بينما يعني الاستنساخ الاستغناء عن الأسرة الَّتي تُمَثِّل ضرورة حيويَّة واجتماعيَّة للإنسان. وهذا أمر لا يمكن أن تقبل به الشريعة القويمة.

العلم والدين:

ويخلص الدكتور يوسف القرضاوي من ذلك إلى القول: إنَّه ينبغي لهذا ألا يُعطى العلمُ الحِلَّ في أن يفعل ما يشاء، وإنَّما يجب أن نقيِّد العلم بالدِّين والأخلاق والقيم، وقد أقمنا منذ سنوات ندوة في جامعة قطر كان موضوعها «العلم والدِّين والتَّشْريع» واشتركت فيها كُلِّيَّة العلوم، وكُلِّيَّة الشَّريعة في الجامعة، والمنظَّمة الإسلاميَّة للتربية والثقافة والعلوم، وجمعيَّة الدعوة الإسلاميَّة في ليبيا.

وقد أجمعنا جميعًا من كافَّة الاختصاصات غير أنَّه لا يمكن أن يُطْلِقَ الحبل على غاربه للعلماء، يفعلون ما يشاءون، بل لا بدَّ أن نقف لهذا الأمر للتأكُّد من أنَّ السبل الَّتي يسلكها العلم مقبولة دينيًّا وأخلاقيًّا واجتماعيًّا، ولا بدَّ أن تكون هناك سلطة للقيم الدِّينيَّة والأخلاقيَّة على العلم. ويستدرك قائلًا:

وممَّا يعنيه هذا أنَّه لا يوجد ما يمنع من استخدام النافع من الاستنساخ بما لا يُؤَثِّر على الثوابت الدِّينيَّة والقيم الأخلاقيَّة الَّتي يعترف بها المجتمع

QaradawiBooks.com

ويُجْمع عليها تمامًا، كما هو الحال مثلًا بالنسبة لعلوم الذرَّة. الَّتي يمكن الاستفادة منها سلميًّا في مجالات عديدة، منها: الطبُّ، والصناعة، وإنتاج الطاقة، وغيرها، والابتعاد عن استخداماتها المُدَمِّرة والمُهْلِكة، كما فعلت أمريكا بضرب هيروشيما وناجازاكي في نهاية الحرب العالميَّة الثانية.

بدعة العلاج بالقرآن:

المحاور: شهدنا حديثًا وجدالًا واسعًا حول العلاج بالقرآن ومَشْرُوعيَّته وجدواه وموقعه من العلوم الطِّبِّيَّة، فما قولكم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذه بدعة ابتدعها أناسٌ في عصرنا، ولم نعرف في العصور الإسلاميَّة الزاهرة أناسًا فتحوا عيادات ليعالجوا النَّاس بالقرآن، بل حدث العكس؛ إذ عَرَفت عصور الازدهار الإسلامي الأطبَّاء الكبار، وعرفت الكتب الطِّبِّيَّة الَّتي مثَّلت مراجع للعالم؛ عرفت «القانون» لابن سينا، و«الحاوي» للزاري، و«الكُلِّيَّات» لابن رشد، و«التعريف لمن عجز عن التأليف» للزهراوي.

وعرفت أطبَّاء كبارًا كان بعضهم علماء دِينٍ في الوقت ذاته، فصاحب «الكُلِّيَّات» ابن رشد كان طبيبًا، وهو نفس صاحب كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد». والفخر الرازي هو صاحب «تفسير الرازي» و«المحصول في علم الأصول» وغيرها، وقال الَّذين ترجموا له: إنَّ شهرته في الطبِّ لم تكن تقل عن شهرته في علوم الدِّين. وابن النَّفِيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى فقيه من فقهاء الشافعية، ترجم له تاج الدين السبكي في كتابه الشهير «طبقات الشافعيَّة»[1].

(١) طبقات الشافعية للسبكي (٣٠٥/٨، ٣٠٦)، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.

QaradawiBooks.com

وعلينا أن ننظر إلى الطبِّ من هذه الناحية. وقد قال النبيُّ ﷺ: «**ما أنزل الله من داءٍ إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله**»[(١)]، وقال ﷺ: «**لكلِّ داءٍ دواء، فإذا أُصيب دواءُ الداءِ بَرَأ بإذن الله**»[(٢)].

وهذا يُعطي الأمل للمريض أنَّه ليس هناك داءٌ عضال، ويعطي الأمل للطبيب فيبحث عن الدواء للداء. ونحن المسلمين لا نقول: إنَّ السرطان مثلًا لا دواء له. فهو له دواء، ولكن لم نصل إليه بعد، وكذلك الإيدز له دواء، ولكن لم نصل إليه بعد.

ويضيف الدكتور القرضاوي:

كيف نأتي اليوم ونرى أناسًا يفتحون عيادات للعلاج بالقرآن؟!

القرآن شرع الأدوية الروحيَّة وهي التعاويذ والرُّقَى، فالإنسان يرقي نفسه أو يرقيه غيره.

والرقى: أن يرقي الإنسان نفسه فيقرأ الفاتحة وآية الكرسيِّ وسورة الإخلاص مثلًا، أو يرقيه أحدُ أهل بيته، ولا يُشْتَرَط أن يكون شيخًا أو مطوّعًا.

ولذلك استعمل النبيُّ ﷺ الطبَّ، وكان يحثُّ بعض النَّاس على أن يتداووا عند الطبيب الثقة المعروف في ذلك الوقت الحارث بن كِلْدة، ولم يكن قد أسلم بعد.

---

(١) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (٣٤٣/٩)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٤)، وأحمد (١٤٥٩٧)، عن جابر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهذا يعني جواز العلاج عند طبيبٍ غير مسلم، إذا كان طبيبًا مأمونًا وثقة واشتهر بالطبِّ أكثر من غيره.

وقد جاء طبيبان ليفحصا بعض المسلمين، فسألهما النبيُّ ﷺ: «**أيُّكما أطبُّ؟**»[١]. أي أيُّكما أمهـر وأحذق؟ ويعني بذلك المفاضلة بين الأطبَّاء واختيار الأرجح علمًا والأكثر حذقًا.

أمَّا أن يَدَّعي أحدهم أنَّه يعالج بالقرآن، ويمسك واحدًا فيضربه حتَّى يُخْرِج منه الجنَّ والشيطان، فهذا ما أنزل الله به من سلطان، ولم نرَ أحدًا من الصحابة الأجلَّاء مثل ابن عبَّاس أو ابن مسعود فتح عيادات لذلك.

فابن عبَّاس كان اسمه ترجمان القرآن، ولكنَّنا ما عرفنا أنَّ أحدًا جاء له وقال: يا ابنَ عمِّ رسـول الله، عالجْني بالقرآن. ولو حدث ذلك، لقال له: «**أُعيذُكَ بكلماتِ الله التامَّة، من كلِّ شـيطانٍ وهامَّـة، ومن كلِّ عينٍ لامَّة**»[٢]. أو قرأ عليه سورة الفلق أو النَّاس.

تريُّث وليس تأخيرًا:

المحاور: هناك عدد من القضايا الحديثة الَّتي تسـتجدُّ على الساحة، ولا يتمُّ إعلان الحكم بشأن مدى مشروعيَّتها بالسرعة الكافية من جانب المحافل الفقهيَّة الإسلاميَّة، ما قد يؤدِّي إلى وقوع كثير من النَّاس ضحايا الآراء والاجتهادات الشـخصيَّة لحين صدور الحكم بشأنها، ومن ذلك نقل وزراعة الأعضاء وزواج المسـيار والاستنسـاخ وفوائد البنوك، فما مدى صحَّة هذا الرأي؟

---

(١) رواه مالك فـي العين (٣٤٧٤)، تحقيق الأعظمي، وقال الحافظ فـي فتح الباري (١٣٤/١٠): مرسل.

(٢) رواه البخاري في (٣٣٧١)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

أوَّلًا: بالنسبة لفوائد البنوك، فقد أفتت بشأنها كلُّ المجامع الإسلاميَّة، إذن هذا الرأي ليس صحيحًا. والقضيَّة الثانية: نقل وزراعة الأعضاء، فقد عقدت ندوات عديدة في هذا المجال أفتى فيها المجمع الفقهي، حيث عُقِدَت ندوة في الرباط اجتمع فيها الأطبَّاء والفقهاء. وحدث مثل هذا في الكويت في مؤسَّسة المنظمة الإسلاميَّة للعلوم الطِّبِّيَّة الَّتي تجمع بين الأطبَّاء والفقهاء، وأنا عضوٌ فيها، وتعقد كلَّ سنتين تقريبًا ندوة حول موضوع مختلف. وأخذ موضوع نقل وزراعة الأعضاء أكثر من حلقة من الحلقات، حتَّى صدرت الفتوى بشأنه، ولي فتوى في كتاب «فتاوى معاصرة» وهي فتوى مطوَّلة حول زراعة الأعضاء[1].

ونوقش هذا الأمر العام الماضي في الكويت أثناء الاحتفال بمرور (٢٠) عامًا على تأسيس جمعيَّة نقل وزراعة الأعضاء، وقد قدمتُ ورقة فيه إلى جانب أوراق عديدة أخرى قدَّمها عدد من الفقهاء والأطبَّاء.

فهذا الرأي ليس صحيحًا، فقد أخذت هذه الأمور حقَّها من البحث، ولكن المؤسَّسات والمجامع الفقهيَّة لا تستطيع أن تُفتي في كلِّ الأمور بسرعة؛ لأنَّ كلَّ أمر منها يتمُّ عرضه على الفقهاء، ويُطلب منهم إعداد بحوث حوله، تمهيدًا لتقديمها ونقاشها في دورة من دوراتها السنويَّة لينتهوا بعدها إلى رأي، وقد يتمُّ تقديم تلك البحوث ولكنَّها تكون غير كافية لإنضاج الرأي، فيؤجَّل إصدار الفتوى بشأنه إلى دورة قادمة، حيث لا يُرَاد سلق الأمور سلقًا، إنَّما يراد أن يُخدَم الأمر خدمة جيِّدة.

* * *

(١) فتاوى معاصرة (٢/٥٨٣ ـ ٥٩٤)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

العلامة القرضاوي شاهدًا على أحداث القرن العشرين

منذ شيَّخت الجماهير يوسف القرضاوي وهو ظاهرة فريدة، لا تقتصر على كونه عالمًا من علماء الأزهر الشريف، ولا فقيهًا من فقهاء الشريعة، ولكنَّه مُفَكِّر للصحوة الإسلاميَّة، استطاع مع المعتدلين أن ينقلها من تيار التشدُّد في باكورة نشأتها في السبعينيَّات إلى تيار الاعتدال، إنَّه رائد الفكر الإسلامي الوسطي المعتدل.

ومع أنَّ فضيلة العلَّامة د. يوسف القرضاوي نشأ في الأزهر، والتحق بجماعة الإخوان المسلمين الَّتي أنشأها الإمام حسن البنَّا في (١٩٢٨م) في مصر، وانتشرت في أنحاء العالم حتَّى صار لها تمثيل في أكثر من (٧٠) بلدًا، مع وجود هذين المؤثِّرَيْن في شخصيَّة الرجل، فإنَّه قد وصل بعلمه وفقهه وجهده إلى أن يكون الآن عالمًا ومُفَكِّرًا مستقلًّا غير مرتبط بأيِّ تنظيمٍ إسلامي، سواء أكان الإخوان المسلمين، الَّذين يدافع عنهم، ويعتزُّ بهم، أو غيره من الجماعات الإسلاميَّة الَّتي يثق أغلبها في فتاواه وفقهه.

كلُّ ذلك دفعه إلى أن يكون محلًّا لثقة الكثير من جماهير الأُمَّة الإسلاميَّة عبر ما يظهر في أكثر من فضائيَّة عربيَّة تستضيفه وتسارع الجماهير لمعرفة رأيه وفتاواه في كثير من القضايا الإسلاميَّة المعاصرة العامَّة والخاصَّة.

QaradawiBooks.com

لذلك فنحن لا نبالغ إذا قلنا: إنَّه عالمٌ صاحبُ مشروع حضاري واضح، له ثوابت، كما أنَّ له مرجعيَّته الإسلاميَّة الَّتي تحكم ظلال فتاواه، والَّتي تثير دائمًا جدلًا كبيرًا، خاصَّة ما يتعلَّق منها بالشقِّ السياسي، مثل فتواه بتحريم الصلح مع «إسرائيل» والتنازل عن أيِّ جزء من أرضها للصهيونيِّين، ومثل تحريمه تناول الإفطار في القاهرة على مائدة السفير الصهيوني، إضافة لفتاواه في مسائل الحلال والحرام الَّتي أصدرها في كتابٍ منذ أكثر من أربعين عامًا.

إنَّه شاهد على أحداث القرن العشرين وهو معاصرٌ لكثيرٍ من أحداثه، لذلك كان الحوار معه ساخنًا في منزله بمنطقة الخليج العربي «الدفنة بالدوحة»، لم تنقصه الصراحة الَّتي تناولت أدقَّ القضايا السياسيَّة؛ لعلَّ أكثرها إثارة للجدل هي علاقة الإخوان المسلمين بثورة (٢٣) يوليو (١٩٥٢م).

إنَّها علاقة جدليَّة لا ينتهي البحث فيها، لقد تحدَّث عن كثير من هذه العلاقة وقال رأيه في شخصيَّة الزعيم جمال عبد الناصر، وعلَّل أسباب خلافه مع رجال الثورة.

وفي الشأن الحاضر لم يخَفْ موافقته على قيام أحزاب غير إسلاميَّة في الدول الإسلاميَّة، ولكنَّه طالب الحكومات بأن تسمح للشباب الإسلامي بأن يمارس العمل السياسي الديمقراطي الَّذي بدأ يتوجَّه إليه بدلًا من أن يتحوَّل للعمل السِّرِّي، وأكد في الوقت نفسه على أهميَّة العمل الجماعي للإسلام مُبْغِضًا العمل الفردي، وإذا كان للقرضاوي موقعٌ خاصٌّ على شبكة الإنترنت فإنَّ المشروع الكبير الَّذي دشَّنه القرضاوي في العامِّ الماضي «الإسلام على الإنترنت» قد أطلق عليه «جهاد العصر»؛ إذ يُقَدِّم الإسلام بشموله ووسطيَّته إلى البشريَّة على

QaradawiBooks.com

شـبكة الإنترنت، إنَّه حوار سـاخن، لكنَّه حوار فتح فيه القرضاوي كلَّ الملفات وتميَّز بالصراحة والحُرِّيَّة في الطرح والإجابة.

أثر اتصالي بجماعة الإخوان المسلمين في فكري:

المحاور: «اتِّصالي بالإخوان المسلمين كان نقلة نوعية لي من التديُّن الفردي إلى الوعي بالإسلام كمنهج شـامل»: نودُّ أن نتوقَّف معك عند لحظة وصالك الأولى بالحركة الإسلاميَّة وانتمائك إلى جماعة «الإخوان المسـلمين»، خاصَّة أنَّك وُلِدْتَ قبل عامين من إعلان الإمام حسن البنَّا عن تشكيل هذه الجماعة في (١٩٢٨م)، كيف التحقت بالجماعة؟ وكيف تخلَّق لديك «الوعي الصمودي الإسـلامي»، إن صـحَّ التعبير؟ هل من خلال دراستك في الأزهر أم من خلال تفاعلك مع عناصر من الجماعة؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: في الحقيقة عرفـت الإخوان حينما كنت طالبًا في السنة الأولى الابتدائيَّة بمعهد طنطا الديني.

فقد كان من عادة جماعة «الإخوان المسلمين» الاحتفال بالمناسبات الدِّينيَّة، كبدء السـنة الهجريَّة، وغـزوة بدر، وليلة الإسـراء والمعراج، وغيرها من المناسبات، وذلك كوسيلة لربط النَّاس بالإسلام، وتذكيرهم بالمعاني والبطولات الإسـلاميَّة، في هذه السـنة كان الشيخ حسن البنَّا مدعوًّا للاحتفال بالسنة الهجريَّة النبويَّة في طنطا، وقد أبلغني ابن عمَّتي الَّذي كان في السنة الرابعة الابتدائيَّة وكنتُ أقيم معه في السكن أن أنتظر بينما هو سـيتوجَّه مع زملائه إلـى حضور الاحتفـال، لكنَّنِي رفضتُ، وألححتُ فـي أن أرافقهم مُصـرًّا، وبالفعـل توجَّهت معهـم إلى مقرِّ الاحتفال، واستمعتُ إلى عددٍ من الخطباء، ثمَّ انبرى الشيخ البنَّا خطيبًا، فوجدتُني اسـتمع إلى كلامٍ جديدٍ ومضمونٍ مغايرٍ لم أسـمعه من قبل،

QaradawiBooks.com

فمنذ الصغر أستمع في مثل هذه المناسبة إلى ذات الكلمات وذات المضامين عن العنكبوت والحمام والغار ومختلف أبعاد القصَّة، غير أنَّ الشيخ البنَّا تحدَّث بلغةٍ وفهمٍ جديد عن الهجرة ووصفها بأنَّها كانت حدًّا فاصلًا بين عهدين: عهد تكوين الفرد في مكَّة، وعهد تكوين المجتمع في المدينة، وأُسُس هذا المجتمع، وكِدْتُ أحفظ ما قاله الشيخ. فقد كان مرتَّب الذِّهن والفِكْر، وكان واضح الأسلوب، وناصع البيان. وبعد أن عدتُ إلى السكن كررتُ ما قاله الشيخ مُعْجَبًا؛ فأبدوا دهشتهم من هذا الولد الَّذي حفظ كلمات الشيخ.

من هذا اليوم أخذ إعجابي بالشيخ يترسَّخ في ذهني ويتزايد يومًا بعد يوم، وأنتظر قدومه إلى طنطا متلهِّفًا في المناسبات الدِّينيَّة المختلفة، ولم أترك أيَّ مناسبة إلَّا وأتوجَّه إليها للاستماع إليه.

جوالة الإخوان:

وثَمَّة أمرٌ آخر شدَّني لـ «الإخوان المسلمين» فقد كان لديهم «الجوالة» الَّذين كانوا يطوفون بمدينة طنطا، يتقدَّمهم شخصٌ يحمل مصحفًا وعَلَم الإخوان، ويهتفون بنداءات كانت تهزُّ مشاعر المرء هزًّا من قبيل: الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا. لا إلٰه إلَّا الله، محمَّد رسول الله، عليها نحيا، وعليها نموت، وفي سبيلها نجاهد حتَّى نلقى الله، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

ولعلِّي شاهدتُ هذا المشهد واستمعتُ إلى تلك الكلمات قبل أن أستمع للشيخ البنا، وهو ما دفعني للسؤال عن هؤلاء الشباب، فأبلغوني أنَّهم شباب جماعة «الإخوان المسلمين»، ولم أكن أعلم شيئًا عن هذه

QaradawiBooks.com

الجماعة، فأخبروني أنَّها جماعة تسعى للحكم بالقرآن، ووجدتُ ذلك يتجاوب مع فطرتي كشابٍّ مسلمٍ وأزهري، وهو ما دفعني لأن أحبَّ «الإخوان» وأتردَّد على مَقَرَّيهما في طنطا، حيث كانت لهما شُعْبتان بقسم أوَّل وقسم ثانٍ، وذلك دون أن أسجِّل نفسي عضوًا بالجماعة حتَّى السنة الرابعة الابتدائيَّة بالمعهد الديني، فقد دُعِيتُ في هذه السنة لإلقاء قصيدة شعر أمام شُعْبة الإخوان، فنالت الإعجاب والاستحسان، وما زلت أذكر مطلعها الَّذي يقول:

قَلْبِي يُحِسُّ بِرَحْمَةٍ تَتَدَفَّقُ ويَرَى المَلَائِكَ حَوْلَنَا قَدْ أَحْدَقُوا

فسألوني: لماذا لا تنتظم عضوًا في الجماعة؟ فقلت لهم: إنَّني أَعُدُّ نفسي من ضمنهم. فطلبوا مِنِّي أن أملأ استمارة البيانات، وهو ما فعلتُه.

ومن ذلك الوقت ـ وكان في العام الدراسي (١٩٤٤/٤٣م) ـ بدأت علاقتي التنظيميَّة بجماعة الإخوان، وأخذت أمارس نشاطي عبر قِسْمَيْن، أحدهما: خاصّ بالطُّلَّاب، والثاني: يتعلَّق بنشر الدعوة. وهو ما أتاح لي التوجُّه إلى البلاد المحيطة بطنطا في مهمَّاتٍ تتَّصل بالدعوة الإسلاميَّة وتوعية النَّاس بالقضيَّة الوطنيَّة، والَّتي بدأت في البروز والتصاعد في ذلك الأوان.

وأذكر أنَّ الشيخ البنَّا كان يتجوَّل في مختلف الأقاليم والمحافظات المِصْرِيَّة لعقد مؤتمرات كانت في غاية القوَّة وتوهُّج الرُّوح، ولم نفهم أبعاد القضيَّة الوطنيَّة إلَّا من الشيخ البنَّا الَّذي كان يُقَدِّم شرحًا وافيًا لمختلف هذه الأبعاد في حماسٍ منقطعِ النَّظِير لا ينقُصُه المنطق.

ولعلِّي أذكر المؤتمر الَّذي عقده الشيخ في مدينة طنطا بعد انتهاء الحرب العالميَّة الثانية، والَّذي تحدَّث فيه عن ثلاثة محاور، وهي طبقًا

QaradawiBooks.com

لتوصيفه: قضيَّتُنا، وسيلتنا، دعوتنا. فيما يتعلَّق بالمحور الأوَّل: «قضيتنا» تحدَّث عن قضيَّة الوطن الصغير، وهو وادي النيل شماله وجنوبه وليس مصر فقط، وكان يقول: مصر هي السودان الشمالي والسودان هو مصر الجنوبيَّة، وحصر هذه القضيَّة في بُعدين: الأوَّل: الجلاء، والثاني: وَحْدة وادي النيل، ثمَّ وحدة الوطن الكبير، وهو الوطن العربي الَّذي يبدأ من الخليج «الفارسي» ـ كما كان يطلق عليه في ذلك الوقت ـ حتَّى المحيط الأطلسي. ولا أُخْفِيكَ أنَّني لأوَّل مرَّة كنتُ أعلم حدود الوطن العربي، ثمَّ عن قضيَّة الوطن الأكبر، وهو الوطن الإسلامي من المحيط إلى المحيط، أي من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي.

من جاكرتا إلى الدار البيضاء، هكذا كان يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم تحدَّث عن وسيلتنا ودعوتنا باستفاضة في إطار رؤية «الإخوان المسلمين».

أريد أن أخلص من ذلك إلى أنَّني منذ أن توجَّهت للدراسة بمعهد طنطا الديني ارتبطت بحركة «الإخوان المسلمين»، وانتظمت فيها رسميًّا من السنة الرابعة الابتدائيَّة.

نقلة نوعيَّة:

المحاور: في هذه الفترة، هل تكوَّن لديك وعيٌ سياسيٌّ بدور جماعة «الإخوان المسلمين» أم أنَّ انتماءك إليها كان منطلقًا من العاطفة الدِّينيَّة كمسلم وكدارس في الأزهر؟

لقد كان اتِّصالي بجماعة «الإخوان المسلمين» بمثابة نقلة نوعيَّة من التديُّن الفردي الَّذي عرفناه في القرية، وتلقَّيْناه من مشايخها في المواعظ

QaradawiBooks.com

والدروس وخطب الجمعة وليالي رمضان، إلى الوعي بالإسلام العامِّ كمنهجٍ شاملٍ وحركة في الحياة تبتغي الإصلاح.

وفي ظلِّ ارتباطي بالإخوان تمكَّنت من تصحيح مفهومي للإسلام، من مجرَّد كونه تدينًا فرديًّا إلى رسالة شاملة.

وقد كان الشيخ البنا حريصًا في لقاءاته ورسائله على تكريس هذه المفاهيم، فالإسلام في منظوره: دينٌ ودولة، ومصحفٌ وسيف، وصلاة وجهاد، وعبادة وقيادة. فضلًا عن تكثيف الاهتمام بقضايا المسلمين: «**ومن لم يهتمَّ بأمر المسلمين فليس منهم**»[1].

كذلك ونحن طُلَّاب ـ حسَبما أتذكر ـ كُنَّا نخرج في الثاني من نوفمبر من كلِّ عام احتجاجًا على وعد بلفور، وهو ما كان مُؤَشِّرًا على أن قضيَّة فلسطين كانت حيَّة في وجدان عناصر الجماعة وغيرها من القضايا المثارة في ذلك الوقت كقضيَّة تونس والجزائر ومراكش «المغرب»، فضلًا عن قضيَّة كشمير.

إلى جانب ذلك كانت الدعوة قويَّة إلى أن نُحْكَم بالقرآن وبالشريعة الإسلاميَّة عوضًا عن الحكم بالقوانين الوضعيَّة الَّتي فرضها الاستعمار على البلاد.

أوَّل لقاء بالشيخ البنَّا:

المحاور: هل تذكر أوَّل لقاء لك بالشيخ البنَّا؟ وكيف كان تفاعلك معه على المستوى الشخصي؟

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٤٧٣)، والصغير (٩٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤): رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. عن حذيفة.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: لقاءاتي بالشيخ البنَّا كانت عبارة عن لقاء تلميذ وطالب بقائد كبير، وكما ذكرت سابقًا، كنتُ حريصًا على اللقاء به وحضور المناسبات الَّتي يشارك فيها في طنطا.

بل كنتُ أحيانًا أتوجَّه إلى المدن الأخرى ككفر الزيَّات أو دســوق لمتابعة لقاءاته الجماهيريَّة ومحاضراته.

وأذكر أنَّني ســافرت إلى دســوق عبــر قطار كان يُسَــمَّى قطار «الدلتا»، يتحرَّك بين المدن والقرى والمزارع في منطقة الدلتا، وكان بوُسْع أيِّ شــخصٍ أن يوقفه ليركبه من مجرَّد الإشــارة، وكان أهم ما يُمَيِّزه رِخَص أجرته.

وتابعنا الشيخ أيضًا عندما زار «المحلَّة الكبرى» و«محلَّة أبو علي»، والتقينا معه في بعض الأحيان في طنطا، ولكن أوَّل لقاء لي معه بشكلٍ مباشــرٍ كان لدى زيارته لطنطا، وألقيت أمامه قصيدة نشــرتها في ديوان «نفحات ولفحات».

وقد أبــدى إعجابًــا بالقصيدة، وأذكــر أنَّه وصفني آنذاك بالشــاعر المطبوع، وكان معه سكرتيره الخاصُّ الأستاذ سعد الدين الوليلي الَّذي أخذ القصيدة معه.

ثُمَّ التقيت بالشيخ في بعض المناســبات الأخرى في المركز العامِّ، ولكنَّه وكَّل الشــيخ الباقوري ليواصل معنا اللقاء لارتباطه، ومرَّة توجَّهنا إليــه للحصول على إذن منــه بخصوص أحد زملائنا مــن طلاب معهد طنطا، الَّــذي كان بالغ الحماس للتطوُّع في حرب فلســطين، واســمه «عبد الوهَّاب البتانوني»، فالشيخ لم يكن يسمح لشباب المرحلة الثانويَّة بالتطوُّع في هــذه الحرب، وكُنَّا من قبل قد حصلنــا على موافقة والدته

QaradawiBooks.com

بشقِّ الأنفس، ولكن مع زميل آخر هو أحمد العسَّال استطعنا إقناعها بعد أن حدثناها عن الجهاد، فدمعت عيناها، وقالت لابنها: أستودعك الله، فهو خير حافظ. وقد استُشهد هذا الشابُّ في حرب فلسطين.

وأذكر بهذه المناسبة أنَّني وعبد الوهاب البتانوني كُنَّا نذهب إلى الشيخ البهي الخولي في جلسة نسمِّيها «كتيبة الذبيح»، نُصَلِّي فيها معه الفجر، ونتدارس فيها أمور القرآن والفقه، وقد كان الشيخ الخولي يقول: كلَّما رأيتُ عبد الوهاب رأيتُ دم الشهادة يترقرق في وجهه، وكان يناديه سيِّدي عبد الوهَّاب البتانوني.

اندماج كُلِّي:

المحاور: كيف تطوَّرت علاقتك بجماعة الإخوان المسلمين فيما بعد، هل أصبحت عضوًا نشطًا خلال دراستك الجامعيَّة فيما بعد، خاصَّة أنَّ الصراع بدأ يبرز بين الجماعة والسلطة في ذلك الوقت؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: كنتُ مندمجًا بكُلِّي في الإخوان، حتَّى حُلَّت الجماعة في (٨) ديسمبر (١٩٤٨م)، ردًّا على مقتل النقراشي باشا رئيس الوزراء في ذلك الوقت من قبل نفرٍ من شباب الجماعة المُتَحَمِّسين. وقد تبيَّن من الوثائق فيما بعد أنَّ سفراء كلٍّ من الولايات المُتَّحِدة وبريطانيا وفرنسا في «فايد»، بالقرب من الإسماعيليَّة اتَّفقوا على أن يطلبوا من النقراشي ـ وهو ما حدث بالفعل ـ حلَّ جماعة الإخوان المسلمين.

وقد اتَّضح أنَّ ذلك كلَّه يصبُّ في صالح الدولة الوليدة «إسرائيل»، في ذلك الوقت، فقد كان الإخوان من المناهضين بقوَّة لقيام هذه الدولة، وكان لهم مُتَطَوِّعوهم في المَيْدان، وهو ما حتَّم الصدام.

QaradawiBooks.com

وحُلَّتْ جماعة الإخوان المسلمين، وتعرَّض أعضاؤها للاعتقال، غير أنَّ قليلًا مـــن أعضائها من طُلَّاب المرحلة الثانويَّة تَـــمَّ اعتقالهم، وكانوا أربعة أو خمسة من طلَّاب معهد طنطا الديني، وكنتُ واحدًا منهم.

أوَّل اعتقال:

المحاور: كيف حدث الاعتقال؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لقد طلبتنا قوَّات الشرطة أنا وزميل آخر لي اســـمه محمَّد الدمرداش ـ انتقل إلى رحمة الله ـ وقد كُنَّا دومًا متلازمَيْن في الدراسة وفي الســـكن وفي الانتماء للجماعة وفي الدعوة وحتَّى في المحنة، وبعد أن علمنا بنيَّة الشُّرْطة لاعتقالنا توجَّهنا إلى قريته للاختباء فيها، وهو ما يُنْبِئ عن سذاجة تفكيرنا، فبعد أن لاحظت الشرطة اختفاءنا معًا توجَّهتْ إلى قريتي، ولـــم تعثر علينا، وعلى الفور توجَّهت إلى قرية محمَّد الدمرداش، وعندما شعرنا بحركة القوات سارعنا إلى الصعود إلى الســـطح والهبوط منه إلى منزل الجيران، فاختبأنا، لكنَّ قوَّات الشـــرطة أمسكت بوالدة زميلي كرهينة، وهو الأمر الَّذي دعانا فيما بعد إلى تسليم أنفسنا، وأخذونا إلى نقطة البلدة الَّتي تُسَمَّى «نهطاي» ثمَّ إلى مركز زِفْتَا الَّذي تتبعه هذه القرية، وأمضينا ليلة به، ومنه أُحِلْنا إلى قسم أوَّل طنطا، وأمضينا نحو أربعين يومًا بســـجن المركز، ثمَّ تقرَّر ترحلينا إلى ســـجن آخر، وعندئذ صافحت عيوننـــا عنوانًا عريضًا فـــي صحيفة «المصري»: «مصرع الشيخ البنَّا».

المحاور: كيف كان وقع الخبر عليكما؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هزَّنا بعنفٍ، أقضَّ مضاجعنا، فقد كان أملًا بالنسبة للمسلمين، ولنا بما منحه الله من مواهب وقدرات في فهم الحياة

QaradawiBooks.com

والسياسة، وما تميَّز به في كيفيَّة السعي إلى النَّاس بمختلف ألوانهم واتِّجاهاتهم وما يتَّسم به من مرونة وانفتاح، لذلك كان الحزن عليه أعمق من أيِّ حزنٍ مرَّ بي.

المحاور: ماذا لو لم يُقْتَل الشيخ البنَّا في ذلك الوقت؟ ما هي الصورة الَّتي كان يمكن أن تكون عليها جماعة الإخوان المسلمين؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: المرء لا يرغب في أن يتألَّى «على الله»، لكنِّي أعتقد أنَّه لو أراد الله أن يُطيل في عمره، فلا شكَّ أنَّه سيكون له تأثير في سير الحياة غير ما حدث فيما بعد.

وأذكر في هذا الصدد مقالة لمُفَكِّر أمريكي وصف الشيخ البنَّا فيه: بالرجل القرآني. وقال عنه: لا ندري ماذا تفعل به الأحداث فقد يغيِّر وجه التاريخ[1]. وبعد استشهاد الشيخ عاد وذكر هذه المعاني مرَّة أخرى عنه. وأحسب أنَّ الشيخ البنَّا كان فلتة من فلتات ذلك الزمان رغم صِغَر سِنِّه، فقد استُشهد ولديه (٤٢) عامًا، في حين بدأ حركته في الدعوة وهو في سنِّ الثانية والعشرين، أي أنَّه أمضى نحو عشرين عامًا في تأسيس الجماعة وتطويرها وهو في مقتبل الشباب.

«الترحيل»:

المحاور: رُبَّما قطع تسلسل الأحداث فيما يتعلَّق بقضيَّة اعتقالك للمرَّة الأولى، لقد توقَّفنا فيما قبل عند ترحيلك مع زميلك محمَّد الدمرداش من سجن قسم أوَّل طنطا، ما الَّذي جرى بعد ذلك؟

(١) انظر: الرجل القرآني لروبير جاكسون صـ ٥، ترجمة أ. أنور الجندي، نشر دار المختار الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: لقد تمَّ ترحيلنا يوم استشـــهاد الشيخ إلى معتقل «هايكستب» بضواحي القاهرة، لنرحل منه مرَّة أخرى إلى معتقل «الطور»، والَّذي أمضينا فيه فترةً زمنيَّة لا أذكرها بالضبط، ثمَّ تقرَّر إعادة المعتقلين من طـــلَّاب المرحلة الثانويَّة إلى معتقل «هايكســـتب» تمهيدًا للإفراج عنَّا، ولكن لم يقـــع الإفراج، ثمَّ أعيد ترحيلنـــا مرَّة أخرى إلى معتقل «الطور»، ومع سقوط وزارة إبراهيم عبد الهادي تقرَّر الإفراج عنَّا بعد أن أمضينا في المعتقلات نحو تسعة أشهر.

شهور الاعتقال:

المحاور: ما الَّذي كنتَ تفعله في شـــهور الاعتقال؟ هل أعدت قراءة موقفك من الانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا شكَّ أنَّ هذه الفترة عمَّقت انتمائي لجماعة الإخوان المســـلمين، وعمَّقت انتماء غيري من المعتقلين، فالمعتقل كان فرصة هائلة للتعميق والتثبيت والمزيد من التوعية والتثقيف.

وأُشـــير هنا إلى كيف كنتُ أقضي يومي في المعتقل، لقد كُنَّا نُصَلِّي الصلوات الخمس في المسجد، وهو عبارة عن منطقةٍ محاطة بالطوب، وموقع محدَّد للمحراب.

وكان إمامنا فـــي ذلك الوقت ـ أنـــا هنا أتحدَّث عـــن معتقل الطور بالتحديـــد الَّـــذي أقمنا فيه فتـــرة زمنيَّة أطـــول ـ فضيلة الشـــيخ محمَّد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كُنَّا نستيقظ قبل صلاة الفجر بساعتين، حيث تبدأ الحركة في عنابر المعتقل الَّذي كان مُقَسَّمًا إلى سلســـلة من الممرَّات، وكان أحد الأخوة يمرُّ على النائمين ليُوقظهم بصوت رخيم ينادي فيه بقوله:

QaradawiBooks.com

يا نائمًا مُسْــتَغْرِقًا في المنامْ قُمْ فاذكرِ الحيَّ الَّذي لا ينامْ
مولاكَ يدعــوكَ إلــى ذِكْرِه وأنت مشــغولٌ بطِيبِ المنامْ

وهكذا.

وكُنَّا نستيقظ لدى ســماعنا هذا الصوت الرقيق الرخيم المحبَّب إلى نفوسنا، ثمَّ يدوي في العنابر صوت قراءة القرآن، فإذا أذَّن الفجر توجَّهنا إلى المسجد للصلاة، وبعد انتهائها وختامها ننتظم في حَلَقات علميَّة مع الشيوخ الَّذين نرافقهم في المعتقل، كالشيخ الغزالي، والشيخ سيِّد سابق، والشيخ عبد المعزِّ عبد الستَّار وهم جميعًا من شيوخ الجماعة، حتَّى قُبَيْل طلوع الشــمس، فنبدأ في أداء تمرينــات رياضيَّة، ثــمَّ نتوجه بعد ذلك لتناول طعام إفطارنــا، ثمَّ إلى عمليَّات تنظيف العنابر والأســرَّة والقيام بمهامِّ الطبخ، والَّتي كانت تُوَزَّع دوريًّا على كلِّ عنبر، ثمَّ يبدأ شيوخنا في إلقاء المحاضرات الدِّينيَّة والفكريَّة. وأذكر أنَّ المرحوم الشــيخ الغزالي جمع سلســلة محاضرات في معتقل الطور في كتاب أســماه «الإسلام والاســتبداد السياســي»، فضلًا عن الاشــتراك في المناقشــات وترديد الأناشيد الدِّينيَّة.

لذلك أطلقت عبارة أصبحت مثلًا فيمــا بعد، وهي أنَّ معتقل الطور هو المعسكر الدائم للإخوان المسلمين لسنة (١٩٤٩م)، السفر والمصاريف والنفقات والتكاليف على حساب الحكومة المصريَّة.

وأذكر أنَّ بعضًا من زملاء المعتقل لم تكن لديه القدرة على المشاركة معنا، ومن هؤلاء زميل اسمه حسني الزمزمي، ولم يكن يستطيع أن يقشر إصبع الموز، كان دائمًا في حاجــة إلى عون الآخرين، هكذا هي حياته؛ لذلك أطلقنا عليه رئيس لجنة العكننة. وقد أفرج عنه معنا، وقد كُنَّا نحن

QaradawiBooks.com

أوَّل دفعة يتقرَّر الإفراج عنها، وكان ذلك قبل امتحان الدور الثاني في الشهادة الثانويَّة بنحو (١٧) يومًا، وقد فاتني الدور الأوَّل، ورغم أنَّنا قدَّمنا ـ زملائي وأنا ـ العديد من الطلبات ليُسَهِّلوا لنا أداء امتحان هذا الدَّور غير أنَّ أحدًا لم يُعِرْنا بالًا.

وعندما عدتُ إلى البيت تفرَّغت بشكلٍ كاملٍ لمراجعة دروسي، وقد أكرمني الله ﷻ بنجاحي متفوِّقًا، وصاحب الترتيب الثاني في الشهادة الثانويَّة الأزهريَّة على المملكة المصريَّة في ذلك الحين، وكان الفارق بيني وبين صاحب الترتيب الأوَّل نصف درجة؛ لذلك اقتسمنا هو وأنا الجائزة الَّتي تُمْنَح للأوَّل على المملكة سويًّا، وكانت قيمتها ثلاثة وثلاثين جنيهًا، فحصل كلٌّ منَّا على ستَّةَ عَشَرَ جنيهًا ونصف جنيه.

قرار غير محسوب:

المحاور: ثمَّة من يقول يا فضيلة الشيخ: إنَّ قرار الإخوان بالمشاركة في حرب (١٩٤٨م) لم يكن محسوبًا، فقد لفت الانتباه إلى الجماعة، وألّب عليها الكثير من القوى المناهضة داخليًّا وخارجيًّا، هل توافق على ذلك الطرح؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذا ما يقع فيه دائمًا الإسلاميُّون، فهم يكونون بين أمرين، الأوَّل: هل يبرزون للنَّاس تنظيمًا وقوَّة حتَّى يلتفوا حولهم وينجذبوا إليهم، أو يختفوا حتَّى لا يعلم الأعداء مدى قُوَّتهم فلا يدبروا لهم المزالق والمخاطر، وهذا ما وقعت فيه الصحوة الإسلاميَّة الأخيرة، فشبابها بمجرَّد أن لمسوا في أنفسهم قوَّة، أخذوا يستعرضون عضلاتهم، ويدعون إلى صلاة العيد في ميدان عابدين بالقاهرة، الَّتي كان يحضرها أكثر من نصف مليون، وكنت أقوم بالخطابة فيهم.

QaradawiBooks.com

وأشـــير هنا إلى واقعة من تداعيات هذه الحالة، فقد كنتُ بالولايات المُتِّحِـــدة عندما أقدم الرئيـــس المصري الســـابق أنور الســـادات على اعتقالات سبتمبر (١٩٨١م)، وكنتُ في ذلك اليوم مدعوًّا على مائدة غداء أحد الأشخاص، فأبلغنا أن نشرة الأخبار في التليفزيون بعد نصف ساعة حتَّى نتابع تطورات الأحداث في مصر، وعندما فتحنا التليفزيون فوجئنا بصورة شخصٍ معمَّم، وصاح مضيفي على الفور أليست تلك صورتك؟ وأجبت على الفور: أجل، واســتعدت بسُــرعة هؤلاء الأشخاص الَّذين كانوا يحملون كاميرات التصويـــر التليفزيونيَّة خلال إمامتي لصلاة العيد بميدان عابدين الَّتي يحتشد فيها مئات الألوف، أو كما ذكرت سابقًا نحو نصف مليون، وكانت الكاميرات ترصد بالصورة والصوت كلَّ حركاتي، ســـواء لحظة الخطابة أو لحظة الســـجود أو الركوع أو غير ذلك، وحتَّى لحظة تقديمي لأحد شباب الجماعات ليُلْقِي كلمة في الجمع.

ولكنِّي بعد ذلك لا ألمس أثرًا لهذه الصور، وأتســـاءل في نفسي أين تذهب هذه الصور واللقطات، خصوصًا أنَّه لم تكن تظهر بالمرَّة في وسائط الإعلام الرســـميَّة، بل بالعكس كان ثمَّة تعتيم على مثل هذه الأمور.

وأذكر فقط أنَّ الرئيس الســـادات أشـــار إلى مثل هذه التجمُّعات في أحد خطاباته: «بيقولوا إنَّها تضم ربع مليون شخص، والحقيقة أنَّها تضم مائة ألف فقط»، وأذكر أنَّني كنتُ أواجه صعوبة شديدة في الوصول إلى ميدان عابديـــن، وكنتُ في بعض الأحيان اضطر إلى أن أركن ســـيارتي ربَّما علـــى بُعْد يتجـــاوز كيلو متـــرًا أو أكثر، وذلك من جـــرَّاء الأعداد المشاركة في صلاة العيد الَّتي لا تقلُّ عن نصف مليون في ذلك الوقت.

QaradawiBooks.com

الجماعة منحلَّة:

كيف تفاعلتَ مع جماعة «الإخوان المسلمين» بعد التحاقك بكُلِّيَّة أصول الدِّين وجامعة الأزهر؟

عندما التحقت بالجامعة كانت جماعة الإخوان المسلمين منحلَّة بعد أن صدر قرار من الحكومة بحَلِّها، وكان يقال في ذلك الوقت: «إسرائيل المزعومة والجماعة المنحلَّة». أي إنَّه من الناحية الرسميَّة لم يكن ثمَّة وجود للإخوان، ولكن هذه الفترة شهدت نشاطًا هائلًا لشباب الإخوان، لم تكن هناك لافتات أو علامات أو أي مظاهر ذات طابع عامٍّ، لكنَّ عملَنا وحركتنا كانت بعيدة عن ذلك كلِّه، وهو ما أدَّى إلى أنَّ إنتاجنا كان في هذه الفترة ضخمًا ولا نظير له، فانتشرت الدعوة انتشارًا كبيرًا.

المحاور: ألم تكن ثمَّة ملاحقة أمنيَّة لكم؟

المحاور: كانت هذه الفترة تعيش حالة فتور أمني تجاهنا، بعد سقوط حكومة إبراهيم عبد الهادي، خاصَّة بعد فترة الصراع الشديد بين الإخوان والسلطة، الأمر الَّذي دفع ببعض شباب الجماعة المتحمِّس إلى قتل النقراشي، في حين ردَّت السلطة على ذلك بقتل حسن البنَّا، وهو ما أشعل المزيد من الزيت في نار الصِّراع، ولم يتوقَّف إلَّا بعد سقوط وزارة إبراهيم عبد الهادي، وكُنَّا وقتها في معتقل الطور.

وأذكر أنَّنا كُنَّا في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، واحتفلنا بليلة القدر وشاركت في الاحتفال بقصيدة من تأليفي، وفي آخر القصيدة كانت ثمَّة مناجاة لله ﷻ ودعوات عدَّة.

وفي ليلة التاسع والعشرين من رمضان وكانت ليلة العيد أقيلت

QaradawiBooks.com

وزارة إبراهيم عبد الهادي، فصاح الإخوان: لقد استجاب الله لدعواتك في ليلة القدر، وبعد ذلك حدثت فترة هدوء في العلاقة بين الجماعة والسلطة، ثمَّ أجريت انتخابات نيابيَّة تقدَّم فيها عددٌ من رموز الإخوان بالترشيح، لكنَّ أحدًا منهم لهم ينجح.

ولكنَّ المعركة الانتخابيَّة في حدِّ ذاتها كانت فرصة لإحياء الدعوة، وشاركت شخصيًّا في الدعاية للمُرَشَّحين من الجماعة في مدنٍ عدَّة، وبالذات في صعيد مصر.

ولعلَّ عدم وجود ملاحقة أمنيَّة أتاح لنا حُرِّيَّة التحرُّك والدعوة رغم أنَّه عند الإفراج عنَّا حصلوا منَّا على تعهُّد بتجنُّب المشاركة في أيِّ نشاط سياسي للجماعة.

وأذكر أنَّه بعد الإفراج عَنِّي عُدْت إلى منزلي في قريتي، وبعد تجمُّع النَّاس الَّذين جاؤوا للمباركة بالإفراج أخذتُ أتحدَّث إليهم عن قوَّة الإخوان وحركتهم وأهدافهم فينظر إليَّ البعض وكأنَّه يقول لي: ألم تتعلَّم من درس اعتقالك!

واتَّسمت الفترة الَّتي سبقت قيام ثورة (٢٣) يوليو، بخصوبة إنتاج الإخوان، فقد شهدت تكريسًا لوجودها، وخاصَّة في الأزهر الَّذي كاد يضحى كلُّه منتخبًا للإخوان من شيخ الأزهر الشيخ محمَّد الخضر حسين إلى كبار العلماء وعمداء الكُلِّيات والطلاب، كانت درجة انتشار الجماعة هائلة في كلِّ المواقع في مصر، للدرجة الَّتي ظنَّنا معها أنَّه عند قيام ثورة (٢٣) يوليو أنَّها ثورتنا في أوَّل الأمر، فقد قيل: إنَّ الضباط قادة الثورة إسلاميُّون. ولكن بعد ذلك بفترة بدا لنا أنَّ الثورة لم تقُمْ إلَّا لضَرْب الحركة الإسلاميَّة الَّتي كادت تستولي على مصر سلميًّا في ذلك

QaradawiBooks.com

الوقت، المسألة لم تكن في حاجةٍ إلى عنف، فالشعب كان متجاوبًا مع أفكار الجماعة بعُمْق في كلِّ مكانٍ وموقع.

غير مرخصة للطباعة

حركة وطنيَّة شاملة:

المحاور: كيف تصوَّرتم أنَّ الثورة قامت لضرب الحركة الإسلاميَّة بينما كانت هي حركة وطنيَّة شاملة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أجل حركة وطنيَّة، لكن رجال الثورة قالوا في البداية: إنَّهم من أبناء وأتباع الشيخ محمَّد الأودن، وتربَّوا على يديه، وأنَّهم حملوا المصاحف، وعاهدوا الله على حماية دينه. كان الوجه الإسلامي واضحًا بالنسبة لنا، أقصد جماعة «الإخوان المسلمين»، وراج أنَّ لهؤلاء الضباط صلة بالإخوان، لذلك فإنَّ عناصر الإخوان ساهمت في حراسة المنشآت المهمَّة الوطنيَّة والأجنبيَّة خشية تَعَرُّضها للتخريب من قبل العناصر المناوئة سواء شيوعيَّة أو غير شيوعيَّة.

لكنَّ البعض اعتبر هذه الخطوة محاولة مبكِّرة لاستيعاب الثورة الَّتي في محتواها تجمع بين كافَّة الاتجاهات السياسيَّة والفكريَّة في مصر ولم تكن ثورة لتيار بعينه؟

ذلك كان من ضمن رأي الثورة ذاتها، فهي كانت في حاجة إلى سندٍ شعبيٍّ حيث كانت في ذلك الوقت تفتقر إلى هذا السند، ولم تكن قد بدأت التكفير في تنظيماتها السياسيَّة الخاصَّة، الَّتي بدأت بهيئة التحرير، ثمَّ الاتِّحاد القومي، ثمَّ الاتِّحاد الاشتراكي فيما بعد.

لذلك اعتمدت في أوَّل الأمر على حركة «الإخوان المسلمين»؛ لأنَّها حركة منظمة ولها امتداد شعبي في كلِّ الآفاق.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إشكاليَّة الصراع:

المحاور: دعنا نتوَّقف عند إشـكاليَّة الصراع بين ثورة يوليو وحركة الإخوان المسلمين والسـؤال: لماذا لم يحاول الإخوان استيعاب الثورة، بل حاولوا في البداية فرض وصايتهم عليها، وقد قرأتُ قبل أيَّام في مقال لأمين هويدي أنَّ الإخوان حاولوا فرض وصايتهم على الثورة منذ أيامها الأولى من خلال اشتراط تحرير كافَّة القرارات والخطوات الَّتي تتَّخذها الثورة على قيادة الإخوان قبل إعلانها، وهو ما اعتبر ازدواجيَّة في السلطة إلى جانب كونه وصاية؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: لقد فهم الإخوان المسألة أنَّهم شركاء في الثورة في أوَّل الأمر، ومن مقتضى الشـراكة: أنَّ الشريك لا يُبْرِم أمرًا ذا بال إلَّا بمشاورة شـريكه الآخر، لكن تبيَّن بعد ذلك أنَّ رجال الثورة لم يقبلوا هذه الشـراكة، وقد نشـروا وأذاعوا ذلك بالفعل وقالوا: إنَّ الثورة لا تقبل وصاية من أحد.

وأحسب أنَّ تلك المسألة بالذات هي نقطة الخلاف بين كثيرين من قيادات الجماعة والأستاذ حسن الهضيبي المرشـد العام للجماعة، فقد كانوا يظنُّون أن يوليو ثورة تُعَبِّر عن الإخوان المسلمين، بينما هو رفض ذلك التصـوُّر، وأعلـن أنَّها ليسـت ثورة الإخـوان؛ ولذلك سـرعان ما تكشَّفت الأمور ووقع الصدام بين الثورة والإخوان.

شخصيَّة الهضيبي:

المحاور: يرى البعض أنَّه لولا شخصيَّة الهضيبي كقاضٍ وعدم إدراكه لطبيعة رجال الثورة وبشـكل خـاصٍّ جمال عبد الناصـر، ولو أنَّه رأى الهضيبي أحسـن التعامل مع هؤلاء الضبَّاط ونسـي شـيئًا من طبيعته

QaradawiBooks.com

القضائيَّة، لما احتدم الصراع بين الجانبَيْن ولسارت العلاقة بين الثورة والإخوان في توازنٍ مطلوبٍ، هل توافق على هذا الطرح؟

المحاور: أعتقد أنَّ ذلك ينطوي على ظلمٍ لشخصيَّة الأستاذ الهضيبي، فلقد تبيَّن أن نظرته تجاه الثورة كانت أبعدَ وأعمقَ من هؤلاء الَّذين ظنُّوا أنَّ الثورة للإخوان، وأنَّ رجالها ينتمون إليهم، وأذكر أنَّني في أوائل الثورة توجَّهت إلى الصعيد في رحلة دعويَّة بدأت من الفيوم وبني سويف والمنيا وأسيوط وسوهاج وقنا والأقصر وإسنا وكوم أمبو وأسوان، وقابلت في قنا بعض ضبَّاط الشرطة من المنتمين إلى جماعة الإخوان، وشَكَوْا لي أنَّهم نُفُوا إلى الصعيد بعد قيام الثورة بأوامر من جمال عبد الناصر.

المحاور: هل ذكروا جمال عبد الناصر بالاسم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم، ذكروه بالاسم، وقد عرفنا من البداية مدى تأثير وقوَّة ونفوذ جمال عبد الناصر.

أريد أن أخلص من ذلك إلى أنَّ الصراع وقع مُبَكِّرًا بين الجانبَيْن، وكان لا بدَّ أن يحدث، حتَّى ولو لم يكن هناك الأستاذ الهضيبي، غير أنَّني أرى أنَّه لم يكن هناك ضرورة لهذا الصدام الدامي.

لم يكن ضروريًّا:

المحاور: هل ترى أنَّ الثورة كانت سببًا في احتدام هذا الصدام الدامي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: في اعتقادي إنَّه لم يكن ضروريًّا الصدام مع الإخوان بهذا العنف، لقد اصطدمت الثورة مع الإخوان منذ يناير (١٩٥٤م).

QaradawiBooks.com

المحاور: قاطعنا الشيخ: مع ملاحظة أنَّ الثورة عندما قرَّرت حلَّ جميع الأحزاب الَّتي كانت قائمة في عهد الملكيَّة، أبقت فقط على تنظيم «الإخوان المسلمين»، كما أنَّ عبد الناصر بعد قيام الثورة توجَّه إلى قبر الشيخ حسن البنَّا، ألا يعتبر ذلك مؤشرات وُدِّيَّة تجاه الإخوان وليس مبعثًا للصدام؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: هذا ما طمأن الإخوان في البداية، وكانوا يصفون ضبَّاط الثورة «بأنَّهم جماعتنا»، خاصَّة أنَّ عبد الناصر آثر ـ عندما زار قبر الشيخ البنَّا ـ المضيَّ في منهجه، وهو ما أعطى نوعًا من الطمأنينة على هذا الصعيد، غير أنَّه في الوقت الَّذي توجَّه فيه عبد الناصر إلى قبر البنَّا كُنَّا نحن في المعتقل.

ولا شكَّ أنَّ العنصر الشخصي بين الأستاذ الهضيبي والرئيس جمال عبد الناصر وعدم الاســتلطاف بين الرَّجُلَيْــن، كان له تأثيره في حدوث الصدام بين الثورة والإخوان، وصل إلى حدِّ العنف.

فما وقع على الإخوان من جرَّاء العنف لم يكون هَيِّنًا، وأذكر في هذا الصدد أنَّه في يناير (١٩٥٤م) جرت حملة اعتقالات موسَّعة ضدَّ الإخوان، وفي أواخر شــهر مارس أفرج عنهم إبَّان أزمة مارس بين محمَّد نجيب من ناحية ومجلس قيادة الثورة بزعامة عبد الناصر من ناحية أخرى.

وقد زار عبد الناصر بعد الإفراج عن الإخوان الأستاذ حسن الهضيبي في منزله كمبادرة على المصالحة واعتذار وبدء صفحة جديدة في العلاقة بين الطرفَيْن.

ولكن يبدو لي أنَّه كان مــن قبيل التكتيك حتَّى تمــرَّ أزمة مارس، ويتمكَّن عبد الناصر من فرض قبضته والإمســاك بزمام الأمور، فما كاد يتخلَّص من محمَّد نجيب حتَّى بدأت اعتقالات الإخوان من جديد.

QaradawiBooks.com

أخطأ الإخوان:

المحاور: لكن يبدو لي أنَّك تلقي المسؤوليَّة في احتدام الصراع بين الطرفَيْن على الثورة وتحديدًا زعيمها عبد الناصر، ألا تعتقد أنَّ ثمَّة أخطاء من قبل الإخوان تجاه الثورة أسهمت في تأجيج الصراع؟ وأيضًا: ألم يكن بوُسْع الإخوان أن يُقْدِموا على بعض الممارسات الَّتي تُخَفِّف من التوتُّر مع الثورة؟

المحاور: أجل، كان يمكن ذلك لو اتَّخذت أساليب أكثر ليونة بشرط أن يكون هناك تجاوب من الطرفين أيضًا، فإذا أقدم طرف على خطوة إلى الأمام يتعيَّن أن يُقابل بخطوة مماثلة حتَّى تكون النتيجة في محصلتها إيجابيَّة.

هل تعتقد أنَّ ثمَّة قوى خارجيَّة أذكت هذا الصدام، ودفعت باتِّجاه تعميقه بين الثورة والإخوان؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا أستبعد ذلك، وإن كنت عادة في تفسيري للأحداث لا أحاول أن أركِّز على مسألة التفسير التآمري ولكن قطعًا كانت ثمَّة جهاتٌ يُهِمُّها إذكاء هذا الصراع حتَّى ولو عن طريق إيحاءات معيَّنة.

وأتوقَّف هنا عند واقعة ذات دلالة، فقد كلَّفت الثورة الأستاذ حسن الهضيبي باللقاء مع مسؤولٍ إنجليزي اسمه «إيفانز»، وطلبتْ منه أن يتشدَّد على صعيدِ المطالب الوطنيَّة حتَّى يمكن توظيف هذا التشدُّد في مفاوضات الجلاء، ولكن بعد ذلك اعتُبر ذلك خيانةً من الهضيبي، وأنَّه اتَّصل بالإنجليز من وراء الثورة.

QaradawiBooks.com

على أيَّة حال، إنَّني أرى أنَّه ليس هناك ما يمنع من اختلاف القوى المتباينة في وجهات النظر، لكن ما أنكره على ثورة يوليو في هذا السياق هو ضربها بعنفٍ وبيدٍ من حديد واستعمال البطش والتعذيب والتنكيل إلى الحدِّ الَّذي رأيناه في السجون الحربيَّة.

المحاور: ألا تعتقد أنَّ ثمَّة مبالغة من قبل الإخوان على هذا الصعيد؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا، إنَّني أعتقد أنَّ كلَّ ما قيل عن هذه العمليَّات لا يمكن أن يُصَوِّر الحقيقة كما شوهدت، إنَّ القلم يعجز عن تصويرها.

هل كان يعلم؟

المحاور: هل كانت عمليَّات التعذيب بعلم زعيم الثورة جمال عبد الناصر؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: إنَّني أستعين هنا بقول شاعرٍ عربيٍّ قديم:

إِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي فَتِلْكَ مُصْيبَةٌ وإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ[1]

فإذا كان لا يدري وتركنا لحمزة البسيوني وهؤلاء النَّاس الغلاظ والقُساة الَّذين تحدَّوا الله في سمائه! لقد كان يقول حمزة: هاتوا ربَّكم وأنا أضعه في زنزانة.

المحاور: هل هناك ما يُوَثِّق مثل هذه الأقاويل، ألا ترى أنَّ المبالغة تصبغها؟

(١) من شعر أبي علي البصير، انظر: الدر الفريد وبيت القصيد (١١٨/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٥م.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: هذا كلام شـــهدناه وســـمعناه، وشخصيًّا تعرَّضـــت لتعذيب حمـــزة البســـيوني في الاعتقـــال الثانـــي لي ضمن مجموعات الإخوان الَّذين اعتقلوا بعد حادثة المنشية في (١٩٥٤م).

حادث المنشيَّة:

المحاور: لنتوقف قليلًا عند حادث المنشيَّة. هل في رأيكم من تدبير «الإخوان المســـلمين» أم محض تمثيليَّة كما تقول قيادات إخوانيَّة عدَّة، آخرها مأمون الهضيبي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: إنَّني أســـتطيع أن أؤكِّد يقينًا أنَّ «الإخوان المسلمين» كجماعة لم تُدَبِّر أو تنفذ عمليَّة حادث المنشيَّة، إنَّما يُحْتَمل أن يكون قد قام بها «هنداوي وجماعته».

المحاور: أشرت إلى أنَّك تعرَّضت للتعذيب على يد حمزة البسيوني؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: بداية أشـــير إلى أنَّه بعد حادث المنشيَّة وقعت حملة اعتقالات ضدَّ عناصر الإخوان المسلمين في مطلع نوفمبر (١٩٥٤م)، ولكن تمكنتُ من الهـــرب والاختباء فترة من الزمن، وأخذتُ أنتقل من مكانٍ إلى آخر، وانتهى بي المطاف لدى بيت خالتي.

واســـتطاعت أجهزة الأمـــن أن تتعرَّف على مخبئـــي، وقبضت عليَّ بالفعل، كما قبضت على خالتي وسُـــجِنت بتهمة التســـتر عليَّ، وظلَّت قضيَّتُها مؤجَّلة في القضاء حتَّى هدأت الأمور بعد ثلاث سنوات، وحكم عليها بالبراءة، ويوم محاكمتي أنا أنكرتُ بالطبع كلَّ التُّهم الَّتي نســـبت إليَّ كما فعل غيري من الزملاء.

QaradawiBooks.com

ولكنَّ حمزة البسيوني كان يواجه هذا الإنكار من أيِّ شخصٍ بعقابٍ شديد، ووقتها كُنَّا مجموعة من المحلَّة وبسيون وطنطا، نُحاكم معًا، وفي منتصف الليل فوجئنا بمن ينادي علينا، ثـمَّ أوقفونا في طابور وأمرونا بالجري والركض والسياط تُلْهِبُنا على مدى ساعتين.

ثم جاءني حمزة البسيوني وطلب مِنِّي أن أُلْقي خطبة، فقلت له: إنَّ المجال لا يناسب ذلك، فطلب مِنِّي أن أُغَنِّي، فقلت له: لستُ مغنيًا، فطلب مِنِّي مرَّة أخرى أن أختار بينهما، إمَّا أن ألقي خطبة أو أن أُغَنِّي «غنيوة» على حدِّ قوله.

وكان البسيوني قد حدَّد ثلاث فئات للعقاب تتراوح بين (١٠) و(٢٠) و(٥٠) كرباجًا، وكنت مصنَّفًا ضمن فئة الـ(٥٠) كرباجًا (فلكة)، وبالفعل ضُربتُ بالكرباج (٥٠) مرَّة، وما زالت آثار الضرب في ساقي، تؤلمني إذا ما تعرَّضت لأي «خبطة» فيها.

ورفع الشيخ جلبابه قليلًا، وأرانا بقايا الضرب، لكنَّه لم يشأ أن يلتقط المصوِّر صورة لها.

وذات مرَّة سمعتُ من ينادي باسمي، فخرجتُ من زنزانتي، فسألني الشاويش المسؤولُ عن التعذيب، وأذكر أنَّ اسمه الأوَّل «أمين»، فسألني عمَّا فعلتُه، فنفيتُ له، فقال لي: أنت مصروف لك (١٥) كرباجًا، فسألته: على أيِّ أساس، ويبدو أنَّ الرجل تعاطف معي؛ لأنَّني لم أرتكب ما أستحقُّ عليه الضرب بالكرباج، فأبلغني أنَّه سيقوم بتوجيه الضربات على الأرض، وعليَّ أن أصرخ مدَّعيًا شعوري بالألم.

المفارقة أنَّ هذا الشاويش من أقسى مسؤولي السجن، ولكنَّه كما يبدو لم يجد مبررًا حقيقيًّا لمعاقبتي، وبالفعل حدث ما اتَّفقنا عليه،

QaradawiBooks.com

وطلب مِنِّي بعد آخر ضربة أن أركض حافيًا حتَّى يشعر من يتابعني أنَّني غير قادرٍ على ارتداء الحذاء من شدَّة الألم.

وأخذت أسأل عن سرِّ هذا القرار بمعاقبتي فجأة، فأرجعته إلى حمزة البسيوني؛ لأنَّه زاره في اليوم ذاته شقيق له اسمه عمر البسيوني يعيش في المحلة، وربَّما حدَّثه عَنِّي وعمَّا كنتُ أصنعه في المحلَّة، ولم أجدْ تفسيرًا لهذه الحادثة سوى ذلك.

وأحسب أنَّ تلك المعاملة القاسية تركت بصماتها في نفوس الإخوان، ومهما تحاول أن تداوي جراحاتنا فإنَّ المرارة لا تغادرنا، وهو ما أكَّدته بعد ذلك محنة عام (١٩٦٥م)، والَّتي أخذت «الحابل بالنابل»، وهي المحنة المرتبطة بقضيَّة سيِّد قُطْب، رغم أنَّ تنظيمه كان محدودًا، مجرَّد مجموعة صغيرة من الإخوان، لكن الأمن اعتقل الآلاف من عناصر الإخوان والَّذين اعتقلوا من قبل، واستخدمت معهم من أدوات التعذيب ما لم يستعمله أحد.

لماذا استمرَّ العنف؟

المحاور: لماذا استمرَّ هذا العنف الشديد بين الثورة والإخوان؟ معنى ذلك أنَّ الأمر لم يكن مجرَّد رد فعل على أحداث معيَّنة كحادث المنشيَّة واستمرَّ العنف حتَّى مع محدوديَّة التنظيم في (١٩٦٥م).

فضيلة الشيخ القرضاوي: في ذلك الوقت كان الشيوعيُّون قد وثبوا إلى السلطة وأجهزة الإعلام والتوجيه، وكان لهم بدون شكٍّ تأثيرهم، وأعتقد أنَّ ذلك حدث بعد (١٩٦١م) عقب الإعلان عن القرارات الاشتراكيَّة والبدء في عمليات التأميم، وقد بدا لنا أنَّ الشيوعيِّين أصبحوا هم المُتَحَكِّمين، وأحسب أنَّ ذلك من الأمور الَّتي أُثِرَتْ على فكر

QaradawiBooks.com

المرحوم سيِّد قُطْب، وربَّما استطاع الشيوعيُّون أن يقنعوا عبد الناصر أنَّ الإخوان هم خطر مستمرٌّ على الثورة، وإذا لم يسارع بالقضاء عليهم سيُبادرون هم بالقضاء عليه (يتغدَّى بهم قبل أن يتعشَّوْا به).

إجهاض التجربة:

المحاور: لكن ألم يكن لدى الإخوان توجُّه حقيقي للسيطرة على الثورة وإجهاض تجربتها، خاصَّة أنَّ الإخوان كان لديهم «تنظيم سري قوي».

فضيلة الشيخ القرضاوي: إنَّني أرى أنَّ الإخوان لم يكن لديهم توجُّه للاستيلاء على السلطة سواء في الخمسينيَّات أو الستينيَّات، كانوا يدركون أن ذلك يتطلَّب مقوِّمات معيَّنة.

المحاور: لكن بماذا تُفَسِّر وجود تنظيم سِرِّي لدى الإخوان؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هل يستطيع التنظيم السِّرِّي بمفرده أن يقلب نظامًا يقوم على قوَّة عسكريَّة وبحوزته الجيش والشرطة، ذلك لم يكن واردًا في تفكير الإخوان مطلقًا في تلك الفترة، وهو ما فكر فيه تنظيم صالح سِرِّيَّة عندما حاول أن يسيطر على الكُلِّيَّة الفنِّيَّة العسكريَّة وغيرها من المنشآت، بهدف طلب الاستيلاء على الحكم، وهو تفكير صبياني.

باب القصور الذاتي:

المحاور: لكن الإخوان لم يَحُلُّوا تنظيمهم السرِّي واستمرَّ العمل؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: استمرَّ من باب القصور الذاتي يُؤدِّي بعض الأدوار، من ضمنها التربية العسكريَّة والأمور الجهاديَّة، ولكن لم يكن الهدف الاستيلاء على الحكم، فذلك يتطلَّب شروطًا معيَّنة.

QaradawiBooks.com

ربما الهدف من وجوده كان يتمثَّل في الدفاع عند اللزوم إذا ما تعرَّضت الجماعة أو الدعوة لاعتداء، ربَّما كان ذلك واردًا في حسبان القائمين على التنظيم الخاصِّ للإخوان.

على أيِّ حالٍ أقول بوضوحٍ وصراحة: إنَّ الصراع بين ثورة يوليو وجماعة الإخوان المسلمين لم يكن في مصلحة مصر، ولا من مصلحة العرب، ولا من مصلحة المسلمين. فلو أنَّ هاتين القوَّتَيْن: الثورة والإخوان اتَّفقتا لكان في ذلك الخير لهذه الدوائر أو المستويات الثلاثة.

المحاور: كيف تُفَسِّر انضمام بعض العناصر القياديَّة في جماعة الإخوان لثورة يوليو والبعض منهم أصبح وزيرًا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا أحبُّ أن أتَّهم أحدًا، ولكنَّ الثورة طلبت من الإخوان ترشيح بعض الأسماء للدخول في الوزارة الأولى، فرشَّح الأستاذ الهضيبي وحسن عشماوي وثالثًا لا أذكره، لكن عبد الناصر كان يريد أسماء ذات بريق، مثل الشيخ أحمد حسن الباقوري والشيخ محمَّد الغزالي، ولكنَّ الجماعة رفضت؛ لذلك استقال الشيخ الباقوري من الإخوان ودخل الوزارة.

ثمَّ دخل وزارات الثورة فيما بعد الدكتور عبد العزيز كامل بعد أن خرج من السجن واستمرَّ وزيرًا للأوقاف وشؤون الأزهر، ثمَّ نائبًا لرئيس الوزراء. كما دخل وزارات الثورة فيما بعد الدكتور أحمد كمال أبو المجد.

المحاور: هل اعتبرت قيادة الإخوان قَبُول هذه الشخصيَّات بدخول وزارات الثورة إيذانًا بانفكاكهم عن الالتزام بحبل الجماعة؟

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: البعض اعتبره كذلك بالفعل والبعض الآخر استفاد من وجود شخص كالشيخ محمَّد الغزالي مسؤولًا في وزارة الأوقاف والشيخ سيِّد سابق، فقد كان الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ هو الباب المفتوح والصدر الحنون، لكلِّ صاحب مشكلة من عناصر الجماعة، ولعلَّ حكمة إلهيَّة كانت وراء عدم اعتقاله في ذلك الحين.

صعود رغم الصراع:

المحاور: رغم الصراع بين الإخوان والثورة واصلت صعودك خلال التحاقك بكُلِّيَّة أصول الدِّين وكنتُ الأوَّل على (٥٠٠) طالب من خِرِّيجي خمس كُلِّيَّات بجامعة الأزهر، ثمَّ حصلتُ على شهادة تعادل الماجستير، ثمَّ حصلت على الدكتوراه. ألا يشكل ذلك نوعًا من التسامح من قبل الثورة تجاه عناصر الإخوان، وبالذات تجاه شخص كانت له أدوار وأنشطة ضمن الجماعة واعتُقِلَ مَرَّتَيْن؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الثورة في ذلك الوقت لم تكن تتدخَّل في شؤون التعليم والكُلِّيَّات والجامعات إلى حدِّ أن تأمر بنجاح هذا أو رسوبٍ ذاك، ربَّما حدث شيء من هذا القبيل في فترات لاحقة.

وفي الحقيقة لم تتدخَّل الثورة في مساري التعليمي، ولكن تدخَّلت بعد ذلك في منعي من الوصول إلى حقِّي ففي عام (١٩٥٤م) عندما حصلت على الشهادة العالميَّة أو إجازة التدريس، وكان ـ كما قلتُ ـ ترتيبي الأوَّل، عُيِّنت مُدَرِّسًا في معاهد الأزهر، ثُمَّ اعتُقِلْتُ، وبالتالي سقط تعييني.

وبعد أنَّ تمَّ الإفراج عَنِّي في (١٩٥٦م) قدَّمتُ طلبًا للالتحاق مدرسًا بالمعاهد الأزهريَّة، وكان اسمي أوَّل المقبولين؛ لأنَّ مجموعي هو الأكبر

QaradawiBooks.com

بين المتقدِّمين، ولكـــن المباحث العامَّة اعترضتْ على اســـمي، والَّتي أصبح اســـمها بعد ذلك مباحث أمن الدولة، فمُنعتُ من أيِّ عملٍ يتَّصل بالجمهور سواء في التدريس أو الوعظ أو الخطابة.

غير أنَّهم عندما احتاجوني أيَّام العدوان الثلاثي في (١٩٥٦م) طلبوني من قريتي ومكنوني من مسجد بالزمالك بالقاهرة لأخطب فيه للمساهمة في استنهاض الهمم ورفع الرُّوح المعنويَّة، وأمضيتُ عامًا في المسجد، وبعد أن رأوا أنَّ النَّاس يلتفُّون حولي مُنِعتُ مرَّة أخرى.

قراءة مغايرة للصراع:

المحاور: ثمَّة قراءة للصراع بيـــن الثورة والإخوان تقول: إنَّه لم يكن موقفًا من الثورة ضدَّ الإسلام، وإنَّ الأمر هو مجرَّد صراع بين مجموعتَيْن سياسيتَيْن كلتيهما تحاول أن تُقْصي الأخرى، وليس صراعًا بين علمانيَّة وإسلام، وشيوعيَّة وإلحاد وإسلام، كما يحاول البعض أن يُفَسِّره؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: لقد تناولتُ ذلك بقـــدر من التفصيل في كتاب لـــي بعنوان «الحلـــول المســـتوردة، وكيف جنت علـــى أُمَّتِنا؟»، وأوضحتُ هذا الصراع وأسسه الأيديولوجيَّة والعسكريَّة ونظريَّة القوميَّة، وذكرت أنَّ القوميَّة ارتدَت لباسًا عِلمانيًّا، وقلت: إنَّه ليس هناك ما يمنع من الإيمان بالقوميَّـــة العادية كالقوميَّة العربيَّة، فصِلَتُها بالإســـلام قويَّة، فالعربيَّة لسان الإسلام، والعروبة وعاء الإسلام، ورسول الإسلام عربي، وكتاب الإســـلام عربـــي، والأرض الَّتي انطلـــق منها الإســـلام عربيَّة، والصحابة هم الَّذين نشروا الإسلام في العالم، وحفظوا لنا القرآن، ورووا لنا السنن، وهم من العرب.

QaradawiBooks.com

المساجد الكبرى في أرض العرب: المسجد الحرام ـ المسجد النبوي ـ المسجد الأقصى.

إذن الصلة بين العروبة والإسلام قويَّة جدًّا، لكن المشكلة أنَّ القوميَّة في ذلك الوقت ارتدَت لباسًا علمانيًّا، لدرجة أنَّ البعض اعتبر القوميَّة العربيَّة نبوَّة جديدة، وقد ذكر أحدهم ذلك بالفعل.

وقد أشار إلى ذلك بعض الغربيِّين عندما قالوا عنها: «أديانٌ بغير وحي».

وبالتالي فإنَّ أصحاب القوميَّة بهذه الصيغة أرادوا أن يجعلوا منها مضادًّا للفكرة الإسلاميَّة، وهنا يكمن الخطر.

ثُمَّ أعطوها مضمونًا اشتراكيًّا علمانيًّا مستندًا إلى بعض أفكار الماركسيَّة، وهو ما بدا واضحًا في الميثاق الوطني الَّذي وصفه البعض للأسف بأنَّه قرآن الثورة.

لذلك حينما وقف الشيخ محمَّد الغزالي في المؤتمر القومي الَّذي عُقد لمناقشة الميثاق في (١٩٦٢م)، إن لم تخنِّي الذاكرة وتحدَّث فيه عن وجوب العودة إلى التشريع الإسلامي، وضرورة أن يكون لنا شخصيَّتُنا، تجاوب معه المشاركون في المؤتمر وبالتصفيق الحادِّ.

وقد علَّق على ذلك الصحفي المشهور في ذلك الوقت محمَّد التابعي بقوله: إنَّني أعجب من الَّذين صفَّقوا للشيخ الغزالي، وكنتُ أعتقد أنَّ الَّذين صفَّقوا له ثلاثة أرباع أعضاء المؤتمر، لكنَّ أحدهم صحَّح لي ذلك بأنَّهم تسعة أعشار، وقد انهالت على الشيخ الغزالي بعد ذلك الشتائم من هنا وهناك ورسوم كاريكاتوريَّة انتقدته بشدَّة على طرحه، ومنها رسوم صلاح جاهين، لدرجة أنَّ النَّاس هاجت ونظَّمت مظاهرات للدفاع عن الشيخ الغزالي.

QaradawiBooks.com

إذن القوميَّة العربيَّة المُضَمَّنة بالمحتوي الاشـتراكي المستنِد إلى كثيرٍ من الأفكار الماركسـيَّة هو الَّذي أعطى للثـورة هذا الوجه الَّذي تتحدَّث عنه.

الثورة والإسلام:

المحـاور: ما زلتُ أسـأل، هل كان لثـورة يوليو موقـف مناهض للإسلام؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: أجل، لم يكن للثورة موقف مناهض ضد الإسـلام كدين، ولكنَّها اتَّخذت موقفًا منه كشريعة، والإسلام كما يعلم الجميع عقيدة وشريعة، دين ودولة، والثورة لم ترفض الإسلام كعقيدة، لكنَّها رفضت الإسلام كمنهاج يصبغ الحياة العامَّة.

لكن الطرح الإخوانـي كان ملتصقًا ببعـض أدوات العنف، وبعض محاولات الاحتـواء للثورة، ألم يكـن ممكنًا أن يقـدم الإخوان طرحًا يستميل عقول وقلوب رجال الثورة؟

أولًا: لم يسـتخدم الإخوان العنف مع الثورة، لا قبـل الحل الأوَّل ـ للإخوان ـ في يناير (١٩٥٤م) ولا بعد ذلك، غير قضيَّة المنشـيَّة، وهذه يُشَكِّك البعض ـ مثل حسن التهامي وغيره ـ في مصداقيَّاتها[1]، وأقصى ما عندي فيها أنَّها يقينًا ليست من تدبير جماعة الإخوان.

المحاور: لماذا تستبعد قيام الإخوان بحادثة المنشيَّة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لأنَّه لا دليل على ذلك إطلاقًا.

(١) وقد نشرت شهادته في مجلة أكتوبر، بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٩٦م، العدد (١٠٤٧).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المحاور: أَلَا يُعَدُّ الأمر صراعًا بين جماعتين كلتاهما تريد الإمساك بالأمور؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الإخوان لم يكونوا يريدون الإمساك بالأمور، لكنَّهم كانوا يريدون أن يكون لهم خطٌّ في الصورة، وكثير من ضبَّاطهم لهم دور فيها، فعبد المنعم عبد الرؤوف وهو الَّذي حاصر سرايا رأس التين، وعدد من ضباط الإخوان: عبد المنعم أمين وغيره لهم دور، وتعرفون أنَّه في بداية الثورة حدث صدام مع بعض الضباط ذوي الاتِّجاه الدِّيني مثل رشاد مهنا ومحسن عبد الخالق، وبدأ وجهٌ غير مريح للثورة من أوَّل الأمر.

أقول: إنَّ الثورة لم تقف ضد الإسلام كعقيدة، لكنَّها لم تقبل الإسلام كمنهاجٍ للحياة، واختارت القوميَّة العربيَّة بالصيغة الَّتي ذكرتُها من قبل، كأساس أيديولوجي للحياة.

المحاور: أيْ علمانيَّة؟!

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم أيديولوجيَّة عِلْمانيَّة.

إنجازات الثورة:

المحاور: دعنا نكون في مصارحة: لقد حققت الثورة عددًا من الإنجازات والحقائق على الأرض اجتماعيًّا وسياسيًّا فيما يتعلق بالإنسان المصري: العلاج المجاني، التعليم، المساكن الَّتي ما زالت رخيصة (جنيهان) حتَّى لو كان عليها ملاحظات، التصنيع، هل تتعارض هذه الإنجازات الَّتي حقَّقتها الثورة مع رؤية الإسلام؟ بمعنى أنَّه هل ما أنجزته الثورة على هذا الصعيد كان ضدَّ رغبة الإخوان المسلمين؟ ألم تكن هذه الإنجازات مدخلًا لتوافق الإخوان مع الثورة؟

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: رحَّب الإخوان بمنجزات الثورة الاجتماعيَّة هذه، وكان لهم ملاحظات أظهروها في بعض بياناتهم، وكان لهم بيانٌ مشهور أظهروه بعد الثورة وبه بعض نظراتهم في الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي، كان أوَّل من دعا من الإخوان إلى تحديد قانون الملكية هو الشيخ محمَّد الغزالي في بعض كتبه[1]، وأعدَّ مشروعًا بذلك، وكان الأستاذ الهضيبي موافقًا على ذلك مع اختلاف على كمِّ المِلْكِيَّة، هذه الإنجازات باركها الإخوان.

المحاور: ما هو موقفك منها شخصيًّا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أنا شخصيًّا أباركها وأرحِّب بها.

المحاور: رغم أنَّها أُجْهِضَتْ في عصر الانفتاح، فلم تعُدْ هذه الإنجازات تُمَثِّل إلَّا تاريخًا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أرى أنَّ هناك مظالم حدثت في تطبيقات هذه الإنجازات الاجتماعيَّة للثورة؛ ففي الإصلاح الزراعي حدثت مظالم لأصحاب الأراضي الزراعيَّة وأُهِين الكبار في دورهم، وعوملوا معاملة ظالمة وقاسية، وبعض هذه الممتلكات استفاد منها بعض الضُّبَّاط ـ ضباط الثورة ـ وهذه أشياء كُتِبَت وكُشِفَت.

الثورة والمجانية:

المحاور: اتُّهم ضُبَّاط الثورة بأنَّهم نقلوا مجوهرات أسرة محمَّد علي وباعوها في أوربا، وأخيرًا صدر تقرير هذا الأسبوع نفى ذلك تمامًا، وكل

(١) انظر: الإسلام والمناهج الاشتراكية صـ ١٩٥ ـ ١٩٧، نشر نهضة مصر، ط ٤، ٢٠٠٥م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المجوهرات موجودة في متحف بالإسكندرية لم يخرج منها شيء، إنَّها حرب من أطرافٍ أخرى ضدَّ ضُبَّاط الثورة. ألم يمارس الإقطاع مع الفلاحين أسوأ من تلك المظالم قبل الثورة، ونحن الجيل الجديد لم نتعلَّم إلَّا من الثورة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الاتجاه إلى مجَّانية التعليم بدأ حقيقة قبل الثورة، فنحن نذكر كلمة طه حسين، وهو وزير في وزارة الوفد: «ينبغي أن يكون التعليم كالماء والهواء». وقد وسَّعت الثورة الأمر، لكن الشعار كان موجودًا، وبدأ فعلًا قبل الثورة، وما أنجزته الثورة في هذا المجال ينبغي أن يُرحَّب به.

وحينما أعلن جمال عبد الناصر قرار تأميم قناة السويس بعد خروجنا من السجن الحربيِّ بشهر، وقد خرجنا في (١٦) يونيو (١٩٥٦م)، بعدها احتفل بعيد الجلاء، وبعدها بمدَّة في (٢٦) يوليو حدث هذا التأميم، وتصوَّرْ أنَّ الإخوان كلَّهم وقفوا مع قرار التأميم، وكُلُّنا أيَّدنا هذه الخطوة، وبعض الإخوان ذهب ليتطوَّع في جهات التطوُّع المختلفة، وسلَّموا أنفسهم لها، ونَسُوا جراحاتهم وآلامهم، هذا يجب أن يُذْكَر للإخوان.

وقد ذكرتُ من قبل أنَّ الإخوان أحضروني من قريتي «صفط تراب» لأخطب وأشعل الروح المعنوية في النَّاس ليقفوا ضد العدوان الثلاثي، أذكر أنَّه بعد قيام الجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة، أي الوحدة مع سوريا، وكنتُ أخطب في جامع الزمالك، وجاء بعض الضُّبَّاط لحضور خطبتي عقب هذه الوَحدة، وقالوا: والله، هذه كان يجب أن تُسَجَّل وتوزَّع على مستوى الجمهوريَّة.

QaradawiBooks.com

وكان الأستاذ محمَّد أنس الحجَّاجي من الأقصر حاضرًا، وهو أحد أدباء الإخوان، وكان مُتَيَّمًا بحسن البنَّا، وعلَّق قائلًا: حتَّى تعرفوا أنَّه لا أحد يقوم مقام الإخوان في مثل هذه القضايا. ولقد وفَّقني الله في الكلام عن الوَحْدة، وأهميَّة الوَحْدة، وما قامت به في التاريخ، وما يمكن أن تقوم به في الحاضر.

فالإنجازات الَّتي قامت بها الثورة لا ننكرها، ولكن شابتها شوائب، وكما ذكرتم جاء عصر الانفتاح وذهب كل هذا، وصار تاريخًا.

وبعض هذه الأشياء فيها كثير من المظالم: فبعض النَّاس يعيشون في شُقَق في حي جاردن سيتي والزمالك في أرقى مناطق القاهرة بجنيهات قليلة، وهي تساوي آلافًا الآن.

لقد حدث تعديلٌ الآن في هذا القانون المتعلِّق بإيجارات المساكن القديمة؟

كان هناك أسر تعيش من هذا الدخل، وربَّما كان دخل هذه المساكن لا يساوي دخل البواب القائم على هذه العمارة.

هل انتهت ثورة يوليو؟

المحاور: يقول بعضهم: إنَّ الثورة قد انتهت بموت عبد الناصر، لكنَّ شرعيَّتها ما زالت مستمرَّة، ومنها تستمدُّ الأنظمة والحكومات المختلفة في مصر شرعيَّتها، ما هي رؤيتكم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: ما زلتُ أرى أنَّ ثورة (٢٣) يوليو هي الَّتي تحكم مصر إلى الآن، وهذا هو الواقع من خلال المبادئ، ومن خلال الامتداد والأيديولوجيا العلمانيَّة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولكن لي كتاب يظهر قريبًا[١] قسَّمت فيه العلمانيَّة إلى مستويين: علمانيَّة قريبة ومعتدلة، وعلمانيَّة مُتَطَرِّفة، فعلمانيَّة مصر ليست من النوع المتطرِّف.

وذكرت نموذجَيْن للعلمانيَّة المتطرِّفة: نموذج تركيا، ونموذج تونس، لكن العلمانيَّة في مصر ليست من هذا النوع الَّذي يرفض الإسلام، فيعتبر الصلاة كأنَّها جريمة كما في تركيا، والحجاب جريمة، والأخت الَّتي تلبس الحجاب لا يجوز لها أن تدخل المدرسة أو الوظيفة الحكوميَّة أو أيَّ وظيفة من وظائف القطاع العامِّ، أو تدخل المستشفى للعلاج أو الولادة، وهذا لا يوجد في مصر، ففيها نوع من العلمانيَّة، لكنَّها ليست العلمانيَّة المُتَطَرِّفة المغالية في بعض البلاد.

المحاور: مع تولِّي السادات السلطة حدث توافق بين النظام في مصر وجماعة الإخوان المسلمين، هل كان ذلك ردُّ فعلٍ لموت عبد الناصر؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أعتقد أنَّ السادات أراد أن يتَّجه وجهة جديدة تُظْهر تَمَيُّز شخصيَّته وسياسته عمَّن سبقه، فبدأ يتيح الفرصة للجماعات الإسلاميَّة.

المحاور: هل هي إتاحة فرصة أم تحالف حقيقي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا. لم يكن هناك تحالف، وكل ما في الأمر أنَّه لم يُضيِّق عليهم، ترك لهم الحُرِّيَّة في التعبير. والبعض يقول: إنَّ السادات هو الَّذي صنع الصحوة الإسلاميَّة. وهذا غلط؛ كلُّ ما صنعه هو أنَّه ترك لهم الفرصة كما كانت متروكة للعلمانيِّين، وللشيوعيِّين

(١) التطرُّف العلماني في مواجهة الإسلام، نشر دار الشروق، القاهرة.

QaradawiBooks.com

وللقوميِّين، وللفئات المختلفة، والإسلام إذا تُركت له الحُرِّيَّة، فلا شكَّ أنَّه يسبق ويتفوَّق ويمتلك الساحة؛ لأنَّه هو التيار الوحيد المعبِّر عن ضمير الأُمَّة.

نحن في مصر خاصَّة وأكثر البلاد العربيَّة والإسلاميَّة: الدِّين هو جوهر الحياة، وهو المحرِّك الأوَّل للنَّاس، وهو المتجاوب مع فطرة الشعب؛ ولذلك حينما تتهيَّأ له الفرصة يتجاوب النَّاس معه، وقد جرَّبنا هذا: ففي حرب (١٩٦٧م) كانوا يقولون: الاشتراكيَّة والثوريَّة، ومثل ذلك. وفي حرب (١٩٧٣م) ـ أو (١٣٩٣هـ، كما أُفَضِّل) ـ في العاشر من رمضان ـ وليس (٦) أكتوبر (٧٣) ـ كان الشعار: الله أكبر. وحينما هبَّت نفحات رمضان على الجنود المصريِّين صنعوا الأعاجيب في القناة، واقتحموا خطَّ بارليف، وأبطلوا القوَّة الَّتي لا تُقْهَر؛ قوَّة «إسرائيل»، فالدِّين أساس في هذه الحياة.

أقول: لا نريد معونة من حاكم، لكن كلُّ ما نريده هو إتاحة الفرصة، فالمعركة بين الحركة الإسلاميَّة والحكومات هي أنَّ الحكومات لا تريد أن تُعْطِيَها الفرصة.

عنف الحركة الإسلاميَّة:

المحاور: لكن هذه الحركة الإسلاميَّة تستخدم العنف أحيانًا في حوارها مع السلطة، فالسلطة هنا لا بدَّ أن تُثْبِت وجودها، حيث تُفَكِّر الحركة الإسلاميَّة وتظنُّ أن بمقدرتها التغلُّب على الدولة الحديثة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أي عنفٍ في الحوار؟!

المحاور: هناك ممارسات خاطئة تمَّت لبعض هذه الجماعات، واستُخْدِمَت الجنازير في الصراعات بين بعضهم بعضًا في الجامعات.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذا تيَّارٌ آخر، ليس هو تيَّارَ الإخوان.

المحاور: في رأيكم: هل استخدم السادات الجماعات الإسلاميَّة بالفعل في حربه ضدَّ الناصريِّين والشيوعيِّين؟ وكانت هناك مساجلات بين محمَّد عثمان إسماعيل محافظ أسيوط السابق وآخرين حول دوره في إنشاء هذه الجماعات.

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذه الجماعات تشكَّلت تشكُّلًا طبيعيًّا حينما أُتِيحَت الفرصة، ولم تكن هناك جماعة رسميَّة ينضم إليها هؤلاء الشباب، فبدأ هؤلاء الشباب في الجامعات يُنشئون هذه الجماعات، وكانت مفصولة تمامًا عن الإخوان حقيقة، وعن أيِّ تيار تنظيمي.

المحاور: إذن، الجماعات الإسلاميَّة ليست من عباءة الإخوان كما شاع؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أبدًا، في أوَّل أمرهم لم يكونوا من عباءة الإخوان، هذه الجماعات نشأت نشأة تلقائيَّة، وربَّما كان للإخوان تأثير فيهم، كانوا في فترة من الفترات ليس لهم ارتباطٌ تنظيميٌّ بالإخوان؛ لأنَّني عاصرتُ ذلك، وكان يغلب على هذه الجماعات تيار التشدُّد في أوَّل الأمر، وما زال الدُّعاة المعتدلون ومنهم: شيخنا الشيخ الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ، والفقير إلى ربِّه ـ يعني الشيخ القرضاوي نفسه ـ كُنَّا من المتابعين لهؤلاء الشباب في الجامعات، نحضر مخيَّماتهم، ونُلْقي فيها المحاضرات، ويزوروننا في البيوت..

كان تيار التطرُّف والتشدُّد يغلب عليهم أوَّل الأمر، فما زلنا بهم حتَّى تحوَّلوا إلى تيار الاعتدال، وأصبح التيار المعتدل هو الغالب على هذه

QaradawiBooks.com

الجماعات الإسلاميَّة، خصوصًا الفئات الأولى منهم: عصام العريان، عبد المنعم أبو الفتوح، حلمي الجزَّار.

أذكر أنَّه في فترة من الفترات كان هؤلاء الشباب يتساءلون: هل من المصلحة أن ننتمي إلى جماعة الإخوان أم نبقى هكذا؟!

المحاور: بِمَ كنتُ تشير عليهم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: والله، أقول لك بصراحة: إنَّني كنت أوَّل الأمر أميل إلى أن يبقوا تيارًا عامًّا عائمًا، وليس ملتزمًا بتنظيمٍ يمكن ضبطه أو القضاء عليه بسهولة.

المحاور: وحتَّى لا يُجْهَض.

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم، لكنَّهم هم أنفسهم رأوا أنَّ هناك مُنْعَطَفات في طريقهم، وخَشُوا أن هذه المنعطفات تضيعهم؛ لأنَّ الشباب يأتي له منعطف الوظيفة، ومنعطف التجنيد بالجيش، وعندما يتزوَّج، فتنفكُّ الصلة بالشابِّ.

قالوا: نحن في حاجة إلى إطارٍ يضبط هؤلاء الشباب حتَّى لا يتفلَّتوا، حيث لم يعد هناك اتِّصال بين هؤلاء الشباب بعد تخرُّجهم، فقد رأوا أنَّ الانضمام إلى جماعة منظَّمة يكون أضبط لأمرهم وأدعى إلى الاستمرار؛ لأنَّ الخشية أن يظل الشابُّ شعلة من الحماس ما دام طالبًا في الجامعة، ثمَّ تنطفئ هذه الشعلة بعد التجنيد أو التخرج أو الزواج؛ لذلك انتهوا بالانضمام إلى تنظيم الإخوان ـ وهذا بالنسبة للأكثريَّة من هؤلاء الشباب ـ والإخوان شجَّعوهم على تيَّار الاعتدال.

فالإخوان حقيقة بعد أن خرجوا من السجون أيَّام السادات تركوا مسألة العنف تمامًا، واتَّجهوا إلى تيار التثقيف والتربية والتوجيه والتغيير السلمي

QaradawiBooks.com

فـي المجتمع، ولم يُعـرف عنهم حادثـةٌ واحدة من ذلـك الوقت: أنَّهم استعملوا العنف أو شاركوا في حادثة من حوادث العنف؛ وهذا للتاريخ.

عنف الإخوان والجماعات:

المحاور: إذا كانوا حسَـب قولكم: قد تركوا العنف منذ خرجوا من السجون أيَّام السـادات، فهل يعني ذلك أنَّ تاريخهم قبل ذلك قد اتَّصل بدائرة العنف؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أقول لكم بصراحة: الإخوان لم يكونوا من دُعاة العنف في وقت من الأوقات، العنف الَّذي عرفت به جماعة الجهاد أو الجماعة الإسـلاميَّة أو الجماعات المسلحة في الجزائر؛ لم يكن هذا شـأن الإخوان في وقتٍ مـن الأوقات، ما هـو العنف الَّـذي اتُّهم به الإخوان؟ بعض حوادث كانت ضدَّ الوجود اليهودي في القاهرة، شركة الإعلانات الشرقيَّة.

المحاور: هذا عملٌ وطني، لكن قتل النقراشي ألا يعدُّ عملًا متَّصلًا بالعنف؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: نعم، وقتل النقراشـي كان ردَّ فعلٍ لحلِّ الإخوان.

المحاور: هل كان تصرُّفًا فرديًّا أم بأمر من قيادة الجماعة؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: ثبت فـي التحقيق أنَّـه كان عملًا فرديًّا؛ عبد المجيد حسـين وعدد معه، فالإخوان غير مسـؤولة عن هذا العمل بصـورة طبيعيَّة؛ لأنَّها لـم تكن موجودة رسـميًّا، فلا يجـوز لا قانونًا ولا شرعًا أن تُحَمِّل جماعة أنت قمت بحلِّها!

QaradawiBooks.com

المحاور: وماذا عن قضيَّة قتل الخازندار في رأيكم؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: هذه قضيَّة ثبت بتأكيدٍ ويقين أنَّها عُمِلَتْ بغير رأي الأستاذ البنَّا، وأنَّه أنكرها بعد حدوثها، وكانت الحادثة من رأي عبد الرحمن السندي رئيس التنظيم الخاصِّ في ذلك الوقت.

وممَّا يدلُّ على هذا أنَّ الإخوان حُوكموا محاكمات عســكريَّة ظالمة، وحُكم عليهم بأقصى أنواع الأحكام في عهــد الثورة أكثر من مرَّة، ومع ذلك لم يُفَكِّروا في أن ينتقموا من هؤلاء القضاة، حتَّى القضاة العسكريِّين، فلم يفكر الإخوان في قتل حسين الشافعي أو أنور السادات، حتَّى حمزة البسيوني فإنَّ الله هو الَّذي قتله شَرَّ قِتْلة، انتقم القدر منه، فكلُّ الأحداث الَّتي نُسِبَت إلى الإخوان لها مبرراتها ومعظمها حوادث وطنيَّة.

مقتل السادات:

المحاور: كيف تُفَسِّر ارتباط العنف ببعض فصائل الحركة الإسلاميَّة في مصر والجزائر والَّذي بلغ مداه ـ مثلًا ـ في مصر بمقتل السادات؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الحركة الإســلاميَّة، أو الصحوة الإسلاميَّة ليســت فصيلًا واحدًا، دائمًا هناك فصائل عدَّة، وأنــا أتحدَّث عن التيار الأوســع قاعدة، والأعرض جمهورًا، والأقدم تاريخًا، والأرســخ قدمًا، والأطول عمرًا، وهو التيار المعتدل، التيار الوسطي.

جماعــة التكفير والهجــرة، والجهــاد، والجماعة الإســلاميَّة، هي جماعات محدودة العدد، ومساحتها محدودة، ولكن للأسف الإعلام هو الَّذي يُضَخِّمها لحاجةٍ في نَفْس يعقوب! وليس لها انتشــارٌ في الشعب، ولكن ضخَّم هؤلاء دورهم.

QaradawiBooks.com

ومعظم هذه الجماعات بدأت في الصعيد، وأنتم تعرفون أنَّ الصعيد له خصوصيَّته، في أنَّه لا يقبل الضيم أو الإهانة، فكيف تأخذ واحدًا من بيته وتصفعه، هذه فيها دماء، أو تهين أُمَّه أو أباه، وهذا كان يحدث.

المحاور: إذن عنف السلطة هو الَّذي بدأ في مصر في عصر السادات؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم، عنف السلطة بدأ في عصر السادات، وبعض النَّاس تمَّ الاعتداء عليهم في المسجد، وكانت هذه الجماعات مهيَّأة والتربة صالحة، ولذلك فإنَّهم كانوا يتَّهمون الإخوان أنَّهم خانوا مبدأهم، فقد دعوا للجهاد، والآن تركوا مبدأ الجهاد، وكثيرًا ما كانت تحدث بينهم وبين الإخوان معارك بالجنازير في أسيوط والمنيا، في الصعيد بالذات، الَّذي نمت فيه حركة العنف، والسلطة أيضًا لم تُحْسِن معاملة هؤلاء كما ينبغي، ظنَّت أنَّ المعالجة الأمنيَّة هي المعالجة الوحيدة، ولكن العقلاء والحكماء كانوا يرون أنَّ المعالجة الفكريَّة كان يجب أن تكون قبل المعالجة الأمنيَّة، ولذلك كاد الحكماء يصلون إلى حلٍّ مع هؤلاء الشباب، حينما كان يذهب إليهم في السجون الشيخ الغزالي ود. عمارة وهويدي، واتَّفقوا معهم على أشياء، لكن السلطة رفضت هذا، فالسلطة أيضًا دفعتهم للاستمرار في هذا العنف.

اتِّهام القرضاوي والغزالي:

المحاور: ما رأيكم في الاتِّهام الموجَّه إلى فضيلتكم وإلى الشيخ الغزالي في أنَّكما السبب في صعود ظاهرة العنف في الجزائر؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: كان معي اليوم (الأربعاء: ٢٠٠٠/١/١٩م) القائم بأعمال السفارة الجزائريَّة في الدوحة زارني في المكتب، وكان من

QaradawiBooks.com

حديثه معي أنَّ الشيخ الغزالي هو أوَّل من دعا إلى الاعتدال. وكان التيار الغالب على الصحوة الإسلاميَّة في الجزائر هو تيار الاعتدال، وتوَّج هذا اعتراف السلطة بإنشاء حزبٍ سياسيٍّ إسلامي.

ولذلك ذهبتُ مع الشيخ الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ خِصِّيصًا لنلقى الشاذلي بن جديد رئيس الجزائر، ونشكره ونُحَيِّيه على هذه الخطوة الشجاعة بالسماح للإسلاميِّين بالعمل السياسي، وتحدَّثتْ عن ذلك صحف وإعلام الجزائر، ونحن نريد أن نثبت هذا.

وقد قلتُ لبعض ضُبَّاط الأمن الَّذين زاروني في القاهرة، سألوني عن رأيي في الإخوان، قلتُ: الإخوان طَلَّقوا العنف. قالوا: لكنَّهم يُقِيمون تنظيمًا على خلاف القانون! قلت: ولماذا تلجئونهم إلى أن يعملوا تنظيمًا؟! اسمحوا لهم أن يقيموا تنظيمًا علنيًّا، على مرأى منكم، أهم قادمون من خارج الوطن أم نابعون من تراب أرض مصر؟ لماذا لا يكون لهم الحقُّ مثل غيرهم، ويعملون كالآخرين؟

لذلك، فإنَّ خطوة رئاسة الجمهوريَّة في الجزائر ـ حينما اتَّخذت هذه الخطوة ـ كانت خطوة مشكورة.

وقد اشتغل الإسلاميُّون في المجال السياسي على أساس اللعبة الديمقراطيَّة، ورشَّحوا أنفسهم في البلديَّات، ثمَّ رشَّحوا أنفسهم في المجلس الوطني وأخذوا الأغلبيَّة، ولكن هم الَّذين قُطع عليهم الطريق، ولم يُسمح للشعب أن يختار ما يشاء، وذلك بفعل المؤسَّسة العسكريَّة.

على كلِّ حالٍ نرجو للجزائر في عهدها الجديد أن تُوَفَّق ويُوَفَّق قانون الوئام المدني هذا ليستوعب فئات الشعب الجزائري وتحدُث مصالحة.

QaradawiBooks.com

وهذا ما نأمله في عهد الرئيس بوتفليقة، ونسأل الله أن يعمَّ السلام والاستقرار في الجزائر الَّتي أهتمُّ بها اهتمامًا خاصًّا.

الشباب المسلم في القرن الجديد:

المحاور: ما هي الصورة الَّتي تودُّ أن يكون عليها الشباب المسلم في القرن الجديد؟ هل ولَّى عصر الانتماء إلى جماعة معيَّنة؟ ما هي صورة التربية الَّتي يجب أن يُرَبَّى عليها هؤلاء الشباب؟ هل صورة الحزب السياسي في المجتمع هي الصورة المثلى؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أرى أنَّ العمل لخدمة الإسلام ونُصْرة قضاياه في هذا العصر لا يتمُّ بالعمل الفردي ولا بالجهود المبعثرة، لا بدَّ من عمل جماعي، والعمل الجماعي في نظري فريضة وضرورة: فريضة يُحَتِّمها الدِّين، وضرورة يُحَتِّمها الواقع.

الدِّين يأمرنا أن نعتصم بحبل الله جميعًا ولا نتفرَّق: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، و«**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشُدُّ بعضه بعضًا**»(١)، و«**يد الله مع الجماعة**»(٢)، «**إنَّما يأكل الذئبُ من الغنمِ القاصيةَ**»(٣). فالدِّين يأمرنا بأن نتجمَّع حتَّى نؤثِّر.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٦)، وقال: حسن غريب. وصحَّحه الألباني في إصلاح المساجد (٦١)، عن ابن عباس.

(٣) رواه أحمد (٢١٧١٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٥٤٧)، والنسائي في الإمامة (٨٤٧)، والحاكم في التفسير (٤٨٢/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه النووي في المجموع (١٨٧/٤)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

والآن في الاقتصاد هناك ما يُسَـمُّونه «الإنتـاج العريض»، فالإنتاج الصغير ما عاد يسـتطيع أن ينافس وأن يقدر على عمل شيء أمام القوى الكبرى المنتجة.

وأيضًا العمل الإسـلامي في حاجة إلى عملٍ عريضٍ وكبيرٍ ولذلك أقول: إنَّ الواقـع أيضًا يُحَتِّم علينـا هذا، أن نُحَقِّق أهدافًـا كبرى تُحَرِّر الأوطان المستعبدة، تقاوم الأخطار الأجنبيَّة، تُوَحِّد الأمَّة الممزَّقة، تُحَقِّق آمال الأُمَّة في العدالـة الاجتماعيَّة، في الحُرِّيَّة، في إقامة نظم شـوريَّة ترعى حقوق الإنسان وحرماته. وهذا لا يمكن أن يتحقَّق بعمل فردي أو بجهود ضعيفة.

لذلك نـرى غير المسـلمين ـ خصوم الإسـلام ـ يعملون بشـكل تكتُّلات: قوى كبيرة، مؤسَّسات، جماعات وجمعيَّات. لا يعملون فُرَادى، فكيف نبقى نحن نعمل فُرادى، خصوصًا أنَّنا نحمل هموم أُمَّة كبرى.

وقضايا التخلُّف وقضايا التمزُّق وقضايـا الضياع هذه لا يمكن أن تتمَّ إلَّا بعملٍ جماعيٍّ، ولكنَّ المسلم عليه أن يختار الجماعة الَّتي يعمل من خلالها.

الجماعة المُثْلَى:

المحـاور: هل لا بدَّ من جماعـة للعمل إذنْ؟ وما هـي صورة هذه الجماعة المُثْلى؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: العمل الجماعي يعني أن تنشئ جمعيَّة أو مؤسَّسة أو رابطة أو اتِّحاد.

المحاور: ليس شرطًا إذنْ، أن يكون العمل الجماعي سِرِّيًّا؟

QaradawiBooks.com

فضيلة الشـــيخ القرضـــاوي: بالعكس يجب أن يكـــون العمل علنيًّا، فالأصل في العمل أن يكون علنيًّا، وكل ما نشـــكو منه السريَّة، ولذلك نقول: لماذا تجبرون العمل الإسلامي على أن يعمل سرًّا؟ دعوه يعمل في الهواء الطلق، افتحوا النوافذ لتهُبَّ منها النسمات.

لذلك كنت من أشدِّ النَّاس الَّذين فرحوا بالعمل العلني في النقابات مثلًا في مصر، والعمل من خلال اتِّحادات الجامعـــات، واتِّحاد هيئات التدريس، واتِّحادات الطلاب.

لكن للأسف السلطات لم تقبل هذا، وحاربته، وأرادت أن يُحرم العمل الإسلامي من أن يعمل كغيره، سدَّت عليه الأبواب وأغلقت عليه الطرق.

المحاور: هل كانت السريَّة هي البديل؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم، لذلك أرى أنَّه لا بدَّ من عملٍ جماعيٍّ وعلنيٍّ وأمام النَّاس.

المحاور: وإذا رُفِضَ، فهـــل البديل هو العمل الجماعي السِّـــرِّي أم العمل الفردي؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: العمل الفردي لا يُجْدي، فكيف تستطيع أن تقف أمام المنظَّمات الصهيونيَّة وحركاتها، أو الماســـونيَّة وألاعيبها، أو الماركســـيَّة وجماعاتها، أو الفلســـفات المختلفة وهي تعمل بشكلٍ مُنَظَّمٍ لمؤسَّسات.

لا بدَّ أن يعمل الجميع بتعاونٍ في شكلٍ ما، مؤسَّسات ثقافيَّة لمن يعمل في الثقافة، اقتصاديَّة لمن يعمل في الاقتصاد، خيريَّة لمن يعمل في الخير، تربويَّة لمن يعمل في التعليم، كلُّ واحد يعمل في الجهة الَّتي يُحِبُّها.

QaradawiBooks.com

المحـــاور: يقول البعض: لا بـــدَّ من حركة عالميَّة تســـتوعب جميع الحركات والجماعات في العالم، فكيـــف يمكن أن يتحقَّق ذلك؟ وهل يمكن إذا لم تقُم تلك الحركة العالميَّـــة أن تتعدَّد الجماعات والحركات في رأيكم؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: هذا حلم غير واقعـــيٍّ، وليس ممكنًا أن نجمع النَّاس في جماعة واحدة أو حركة واحـــدة، فالناس يختلفون في الأهداف، وفـــي ترتيب الأهداف حتَّـــى لو اتَّفقوا عليهـــا، يختلفون في الوسائل والمناهج المُوَصِّلة للأهداف، ويختلفون في المفاهيم المشتركة الَّتي تحكم هذه الحركة، ويختلفون على الأشـــخاص أنفســـهم، فكيف تجمع النَّاس على هذا كُلِّه؟ إنَّه ليس من السهل.

ولكن نحن لا نرى بأسًـــا من تعـــدُّد الجماعات العاملة للإســـلام، والحركات الَّتي تعمل في ساحته، بشرط أن يكون بينها قدر من التنسيق والتفاهم والتعاون، بدل أن يحاول بعضها أن يهدم الآخر ليَبْنِيَ نفســـه، تحاول أن يكون تعاون بينها في الأمور الإيجابيَّة، وأن يقف الجميع صفًّا واحدًا في القضايا المصيريَّة مثل قضيَّة الشيشان الآن، البوسنة والهرسك، وكوسوفو من قبل، وقضيَّة فلسطين القضيَّة المحوريَّة والمركزيَّة الأولى للمســـلمين، قضيَّة أولى القبلتين والمسجد الأقصى، هذا ما أراه بالنسبة للصحوة الإسلاميَّة ووَحْدة فصائلها المختلفة.

هل تحولَّت الجماعة إلى تاريخ؟

المحـــاور: باعتبار جماعة الإخـــوان المســـلمين الجماعة الأقدم في تاريخ العمل للإســـلام في العصر الحديث، هل يمكـــن اعتبارها تاريخًا الآن، بحكم واقعها العملي في مصر وفي البلدان الأخرى، وسواء أكان

QaradawiBooks.com

مُضَيَّقًا عليها أم لا؟ كما أنَّها لم تُقَدِّم شيئًا بَعْدَ رسائل البنَّا. وبعبارةٍ أخرى: أين جماعة الإخوان المسلمين الآن؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: جماعة الإخوان المسلمين توجد في أكثر من (٧٠) قطرًا من أقطار العالم.

المحاور: ما هي مظاهر هذا الوجود؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هناك وجود علني في الأردن (جبهة العمل الإسلامي)، وفي اليمن (التجمُّع والإصلاح)، في إندونيسيا (حزب العدالة)، في بعض البلدان لها وجود عملي، وفي الآخر لها وجود ثقافي أو اقتصادي أو خيري.

ادِّعاء بأنَّ الإخوان المسلمين صارت تاريخًا ادِّعاء غير صحيح، ومن يقول ذلك لا يعرف شيئًا عن الإخوان، فالإخوان حركة إيجابيَّة، وحركة متوازنة، وحركة شاملة، تشبع النَّهم الروحي عند الشباب المسلم، وتملأ كثيرًا من الفراغ عندهم.

وما ذكرتَ عن عدم تقديمها شيئًا بعد رسائل البنَّا ليس صحيحًا، فكلُّ إنتاجنا هذا هو إنتاجٌ للإخوان المسلمين، وإن كنتُ غير مرتبط برباطٍ تنظيمي، لكنِّي في خطِّ الإخوان، وفي هذا المنهج الشمولي المتوازن، وما أنتجه البنَّا، وما أنتجه سيِّد قُطْب، وما أنتجه حسن التُّرابي، ومصطفى السباعي، وعبد القادر عودة، هناك عَشَرات المفكرين الَّذين أسهموا في تراث الإخوان.

وهناك أناس ليسوا من الإخوان لكنَّهم في هذا الخطِّ مثل إنتاج د. محمَّد عمارة، ود. كمال أبو المجد، وفهمي هويدي، وعادل حسين، وهؤلاء يمشون في هذا الخطِّ، ويصبُّون في هذا النهر الكبير.

QaradawiBooks.com

فالإخوان لم تَعُدْ الآن جماعة محدودة، أصبحت خطًّا إسلاميًّا، وتيَّارًا عامًّا، فكلُّ من يتبع هذا التيَّار وينادي بالإسلام بوصفه منهاجًا للحياة، ويقف في مواجهة المناهج الأخرى الليبراليَّة أو الماركسيَّة، ويتميَّز بشموله ووضوحه وربَّانيَّته وإنسانيَّته وأخلاقيَّاته وتوازنه؛ أرى أنَّ ذلك تيار الإخوان، فليس الإخوان تاريخًا.

طروحات القرضاوي:

المحاور: ما هو موقف جماعة الإخوان من فكر د. القرضاوي وطروحاته؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: تبنَّى الإخوان مقولاتي في السنوات الأخيرة حول التعدديَّة، وكانت مرفوضة في أوَّل الأمر، خاصَّة من خلال كلام الأستاذ البنَّا بأنَّ الإسلام لا يُقِرُّ الحزبيَّة، كان يتحدَّث عن أحزاب زمنه، وكيف فرَّقت الأُمَّة، واستفاد الاستعمار من هذا التمزُّق، لكنَّهم أقرُّوا التعدديَّة، وصدر بيان منهم بذلك. وحول المرأة أيضًا، تبنَّوا القضايا الَّتي تعطي المرأة حقَّ الانتخاب وحقَّ الترشيح، وهذا تطوُّر، استفاد الإخوان من أطروحاتي وأطروحات الشيخ الغزالي وغيرنا من العلماء والمُفَكِّرين.

المحاور: تعتبر فتاوى القرضاوي علامة بارزة في الفكر الإسلامي في القرن العشرين. ما هو المنظار الَّذي يحكم رؤيتكم في وسطيَّة الفتوى الَّتي صارت مقبولة ومحلَّ ثقة من جماهير العالم الإسلامي في كلِّ مكان؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: في فتواي أحمد الله أنِّي أنظر إلى الإسلام بعينٍ، وإلى العصر بعينٍ أخرى، إلى الإسلام وأصوله وتراثه، والعصر وتياراته ومشكلاته.

QaradawiBooks.com

في نظري إلى الإسلام لا يُهِمُّني أن أرضي أطرافًا معيَّنة، فلا يُهِمُّني أن أرضي أصحاب السلطان، كما يفعل بعض النَّاس، يفتون فتاوى بما تريده السلطة، أحمد الله أنِّي لم أفعل هذا أبدًا، وقد يتَّفق رأيي مع بعض السلطات أو تستفيد منه، وهذا لا يضيرني.

كما لا يُهِمُّني أن أرضي العوامَّ، فبعض النَّاس لا ترضي السلطات لكنَّها تحاول إرضاء الجماهير، تبحث عن أهواء النَّاس، فإذا كان النَّاس يُحِبُّون التشدُّد يزايدون على التشدُّد، وهذا للأسف ما يقع فيه بعض النَّاس، وهذا أخطر، أن يُفْتي الَّذي يَتَّبع أهواء العوامِّ لإرضائهم والمزايدة على ما يُحِبُّون، هذا أشدُّ خطرًا ممَّن يتبع أهواء السلاطين.

المحاور: ولماذا هذه الخطورة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لأنَّ الَّذي يتَّبع أهواء السلاطين سرعان ما يُكْتشف ويتبيَّن زيفه، إنَّما الَّذي يتَّبع أهواء العامَّة يصعب أن يكشف إلَّا عند الخاصَّة وذوي البصيرة من النَّاس.

أنا لا أتَّجِه في فتواي إلَّا أن تكون الفتوى مبنيَّة على مراعاة النصوص الجزئيَّة والمقاصد الكُلِّيَّة للشريعة، فبعض النَّاس يتمسَّك بالنصِّ الجزئي فقط، ويغفل مقصد الشرع، فيقع في الأخطاء، والبعض يقول: أمسكْ بالمقصد ولا علاقة لي بالنصوص، مثل معظم الَّذين يدَّعون التجديد من العلمانيِّين. يقولون: إنَّ مُهِمَّتنا أن نتمسَّك بالرُّوح الإسلاميَّة ونُهْمِل النصَّ؛ هذا لا يجوز، فهذه النصوص لم تنزل عبثًا، بل لها ضوابط لا بدَّ منها، فأنا أحاول أن أوازن بين الأمرين.

المحاور: هل هناك قضيَّة محدَّدة يمكن أن تكون نموذجًا لفتواك الَّتي تراعي فيها النصَّ الجزئيَّ والمقصد الكُلِّيَّ للشريعة؟

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: أحدث هذه القضايا هي قضيَّة رؤية الهلال في رمضان وفي العيد، وهذا كتبتُه في كتابي «كيف نتعامل مع السُّنَّة؟».

أنا أرى أنَّ هناك مقاصد ثابتة للشرع ووسائل مُتَغَيِّرة، يجب أن نتمسَّك بالمقاصد الثابتة، والوسائل يمكن أن تتغيَّر، فالشرع قد قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فجهاد الأعداء هو المقصد، ورباط الخيل هو الوسيلة، فإذا كان هناك الآن رباط الدبابات ورباط المدرَّعات، فهو قد أصبح رباط الخيل في عصرنا.

فالرسول ﷺ قال: «**صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته**»[1]؛ لأنَّ الرؤية كانت السبب الوحيد لمعرفة الشهر، الوسيلة الوحيدة، الآن أصبح عندنا وسائل أكثر قدرة على معرفة بداية الشهر ونهايته، وهو الحساب الفلكي، فلماذا لا نستخدمها؟! كيف أترك الأقوى وأستخدم الأضعف.

هناك من العلماء من قال: نأخذ بالحساب الفلكي: الشيخ أحمد شاكر، والشيخ مصطفى الزرقا رحمهما الله.

وقد عرضتُ على مجمع الفقه رأيًا، هو أنَّه لا مانع أن نأخذ بالرؤية ونجعل الرؤية البصريَّة الأساس في اعتماد إثبات الشهر، ولكن بشرط ألَّا يقول الحساب العلمي الفلكي: إنَّ الرؤية مستحيلة. فإذا قال: إنَّ الرؤية مستحيلة. فلا آخذ بشهادة الشهود، مثلما قال الحساب في ليلة العيد، قال: رؤية الهلال ليلة الجمعة مستحيلة في أيِّ مكان في العالم.

فإذا أخذنا بهذه الفتوى ـ وهي فتوى قديمة قال بها الإمام تقي الدِّين السُّبْكي، قال: إنَّ القاضيَ إذا جاءه شاهدٌ أو شاهدان، وشهد أنَّهما رأيَا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الهلال والحساب يقول بعدم إمكان ذلك، على القاضي أن يردَّ الشهود؛ لأنَّ شهادة الشهود ظنيَّة والحساب قطعي، والظنِّي لا يقاوم القطعي فضلًا عن أن يُقَدَّم عليه[١].

وهذا عرضته على مجمع الفقه الإسلامي لكنَّهم للأسف لم يوافقوا عليه، قام من قال: لو كان الحساب قطعيًّا كما يقول الشيخ القرضاوي لانتهت القضيَّة، لكن من قال: إنَّ الحساب قَطْعي، إنَّه ظَنِّي، بدليل أنَّ الحاسبين يختلفون بعضُهم مع بعض. وهو يقصد بالحاسبين جماعة الرزنامات مثل: العجيري في الكويت، وفي قطر، وأم القرى.

وأنا لا أقصد ذلك الحساب، وإنَّما أقصد الحساب العلمي الَّذي على أساسه وصل الإنسان إلى القمر، وحاول أن يذهب إلى المريخ، والَّذي قال لنا: إنَّ كسوف الشمس سيقع في يوم كذا، والدقيقة كذا، والثانية كذا، وقبل أن يقع بسنين، ويقع كما أخبرنا تمامًا.

وفي البلد الفلاني يكون كُلِّيًّا، وفي الآخر جزئيًّا، وفي الثالث حَلْقِيًّا كما أخبر. هذا هو أساس فتاواي.

وأحمد الله أنَّ المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث تبنَّى هذا الرأي، وأصدر فتوى جماعيَّة باعتماد الرؤية، بشرط ألَّا تخالف الحساب الفلكي، ولا يقول الحساب: إنَّ الرؤية غير مُمْكِنة.

أربعون عامًا في قطر:

المحاور: ما مدى تدخُّل قطر في فتاواك وأنت تقيم بها منذ ما يقرب من أربعين عامًا؟

(١) انظر: فتاوى السبكي (٢٠٩/١)، نشر دار المعارف.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: لم يتدخَّل أحد في قطر في فتاواي في يومٍ ما، وهذا يجب أن يُذْكَر للتاريخ، ولم يقُلْ لي أحد يومًا من الأيام: أنت تشـدَّدت في الخطبة الفلانيَّة أو فـي الفتوى الفلانيَّـة أو برنامج هَدْي الإسلام في «تليفزيون قطر»، أو الشَّريعة والحياة في «قناة الجزيرة»، لم يحدث هذا طَوَال وجودي في قطر.

حتى إنَّني كنتُ أخطب أحيانًا بعض الخطب الناريَّة، ثمَّ أسـافر عدَّة أسـابيع، فيقول بعض النَّاس: إنَّهم منعوا القرضـاوي من الخطابة، مثل الخطبة الأخيرة، ثمَّ أعود مرَّة أخرى، فيتبيَّن أنَّه لم يمنعني أحد.

المحاور: ولم يلفت أحد نظرك من بعيدٍ إلى شيءٍ من شدَّة الفتوى؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: لم يلفت أحدٌ نظري لا من قريبٍ أو من بعيد بالتصريح ولا بالتلميح إلى شيء من هذا، أنا حرُّ نفسي، وأنا الَّذي أراعي الأمور أيضًا، فلسـت أحمقَ بحيث أقول أشياء لا تليق أو تُوَرِّط، أزن الأمور بحكمةٍ وميزان، لكن أقول الحقَّ دائمًا.

المحـاور: لكن بعض النَّـاس خاصَّة السـفراء ينزعجون من بعض الخطب والفتاوى؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: بالفعل، بعض السفراء يشتكون إلى سمو أمير قطر حفظه الله، لكن حقيقة ـ أشـكر لأمير البلاد الشـيخ حمد بن خليفة آل ثاني ـ يردهم ردًّا حسنًا ويقول لهم: نحن لا نتدخَّل في شؤون علمائنا وعرفهم هـذا، والحمد لله علاقتي بالأميـر وبالنَّاس علاقة طيِّبة قائمة على المودَّة والتقدير، أحمد الله ﷻ على هذا.

المحاور: تـرى ما هي الأسـباب الَّتـي أدَّت إلى اسـتبداد جمال عبد الناصر؟

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: ممَّا أذكره أنَّ الثورة في بدايتها أنشأت جريدة الجمهوريَّة، كان يكتب فيها قادة الثورة كلمة كلَّ يوم، مثل السادات وصلاح سالم.

وممَّا أذكره أنَّ عبد الناصر كتب كلمة قال فيها: لماذا يبدأ النَّاس صالحين ثمَّ ينقلبون مستبدِّين؟! ومثَّل لذلك بالملك فاروق الَّذي كان النَّاس يُحِبُّونه ويهتفون بحياة الملك الصالح، ومصطفى النحَّاس بدأ رجلًا صالحًا والتفَّ حوله المصريُّون، وذكر عددًا من الشخصيَّات، بدأت صالحة وانتهت بنوعٍ من الاستبداد والطغيان، ثمَّ ذكر وقال: أظنُّ أنَّ السبب في ذلك يرجع إلى ما يقوله المصريُّون، وهو الشعب نفسه هو الَّذي يُمَكِّن هؤلاء، فالشعب عندنا يقول: «المال السائب يُعَلِّم السرقة»، والحكمة تقول: «الثقة المطلقة تعلم الطغيان».

فيبدو أنَّ المال السائب والثقة المطلقة الَّتي أعطيت لعبد الناصر هي الَّتي دفعت به إلى الاستبداد والطغيان.

المحاور: لكنَّ حبَّ الجماهير الغفيرة من مختلف الفصائل لعبد الناصر، وخروج أكثر من خمسة ملايين مسلم مصري في مصر بالذات وغيرهم في الدول العربيَّة في جنازته، لو كان طاغيًا إلى هذا الحدِّ، ومستبدًّا؛ فلماذا أحبَّته الجماهير، والجماهير ليس عليها سيف مسلَّط، ليست مجبورة للخروج للهتاف بحياة الزعيم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا شكَّ أنَّه كانت هناك جماهير كثيرة تُحِبُّه وتتعاطف معه، والشعب المصري شعبٌ عاطفي، وعبد الناصر مات كأنَّه أُخذ، يقول المصريُّون: «اتاخد غدر» مات فجأة، فالناس قد تأثَّروا بهذا، ومن رأيي أنَّ هبَّة الشعب الَّتي يقولون عليها (٩) يونيو، كانت تأثيرًا

QaradawiBooks.com

عاطفيًّا من الناس؛ لأنَّ عبد الناصر ظهر بنفسه، وقال: أنا أتحمَّل المسؤوليَّة كاملة بصوت فيه الحزن والتأثُّر.

صحيحٌ أنَّه كانت هناك خُطَّة لإخراج الجماهير، لكن الكثيرين خرجوا تلقائيًّا، هذا التأثُّر العاطفي عند الشعب المصري لا ينكره أحد.

المحاور: شاركتَ مؤخَّرًا في المؤتمر القومي الإسلامي ببيروت، كيف تنظر إلى أهميَّة هذا المؤتمر؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: بدأ المؤتمر القومي الإسلامي عام (١٩٩٤م)، وقد حضرت مؤتمره الأوَّل الافتتاحي ببيروت (اللجنة التأسيسيَّة)، وأُعتبر عضوًا به؛ لأنَّني أريد تجميع عناصر له، فلا يستفيد من تفتيت الأُمَّة غيرُ أعدائها، فنحن ننادي كلَّ من فيه خيرٌ، يجب أن نلتقي به، ولذلك فقد قلت في هذا اللقاء الافتتاحي: إنَّ هذا المؤتمر هو للمُعْتَدِلين من التيارين: من التيار الإسلامي، ومن التيار القومي؛ لأنَّ هناك متشدِّدين في التيار الإسلامي لا يقبلون ذلك، وهناك متشدِّدون أيضًا في التيار القومي ـ مثل العلمانيِّين واللادينيِّين ـ لا يقبلون ذلك، أمَّا نحن فنجمع المعتدلين.

بل إنِّي حضرت في بيروت نفسها أيضًا مؤتمرًا بعد ذلك تحت شعار «مسلمون ومسيحيُّون من أجل القدس»، وحضره كثير من القساوسة ورجال الدِّين المسيحيِّين في لبنان وسوريا ومصر وفلسطين والأردن، وحضر الأنبا شنودة، فما دام من أجل القدس فلا مانع.

وأنا آخذ بالقاعدة الذهبيَّة الَّتي أتبعها دائمًا في تعاملي مع الجماعات الإسلاميَّة المختلفة، والجماعات القوميَّة وغيرها؛ هي هذه القاعدة: نتعاون فيما اتَّفقنا عليه، ويُسامح بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

QaradawiBooks.com

المحاور: تقدَّمت فصائل عدَّة من الجماعات الإسلاميَّة ومن شباب سابق في الإخوان بطلبات للعمل السياسي من خلال عدد من الأحزاب، ورفضت السلطات طلب الجميع. هل يتحوَّل الشباب الإسلامي من العمل السِّرِّي إلى العمل السياسي كثمرة لتجارب عدَّة مرُّوا بها، وكانت نتيجتها عمليات إجهاض مستمرَّة للعمل السِّرِّي؟ وهل هناك قبول لفكرة الديمقراطيَّة الآن لدى الإسلاميِّين؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الحركة الإسلاميَّة كائنٌ حيٌّ يتفاعل مع المجتمع، ومع العالم من حوله، ويتجاوب مع الأحداث، ولا يمكن أن تعيش الحركة في قمقم، معتزلةً ما حولها، وما يجري من قريب ومن بعيد في عالمها الخاصِّ، وفي عالمها العامِّ؛ ولذلك تتطوَّر الأفكار والرُّؤى ما بين حينٍ وآخر، وبعض هذه المفاهيم الَّتي كُنَّا نعرضها من سنين مثلًا حول مشروعيَّة التعدديَّة في الفكر الإسلامي وفي الفقه، ومشروعيَّة الديمقراطيَّة الَّتي كان بعض النَّاس يصفها بالكفر، ولا زال بعضهم يردِّد هذا ويقول: الديمقراطيَّة تعني حكم الشعب، والإسلام يعني حكم الله، وهما متناقضان.

وكم كُنَّا نقول لهم: إنَّ الديمقراطيَّة ليس معناها حُكْم الشعب في مقابل حكم الله، ولكنَّها تعني: حكم الشعب في مقابل حكم الفرد المطلق الَّذي يستبدُّ بالأمور ولا يدع للشعب فرصةً ليُعَبِّر عن نفسه ويقول: نعم أو لا بحُرِّيَّة ونزاهة، فنحمد الله أن بعض الحركات الإسلاميَّة، وهناك عدد منها تبنَّى هذا الرأي، وهذا دليلٌ على الحيويَّة، فما دامت الحركات قادرة على أن تطوِّر نفسها، وأن تغيِّر من رأيها؛ فهذا دليل على التجدُّد والحيويَّة كما قلت؛ لهذا أُحَيِّي وأبارك هذا التوجُّه من

QaradawiBooks.com

الشـــباب نحو العمل السياســـي الديمقراطي، وأرى أنَّه التوجُّه الصالح للتعامل مـــع الحياة المعاصـــرة، ومع المعطيـــات الفكريَّة والسياســـيَّة والإقليميَّة والدوليَّة والمَحَلِّيَّة.

المحاور: وكيف ترون موقف السلطات من هذا التوجُّه؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: إنَّني أطالب الســـلطات في بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة أن تتجاوب مع هذا التوجُّه، وأن تُعْطي للإسلاميِّين الحقَّ في هذا الوجود السياسي.

المحاور: لكن القانون القائم يرفـــض قيامَ حزبٍ دِينيٍّ، كما أنَّ هناك خشية أن يطالب المسيحيُّون بحزبٍ ديني لهم؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: أي قانون البشـــر هم الَّذين يضعونه، في بعض البلاد أجيز هذا، كنت في إندونيسيا من فترة قريبة، ووجدت هناك أحزابًا تتحدَّث باسم الإســـلام منها: العدالة، وهو يمثل جماعة الإخوان المسلمين هناك، وهناك أحزاب تُمَثِّل المجلس الأعلى للدعوة الإسلاميَّة الَّذي كان قد أسســـه د. محمَّد ناصر، لا مانع من هذا. وفي اليمن: حزب التجمع والإصلاح، وتوجهه الإسلامي معروف. وفي الأردن: حزب جبهة العمل الإسلامي، وفي الجزائر: حزب الجبهة الإسلاميَّة للإنقاذ.

والشاذلي بن جديد هو أوَّل رئيس دولة سمح للإسلاميِّين بأن يكون لهم وجود رسميٌّ على الســـاحة السياســـيَّة، وهو أمر مطلوب، بدل أن يعمل هؤلاء في الســـراديب وتحت الأرض وبعيدًا عن الأعين، ليظهروا أمام النَّاس، وليعملوا علنًا وعلى مرأى ومســـمع حتَّى تنكشف أمورهم، فيقال لهم: أصبتم أو أخطأتم، ولهذا أطالب بأن نقابل هذا التوجُّه بتوجُّه من السلطة تتيح فيه لهم العمل العلني.

QaradawiBooks.com

ولماذا نخاف؟ نخاف من الأقباط أن يُنْشِئوا حزبًا، فلينشئوا حزبًا، وأنا أرى أنَّ هذه الأحزاب الإسلاميَّة يجب أن تتَّسع لغير المسلمين، وكان من المؤسِّسين في حزب الوسط د. رفيق حبيب. أنت تعرض مفاهيم في إصلاح المجتمع، فهو معك في هذه المفاهيم سواء كان مسلمًا أو مسيحيًّا.

المحاور: ألا تمانع أنت أن يكون هناك حزب شيوعي أيضًا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا مانع في ذلك، وأن يُعْرَض على النَّاس، إذا كان المجتمع يقبل بالشيوعيَّة، فمعنى ذلك أنَّ هناك خللًا بالمجتمع ونتوجَّه للمجتمع ونصلح من وعيه؛ لأنَّ الحزب يحيا ويموت النَّاس، إذا كان له أنصاره وقاعدته الجماهيريَّة والشعبيَّة يستطيع أن يحيا، وإذا لم يكن له مات بطبيعة الحال.

جهاد العصر:

المحاور: ماذا عن مشروعكم: الإسلام على الإنترنت الَّذي دعوتم إليه ودشَّنتم من أجله جمعيَّة البلاغ الثقافيَّة بالدوحة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: في مشروعنا هذا مسلَّمات مُتَّفق عليها، لا يختلف فيها اثنان:

أوَّلها: أنَّ الإسلام رسالة عالميَّة بلا ريب، وهذا ثابت في القرآن المكِّي في أكثر من عشر آيات ناصعة البيان، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، إلى غير ذلك من الآيات. وقال الرسول ﷺ: «**وكان النبيُّ يبعث إلى قومه خاصَّة، وبُعِثْتُ إلى النَّاس كافَّة**»[1].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٣٨)، ومسلم في المساجد (٥٢١)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

ومع هذا قصَّرنا نحن المسلمين في تبليغ الأمم رسالة الإسلام، فهناك آلاف الملايين يعيشون ويموتون ولا يعرفون شيئًا عن الإسلام، وهناك ملايين أخرى تعرف عن الإسلام قشورًا مشوَّهة؛ عن: عقيدته وشريعته وكتابه ورسوله. فماذا فعلنا إزاء ذلك؟ أعتقد أنَّنا مسؤولون إلى حدٍّ ما عن ضلال هذه الأمم، وعلينا أن نجتهد في إيجاد الوسائل الَّتي تُمَكِّننا من إيصال الإسلام إليهم حسَب وُسْعنا.

الثانية: أنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة أُمَّة دعوة، ليست أُمَّةً منغلقة على نفسها، والله تعالى يقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وأنا أُرَجِّح أن «من» هنا للبيان أو للتجريد، كما نقول: ليكن لي منك الصديق الوفيُّ. أي: كن لي الصديقَ الوَفِيَّ، والمعنى إذن: ولتكونوا أُمَّة يدعون إلى الخير، إلخ، بدليل قصر الفلاح عليهم بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، فهم وحدهم المفلحون، وسعي الأمة كلُّها إلى الفلاح واجب وجوبًا عينيًّا، ومن استقرأ النصوص القرآنيَّة وجدها تفيد أنَّ كلَّ مسلمٍ داعية، رجلًا كان أو امرأةً، اقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. فإذا كنت ممَّن اتَّبع مُحَمَّدًا ﷺ فيجب أن تكون داعية إلى الله، وداعية على بصيرة.

الثالثة: أنَّ مضمون الدعوة ثابت، ولكنَّ وسائل الدعوة وآلياتها تتغيَّر وتتطوَّر بتطوُّر الحياة ومعارف الإنسان، والواجب علينا أن نستخدم في دعوتنا أفضل ما انتهى إليه تطوُّر العلم وتقنياته، طبقًا لقاعدة: «ما لا يتمُّ الواجب إلَّا به فهو واجب».

QaradawiBooks.com

ولهذا يجب على المسلمين الاستفادة من الطباعة والتصوير والكمبيوتر والإذاعة والتلفاز، وخصوصًا الإذاعات الموجَّهة، والقنوات الفضائيَّة وغيرها، في الدعوة إلى الإسلام، والتوعية بالإسلام.

كما يجب على الأُمَّة استخدام هذه الأداة الجديدة الجبَّارة (الإنترنت) الَّتي تخترق الأسوار، وتجتاز القِفَار والبحار، لتغزو الأقطار، وتُغَيِّر الأفكار، وهي صالحة لأن تهدم وأن تبني وأن تُحيي وأن تُمِيت، وأن تزرع الخير أو الشرَّ، فلنستخدمها نحن في سبيل الحقِّ والخير، لا الباطل والشرِّ، ولنجعل منها أداة بناءٍ لا مِعْوَل هدم.

وقد أكَّد ذلك أنَّ غيرنا اتَّخذوا منها منبرًا لنشر أديانهم الباطلة، ونِحلهم المضلِّلة، وفلسفاتهم المدمِّرة.

كما أنَّ من النَّاس من اتَّخذها للحديث عن الإسلام في أكثر من (٦٠٠) موقع، ومنهم غير مسلمين لا يؤمنون أصلًا بالإسلام، ومنهم من ينتمون إلى الإسلام من مبتدعين ومنحرفين، وبعضهم يملك إمكانات هائلة كالقاديانيِّين. فهؤلاء وأولئك يشوِّهون الإسلام، ومنهم مسلمون مخلصون، ولكن لا يملكون القدرات العِلْميَّة ولا الفَنِّيَّة، ولا المادِّيَّة لحُسْن عرض الإسلام.

دورنا مهمٌّ وثقيل:

من هذه المسلَّمات وجب علينا أن نقوم بهذا الدور الجديد والمهمِّ والضَّروري لخدمة الإسلام على الإنترنت. وقد أصبح علينا فريضة وضرورة: فريضة توجبها تعاليم الدين، وضرورة تُحَتِّمها تطوُّرات العصر.

QaradawiBooks.com

قدرنا أن نقوم بهذا الدور، وأن يكون على الإنترنت موقع إسلاميٌّ متميِّز موثوق به عند المسلمين وعند غير المسلمين، قادرٌ على أن ينافس الآخرين، وأن يتفوَّق عليهم. فالمسلم دائمًا يرنو ويهدف إلى الأحسن لا إلى «الحسن» فقط، ولقد قال تعالى في أكثر من آيةٍ في كتابه: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]. ولم يقلْ: ليبلوكم أيُّكم ذو عمل حسن.

إنَّنا مطالبون أن نعمل ونجتهد ونبدع:

١ ـ على مستوى الإسلام الَّذي نُمَثِّله وندعو إليه، وهو دين الله الَّذي لا دِينَ غيره ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

٢ ـ وعلى مستوى العصر الَّذي نعيش فيه: عصر الثورات الستِّ: ثورة التكنولوجيا، وثورة البيولوجيا، والثورة الفضائيَّة، والثورة الإلكترونيَّة، وثورة الاتِّصالات، وثورة المعلومات.

٣ ـ وعلى مستوى ما يعمل خصومنا، وما يقدِّمونه لأديانهم ومبادئهم من أموالٍ وجهودٍ وأوقاتٍ وتضحيات، لا تخفى على الدارسين، فأهل الحقِّ أولى بالعطاء.

إنَّ هذا المشروع الَّذي ننشده ونحشد له الجنود والجهود والنقود، هو في رأيي جهاد هذا العصر.

قال فقهاؤنا قديمًا: الجهاد منه ما هو فرض كفاية، ومنه ما هو فرضُ عين. ويقولون عن الجهاد الأوَّل: أن تغزو جيوش المسلمين أرض الكُفَّار، وذلك لتبليغ كلمة الإسلام. فقد كانت البلاد قديمًا لا يمكن تبليغ الإسلام إلى أهلها إلَّا بإذن ملوكها وأمرائها، فإذا رفضوا ذلك لم نستطع الوصول

QaradawiBooks.com

إلى الرعيَّة، ولا اختراق الأسوار إلَّا في ظلِّ الجيوش، وهذا سرُّ تحميل النبيِّ ﷺ في رسائله إلى كِسْرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وغيرهم إثمهم وإثم رعيتهم إذا رفضوا دعوة الإسلام؛ لأنَّ النَّاس كانوا على دِينِ ملوكهم، ولا يمكنهم مجرَّد سماع دعوة الإسلام إلَّا بإذنهم.

ونحن بهذه الآليَّات الحديثة ـ وعلى رأسها الإنترنت ـ نستطيع أن نصل إلى الشعوب ونخاطبها بألسنتها المختلفة في أنحاء الأرض، لا نحتاج إلى إذن الملوك والسلطات الحاكمة، المهمُّ أن تكون عندنا القدرات البشريَّة والعِلْميَّة والفَنِّيَّة لمخاطبة العالم بلغاته. وهذا يحتاج مِنَّا إلى تجنيد جيوش من العاملين، وإلى إعداد هائل لإطارات بشريَّة متنوِّعة مدرَّبة قادرة على العطاء.

ملامح الموقع:

المحاور: ما هي الملامح الَّتي تحكم موقعكم على الإنترنت؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذا الموقع لا يعبر عن اتِّجاه بلد معيَّن أو فئة من النَّاس، بل يعبر عن الإسلام الخاصِّ الشامل بمقوماته وخصائصه، ونستطيع أن نُحَدِّد ذلك في الملامح التالية:

١ ـ أنَّه يخاطب المسلمين وغير المسلمين بالإسلام، ليصحِّح المفاهيم، ويجيب عن التساؤلات، يفنِّد الشبهات، ويردُّ على المفتريات.

ولهذا بدأ بلغتين: العربيَّة والإنجليزيَّة، ثمَّ سيتوسَّع إن شاء الله في إدخاله للُّغات الأخرى بالتدريج، وحسَب الإمكانات.

٢ ـ يقدِّم الإسلام بشموله وتكامله: عقيدة وعبادة وأخلاقًا وآدابًا وتشريعًا وحضارة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

QaradawiBooks.com

يستمدُّ تعاليم الإسلام وأحكامه وقيمه من ينابيعه الصافية: القرآن الكريم وصحيح السُّنَّة، كما فهمها خير قرون الأُمَّة: الصحابة ومن تبعهم بإحسان، منطلقًا من أنَّ هذه الأُمَّة لا تجتمع على ضلالة.

٣ ـ يعتمد الوسطيَّة في فهمه للإسلام وفهمه للواقع، فلا يجنح إلى غلوِّ المُفْرِطين، ولا إلى تقصير المُفَرِّطين، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

٤ ـ يعتمد التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة، امتثالًا لما أمر به الرسول الكريم: «**يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا**»[(١)]. وإذا كان النَّاس في حاجة إلى التيسير والتبشير في كلِّ زمان، فهم أحوج ما يكونون إليه في عصرنا.

٥ ـ يجمع بين الأصالة والمعاصرة، فهو يستلهم تراثنا الغنيَّ، ويرجع إلى أئمَّتِنا الكبار، ليأخذ عنهم، ويستفيد منهم، ولكنَّه لا ينسى أنَّه يعيش في القرن الخامس عشر الهجري، والحادي والعشرين الميلادي، وفي الأثر: رحم الله امرأً عرف زمانه، واستقامت طريقته[(٢)].

٦ ـ لا يتعصَّب لرأيٍ قديم، ولا لفكرٍ جديد، ولا لمدرسة أو شخص، فكلُّ واحد يؤخذ من كلامه ويُرد عليه إلَّا المعصوم ﷺ. ولهذا يستفيد من كلِّ المدارس وكل العلماء، ويأخذ الحكمة من أيِّ وعاء خرجت، فالحكمة ضالَّة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحقُّ النَّاس بها.

٧ ـ يتعامل مع النَّاس ـ حتَّى المخالفين ـ باللِّين لا بالغلظة، وبالرِّفْق لا بالعنف، وبالحوار بالَّتي هي أحسن لا بالَّتي هي أخشن، ويغلب

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

(٢) انظر: فيض القدير للمناوي (٢٩/٤)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

QaradawiBooks.com

النَّاس بالحبِّ لا بالكراهية، وقد قال تعالى لرسوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ولهذا لا يبدأ أحدًا بعداوة، ولا يستثير عداوةَ أحد، ولكنَّه يردُّ على من تطاول على الإسلام عامدًا، وأصرَّ على ذلك مكابرًا، بالعلم لا بالسبِّ.

٨ ـ يتكامل هذا الموقع مع غيره من المواقع الإسلاميَّة، بحيث نستغني عن الازدواج والتكرار بغير حاجة ولا مبرِّر، ويتعاون مع كلِّ العاملين في هذه الساحة، وينسِّق معها ما وجد إلى ذلك سبيلًا.

٩ ـ يجمع بين «العِلْميَّة في المضمون، والتشويق في الشَّكْل وأسلوب العرض»، فـ «**إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال**»[(١)]، وقد قال المشركون عن القرآن: إنَّ له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة[(٢)].

ولضمان «العِلْميَّة» تقوم عليه لجنة من كبار علماء الشريعة الثقات، ولضمان «التشويق» تقوم عليه جماعة من المتخصِّصين في علوم الحاسوب.

واجب الأُمَّة نحو المشروع:

المحاور: ما هو واجب الأمة نحو هذا المشروع كما ترونه؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: إنَّ الَّذي أؤكِّده هنا: أنَّ هذا المشروع الطموح هو مشروع الأُمَّة الإسلاميَّة في هذا القرن الجديد، لتؤدِّي بعض

(١) سبق تخريجه صـ٣٨٢.

(٢) رواه الحاكم في التفسير (٥٠٦/٢)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوة (١٩٨/٢)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

واجبها نحو دينها. لقد قال أحد الأجانب الَّذين قرؤوا عن الإسلام وأعجبوا به: يا له من دين لو كان له رجال!

هذا مع أنَّ الإسلام له مليار وثلث يُنْسَبُون إليه، ويُحْسَبون عليه، ولكن كم من هؤلاء نعتبره من رجال الإسلام، ومن جنود الإسلام؟!

إنَّ الأُمَّة تستطيع أن تقدم الكثير إذا وعت وفقهت، وعرفت نفسها، وعرفت ربَّها، وعرفت غايتَها وطريقَها، وإذا وَثِقَت بالذين يقودون سفينَتها.

إنِّي أدعو أُمَّة الإسلام في كلِّ مكان إلى المساهمة في هذا المشروع الكبير، كلٌّ بما يستطيع: صاحب المال يُقَدِّم من ماله، ومن زكاته المفروضة، من صدقاته التطوعيَّة، من الصدقة الجارية، من الوصايا، من المال الَّذي عرضت له شبهة، فهو يريد أن يتطهَّر منه، وهو حرام عليه، حلالٌ للجهات الخيريَّة والمشاريع الإسلاميَّة، ومشروعنا منها.

وصاحب العلم يُقَدِّم من علمه، يتبرَّع لنا بإنتاجه العلمي، لتقديمه في موقعنا لينتفع به النَّاس.

وصاحب القدرة الفَنِّيَّة في هذا المجال يتبرَّع لنا بخبرته، ويضعها في خدمة الموقع.

ومن لم يملك مالًا ولا علمًا ولا خبرة، فعليه أن يسندنا بدعائه لنا بالتوفيق.

فهذا مددٌ رُوحي لا غنًى لنا عنه.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

إجابة عن أسئلة «مركز يافا للدراسات والأبحاث» بالقاهرة

المحاور: كيف تنظرون إلى مسيرة الصراع العربي الصهيوني ومستقبل هذا الصراع من منظوركم الإسلامي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الصراع العربي الصهيوني مستمرٌّ، وستظل جمرته مشتعلة، ورحاه دائمة الدوران، ما دام هناك مغتصب ظالم، وصاحب دار مظلوم.

وقد يتفوق المغتصب فترة من الزمن، يفرض نفسه بالحديد والنار، ويُدِلُّ بترسانته النوويَّة، ولكنَّ الزمن ليس في صالحه، ودوام الحال من المُحَال، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، سينتصر حقُّنا لا محالة على باطله، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقد تستسلم الأنظمة والحُكَّام والمنهزمون نفسيًّا ممَّن يحسبون أنفسهم من «المثقَّفين» ولكن الشعوب، والمنظَّمات الشعبيَّة ـ لا سيَّما الإسلاميَّة منها ـ ستظلُّ تقاوم وتقاوم، ولو بالحجارة، ولن تُلقي السلاح، ولن تعترف للغاصب بحقٍّ فيما اغتصب أبدًا. وهذا الرفض المبدئي ـ الَّذي يُمَثِّل جزءًا من الإيمان عند صاحبه ـ هو بذرة النَّصر، ونواة صناعة المستقبل.

QaradawiBooks.com

وعندنا من المبشِّرات الدينيَّة ما يملأ قلوبنا ثقة وأملًا بأنَّ النصر لنا، وإنْ طال الأمد، حسْبنا من القرآن هذه النصوص:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وقوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢].

فهم اليوم ينعمون بهذا الحبل من النَّاس، ولكنَّه لن يدوم، فإذا انقطع هذا الحبل، فلن يجدوا ما يتشبَّثون به؛ لأنَّ حبلهم من الله مقطوعٌ من قديم.

وقوله تعالى بعد أن حدَّثنا عن إفسادهم في الأرض مرَّتين، وعقوبتهم على كلِّ مرَّة أفسدوا فيها: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨].

فهذا هو القانون الإلٰهي العادل والدائم: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾. وقد عادوا بالإفساد والاغتصاب للأرض، والسفك للدماء، والانتهاك للحرمات، وقانون الله: أن يعود عليهم بالعقاب، وهو لهم بالمرصاد.

وحسْبنا من السُّنَّة النبويَّة هذان الحديثان:

الأول: ما رواه أحمد والطبراني عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمَّتي على الحق ظاهرين، لعدوِّهم قاهرين، لا يضرُّهم من جابههم إلَّا ما أصابهم من لأواء** ـ أي أذى ـ **حتَّى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك**». قالوا: وأين هم، يا رسول الله؟ قال: «**في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس**»[(١)]. ورواته ثقات أثبات.

(١) رواه عبد الله في المسند وِجَادة عن خط أبيه (٢٢٣٢٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره دون قوله: قالوا: يا رسول الله، وأين هم... إلخ. والطبراني (١٤٥/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢٤٨): رجاله ثقات. عن أبي أمامة الباهلي.

QaradawiBooks.com

والثاني: ما رواه ابن عمر[١] وأبو هريرة[٢]، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**لا تقوم الساعة حتَّى تقاتلوا اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتَّى يختبئ اليهود وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا عبد الله، أو يا مسلم، هذا يهوديٌّ ورائي، فتعالَ، فاقتلْه**».

المحاور: كيف ترون عمليات التطبيع والسلام والتسوية الراهنة في المنطقة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: عمليات التطبيع والسلام والتَّسوية الراهنة في المنطقة مرفوضة شرعًا؛ لأنَّها تقوم على أساس الاعتراف للغاصب بأنَّ له حقًّا وسلطة شرعيَّة على ما غصب من ديارنا، وأنَّ مدننا العربيَّة الإسلاميَّة: حيفا ويافا وعكا وغيرها من أرض فلسطين سقطت ملكيَّتنا لها، ونسبتها إلينا، وأصبحت أرضًا إسرائيليَّة. وهذا لا يجوز.

لو كان المراد هدنة بيننا وبين إسرائيل، تُكفُّ فيها الأيدي بعضها عن بعض، وتُحقن الدماء فترةً من الزمن، تطول أو تقصر، لرحَّبنا بذلك، وقد عقد صلاح الدين هدنات مع بعض أمراء الصَّليبيِّين.

أمَّا التَّسوياتُ القائمة، فهي أدخل في باب «الاستسلام» منها في باب «السلام»، وهي دليل الوهْن واليأس، والمؤمن لا يَهِنُ ولا ييْئس أبدًا، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

المحاور: الوجود الأجنبي في الوطن العربي، ما هو تحليلكم لأهدافه وتأثيره على التنمية المستقلَّة والقرار السياسي المستقلِّ؟

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٥)، ومسلم في الفتن (٢٩٢١).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦)، ومسلم في الفتن (٢٩٢٢).

QaradawiBooks.com

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: الوجود الأجنبي فـــي الوطن العربي غزوٌ اســـتعماريٌّ جديد، وإن كان في ظاهر أمره أنَّه جاء برضا أهل البلاد أو بطلب منهم، والواقع غير ذلك، فهو مفروضٌ على تلك البلاد، رضُوا أم سَخِطوا، قَبِلوا أو رفضوا، حتَّى الَّذين طلبوا هذا الوجود الأجنبي حينًا من الدهر، طلبوه لسببٍ قد زال.

إنَّ هذا الوجود الأجنبي ليس لصالح المنطقة، بل لصالح إســـرائيل أوَّلًا، وللمصالح الاســـتعماريَّة والإمبرياليَّة ثانيًا، وللضغط على المنطقة ثالثًا، ومراقبة تحرُّكاتها عن كَثَبٍ رابعًا، والعمل على تخويف بعضها من بعض خامسًا، والوقوف في وجه أيِّ عمل وحْدَوِي سادسًا، والتيقظ التامُّ لتحركات الأصوليَّة الإســـلاميَّة وأنشـــطتها ســـابعًا. وإنَّما أخَّـــرْتُ هذا لأهميَّته، وإن كان حقُّه أن يكون أولًا.

إنَّ الوجود الأجنبي خطـــر على المنطقة مـــن كلِّ ناحية: خطر على قرارها السياسي، وعلى تنميتها الشـــاملة، وعلى اتِّجاهها للوَحْدة، وهو ـ مع هذا ـ يُحَقِّق أهدافه من جيوب أهل المنطقة، فاعجبوا.

المحـــاور: ما هي الآثـــار المباشـــرة المســـتقبليَّة للحصـــار الراهن المفروض دوليًّا على بعض دول وشعوب المنطقة؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: إنَّما نجح هذا الحصار إلى حدٍّ كبير للأســـف؛ لأنَّهم تعاملوا معنا واحـــدًا واحدًا، ولـــم يعاملوننا كيانًا واحدًا، وقبلنا منهـــم عمليًّا هذا التعامل، فضربونـــا أفرادًا، ومزَّقونا أشلاءً، انفردوا بكلِّ قُطر، ووقف الآخرون يتفرَّجون عليه، بل ربَّما ساعدوه. هكذا تعاملوا مع ليبيا، وهكذا تعاملوا مع العراق، وهكذا تعاملوا مع السودان.

QaradawiBooks.com

وأملُنا أن ينتصر المحاصرون على الحصار المضروب، بالصبر والمصابرة والمرابطة، كما فعل إخوتنا في السودان، وأن ندرك جميعًا مغزى المثل العربي القديم «إنَّما أُكِلْتُ يومَ أكل الثور الأبيض»[١].

المحاور: كيف ترون المقاومة الإسلاميَّة في لبنان وفلسطين بقيادة «حزب الله» و«الجهاد الإسلامي» و«حماس»؟ ورأيكم في سلاح العمليَّات الاستشهاديَّة الَّذي ارتبط بالأداء الجهادي لهذه الحركات مؤخَّرًا؟

وما هو موقفكم من الفتاوى الَّتي صدرت بشأن شهداء المقاومة الإسلاميَّة في لبنان وفلسطين، وخاصَّة تلك الفتاوى الَّتي صدرت ضدَّ المقاومين ووصمتهم بالإرهاب؟

وكيف يمكن دعم هذه المقاومة الإسلاميَّة من وجهة نظركم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: المقاومة الإسلاميَّة في فلسطين وفي لبنان وجه مُشَرِّف للأُمَّة، ودليل على أنَّ هذه الأمة لن تموت، وأنَّ الخير لا يزال فيها إلى يوم القيامة، وأنَّ فيها طائفة قائمة على الحقِّ، تحيا له وتجاهد عليه، حتَّى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

وقد أصدرتُ فتاوى في حينها تبارك وتؤيِّد هذه «العمليَّات الاستشهاديَّة» الَّتي يجعل فيها المجاهد من نفسه «قنبلة بشريَّة» تنفجر في أعداء الله، فتقذف في قلوبهم الرعب، في مجتمع كل أهله من العسكر، فكلهم ـ رجالًا ونساء ـ جنود في جيش العدوان[٢].

---

(١) انظر: الأمثال للقاسم بن سلَّام صـ ١٨٤، تحقيق عبد المجيد قطامش، نشر دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

(٢) وقد قيَّدت هذه الفتوى بضوابط كثيرة، وأوضحتها في كتابنا فقه الجهاد (٢/١١٩٢ ـ ١١٩٩)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

QaradawiBooks.com

هؤلاء الأبطال الَّذين وضعوا رؤوسهم على أكُفِّهم، ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

أمَّا الفتاوى الَّتي صدرت ضدَّ هؤلاء الأبطال، ووصمتهم بالإرهاب، فلم تصدر من علماء ثقات، يوثق بحسن فقههم، وحسن دينهم، إنَّما هي من قومٍ دخلاء على العلم والدين، أو لعلَّهم من علماء السلطة، وعملاء الشرطة، ممَّن إذا سئلوا أفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا.

إنَّ هؤلاء الأبطال من رجال المقاومة الإسلاميَّة، يقومون عن الأُمَّة الإسلاميَّة كلِّها بفريضة الجهاد، الَّتي أمست واجبًا عليهم جميعًا، لتحرير القدس الشريف، وإنقاذ المسجد الأقصى، وتخليص أرض الإسراء والمعراج، والقبلة الأولى من رجس الاعتداء الصهيوني.

إنَّ هذا ليس واجب الفلسطينيِّين وحدهم، بل هو واجب العرب جميعًا، وواجب المسلمين كافَّة في مشارق الأرض ومغاربها.

وإذا كان كلُّ يهودي في العالم يعتبر نفسه مسؤولًا عن بقاء إسرائيل، وتفوُّق إسرائيل، فكذلك كلُّ مسلمٍ في العالم مسؤول عن إنقاذ القدس والأقصى.

والواجب علينا ـ إذا لم نملك أن نذهب نحن لنجاهد ـ أن نمدَّ المجاهدين بكلِّ ما نستطيع من عون مادِّيٍّ وأدبيٍّ، وأن نحتال على ذلك بكلِّ ما نقدر عليه، حتَّى يصمدوا ويثبتوا، ويظلُّوا مُرَابطين حتَّى يأتي نصر الله.

إنَّ المقاومة هي قدرنا، وهي علينا فريضة، ولنا ضرورة، فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وإذا كان مناحم بيجن قال: «أنا أحارب، إذنْ أنا موجود»! فإنَّ الشيخ أحمد ياسين يقول: «أنا أقاوم، إذنْ أنا موجود».

إنَّ هذه المقاومة هي السُّنَّة الإلٰهيَّة الَّتي بدونها يتسلَّط أهل البغي على أهل الحقِّ، وتسود شريعة الغاب، وقانون الظُّفْر والناب، وبهذا يفسد العالم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وأدنى درجات المقاومة: هي المقاطعة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة، ورفض كلِّ محاولات «التطبيع» مع العدو الغاصب، وإبقاء الحاجز النفسي بيننا وبينهم، لا نسمح بكسره أو اختراقه بحال.

وعلينا أن نُوَعِّي الأُمَّة بواجبها نحوهم، ونكشف ستر المشوِّشين عليهم، والمخذِّلين والمثبِّطين لهم، وأن نُحذِّر الفلسطينيِّين أن يمتدَّ سلاحهم بعضه إلى بعض، فـ«**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا**»[(١)]، و«**المسلمون يسعى بذمَّتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم**»[(٢)].

المحاور: ما رأيُكم في مستقبل الإسلام والمسلمين في ظلِّ التحدِّيات القائمة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أرى أنَّ المستقبل لهذه الحركة الَّتي تتَّسم بالوسطيَّة، وتلتزم بالمنهج الوسط، وعلى أفرادها ألَّا ييئسوا، فالمسلم دائمًا يعيش مؤمِّلًا في الله ﷻ.

---

(١) سبق تخريجه صـ٥١٧.

(٢) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (٢٢٠٨)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

والقرآن الكريم ندَّد باليأس واليائسين، فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

كما أنَّ القرآن مملوء بالدلائل الواضحة على أنَّ المستقبل لهذا الدِّين، إذ يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

والسُّنَّة النبويَّة المُطَهَّرة ذاخرة بالمبشِّرات الَّتي تُبشِّرنا بنصر الله لجنوده الدُّعاة، إذ يقول ﷺ: «**تكون النبوَّة فيكم إلى أن يشاء الله أن يرفعها فيرفعها، ثمَّ تكون ملكًا عاضًّا** ـ أي وراثيًّا ـ **إلى أن يشاء الله أن يرفعها فيرفعها، ثمَّ تكون خلافة على منهاج النبوَّة**»[(١)].

كما أنَّ السُّنَّن الكونيَّة تبشِّر، والواقع الإسلامي الَّذي نحياه يُبَشِّر بالنسبة لما كان عليه الحال من قبل، فقط علينا أن نعمل لنصرة هذا الدين، وعلى أبناء الصحوة ألَّا يتسرَّب اليأس إلى قلوبهم، فهذا هو مكمن الخطر. وأنصح للسائل أن يقرأ رسالتي عن «المبشِّرات بانتصار الإسلام».

المحاور: ما رأيكم في التعدديَّة في الإسلام؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: رأيي الَّذي أعلنته من سنين في محاضرات عامَّة، ولقاءات خاصَّة: أنَّه لا يوجد مانعٌ شرعيٌّ من وجود أكثر من

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والبزار (٢٧٩٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٩٦٠): رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. وقال الحافظ العراقي في محجة القرب إلى محبة العرب صـ ١٧٦ ـ ١٧٧: هذا حديث صحيح. نشر دار العاصمة، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

حزب سياسي داخل الدولة الإسلاميَّة؛ إذ المنع الشرعي يحتاج إلى نصٍّ، ولا نصَّ.

بل إنَّ هذا التعدُّد قد يكون ضرورة في هذا العصر؛ لأنَّه يُمَثِّل صمام أمان من استبداد فردٍ أو فئة معيَّنة بالحكم، وتسلطها على سائر النَّاس، وتحكُّمها في رقاب الآخرين، وفقدان أيِّ قوَّة تستطيع أن تقول لها: لا، أو: لم؟ كما دلَّ على ذلك قراءة التاريخ، واستقراء الواقع.

كل ما يشترط لتكتسب هذه الأحزاب شرعيَّة وجودها أمران أساسيان:

١ ـ أن تعترف بالإسلام عقيدة وشريعة، ولا تعاديه، أو تتنكَّر له، وإن كان لها اجتهاد خاصٌّ في فهمه في ضوء الأصول العِلْميَّة المقرَّرة.

٢ ـ ألا تعمل لحساب جهة معادية للإسلام ولأُمَّته، أيًّا كان اسمها وموقعها. فلا يجوز أن ينشأ حزب يدعو إلى الإلحاد أو الإباحيَّة أو اللادينيَّة، أو يطعن في الأديان السماويَّة عامَّة، أو في الإسلام خاصَّة، أو يستخفُّ بمقدَّسات الإسلام: عقيدته أو شريعته أو قرآنه، أو نبيّه ﷺ.

المحاور: ما رؤيتكم كمرجع إسلامي في الديمقراطيَّة والاستبداد السياسي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: إنَّ جوهر الديمقراطيَّة بعيدًا عن التعريفات والمصطلحات الأكاديميَّة ـ أن يختار النَّاس من يحكمهم ويسوس أمرهم، وألا يُفْرض عليهم حاكمٌ يكرهونه، أو نظام يكرهونه، وأن يكون لهم حقُّ محاسبة الحاكم إذا أخطأ، وحقُّ عزله إذا انحرف، وألا يساق النَّاس إلى اتِّجاهات أو مناهج اقتصاديَّة أو اجتماعيَّة أو ثقافيَّة أو سياسيَّة لا يعرفونها ولا يرضون عنها. فإذا عارضها بعضهم كان جزاؤه التشريد والتنكيل، بل التعذيب والتقتيل.

QaradawiBooks.com

هذا هو جوهر الديمقراطيَّة الحقيقيَّة الَّتي وجدت البشريَّة لها صيغًا وأساليب عمليَّة، مثل: الانتخاب والاستفتاء العام، وترجيح حكم الأكثريَّة، وتعدُّد الأحزاب السياسيَّة، وحق الأقليَّة في المعارضة وحُرِّيَّة الصحافة، واستقلال القضاء، إلخ.

فهل الديمقراطيَّة ـ في جوهرها الَّذي ذكرناه ـ تنافي الإسلام؟ ومن أين تأتي هذه المنافاة؟ وأي دليل من محكمات الكتاب والسُّنَّة يدل على هذه الدعوى؟ والواقع أنَّ الَّذي يتأمَّل جوهر الديمقراطيَّة يجد أنَّه من صميم الإسلام، فهو ينكر أن يؤم النَّاس في الصلاة من يكرهونه، ولا يرضون عنه، وفي الحديث: «**ثلاثٌ لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا**» وذكر أولهم: «**رجل أَمَّ قومًا وهم له كارهون**»[(١)].

وإذا كان هذا في الصلاة فكيف في أمور الحياة والسياسة؟ وفي الحديث الصحيح: «**خيار أئمَّتكم** ـ أي: حكامكم ـ **الَّذين تحبونهم ويحبونكم، وتُصَلُّون عليهم** ـ أي تدعون لهم ـ **ويصلُّون عليكم، وشرار أئمَّتكم الَّذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»[(٢)].

لقد شنَّ القرآن حملة في غاية القسوة على الحكام المتألِّهين في الأرض، الَّذين يتَّخذون عباد الله عبادًا لهم، مثل «نمرود» الَّذي ذكر القرآن موقفه من إبراهيم وموقف إبراهيم منه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ

(١) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (٩٧١)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١١٩/١): إسناده صحيح ورجاله ثقات. وابن حبان في الصلاة (١٧٥٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والطبراني (٤٤٩/١١)، عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٥)، وأحمد (٢٣٩٨١)، عن عوف بن مالك.

QaradawiBooks.com

﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ومن روائع القرآن: أنَّه ربط بين الطغيان وانتشار الفساد، الَّذي هو سبب هلاك الأمم ودمارها، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۞ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۞ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۞ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۞ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۞ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر: ٦ ـ ١٤].

والسُّنَّة النبويَّة حملت كذلك على الأمراء الظلمة والجبابرة، والَّذين يسوقون الشعوب بالعصا الغليظة، وإذا تكلَّموا لا يرد أحدٌ عليهم قولًا، فهم الَّذين يتهافتون في النَّار تهافت الفَرَاش.

كما حملت على الَّذين يمشون في ركابهم، ويحرقون البخور بين أيديهم، من أعوان الظلمة.

وندَّدت السُّنَّة بالأُمَّة الَّتي ينتشر فيها الخوف، حتَّى لا تقدر أن تقول للظالم: يا ظالم.

فعن أبي موسى أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ في جهنَّمَ واديًا، وفي الوادي بئر، يقال له: هبهب، حقٌّ على الله أن يُسْكِنَه كلَّ جَبَّار عنيد**»(١).

وعن معاوية مرفوعًا: «**لا تُقدَّسُ أمَّةٌ لا يُقضَى فيها بالحقِّ ولا يأخذُ الضَّعيفُ حقَّه من القويِّ غيرَ مُتَعتَعٍ**»(٢).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣٥٤٨)، والحاكم في الفرائض (٣٣٢/٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وحسَّن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٠٠٥).

(٢) رواه الطبراني (٣٨٥/١٩)، وأبو نعيم في الحلية (١٢٨/٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٠٥٧): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

وعن عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «**إذا رأيتَ أُمَّتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم؛ فقد تُوُدِّعَ منهم**»(١).

المحاور: موقف الإسلام من بعض الأقلِّيَّات في مصر والعالم العربي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: إنَّ علاقة الإسلام بغير المسلمين تحكمها آيتان: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

فالقرآن الكريم هنا قسم أهل الكتاب إلى قِسْمين: قسم يسالم الإسلام وأهله، ولا يحاربه حربًا عسكريَّة، أو يُعِين عدوًّا عليه، كما أنَّه لا يُشَكِّك في عقيدة الإسلام معلنًا ذلك، أمَّا إذا أسرَّ الكراهية في نفسه لهذا الدِّين، فلا سبيل للإسلام عليه، فهذا القسم علاقتنا به البرُّ والقسط.

وقسمٌ يعادي دِينَنا ويُحاربنا ويُعين عدوَّنا علينا، فهؤلاء يُسمَّون أهلَ حرب.

هذه نظرة الإسلام عامَّة لغير المسلمين الَّذين هم خارج أرض الإسلام، أمَّا غير المسلمين داخل أرض الإسلام، فهؤلاء لهم وضع خاصٌّ فهم يسمّون في الفقه الإسلامي: «أهل الذمَّة».

والفقهاء يسمُّونهم: أهل «دار الإسلام» أو بتعبيرنا المعاصر: «الجنسيَّة»، أي أنَّهم متجنِّسون لهم حقُّ «المواطَنة»، كما أنَّ لهم كلَّ

(١) رواه أحمد (٦٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والحاكم في الأحكام (٩٦/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبزار (٢٣٧٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١١٠): رواه أحمد والبزار بإسنادين، ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح، وكذلك رجال أحمد.

QaradawiBooks.com

الحقوق الَّتي للمسلم، ولذا اشتهرت عند فقهائنا هذه العبارة عن أهل الذمَّة: لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

وهذا ما جعل المحامي الشهير القبطي الأستاذ مكرم عبيد يعلن عن فهم منه لطبيعة الإسلام، فيقول عن نفسه: إنَّه مسيحي ديانة، مسلم موطنًا.

المحاور: ما موقفكم الإسلامي من قضايا العلمانيَّة والعولمة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نحن نرحِّب بالعِلْميَّة، ولكنَّنا نرفض العِلْمَانيَّة؛ لأنَّ العِلْميَّة فريضة شرعيَّة وضرورة قوميَّة، وتأكيدها واجب الدُّعاة والمُرَبِّين والمُفَكِّرين وأجهزة التوجيه كلِّها، أمَّا العلمانيَّة فهي مرفوضة بكلِّ معيار: معيار الدِّين، أو معيار الديمقراطيَّة، أو معيار الدستور، أو معيار الأصالة، أو معيار المصلحة، وتفصيل ذلك يطول، فليرجع إليه في كتابنا «الإسلام والعلمانيَّة وجهًا لوجه»[1].

هذا بالنسبة للعلمانيَّة. أمَّا بالنسبة للعولمة، فنحن مع العالميَّة لا العولمة؛ لأنَّ رسالة الإسلام رسالة عالميَّة، ومن أهدافه: هداية العالم. أمَّا العولمة فهي لون جديد من ألوان الهيمنة على الشعوب، والغزو المقنَّع لها. ولذا نقول: نحن مع التفاعل الثقافي، ونرحِّب به، ونرفض الغزو الثقافي.

فالتفاعل الثقافي مشروع، بل مطلوب، ولكن التفاعل إنَّما يكون من جانبين بين نِدَّين، يُعطي كلٌّ منهما ويأخذ، واعيًا مختارًا، غير مكره، ولا واقع تحت تأثير خاصٍّ، فهو يأخذ ما يحتاج إليه، وَفْق معايير مدروسة، ويدع ما يدع تبعًا لمنطق معلوم، محتفظًا بهُويَّته وخصائصه، غير مُفَرِّط في قيمه ومبادئه ومقوِّماته المشخِّصة لذاته.

(١) الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه صـ ٥٧ ـ ٦٥، فصل: العلمية والعلمانية، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٧، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

أمَّا الغزو فهو من طرفٍ قويٍّ لطرفٍ ضعيف، أي من غالبٍ قاهر، لمغلوبٍ مقهور مبهورٍ بقوَّة غالبة، فهو (أي المغلوب) يأخذ من غالبه، ويأخذ ما لا يحتاج إليه، بل يأخذ ما لا ينفعه، وإن كان ينفع صاحبه، بل كثيرًا ما يأخذ الضارَّ ويدع النافع!

المحاور: كيف تنظرون إلى العلاقة بين العروبة والإسلام؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: العروبة في الواقع عميقة الصلة بالإسلام، فالعربيَّة لسان قرآنه وسنته ولغة عبادته، وثقافته، والعروبة وعاؤه، وأرض العرب معقله وحصنه، بها مقدَّساته ومساجده الَّتي لا تُشَدُّ الرحال إلَّا إليها، والعرب هم حملة رسالة الإسلام إلى العالم والصحابة كلُّهم عرب، ومن لم يكن عربيَّ العرق منهم أصبح عربي اللسان والقلب، «ومن تكلم العربيَّة فهو عربي»، وقد جاء في الأثر: «إذا عزَّ العرب عزَّ الإسلام، وإذا ذلَّ العربُ ذلَّ الإسلام»[(١)].

وفي مصر وبلاد المغرب العربي كلِّه، لا يفرق النَّاس بين العروبة والإسلام، ولا بين العرب والمسلمين، وإذا قال الخطيب في المسجد: اللهمَّ انصر العرب. فهي تساوي: اللهمَّ انصر المسلمين، والعكس كذلك. وقد عبَّر عن هذا الشاعر المصري محمود غنيم رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله:

إنَّ العروبةَ لفظٌ إن نطقت به فالشَّرْقُ والضادُ والإسلامُ معناه[(٢)]

---

(١) رواه أبو يعلى (١٨٨١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٠٧): رواه أبو يعلى، وفيه محمد بن الخطاب البصري، ضعفه الأزدي وغيره، ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح. عن جابر بن عبد الله.

(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم (٨٠/١)، نشر دار الغد العربي، ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

العروبة إذن عميقة الصلة بالإسلام، والإسلام كذلك عميق الصلة بالعروبة، ولا تعارض بين العروبة والإسلام، إلَّا إذا كانت العروبة «علمانيَّة»، وهي الَّتي لا تقبل الإسلام حكمًا، أو كان الإسلام «شعوبيًّا» وهو الَّذي يعادي العرب، والواقع أنَّ الإسلام يجعل للعرب مكانةً خاصَّة، ويُعَزِّب مشاعر المسلمين من غير العرب، إنْ لم يُعَزِّب ألسنتهم وثقافتهم.

وإنَّما حدثت الجفوة بين العروبة والإسلام بدخول الغلاة من الفريقين في المَيْدان، فساء ظنُّ كلٍّ منهما بالآخر، وساء تفسيره لفكرته، فرأينا في القوميِّين من يعتبر القوميَّة العربيَّة «نبوَّة جديدة» للعرب، ومن يعتبر الإسلام مجرَّد «انتفاضة عربيَّة»، ومن يجعل القوميَّة فوق الدين، ومن يقول في شعره:

سَلامٌ على كُفْرٍ يوحِّد بَيْنَنا وأهلًا وسهلًا بعدَه بجَهَنَّمِ[1]!

ورأينا في الإسلاميِّين من يعتبر القوميِّين كلَّهم من هذا الصنف المذكور، ولا يفرق بين فصيلٍ وفصيل، ويعتبر القوميَّة كلُّها جاهليَّة، ولقد حدثت لقاءات وندوات للحوار بين الإسلاميِّين والقوميِّين، قرَّبت بين المنصفين والمعتدلين من التيَّارين، وتفهَّم كلُّ طرفٍ ما عند الآخر، والتفهُّم إذا اقترن بالإنصاف، كثيرًا ما يؤدِّي إلى التقارب والتواصل، بدلًا من التجافي والتقاطع.

* * *

(١) من شعر رشيد سليم الخوري، كما في ديوانه الأعاصير صـ ١١١، نشر مطابع مجلة الشرق.

QaradawiBooks.com

الداعية الكبير في عامه السبعين
الأنظمة المستبدَّة تخاف الإسلام المعتدل وتحاربه(١)!

منذ أيَّام بلغ الداعية الإسلامي الكبير الشيخ القرضاوي السبعين من عمره، وبهذه المناسبة التقيتُ به في بيته لإجراء حوار لجريدة «الشعب»، وأصابتني الحيرة في موضوع الحديث! هل سيكون وقفة مع الماضي ورحلة عالِمنا الكبير في عالَم الدعوة إلى الله، حيث يجوب آفاقها منذ ما يقرب من أربعين سنة.

لكنَّني فضَّلت أن يكون حديثي معه حول المستقبل، خصوصًا بعدما علمتُ أنَّ زملاء الدكتور القرضاوي ومحبِّيه وتلاميذه يُعِدُّون كتابًا ضخمًا متكاملًا حول فكر شيخنا الجليل وأثره في الصحوة الإسلاميَّة المعاصرة.

نتقدَّم ببطء السلحفاة!

المحاور: في بدء حوارنا عن المستقبل سألتُ الداعية الكبير عن رأيه في مدى أخذ العالم الإسلامي بأسباب النهوض والتقدُّم، وهل نحن جادُّون في هذا الصدد أم أنَّنا «محلَّك سرْ»؟

أجابني **فضيلة الشيخ القرضاوي**: التعميم ليس من الحكمة في شيء، فدول العالم الإسلامي شتَّى حاليًا، والتقدُّم ذاته له مجالات متعدِّدة،

(١) نشر في جريدة الشعب بالقاهرة.

QaradawiBooks.com

لكن يمكن القول بأنَّنا دون المستوى المنشود بمراحل، ونتقدَّم ببطء السلحفاة، والعالم يشهد ثورات علميَّة مختلفة، في مجالات الطبِّ والتكنولوجيا، إلخ، أين نحن منها؟ للأسف لا صلة لنا بها! فلسنا على مستوى العصر ولا مستوى إسلامنا الَّذي يدعو إلى التقدُّم والتفكُّر والتدبُّر والأخذ بأسباب القوَّة.

وأكمل الشيخ يوسف إجابته عن سؤالي قائلًا: الدولة الَّتي أراها أقرب إلى التقدُّم في عالمنا الإسلامي هي ماليزيا، ففيها نهضة اقتصاديَّة حقيقيَّة، وصحوة إسلاميَّة كبيرة، وحُرِّيات سياسيَّة واسعة.

الضربات المتلاحقة تزيدنا صلابة:

وبمناسبة الحديث عن الحريات السياسيَّة الموجودة في ماليزيا! تذكَّرت بلادي وأصدقائي وراء الشمس، د. عصام العريان، ود. عبد المنعم أبو الفتوح، ود. محمَّد حبيب، وغيرهم وغيرهم من خيار النَّاس المحكوم عليهم بالسجن ظلمًا وعدوانًا، واضح أنَّ الحركة الإسلاميَّة تُضْرَب بعنف.

المحاور: سألت أستاذنا الجليل الدكتور يوسف القرضاوي عن مستقبل الصحوة الإسلاميَّة، هل هي في تراجع؟

نفى **فضيلة الشيخ القرضاوي** ذلك بقوَّة قائلًا: صحيحٌ أنَّ الأنظمة الحاكمة في أجزاء عديدة في العالم الإسلامي تتآمر على المتديِّنين وتواجههم بالقوَّة والإرهاب، إلَّا أنَّ هذه الضربات المتلاحقة غير مميتة، بل على العكس فهي تفرز الصف الإسلامي، وتميز الخبيث من الطيِّب، وتعطي للتجمُّعات المؤمنة صلابة وقوَّة، لقد قامت الصحوة الإسلاميَّة بالفعل، وهيهات أن تموت.

QaradawiBooks.com

هذه أسباب تفاؤلي:

المحاور: سألتُ الشيخ يوسف القرضاوي عن أسباب تفاؤله بمستقبل الحركة الإسلاميَّة، رغم «الظلام» الَّذي نعيش فيه، من أين سيأتي «النور» يا فضيلة الشيخ؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: التفاؤل له أسباب كثيرة جدًّا مبنية على أرض ملموسة وليست أوهامًا! **هكذا ردَّ شيخنا الجليل وبدأ يشرح ما يعنيه قائلًا:** انظر إلى التاريخ المعاصر والقديم ستجد ما يدفعك إلى الإيمان بمستقبل الحركة الإسلاميَّة.

لقد تلَّقت في العصر الحديث ضرباتٍ ساحقة بالعديد من الدول، ومع ذلك عادت إلى نشاطها من جديد، وبأكثر ممَّا كان يحلم به أيُّ شخص، السجون ليست كلُّها سلبيَّات كما نظنُّ، فمنها أيضًا يتخرَّج الرجال، كما أنَّها فرصة لا تتكرَّر للتآخي والخَلْوة مع الله، فيزداد الإيمان في القلوب، ويشهد الصف مزيدًا من التماسك والوحدة.

وإذا نظرنا إلى التاريخ القديم نجد أنَّ المسلمين قد ابتُلُوا بمصائب كبرى، لكنَّهم سرعان ما استعادوا قوَّتهم، فقد سقطت بغداد عاصمة الخلافة، ومع ذلك استطاع جند الإسلام في النهاية قهر التتار في عين جالوت، وسقطت القدس والعديد من المدن الإسلاميَّة في أيدي الصَّليبيِّين، وجاء صلاح الدين ليُنْزِل الهزيمة بأعداء الإسلام، وشهدت الأندلس مذابح بشعة لأتباع محمَّد ﷺ، لكن القسطنطينية سقطت في أيديهم على يد المجاهد «محمد الفاتح».

وهناك أسباب أخرى تدعوني إلى التفاؤل، فلا يوجد شيء على

QaradawiBooks.com

حاله، والظلم لا يستمرُّ إلى الأبد، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فسُنَّة التغيير وسُنَّة التداول في صالحنا تمامًا.

والقرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة من أهم المبشرات الَّتي تدعو كلَّ مسلم إلى التفاؤل، هناك الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الَّتي تؤكِّد أنَّ النصر في النهاية للمؤمنين وتُحَذِّر من اليأس والقنوط.

الإرهاب، والأنظمة المستبدة:

المحاور: لكن هل الإرهاب الَّذي شهدته بعض البلاد الإسلاميَّة ـ مثل مصر والجزائر ـ قد أثر سلبيًّا في الحركة الإسلاميَّة إجمالًا لدى جماهير الشعب خصوصًا، وأنَّ أجهزة الإعلام قد استغلَّت العنف الَّذي وقع لتنفير النَّاس من المتدينين عمومًا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لخَّص شيخنا الجليل يوسف القرضاوي إجابته في عدَّة نقاط:

أوَّلها: أنَّ أحداث العنف الَّتي وقعت هي مسؤوليَّة الأنظمة المستبدَّة بالدرجة الأولى، حيث إنَّ الحرب على التيار الإسلامي كله، وإغلاق أبواب الحوار؛ نتائجه وخيمة على الجميع.

ثانيها: أنَّ الشباب المسلم المتديِّن بخير في غالبيَّته العظمى، وهو ينتمي إلى تيار الوسطيَّة المعتدل الَّذي يرفض العنف، وينظر إلى الإسلام بطريقة شاملة.

ثالثها: أنَّ أجهزة الإعلام استغلَّت بطريقة شيطانيَّة تصرُّفات القلَّة الشاذَّة المنسوبة إلى الصفِّ الإسلامي من أجل الاستغلال السيِّئ إذا كان له تأثير في الجمهور فهو مؤقَّت؛ لأنَّ النَّاس ستكشف بيسرٍ

QaradawiBooks.com

وسهولةٍ أنَّ المتديِّن بحقٍّ لا يمكن أن يكون بهذه الصورة الَّتي ظهر بها في أجهزة الإعلام.

آخرها وهو الغريب: أنَّ الحكومات المستبدَّة في عالمنا الإسلامي لا تخشى من المتطرِّفين بقدر خشيتها من تيار الاعتدال؛ ولذلك شنَّت عليهم حربًا لا هوادة فيها مثل: إلقاء أبرز رموزهم في السجون، والعمل على ضرب النقابات، وتزوير الانتخابات، فالكارهون لديننا يعلمون تمامًا مدى تأثير تيار الوسطيَّة الإسلاميَّة في جموع الشعب.

احترام الحكم، ولكن!

المحاور: بعض العلمانيِّين الَّذين انضمُّوا إلى صفِّ الاستبداد في محاربة التيار الإسلامي يزعمون أنَّ الاتهام بالكفر والإلحاد والمروق هي «وصفات جاهزة» يستخدمها المتديِّنون ضد كلِّ من يخالفهم في الرأي، فما رأيك؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: منذ سنوات بعيدة قال مرشد الإخوان المسلمين حسن الهضيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: نحن دعاة ولسنا قضاة، ووضع كتابًا في هذا الصدد[1]، وكانت الظروف في غاية الصعوبة، والملاحقة على أشدِّها، ومع ذلك رفض أن يحيد عن الخطِّ الإسلامي الصحيح، فترويج الاتِّهامات ليس من سِمَات التيار الإسلامي الأصيل، وكان أولى بهؤلاء أن يقفوا إلى جانب المظلومين في السجون بدلًا من أن يكونوا عونًا للاستبداد.

لكنَّهم استغلُّوا قضيَّة الدكتور نصر أبو زيد لتأكيد أنَّ المنتمين إلى التيار الإسلامي يواجهون غيرهم بالإرهاب الفكري!

(١) دعاة لا قضاة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحكم الصادر في هـذا الموضوع يجـب أن يكون لـه الاحترام من الجميع؛ لأنَّ محكمة النقض هي الَّتي قضت به، وهي أعلى سلطة قضائيَّة، وقد مرَّ هذا الحكم بمراحل متعدِّدة حتَّى اسـتقرَّ في شكله النهائي، وجاء بعد بحثٍ جادٍّ وتمحيصٍ شامل لآراء هذا الأستاذ، قام به قضاة متخصِّصون. ومع ذلك لـو كان الأمر بيدي لاقترحـت أن يطرح هـذا الموضوع جانبًا ولا يذهب إلى ساحات المحاكم، فمكانه الأوَّل هو الساحة الفكريَّة.

مصير حزب التجمُّع!

المحاور: صرح السيِّد خالد محيي الدِّين ـ أمين عام حزب التجمُّع ـ مؤخَّرًا بأنَّ الحكومة تعمل على التضييق عليه، لكن الإخوان لو وصلوا إلى الحكم فسـيقضون على حزبه نهائيًّا، ويرفضون السماح له بالعمل بحجَّة أنَّه حزب علماني! تُرى بماذا تردُّون على هذا القول؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أوَّلًا لست أعرف الأسباب الَّتي دفعت خالد محيي الدين إلـى الإدلاء بتصريحه هذا، لكنَّني أطلـب منه أن يطمئنَّ، فنظام تعدُّد الأحـزاب بمفهومه الواسـع لا يتعارض مـع تعاليم ديننا، وعندي مقولة مشهورة أقولها في هذا الصدد: «الأحزاب مذاهب سياسيَّة، والمذاهـب أحزاب دينيَّة»، فقد عرف المسـلمون الخـلاف في الرأي، واحترم بعضهم البعض، وكان خلافهم في أرقى صورة، والمذاهب الَّتي نشـأت دليل أكيد على ذلك، وكل المطلوب من الحزب السياسـي ألَّا يكون تابعًا لجهات أجنبيَّة يتلقَّى أوامره منها، وهذا أمر بديهي، كما عليه ألَّا يُصادم قواطع الدِّين ويعلنها حربًا على إسـلامنا، وأهلًا بكلِّ حزب يحترم مشاعر النَّاس الدِّينيَّة «الإسلامية والمسيحيَّة على السواء»، فلسنا نتطلَّع إلى حكم يسـود فيه رجال الدِّين، أو يكـون للقائمين عليه حقُّ

QaradawiBooks.com

القداسة والطاعة العمياء، بل هو حكم مدني إسلامي، والحاكم فردٌ ليس بمعصومٍ من النقد إذا أخطأ.

العلاقات مع الغرب:

المحاور: وماذا عن العلاقات مع الغرب؟ وكيف ترونها في المستقبل؟ هل إلى التصادم أم إلى حسن الجوار؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الغرب مثل الشرق ليس شيئًا واحدًا، فرنسا ليست مثل إنجلترا، وأمريكا مختلفة، لكن يمكن القول إجمالًا بأنَّ الغرب بصفة عامَّة، وإن لم يقف منَّا موقف العداء، فهو ليس بالصديق، ولا يحمل لنا المودَّة والتقدير، وهناك عدَّة أسباب لذلك منها: رواسب الحروب الصليبيَّة، وبقايا الاستعمار الحديث، والاستعلاء والعنصريَّة المنتشرة في تلك البلاد.

وعن المسلمين هناك أقول: هناك قلَّة منهم لا تفهم الإسلام بطريقة صحيحة، وأصواتهم عالية، ويسيئون إلى ديننا! وهم متعصِّبون لما يؤمنون به، أمَّا الكثرة الغالبة ففيهم الاعتدال والتسامح، وهم منفتحون على الغرب، لكنَّهم في الوقت نفسه يرفضون الذوبان فيه، وفي يقيني أنَّهم أداة جيِّدة جدًّا لتحسين صورة المسلمين هناك في الغرب، بحيث نكسب العقلاء منهم إلى صفوفنا، وأوَّل ما أنصح به المسلمين في أوربا وأمريكا هو الحرص على الوَحْدة.

هزيمة المجاهدين في أفغانستان:

المحاور: قلتُ لشيخنا القرضاوي: المجاهدون في أفغانستان أصابونا بخيبة أمل كبرى، وقد ألقى ذلك بظلاله على مستقبل التيار الإسلامي إذا تسلَّم الحكم في بلدٍ ما، فما الضمانات لعدم تكرار ذلك؟

QaradawiBooks.com

أجانبي **فضيلة الشيخ القرضاوي** في حسرة قائلًا: الوضع هناك بالفعل يدعو إلى الحزن، إنَّه جرح خطير في جسد المسلمين، لقد انتصروا على دولة كبرى، وأعظم قوَّة اتحاديَّة في التاريخ، لكنَّ المجاهدين لَقُوا الهزيمة من قبل أنفسهم ـ أقصد شهواتهم ـ فقامت الحرب الأهليَّة الَّتي نشهدها حاليًّا، والوضع هناك شديد التعقيد، فهناك قبائل متعدِّدة وعصبيَّات ونزعات عرقيَّة، واستغلَّت قوى خارجيَّة هذا الوضع لتأجيج النار.

وحُسْن التربية للمسلم المجاهد أراه ضروريًّا لعدم تكرار هذه المأساة من جديد، وهذا الأمر له صفات يجمعها حسن الصلة بالله، ومحاسبة النفس باستمرار.

المرأة، خسارة:

المحاور: ألا توافقني أنَّ عنصر التشدُّد ما زال نفوذه قويًّا في معاملة المتدينين للمرأة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذا صحيح ويشكِّل خطرًا على مستقبل الحركة الإسلاميَّة، فالمرأة نصف المجتمع، ومع ذلك «فالأنثى» في ميدان الدعوة لم تأخذ حقّها كما ينبغي، وفشل الإسلاميُّون في إبراز قيادات نسائيَّة إسلاميَّة، بينما نجح العِلْمَانيُّون في ذلك.

اختفاء المواهب في ميدان الدعوة:

المحاور: وكان سؤالي الأخير حول اختفاء المواهب في ميدان الدعوة. أين العلماء أمثال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ والقرضاوي ومحمد عمارة وغيرهم حفظهم الله جميعًا؟

QaradawiBooks.com

أجابني قائلًا: الأمر ليس بهذه الصورة القاتمة، ولكن بلا شكَّ هناك خلل في مَيْدان الدعوة، وله أسبابه الثلاثة: فالتعليم الديني يحتاج إلى مراجعة، والاستبداد السياسي عدو طبيعي لكلِّ داعيةٍ ناجح، ولا يمكن أن يسمح له بأيِّ نشاطٍ حقيقي، إلَّا إذا كان في خدمة الحاكم ومآربه، كما أنَّ الحكم المستبد قام بالتضييق على الهيئات الشعبيَّة الإسلاميَّة، مثل جماعة الإخوان المسلمين الَّتي تربَّينا في ظلِّها، وأعطتنا فرصًا حقيقيَّة للانتشار بين الجماهير، وتعلُّم الدعوة بطريقة عمليَّة ومباشرة من خلالها، وإلى هذه الجماعة وغيرها من الهيئات المخلصة يرجع الفضل في نجاح العديد من الأسماء اللامعة بميدان الدعوة في عصرنا الحديث.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثلاث خطوات ضروريَّة لوحدة إسلاميَّة تُقَرِّب بين السُّنَّة والشيعة[1]

واصلت «الشعب» حوارها مع د. يوسف القرضاوي، كان الجزء الأوَّل من الحوار قد تنـاول مؤتمر الدوحة حصـار العراق وحادث الأقصر.

المحاور: قلتُ لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوي: لكم فتوى معروفة بتحريم التعامـل والتطبيع مع الصهاينة في ظـلِّ احتلالهم لأرضنا، فما مرتكزات هذه الفتوى؟

قال الشيخ:

فضيلة الشيخ القرضاوي: إنَّ الموقف من إسرائيل موقف مبدئي ـ كما يُعَبِّرون عنه في عصرنا: ـ إستراتيجي ليس تكتيكيًّا، وليس سياسيًّا يمكن أن يتحرَّك أو يتغيَّر بتغيُّر الظروف، هو موقف مبدئي، وإسرائيل هي في التكييف الشـرعي جماعة وصلت لأرض المسلمين واحتلتها بغير حقٍّ، ولم يكن لها في هذه الأرض أي شـرعيَّة، وإنَّما أخذتها بالحديد والنار والعنف والدم، وشرَّدت أهلها في آفاق الأرض، وهذا يعني أنَّ إسرائيل أقامت كيانها كلَّه على العدوان والاغتصاب، ومثل هذا لا يعطي الشَّرعيَّة

(١) نشر في جريدة الشعب بالقاهرة.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

بتقادم الزمن ومرور الأعوام، فإنَّ مُضِيَّ الزمن في نظر الشريعة الإسلاميَّة لا يجعل الحرام حلالًا، ولا الباطل حقًّا، ولا يسلب الباطل صفته، والنهب هي صفته الأولى، فعلى هذا الأساس رفضنا السَّلم مع إسرائيل، بمعنى السلام الَّذي يعطيها الحقَّ فيما اغتصبت، ويجعل لها سلطانًا شرعيًّا على ما نهبته من دار الإسلام وأرض المسلمين.

ويمكن لمصلحة يراها أولو الأمر من المسلمين أن يعقدوا هدنة مع إسرائيل ومع دول الاغتصاب، دون أن يتضمَّن ذلك اعترافًا بحقِّها وسلطانها الشرعي على ما اغتصبت من أرض.

من هنا نرى أنَّ الواجب على أهل فلسطين على وجهٍ أخصَّ، وعلى العرب بصفة خاصَّة، وعلى المسلمين بصفة عامَّة أن يقاوموا هذا الاغتصاب والعدوان الصهيوني، وإن كانت إسرائيل اليوم قوَّة بما تملك من ترسانة نوويَّة وكيماويَّة وغيرها بمساندة أمريكا المطلقة لها، والمساندة الغربيَّة إلى حدٍّ ما، فإنَّ سُنَّة الله ألا يبقى القويُّ قويًّا، ولا يستمرُّ الضعيف ضعيفًا، فالأمر يتقلَّب ودوام الحال من المحال ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وعندنا البشائر النبويَّة بالانتصار على اليهود في أنَّ الحجر والشجر سيكونان معنا بإذن الله.

التقريب بين الشِّيعة والسُّنَّة:

المحاور: قلتُ للدكتور القرضاوي: قضيَّة الوحدة بين المسلمين ما زالت في وضع متأخِّر في سُلَّم أولويَّات الأُمَّة في ظلِّ التكتلات الَّتي يشهدها العالم. فما موقع قضيَّة الوحدة للمسلمين؟ وكيف يتمُّ التقريب بين جناحي الأُمَّة المهيمن الشِّيعة والسُّنَّة؟

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: قال الشيخ: لا يوجد دين كالإسلام دعا إلى وَحْدَة الأُمَّة وتعاونها على البرِّ والتقــوى، واعتصامها بحبل الله جميعًا، وحذَّر من الاختلاف والفرقة والتنازع كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ثمَّ يقول: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفــال: ٤٦]، وفي الحديــث: «**لا تختلفوا؛ فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[(١)].

والأُمَّة الإسلاميَّة تملك كلَّ ما يُقَوِّي وَحْدتها ويجعل منها أُمَّة واحدة لديها وحدة العقيدة، ووحدة الشــريعة، ووحدة القبلة، ووحدة الآداب، ووحدة المصادر، ولديها وحدة للغايــة، ووحدة المنهج؛ ولهذا لا يجوز أن تصبح هذه الأُمَّة أممًا يجافي بعضها بعضًا، بل يعادي بعضها بعضًا، بل يقاتل بعضها بعضًا أحيانًا، وذلك مع تحذير الرسول لهم: «**لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا يضرب بعضُكم رقاب بعض**»[(٢)].

وإذا كان المســلمون دائمًا في حاجة إلى الوجــود ـ أو على الأقلِّ التضامن والتقارب ـ فهــم أحوج ما يكونون إلى ذلــك في عصرنا هذا الَّذي يتقارب فيه المختلفون بعضهم مع بعض، برغم ما كان بينهم من خلافاتٍ وعداواتٍ وحروبٍ ودماءٍ طوالَ قرون مضت.

رأينا ذلك على المستوى الديني ما بين الكاثوليك والبروتستانت من المسيحيِّين، بل رأيناه ما بين اليهود والمسيحيِّين، على الرغم من القرون الطويلة الَّتــي كان العداء بينهمــا صريحًا ومســتعر الأُوَار، فانتهوا إلى ما أصدره الفاتيكان من وثيقة تبرئة اليهوديَّة من دم المسيح عليه السلام.

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٦)، عن ابن مسعود.

(٢) سبق تخريجه صـ١٨٥.

QaradawiBooks.com

رأينا ذلك على المستوى الأيديولوجي، رأينا المختلفين أيديولوجيًّا يتقاربون فيما بينهم في ضوء سياسة التعايش السلمي القديم بين الولايات المُتَّحِدة وحلفائها من جانب والاتحاد السوفيتي وحلفائه من جانب آخر، ثمَّ سياسة الوفاق أخيرًا، إلى أن انتهى الاتِّحاد السوفيتي، ولكن خلفه التقارب والاتفاق مع الصين الشيوعيَّة.

رأينا هذا التقارب على المستوى الاقتصاديِّ والسياسيِّ بالنسبة لأوربا الَّتي استمرَّ الصراع بين دولها فترات طويلة يذكرها التاريخ ولا ينساها، ولا ينسى الحروب المدمِّرة الَّتي قامت بين بعضها البعض وآخرها الحربان العالميَّتان الأولى والثانية وما خلَّفتاه من ضحايا بالملايين.

ومع هذا تتقارب أوربا اقتصاديًّا وسياسيًّا لتنشئ كتلة كبرى، تستطيع أن تقف في مواجهة الكتلة الأمريكيَّة الكنديَّة المكسيكيَّة.

إذن العالم كلُّه تكلَّم بلغة التكتُّل، ويتضامن بعضه إلى بعض، إلَّا العرب والمسلمين، فنحن للأسف كلَّما تكتَّل غيرنا تفرَّقنا نحن، ويزداد يومًا بعد يوم تمزُّقنا في الصفوف واختلافنا في الكلمة، وهذا لا يصبُّ إلَّا في مصلحة أعدائنا الَّذين يريدون أن يلتهمونا واحدًا بعد الآخر، فالإنسان لا يستطيع أن يلتهم الرغيف في لقمةٍ واحدةٍ، ولكنَّه يُقَطِّعُه لقمًا ثمَّ يأكله ويمضغه بعد ذلك.

لهذا أدعو العرب خاصَّة والمسلمين عامَّة إلى أن يجمعوا كلمتهم، ويوحِّدوا صفَّهم، ويقفوا في جبهةٍ واحدة ليحافظوا على كيانهم ووجودهم، فلا بقاء في هذا العصر للكتل الصغيرة، إنَّما البقاء للكتل الكبرى، ونحن ـ بحمد الله ـ أُمَّة كبرى (٣٥٠) مليونًا من العرب، ووراءهم أكثر من ألف مليون من المسلمين، يمكنهم أن

QaradawiBooks.com

يُكوِّنوا قـوَّة مؤثِّرة فـي هذا العالـم، خصوصًا أنَّهـم يملكون من المقوِّمات والطاقـات ما يؤهِّلهم لذلك، فهـم أولًا يملكون الطاقة البشريَّة العدديَّة كما يقول الشاعر:

وإِنَّمَـا العِـزَّةُ لِلْكَاثِـرِ[1]

قال تعالى: ﴿إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعـراف: ٨٦]، فبجانب هذه الكثرة العدديَّـة لدينا الخبـرات والقوَّة المادِّيَّة الواسـعة، فالعرب والمسـلمون يملكون القوَّة المادِّيَّة والاقتصاديَّة من السـهول والوديان الخصبة الواسـعة الصالحة للزراعة، ومن البحـار والبحيرات والأنهار الحافلة بالثروات البحريَّة والسمكيَّة، ومن المعادن النافعة والنفسيَّة الَّتي يحتاج إليها العالم، وحسْـبنا أنَّ معظم احتياطي النفط والغاز في العالم في بلادنا العربيَّة والإسلاميَّة.

ونملك القوَّة الحضاريَّـة والعمق الحضـاري والتاريخي والثقافي، فلسـنا أُمَّة حديثة العهد أو وليدة الأمس القريب كالولايات المُتَّحِدة أو أستراليا، نحن نعيش في منبت الحضارات ومهبط الرسالات، في أرضنا، في وطننا الإسلامي الأكبر نشـأت الحضارات العربيَّة الكبرى في تاريخ العالـم: الفرعونيَّـة، والفينيقيَّـة، والآشـوريَّة، والبابليَّـة، والكِلْدَانيَّة، والفارسيَّة، والهنديَّة، كل هذه الحضارات نشأت في أرض الإسلام، الَّذي يعيش عليها المسلمون وهم ورثة هذه الحضارات.

كما أنَّ الأديان السـماويَّة والرسالات السـماويَّة الكبرى نشأت في ديارنا هذه، نشـأت اليهوديَّة، ونزلت التوراة في هذه الأرض، ونشـأت المسيحيَّة، ونزل الإنجيل، وبُعِثَ المسيح ابن مريم في هذه الأرض.

(١) القائل: الأعشى، كما في الرسائل السياسية للجاحظ صـ ٤٢٧، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت.

QaradawiBooks.com

ونشأ الإسلام الَّذي ختم الله به الرسالات، ونزل القرآن العظيم، وبعث محمَّد بالرسالة الخالدة في هذه الأرض، فنحن وحدنا الَّذين نملك هذه الطاقة التاريخيَّة الحضاريَّة الهائلة، ونملك بعد ذلك كله ـ وفوق ذلك كله ـ القوَّة الروحيَّة، نملك الرسالة العظيمة الَّتي بُعِثَ بها محمَّد رحمةً للعالمين وحجَّةً على النَّاس أجمعين؛ رسالة العدل والرحمة والوسطيَّة والتوازن، الَّتي وصلت الأرض بالسماء وربطت الدُّنْيا بالآخرة، ووازنت العقل والقلب، ومزجت بين الرُّوح والمادَّة، ووفَّقت بين حُرِّيَّة الفرد ومصلحة المجتمع.

هذه الرسالة هي سفينة الإنقاذ وطوْق النجاة للعالم ممَّا يعانيه من ماديَّة مجحفة، وإباحيَّة مسرفة، وشرود عن الصراط المستقيم، نحن المسلمين وحدنا الَّذين نملك الوثيقة الإلٰهيَّة الَّتي تجسِّد كلمات الله الأخيرة للبشريَّة والَّتي لم يعتريها أي تحريف أو تبديل، إنَّها القرآن الكريم الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والَّذي تولَّى الله تعالى حفظه بنفسه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

هذه الرسالة الَّتي تُعطي الإنسان الإيمان ولا تأخذ منه العلم، تعطيه الروح ولا تسلبه المادَّة، تعطيه القوَّة ولا تحرِّم عليه طيِّبات الدُّنيا، تربطه بالسماء، ولكن لا تنزعه من الأرض، تأمره برعاية حقِّ الربِّ ولا تحرمه من رعاية حظوظ النفس «**إنَّ لجسدِكَ عليك حقًّا، وإن لعَيْنِكَ عليك حقًّا، وإنَّ لزوجِكَ عليك حقًّا**»[1]، وشعارها: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصوم (١٩٧٥)، ومسلم في الصيام (١١٥٩)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

نحن المسلمين نملك وحدنا هذه الطاقات كلَّها، والقوَّة البشريَّة، والقوَّة المادِّيَّة والقوَّة الحضاريَّة، والقوَّة الروحيَّة، ولكن برغم هذه الطاقات والقوَّة الَّتي لنا فنحن في مجموعنا ضعفاء؛ لأنَّنا متفرِّقون والتفرُّق يُضْعف الكثرة، كما أنَّ الاتِّحاد يقوِّي القلَّة، وكما يقال على مستوى الأفراد: المرء قليلٌ بنفسه، كثيرٌ بإخوانه، ضعيف بمفرده قويٌّ بجماعته، كذلك نقول على مستوى الأُمَّة؛ الأمَّة قَوِيَّة بشعوبها إذا تضامنت وتلاحمت وأصبحت إرادتها واحدة، ووجهتها واحدة، وقرارها واحد، حينئذٍ تستطيع أن تؤثِّر إيجابيًّا فيمن حولها وما حولها، تستطيع أن تشدَّ أزْر الصديق وتردَّ كيد العدوِّ.

ومن هنا أدعو أمَّة الإسلام إلى أن يتقاربوا ويتضامنوا وينسوا كلَّ خلافٍ بينهم سعيًا إلى الوحدة الَّتي كانت قَدَر هذه الأُمَّة وهدفها المنشود، ولهذا حضرت ندوة التقريب بين المذاهب الإسلاميَّة الَّتي دعت إليها المنظمة الإسلاميَّة (إيسيسكو) للثقافة والعلوم بمدينة الرباط صيف (١٩٩٦م)، وقدَّمت ورقة في ذلك، وتحدَّثت بصراحة مع الإخوة حُجَج الإسلام الَّذين جاؤوا يُمَثِّلون المذهب الشيعي، وقلت: إذا أردنا أن نُقيم أُمَّة إسلاميَّة ووحدة إسلاميَّة تقرِّب بين المذاهب الإسلاميَّة تقريبًا حقيقيًّا وليس مجرَّد كلام يقال أو شعار يرفع لا بدَّ أن نراعي أشياء مُهِمَّة هي:

أوَّلًا: أن نبتعد عن القضايا الَّتي تثير الفرقة ولم يعد لها مبرِّر مثل سبِّ الصحابة رضي الله عنهم، فلا معنى أن يُشْغَل إخواننا الشِّيعة بذلك، وقد أَفْضَى الجميع إلى ربِّهم، وانتهوا إلى ما قدَّموا، وقد قال عمر بن عبد العزيز عندما سئل عن الدماء الَّتي سالت بين الصحابة، فأجاب

QaradawiBooks.com

إجابة حكيمة وقال: «تلك دماء طهَّر الله منها أيدينا، فلا نلطخُ بها ألسنتَنا»[١].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]، وكيف يمكن أن نتقارب إذا كان فريق يسبُّ الآخر أو رجاله أو مذهبه.

ثانيًا: لا يجوز لأيٍّ من أهل السُّنَّة أو الشِّيعة أن يعمل على نشر مذهبه في البلاد الخالصة للمذهب الآخر، ولا يجوز للسُّنِّي أن يذهب لنشر المذهب السُّنِّي في طهران أو قُم، كما لا يجوز للشيعي أن ينشر المذهب الشيعي في مصر أو الجزائر الخالصة للسُّنَّة، فما قيمة أن يزداد مائة أو مائتين للشيعة أو للسنة ولكنَّهم يثيرون الفُرْقة والخلاف، يجب أن نتَّفق على ذلك جيِّدًا.

ثالثًا: كذلك يجب أن يحترم كلٌّ مِنَّا حقوق الأقليَّة الَّتي تعيش في رحابه وظِلِّه، فإذا كانت هناك أقليَّة شيعيَّة يجب أن نرعى حقوقها، وأن يتمكَّنوا من أداء صلواتهم وعبادتهم، وإذا كان هناك أهل السُّنَّة في بلاد الشِّيعة، وكذلك إن كان هناك شيعة عند أهل السُّنَّة ـ وهذا واقع فعلًا ـ فهؤلاء يجب أن يعطوا حقوقهم الدِّينيَّة والسياسيَّة، ومن الناحية السياسيَّة يجب أن يمثل أهل السُّنَّة أو الشِّيعة تمثيلًا يكافئ عددهم في مجلس الوزراء وفي البرلمان مثلما يحدث في مصر، ففي مصر أقليَّة مسيحيَّة يُمَثِّلون في مجلس الشعب والوزارات.

يجب أن نسعى وأن نرعى هذه الضوابط ونقرَّها على المستوى العلمي والنظري أمام القوى الَّتي تريد أن تبتلعنا، ولا تريد أن يكون لنا

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١١٤/٩).

QaradawiBooks.com

موضع، لو نجحنا في هذا بـإذن الله فإنَّ الطريق إلى التقارب سـيكون سـهلًا؛ لأنَّ ما يجمع أكثر ممَّا يفـرِّق بكثير، والوحـدة الآن هي ألزم ما تكون لأنَّنا في معركة، وفي المعركة يجب أن ننسى كلَّ خلاف.

نحن فـي معركة دينيَّة وعسـكريَّة واقتصاديَّة وسياسـيَّة، وعلى كلِّ صعيد مع الأعداء، وهذا يتطلَّب أن نضمَّ الصفوف جميعًا.

وهذا هو الواجب الحتمي على أهل الدِّين وأهل الفكر وأهل السياسة في هذه الآونة الخطيـرة في حياة أُمَّتِنا، أن يسـعوا للتوحيد وللتقريب، وينبغي أن يكون شعار الجميع القاعدة الذهبيَّة الَّتي وضعها رشيد رضا وتبنَّاها الإمام حسـن البنَّا: «نتعاون فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيمـا اختلفنا فيه»، وأعتقـد أنَّ ما نتَّفـق عليه ليس بالهيِّـن أو القليل، ويتطلَّب منَّا جهودًا ضخمة، فلنتعاونْ في هذا الجانب، والله يُوَفِّق الجميع ويهدينا سواء السبيل.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حوار مع الدكتور يوسف القرضاوي[1]

كنت قد عرفت الشيخ يوسف القرضاوي من كتاباته الكثيرة، ومحاضراته المسموعة والمرئيَّة، وعرفت فيه رجلًا يعيش الهمَّ الإسلاميَّ بأوسع معانيه.

يفهم كلَّ ما يدور في الساحة الفكريَّة والاجتماعيَّة، ويعالجه على أساسٍ من القرآن والسُّنَّة، وبلغة العصر، كما يتناول من القضايا ما يحتاجه العصر، وخاصَّة ما تحتاجه فئة الشباب.

حين زار الجمهوريَّة الإسلاميَّة بدعوة من المجمع العالمي للتقريب كان لا بدَّ أن أتشرَّف بزيارته، التقيته في محل إقامته، وما إن وقعت عيني عليه حتَّى تجسّم أمامي نصف قرن من تاريخ الدعوة والصحوة والعودة.

وما إن جلستُ إليه وفتحتُ معه أبواب الحديث حتَّى رأيتُ في الرجل رُوح الشباب، وتجربة الشيوخ، وعلم الأزهر، وتاريخ حسن البنَّا وحسن الهضيبي وسيِّد قُطْب ومحمَّد الغزالي.

إنَّه تاريخ حيٌّ للصحوة الإسلاميَّة المعاصرة، وصوتٌ مُعَبِّر عن إرادة هذه الأُمَّة في حياة إسلاميَّة عزيزة كريمة، ورؤية مفعمة بالأمل في مستقبل الإسلام على ساحة المعترك الحضاري القائم.

(١) مجلة رسالة التقريب، طهران، وأجرى الحوار رئيس التحرير أ. محمَّد باقر الحكيم.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

كان من الصعب عليَّ أن أطلب منه تسجيل مقابلة. ولذلك بدأتُ حديثي معه عن واقع التجزئة في عالمنا الإسلامي، فطفق يتحدَّث عن هذه الحقيقة المُرَّة، وما عاناه هو في حياته الدعويَّة من الحدود والسدود القائمة بين بلدان المسلمين.

وحينما بدأ الحديث عن همومه في التقريب وفي توحيد المسلمين، طلبتُ منه أن أُسَجِّل حديثه فرحَّب، ثمَّ تواصلت الأسئلة، فكانت هذه المقابلة:

المحاور: بوُدِّي فضيلة الشيخ أن أُسَجِّل حديثكم بشأن هموم «التقريب» وهموم «الوحدة».

فضيلة الشيخ القرضاوي: مرحبًا، بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، والصلاة والسلام على محمَّد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هداه. ربَّنا آتنا من لدنك رحمة وهيِّئ لنا من أمرنا رشدًا. ربَّنا لا تُزِغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهبْ لنا من لدنك رحمة إنَّك أنت الوهَّاب.

(أمَّا بعد)

فيسرُّني في بداية هذا اللقاء أن أُحَيِّي الإخوة في الجمهوريَّة الإسلاميَّة في إيران الشقيقة، وأُحَيِّي على الأخصِّ المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، ورسالته الَّتي نعتزُّ بها في التقريب بين أبناء الأُمَّة الواحدة[1].

(١) أوضحت بعد ذلك موقفي من التقريب في رسالة جامعة ذكرت فيها مبادئ التقريب الحقيقي، وقد باءت محاولات التقريب هذه بالفشل بسبب عدم جدية الطرف الآخر في التقريب، وإنَّما دخولهم فيه من باب المصانعة.

QaradawiBooks.com

وأودُّ أن أقول: إنَّ توحيد أبناء الأُمَّة الإسلاميَّة في كتلة واحدة تقف أمام الجبهات المعادية والقوى المتربصة بالأُمَّة همٌّ من الهموم الكبرى الَّتي أعيش لها وأموت عليها إن شاء الله.

فريضة وضرورة:

نشأتُ في جماعة إسلاميَّة ترى أنَّ وحدة المسلمين فريضة وضرورة؛ فريضة يوجبها الدين، وضرورة يُحَتِّمها الواقع. كان الإمام الشهيد حسن البنَّا رضي الله عنه وأرضاه ممَّن ينادي بوَحْدة أُمَّة الإسلام، في مشارق الأرض ومغاربها، ويقول: إنَّ القرآن عبَّر عن الوَحْدة بالإيمان، وعن التفرُّق بالكفر، حينما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

أسباب نزول الآية وسياقها يدلُّ على أنَّ معناها: يردُّوكم من بعد وحدتكم مُتَفَرِّقين؛ لأنَّ اليهودي الَّذي أراد أن يُفَرِّق بين الأوس والخزرج، حتَّى إنَّ بعضهم نادى: السلاح السلاح، إلى آخره[1]. هو لم يفعل شيئًا، إلَّا أنَّه أراد أن يُفَرِّق الأُمَّة بعد وَحْدتها، قال: ﴿يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ﴾، وقال: ﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٠١]. كيف تكفرون؟ كيف تتفرَّقون؟ وكيف تتعادَون بعد أن جمعكم الإسلام؟ فمن أجل هذا نشأتُ منذ بداية شبابي وأنا أومن بالوَحدة، وكنا نحفظ من الشعر الَّذي ننشده في رحاب دعوة الإخوان المسلمين:

(١) رواه الطبري في التفسير (٥٥/٦، ٥٦)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة، وانظر: تفسير ابن كثير (٩٠/٢)، تحقيق سامي محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، وروح المعاني للألوسي (٢٣٢/٢)، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

وَلَسْتُ أرضى سِوَى الإسلامِ لي وطنًا الهنـدُ فيـه ووادي النِّيلِ سِـيّانِ
وكلَّما ذُكر اسـمُ الله فـي وطنٍ عددتُ أرجاءه من لُبِّ أوطاني[1]

وأنا أكدت هذا المعنى في نشـيد لي اسمه: «مسـلمون»[2]. وفي وقت من الأوقـات كانوا في بلاد العرب ـ أيَّام مـدّ القوميَّة العربيَّة ـ يتغنَّون ويتنادون بالعروبة ويكادون يتناسـون الإسـلام، وكل شيء: عرب عرب عرب، عربًا كنَّا ونبقى عربًا. وأنا في هذا الوقت أنشـأت نشيدًا اسمه: مسـلمون. والنشيد اشتهر وشـرَّق وغرَّب وخاصَّة على لسـان الشـباب، وفي بعض البلاد اتَّخذوه شـبه نشـيد وطني، في جمهوريَّة اليمن في أيَّام الأرياني كان التلاميذ في المدارس ينشدونه. والنشيد يقول:

مسـلمون مسـلمون مسـلمون حيث كان الحقُّ والعـدلُ نكونْ
نرتضي المـوتَ ونأبى أن نهون في سـبيل الله ما أحلـى المنونْ

ويقول:

يا أخي في الهند أو في المغربِ أنا مِنـكَ، أنتَ منِّـي، أنت بي
لا تَسَـلْ عن عُنْصُري عن نَسَبي إنَّـه الإسـلامُ أُمِّـي وأبـي
إخـوة نحـن بـه مؤتلفـون مسـلمون مسـلمون مسـلمون

فهذا المعنى يُسـيطر من قديم على تفكيري وعلى توجُّهي ونفسي. وأرى أنَّ من الأمور الأساسيَّة أن تكون هذه الأُمَّة أُمَّة واحدة.

(١) البيتان من قصيدة بين القاهرة وبغداد لعبد الحكيم عابدين.

(٢) انظـر: ديواننـا نفحـات ولفحـات صـ ٢٣٨ ـ ٢٤٤، نشـر مكتبـة وهبة القاهـرة، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

QaradawiBooks.com

أمَّة لا أمم:

والله سبحانه يُعَبِّر عن المسلمين باسم الأُمَّة. ولذلك أن أُخطِّئ الكُتَّاب والمُفَكِّرين والخطباء الَّذين يقولون: الأمم الإسلاميَّة، ليست هناك أمم إسلاميَّة، هناك أمة إسلاميَّة واحدة ذات شعوب إسلاميَّة. يقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وترديد كلمة «أمم إسلاميَّة» انسياق وراء الاستعمار الَّذي يريد أن يجعل مِنَّا أممًا، ونحن نريد أن نكون أُمَّة كما أرادها الله، لا أممًا كما أراد الاستعمار. قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، و﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، و﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المؤمنون: ٥٢].

توحيد الأُمَّة من الأهداف الكبرى الَّتي أعتبرُها من رسالتي الأساسيَّة، وينبغي أن تكون من رسالة كلِّ داعية مسلم، وكلّ عالم مسلم يريد أن ينهض بإصلاح الأُمَّة وتجديد الدِّين فيها.

في تلفزيون قطر:

كنتُ أذكر أمس موقفًا لي حدث قريبًا في قطر: لي برنامج تليفزيوني هناك تحت عنوان: «هدي الإسلام»، وهذا البرنامج يُعرَض منذ أن نشأ تلفزيون قطر حتَّى اليوم، والبرنامج إجابة على أسئلة تَرِدُ إليَّ وأنا أردُّ عليها. في الجمعة قبل الماضية جاءتني رسالة من أحد الإخوة يقول لي فيها: أنا فلان بن فلان دخلتُ مسجدًا من مساجد الدوحة لأُصَلِّي فيه، فإذا رجلٌ يلمحني في المسجد فقام في وجهي ثائرًا وقال: ما لك ولهذا المسجد؟ ما الَّذي أدخلك هذا المسجد؟ هذا مسجد لأهل السُّنَّة، وأنت لستَ من أهل السُّنَّة، اخرُجْ من هذا المسجد. يقول صاحب الرسالة: كدتُ أذوب خجلًا من هذا الموقف، لولا أنَّ

QaradawiBooks.com

بعض الحاضرين من أهل العقل والحكمة أسكتوا هذا الرجل. وخرجتُ وأنا في غاية الخجل ممَّا حدث.

أنا انتهزت هذه الفرصة، وتوجَّهت باللوم على من فعل هذه الفعلة، وقلتُ: هذا الرجل لم يفهم الدِّين ولم يفهم العلاقات بين النَّاس. المسجد مفتوح للمسلمين، أيُّ واحد يريد أن يُصَلِّي فيه فأهلًا ومرحبًا. بالعكس هذا الشخص الَّذي دخل مسجد أهل السُّنَّة ليُصَلِّي وهو شيعي إنَّما هو رجل رحب الأفق واسع الصدر ومتسامح وليس مُتَعَصِّبًا، ولو كانت عنده عصبيَّة عمياء لما دخل مسجدًا من مساجد أهل السُّنَّة.

مثل هذا يجب أن نرحِّب به ولا نضيق به، وأخذت معظم الحلقة وهي من خمسين دقيقة حول هذا الموضوع والعلاقة بين السُّنَّة والشِّيعة، وبين أبناء القبلة الواحدة.

والسلف عبَّروا عن وَحْدة هذه الأُمَّة بعبارة موجزة مُعَبِّرة إذ سَمَّوا المسلمين: أهل القِبْلة. ما داموا يُصَلُّون إلى قِبلة واحدة، فهذا هو الجامع المشترك. وفي الحديث: «**من صلَّى صلاتنا، واستقبل قِبْلَتنا، وأكل ذبيحتنا فهو منَّا**»[1]، فنحن أهل قِبْلة واحدة، ولا ينبغي أن يكون اختلاف المذاهب في مسائل عائقًا لنا عن أن تكون لنا أرضيَّة مشتركة تكون أساسًا لعمل مشترك لخدمة الإسلام، ونُصْرة قضايا الإسلام، وإعلاء كلمة الإسلام، وتوحيد أُمَّة الإسلام، والوقوف بوجه مكايد أعداء الإسلام. وهذا هو أساس فكرة التقريب.

(١) رواه البخاري في الصلاة (٣٩١)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

فكرة التقريب:

أنا أريد أن أتحدَّث عن فكرة التقريب، ماذا نريد من وراء التقريب؟ هل نريد أن نجعل السُّنيَّ شيعيًّا، أو الشيعي سنيًّا؟ لا، هذا ليس مقصودًا، ولو أردناه لكان خَبَلًا مِنَّا.

فاستقرار المذاهب أدَّى إلى أنَّه لم يعد من السهل أن يتحوَّل فردٌ من مذهبٍ إلى آخر، فلا ينبغي أن يكون هدفنا التحويل من مذهبٍ إلى مذهب، ولا ينبغي أيضًا أن يكون هدفنا رفع الخلاف. هناك بعض النَّاس داخل أهل السُّنَّة يريد رفع الخلاف بين المذاهب مع بعضها. يقولون: لا نريد التعبُّد على أيِّ مذهب، نريد إلغاء المذاهب. هذا في الواقع ليس ممكنًا. قلنا لهؤلاء: لو فعلنا ذلك فسنزيد على المذاهب الثمانية مذهبًا تاسعًا، وعلى تعبير أهل السُّنَّة: نزيد المذاهب الأربعة مذهبًا خامسًا؛ لأنَّ معنى ذلك أن تأتي بآراء جديدة يتبنَّاها بعض النَّاس، وتصبح مذهبًا، وهذا هو الواقع فعلًا. هؤلاء الَّذين ينادون بإلغاء المذاهب كوَّنوا مذهبًا آخر، ولكن ليس على رأسه مالك أو أبو حنيفة أو الشافعي أو جعفر الصادق أو زيد بن علي، إنَّما على رأسه أناس لم يبلغوا ـ على الأقلِّ ـ هذه الدرجة.

الاختلاف ضرورة:

لذلك أنا أقول: ليس المقصود من فكرة التقريب رفع الخلاف. الخلاف لا بدَّ منه. وأنا ذكرتُ في كتاب لي تحت عنوان: «الصحوة الإسلاميَّة بين الاختلاف المشروع والتفرُّق المذموم» أنَّ الاختلاف في فروع الفقه وحتَّى في فروع العقيدة سيظلُّ قائمًا، في مسائل العدل والتوحيد، ورؤية الله في الآخرة، ومسائل القدر وأفعال العباد، ومقدار

QaradawiBooks.com

العلاقة بين القدرة الإلٰهيَّة والقدرة البشريَّة، والإرادة الإلٰهيَّة والإرادة البشريَّة، النَّاس سيختلفون في هذه الأمور.

وذكرت أنَّ الاختلاف في الفروع «ضرورة» و«رحمة» و«سَعة».

هو ضرورة دينيَّة، وضرورة لُغَويَّة، وضرورة بشريَّة، وضرورة كونيَّة.

هو ضرورة دينيَّة؛ لأنَّ الله ﷻ لم يُنزل كتابه كله آيات مُحْكَمات قاطعة الدلالة يجتمع عليها النَّاس ولا يختلفون. ولكن ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

النصوص الَّتي جاءتنا: نصوص قطعيَّة الثبوت في القرآن الكريم، وبعض الأحاديث المتواترة وهي محدودة.

ونصوص ظنيَّة الثبوت وهي تشمل معظم الأحاديث.

وظنيَّة الدلالة وهي معظم النصوص سواء كانت نصوص القرآن أو نصوص السُّنَّة، لا يمكن أن تجزم بأنَّ هذه هي الدلالة الوحيدة.

بعضهم قال: كيف تردُّ الحديث؟ أنت تقول باجتهادك وأنا أقول بالحديث! قلتُ له: يا أخي، صحيح أنت تقول بالحديث ولكن حسَب فهمك، الحديث معصوم، ولكن فهمك ليس معصومًا. كلُّ واحد له فهم غير فهم الآخر، تأخذ آية مثل آية الطهارة في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة: ٦]

في الآية خلافات شَتَّى: هل الواو في الآية تفيد الترتيب أو هي لمطلق الجمع كما يقول النحويُّون؟

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

هل تُشْتَرط النيَّة أو لا تشترط، الآية لم تقل بالنيَّة، إنَّما هذا استنباط.

هل الموالاة شرط أو ليست شرطًا؟

في الآية قراءة ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ و﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾[1] فهل الآية تأمر بمسح الرجل كما يفعل الشِّيعة في الوضوء أو غسلها؟، وهكذا.

فظَنِّيَّة الدلالة هذه أعطت متَّسعًا للخلاف. وتجد هناك جماعة يهتمُّون بظاهر النصِّ وآخرين يُعْنَوْن بفحوى النصِّ، المدرسة الحرفيَّة الظاهريَّة ومدرسة المقاصد الَّتي تُعنى بمقاصد الشريعة، وهؤلاء موجودون.

كانوا موجودين من عصر النبوَّة إلى يومنا هذا، وسيظلُّون موجودين إلى ما شاء الله، الَّذي يهتمُّون بالمقاصد، والَّذين يهتمُّون بالظواهر.

ومعروف في السيرة النبويَّة قوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُصَلِّيَنَّ العصر إلَّا في بني قريظة**»[2]. وفي الطريق حينما أوشكت الشمس أن تغرب، جماعة من الصحابة قالوا: إنَّ الرسول ﷺ لم يرد مِنَّا أن نضيع الوقت، إنَّما أراد مِنَّا سرعة النهوض، فصلَّوْا في الطريق. وجماعة قالوا: لا، هو قال: «**فلا يُصَلِّيَنَّ العصْرَ إلَّا في بني قُرَيْظة**»، ونحن لا نُصلِّي إلَّا هناك، ولو وصلنا في منتصف الليل. وحينما بلغ النبيَّ ﷺ فعلُ هؤلاء وهؤلاء، لم ينكر على طائفةٍ منهم؛ لأنَّ كلًّا منهم اجتهد حسَب رأيه، فأقرَّ الطائفتَيْن.

---

(١) قال ابن الجزري: (واختلفوا) في: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ فقرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص بنصب اللام، وقرأ الباقون بالخفض. النشر في القراءات العشر (٢/٢٥٤)، تحقيق علي محمد الضباع، نشر المطبعة التجارية الكبرى.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤١١٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

هناك ـ إذن ـ مجال للاختلاف حسَب التوجه، هناك من يُيَسِّر ومن يُشَدِّد. وهذا ما سأذكره في الضرورة البشريَّة.

فأنا أقول هناك ضرورة دينيَّة، إنَّ الدين أراد هذه السَّعة، وأراد أن يكون بهذه المرونة ليتَّسع لطوائف النَّاس المختلفة، للمضيِّق والموسّع والمشدِّد والمُيَسِّر والحرفي والمقاصدي. ولو كان حرفًا واحدًا ووجهًا واحدًا لضاق بالآخرين. فهذه ضرورة دينيَّة.

وهو ضرورة لُغَويَّة، لأنَّ اللغة كما أشرت في الآية الكريمة: حقيقة ومجاز، وصريح وكناية، وعامٌّ وخاصٌّ، ومنطوق ومفهوم، وما يُفهِم بالعبارة وما يُفهم بالإشارة، إلى آخره.

حتى إنَّنا إذا بحثنا في علم «أصول الفقه» نجد الفقهاء والأصوليِّين اختلفوا في كثير من الأشياء: هل العامُّ دلالته قطعيَّة أو دلالته ظنِّيَّة؟ وإلى أيِّ حدٍّ يُخَصِّص الخاصُّ العامَّ، ويقيِّد المُقَيَّد المُطْلَق؟ ومفهوم المخالفة ما دلالته؟ وأشياء كثيرة، وهذه مباحث لُغَوِيَّة في الحقيقة، ولذلك علم الأصول فيه مباحث هامَّة أساسها مسائل لُغَوِيَّة.

وهؤلاء الَّذين يبحثون في علم اللغة أغفلوا مصدرًا هامًّا من مصادر الدراسات اللُّغويَّة وهو علم أصول الفقه والمباحث اللفظيَّة واللُّغويَّة فيه. هذه اللُّغة تتَّسع، قال قوم في قوله تعالى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣] إنَّ ﴿لَٰمَسۡتُمُ﴾ بمعنى: وضع البشرة على البشرة. وهذه هي الملامسة، بينما قال آخرون ـ كما جاء عن ابن عبَّاس ـ: إنَّ المسَّ واللمس والملامسة في القرآن كناية عن الجماع، إنَّ الله حَيِيٌّ كريم يُكَنِّي عمَّا شاء بما شاء[1]. فلامستم يعني: الاتِّصال الجنسي، كما جاء في مواقع أخرى:

(١) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٨٢٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

﴿إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ليس معنى المسِّ هنا وضع البشرة على البشرة. وحينما قالت مريم عليها السلام: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧]، فهل يعني أنَّه لم يَضِعْ بشرته على بشرتي؟! فهناك كنايات وهناك مجازات، والفقهاء يختلفون في هذه المسائل.

الاختلاف أيضًا ضرورة بشريَّة؛ لأنَّ البشر يختلفون مع بعضهم في التوجُّهات النِّفْسِيَّة والفِكْريَّة. عُرف في التراث الإسلامي: شدائد ابن عمر، ورُخص ابن عبَّاس. قال أبو جعفر المنصور للإمام مالك: أريدُكَ أن تُصَنِّف كتابًا تتجنَّب فيه شدائد ابن عمر ورُخص ابن عبَّاس وشواذَّ ابنِ مسعود، وتُوَطِّئه للنَّاس توطيئًا[١]. هؤلاء صحابة، ولكن لكل شخصيَّته الَّتي تختلف عن شخصيَّة الآخر، ابن عمر مُشَدِّد كان يزاحم على الحجر الأسود حتَّى يدمى ويُجْرَح[٢]. قيل له: لِمَ تفعل هذا؟! دع هذا لمن يأتون من بعيد، من أفريقيا ومن البلاد البعيدة، إنَّما أنت قرب الحَجَر، بَعدَ الحج قبِّل الحجر كما تشاء. فقال: هفت القلوب إليه فأحببت أن يكون فؤادي معهم[٣]. أمَّا ابن عبَّاس فيقول (في تقبيل الحجر والتماسه): لا يُؤْذِي ولا يُؤْذَى[٤]. والله خلق النَّاس هكذا، عندما تنظر إلى موسى وهارون عليهما السلام كلاهما نبيٌّ ورسول من الله، ولكنْ لكلٍّ منهما طبيعة غير طبيعة الآخر، مع أنَّهما من

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (٧٢/٢، ٧٣).

(٢) عن طلحة بن إسحاق بن طلحة قال: سألت القاسم بن محمد عن الزحام على الركن فقال: زاحم يا ابن أخي، فقد رأيتُ عبد الله بن عمر يزاحم حتى يدمى أنفه. رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٧).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٧٦/٣).

(٤) كان ابن عباس يقول: إذا وجدتَ على الركن زحامًا، فلا تؤذِ أحدًا ولا تؤذَ وامضِ. رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٩٠٨).

QaradawiBooks.com

أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدة، موسى قويٌّ شديد: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

حينما جاء ورأى القوم قد عبدوا العجل، ألقى الألواح الَّتي كتبت فيها التوراة من الغضب، هو غضبٌ لله تعالى لا لنفسه، وأمسك برأس أخيه يجرُّه إليه قال له: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۞ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٢ ـ ٩٤].

ثُمَّ إنَّ الاختلاف ضرورة كونيَّة؛ لأنَّ الله خلق الكون مختلفًا ألوانه، وهذه العبارة تتردَّد كثيرًا في القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

فاختلاف الألوان والتنوُّع هو مصدر ثراء للحياة في كلِّ جانبٍ من الجوانب، فينبغي ألَّا نضيق بالاختلاف؛ لأنَّه يعطينا رؤى مُتَعَدِّدة ووجهات نظر متنوِّعة، وقد تصلح رؤية لوقتٍ ولا تصلح لآخر، ويصلح رأيٌ لبيئةٍ ولا يصلح لأخرى، ويصلح فكرٌ لزمن ولا يصلح لآخر.

فعندما تكون عندنا هذه الرؤى وهذه الآراء المتعدِّدة تُعطينا ثروة هائلة نستطيع أن نغترف منها، ونستفيد منها في إصلاح دُنْيانا، ونستفيد منها للتشريع في عصرنا المتجَدِّد المتطوِّر.

المحاور: مع كلِّ هذه الضرورات نرى في المجتمع الإسلامي حالة تمزُّق وتشرذم هي أقرب إلى العشائريَّة منها إلى الأُمَّة، فما هو السبب؟

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: المسلمون ينقصهم قراءة الإسلام بشكلٍ صحيح، وقراءة الواقع بشكلٍ صحيح، أكثر المظاهر السلبيَّة الَّتي تسود في العالم الإسلامي ومنها حالة التشرذم تعود إلى هذا النقص.

هب أنَّني مختلفٌ مع الشيعي في بعض المسائل، هل هذا يمنع أن نقف صفًّا واحدًا في القضايا المصيريَّة؟ ليختلف النَّاس. فالناس سيظلُّون مختلفين، ولكنَّ هناك قضايا تلزمني بأن أضع يدي بيد أخي وجاري وابن عمي ومَنْ بيني وبينه صلةٌ ما لمواجهة الخطر الأكبر.

القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، أيْ ساعة المعركة يجب أن تُنسى الخلافات الجزئيَّة والجانبيَّة كلُّها ويقف النَّاس صفًّا واحدًا كأنَّهم بنيانٌ مرصوص، لا يعلو صوتٌ على صوت المعركة.

لو عرفنا أنَّنا في معركة واحدة، وأنَّ عدوَّنا واحد، وأنَّنا نواجه مصيرًا واحدًا لما سمحنا لهذه العصبيَّة العشائريَّة والقبليَّة. الإسلام جاء وقضى على هذه العشائريَّة والقبليَّة وقال عنها: «**ما بال دعوى الجاهليَّة؟ دعوها فإنَّها منتنة**»[(١)]. واعتبر من دعا إلى عصبيَّة فليس من المسلمين، «**من قاتل تحت رايةٍ عُمِّيَّة يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقُتِلَ، فقِتْلَةٌ جاهليَّة**»[(٢)]. فيجب أن نبرأ من هذه العشائريَّة ونتكلَّم بمنطق الأُمَّة الواحدة.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٤)، عن جابر.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٤٨)، وأحمد (٧٩٤٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

لو فقهنا منطق العصر لعرفنا أنَّه عصر التكتُّل وليس التمزُّق، فالكيانات الصغيرة لا حياة لها ولا وجود لها. ولا يمكن أن تقوم وأن تستمرَّ في هذا العالم إلَّا بضمان القوى الكبرى، إذا أردتَ أن تعيش في هذا العالم وأنت صغيرٌ لا بدَّ أن تحتمي بكبيرٍ ما، وبهذا تكون قد فقدت إرادتك وحُرِّيَّتك واستقلالك وأصبحت ذنبًا لغيرك.

الكيانات الآن في العالم تتكتَّل وتتضامن وتتلاحم بعضها مع بعض، رأينا التكتُّل الأوربي. أوربا تتكتَّل بشكلٍ سياسيٍّ وبشكلٍ اقتصاديٍّ وبشكلٍ ثقافي. ورأينا ذلك في أمريكا وكندا، المسلمون أيضًا بحاجة إلى أن يتكتَّلوا، وهم أولى من غيرهم بذلك. لا يمكن أن يعيشوا، لا يمكن أن يدخلوا عصر التكنولوجيا المتطورة دون تكتُّل.

نحن نرى الآن في أوربا أن أكثر من دولة من الدول الصناعيَّة الكبرى تشترك في صنع طائرة ذات إمكانات ضخمة لا تستطيع دولة من الدول الكبرى بمفردها أن تصنعها. بل قيل: إنَّ عددًا من الدول الكبرى تشترك في صُنع محرِّك طائرة. فكيف نستطيع نحن أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطوِّرة، وعصر الثورات: الثورة الفضائيَّة، والثورة التكنولوجيَّة، والثورة المعلوماتيَّة...

كيف نستطيع أن ندخل هذا العصر فُرادى مُبَعْثَرين؟ لا يمكن إلَّا أن نكون كيانًا كبيرًا، المرء قليلٌ بنفسه كثيرٌ بإخوانه، ضعيفٌ بمفرده قويٌّ بأُمَّته.

نحن ـ كأمَّة ـ قوَّة كبرى. إنَّما نحن كشعوبٍ وكأوطان مزَّقها الاستعمار، وجعل الدول القُطْريَّة هي الأساس لا يمكن أن يكون لنا وزن، وأن يكون لنا شأن في العالم بهذا التمزُّق.

QaradawiBooks.com

الله سبحانه يُنَبِّهنا إلى حقيقةٍ كبرى حين يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣]، والفقهاء عندنا يقولون: الكفر كلُّه مِلَّة واحدة.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي إلَّا (إنْ لا) يوالي بعضُكم بعضًا ويساند بعضكم بعضًا، ويتلاحم بعضكم مع بعض، ويتكتَّل بعضكم مع بعض، تكن فتنةٌ وفسادٌ كبير؛ لأنَّه سيكون التكتُّل في جانب الباطل والتمزُّق في جانب الحقِّ، وهذا فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير.

فالواقع يُحَتِّم على المسلمين، والدِّين يُحَتِّم على المسلمين أن يتلاحموا فيما بينهم، وأن يبحثوا عن القواسم المشتركة، لا أن يبحثوا عن نقاط التمايز والاختلاف.

إذا بحثتُ عن نقاط التمايز والاختلاف سأجد بيني وبين الشِّيعة، بل سأجد بين مذاهب أهل السُّنَّة تمايزًا واختلافًا. جماعة تهاجم الأشعريَّة والماتُريديَّة، وهم من أهل السُّنَّة. وهناك حرب بين الصوفيِّين والسلفيِّين، وبين وبين.

إنَّما الأَوْلى أن نبحث عن القواسم المشتركة ونكوِّن الأرضيَّة الَّتي ننطلق منها لإعلاء شأن الإسلام، ومجابهة أعداء أُمَّة الإسلام ورسالة الإسلام، وتقوية هذه الأمة حتَّى تقوم برسالتها.

المحاور: المشكلة ليست في عامَّة النَّاس فحسْب، بل المشكلة في العلماء أيضًا. هذه الفتاوى الشاذَّة والمواقف المتطرِّفة الَّتي تصدر عمَّن يُسَمُّون أنفسهم علماء بتكفير هذا وإحلال دم ذاك تزيد الطِّين بِلَّة وتعمل على مزيد من التمزيق، ما رأيكم في ذلك؟

QaradawiBooks.com

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: كان لي حديث أخيـــرًا مع بعض العلماء الأفاضل، وتحدَّثنا عن هذا الموضوع، وقلتُ لهم: الآفة ليست في العامِّيِّ المحْضِ ولا في العالِم الخالص. العالِم الحقيقي ليس من ورائه شرٌّ إن شاء الله، والعامِّيُّ المحض ليس من ورائه شرٌّ أيضًا؛ لأنَّه يَتَّبع العالِمَ في الغالب ويسأله، إنَّما المشكل في أنصاف العلماء.

قالوا: إنَّما أفســـد العالَمَ هـــؤلاء الأنصافُ: نصـــف طبيب، ونصف نحوي، ونصف متكلِّـــم، ونصف متفقِّه. نصف الطبيب أفســـد الأبدان، ونصف النَّحْوي أفسد اللِّســـان، ونصف المتكلِّم أفسد الأديان، ونصف المتفقِّه أفسد البلدان بفتاواه[1].

هؤلاء الأنصاف، هـــؤلاء الَّذين قرؤوا بعض الكتـــب في الأحاديث واستمعوا إلى بعض الأشرطة رأوا أنَّهم أصبحوا أئمَّة، وينظر بعضهم إلى نفسه أنَّه شيخ الإسلام، وإذا قيل له: أبو حنيفة قال كذا، ومالك قال كذا، يقول: هم رجالٌ ونحن رجال!

---

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد قيل: إنَّما يفسد الناس نصف متكلم، ونصف فقيه، ونصف نحوي، ونصف طبيب. هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد اللسان وهذا يفسد الأبدان لا سيما إذا خاض هذا في مسألة لم يسبقه إليها عالم ولا معه فيها نقل عن أحد ولا هي من مسائل النزاع بين العلماء فيختار أحد القولين، بل هجم فيها على ما يخالف دين الإسلام». انظر: الاســـتغاثة في الرد على البكري صـ ٤١١، تحقيق د. عبد الله بن دجين الســـهلي، نشر مكتبة دار المنهاج السعودية، ط ١، ١٤٢٦هـ.

وقال أبو حيان التوحيـــدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان القاضي أبو حامد يقول: من كان نصف طبيبٍ فإنّه يقتل العليل، ومن كان نصف فقيهٍ فإنّه يحلّل المحرّم، ومـــن كان نصف نحويٍّ فإنّه يلحن أبدًا، ومن كان نصف لغويٍّ فإنه يصحّف أبدًا؛ هذا قوله وليس الكمال مأمولًا للخلق، لكنّ الحكم للغالب الأكثر، والشـــائع الأفشـــى» اهـ. انظر: البصائر والذخائر (١٣٦/٨)، تحقيق د. وداد القاضي، نشر دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

هذا «المفعوص»! كما نُسَمِّيه يعتبر نفسه رجلًا رأسه برأس أبي حنيفة ومالك! هذه هي المشكلة. هؤلاء غالبًا لم ينشؤوا النشأة الإسلاميَّة الصحيحة، ولم يأخذوا العلم من أهله.

كان السلف يقولون: لا نأخذ العلم من صُحُفِيٍّ، ولا من القرآن من مُصْحَفي. والمصحفي هو الَّذي تعلَّم القراءة من المصحف فقط، ولم يتلقَّ القرآن من قارئٍ مجيد يلقنه القرآن كلمةً كلمةً وحرفًا حرفًا. إذا أردنا أن نتعلَّم القراءة وعلم القراءات لا بدَّ أن نأخذه عن شيخٍ مُقرئ. وكذلك لا نأخذ العلم عمَّن أخذ علمه من الصحف ومن الكتب ولم يتلقَّه على يد الشيوخ المتقنين.

لا بدَّ أن يتربَّى في الحلقة العِلْميَّة، وفي جوِّ العلم، وفي مناخ العلم. العلم له جوٌّ وليس مجرَّد أنَّك تقرأ كتابًا وتفهم العبارات فهمًا قد يكون خاطئًا؛ لأنَّك لم تجد من يُسَدِّدك ويرشدك ويُبَيِّن لك خطأك.

هؤلاء في الغالب يكونون من هذا النوع، الصحفيُّون أخذوا العلم من الصحف ولم يأخذوه عن أهله وشيوخه المتقنين له.

نحن في حاجة أن نوعِّي الأمة على خطر هؤلاء، وأن نقف بوجه هؤلاء الَّذين اجترؤوا على الفتوى. العلماء الكبار يتهيبون الفتوى. وأنا أحيانًا أُسأل، وتأتيني رسائل فأؤجلها، وأؤجلها؛ لأنِّي لم أكوّن رأيًا فيها ناضجًا أستريح إليه. وهؤلاء يفتون في أعوص المسائل وفي أخطر القضايا، فلذلك نقول: يجب أن نحذر من هذا الشباب الَّذي وضع نفسه موضع الفتوى وموضع التوجيه في قضايا الأمة، ويجب أن تكون الأمة على وعي وبصيرة في هذه الناحية. فمهمتنا توعية الأمة في هذه القضيَّة والتحذير من هؤلاء الَّذين ابتُليت بهم أمتنا في العصر الأخير.

QaradawiBooks.com

المحاور: عاصرتم الصحوة أكثر من نصف قرن، وعشتم أحداثها وكتبتم عنها، ما هو رأيكم فيمن يقول: إنَّها هيجة عارضة وردود فعلٍ عابرةٍ سوف تنتهي عاجلًا.

فضيلة الشيخ القرضاوي: القوى المعادية للأمة الإسلاميَّة أقلقتها هذه الصحوة وأزعجتها، وزلزلت كيانها، وأرادت أن تخترع لها أسبابًا ودواعي وبواعث.

هناك من قالوا: إنَّ هذه الصحوة ذات أسباب اقتصاديَّة. البطالة في البلاد الإسلاميَّة ومشكلات الشباب. وهناك من قال: إنَّها رَدَّة فعلٍ نتيجة الإحباط تجاه ما قامت به الأنظمة في البلاد الإسلاميَّة. وهناك من قال في مصر: إنَّ هذه الصحوة صنعها أحد حُكَّام مصر ليضرب الشيوعيِّين.

كأنَّ هذه الصحوة قطعة من العجين تُشَكِّلها كيف تشاء.

هذه صحوةٌ هائلة، صحوةُ أُمَّة، وهي صحوة عالميَّة، وليست في بلدٍ واحد. وإذا كان هذا الحاكم صنعها في مصر، فما الَّذي صنع الصحوة في إيران وباكستان وأفغانستان وفلسطين والجزائر؟! بل من الَّذي صنع الصحوة خارج العالم الإسلامي؟! أنا من الرحَّالة الَّذين يطوفون في الأرض، وجدت هذه الصحوة حتَّى خارج العالم الإسلامي، في أوربا وأمريكا الجنوبيَّة وفي الشرق الأقصى.

حيثما ذهبت في الأرض وجدت هذه الصحوة.

قد تكون هذه الأسباب الَّتي يذكرونها من الأشياء الْمُعِينة، ولكن الأساس في الأُمَّة الإسلاميَّة هي أنَّه يمكن أن تنام ولكن لا يمكن أن تموت. فهناك قرآن يتكرَّر على أسماعها آناء الليل وأطراف النهار، وهناك

QaradawiBooks.com

سِيرة نبويَّة وسُـنَّة مُحَمَّديَّة، وهناك تاريخ حافل وحضارة، وهناك تراث شامخ وثري. هذا كلُّه يُغَذِّي هذه الأُمَّة ويجعلها لا تستسلم للنوم الطويل. قد تنام فترةً من الزمن، ولكن لا بدَّ أن تستيقظ.

وعلى فترات التاريـخ الأُمَّة أصابها ما أصابهـا ولكن كانت تخرج بعدها إلى استعادة دورها. الصليبيُّون هاجموها من الغرب والمغُول من الشَّـرق، ولكن الله هيَّأ لها رجـالًا أيقظوها من سُـبَات، وجمعوها من شـتات، وأحيوها من ممات، أمثـال: عماد الدين زنكـي، ونور الدين محمود الشـهيد، وصلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس، وغيرهم من الَّذين تصدَّوا لهذه القوى وردُّوها مدحورة وعادت الأمة من جديد.

في عهد الاستعمار، الاستعمار دخل بلاد المسلمين وقاومت الأُمَّة، وكان الَّذي يُحَرِّك الأُمَّة لمقاومة الاسـتعمار هو الدِّين كما شـهد بذلك المؤرِّخون بما فيهم الغربيُّون.

«برنارد لويس» قـال: إنَّ الحركات الدِّينيَّة وعلمـاء الدِّين كانوا هم المُحَرِّكين الأوائل لحركات التحرير في العالم الإسلامي، وهذه حقيقة، فاستطاع هؤلاء أن يُحَرِّكوا الأُمَّة. وقام مجدِّدون في كلِّ جهةٍ من جهات الإسـلام، ومصلحون يعمل كلٌّ في تحريك الأُمَّة. وحـركات التجديد والإصلاح والإيقاظ صنعت صنعها حتَّى تفجرت في هذه الصحوة.

فليسـت الصحوة وليدة اليوم أو بنت الأمـس، وإذ ذَكرتُ الصحوة فلا بدَّ أن أذكر كل من ساهموا فيها من: جمال الدين الأفغاني إلى محمَّد عبده، إلى رشيد رضا، إلى عبد الرحمن الكواكبي، إلى محمَّد إقبال، إلى شِبْلي النُّعْماني، إلى حسن البنَّا، إلى سـيِّد قُطْب، إلى مصطفى صادق الرافعي، إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمي،

QaradawiBooks.com

والشـــيخ الثعالبي، إلى محبِّ الدِّين الخطيب، هناك كوكبة هؤلاء كلُّهم ساهموا، حتَّى جاء الوقت الَّذي تفجَّرت فيه هذه الصحوة.

وهي ليســـت مجرَّد صحوةٍ ذات جانبٍ عاطفي، وجانبٍ حماســـي. والحماس مطلوبٌ أيضًا في الصحـــوة، ولكنَّها صحوة عقول أيضًا، تقرأ الكتاب الإسلامي.

المعارض الدوليَّة للكتاب أثبتت أنَّ الكتاب الأوَّل، وصاحب الرقم الأوَّل في التوزيع هو الكتاب الإســـلامي. فهي إذن صحوة عقول، فيها وعي، وصحوة إرادات وعزائم، ولذلك وقفت أمام الاســـتعمار، ووقفت أمام القوى الغازية.

هي صحوةُ ســـلوكٍ والتزام، ظهر هـــذا في المســـاجد الَّتي عَمرت بالشباب، كانت المساجد لا يعمرها إلَّا الشيوخ الكبار، والآن اذهب إلى أيِّ بلد إسلاميٍّ تجد أنَّ الَّذين يَعْمُرون المساجد هم الشباب.

انظر إلى مواسم الحجِّ والعمرة، كان الَّذين يذهبون إلى مواسم الحج والعمرة الشـــيوخ الكبار، كما قال الإمام الغزالـــي: الحجُّ هو تمام الأمر وختام العمـــر[1]. يختمون حياتهم بالحـــجِّ، والآن اذهب إلى العمرة في رمضان تجد تسعين بالمائة من الشباب. وهكذا في مواسم الحج.

المرأة في البلاد الإسلاميَّة كانت قد تفسَّخت تفسُّخًا تامًّا، كنتُ أمشي في الستينيَّات في عواصم البلاد العربيَّة فلا أكاد أجد امرأة محجبَّة، حتَّى المرأة العجوز الَّتي أكل الدهر عليها وشرب كانت متخلِّعة. ثمَّ جاءت هذه الصحوة فإذا بالشـــابَّات المســـلمات في الجامعات والكُلِّيَّات والمعاهد

(١) إحياء علوم الدين (٢٣٩/١).

QaradawiBooks.com

والمدارس، وفي شتَّى ساحات الحياة يلتزمن الحجاب. هذه حركة إسلاميَّة نسائيَّة اختياريَّة طوعيَّة، هذا كلُّه من عمل الصحوة. رأيتُ في الجزائر انتشار الحجاب انتشارًا هائلًا بعد أن كان قليلًا.

ثم إنَّ هذه الصحوة أثبتت وجودها على الصعيد الاقتصادي: قامت البنوك الإسلاميَّة، والمؤسسات التجارية الإسلاميَّة، وانتشرت في أنحاء العالم. وهذا كله جاء نتيجة من شعور المسلم السلبي تجاه المعاملات الربويَّة، وحاجته إلى مؤسَّسات تُغنيه بالحلال وتُجَنِّبه الحرام.

على المستوى الجهادي: الجهاد في أفغانستان كيف قام؟ وإن كان إخواننا مع الأسف في أفغانستان قد خذلونا ولم يؤتِ جهادهم بالثمرة الَّتي كُنَّا نرجوها، ولكن هذا الجهاد دوَّخ أعتى دولة ملحدة في الأرض، والقوَّة الثانية في العالم على يد الأفغان، هذا من أثر الصحوة، ولم يكن جهاد الأفغانيِّين وحدهم، بل كان جهاد رجال الصحوة في العالم بالمال والرجال.

في فلسطين، إخواننا في حماس وفي الجهاد الَّذين زلزلوا بعملياتهم الاستشهاديَّة كيان العدو، هذا كلُّه من أثر الصحوة الإسلاميَّة. التنادي بتطبيق الشريعة في العالم، من أين جاء؟ هذا كلُّه من أثر الصحوة.

الصحوة الإسلاميَّة أثبتت وجودها، والقول: إنَّها مجرَّد ردُّ فعل ومجرَّد هوجة عاطفيَّة وزوبعة في فنجان، هذا تهوينٌ من قدر هذه الصحوة العظيمة.

صحيح أنَّها تحارَب الآن ويُكال لها من كلِّ جانب، وتوضع أمامها العقبات من هنا وهناك، ولكن نحن نعتقد أنَّ الصحوة لن تموت إن شاء الله، وأنَّها باقية وستستمرُّ وستنتصر بإذن الله، والمُبَشِّرات عندنا أكثر من العقبات.

QaradawiBooks.com

المحاور: صدرت عنكم أخيرًا فتاوى مثيرة بشأن الربا وبشأن «زواج المسيار» ودار حولها كلام كثير، فما هي حقيقة هذه الفتاوى؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: بالنسبة إلى ما أثير حول مسألة الربا فهو موضوع أفتيتُ به الأخوة أخيرًا في أمريكا وأوربا، لقد كنتُ من المتشدِّدين في هذا الموضوع منذ مدَّة طويلة، منذ (٢٥) سنة، وأنا أزور أمريكا وأوربا في المؤتمرات الإسلاميَّة والندوات، وخاصَّة مؤتمرات الطلبة المسلمين. وكنتُ أُسأل في قضيَّة التعامل بالربا، وخاصَّة في قضيَّة شراء البيوت، وكنت مشدِّدًا في هذا، وأرى المنع.

ولكن منذ سنوات تغيَّر اجتهادي في هذا، وأصبحت أُفتي بمذهب أبي حنيفة، الَّذي يقول: يجوز التعامل بالعقود الفاسدة في دار الحرب.

ويقصد بدار الحرب ما ليس بدار الإسلام؛ لأنَّ التقسيم عنده ثنائي: دار حرب ودار إسلام، وليس عنده التقسيم الثلاثي الَّذي قال به بعض الفقهاء وهو: دار الإسلام ودار الحرب ودار العهد. فدار الحرب عنده ما ليس بدار الإسلام.

يقول أبو حنيفة: إنَّ التعامل بالعقود الفاسدة في تلك البقاع جائزٌ للمسلم بشَرْطَيْن:

الأوَّل: ألَّا يكون في ذلك غدرٌ ولا خيانة. أي أن يراعي المسلم العنصر الأخلاقي في تعامله.

الثاني: أن يكون من وراء ذلك مصلحة للمسلم. ووجدت هذا معقولًا، فليس من المعقول أن يأتي الإسلام ليطعم المسلم لغير المسلم، ويجعل المسلم يخسر مالَه. قال أحد الإخوة: أنا جئت إلى هنا منذ (٢٥)

QaradawiBooks.com

عامًا، ولو كنتُ من أوَّل ما جئت اشـتريتُ بيتًا بقرض ربوي من البنك لكنتُ منذ ذلك الوقت صاحب بيت، ولكان هذا الإيجار الَّذي دفعته قد سدَّد ذلك القرض.

أنا رأيت في الحقيقة أنَّ فتوى أبي حنيفة تُحَقِّق مقصد الشـريعة في إعلاء شأن المسلم، والإسـلام يعلو ولا يُعْلَى عليه، لا يمكن أن يخسر المسلم بالإسلام بينما يكسب غيره.

أمَّا قضيَّة زواج «المسـيار»[1]، فهي أحدثت أخذًا وردًّا وجذبًا وشدًّا. حين سُـئِلْتُ في برنامج تلفزيوني عن هذا اللون من الـزواج قلت: أنا لا تُهِمُّني التسـمية، العبرة في الأحكام الشَّـرعيَّة تدور على المسمَّيات والمضامين لا على الأسماء والعناوين.

الَّذي يُهِمُّني من الـزواج أن تتحقَّق مقوِّمات معيَّنـة في هذا العقد: الإيجاب والقبول، وأن يوجد شهود، على الأقل شاهدان، وهذا هو الحدُّ الأدنى للإشـهاد والإعلان مـن الناحية الشَّـرعيَّة في نظـري. ومالك والشافعي وأحمد يشترطون الولي. قلت لهم: في بلدان منطقتنا يجب أن يكون الولي، ثمَّ أن يوجـد مهر: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النسـاء: ٤] الأمر الآخر: نيَّة الاستمرار.

وإذا وُجِدَ الزواجُ بهذه الأركان والشروط، ما المانع منه؟ قالوا: ليس فيه الزواج الكامل. أي إنَّ الرجل لا يبقى مع المرأة مستمرًّا، يذهب إليها في بعض الأحيـان. قلت: ليس من الضروري أن يحقـق الزواج أهدافه المثاليَّة كاملة، الزواج المثالي أن يعيش معهـا، ولكنَّ هذا زواج يُحَقِّق

(١) زواج المسيار كما يسـمونه يعني أن يتزوج رجل بامرأة دون أن يبقى عندها، بل يمر عليها بين فترة وأخرى. ويكون دون علم الزوجة الأولى عادة.

QaradawiBooks.com

بعض الأهداف، فهو يُحَصِّن المرأة ويُعِفُّها، ويُحَصِّن الرجل ويُعِفَّه. بدل أن يفكر الرجل أو تفكر المرأة في الحرام يرتبطان برباطٍ حلالٍ شرعيٍّ.

قد تكون المرأة عندها بيت، ولا تريد أن تنتقل إلى بيت الرجل، وعندها مال، والمرأة في عصرنا أصبحت في كثير من الأحيان لديها موارد، مُدَرِّسة، طبيبة، صيدلانيَّة، محامِيَة. ثمَّ إنَّ كثرة كاثرة من النساء في منطقتنا عوانس، وقد فاتهنَّ قطار الزواج، إذا أضفت إليهنَّ المطلَّقات وهنَّ كثر أيضًا في المنطقة مع الأسف والأرامل، أصبح عندنا عددٌ كبير. فإذا استطعنا أن نَحُلَّ مشكلاتِ هؤلاء النَّاس بهذا الزواج، فما المانع؟

قال أحدهم: هل يمكن أن يتزوَّج شخصٌ من أجل المتعة فقط؟ قلت: لِمَ لا يا أخي. هو الإحصان. أنا أُحْصِن نفسي بالحلال، وأُحْصِن المرأة بالحلال، هذه قيمة كبيرة. في الحديث الصحيح: «**يا معشرَ الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّجْ؛ فإنَّه أغضُّ للبصر، وأحصنُ للفرج**»[1]. فأشار إلى مسألة العفَّة، ومسألة العفَّة والإحصان قيمة كبيرة عندنا في الإسلام.

الغربيُّون سلكوا لإطفاء الشهوة طريق الإباحيَّة، عن طريق ما يُسمُّونه «بوي فريند»، أو «جيرل فريند»، ولكن نحن لا نقبل هذا في الإسلام. لا نقبل العلاقة إلَّا ضمن رباط شرعي. فما المانع أن نُبِيح هذا ونُجِيزه ليتمتَّع النَّاس بالحلال؟! وكثيرًا ما ينقلب هذا إلى زواجٍ عاديٍّ؛ رُبَّ رجلٍ تُوُفِّيت زوجته الأولى فتصبح هذه الزوجة هي الأصليَّة ويبقى معها دائمًا. فهذا هو زواج المسيار، وأنا كتبتُ فيه بحثًا نشرته الصحف القَطَريَّة وبعض الصحف الخارجيَّة[2].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصوم (١٩٠٥)، ومسلم في النكاح (١٤٠٠)، عن ابن مسعود.

(٢) انظر كتابنا: فقه الأسرة وقضايا المرأة صـ ٢٣٨ ـ ٢٥٧، نشر الدار الشامية، تركيا، ط١، ١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م.

QaradawiBooks.com

بالمناسبة لقد تحدَّثتُ في كتابي «الحلال والحرام في الإسلام» عن زواج المتعة والخلاف فيه[١]. بعض النَّاس عقَّبوا على هذا الموضوع. وقالوا: ما كان للشيخ القرضاوي أن يُشِير إلى الخلاف في زواج المتعة، وكان لا بدَّ أن يقول: إنَّه حرام قطعًا قولًا واحدًا، ولا يثير أي خلاف فيه. وأنا رددتُ عليهم، وقلتُ: أنا أحرص أن تظلَّ الأحكام في مرتبتها الشَّرعيَّة. أي توجد أحكام إجماعيَّة لا خلاف فيها ـ يجب أن نذكر أنَّها إجماعيَّة ـ وأحكام مختلف فيها، يجب أن تبقى، وإلا غَيَّرنا طبيعة الحكم. هذا أمرٌ قال به الشِّيعة، ورُوِيَ عن ابن عباس. قالوا: إن ابن عبَّاس رجع عنه، ورُوِيَ الخلاف في رجوعه، هل رجع أم لم يرجع؟ لأنَّ بعض تلاميذ ابن عبَّاس ظلَّ يُفتي بالمتعة[٢].

هذه القضايا يجب التسامح فيها، وترْك كلِّ مذهبٍ على رأيه، ولعلَّ في هذا توسعة على بعض النَّاس.

المحاور: الموقف الإسلامي من الغرب وتياراته الفكريَّة لا يزال الحديث الأوَّل في الساحة الإسلاميَّة، ما رأيكم في الموقف الصحيح من الثقافة الغربيَّة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: بالنسبة إلى الموقف من الغرب وتياراته وفلسفته وثقافته وحضارته. هناك من يرى ضرورة التحصُّن أمام كلِّ ما يَرِدُ من الغرب، ومنع أيِّ تعامل مع تياراته المختلفة، وأن نعيش في الصومعة معزولين عن كلِّ ما يجري حولنا. وهو تيارٌ لم يعد ممكنًا في هذا العصر.

---

(١) الحلال والحرام في الإسلام صـ ١٩٨، ١٩٩، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

(٢) انظر: مصنف عبد الرزاق، كتاب الطلاق (١٤٠٢٠، ١٤٠٢١، ١٤٠٢٢، ١٤٠٢٤، ١٤٠٢٥، ١٤٠٢٦، ١٤٠٢٧، ١٤٠٣١)، وفتح الباري (٧٧/١١، ٧٨).

QaradawiBooks.com

ربَّما كان ممكنًا في وقت من الأوقات، أيَّام الإمام يحيى في اليمن. كان يريد اليمن بعيدًا عن كلِّ تأثيرٍ غربـــي، بل بعيدًا حتَّى عن منتجات المدنيَّة الغربيَّة كالقطارات والسيَّارات، وإنَّما ينتقل من مدينة إلى مدينة على ظهور الخيل والبغال والحمير. وكان يقول: الحمار ولا الاستعمار.

لم يعُدْ هذا ممكنًا، أصبح العالم متقاربًـــا، أصبح كما يقولون: قرية كبـــرى. وأنا أقول: أصبح قريـــة صغرى؛ في القرية الكبـــرى قد لا يعلم النَّـــاس ما يجري في أطرافهـــا، ونحن نعلم ما يجري فـــي العالم خلال دقائق، بل لحظات، بل في نفس اللحظة.

لا يستطيع الإنسان أن يعيش في عزلة.

وهناك موقفٌ مضادٌّ للأول، يرى ضرورة الذوبـــان في الغرب! دعا إليه في العالم العربي سلامة موسى وطه حسين وغيرهما، دعوا إلى أن نأخذ بالحضارة الغربيَّة خَيْرِها وشَـــرِّها، وحُلْوِها ومُرِّها، وما يُحبُّ منها وما يُكره، وأنَّ الحضـــارة لا تتجزَّأ، لا يجوز أن تأخـــذ الجانب العلمي والتكنولوجـــي منهـــا ولا تأخذ الجانب الفلســـفي والفكـــري والقيمي والتشريعي. إمَّا أن تأخذها كلَّها أو تَدَعَها كلَّها. وهذا غلط.

وهناك رأيٌ وسط ـ وهو الَّذي نتبنَّاه ـ في التعامل مع الغرب، نأخذ منه ما يلائمنا، وندع ما لا يلائمنا. يلائمنا من الغـــرب: العلوم الطبيعيَّة والرياضيَّـــة والتكنولوجيَّة وتنظيم الإدارة والمنجـــزات الكثيرة في تهيئة الطبيعة لخدمة الإنســـان، والعمل على رفاهية الإنسان وتحسين صحته وأمثال ذلك، هذه نأخذها مـــن الغرب، وفي الواقع أنَّنا حين نأخذها من الغرب، فهي بالمنظار التاريخي الصحيح بضاعتنا رُدَّت إلينا، لأنَّ الغرب إنَّما أخذ المناهـــج العِلْميَّة والتجريبية منا نحن المســـلمين. نحن الَّذين

QaradawiBooks.com

علّمنا الغرب هذه المناهج وأخرجناها من الفلسفة التجريديَّة النظريَّة إلى التطبيق وإلى الاستقراء وإلى التجربة.

المسلمون قرَّروا هذا المنهج نظريًّا وطبَّقوه عمليًّا على يد الأطباء المسلمين والفلكيِّين والرياضيِّين وغيرهم من العلماء، الَّذين كانت أسماؤهم أشهر الأسماء في العالم في ذلك الوقت، وكانت كتبهم مراجع للعالم، وكانت اللغة العربيَّة الَّتي كتبت بها هذه العلوم هي اللغة الأولى.

الرازي في كتابه «الحاوي»، أو ابن سينا في كتاب «القانون»، أو ابن رشد في كتابه «الكُلِّيَّات»، أو الزهراوي في كتابه «التصريف»، كتبوا هذه الكتب، وتُرْجِمَتْ إلى اللاتينيَّة وانتفع بها الأوروبيُّون.

نحن في الواقع حين نأخذ من الغرب العلوم الرياضيَّة والطبيعيَّة وإنجازاتها وتطبيقاتها التكنولوجيَّة، إنَّما هي بضاعتنا تُردُّ إلينا.

إنَّما الَّذي ينبغي ألَّا نأخذه من الغرب هو الجانب الآخر المتعلِّق بالقيم وفلسفة الوجود والحياة، الأسس الفلسفيَّة. نظرة الفرد إلى الكون والحياة وإلى المجتمع وإلى التاريخ، نظرته إلى القيم، وإلى الوجود، وإلى ربِّ هذا الوجود. هذه يجب أن نأخذها من الإسلام.

الخطر الآن أنَّ هناك من يريد أن يجعل من ثقافة الغرب وحضارة الغرب، حضارة «كونيَّة» يقول: هذه ليست ثقافة تختصُّ بالغرب، وإنَّما هي ثقافة الكون والعالَم. وهذه مغالطة من دون شكٍّ. هذه الثقافة تحمل فلسفة الغرب، ونظرة الغرب إلى الدِّين وإلى الحياة وإلى الله.

ولكلِّ أُمَّة خصوصيَّتها. ونحن لنا خصوصيَّتنا ولا ينبغي أن نُلْغي خصوصيَّتنا ونذوب في غيرنا وننماع، لهم دينهم ولنا ديننا، لهم قيمهم ولنا قيمنا، لهم شرائعهم وقوانينهم، ولنا شرائعنا وقوانيننا.

QaradawiBooks.com

فيجب أن تظل كلُّ أُمَّة متميِّزة بحضارتهـا وثقافتها وقيمها الموجِّهة لها والمحرِّكة لأبنائها. ونحن أبناء حضارة متميِّزة وتتميَّز حضارتنا بأنَّها جمعت بين العلـم والإيمان، أنزلت الـرُّوح بالمـادَّة، وجمعت العقل بالقلب، وربطت السماء بالأرض.

لم يكن عندنا انفصالٌ بين هذه الأشياء، ولا عداوة بين هذه الأشياء، لم يعادِ الدِّين العلم في تاريخنا، بل العلم عندنا دِين والدِّين عندنا علم.

لم يوجد في تاريخنا ولا في تراثنا صـراعٌ بين هذه المتقابلات كما حدث في الغرب وفي كنيسـته. وثار النَّاس على الكنيسة؛ لأنَّ الكنيسة وقفت مع الجهل ضد العلم، ومع الجمود ضدَّ التحرُّر، ومع الظلم ضدَّ العدل، ومع الملوك ضدَّ الشـعوب، ومـع الإقطاعيِّين ضـدَّ الفلَّاحين والمستضعَفين في الأرض. نحن لم نفعل ذلك، ولا نتحمَّل تاريخ غيرنا.

لا بدَّ أن نفقه هذا ونقف مـن الغرب الموقف العـدل، ونحذر من الغزو الَّذي يَشُنُّه الغرب ثقافيًّا.

الغرب رحل بعساكره ولكن يريد أن يفرض سيطرته بثقافته ومفاهيمه وقيمه. وخاصَّـة في عصرنا هذا الَّذي يُسَـمَّى عصـر «العولمة» وعصر «الأقمار الصناعيَّة» و«القنوات الفضائيَّة» و«البثّ المباشر».

ولم يعدْ من السـهل أن تعيـش الأُمَّة فـي برجها العاجـي أو في صومعتها المنعزلة. ينبغي أن نُعِدَّ العُدَّة لمواجهة هذا الغزو. لا يكفي أن نقول: هذا حـرامٌ، لا بدَّ أن نوجد بدائل. وكلُّ شـيء باطلٌ له بديل من الحقِّ. وكلُّ شيءٍ من الحرام له بديلٌ من الحلال. المفروض علينا نحن المسـلمين أن نُهَيِّئ هذه البدائل الإسـلاميَّة لنواجه بهـا أباطيل الغرب خصوصًا في عصر الغزو الكبير هـذا، الَّذي لم يعد مقصورًا على كتابٍ

QaradawiBooks.com

وعلى مُبَشِّر أو مُسْتَشْرق إنَّما أصبح بهذه القنوات والوسائل الكبيرة الَّتي تُؤَثِّر في شعوب بأكملها.

المحاور: بالنسبة لمسألة التحصين الثقافي، ما هي كتبكم الَّتي تعطونها الأولويَّة في قدرتها على إعطاء هذ التحصين بإذن الله؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: تعلم أنَّ كُلَّ مُؤَلِّف يعتبر كتبه مثل أولاده، وتفضيل الأولاد بعضهم على بعضٍ لا يستطيع الأب أن يفعلها.

ولكن في مجال التحصين الفكري والثقافي أرى لي كتبًا لها أهميَّتها منها قديمة ومنها حديثة صدرت خلال السنوات الأخيرة.

من الكتب القديمة: كتابي «الإيمان والحياة» ويعمل على ترسيخ منطق الإيمان من منطلق عقلي ونفسي وحيوي، يتَّصل بالحياة، ولا يكتفي بقال الله وقال الرسول، وهو مُهِمٌّ لترسيخ العقيدة.

ومنها: «الخصائص العامَّة للإسلام»، وأرى هذا الكتاب مهمًّا؛ لأنَّه يُوَضِّح المزايا الكبرى للدِّين المبين في عقيدته وشريعته ومنهاجه وعبادته من الربَّانيَّة والإنسانيَّة والأخلاقيَّة والواقعيَّة والوسطيَّة، إلى آخر هذه الخصائص.

ومن الكتب الجديدة:

«الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة بين الأصالة والمعاصرة».

ومنها كُتُبي في ترشيد الصحوة:

«الصحوة الإسلاميَّة بين الجمود والتطرُّف»، «الصحوة الإسلاميَّة بين الاختلاف المشروع والتفرُّق المذموم»، «الصحوة الإسلاميَّة وهموم الوطن العربي والإسلامي».

QaradawiBooks.com

وهناك كتب ظهرت أيضًا بعد ذلك في المدَّة الأخيرة:

«أولويَّات الحركة الإسلاميَّة»، و«فقه الأولويَّات»، و«عوامل السَّعة والمرونة في الشريعة الإسلاميَّة»، و«كيف نتعامل مع السُّنَّة النبويَّة؟»، و«كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟» وهو أحدث كتبي.

وهناك سلسلة أُحِبُّ أيضًا أن تأخذ حظَّها، وهي تتحدَّث عن التصوُّف الإسلامي، ولكن بالمنهج الوسطي، وتعلم أنَّني أتبنَّى المنهج الوسطي في كلِّ ما أكتب أو ما أتحدَّث به أو أفتي به، لستُ مع المتسيِّبين ولا مع المتزمِّتين.

أرجو أن أكون من هذه الأُمَّة الوسط، ومن قال عنهم سيِّدنا عليّ رضي الله عنه: عليكم بالنمط الأوسط الَّذي يلحق به التالي ويُرَدُّ إليه الغالي[1].

أريد أن أكون من هذا النمط الأوسط، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ ـ ٩].

في ضوء هذا المنهج الوسطي أصدرتُ سلسلة في تيسير فقه السلوك تحت عنوان: «في الطريق إلى الله» صدر منها أربعة كتب:

الأوَّل: «الحياة الربَّانيَّة والعلم». لا أذكر كلمة تصوُّف؛ لأنَّ بعض النَّاس ما إن يسمع هذه الكلمة حتَّى يترك الكتاب ويهجره، وأنا أريد أن يقرأه، فأطلقت اسم الحيَّاة الربَّانيَّة.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٣٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الثاني: «النيَّة والإخلاص».

الثالث: «التوكُّل على الله».

الرابع: «التوبة إلى الله»، وظهر قبل أشهر، وأنا مستمرٌّ في هذه السلسلة[1].

بالمناسبة ذكرت في كتابي: «كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟» أنَّ هذا هو قرآن المسلمين جميعًا سُنَّة وشِيعة.

تعرف أنَّ هناك من يقول: إنَّ الشِّيعة عندهم مصحف آخر هو مصحف فاطمة وأمثال ذلك. أنا قلت: هذا هو المصحف الَّذي يقرأه المسلمون جميعًا، لا نرى عند الشِّيعة في إيران والعراق وفي سائر العالم الإسلامي مصحفًا غير هذا المصحف، فهو الَّذي يُحَفِّظونه لأولادهم، والَّذي يقرؤون به في صلاتهم، وهو الَّذي يُعَلِّمون به ويذيعونه في التليفزيون، وهو الَّذي يُفَسِّره مُفَسِّروهم، وهو الَّذي يستدلُّون به في كتب الفقه، ويستدلُّون به في كتب العقائد. لا يوجد غير هذا المصحف.

وعندي رسائل أصدرتُ منها تسع رسائل اسمها «رسائل ترشيد الصحوة» تتحدَّث عن بعض الأمور أراها هامَّة. بعضها انتزعتها من كتبي وأضفت لها بعض الإضافات مثل: كتاب «الدين في عصر العلم»، وكتاب «الإسلام والفنِّ»، و«مركز المرأة في الحياة الإسلاميَّة»، و«المبشِّرات بانتصار الإسلام»، و«القدس قضيَّة كل مسلم».

ونسيت كتابًا مهمًّا وهو: «ملامح المجتمع المسلم الَّذي ننشده».

(١) وقد نشر مؤخرًا: الورع والزهد، والمحاسبة والمراقبة، والصبر والشكر والخوف والرجاء.

QaradawiBooks.com

وتصلني أسـئلة فقهيَّة فأجيب عليها إجابات استدلاليَّة، فيشكل كلُّ جواب بحثًـا فقهيًّا، وصارت هـذه البحوث كتابين، وأنـا بصدد إعداد الكتاب الثالث تحت عنوان: «فتاوى معاصرة»[1].

المحاور: سألتُ فضيلته: **على أيِّ مذهب؟**

قال **فضيلة الشيخ القرضاوي** ضاحكًا: على مذهب الشيخ القرضاوي. ثمَّ قال: أنا مذهبـي حنفي، وهو المذهب الَّذي درسـته في الأزهر، ثمَّ درستُ المذاهب فأصبحت حين أسأل عن مذهبي أقول: حنفشعي.

ولا بأس أن أذكر لك قصَّـة لطيفةً حصلت لي سـجلتها في الجزء الأوَّل من كتاب: «فتاوى معاصرة».

حينما كنت طالبًا في القسم الثانوي كنتُ أُدَرِّس الفقه لأبناء قريتنا، فقه العبادات. وقريتنا شافعيَّة المذهب، معظم الريف في الوجه البحري من مصر على المذهب الشافعي، وجرت العادة عند مشايخنا أن يُدَرِّسوا الفقه في قريتنا على المذهب الشافعي، حتَّى من كان منهم على المذهب الحنفي يُدَرِّس النَّاس على المذهب الشافعي لأنَّه مذهب أهل القرية.

كنتُ آنئذ مُتَّصِلًا بالإخوان المسلمين، وقرأتُ كتبًا خارج المذاهب، وتأثَّرت بهذه القضيَّة، فكنت أُدَرِّس الفقه على المذهب الشافعي، ولكنِّي كنتُ أذكر آراء المذاهب الأخرى.

ثمَّة رأي في الفقه الشافعي يقول: لمس المرأة ينقض الوضوء إذا لم تكن مَحْرَمًا، البنت والأمُّ لا تنقـض، أمَّا الزوجة فتنقض الوضوء. وهذه القضيَّة كانت تُحدث فـي الريف المصري مشـكلة، وخاصَّة في فصل

(١) وقد وصلت الآن ستة أجزاء وطبعت جميعًا بفضل الله.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الشتاء، حيث الجو البارد والماء البارد، والرجل يتوضَّأ ويذهب فيصلي المغرب ويعود إلى البيت ليتعشَّى، فتناوله امرأته العَشاء، وقد تخطئ فتلمسه. آه لقد نقضتِ وُضُوئي. فيحدث شجارٌ وتقوم معركة، وكنتُ أقول لأهل القرية: إنَّ مجرَّد لمس المرأة لا ينقض الوضوء خاصَّة إذا لم يكن عن شهوة.

مرَّة حدثت في عائلة هذه المشكلة، لمست المرأةُ يد الرجل، وأوشك أن يحدث شجار، فقالت له امرأته: «زعلان ليه؟!»، صلِّ على مذهب الشيخ يوسف. كنت آنئذ في السنة الأولى ثانوية، والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

نسخة مجانية

الحياة ورد وشوك
حوار حول قضايا الزواج والأسرة[١]

«عندما يريد الإنسان الزواج، عليه أن يفتح عينيه واسعتَين قبله، وأن يغمضهما نصف إغماضة بعد الزواج»، كما يقول أحد الحكماء.[١]

هكذا أجاب فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي، الداعية الإسلامي المعروف على سؤال لـ «مَوَدَّة»، طرحته على فضيلته خلال لقاءٍ خصَّ به المجلَّة حول موضوع: اختيار شريك الحياة.

ومن أجل أن يضيء لنا دروب المعرفة، وينصح طالبي الرشد مستشهدًا بعصور الإسلام الزاهرة، وابتداءً بعصر الرسول ﷺ، وصولًا إلى عصر خلفائه وتابعيه رضوان الله عليهم أجمعين، أجاب فضيلته على أسئلتنا الهادفة إلى معرفة سبل تحقيق الاستقرار في بيت الزوجيَّة العامر بالإيمان، والطهارة، والود، ليكون هذا الحوار.

المحاور: في البدء، هل لنا أن نتساءل عمَّا ورد في مناهلنا الأولى، وتحديدًا القرآن والسُّنَّة، عن اختيار شريك الحياة وسكن الزوج؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: اهتمَّ القرآن وهو المصدر الأوَّل لشريعتنا، واهتمَّت السُّنَّة وهي المصدر الثاني الْمُبيِّن لقضيَّة حسن اختيار الزوج،

(١) مجلة مودة، أبو ظبي، دولة الإمارات، وأجرت الحوار أ. ذكرى والي.

QaradawiBooks.com

بهذا الموضوع. وكلمة الزوج في اللغة العربيَّة، وفي لغة القرآن والسُّنَّة تعني: شريك الحياة سواء أكان رجلًا أو امرأة. قال تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقال: ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢].

فحسن الاختيار أمر مطلوب إسلاميًّا، أمَّا أساسه فهو الصلاح، إذ ينبغي أن تختار المرأة ويختار معها أهلها الرجل الصالح، كما على الرجل أن يختار شريكة صالحة، وفي كتاب الله نجد: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

وهنا نرى أنَّه من الأجدر ألَّا يركز النَّاس على قضيَّة المال والثروة. فالثروة تتنقل، والمال يتحوَّل، والغنيُّ قد يفتقر، والفقير قد يغتني، والموسر قد يعسر، والمعسر قد يأتيه اليسر. إذ قال الله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]؛ لذلك نجد أنَّ القرآن حينما أمرنا بتزويج الصالحين من عباد الله، قال: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢]، وهذا يُعَبِّر عنه المثل الشائع عند المسلمين: «خذوهم فقراء يغنهم الله».

وهكذا يتجلَّى لنا تأثير الفكر والعلم الإسلامي على الجماهير المسلمة، حيث إنَّ العبرة بصلاح الشخص وليس بماله، إذ يقول النبيُّ ﷺ فيما رواه الإمام مسلم في «صحيحه»، عن عبد الله بن عمر: «**الدنيا متاعٌ، وخير متاع الدُّنْيا المرأة الصالحة**»[1]، ويقول عليه الصلاة والسلام:

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

«**من رزقــه الله امرأةً صالحة فقد أعانه على شَــطْرِ دِينِــه، فليتَّقِ الله في الشــطر الثاني**»[١]. وعلى تركيزنا أن يكون موجَّهًا نحو المرأة الصالحة، ومعنى الصلاح في المرأة هو الدِّين والخلق.

وفي الرجل جاء الحديــث المعروف: «**إذا أتاكم مــن ترضَوْن خلقه ودِينَه فزوِّجوه، إلّا تفعلوا تكُنْ فتنةٌ في الأرض وفســادٌ عريض**»[٢]. وفي المرأة يقول النبي ﷺ: «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها ســرَّته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله**»[٣]. وهذا لا يعني ألا يبالي الإنسان بالمقاييس الأخرى، وإنَّما المهم هو أن يجعل الدين أولًا.

فلا مانع أن يبحث عنها جميلة حتَّى تســرّه إذا نظر لكيلا ترنو عينه إلى غيرها. ولا بأس إن كانت على قدر من الذكاء لتجاريه، كما لا مانع أن يبحث عن أصلها وحسبها ونسبها، ولا مانع حتَّى أن يكون معها مال.

ويدعم الحديث الشــريف هذا القول: «**تنكح المــرأة لأربع: لمالها، ولحســبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[٤]. أي: اجعل الدِّينَ هو معيارَك الأوَّل، واظفرْ به، واشــدُدْ يديك عليه، فإنَّها إذا كانت ذات دين فإن كل شيء سيكون هيّنًا بعد ذلك.

وترى النَّاس يبحثون عن صاحب الدين في المقام الأوَّل ويقولون: إذا زوّجت ابنتك فزوّجها ذا ديــن، إذا أحبَّها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها،

(١) سبق تخريجه صـ٣١٠.
(٢) سبق تخريجه صـ٣١١.
(٣) سبق تخريجه صـ٣١٠.
(٤) سبق تخريجه صـ٣١٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويقول عزَّ من قائل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. وفي الأثر: من زوّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها[١]. فترى حرص الأوائل على ذي الدين يصل أن يرفض أحدهم أن يزوّج ابنته لولي عهد المسلمين، ابن الخليفة. كان هذا موقف سيد التابعين الفقيه الإمام سعيد بن المسيب، إذ بعث إليه الخليفة يخطب إليه ابنته فاعتذر ورفض، ثمَّ زوّجها لأحد تلاميذه ممَّن لا يملك شيئًا؛ لأنَّه أراد أن يزوجها إنسانًا يطمئن إلى دينه وخلقه.

المحاور: إذا كان الشرع قد حدَّد منذ البدء مقاييس الاختيار والَّتي على رأسها كان الدين، فهل تعتبرون أنَّ هذه المقاييس قد تغيرت في عصرنا هذا، أو فترت بقدر الفتور الَّذي طرأ على تمسكنا بعقيدتنا وتعاليم ديننا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: إذا ما كان المجتمع الإسلامي، في العهد الأوَّل، يرفض الزواج الَّذي تصحبه الشهرة، والجاه، والنفوذ، والخلافة، ويزوّج الأب ابنته من طالب علم فقير، فهل احتفظنا بهذه المقاييس إلى الآن؟!

قطعًا تغيَّرت النفوس، وتبدلت القيم بتأثيرات وافدة علينا ومنها رواسب عصور التراجع والهزيمة خلال العصور الإسلاميَّة الأخيرة الَّتي انحرف معها المسلمون عن الإسلام الصحيح، ودخلت عليهم مؤثِّرات شتَّى، ولم يعد الدين حاكمهم، فتعسّر عليهم فهمه، وضعف تطبيقه.

ثم جاءت التأثيرات المادِّيَّة الحديثة، بما تشمله من قيم مادِّيَّة سرَت

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣١٤/٤)، من قول الشعبي.

QaradawiBooks.com

بتأثير أقوى من قبل الحضارة الغربيَّة، حتَّى أصبح همّ النَّاس المادَّة قبل كل شيء والمظاهر البراقة، فاختفت المعايير الدِّينيَّة، والمقاييس الأخلاقيَّة الَّتي كان يقاس بها من يريد الإنسان الزواج به.

وفي المقابل علينا أن نعترف أنَّ البلاد الإسلاميَّة تشهد الآن صحوة شملت الكثيرين من الشباب. والكثيرات من الفتيات، فأصبح الإسلام ـ ولله الحمد ـ حيًّا في كثير من الضمائر، والقلوب، والنفوس، بل أصبح هو المؤثِّر والموجّه الأوَّل لحياة الكثيرين والكثيرات، وعادت هذه التعاليم الدينيَّة لتحيا في النفوس وفي المجتمع من جديد، وعلينا نحن أن نسقي هذا الزرع ونتعهَّده بالرعاية، حتَّى يؤتي أكله ويثمر ثمرته إن شاء الله.

المحاور: الاختيار للزواج، باعتقاد فضيلتكم، هل هو اختيار فردي أم جماعي؟ وفي حال اشتراك المجموعة في الاختيار من يتحمل المسؤوليَّة في النهاية؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: يربّي الإسلام المسلم على الشورى في كل شيء، وقد حفظ المسلمون من تراثهم: «**ما خاب من استخار**». يعني: إذا أراد الإنسان أن يوفّق في أمر ذي بال، يحسن به أن يستخير الله ويستشير النَّاس. واستخارة الله تكون بالصلاة ركعتين، والدعاء أن يهديه الله إلى أفضل الأمرين.

هذه سبيل، والسبيل الثانية: أن يستشير من يرى فيه حسن الرأي والحكمة ومن يحب له الخير، فلا يستشير عدوًّا، ولا حسودًا، ولا حقودًا، لذلك يحضّ الإسلام على أن يتمَّ الزواج بتراضي كل من يهمُّهم الأمر. ولا ينبغي على الرجل أن يزوِّج ابنته رغمًا عنها ولا بدَّ أن

QaradawiBooks.com

يكون ذلك برضاها. وقد رد النبي ﷺ بعض حالات الزواج الَّتي لم تكن برضى الفتاة. بل قال: «**آمروا النساء في بناتهن**»[١]، أي إذا أراد الأب أن يزوّج ابنته، فلا بدَّ أن يستشير أمها، لأنَّ الأم أخبر بابنتها من أبيها، وقد تتجرأ البنت على أن تصارح أمها، ولكنَّها لا يمكن أن تفعل ذلك مع أبيها.

كما يمكن للأب أن يستشير إخوتها الذكور؛ لأنَّ الزواج ليس علاقة بين فرد وفرد، ولكنَّه مصاهرة، ويقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

فالنسب رابطة دم، ومصاهرة عن طريق الزواج، وعندما يتزوَّج الشخص امرأة فإنَّه لا يتزوجها فقط؛ لأنَّ أمها ستكون حماةً له وجدّةً لأولاده، وأباها سيكون حمى له وجَدًّا لهم أيضًا، وإخوتها سيكونون أخوالهم، وأخواتها خالاتهم، وهكذا تحولت العلاقة إلى لُحمة ورابطة وشيجة.

ومن أجل هذا لا بدَّ أن تتم المشاورة، حتَّى يكون الجميع مسرورًا بهذه الزيجة، ومقبلًا عليها وفرحًا بها، وحينما تأتي العروس، تجد الترحيب من الجميع، وتجد أرضًا تحملها، وصدورًا مفتوحة لها، وقلوبًا تهفو لحبّها. وهذا هو المطلوب في الزواج الإسلامي.

المحاور: إنَّ دور الأم في بناء أجيال صاعدة نافعة للوطن والأمة العربيَّة الإسلاميَّة أساسي، فكيف تتشكل الرؤية القائلة: إن مسؤوليَّة تربية الأبناء تبدأ من ساعة اختيار أمهم؟

---

(١) رواه أحمد (٤٩٠٥)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في النكاح (٢٠٩٥)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا شـــكَّ أنَّه من أولى أوجه المعروف الَّتي يمكن أن يصنعها الأب تجاه أولاده، أن يختار لهم الأم الصالحة، **لأنَّهم يرثون منها كما يرثــون منه، ويتأثَّرون بها كما يتأثَّــرون به**، وعنها قال شاعر النيل، حافظ إبراهيم:

الأُمُّ مــدرســةٌ إذا أعــددتَــهــا أعددتَ شــعبًا طيِّــبَ الْأَعْرَاقِ[1]

وحينما امتنَّ الشاعر العربي قديمًا على أولاده، قال لهم:

وأوَّلُ إحســاني إليكــم تَخَيُّري لماجدةِ الأعــراقِ بــادٍ عَفَافُها[2]

فالوعـــاء الصالح مطلوب، ومهمَّـــة الأبِ أن يختـــار الأمَّ الصالحة، ومهمَّة المرأة أن تختار لأولادها الأب الصالح، إذ هي مسؤوليَّة مشتركة بين الرجل والمرأة، وعلى كل منهما أن يحســـن اختيار الشـــريك الَّذي يكون نعم المحضن والمربي لأولاده.

المحـــاور: تعاليم الإســـلام واضحة البيان فـــي أمور ديننـــا ودنيانا وبالخصوص فيما جاء منها خاصًّا للنكاح، كالخِطبة، والصداق، والقران، ومن ثمَّ آداب المعامـــلات الزوجيَّة. ولكن ومع تيســـير ديننا لكل هذه المعاملات إلَّا أن مسايرة العصر دفعتنا لتعسيرها فيصبح مشروع النكاح عبئًا ماديًّا ومعنويًّا يفكر الشـــاب ألف مرَّة قبل الإقدام عليه؛ إذ ارتفعت المهور، وبلغت تكاليف الزفاف حدًّا لا يمكن أن يتوقَّعه خيال، فما رأي فضيلتكم في هذه المشاهدات؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: ييسّر الشرع أمورًا كثيرة بينما نعسّرها نحن، والتقاليد زادت في تعقيدها، خصوصًا مع وجود نوعين من التقاليد: بالية

(١) ديوان حافظ صـ ٢٧٠.

(٢) نسبه الماوردي للرياشي في أدب الدنيا والدين صـ ١٥٨، نشر دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

موروثة وليست من الدين في شيء، وتقاليد غازية وافدة، ولكن كلا النوعين قد أثَّر في حياتنا وعقّدها، والدين براءٌ، بل يوصي بأن يكون الزواج أمرًا سهلًا ميسورًا بأقل ما يمكن من المهر، وأيسر ما يكون من التكاليف، ولكن النَّاس عسّروا على أنفسهم فأغلوا في المهور مع أنَّ الحديث يقول: «**أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة**»(١)، وزوّج النبي ﷺ بناته بأقل ما يمكن من المهور حتَّى إنَّ مهر فاطمة الزهراء رضي الله عنها، كان درعًا من علي واسمه «الحُطَمِيَّة»(٢). وكان في ذلك أبلغ رمز للمقبلين على الزواج.

وفي هذه الأيام لم يقف الأمر عند المهر، ولكنَّنا اخترعنا كذلك الولائم للخطبة أو «الشبكة» وللعقد أو «الملكة»، وللزفاف أي عند الدخول، وكل ذلك يتم بالفنادق الباهظة الَّتي تكلف عشرات الآلاف، كما ابتدع النَّاس شيئًا آخر يسمَّى شهر العسل، ممثلًا في سفرة، وللسفر تكاليفه من تذاكر وفنادق ونزهات، وهذه كلها مصاريف أرهق النَّاس بها أنفسهم وكلَّفوها شططًا ما أنزل الله به من سلطان، إضافة إلى هدايا الزواج الَّتي يعطي بعضها للعروس ولا ينتفع النَّاس بها، وتكاليف تأثيث منزل الزوجيَّة، والخير كله في التبسيط والتيسير: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا، ولا تنفروا**»(٣)، وهكذا علمنا النبي ﷺ، الَّذي دخل على بعض نسائه ببعض الفريك والسَّويق.

---

(١) رواه أحمد (٢٥١١٩)، والنسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩٢٢٩)، والحاكم في النكاح (١٧٨/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن عائشة.

(٢) رواه أبو داود (٢١٢٥)، والنسائي (٣٣٧٥)، كلاهما في النكاح، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٤٩)، عن ابن عباس.

(٣) سبق تخريجه صـ٥٣٦.

QaradawiBooks.com

ولهذا كله، تعد فكرة الزواج الجماعي جيدة، حيث تيسّر على العديد من الشباب تكاليف هذه الولائم.

علينا أن نعود إلى ينابيعنا الصافية لنستقي منها ما يفيدنا في حياة الفرد والأسرة والجماعة:

المحاور: الاختيار قرار، والقرار تفكير عميق نقصد به عاقدين العزم على مشاركة أحدهم، أو إحداهن، العمر والمسكن وحتَّى الاسم، فهل يمكن لهذا القرار القصدي الواعي القائم على إدراك وإيمان أن يكون مبنيًّا على خدعة ملبس، أو مظهر، أو حسب، أو نسب؟ وماذا تتوقعون أن يكون مستقبل مثل هذا الاختيار؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الاختيار يدلُّ على ثقافة الشخص ووعيه، أمَّا إذا أردنا أن نغيّر هذه المقاييس المقلوبة والموازين السيِّئة، علينا أن نغيّر من وعي الإنسان وثقافته. فإذا تغيَّر وعيه وأصبح يدرك الخير من الشر، والحسن من القبيح، وما ينبغي وما لا ينبغي، عندها يستطيع أن يدرك مَن يختار، سواء بالنسبة للفتى أو للفتاة، إذ يمكن أن يعجبها المظهر، فتنسى الجوهر، ويعجبها الشكل فتنسى المضمون.

والقرآن يقول واصفًا المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]. والحديث يقول: «**إنَّ الله لا ينظرُ إلى صُوَرِكم وأموالكم، ولكن ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالكم**»[1]. والعرب يقولون: ترى الفتيان كالنخل، وما يدريك ما الدّخل.

ونحن نستشهد بكل ذلك حتَّى نوعّي شبابنا وشاباتنا بهذه المعاني والقيم ليحسنوا الاختيار لأنفسهم ومستقبلهم.

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

المحاور: لفضيلتكم، جهود إعلاميـــة لافتة للنظر، وحضور بارز في العديد من القنوات الفضائيَّـــة العربيَّة، الأمر الَّذي جعـــل منكم صديقًا للأسرة المسلمة الَّتي تتوجَّه إليه بمشكلاتها وهمومها وتساؤلاتها.

من خلال هذه العلاقة الحميمة مع وسائل الإعلام، ومع الجمهور على حد سواء، كيف تقيمون دور الإعلام في رفع درجة الوعي لدى الجمهور، وما تعليقكم على تجاوب جمهورنا مع مثل هذا الإعلام الملتزم؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: لا شـــكَّ أن لوســـائل الإعلام دورًا هامًّا وخطيرًا، خصوصًا وأنَّها أصبحت الآن تدخل كل بيت، وتخاطب كل فرد وتؤثِّر بالصـــوت والصورة. وتحســـن الترغيب والترهيـــب، ومع عصر القنوات الفضائيَّة غدت مسؤولياتها أكبر.

وفي الواقع على مثل هذه الأجهزة الإعلامية أن تتحمَّل هذا العبء: عـــبء التوجيه والترشـــيد، والمقصود: ترشـــيد المســـيرة، والتنبيه إلى المخاطر، والتعريف بالأشياء قبل أن تقع، ويوجد دائمًا العلاج كما توجد الوقاية، ولكن علينا أن نهتـــم بالوقاية قبل العلاج حتَّى لا نقع في أودية الهلاك، ثمَّ نحاول الخروج منها.

وعلى وسائل الإعلام أيضًا أن تنبّه المجتمع، وخصوصًا الشباب منه، إلى المخاطر والمحاذير، وتضيء الإشـــارات الحمراء في الطريق حتَّى لا يرتكبوا الأخطاء الَّتي يندمون عليها لاحقًا.

وأعتقـــد أنَّ كثيرًا من القنوات والمحطات تقـــوم بذلك على تفاوت فيما بينها، والواجب عليها أن تزداد إصـــرارًا على هذا التوجّه، بل تأتي مجدَّدًا بالنصحاء والموجهين الأصلاء، الَّذين يحســـنون توجيه الجمهور إلى ما يتوجَّب عليهم فعلـــه، وينبغي أن يكون الديـــن وخصوصًا ديننا

QaradawiBooks.com

الإسلامي وراء ذلك كله، فالنَّاس لا زالوا أطوع لتوجيهات الدين، ومجتمعنا في غالبيَّته متديِّن بفطرته، وصوت الدِّين مسموع ولواؤه مرفوع، وفي جانب الأسرة بالذات.

هكذا على الدين أن يكون: الموجِّه والمحرِّك الأوَّل لجماهيرنا العريضة في هذا الجانب الخطير من حياتنا الاجتماعيَّة.

على الإنسان أن يقبل بالشريك بكل جوانبه، فلا يأخذ العيوب وينسى المزايا، وعليه أن يضع كُلًّا في كفة ويُرجّح.

المحاور: أوضح استطلاع للرأي قامت به «مودة» حول أسس الاختيار، أنَّ الشابَّ يريد الملتزمة بأمور دينها، وفي المقابل تفضل الفتاة الزواج من المتدين والخلوق، غير أنَّ المفاجأة هي ازدياد حالات الطلاق على مستوى الخليج بعامة، وانهيارات فاجعة لأسرنا الَّتي ما إن تتشكل حتَّى تبدأ في الانهيار.

والسؤال هو: هل ثمة فرق بين النظريَّة والتطبيق؟ أم أنَّنا بحاجة إلى إعادة النظر في مجمل خطابنا التربوي، والاجتماعي، والإعلامي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا بدَّ أن هناك أناسًا ليس الدين هو محركهم الأوَّل، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فلنتساءل للحظة: ما هو الدين؟! فهناك من يسيء فهمه.

ويُذكر أنَّ رجلًا جاء إلى سيِّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب منه أمرًا. فقال له عمر: ائتني بمن يشهد لك. فقال أحدهم: أنا أشهد أن هذا رجل صالح. قال: هل أنت جاره الأدنى الَّذي يعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا. قال: هل عاشرته في السفر الَّذي يُسفر عن أخلاق الرجال؟ قال: لا. قال: هل عاملته بالدينار والدرهم الَّذي يُعرف به حرص الإنسان من

QaradawiBooks.com

ورعه؟ قال: لا. قال: لعلك رأيته في المسجد، يهمهم بالقرآن، فيرفع رأسه تارة، ويخفض رأسه أخرى؟ قال: نعم. قال: إذنْ لست تعرفه. قال: اذهب وأْتني بمن يعرفه[١].

ومن هنا نستشفُّ أنَّ المهم هو الجوهر، إذ نعتبر أحيانًا الشخص ديّنًا لأنَّه ذو لحية طويلة أو ثوب قصير، ولكنَّنا نخطئ باعتقادنا هذا؛ لأنَّه ليس هذا الدين، ولا هذا هو المتديِّن والحديث يقول: «**خُلُقُه ودِينه**»[٢]. يعني ليس أن يكون مصليًا فقط، وإنَّما أن يكون ذا خُلُق أو ذا طباع حميدة، وخصال كريمة، إنسانًا لا يكذب إذا حدّث، ولا يخلف إذا وعد، ولا يفجر إذا خاصم، وهي مجموعة خصال المؤمنين.

وأنا أشك فيمن يقولون: اخترنا ذا دين. ثمَّ يفشلون؛ فإمّا أنَّهم لم يفهموا الدين كما ينبغي، أو كان الشخص منافقًا؛ يظهر باسم الدين وهو بعيد عنه، أو أنَّهم لم يحسنوا المعايشة، والَّتي من أصولها أن يعرف الزوج مبادئ العشرة الزوجيَّة، وحقوق الزوجة عليه، وهي أيضًا لا بدَّ أن تعرف ذلك والله تعالى يقول: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾ [البقرة: ٢٢٨].

أو قد يكون الرجل ديّنًا لكن أهله يساعدونه على بغضه لها، أو بغضها له، وهنا يظهر تدخّل الآخرين المدمّر. أو لعلَّه يكون متأثرًا بما في المجتمع، أو من خلال تقاليد مجتمعات أخرى، وينطبق القول على المرأة أيضًا. والمهم أن يعي الطرفان أنَّ الحياة الزوجيَّة مسؤوليَّة، وعلى كلٍّ من الزوجين أن يصبر على صاحبه وأن يحتمله.

---

(١) رواه البيهقي في آداب القاضي (١٢٥/١٠). وانظر: إحياء علوم الدين (٨٢/٢، ٨٣).

(٢) سبق تخريجه صـ٣١١.

QaradawiBooks.com

وعلى الإنسان أن يقبل بالشريك بكل جوانبه، فلا يأخذ العيوب وينسى المزايا، وعليه أن يضع كُلًّا في كفة ويرجّح.

والحياة ليست وَردًا خالصًا ولكنَّها ورد مع شوك، وسرّاء مع ضراء، وسلبيَّات مع إيجابيات، بل هي خلاصة لكل ذلك، أمَّا الإنسان الَّذي يحلّق في سماء المثاليات، ويحلم بأشياء وهمية، فإنَّه لن يستطيع أن ينجح في حياته الزوجيَّة مهما حاول.

من محركنا وموجهنا غير الدين؟!

المحاور: في حلقة جريئة وغير مسبوقة من برنامج حواري مباشر لكم مع إحدى القنوات الفضائيَّة العربيَّة، ثمَّ تناوُل قضايا عميقة جدًّا وبالغة الخصوصية فيما يتعلق بالحياة الزوجيَّة وأسرارها، وفتح الباب للحديث عن الحدود الَّتي رسمها الشرع للتعاطي مع هذه العلاقة.

والسؤال هو: ما دور مثل هذه الموضوعات في إعداد المقبلين على الزواج، وكيف يمكن لنا التعامل معها بوعي وحكمة حرصًا على مستقبل العلاقات الزوجيَّة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: هذه أمور لا بدَّ أن نلامسها بالحكمة والرفق، وعلى وَفْق توجيهات الشريعة الإسلاميَّة: فالقرآن والسُّنَّة ذكرا هذه العلاقات الحسية بين الزوجين، إذ يقول تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]. وقد ورد في الحديث عن الصيام، وآدابه، وأشكال السمو الروحي: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

QaradawiBooks.com

إذن، هي أمور طبيعيَّة، ويجب أن تعطى حقها في جوٍّ من الإيجابيَّة والجديَّة بعيـدًا عن جو الاستهتار، وعلينا أن نوعّي الأزواج، ونربّي الأولاد على هذه الناحية تربية قائمة على العلم الصحيح والدين الحق.

وقد تحدث المسلمون قديمًا عن كل هذه المواضع، وهم يتطرقون إلى فرائض الوضوء، وموجبات الغسل، وتفسير القرآن، وشرح الأحاديث، كما أذكر لكم أنَّ لأخينا الأستاذ عبد الحليم أبو شُقَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة»، وهو مؤلَّف من ستَّة أجزاء، خصَّص الجزء السادس منه للثقافة والتربية الجنسيَّة، ومن خلال رافدكم الإعلامي هذا، أنصح بقراءة هذا الكتاب كله، وخصوصًا الجزء السادس منه، فالكتاب في مُجمله قائم على النصوص الإسلاميَّة من كتاب الله، إلى سنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وكان يبدو أنَّه مرت علينا حقبة من الزمن أوصدنا من خلالها الأبواب على مثل هذه المواضيع، ففسحنا، دون أن نقصد، المجال أمام أبنائنا وبناتنا ليستقوا ثقافتهم ـ وخصوصًا ـ عن هذه الناحية الخطيرة، من أصدقاء السوء ومصادر لا نعلم حقيقتها، فساءت النتائج.

والأولى بنا أن نعود إلى ينابيعنا الصافية لنستقي منها ما يفيدنا حول هذه النواحي المهمة في حياة الفرد، والأسرة والجماعة.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

سأزوج ابنتي لمن تحب وأقرأ لإحسان عبد القدوس ونزار قباني وسعاد الصباح

تدب الحيويَّة وتمتلئ الحياة والأوساط الإسلاميَّة في مصر نشاطًا حينما يعود المفكر الإسلامي د. يوسف القرضاوي إلى القاهرة في إجازة أو زيارة عابرة لحضور مناسبة ما، فالشيخ القرضاوي بكتبه ودراساته وحضوره الفكري يمثل مرجعيَّة لكل التيارات. الَّذين يتفقون معه والَّذين يختلفون، ولذا فالحوار معه يعد دائمًا بمناقشات ساخنة ومحاورة علميَّة خصبة. وقد جرت وقائع هذا الحوار المطول في منزله بمدينة نصر.

وتحدث فيه الدكتور يوسف القرضاوي عن بناته وأولاده، وعن القرضاوي الشاعر والإنسان والمفكر، وفتح قلبه وعقله ليتكلم عن فقه القرضاوي كما يتصوره وقضايا أخرى كثيرة.

المحاور: قلت له مبتسمًا: أراك تتمسك بالعمامة والجبة مع أنَّ معظم علماء الأزهر هجروها إلى البدلة. فلماذا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: يجيب د. يوسف القرضاوي: هذا الزي يعبر عن الشخصيَّة الأزهريَّة، وحتَّى عندما ذهبت إلى الخليج وقدمت برنامجين تلفزيونيين في تلفزيون قطر وقناة الجزيرة الفضائيَّة هما: «هدي الإسلام»، و«الشريعة والحياة». تمسكت بهذا الزي، وأرى أنَّ شيوخ الأزهر ينبغي أن يحتفظوا بهذا الزِّي مع اللحية والعمامة، إحياءً لهذه

QaradawiBooks.com

السـنة. وأذكر أنَّ الإمام الندوي وهو عالم هنـدي عندما جاء إلى مصر سأله الشـيخ أحمد الشـرباصي عن أعجب ما رآه، فقال العالم الهندي: أكثر ما أدهشني هو أنَّ علماء الأزهر حليقو اللحية.

القدس

المحاور: قدمتَ كتابًا بعنوان «القدس قضيَّة كل مسلم»، فما رأيك فيما يحدث الآن حول القدس؟ وهل ستعود القدس بالمفاوضات والسلام؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: إسرائيل لم تجنح للسلام يومًا، فكيف يجنح للسلم من اغتصب الأرض وسفك الدماء وشرَّد أهلها وانتهك حُرماتهم؟!

إنَّ الآية الشريفة الَّتي يجب أن نتمثلها ونحتجَّ بها قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمـد: ٣٥]. لكننا نسـتبطئ النصر، وذهبنا للحصول على بعض المكسـب بالطريق السـريع، لا كل المكسـب بالطريق البعيد. فنحن نملـك الكثير لكننا اسـتصغرنا أنفسـنا، كان لا بدَّ أن نصبر ونصابر ونرابط كمـا أمرنا الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقـد أعلم الله نبيَّـه محمدًا ﷺ بأنَّ هذه الأرض المقدسـة سـيحتلها الأعـداء، أو يهددونها بالغزو والاحتلال، ولهذا حـرَّض أمته على الرباط فيها، والجهاد للدفاع عنها؛ حتَّى لا تسقط في أيدي الأعداء، ولتحريرها إذا قدر لها أن تسـقط في أيديهـم، كما أخبـر عليه الصلاة والسلام بالمعركـة المرتقبة بين المسـلمين واليهود، وأنَّ النصر في النهاية سيكون للمسلمين عليهم، وأن كل شيء سيكون في صف المسلمين حتَّى الحجر والشجر، وأن كلًّا منهما سينطق دالًّا على أعدائهم، سواء كان نطقًا بلسان الحال أم بلسان المقال.

QaradawiBooks.com

وقد روى أبو أمامة الباهلي، عن رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من جابههم إلَّا ما أصابهم من لأواء** ـ أي أذى ـ **حتَّى يأتي أمر الله وهم على ذلك**». قالوا: أين هم، يا رسول الله؟ قال: «**ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس**»[1].

إننا قد لا نسترد حقنا اليوم، ولا غدًا ولا بعد غدٍ، إنَّما ينبغي ألا نستسلم. إنَّه موقف شرعي بألا نستسلم لإسرائيل. ففلسطين ظلت محتلة نحو مائة سنة، أيَّام الصَّليبيِّين وهيَّأ الله لها من استردها وحررها. والأقصى ظل (٩٠) عامًا أسيرًا في أيدي الصَّليبيِّين حتَّى حرَّره صلاح الدين.

فأنا أعتقد أنَّ الزمن في صالحنا نحن، لا بدَّ من إعلان الجهاد فورًا لتحرير القدس. فلا بدَّ أن يكون ميراثنا للأجيال القادمة هو جهاد وكفاح، لا استسلام وتضييع للأراضي، فإسرائيل مصرَّة على أن تجعل القدس عاصمة لها، وتسعى إلى تهويدها وتفريغها من أهلها.

ويجب على العرب أن يهيِّئوا أنفسهم لجهاد طويل لتحرير القدس، واسترداد فلسطين، فإسرائيل لم تسلم بحقنا فيها أبدًا.

الزواج عن طريق الأسرة:

المحاور: ننتقل إلى حديث شخصي آخر: ماذا لو جاءت ابنتك إليك وقالت: يا أبي هذا الشاب أحبه وأريد أن أتزوجه، كيف ستتصرف معها؟!

فضيلة الشيخ القرضاوي: ضحك الشيخ القرضاوي بشدَّة وقال: هذه صورة مفترضة بالنسبة لأسرتي؛ لأنَّ هذا لم يحدث عندنا، والحمد لله زوَّجتُ بناتي الأربع لأناس أكرمنا الله بهم. الحقيقة أنَّني لم أخترهم،

(١) سبق تخريجه صـ٥٤٠.

QaradawiBooks.com

فآباؤهم يعرفوننا، وبعضهم كانوا يعملون في قطر، وبيننا مودَّة من قديم، فثلاث من بناتي تزوَّجن من أولاد أصدقاء لنا في قطر، والرابعة تزوجت من ابن صديق قديم في مصر، أعرفه منذ كنا طلابًا، وبهذه الطريقة الَّتي أعتبرها طبيعية وأفضل الطرق، تزوجت بناتي. فقد قرأت دراسة أثبتت بالإحصائيات أن أفضل الزواج وأكثره استقرارًا ما جاء عن طريق الأسر.

أمَّا عن الصورة الَّتي سألت عنها، فلي رأي فيها وسُئلت عن هذا الموضوع كثيرًا، وأقول: يجب على الأهل في هذه الحالة، أن يصغوا إلى الفتاة، وأن يتعرفوا على هذا الشاب، هل هو ملائم أم لا؟ فقد تكون البنت مخدوعة، وهذا يحدث كثيرًا، فالحب كما يقولون: أعمى. ولا بد أن يعرف مدى ملاءمة هذا الشاب من الناحية الدِّينيَّة، والأخلاقيَّة والفكريَّة والثقافيَّة، فمن غير المقبول أن تكون هي حاملة للدكتوراه، تحب شابًّا لا يحمل سوى شهادة متوسطة، فلا بدَّ من وجود ما يضمن لهذا الزواج الاستقرار والنجاح، بالطبع الأمور بيد الله، لكننا نأخذ سنة الله.

وننصح البنت في هذه الحالة أن تسمع لأهلها أيضًا؛ لأنَّني أرى بعض الأهل يرفضون هذا الحبيب بدون سماع لرأي البنت، وأرى البنات يتعصَّبن لحبهنَّ ويصررن عليه، رغم أنهن لا يقدرن عاقبة الارتباط برجل غير مناسب لهن.

فإذا وجدت الأسرة الشاب مناسبًا، فلا مانع من تزويجه بابنتهم؛ لأنَّ النبي ﷺ يقول: «**لم ير للمتحابَّيْن مثل النكاح**»[1]، أي: فالأفضل للحبيبين أن يتزوَّجا ما لم يوجد مانع.

(١) رواه ابن ماجه (١٨٤٦)، والحاكم (١٦٠/٢)، وصحَّحه، كلاهما في النكاح، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٠)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

العمل في المنزل:

أنا خايب في الطبخ، وزوجتي ربَّة بيت ممتازة:

المحاور: وجاء ابن الدكتور القرضاوي ببراد شاي صيني ووضعه أمامنا وصبَّه في الفناجين فنظرت إليه، وقلت: بعض الأزواج يعاملون زوجاتهم بقسوة وينظرون إلى عمل المنزل باحتقار شديد، والأهم أنَّهم لا يسمعون الزوجات حتَّى كلمة طيبة عندما يقمن بخدمتهن، ماذا عن الدكتور القرضاوي في البيت؟ وهل تساعد زوجتك في شغل البيت؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: ضحك الشيخ واكتسى وجهه بظرف العلماء وخلع عمامته، وهو يقول: أمَّا عن الكلام الطيب فالحمد لله، فهو متوفِّر بشدَّة، وأمَّا عن المساعدة في شغل البيت فأنا خايب جدًّا، حتَّى عندما كنت طالبًا رزقني الله بمجموعة من الزملاء الَّذين يحسنون الطهي والغسيل وكل هذه الأعمال، فكانوا يقومون بهذا الأمر نيابة عني.

لذلك فمنذ أن تزوَّجت لا أساعد زوجتي، لا استكبارًا على هذا ولا ضنًّا بنفسي، ولكن لأنَّ من طبيعتي، كرجل يشتغل بالفكر وبالعمل العلمي، مشغول دائمًا.

أنا أجلس (١٤) ساعة على المكتب لأكتب وأقرأ يوميًّا، وزوجتي لا تنتظر مِنِّي أي مساعدة.

ومن فضل الله ألا يُرزق الإنسان بزوجة متبرِّمة بعملها في المنزل، والحمد لله رزقني الله بزوجة ربَّة بيت من الطراز الأوَّل، وزوجة في غاية الوفاء، وأم لا نظير لها. وهي كفتني كل هذا.

QaradawiBooks.com

ومن الطبيعي أن أحدثها بالكلم الطيِّب دائمًا. أقول لها: أحبُّك. وأشكرها إذ قامت بما يلزم، وأثني على عملها، وأحتفل بزواجنا كل سنة، وفي شهر ديسمبر القادم، سنحتفل بعيد زواجنا الأربعين.

وسأقدم لها ـ إن شاء الله ـ هدية ثمينة بهذه المناسبة، فالهدايا ضروريَّة في العلاقات الزوجيَّة، الحقيقة أنَّ بعض الأزواج يعانون من طلب زوجاتهم للهدايا، لكنِّي أعاني من العكس، فكلما أردت أن آتي لها بأيِّ شيء تقول لي: لا ضرورة لهذا، لا داعي لأن تتعب نفسك، وتكف عن هذا. وأنا أدعو الله أن يجزيها عني وعن أسرتنا خيرًا.

أحتفل بعيد زواجي كل عام:

المحاور: قلت للشيخ فيما كان ابن الدكتور القرضاوي يبتسم مندهشًا: هل تحتفل بعيد ميلاد زوجتك؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: تألق وجه الشيخ بمشاعر حب طاغية وهو يقول: أنا أحب كل ما له علاقة بزوجتي، وأحتفل بعيد زواجنا سنويًّا، لكنَّ لي رأيًا في مسألة الاحتفال بأعياد الميلاد، ولا أقول: إنَّها حرام، ولكن أرى أنَّها نوع من التقليد الأعمى للغربيِّين في عاداتهم وأعرافهم، فنحن لسنا مطالبين بالالتزام سنويًّا بالاحتفال بعيد ميلادنا، بالعكس فأنا أرى أنَّه يجب على الإنسان في يوم عيد ميلاده، أن يقف على رأس هذه السنة الجديدة ليحاسب نفسه: ماذا قدمت لحياتي؟ وماذا صنعت في هذه السنة من خير؟ وهو ما يسمُّونه في علم الاقتصاد: الحساب الختامي.

لكن بالنسبة للأطفال عندنا، فهناك احتفالات شرعية، فإذا ولد الطفل نحتفل به بعد أسبوع، فنذبح عنه أو نعقّ عنه شاة أو شاتين، وأرى أنَّه

QaradawiBooks.com

بعد سبع سنوات علينا أن نحتفل بالطفل، ونقول له: هذه سن الصلاة، ومن الآن أنت كبرت وأصبحت مأمورًا بالصلاة، ونحضر له التورتة والحلوى والهدايا المناسبة.

وعند عشر سنوات نقيم له حفلة أخرى ونقول له: هذه حفلة الضرب، فأنت كبرت ولم تعد مأمورًا بالصلاة فقط بل ستضرب إذا أهملتها.

وهذا تنفيذ للحديث الشريف: «**مروهم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**»[1]، والمقصود بالاحتفال هو رسوخ المعنى في ذهن الطفل بأنَّ الصلاة أمر مهم، فعملنا له حفلة، وعند سنِّ الخامسة عشرة له حفلة أخرى ونقول له: هذه سن التكليف، وأنت مسؤول أمام الله عن كل تصرفاتك، وستكتب عليك الحسنات والسيئات.

وعند نجاحه أو تحقيق عمل جيد، أو يفوز بمسابقة نحتفل به.

لكن هذا لا يمنع من أن يأتي الزوج في يوم عيد ميلاد زوجته ويقول لها: كل سنة وأنتِ طيبة، أو يقدِّم لها هدية كل خمس أو عشر سنوات. إنَّما طقوس أعياد الميلاد من شموع وتورتة وجاتوه والطراطير وكل هذه الأشياء لا أستحبها للمسلم أن يلتزم بها، لتصبح عادة وكأنها عبادة رسميَّة مقررة.

الرياضة والفن:

المحاور: هل هناك هوايات أو رياضة معينة يمارسها الدكتور القرضاوي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: منذ سنتين كنت أمارس المشي على كورنيش الخليج في الدوحة حوالي (٣) كيلو مترات كل يوم، لكنِّي توقَّفت فجأة

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وحسَّنه النووي في خلاصة الأحكام (٢٥٢/١)، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٢٣٨/٣)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٢٤٧)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

عندمـــا أصابني ألم شـــديد في المفاصـل، وشُـــخِّص علـــى أنَّـه تآكـل الغضاريـف، فأصبحت الآن لا أكـاد أمشي قليـلًا حتَّى أشـعر بالتعب.

وحاليًّا ليس لي هواية ســوى القراءة والكتابة. والبعض من أصدقائي يقول: إنَّني من هواة السفر والترحال، إنَّما الواقع يقول: إنَّها كلها رحلات علميَّة ودعوية.

المرأة مدعوة للشهادة كناخبة ونائبة:

المحاور: قلت للشيخ: لو انتقلنا إلى مجال آخر: فما زالت المرأة في بعض الدول العربيَّة، لا تحصل على حقها في الترشيح في الانتخابات النيابيَّة وهو ما يستدعي...

فضيلة الشيخ القرضاوي: قاطعني الشيخ القرضاوي قائلًا: الأكثر من هذا هو أنَّ المرأة تمنع من التصويت في الانتخابات.

والحقيقة أنَّ هذا فقه غريب، وأرى أنَّ الانتخاب هو نوع من الشهادة، فالإنسان يشهد بصوته على صلاحيَّة أو عدم صلاحيَّة عضو المجلس أو غيره، علـــى تمثيل دائرته، فالمرأة مدعوة للشـــهادة، وهي قادرة على أن تشـــهد، خاصَّة المرأة المتعلمة. والله تعالى يقول: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطـلاق: ٢]، ويقول: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ﴾ [البقرة: ٢٨٣]. فالإنسان يجب أن يشهد بالحق الَّذي يعلمه، وهذا مطلوب من الرجال ومن النساء.

وإذا كانت النســـاء العلمانيَّات واللادينيَّات يقمن بدور في الترويج لأفكارهنَّ، فيجب أن نقول للمـــرأة الملتزمة: أعطـــي صوتك وانتخبي الصَّالحين من النَّاس.

QaradawiBooks.com

أمَّا بالنسبة للترشيح، فمن حقِّ المرأة أن ترشِّح نفسها في المجالس النيابيَّة وغيرها؛ لأنَّ هذا نوع من الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله تعالـى يقـول: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١].

والمرأة مثلًا في عهد سيِّدنا عمر وقفت في المسجد وقالت له: كذا وكذا، فقال: أصابت المرأة وأخطأ عمر(١).

وأيضًا: أقام عمر الشفاء بنت عبد الله محتسـبة على السوق لمراقبة الأسعار(٢)، وغير ذلك.

فليس هناك أي مانع شرعي يمنع المرأة من أن ترشح لهذه المجالس.

البعض يستشهد بحديث: «**لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة**»(٣).

حتى إذا أخذنا بعموم ألفاظ هذا الحديث وليس بخصوص سـببه، فهذا لمن ولّوا أمرهـم امرأة، أي جعلوها نافذة الأمر، وهذا في رئاسـة الدولة، خاصَّة الدولة الَّتي يعتبر حاكمها ولي أمرها.

---

(١) رواه الطحاوي في شـرح مشـكل الآثار (٥٠٥٩)، والبيهقي في الصـداق (٢٣٣/٧)، وقال: منقطع. ورواه من طريق آخر عن بكر بن عبد الله المزني، عن عمر، وقال عقبه: مرسل جيد. وسـاقه ابن كثير في تفسـيره (٢٤٣/٢، ٢٤٤) بإسـناد أبي يعلى، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسـروق، عن عمر، وقال عقبه: إسـناده جيد قوي. وكذلك قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٩٦/١، ٢٩٧)، والسـخاوي في المقاصد (٨١٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٢١/٤، ٥٢٢): رواه أبو يعلى في الكبير وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف وقد وثق.

(٢) ذكره ابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير (السـفر الثاني) (٧٨٦/٢)، ترجمة (٣٤٠٥)، تحقيق صلاح بن فتحي هلال، نشر الفاروق الحديثة للطباعة، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

(٣) رواه البخاري في المغازي (٤٤٢٥)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

لكن في عصرنا الحالي وفي النظام الدستوري والديمقراطي، لم يعد الشخص هو الَّذي يملك النَّاس ويلي أمرهم، وإنَّما هناك مؤسَّسات هي الَّتي تقود وتصدر القرارات.

فمجلس الوزراء ليس مؤسَّسة يقودها شخص، لكنَّه مؤسَّسة، أعضاؤها الوزراء، وقراراتها جماعية، فـ «تاتشر» مثلًا ـ لم تكن هي الَّتي تحكم إنكلترا فقط ـ وإنَّما هناك مجلس وزراء وحزب وبرلمان.

على كل حال، أنا مع ابن حزم الَّذي يقول إنَّ هذا الحديث: «**لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة**» مقصور على الخليفة والإمام الأعظم[1]، ويمكن أن نقول في عصرنا: إنَّ رئيس الدولة يمثل الخليفة، وإن كان رئيس الدولة أشبه بوالي الإقليم بالنسبة للخلافة.

لا مانع أن تتولى المرأة القضاء بكل فروعه:

ولا أرى مانعًا من أن تتولى المرأة القضاء بكل فروعه، جنائيًّا كان أو مدنيًّا، ولكن هذا موقوف على تطور المجتمعات، فليس هذا صالحًا لكل مجتمع ولكل وقت، فلا بدَّ أن يبلغ المجتمع من النضج والتطور، بحيث يكون حكم المرأة مقبولًا.

وليس هذا الأمر «القضاء» مفتوحًا لكل امرأة، فالمرأة الَّتي تحمل وتلد وترضع، ليس معقولًا أن تجلس على منصة القضاء، وبطنها تمتد أمامها هكذا، أو مشغولة بطفلها الرضيع الَّذي تركته، إنَّما في سنّ معينة بعد أن تكون قد انتهت من الحمل والولادة والإرضاع، وتربية الأولاد، وربَّما تزوَّج أولادها، ونضج عقلها، وأصبحت من السن والمقدرة العقليَّة

(١) المحلى (٥٢٨/٨) مسألة (١٨٠٤)، نشر دار الفكر، بيروت.

QaradawiBooks.com

والممارسة العمليَّة، بحيث تكون قادرة على أن تمارس القضاء، وأن تكون عضوًا في مجلس الشعب، ووزيرة ورئيسة مجلس وزراء.

أهلية المرأة:

بشرط أن تكون عندها الكفاءة، فلا يكون همنا أن نأتي بامرأة حتَّى ولو كانت غير مؤهَّلة، إنَّما لا بدَّ أن تمتلك الأهليَّة والكفاءة للقيام بهذا المنصب وأعبائه، فالفيصل هو الأهليَّة. وهناك بعض النساء قد تكون أكثر أهليَّة من الرجال.

والقرآن ذكر لنا هذا في قصَّة «بلقيس» ملكة سبأ الَّتي كانت تملك أهل سبأ، إذ قادت أهلها إلى خيري الدُّنْيا والآخرة. فالرجال فوّضوا لها الأمر: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ۞ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٢، ٣٣]. وفعلًا كانت من الحكمة والكياسة والذكاء والبصيرة، بحيث نظرت في أمر سليمان واختبرته وتعرفت على أهدافه وحجم قوتها وقوته وانتهت بهم إلى أنَّها جنبت قومها حربًا خاسرة، وقادتهم إلى دين الله فربحوا الدُّنْيا والآخرة معًا.

فليست كل امرأة قاصرة، وليس كل رجل كامل ومؤهل، فهناك بعض النساء يفقُن بعض الرجال وكما قال الشاعر قديمًا:

وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كمن فَقَدْنا ... لفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ[1]

فإذا وجدنا المرأة الناضجة المؤهلة بكفايتها وعلمها وخبرتها وفراغها، فلا مانع من أن توضع في الموضع المناسب لها.

(١) هو المتنبي في رثاء أم سيف الدولة، انظر: في ديوانه صـ ٢٦٧.

QaradawiBooks.com

بناتي عالمات ذرة وفيزياء باختيارهن:

المحاور: بناتك يعملن في مجالات تكنولوجية يتصوَّرها البعض حكرًا على الرجال، فكيف وجَّهتهنَّ هذا الاتجاه؟ ولماذا لم يدرسنَ المواد الدِّينيَّة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: منهجي ألا أجبر أحدًا من أبنائي أو بناتي على اتِّجاه معين، فأنا درست في تخصص التدريس في التربية والتعليم أنَّه من الأوْلى أن يوجِّه الأولاد لدراسة ما يميلون إليه حسب قدراتهم العقليَّة العامَّة، كالذكاء وقدراتهم الخاصَّة، رياضيَّة أو علميَّة أم فنية أم لغوية. فحسب التوجهات والميول العِلْميَّة والمهنية، يتوجه كل إنسان أيضًا.

فأنا لم أفرض على أحد اتجاهه فعندما كانت ابنتاي ـ وهما بينهما فرق أقل من سنة واحدة ـ في سنة دراسية واحدة، فأخذتا الثانويَّة في سنة واحدة.

وعندما كانتا في السنة الأولى الثانويَّة، قلت لهما: ماذا تريدان في السنة القادمة؟ فقالتا: ندرس في القسم العلمي، فقلت لهما: وما قولكما في الدراسة بالقسم الأدبي؟ فقالتا لي: يا أبت، إنَّ الأدبي لا يدخله إلَّا البنات الكسلانات، وهما من المتفوقات، وكان رأيهما أنَّ القسم العلمي هو الأوفق لهما.

فتركتهما فاختارتا ما تريدان فكل بناتي دخلن القسم العلمي، وتخرجت الأولى من قسم الفيزياء وتخرجت الثانية من قسم الكيمياء، وتخرجت الثالثة من قسم الحيوان، والرابعة من قسم النبات، وكذلك اثنان من أبنائي الذكور دخلًا القسم العلمي، وابني الأوسط عبد الرحمن فقط هو الَّذي اتجه اتجاهًا أدبيًّا، فدخل المعهد الديني، والتحق بكُلِّيَّة

QaradawiBooks.com

الشـــريعة ونجح بامتياز وعُيِّن معيدًا ويدرس «ماجســـتير» في الشريعة، وابني الأكبر يدرس الدكتوراه في الهندسة الميكانيكيَّة.

وكل هذه المجالات دخلها أولادي باختيارهم، فابنتي الأولى كانت هاوية للفيزياء. ولها بعض أبحاثها المحـــدودة؛ لأنَّها زوجة وأم لأربعة أطفال، وكانت في منحة دراسية بعد مســـابقة حصلت فيها على المركز الأوَّل بجامعة لندن، منحها لها المجلس الثقافي البريطاني في قطر.

المحاور: كيف توفق بناتك بين العمل في هذه المجالات وبين رعاية أطفالهن؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: هذا يحتاج إلى جهد جهيد، فكان الله في عون المرأة الَّتي تعمـــل وهي أم. وبالطبع ابنتي معها مربية تســـاعدها، لكنَّها تبذل الكثير من الجهد والعناية.

وكون المرأة توفق بين عملها وبيتها، فهذا أمر يحتاج إلى توفيق من الله ﷻ؛ لأنَّه لا بدَّ للمجتمع من معلِّمات في الجامعة مثلًا، أو يفتح الله عليها بكشف جديد.

وســـاعد على هذا أنَّ قطر فيها فصل كامل بين تعليم البنات وتعليم البنيـــن، حتَّى في الجامعة؛ البنـــات لهنَّ مبنى خـــاص، والبنين كذلك، والحمد لله كل أزواج بناتي ملتزمون ومتعاونون، وكلهم على مســـتوى علمي راق فثلاثة منهم أطباء ومعهم الزمالـــة العِلْميَّة، والرابع مهندس، وهم أبناء عائلات طيبة ويتعاونون مع زوجاتهم.

والحقيقة أنَّه مـــن الواجب على الأزواج الَّذيـــن تعمل زوجاتهم أن يكونـــوا متعاونين ومتفاهميـــن، خاصَّة عندما تكـــون الزوجة في مجال علمي يحتاج إليه مجتمعنا.

QaradawiBooks.com

مع الشعر:

أنا شاعر ولي ديوانان وأنفعل بالقصيدة الموزونة والمقفَّاة:

المحاور: لاحظت شـــاعرية خاصَّة في صياغة الكلمات، خاصَّة في كتبك وأرى شاعرًا خلف هذا كله؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لي ديوانان شـــعريان، واعلم أنَّ الشعر هو في أساســـه موهبة، ولكن الموهبة إذا لم تنـــم يمكن أن تموت، ولذلك لا بدَّ من أمرين: الفطرة الموهوبة، والدربة المكسوبة.

وأنا بدأت حياتي شـــاعرًا، فعندما كنت طالبًا في معهد طنطا الديني الابتدائي والثانوي عُرفت بالشعر أكثر ممَّا عرفت بالدعوة، فإذا ذكر اسم القرضاوي يقولون: الشاعر.

وفي أواخر الدراســـة الثانويَّة، ثمَّ في الكلية انشـــغلت بالدعوة عن الشعر، ثمَّ شغلني العلم عن الشعر تمامًا، كما شغل الإمام الشافعي الفقه عن الشعر قديمًا، وكان يمتلك شاعريَّة عظيمة وقويَّة.

ومما قالـــه بعضهم في التعريـــف بكتاباتي: إنَّها تتميـــز بدقة الفقيه وحرارة الداعية، وإشراقة الأديب، ونظرة المجدِّد، وأرجو أن يكون هذا صحيحًا إن شاء الله.

وأرى أنَّ التكوين الأدبي لا بدَّ منه لأيّ داعية يريد أن يخاطب النَّاس بلسانهم أن يقنعهم ويستميلهم كي يفهموا الإسلام؛ لأنَّ الداعية الموفَّق هو الَّذي يقنع العقول ويحرك القلوب. وذلك لا يكون بالأسلوب العلمي الجاف، وإنَّما بالأسلوب العلمي الأدبي.

المحاور: هل ما زلت تكتب الشعر؟

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: للأسف انقطعتُ عن كتابة الشعر، وقد ضاع الكثير من شعري القديم، وكان فيه غزل قائم على بعض التجارب العاطفيَّة الشخصيَّة؛ لأنَّ أصدقائي ونحن شباب قاموا بحرقه خوفًا من ضبطهم متلبِّسين بالاحتفاظ به، أيَّام محنة الإخوان.

ولكن بقيت بعض القصائد أصدرتها في ديوانين هما: «نفحات ولفحات»، و«المسلمون قادمون».

الأدب:

المحاور: هل تقرأ الشعر والأدب؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم أقرأ الشعر والقصة والرواية، وقد قرأتُ كثيرًا لنجيب محفوظ، وقرأت: «أولاد حارتنا» وفيها أشياء رمزية لا تقبل دلالاتها، وأتصور أنَّ نجيب محفوظ نفسه غير راض عنها، ولإحسان عبد القدوس، ونجيب الكيلاني، وقرأت لمحمد عبد القدوس الَّذي يهديني بعض قصصه.

وأيضًا قرأت بعض الشعر الحديث، خاصَّة أعمال نزار قباني، وسعاد الصباح، وصلاح عبد الصبور.

التجديد

والحقيقة أنَّني من الجيل الَّذي يرى أنَّ الشعر الحقيقي، هو الملتزم بالوزن والقافية، ولكن لا مانع من التجديد، كما حدث في الأندلس الَّتي أبدعت الموشَّحات، فالشعر الَّذي يلتزم بالوزن والتفعيلة ولا يلتزم بالقافية، شعر عربي، وقد قرأت لشاعر مسلم اسمه: عمر الأميري، قصائد اسمها: «خماسيات الأميري» لم يلتزم فيها بالقافية، ولكنَّها جميلة.

QaradawiBooks.com

فيجوز للشـــاعر أن يتخلص من القافية على أن يكون هذا في بعض الأحيان، أي يظل الأصل هو الشعر بوزنه وقافيته، فهذا هو الشعر الَّذي يحفظ، وإلا، فهل رأيت من يحفظون قصائد الشـــعر الحديث؟ فالشعراء أنفســـهم أصحاب هـــذه القصائد يقـــرؤون قصائدهم مـــن أوراق لأنَّهم لا يستطيعون حفظها.

ولكن انظر إلـــى المعري وامرئ القيس والشـــاعر العربي القديم وهو يقول:

أَلَا فِي سَـــبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلُ عَفَـــافٌ وإِقْـــدَامٌ وحَـــزْمٌ ونَائِلُ[1]

أو:

ذُو العَقْلِ يَشْقَى في النَّعِيمِ بِعَقْلِه وأخو الجَهَالَةِ في الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ[2]

أو:

لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَـــى جَوَانِبِهِ الدَّمُ[3]

فلا توجد هذه الموســـيقى والسلاســـة فـــي الشـــعر الحديث، وهو ما يجعله صعبًا في الحفظ.

وهناك اعتراض آخر خاص بالمضمون، فقـــد لاحظتُ أن كثيرًا من معاني الشـــعر الحديث، فيهـــا خروج علـــى القيم والعقائد والشـــرائع والتقاليد، فهو ليس ثورة على القافيـــة أو الوزن، ولكنَّه ثورة على تراثنا كله من عقائد وقيم وأخلاقيَّات. وهذا هو الخطر.

---

(١) مطلع قصيدة لأبي العلاء المعرِّي، انظر: سقط الزند صـ ١٩٣، نشر دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧م.

(٢) القائل المتنبي، كما في ديوانه صـ ٥٧١.

(٣) هو المتنبي أيضًا، الموضع السابق نفسه.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومع هذا فقد قرأت نماذج جيدة من هذا الشعر، ففي قطر قرأت ديوانًا لشاب فلسطيني عنوانه «نداء الحق»، وفيه قصيدة اسمها ركعتان يتحدث فيها أنَّه عندما تضيق به الحياة، ويستبد به القلق، وتغمره مشاعر الحزن واليأس، لا يجد بابًا يطرقه إلَّا باب الله، فقام وصلى ركعتين.

الشعر في المعركة:

فما أحوج شعراء الشعر الحديث إلى أن يطرقوا هذه الأبواب، فبدلًا من أن يتركز شعرهم في المرأة واللذة والجنس، فمعظم شعر نزار قباني يسير في هذا الاتجاه، فله ديوان قرأته يتحدث فيه عن النهود وحلمة ثدي المرأة، وأشياء من هذا القبيل.

لكن إذا توجه الشعر الحديث إلى تعبئة الأمة للثورة على الصهيونيَّة، وللوقوف في وجه الغاصبين، الَّذين يريدون أن تذهب القدس نهائيًّا، ويسعون إلى اغتصاب كل فلسطين وهدم المسجد الأقصى، فربما كتب له الخلود مثل قصائد الشعراء العظام.

انظر إلى نزار قباني وهو يرثي بيروت ويرثي طه حسين، أو وهو يمجِّد الانتفاضة ويقول: يا تلاميذ غَزَّة عَلِّمونا..... إنَّها قصيدة رائعة.

ثم وهو يتحدث عن وفاء العرب، لم يجد إلَّا الوعاء العربي للشعر الأصيل وهو الوزن والقافية لكي يفجر قصيدته.

والحقيقة كنت أتمنَّى أن أجد وقتًا لأقرأ الكثير من الأدب العالمي، ولكن الواجبات لا تنتهي والأعباء تتزايد، لا طردًا، ولكن عكسًا. فالقوة تضعف والأعباء تتضاعف بحكم السنِّ، كما قال الله تعالى:

QaradawiBooks.com

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

هذه سنة من سنن الله، فأنا عندي مشروعات علميَّة، أريد أن أتممها في المرحلة الأخيرة من عمري.

نحتاج إلى فهم فقه الموازنات

المحاور: عنوان وحيويَّة الشيخ القرضاوي، قادتني إلى مناطق ساخنة جدًّا، خشيت أن تلهيني عن الفقيه المفكر القرضاوي، فسألته عن دعوته إلى فقه جديد.

فاكتسى الوجه النوراني رزانة المفكر، وأجاب **الدكتور القرضاوي**:

الفقه الَّذي أنادي به ليس الفقه الَّذي يدرس في كليات الحقوق والشريعة، ويهتم بمعرفة الأحكام الشَّرعيَّة من أدلتها التفصيليَّة مثل: أحكام العبادات والمعاملات وأحكام الطلاق والرضاع وغيرها، ولكنَّه الفقه بالمعنى القرآني الَّذي يشتمل على ألوان من الفقه، ويشمل أوَّل ما يشمل فقه آيات الله وسننه في الكون والمجتمع والأسرة، فعالمنا لا يمضي بذاته إنَّما يسير حسب قوانين ثابتة لا تتبدَّل ولا تحابي أحدًا، فلن تجد لسُنَّة الله تبديلًا، ولن تجد لسُنَّة الله تحويلًا.

وهناك أيضًا فقه الموازنات بين الأمور وبعضها، والموازنات بين المصالح، وبين المفاسد أيضًا بعضها وبعض، أيُّها نقدِّم وأيُّها نؤخِّر، وأيها أولى وأحق من الآخر. وهناك أيضًا الموازنات بين المصالح والمفاسد، إذا تعارضت مع بعضها البعض، فهنا يقدَّم النافع منها كما قال

QaradawiBooks.com

الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

وهذا الفقه له قواعده وأصوله، فلا يجوز أن يضحي بالمصلحة الكبيرة من أجل مفسدة صغيرة، ولا يجوز أن يضحي بالمصلحة الجوهريَّة من أجل مصلحة شكلية أو بالمصلحة الدائمة من أجل مصلحة عارضة.

فقه الأولويَّات

أيضًا أنبه إلى فقه الأولويَّات، وهو فيه ترتيب على فقه الموازنات، ومعناه: أن نفهم أي الأشياء أولى من غيرها، فليست الأعمال والتكاليف في مرتبة واحدة، والشرع جعل لكل عمل مرتبته، والدليل ما قال الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩]. كما جاء في الحديث الشريف: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أعلاها لا إله إلَّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[(١)].

فهناك أعمال عليا وأعمال دنيا، ولا يجوز أن نقلب الوضع فنجعل الأعلى أدنى والأدنى أعلى.

فقه مقاصد الشريعة

وهناك فقه مقاصد الشريعة؛ فالشريعة لم تشرع حكمًا إلَّا وله مقصد أو هدف، حتَّى العبادات عللها القرآن الكريم فقال عن الصلاة: ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال عن الزكاة: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وفي الحج قال: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وإذا كان الله ربط العبادات بأهداف في الحياة، فقد ربط المعاملات والتشريعات السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة وغيرها أيضًا، بأهداف في الحياة.

وللأسف فهناك أناس بيننا أسميتهم: الظاهرية الجدد، يقفون عند ظواهر النصوص القرآنيَّة، ولا يتعمقون في أسرارها ومقاصدها، ولذلك يقيمون معارك حول أمور لا معنى لها، ويهتمُّون بشكليات الدين أكثر ممَّا يهتمون بجوهره؛ فالدين عندهم اللحية الطويلة والثوب القصير والسواك والجدل حول بعض الأشياء الصغيرة، في حين يتركون القضايا الكبرى ولا يهتمُّون بها. وهذا خلل واضح في فقه المقاصد، وأيضًا في فقه الأولويَّات.

فقه الاختلاف

كما أنَّ هناك فقهًا آخر هو فقه الاختلاف، ولا بدَّ أن نفقه هذا اللون من الفقه بأن نعرفه، ونعرف آدابه وحدوده، فلا يمكن أن يجتمع النَّاس على رأي واحد، والَّذين يعملون على صهر النَّاس في رأي واحد، لا يزيدون الأمة إلَّا خلافًا، كما أنَّ الَّذين أرادوا إلغاء المذاهب كلها لم يبلغوا هدفهم، وإنَّما زادوا مذهبًا جديدًا، فالخلاف لا بدَّ منه وهو رحمة وسعة وضرورة دينيَّة ولغوية وبشريَّة وكونيَّة.

هذا هو الفقه الَّذي أطالب به وأسعى إلى تأصيله في موسوعتي «الفقه الميسر». وأرى أنَّه لا بدَّ أن نعطي أولويةً للاجتهاد والتجديد على التكرار والتقليد. وإذا كان الجمود على ظواهر النصوص مذمومًا، كما هو شأن الظاهرية القدامى والجدد، فأدخل منه في الذم، الجمود على ما قاله السابقون دون مراعاة لتغيُّر زماننا عن زمانهم، وحاجاتنا عن حاجاتهم، ومعارفنا عن معارفهم.

QaradawiBooks.com

وأحسب أنَّه لو تأخر بهم الزمن حتَّى رأوا ما رأينا وعاشوا ما عشنا ـ وهم أهل الاجتهاد والرأي ـ لغيَّروا كثيرًا من فتاواهم واجتهاداتهم، كيف وقد غيَّر أصحابهم من بعدهم كثيرًا منها لاختلاف العصر والزمان على رغم قرب ما بين أولئك وهؤلاء؟ بل كيف وقد غير الأئمة أنفسهم كثيرًا من أقوالهم في حياتهم تبعًا لتغير اجتهادهم بتأثير السنين والنضج أو الزمان أو المكان؟

إنَّ هناك أناسًا في تراثنا كانوا يقولون: كل الآراء قابلة لأن تكون خطأً أو صوابًا، وهؤلاء النَّاس عرفوا في تراثنا باسم «المصوِّبة»، وقد كانوا من كبار الفقهاء والأصوليين، واعتبروا رأي كل مجتهد صوابًا، ولم يخطئوا المجتهد، بل قالوا: الصواب هو ما انتهى إليه المجتهد بعد أن استفرغ ما في وسعه في طلب الحقيقة. ولا بدَّ أن يكون الإنسان منفتحًا على غيره، متسامحًا معه، مستعدًّا للتنازل عن رأيه إذا تبيَّن له الحق، ويحاوره بالَّتي هي أحسن كما قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وأين هؤلاء «المصوِّبة» الآن في زماننا المفعم بالمعلومات وبالتالي بالقدرة على الاجتهاد والاختلاف؟

غاب الفقه الَّذي كانت تنادي به «المصوبة» فغابوا هم معه أيضًا، فعندما غاب هذا الفقه بأنواعه ساد الجهل والعناد والتعنُّت والتعصُّب. ولا بدَّ أن نقاوم التعصُّب بالتسامح، والجهل بالعلم، والانغلاق بالانفتاح، والغباء بالوعي، ولا بدَّ أن نعمل على تكوين جيل جديد يحسن الفهمَ عن الله ورسوله، وإذا ما وُجد هذا الجيل تغير كل هذا.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حوار لمجلة الهيئة الخيريَّة العالميَّة بالكويت(١)

الشيخ يوسف الدكتور يوسف القرضاوي علم على رأسه نار، فقهًا وعلمًا ودرايةً وسياسةً بالشرع والنقل والعقل، صاحب مدرسة فقه الواقع، وفقه الموازنات، وفقه الأولويَّات.

على الصعيد الخيري، لا يشق للشيخ الدكتور القرضاوي غبار، ويكفيه أنَّه صاحب الصرخة الأولى الَّتي تمخض عنها ولادة الهيئة الخيريَّة الإسلاميَّة العالميَّة في الكويت لتكون مشعلًا يهدي الفقراء وأصحاب الحاجة إلى سبيل التكسب الشريف فضلًا عن كونها ملجأ إغاثة للملهوفين والمنكوبين في العالم أجمع.

وللشيخ القرضاوي آراء فقهيّة ـ خاصَّة في الفترة الأخيرة ـ تلقفها أصحاب الغايات البعيدة بكثير من الطنطنة والإثارة، مثل آرائه في قضيَّة زواج المسيار وجواز تمثيل المرأة وتركيزه على فقه الواقع أو فقه الأولويَّات، ممَّا استدعى الوقوف معه عند هذه المحطات لإجراء الحقيقة ومحو هذه الإثارة والطنطنة المغرضة.

الشيخ القرضاوي، صاحب المؤلفات الَّتي تجاوز عددها الخمسين، والَّتي تلقى كتاباته قبولًا واسعًا في أوساط العالم الإسلامي على مختلف

(١) مجلة الهيئة الخيريَّة العالميَّة بالكويت، وأجرى الحوار أ. يوسف عبد الرحمن.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أقطاره ودوله، خص «الخيريَّة» بسياحة فكريَّة فقهيّة ودعوية طالت كل القضايا الَّتي تشغل المسلمين وغيرهم على الساحة.

بداية بفتاواه في بعض القضايا المثيرة للجدل، إلى أدوار الوساطة الَّتي اختصَّ بها الشيخ القرضاوي بين الدول والمجموعات الإسلاميَّة، إلى تبيان المنهج الفكري والحركة، إلى بداية رحلته من مصر إلى قطر وما تلا ذلك من أحداث مرورًا بتصدِّيه للتوجُّهات العلمانيَّة والليبرالية، كانت محطات أساسيَّة في حوار موسع مع الشيخ القرضاوي، فإلى تفاصيل الحوار:

المحاور: قرأنا لك فتوى تجوز فيها قيام المرأة بالتمثيل وَفْق شروط ذكرتها في ندوة العلاقة بين الفقه المعاصر والإعلام المتميز، فماذا عن هذه القضيَّة الحساسة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: اشتراك المرأة في التمثيل ضروري لا بدَّ منه؛ لأنَّنا لا نستطيع أن نخرج المرأة من الحياة، وأيُّ عمل درامي هادف لا توجد فيه المرأة فهو عمل غير منطقي، ودليلنا على ذلك أنَّ القصص القرآنيَّة منذ آدم عليه السلام حتَّى الرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام لم يهمل وجود المرأة فيه، حيث آدم وحواء، ونوح وامرأته، وكذلك لوط وزوجته، ثمَّ الخليل إبراهيم وزوجته، ثمَّ قصَّة ابني آدم، وموسى وابنتي العبد الصالح في مدين وحوارهما مع نبي الله موسى، ويوسف وامرأة العزيز، وسورة كاملة تحكي تفاصيل قصَّة احتلت فيها المرأة دورًا رئيسًا، ثمَّ سيِّدنا عيسى وقصة والدته مفصَّلة، وحتَّى قصَّة زيد بن ثابت وزينب بنت جحش، حيث ذكر القرآن في هذه القصَّة كلها وفيها المرأة بدورها الحيوي، فكيف بنا نغلق الباب أمامها ونخرجها من الحياة؟

QaradawiBooks.com

رغبة المرأة في الاشتراك بالتمثيل إشكاليَّة تحتاج للاجتهاد والتغلب عليها لإيجاد حـل لها، وهذا الحـل ليس بفقه «المنـع» الَّذي لا يحل مشكلة رغم سـهولته، وترديد الفتوى بأن ذلك حرام حرام فتبقي العقد كما هي، والنتيجة أن ينطلـق النَّاس بدونها، وليس من الحكمة أن نغلق الأبواب فيدعنا النَّاس ونقف وحدنا، فلا بدَّ من أن نتبنى فقه التيسـير، وتعمل عقولنا في فقه جديد نجتهـد بعصرنا كما اجتهد فقهاؤنا القدامى في عصرهم، ولـو كان الأئمة المجتهدون يعيشـون فـي عصرنا اليوم لتعاملوا مع هذه القضيَّة وغيرها بصورة مختلفة وفْق هذه القواعد الفقهيّة بأن عموم البلوى من المخففات، وأنَّه إذا ضاق الأمر اتسع، والمضايقات تجلب التيسير دون افتئات على محكمات النصوص.

المحـاور: أتقصد هنـا التمثيـل الملتـزم بضوابط الشـرع فضيلة د. القرضاوي؟

فضيلة الشـيخ القرضاوي: نعـم، ما المانع أن تدخـل المرأة مجال التمثيل الجاد الملتزم بضوابط الشرع دون تبذل أو سفور، ويتعاون أهل الفقه وأهل الاختصاص للوصول إلى الهدف؛ لأنَّه من غير المقبول إنشاء قصَّة خالية من المرأة، فهذا ضد الواقع. ولاشتراك المرأة في التمثيل عدد من الضوابط كما أراها:

١ ـ أن يكون اشتراكها في التمثيل ضروريًّا.

٢ ـ أن تظهر بلباس الإسلام ولا تضع المساحيق.

٣ ـ أن يراعي المخرج والمصور عـدم إبراز مفاتنها، والتركيز عليها أثناء التصوير.

QaradawiBooks.com

٤ ـ أن تتفوَّه بالكلام الحسن وتبتعد عن الفاحش البذيء، وتبتعد عن مشاهد الانحراف والمجون في أعمالها.

المحاور: وهل تقبل الفنانات فضيلة الشيخ بهذه الضوابط الَّتي حددتها؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: يوجد والحمد لله عدد من الفنانات الملتزمات بالإسلام يقبلن بهذه الشروط، ويمكن التعاون معهن وقد التقيتهن ورحبن بذلك.

العراق والكويت:

المحاور: خلال فترة الغزو العراقي على الكويت علمنا أنَّ لك أحاديث قيلت في بعض الإذاعات العربيَّة منها مصر، وقطر وغيرها عن هذا الاعتداء الغاشم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم لقد ذكرت أنَّ اعتداء بلد عربي إسلامي على بلد آخر جار له لا يجوز شرعًا، كما ذكرت أنَّ الكويت الَّتي نشأت فيها مؤسَّسات خيريَّة عدة، امتد نشاطها لدول العالم الإسلامي للدفاع عن عقيدة الأمة ضد التنصير، وقيامها بمشروعات عدة للتمكين لشعوب دول العالم الثالث، والَّذي يدخل العالم الإسلامي في دائرته، وأنَّها استنفرت في كثير من النوازل والكوارث لعدد من شعوب العالم الإسلامي، فقدَّمت العديد من المساعدات لهذه الدول ـ اعتبرتها هدفًا للقضاء على هذا التوجه الخيري الموجَّه لصالح الدول الضعيفة من منطلق إسلامي، فكان هذا الاعتداء لإيقاف هذا المد للشعوب الإسلاميَّة.

QaradawiBooks.com

المحاور: وما رأيكم في النظام القائم في العراق؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: إنَّه نظام دكتاتوري طاغ لا يرعى حقوق الجوار، ولا حقوق النفس الإنسانيَّة ولا حق الكرامة الإنسانيَّة، فقد أذل شعبه وبدَّد موارده وقتل آلاف الأنفس بغير حق وبغير محاكمة، ولا يأمن منه جار سواء في الحرب الإيرانيَّة أو عدوانه على الكويت الَّذي كان سيمتد على المنطقة الشرقية في المملكة السعوديَّة والإمارات، بحيث يحاول السيطرة على مصادر النفط في المنطقة، فطموحاته ليس لها حدود.

المحاور: لقد علمنا أنَّه في أحد البرامج تدين العدوان الأمريكي على العراق؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الاعتداء على الشعب العراقي شيء والاعتداء على النظام الحاكم والعصبة الحاكمة شيء آخر، فمنذ أن تمَّ حصار العراق فالذي يعاني من هذا الحصار هو الشعب العراقي، أمَّا القيادة فهي تعيش في ترف ونعيم، وعند ضرب البنية التحتية لدولة العراق فالذي يعاني من نقص في الخدمات كالكهرباء والماء والغذاء هو الشعب وليس النظام. وتطالعنا الصحف أنَّه خلال فترة الحصار بنى حاكمها لنفسه ثمانين قصرًا مليئة بالبذخ والترف والشعب يموت جوعًا، كما أنَّ هذه الضربات الَّتي تقع على عاتق الشعب يوظفها النظام بأنَّ المقصود من هذه الضربات هو قائدها البطل، وما دام قائدها حيٌّ يرزق ولم يتحقَّق مقصود الضربات فيعتبر الشعب قد انتصر ضد أمريكا، ممَّا يقتضي الاحتفال بميلاد البطل الصامد ضد العدوان، وهم لا يرغبون حقيقة في إزالته عن الحكم؛ لأن وجوده يعطيهم المبرر لوجودهم في المنطقة وامتصاص خيراتها، ولو كانوا يرغبون في إزالته عن الحكم لفعلوا ولكنَّهم يتذرَّعون أنَّهم

QaradawiBooks.com

لا يتدخَّلون في الشؤون الداخليَّة للدول، وهذه مهمة الشعب العراقي «الأعزل» في تغيير نظامه، هم يعلمون أنَّ وجود النظام يسبِّب شرخًا في الصف العربي وعدم عودة العراق كشعب لهذا الصف حتَّى لا تحدث وحدة بين العرب تكون في غير صالح إسرائيل.

المحاور: لا أحد في العالم الإسلامي ينكر دورك المشرف يوم دعوت لنصرة المجاهدين الأفغان أثناء احتلال الاتِّحاد السوفيتي حينذاك أفغانستان، ولعبت دروًا طيبًا في الوساطات بين زعماء الجهاد لدرء الفتنة والاختلاف، ما موقف د. القرضاوي من كل ما يجري في أفغانستان اليوم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم سعيت لنصرة الجهاد الأفغاني عندما دخلت القوات السوفياتية أراضي أفغانستان، ولست نادمًا على هذا الموقف؛ لأنَّه موقف حق ونصرة لإخوة لنا في العقيدة، احتلت بلدهم، واستبيحت حرماتهم، وانتهكت أعراضهم، وبعد التحرير سعيت أكثر من مرَّة إلى التوسط بين زعماء الأفغان، ولكن للأسف غلبت عليهم الأهواء للوساوس الخارجيَّة، الَّتي تحاول أن تفرِّق بين الأخ وأخيه، فانتهى الأمر إلى ما نراه اليوم، إنَّه واقع يندى له الجبين، وتدمع له العيون، ويتقطَّع له القلب، إن رفقاء الجهاد والسلاح بالأمس يتقاتلون اليوم، الدولة الَّتي كنا ننتظرها لتكون قرة أعيننا أصبحت تدمر أمام أعيننا، خذلونا هؤلاء النَّاس للأسف.

المحاور: أتشعر بالخطأ لمساعدتهم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: الواقع أنَّنا لم نخطئ في مساعدتهم، بل كنا على حق؛ لأنَّنا ظنَّنا بهم خيرًا، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسَّني السُّوء، فهم كانوا على خير كثير، ولذلك نصرهم الله،

QaradawiBooks.com

فحينما صفت أنفسهم، وصحَّت نياتهم، وصدقت عزائمهم، نصرهم الله على القوَّة الكبرى الثانية في العالم.

فلم يكسب الإلحاد في تاريخ البشريَّة دولة في ضخامة الاتِّحاد السوفيتي وقوته وغناه. وقد انتصر هؤلاء الأفغان على الدولة الملحدة، ولما تغيّروا غيّر الله ما بهم، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال: ٥٣].

المحاور: ورأيك في طالبان؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: ما تطرحه الطالبان باسم الشريعة نرفضه، فقد أوقفوا كل النساء العاملات وأبقوهم في البيوت، وهناك مئات الآلاف من الأرامل اللائي فقدن أزواجهنَّ، الَّذين استشهدوا في الحرب، وكان هؤلاء النسوة يعملن من أجل أولادهنَّ الأيتام، وبعضهنَّ مثقفات، وبعضهن يحملن شهادات، فلا مانع أن تعمل المرأة في رأيي، فعمل المرأة مشروع، بل مطلوب طلب استحباب أو طلب إيجاب حسب الحاجة، والقرآن ذكر لنا الفتاتين اللتين كانتا ترعيان الغنم في قصَّة سيِّدنا موسى: ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ [القصص: ٢٣].

والذي ندعو إليه هو أن نعود إلى نصوص القرآن والسُّنَّة فنحسن فهمهما وتوظيفهما، وبذلك تكون المرأة في عصرنا كما كانت في عصر الرسالة والنبوَّة والصحابة، عنصرًا إيجابيًّا وعضوًا حيًّا في جسد المجتمع وليس رئة معطَّلة ولا عضوًا مشلولًا.

المحاور: كأنك تقصد في هذا السياق من الإجابة العناصر المتشددة بخصوص عمل المرأة، ألا تخاف من هجومهم؟

QaradawiBooks.com

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: أنا لا أهتم كثيرًا لهؤلاء، وعندما ذهبت إلى قطر منذ (٣٧) عامًا وجدت هناك آثار معركة المتشدِّدين والمتفتحين من المشايخ والعلماء البعض يقول: نعلم المرأة حتَّى الابتدائي فقط (أي القراءة والكتابة)، ويحرم عليها الإعدادي والثانوي والجامعة، والبعض يقول بحقها في التعليم في كل المراحل، وطبعًا انتصر الرأي الَّذي يقول بحقِّ المـــرأة في التعليم، بل رأيـــت الَّذين كانوا ينـــادون بتعليم المرأة القراءة والكتابة فقط هم الَّذين ينادون بأن تفتح الأبواب للمرأة لتدخل الجامعة دون أيِّ قيود أو ضوابط، فإذا بالمشـــايخ القدامى الَّذين كانوا يرفضون تعليم المرأة يقولون: لماذا هذه القيود؟ بناتنا يردن أن يتعلمن. في إشـــارة واضحة للضوابط الَّتي وضعتها الجامعـــة لقبول المرأة وَفْق مجموع محدد.

إنَّ التشدد ما زال هو السائد في معاملة بعض المتدينين للمرأة، وهذا يشكل خطرًا على مستقبل الحركة الإسلاميَّة، فالمرأة نصف المجتمع من ناحية العـــدد، ولكنَّها أكثر من النصف إذا نظرنا إلـــى تأثيرها في أبنائها وزوجها، ويمكن أن تكون عنصر بناء أو معول هدم، ومع ذلك فالأنثى في ميدان الدعوة الإسلاميَّة لم تأخذ حقها كما ينبغي، وفشل الإسلاميُّون في إبراز قيادات نسائيَّة إسلاميَّة، بينما نجح العِلْمَانيُّون في ذلك.

فإذا كان البعض يأخذ على بعض النساء تبذلهنَّ وتحللهنَّ من عقدة الفضائل والالتزام بالشرع فيجب أن نحارب هذا الجانب، إنَّما لا نتعداه إلى أن نحرم الحلال، بدعوى سدِّ الذريعة؛ لأن علماءنا من قديم حذَّروا من التوســـع في سد الذرائع، كما حذروا من التوســـع في فتح الذريعة؛ لأنَّنا إذا سددنا الذريعة، ستجد من يقول: لا تزرع العنب خشية أن يُتخذ

QaradawiBooks.com

خمرًا، فهل هذا معقول؟! كما أنَّ بعضهم من قال: لا نُعلِّم المرأة حتَّى لا تكتب رسائل غرامية.

المحاور: تشكل فضيلة د. القرضاوي بفكرك الشمولي أنموذجًا متفردًا، ومع هذا نرى اسمك مرتبطًا بجماعات دينيَّة تنظيميَّة، فهل أنت داعية منظَّم تمثِّل فكرًا ومنهجًا حركيًّا إسلاميًّا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم، سئلت ـ أمنيًّا ـ عقب عودتي إلى مصر لقضاء الإجازة الصيفيَّة عن علاقتي ببعض الجماعات والإخوان والمحاكم العسكريَّة، فقلت رأيي بصراحة: باعتباري مصريًّا مسلمًا، أحرص على خير مصر وسلامتها واستقرارها، وأحرص على الإسلام في مصر، وأرى أنَّ مصر أرجى بلاد الله للإسلام، ولا يوجد بلد فيه من الاستعداد وبذل النفس والمال من أجل الإسلام كما يوجد في مصر.

فأنا نشأت في الإخوان، وآمنتُ بمدرسة حسن البنَّا ونهجه في التفكير، وميله إلى الوسطيَّة، وأنا منهجي بطبيعته منهج وسطي، ومن قرأ كتبي واستمع إلى محاضراتي وخُطبي عرف أنِّي لا أعدل بالوسطيَّة بديلًا، منهجي في الدعوة: التبشير، وفي الفتوى: التيسير، كما قال رسول الله ﷺ: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**»[1]، فأنا أيسر في الفتوى وأبشر في الدعوى.

المحاور: هل لك علاقة بالتنظيم العالمي للإخوان؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: باعتباري مصريًّا مسلمًا، فأنا أقولها بصراحة واضحة وصريحة: ليس لي أي علاقة تنظيميَّة من أيّ نوع، لا في جماعة

(١) سبق تخريجه صـ٥٣٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الإخوان، ولا في مكتب الإرشـــاد، ولا مجلس شورى معيَّن، ولا تنظيم دولي، ولا بنـــوك ولا غيره، كل ما فـــي الأمر أنَّ فكـــرة الإخوان فكرة ســـليمة، خاصَّة إذا غلب فيهـــا التطور علـــى الجمـــود، والمرونة على التضييق، والإخوان في السنوات الأخيرة تبنوا كثيرًا ممَّا كنتُ أنادي به، فقد تبنوا في المجال السياسي قضيَّة التعدديَّة الحزبية، وهذا على خلاف ما كان يدعو إليه حســـن البنا، الَّذي كان ضد الأحزاب والحزبية، ولعلَّه معذور في ذلك الزمن، ولعلَّه لو امتد به العمر لغير اجتهاده، فالرجل كان يتجدد ويتطور.

كما أنَّ الإخوان تبنوا فكري حول المرأة عندما أصدروا بيانًا اتجهوا فيه إلى نوع من التيسير والتوسعة.

فأنا، وإن كنت نشأت في الإخوان ودخلت السجن من أجل الإخوان، أرى نفسي لكلِّ المسلمين، وأحمل الجنســـيَّة القطرية، ولكنِّي أرى أنِّي لمصر ولقطر وللمسلمين وللعالم كافَّة، فطبيعة الإسلام أنَّه دين عالمي، وطبيعتنا من طبيعة الدين الَّذي ندعو إليه.

السلطة وحماس:

المحاور: ما رأيكم بممارسات السلطة الفلسطينيَّة الَّتي يرأسها ياسر عرفات ضد شباب حماس، ما هو تعليقكم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أدعو الفلســـطينيِّين أن يكونوا يدًا واحدة، وأنا أعلم من الإخوة في حماس أنَّهم حريصون على وحدة الصف أشد الحرص، ولم يحدث في تاريخهم أن أيديهم امتدت لقتل أي فلسطيني، وإنَّما كل عملهم ضد إســـرائيل وفي الأراضي الفلسطينيَّة المحتلة، إنَّهم

QaradawiBooks.com

يرفضون توجيه السلاح ضد اليهود في خارج الأرض المحتلة، لقد حددوا هدفهم ضد عدو واحد هو إسرائيل المغتصبة لأرضهم.

وأنا شخصيًّا أعجب أشدَّ العجب من موقف السلطة الفلسطينيَّة تجاه الإخوة في حركة حماس، وما تردده من ادعاءات بأن أتباع حماس يقتلون بعضهم بعضًا، وأنَّ الاعتداءات الَّتي تمت على بعض من عناصرهم من تدبير زملائهم في حماس.

أنا أعتقد شخصيًّا أنَّ المستفيد من هذه الخلافات بين السلطة وحركة حماس هي إسرائيل، وأرجو من الإخوة في السلطة وحماس أن يراجعوا أنفسهم وأن يتدخل العقلاء لإيقاف المأساة، وأسأل الله أن يجمعهم على ما فيه خير دينهم ووطنهم.

وساطة:

المحاور: قمت بعدة وساطات بين الإسلاميِّين والسلطة الفلسطينيَّة الَّتي يرأسها ياسر عرفات، ما حقيقة هذا الأمر؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أنا أسعى لأيّ إصلاح بين المسلمين، ولكن على أي أساس أتوسط بينهما؟ على أساس الرضوخ لإسرائيل؟! والاعتراف باغتصابها لأرضنا؟

إنَّ هذا التهافت على أعتاب إسرائيل، وهذه المبادرات كلها لا فائدة منها، ولا بدَّ من عودة الانتفاضة سلطة وشعبًا؛ لأن أقصى ما يمكن أن يكون بيننا وبين إسرائيل من سلام هو «الهدنة» هذا هو المسموح به شرعًا مع المغتصب اليهودي، أمَّا التحالفات فكلها ـ في رأيي ـ تمثل اختراقات لمجتمعاتنا الَّتي تمثل الرصيد الحقيقي في مقاومة إسرائيل،

QaradawiBooks.com

وأحب أن أشير هنا إلى موقف الشعب المصري الأصيل، الواعي بأعدائه، الشعب الَّذي تمسك بالحاجز النفسي الَّذي سعى السادات لكي يحطمه، فلم يطبع مع إسرائيل، وهذا يدل على عمق إيمانه بهذه القضيَّة ومعرفته بحقيقة المعركة بيننا وبين إسرائيل.

المحاور: ألا تتمنى الصلاة في المسجد الأقصى؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أمنيتي الصلاة في المسجد الأقصى غير أنَّني أؤكد أنَّني لن أذهب إلى الأقصى أبدًا طالما بقي أسيرًا بيد اليهود.

المحاور: أهذه فتوى بتحريم الذهاب إلى المسجد الأقصى ما دام واقعًا تحت الاحتلال اليهودي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: نعم أنا أقولها كفتوى شرعية: لا يجوز لمسلم أن يذهب إلى المسجد الأقصى ليصلِّي فيه، إلَّا إذا كان من أبناء فلسطين، وعاد ليزور أهله، إنَّما لا يجوز لمصري أو كويتي أو سوري أو خليجي أو مسلم أن يذهب ليصلي في الأقصى، وهو تحت أسنَّة الحراب، ويرفرف عليه علم الاحتلال الإسرائيلي أو يدخل إسرائيل، ويختم جوازه بختم دولة إسرائيل، فلا صلاة في المسجد الأقصى إلَّا حينما يحرَّر من أسر اليهود، ومن أراد التقيُّد بالصلاة في مساجد مفضَّلة، فليصلي في مسجد رسول الله ﷺ، فالصلاة فيه بألف صلاة، أو يصلي في المسجد الحرام، فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة، أمَّا الأقصى فلا يمكن الصلاة فيه لغير الفلسطينيِّين، طالما بقي أسيرًا تحت سلطان الصهيونيَّة.

إننا قد لا نسترد حقنا اليوم، ولا غدًا، ولا بعد غد، إنَّما ينبغي ألا نستسلم، إنَّه موقف شرعي بألا نسلم لإسرائيل، ففلسطين ظلت محتلة نحو مائتي سنة أيَّام الصَّليبيِّين، وهيَّأ الله لها من استردها وحررها.

QaradawiBooks.com

والأقصى ظل (٩٠) عامًا أسيرًا في أيدي الصَّليبيِّين حتَّى حرره البطل صلاح الدين الأيوبي. فأنا أعتقد أنَّ الزمان في صالحنا نحن.

المحاور: وكأنك شيخنا تعني الجهاد في سبيل الله لتحريره؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: لا بدَّ أن يكون ميراثنا للأجيال القادمة هو جهاد وكفاح، لا استسلام وتضييع للأراضي، فإسرائيل مصرَّة على أن تجعل القدس عاصمة لها، وتسعى إلى تهويدها وتفريغها من أهلها، وكان لي قصيدة من ضمنها:

فما معنى فلسطينٍ بلا أقصى ولا قُدْسِ
فلسطينٌ بلا قدسٍ كجثمانٍ بلا رأسِ[1]

ويجب على العرب أن يهيِّئوا أنفسهم لجهاد طويل لتحرير القدس واسترداد فلسطين، فإسرائيل لم تسلم بحقنا فيها أبدًا. وأنا عندي رسالة في المطبعة حاليًّا سميتها: «القدس قضيَّة كل مسلم»، أنادي فيها العرب عامَّة والمسلمين كافَّة أن يهبُّوا لنجدة القدس وأن تعود الانتفاضة المباركة من جديد إلى أرض الأقصى السليب.

موقفي من صلح اليهود

المحاور: يستشهد بعض من المسلمين بالآية: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]. وقد عُرفتَ بالواقعيَّة، وأحوال الأُمَّة الإسلاميَّة تراها أمامك، ألا تعتبر هذه الآية متنفَّسًا لعقد الصلح مع اليهود، ما رأيك فضيلة الشيخ؟

(١) انظر القصيدة بكاملها في ديواننا: المسلمون قادمون صـ ٩٣ ـ ٩٧، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي: إسـرائيل لم تجنح للسلام يومًا ما، فكيف يجنح للسـلم من اغتصب الأرض وسفك الدماء وشـرَّد أهلها وانتهك حرماتها؟! إنَّ الآية الشـريفة الَّتي ينبغي أن نحتج بهـا هنا قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٥]، لكننا استبطئنا النصر، وذهبنا للحصول على بعض المكاسب بالطريق السريع، لا كل المكاسب بالطريق البعيد، فنحن نملك الكثير، ولكنَّنا استصغرنا أنفسنا، كان لا بدَّ أن نصبر ونصابر ونرابط كما أمرنا الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

على كل حـال، هذه اجتهادات من أصحابها ندفـع ثمنها ضعفًا في الموقف العربي، وقد انتهى الأمر إلى قبول العرب لسلام أقل كثيرًا ممَّا عرضه عليهم السادات.

مع السادات:

المحاور: ما قصَّة أوَّل لقاء مع الرئيس محمَّد أنور السادات؟

فضيلة الشـيخ القرضـاوي: الحقيقة لم تتح لي الفرصـة كي ألتقي بالرئيس السادات لأتحدَّث معه على إثر عودتي إلى مصر إلَّا مرَّة واحدة، عندما ذهبنا إليه في القناطر الخيريَّة ضمن مجموعة من علماء الإسـلام وتحدثنا حديثًا طويلًا عامًّا.

وأسـتطيع أن أقول كمراقب من بعيد، حيث لم أكن مقيمًا في مصر وقتها: إنَّ أفضل ما جاء به السـادات، هو فتح الأبواب للنَّاس ليتحرَّروا ويتنفَّسوا ويتحرَّكوا، فقد أفرج عن المعتقلين، وأغلق أبواب المعتقلات السياسيَّة، وأعلن أنَّ القانون سيسود، وخاض حرب العاشر من رمضان،

QaradawiBooks.com

وانتصرت مصر فكان السادات موضع الحب والإعجاب من النَّاس كافَّة، ثمَّ تغيَّرت الأمور وظهر سادات آخر.

وأقول: إنَّنا المسؤولون عن هذا؛ الصحافة والشعب والناس، يضخِّمون الحكام، ويسرفون في مدحهم، وينافقونهم بالكثير من الكلام، فيتحوَّل الحاكم إلى فرعون، فالإنسان يبدأ طيبًا وقريبًا إلى الخير والصلاح، ثمَّ بهذه الطريقة الَّتي نكاد نقدِّس فيها الحكام، ونحوِّل كل أعماله إلى بطولات، وننزِّهه عن الخطأ تمامًا، فيعمى عن أخطائه، ويرفض النقد تمامًا.

إنَّ الحديث الشريف يقول: «**إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تُودع منهم**»[1] أي: لا رجاء منها، فالمفروض أنَّه إذا أخطأ إنسان أو انحرف أن ننبهه وننقده، فكيف إذا كانت الأمة تقول للمخطئ: أنت على صواب دائمًا، وتقول للمنحرف: أنت مستقيم دائمًا، وتقول للظالم: أنت المحرر والمنقذ؟!، نحن الَّذين نصنع الفراعنة.

المحاور: كيف خرجت من مصر إلى دولة قطر، ولم طالت مدة مكوثك؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: أود أن أقول: إنَّني حينما خرجت من مصر العزيزة سنة (١٩٦١م) معارًا إلى دولة قطر، ومديرًا لمعهدها الديني، ما كان يخطر ببالي أن يطول المقام في ذلك البلد العربي الشقيق، فقد كان من المفروض أن تطول الإعارة (٤) سنوات، وقد تمتد سنة أو أكثر ثمَّ أعود إلى وطني، ولكن جرت الأقدار في ذلك الوقت بغير ذلك، فبعد (٤) سنوات تغيَّر الوضع، وبدأت محنة أخرى للإسلاميِّين، فحذِّرت من

(١) سبق تخريجه صـ٥٥٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

العودة إلى مصر، وكان ما اختاره الله، فالإنسان لا يتمنى البلاء، ولكن يسأل الله العافية.

وكنت قد عدت إلى مصر في العام (١٩٦٣م) لقضاء الإجازة الصيفية، وبمجرد وصولي إلى قريتي، أُخذت من هناك إلى مكان لا يعلمه إلَّا الله، ومكثت فيه (٥٠) يومًا أنا وزميلي د. أحمد العسال، وكانت الحكاية أن د. عبد العزيز كامل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعبد العزيز الشوربجي نقيب المحامين، ود. حسن عبَّاس زكي، وآخرين كان لهم اتِّجاه ديني، وقيل: إنَّهم يخططون لانقلاب، ولهم مموِّلون من الخليج العربي، وأنا أحدهم، لكن أفرج عنا، واعتذر لنا صلاح نصر مدير المخابرات العامَّة، وقال: إنَّ القبض علينا تمَّ في غيبته، وطلب أن نفتح صفحة جديدة، وأن ننسى هذا الموقف، وسمح لنا بالعودة إلى دولة قطر مرَّة أخرى، فسافرت ولم أعد إلى مصر إلَّا عام (١٩٧٣م)، عدت فوجدت الوضع قد تغيَّر من الاشتراكيَّة الثوريَّة الَّتي كانت تقبض على مصر بقبضة من حديد، عن طريق السجون والمعتقلات والمخابرات وأمن الدولة إلى انفراج وانفتاح، ليس في الأمور الاقتصاديَّة فحسب، ولكن انفراجة أمنية وسياسيَّة، فدخلتُ مصر وفوجئت بأنَّه لم يسألني أحد: «لماذا عدت؟ أو لماذا تأخَّرت في الخليج؟!» ولم يستدعني رجال الأمن كما كان أو نحو ذلك، فكان هذا في رأيي من علامات الصحَّة في ذلك الوقت، وشعرت أنَّ النَّاس في مصر تنفسوا الصعداء.

المحاور: أتقصد أنَّك عدت في زمن الانفتاح على وجه التحديد؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: قبل أن أعود إلى قطر، فوجئت بالانفتاح بفتح الأبواب على مصاريعها، ورأيت الباشوات الجدد يحلون محل

QaradawiBooks.com

الباشـــوات القدامى دون أن يكون لهم أية صلة بهم، فالباشوات القدامى كان يســـتفيد من ورائهم أناس كثيرون؛ لأنَّهم كانوا يفتحـــون أبوابًا لمن حولهم، وكان عندهـــم المروءة والمـــكارم، أمَّا الجدد فكانوا باشـــوات لأنفسهم، لا يســـتفيد من ورائهم أحد، ويغلقون الأبواب المفتوحة، ومن هنا استشعرت الخطر وبدأت أفكر في موقف الإسلام: فأين نحن من هذا؟

المحاور: وإلى ماذا توصلت فضيلة الشيخ د. القرضاوي؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: توصلت إلى أنَّ الإسلام له فلسفته الخاصَّة في الاقتصاد، هي ليســـت الفلســـفة الفرديـــة المطلقة الَّتـــي تقوم عليها الرأسماليَّة، ولا الفلســـفة الجماعية المطلقة الَّتي تقوم عليها الماركسيَّة والشيوعيَّة، إنَّما للإسلام فلسفته المتوازنة الَّتي تعطي الفرد وتأخذ منه، ولا تضخم الفرد حتَّى يطغى، ولا تعطي المجتمع الحق في أن يســـحق الفرد، ولكـــن كما قال الله تعالـــى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ ـ ٩]، أي لا طغيان ولا إخســـار، لا إفراط ولا تفريـــط، فالموازنة بين الحقوق والواجبات، بين الحرية والعدل، فالحرية موجودة ولكنَّها مقيدة بالعدل، هناك حرية للســـوق، ولكن ليس مفتوحًا للتلاعب بالأسعار والاحتكار، أو التجارة بأقوات النَّـــاس وضرورياتهم، وإنَّما هنـــاك ضوابط ومعايير أخلاقيَّة وتشريعية تضبط هذه الأمور.

العلمانيَّة:

المحاور: كثر الحديث في الإعلام المقروء والمشاهد والمسموع عن لفـــظ العلمانيَّة ومعاداتها للتيار الإســـلامي. وحوارنا معـــك في القضيَّة الحسَّاسة يبدأ من «تعريف العلمانيَّة»، فما هو مفهومها؟

QaradawiBooks.com

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: العلمانيَّة كلمة حديثة الاستعمال في لغتنا العربيَّة. والعلماني: ما ليس بديني، ومقابله: الديني أو الكهنوتي. وكان مدلـــول العلمانيَّة المتَّفـــق عليه يعني: عـــزل الدين عـــن الدولة وحياة المجتمع، وهذا المعنى غير معروف في تراثنا الإسلامي.

ولم يكن في الإسلام كما في عصورنا الأخيرة إلى اليوم: تعليم ديني وتعليم غير ديني، ولم يكن في الإســـلام أناس يســـمون رجال الدين، وآخرون يســـمون: رجال العلم أو السياسة. ولم يعرف الإسلام سلطتين: إحداهما: دينيَّة، والأخرى: دنيوية أو زمنيَّة.

لقد كان الدين ممتزجًا بالحياة كلها امتزاج الروح بالجســـم، كذلك كان الدين والعلـــم، فالعلمانيَّة بضاعة غريبة علينـــا لم تنبت في أرضنا، ولا تستقيم مع عقائدنا ومسلماتنا الفكريَّة.

المحاور: ما هي نقاط الخلاف بين الإسلام والعلمانيَّة؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: العلمانيَّة لا تقف من الإسلام موقفًا محايدًا كما زعم بعض العلمانيِّين العرب، فهذا بالنســـبة للإســـلام يستحيل؛ لأنَّ الإسلام يواجهها بشموله بكل جوانب الحياة الإنسانيَّة ماديَّة ومعنوية، فردية واجتماعيَّة، وهي لا تسلم له بهذا الشمول، فلا مفر من الصدام بينهما.

فالنصرانيَّة قد تقبل قســـمة الحياة والإنسان شـــطرين: شطر للدين، وشـــطر للدولة، أو بتعبير «الإنجيل»: شـــطر لله وشـــطر لقيصر، فتعطي ما لقيصر لقيصر، وما لله لله. أمَّا الإســـلام فيرى الحياة وحدة لا تتجزَّأ، ويرى الإنسان كيانًا واحدًا لا ينفصم، ويرى أنَّ الله هو رب الحياة كلها، ورب الإنســـان كله، فلا يقبل قيصر شـــريكًا لله، فلله ما في الســـماوات وما في الأرض، ومن في السماوات ومن في الأرض، وقيصر وما لقيصر

QaradawiBooks.com

كله لله، فلا يجوز أن يستولي على جزء من الحياة ويوجهها بعيدًا عن هدي الله.

إنَّ الإسلام يرفض إلَّا أن يوجِّه الحياة كلها بأحكامه ووصاياه، وأن يصبغها بصبغته، وهي صبغة الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

المحاور: هل من إمكان لتعايش الإسلام مع العلمانيَّة في ضوء نظرة التشكيك العقدية من جانب العلمانيَّة للشريعة الإسلاميَّة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي: العلمانيَّة لا تجحد الجانب العقدي في الإسلام، ولا تنكر على النَّاس أن يؤمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر، انطلاقًا من مبدأ مُسلَّم به عندها، وهو تقرير «الحرية الدِّينيَّة» لكل إنسان، فهذا حقٌّ من حقوقه أقرَّته المواثيق الدوليَّة، ولكن الإسلام في داره «دار الإسلام» لا يكتفي بأن تكون عقيدته مجرَّد شيء مسموح به وليس محظورًا كالمخدرات والسموم البيضاء، إنَّه يريد أن تكون عقيدته روح الحياة وجوهر الوجود، فالعقيدة الإسلاميَّة تفرض على المسلم أن يكيِّف حياته وفقًا للأحكام الَّتي تجسدها، وأن يظهر أثرها في سلوكه وعلاقاته كلها سواء كان حاكمًا أو مملوكًا، والعلمانيَّة تريد من العقيدة أن تظلَّ حبيسة الضمير لا تخوض معترك الحياة ولا تؤثِّر في أهدافها ومناهجها، فإن سمح لها بالظهور فليكن بين جدران المسجد لا تخرج عنها، على أن يكون المسجد نفسه تحت سلطانها، وبهذا نرى المسلم الَّذي يعيش تحت سلطان العلمانيَّة يعاني من التناقض بين العقيدة الَّتي يؤمن بها والواقع الَّذي يفرض عليه، فعقيدته تشرِّق وواقع يغرِّب، عقيدته تحرِّم والعلمانيَّة تبيح، عقيدته تلزم والعلمانيَّة تعارض، وهكذا لا تعايش بين الإسلام والعلمانيَّة.

QaradawiBooks.com

المحـــاور: أنفهم منك د. يوســـف القرضـــاوي أنَّ العلمانيَّة مناقضة للشريعة، وأنَّها أصلح للغرب منها في البلاد الإسلاميَّة؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: لا يتصوَّر للعلمانيَّـــة أن تنجح في بلد إســـلامي؛ لأنَّها مناقضـــة لطبيعة الإســـلام الَّذي تدين به الشـــعوب المســـلمة، ومناقضة لمفاهيمه وســـلوكه وتاريخه، ولا يوجد أي مبرر لقيامها، كما وجد ذلك في الغـــرب النصراني، وكل ما تفعله العلمانيَّة أنَّها تحاول تغيير طبيعة الأمة واتجاهها، والأمة لا تستجيب لها حيث ترفض زرع هذا الجســـم الغريب في داخلها وتقاوم بشدَّة، فينشأ بين الحكم العلماني وبين الأمة المسلمة صراع يظهر حينًا ويختفي أحيانًا، ولكنَّه صراع باق ومستمر.

وأبرز بلد إسلامي حكمته العلمانيَّة ونفذت خططها وضربت بيد من حديد كل من يقاومها هو: تركيا، بلد الخلافة الإســـلاميَّة الأخيرة، الَّذي قهره «أتاتورك» في تطبيق النموذج الغربي في الحياة كلِّها، وســـلخه من تراثه وقِيَمه وتقاليده وأقام دستورًا لا دينيًّا يعزل الدين عن الحياة، فقامت على أساسه قوانين مجافية للإسلام.

المحاور: وهل هناك فارق من وجهة نظرك بين العلمانيَّة والأخلاق؟

فضيلة الشـــيخ القرضاوي: العلمانيَّة لا اعتراض لهـــا على الجانب الأخلاقيّ في الإســـلام، بل ترحِّب وتدعو إليه باعتبار أنَّ الأخلاق هي قوام المجتمعات وعماد النهضات، وأنَّ الإنسان تبنيه الأخلاق والفضائل الإنسانيَّة الرفيعة، وهذا لا خلاف فيه بين الإسلام والعلمانيَّة، ولكن في مجال العلاقة بين الجنسين، يصر الإسلام على أن يكون الزواج المشروع هو الطريق الصحيح، ويحرِّم أيَّ اتصال جنسي خارجه، ويعتبره من الزنى

QaradawiBooks.com

الَّذي يجلب سخط الله تعالى، ويشيع الانحلال والفساد في المجتمع ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]، كما حرَّم الإسلام خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه، وحرَّم كل الوسائل الَّتي تيسر وقوع الفاحشة، وهذه الأحكام والتوجيهات الإسلاميَّة لا ترحِّب بها العلمانيَّة المستعربة على أنَّ هذا يدخل في نطاق الحرية الشخصيَّة، وتنظر إلى الإسلام على أنَّه تزمُّت، كما أنَّهم لا يحبون أن يربطوا الأخلاق بالدين، وإنَّما يريدون أن يقيموها على أساس فلسفي أو عملي بعيدًا عن الدين.

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة

غير مرخصة للطباعة

مآسي المسلمين في العالم

مُقَدِّم البرنامج:

الحمد لله ربِّ العالَمين، وصلِّ اللَّهمَّ وسَلِّمْ وباركْ على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

(أمَّا بعد)

أيُّها الإخوة والأخوات الكرام، نُحَيِّيكم جميعًا بتحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ونرحِّب بكم جميعًا في حلقة جديدة من حلقات المنتدى، الَّذي أسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بما نسمع فيه، وبما نستفيد من هدي الله وهدي رسوله ﷺ.

أيُّها الإخوة والأخوات، يقول المصطفى ﷺ: «**مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمِهم وتعاطفهم، مَثَل الجسد، إذا اشتكى منه شيءٌ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى**»[1]. وها هو عضو في جسد الأمَّة الإسلاميَّة اليوم يئنُّ ويستغيث في أرض الشيشان المسلمة، حيث تُسفك

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بَشِير.

QaradawiBooks.com

حتَّى هذه اللحظة مئات الدماء، بل الآلاف من الدماء المسلمة، وتُرمَّل النساء، ويُيَتَّم الأطفال، وتُنْتَهك الأعراض، وتُحرق الأرض، وتُهدم الدُّور على أهلها، وتُنسف البنية التحتيَّة للمسلمين.

وما كادت الأمَّة أن تستفيق من هول الصدمة، صدمة مجازر كوسوفا المسلمة على يَدَي المجرمين من الصرب الحاقدين، نكؤوا الجرح الشيشاني المُتَجَدِّد، الَّذي ظنَّنا أنَّه قد الْتَأَم، فها هو يُنْكَأ من جديد.

فمن المسؤول يا تُرَى عمَّا يحدث لإخواننا المسلمين على أرض الشيشان؟ وهل مسلمو الشيشان هم الجدار «الواطي» الَّذي يصعد عليه كلُّ من أراد السيادة والسيطرة في تلك البلاد؟! ثمَّ ما الواجب الشرعي على أمَّة الإسلام تجاه ما نرى ونشاهد؟

إنَّ واجب الأُخُوَّة الإيمانيَّة أيُّها الإخوة والأخوات يفرض أن نقف جميعًا وقفةَ حقٍّ وصدقٍ مع إخوةٍ لنا في الدِّين والعقيدة.

ولذلك كان موضوع حلقة اليوم من برنامجكم «المنتدى»: «حرب الشيشان رؤية شرعيَّة».

ومع بداية هذه الحلقة يَسُرُّني أن نُرَحِّب جميعًا بفضيلة الشيخ الفقيه العلَّامة الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله تعالى، وأطال لنا في عمره.

حيَّاكم الله فضيلة الشيخ.

الشيخ: حيَّاكم الله يا شيخ منصور، وبارك فيكم.

أيها الإخوة والأخوات، نحن معكم الآن على الهواء مباشرة من تلفزيون أبو ظبي، فنُرحِّب بكم، ونرحِّب أيضًا بالإخوة المستمعين

QaradawiBooks.com

الكرام الَّذين انضمُّوا معنا إلى إذاعة القرآن الكريم في أبو ظبي، نستقبل اتِّصالاتكم وأسئلتكم على هواتف البرنامج الَّتي ستظهر لكم تباعًا في أسفل الشاشة.

المُقَدِّم: فضيلة الشيخ، نبدأ على بركة الله بالحديث عن هذه المأساة الجديدة الَّتي أُصِيبَتْ بها الأُمَّة، فالسؤال الَّذي يسأله النَّاس ويتردَّد كثيرًا على ألسنتهم، لماذا جراحات المسلمين هي النازفة؟ ولماذا المسلمون وحدهم لا يكادون يتعافَوْن من مصيبةٍ وبلاء، حتَّى يصابوا بغيرها؟ تفضَّلْ جزاك الله خيرًا.

فضيلة الشيخ القرضاوي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد الله، والصلاة والسلام على رسولنا وإمامنا وأسوتنا وقدوتنا وحبيبنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هداه.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

(وبعد)

مآسي المسلمين في العالم عظيمة ومتعدِّدة:

فلا شك أنَّ ما نراه ونسمعه ونلمسه ونُحِسُّه بكلِّ جوارحنا من مآسي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أمر يندى له الجبين، وتدمع له الأعين، وتتفتَّت لها الأكباد، وينقطع له نِيَاط القلوب، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأُمَّة الإسلاميَّة رخُصت دماؤها، أصبح الدم الإسلامي أرخص الدماء في الأرض، لا يوجد من يدافع عن هذه الأُمَّة، بل إنَّ معنى الأُمَّة نفسه لم يعد موجودًا، الله ﷻ أراد للمسلمين أن يكونوا أُمَّة، فقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

تجرُّؤ الأعداء على الأُمَّة:

ولكن للأسف الاستعمار بألوانه وأشكاله وأنواعه ومراحله المختلفة أراد أن يجعل من هذه الأُمَّة أُمَمًا يعادي بعضها بعضًا، ويجافي بعضها بعضًا، بل يقاتل بعضها بعضًا، فلا غرو أن يتجرَّأ عليها غيرها، وأن يسترخص دماءها، وأن ينتهك حُرماتِها، ففي كلِّ يوم لنا مأتم، وفي كلِّ ساعة لنا مجزرة، فما زالت فِلَسْطِين وفيها القُدُس الشريف أولى القِبْلَتَيْن، وثالث الحرمَيْن الشريفَيْن، ومنتهى مسرى النبيِّ ﷺ ومبتدأ معراجه، لا تزال تئنُّ من جبروت اليهود الظالمين، وما زالت القدس محتلَّة، وما زالت الحفريَّات تحت المسجد الأقصى مستمرَّة لا تتوقَّف، وما زال المستوطنون يعبثون، ولا يزال اللاجئون مشرَّدين في الأرض، هذه هي قضيَّة فلسطين.

ولا تزال أيضًا قضيَّة كشمير تنزف جراحها، وانتهينا من قضيَّة البوسنة بعد المآسي والجراحات والدماء والمقابر الجماعيَّة، انتهينا من هذه القضيَّة، لنبدأ في قضيَّة كوسوفا، ثمَّ قضيَّة الشيشان، ولم يكفهم ما حدث للشيشان منذ سنوات، من ضربات هدمت البنية التحتيَّة لهذه الدولة المسلمة، وأفقرت هذا الشعب، وكادت أن تُجَرِّده من كلِّ شيء، حتَّى عاودت الاعتداء مرَّة ثانية.

QaradawiBooks.com

ولكن هذا الشعب وقف وقفة الأبطال، واستطاع أنْ يُذيق روسيا مرارة الهزيمة، رغم قلَّة عدده، وضعف عُدده، وقلَّة إمكاناته الماديَّة، ولكنَّهم رجال أبطال، فهم لم يَنْسَوْا هذا، فعادوا إلى هذا البلد يريدون أن ينتقموا منه بحُجَج واهية، أو بغير حُجَج في الحقيقة، لا يكاد يوجد دليل واحد على أنَّ هذا الشعب يستحقُّ هذا القتل والدمار، ولو كان يوجد دليل على شيء، فمن قال: إنَّ المدنيِّين يُقْتَلُون بغير حساب؟! خمسمائة وخمسون مدنيًّا ضُربوا في القصر الرئاسي، منهم القتلى، ومنهم الجرحى، علام هذا كله؟!

صمت المسلمين عن مآسيهم:

والعجيب في هذا، أنَّ المسلمين صامتون صمت القبور! صمت الأموات! أحيانًا يحتجُّون ولكنَّه احتجاجٌ خافت، حتَّى الاحتجاج الخافت لا نكاد نسمعه! لم نسمع دولة إسلاميَّة تقول: هذا عيب، هذا حرام، هذه جريمة! لا يجوز كلُّ هذا. أين عشرات الدول العربيَّة والإسلاميَّة؟! لم نر من يستنكر، أين جامعة الدول العربيَّة؟ لم نسمع من أحد كلمة قويَّة، نعم سمعنا الاتِّحاد الأوروبي يقول: أوقفوا هذا النزيف. كثَّر الله خيرهم، أين المسلمون؟ أين أُمَّة الإسلام؟ ألسنا أُمَّة واحدة، ربُّنا واحد، ودينُنا واحد، وقرآننا واحد، وقبلتنا واحدة، وشريعتنا واحدة، وعقيدتنا واحدة، وعبادتنا واحدة؟ ألسنا إخوة؟ «**المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمُه**»[1]. ما معنى لا يسلمه؟ لا يتخلَّى عنه، لا يُسْلِمُه لغيره، لا يُفَرِّط فيه، في دمه وعِرْضِه وماله، هذا من مقتضيات الأخوَّة الإسلاميَّة.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

قوَّة المسلمين في الماضي:

كان المسلمون في عهود القوَّة للأمَّة عندما يُعتدى على فرد منها رجلًا كان أو امرأة، صغيرًا كان أو كبيرًا، على تباعد الديار، وتنائي الأوطان، يهتزُّ له المسلمون في أنحاء العالم، وقصَّة المرأة الَّتي ضُربت في الروم معروفة، حينما لطمها روميٌّ على خدِّها وصاحت: وامعتصماه، وامعتصماه. وبلغت هذه الصيحة مسامع الخليفة العبَّاسي المعتصم، فقال لها: لبَّيْكِ أختاه، لبَّيْكِ أختاه. وجيَّش الجيوش، وسار إلى أرض الروم، وكانت موقعة عمُّورية الشهيرة، وقد قال له أصحاب النظر في النجوم وعلماء التنجيم: الوقت الآن لا يناسب للذهاب إليهم، فانتظر حتَّى ينضج التين والعنب، وإلا يُخشى أن يُهزم جيشُك، فلم يستمع لهؤلاء، وقد كان النصر حليفه، وفي ذلك قال أبو تَمَّام قصيدته البائيَّة الشهيرة:

السَّيْفُ أصدقُ إِنباءً من الكُتُبِ ... في حَدِّهِ الحدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعبِ

بيضُ الصَّفائحِ لَا سودُ الصَّحائفِ فِي ... مُتُونِهِنَّ جلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ

وفي هذه القصيدة يقول:

تسعون ألفًا كآسادِ الشَّرَى نَضِجَتْ ... أَعْمَارُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ[1]

المهمَّ أن يكون موجودًا من يقول: لبَّيْكِ يا أختاه. أن يوجد الشعور بوَحْدة الأُمَّة، الَّذي يحملها على أن يحْمَى بعضها لبعض، ويثأر بعضها لبعض، ويغار بعضها على بعض، ولكنَّ الصورة والحالة الآن قد صوَّرها الشاعر السوري الشهير عمر أبو ريشة في قصيدته الرائعة المِيمِيَّة الشهيرة:

---

(١) انظر القصيدة كاملة في شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي (٣٢/١ ـ ٤٩)، فهرسة راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

ربَّ وا معتصماه انْطَلَقَتْ ... ملءَ أفواهِ الصبايا اليُتَّمِ
لامست أسماعَهم لكنَّها ... لم تلامسْ نَخْوَةَ المُعْتَصِمِ

وكذلك عمر بن عبد العزيز لما بلغه أنّ أسيرًا في بلاد الروم أُهين وأُذِلَّ وكذا، كتب إلى ملك الروم يقول له: بلغني أنَّ أسيرًا عندكم يُفعل به كذا وكذا، فإذا بلغك كتابي هذا فأطلق سراحه، وإلَّا غزوتُكَ بجنودٍ أوَّلها عندك وآخرها عندي[1].

كانت الأُمَّة قبل ذلك تقول وتفعل، أمَّا الآن حتَّى الكلام لا تتكلَّم، أُمَّة بهذا العدد الكبير لو صرخت لسمِعَتْها الدُّنْيا كُلُّها، ولكنْ حتَّى الصراخ لا تصرخ.

المُقَدِّم:

فضيلة الشيخ، هذه النخوة في الأُمَّة الإسلاميَّة غابت أم نائمة؟

الشيخ القرضاوي:

سبب ضعف الأمة:

لا شكَّ أنَّ الأمَّة أصابها الوهن الَّذي أخبر به النبيُّ ﷺ في الحديث الشريف: «**وليَقْذِفَنَّ اللهُ في قلوبكم الوهن**»[2]. ومرحلة الوهن هي المرحلة الغثائيَّة في حياة الأمَّة: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تَدَاعى الأكلةُ إلى قصعتها**». فقال قائل: ومن قلَّة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنَّكم غثاءٌ كغثاء السَّيْل**»، غثاء السيل: هو ما يجرفه السيل من

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد بن عبد الحكم صـ ١٤٨.
(٢) سبق تخريجه صـ٢٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قشٍّ وحطب، وأخشـــابٍ وأعواد، وأوراقٍ وأغصان، أشياء من خصائصها أنَّها خفيفة ســـطحيَّة، وأنَّها غير متجانسة، وأنَّها لا هدف لها، لأنَّ السيل ليس له هدف؛ لأنَّه ليس له مجرًى معلوم، ولا مصبٌّ مرســـوم، النهر له مجرى، له منبع، وله مصبٌّ، إنَّما الســـيل يذهب في اتِّجاهات مختلفة، تارة يمين، وتارة يسار، فالأمَّة في المرحلة الغثائيَّة، ليس لها هدف، ليس لها طريق واضح، ســـطحيَّة خفيفة، ليس بين أعضائها وأفرادها تجانُس وتوافق؛ لأنَّ التجانس إنَّما يأتي من الالتفاف حول منهجٍ واحد، والمنهج الَّذي يُوَحِّد الأمَّـــة هو منهج الإســـلام، الله ﷻ يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

فالأُمَّة عندما تفرَّقت عن هـــذا المنهج وهذا الصراط الإلٰهي، تفرَّقت بها السُّبُل، وتشعَّبت بها الآراء، وســـارت يمينًا ويسارًا، ويمين اليمين، ويسار اليسار، ووســـط اليمين، ووسط اليســـار إلى آخره، وقد نتج عن ذلك أن ضعُفت الأُمَّة وعاشـــت هذه المرحلة، مرحلـــة الغثائيَّة، ولذلك قالوا: ومـــن قلَّة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئـــذٍ كثير، ولكنَّكم غثاءٌ كغثاء السَّيْل، ولينزعنَّ الله من صدور عدوِّكم المهابةَ منكم**».

كانت الأُمَّة تُنْصَر بالرعـــب، كما قال النبيُّ ﷺ: «**نُصِرْتُ بالرعب مسيرةَ شـــهر**»[1]. يعني بينه وبين الأعداء مسيرة شهر، صيحة الله أكبر تقذف في قلوبهم الرعب، ولكنَّ الآن نُزِعَ الرُّعْب والخوف من قلوب الأعـــداء، وقُذف في قلـــوب المســـلمين الوهْن، ولذلـــك قال ﷺ:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومســـلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

«**وليقذِفَنَّ اللهُ في قلوبكم الوهن**». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «**حب الدُّنْيا وكراهية الموت**»[١].

هم لم يسألوا عن المعنى اللُّغوي للوهْن، فمعناه معروف، وإنَّما سألوا النبيَّ ﷺ عن سرِّه وسببه، ما عِلَّته، ومن أين جاء؟ قال: «**حبُّ الدُّنْيا وكراهيةُ الموت**». أن يتشبَّث النَّاس بالدُّنيا، وتصبح الدُّنْيا أكبر همِّهم، ومبلغ علمهم، ومحور تفكيرهم، ومن اتَّخَذ الدُّنْيا ربًّا اتَّخذته الدُّنْيا عبدًا، هؤلاء أصبحوا عبيد الدُّنْيا وليسوا عبيد الله، أحبُّوا الدُّنْيا، ثُمَّ بعد ذلك كرهوا الموت، خافوا من الموت، المسلمون في زمن الصحابة كانوا لا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم.

أيُّ يَوْمَيَّ مِنَ الْمَوْتِ أَفِرّْ ... يَوْمَ ما قُدِّر أو يومَ قُدِرْ
يَوْمَ مَا قُدِّرَ لَمْ أَخْشَ الرَّدَى ... وإذا قُدِّرَ لم يُغْنِ الحَذِرْ[٢]

كان خالد بن الوليد يخاطب قادة الفرس والرُّوم يقول لهم: افعلوا كذا وكذا وإلَّا غزوتكم بقوم يحبُّون الموت كما تحبُّون الحياة[٣]! يحبُّون الموت، يحبُّون أن يُسْتَشْهَدوا في سبيل الله، ويعتقدون أنَّ الموت هو عين الحياة، الموت ليس فناءً، لا، هذا الموت يَحْيَوْن به حياةَ الخلود: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٨.

(٢) بلفظ مشابه في ديوان الإمام علي بن أبي طالب صـ ٦٨، ونسب البيت الأول منهما البحتري في الحماسة صـ ١٠٤، تحقيق د. محمَّد إبراهيم حُوَّر وأحمد محمد عبيد، نشر هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

(٣) سبق تخريجه صـ١٤٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فمصيبة الأمَّة في هذا الوهن النفسي هذا الضعف الأخلاقي، هذا الوهن الَّذي أصابها من الداخل.

بناء الأُمَّة من الداخل أولًا:

ولذلك إذا أردنا أن يكون لأمَّتنا مكانٌ تحت الشمس، لا بدَّ أن نبنيها من جديد، لا بدَّ أن نبنيها بناء نفسيًّا، القرآن الكريم وضع لنا هذه القاعدة النفسيَّة الهائلة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. المُصْلِحون الحقيقيُّون كالشيخ ابن بَادِيسَ والشيخ حسن البنَّا وغيرهما، حينما أرادوا أن يبنوا الأمَّة، عملوا على بنائها نفسيًّا من جديد، لا بدَّ أن نبنيها من الداخل نفسيًّا وفكريًّا واجتماعيًّا، الأمم لا تقاد من ظاهرها، ولكن تقاد من ضمائرها، فالأُمَّة في حاجة إلى هذا البناء الجديد، حتَّى يرهبها أعداؤها، حتَّى تعرف قدر نفسها، ولا تُفَرِّط في عِرْضها، ولا تتهاون مع من ينتهك حرماتها، ولا تستباح يمينًا وشمالًا.

المقدَّم: فضيلة الشيخ، سائل يسأل ويقول: لا يوجد تكافؤ عسكري وتقني بين الروس والشيشانيِّين، أليس من الأفضل أن يسلكوا معهم طريق المفاوضات والحلِّ السِّلْمي حتَّى لا تُزهق دماءُ المسلمين في حرب غير متكافئة؟

فضيلة الشيخ:

كأنَّ الإخوة في الشيشان هم الَّذين بدؤوا الحرب وشنُّوها على الروس، أهل الشيشان هم الَّذين أُعلن عليهم الحرب، هذا الكلام قد يكون صحيحًا لو أنَّ الشيشانيِّين هم الَّذين بدؤوا الحرب. الشيشانيُّون هم الَّذين يُعتدى عليهم، وهم قبل ذلك طلبوا الاستقلال عن روسيا،

QaradawiBooks.com

شأنهم في ذلك شأن جميع الدول الَّتي استقلَّت عن روسيا بعد انهيار الاتِّحاد السوفيتي، ولكنَّهم لم يفعلوا معهم ذلك، رغم الجهود السِّلْميَّة الَّتي بذلها الشيشانيُّون للحصول على استقلالهم.

والواقع أنَّ الشيشان غير الشعب الروسي، الشيشان من القوقاز، وهؤلاء رُوس، والوطن غير الوطن، والجنس غير الجنس، والدِّين غير الدين.

الواقع أنَّ الشيشانيِّين يختلفون عن الرُّوس في الجنس، الشيشانيُّون من جنس القوقاز، فكيف تضمُّ أناسًا بالقوَّة إليك؟

والأخ الَّذي ذكر قضيَّة تيمور في إندونيسيا، تيمور هذه جزء من إندونيسيا، وهي جزيرة قسم شرقي، وقسم غربي، فأخذوا جزءًا وأرادوا أن يفصلوه، وفي مرحلة من مراحل ضعف من الدولة استطاعوا أن يحصلوا على إجراء استفتاء على الانفصال، وهذا كان خطأ؛ لأنَّه لا يجوز للدولة أن تتنازل عن جزءٍ منها يُجرى فيه استفتاء، هذا لا يجوز، خاصَّة أنَّ عدد سكَّان تيمور قليل، سبعمائة ألف، ليس عندهم مُقَوِّمات الدولة، من الناحية العدديَّة، ولا من الناحية الإستراتيجيَّة، ولا من الناحية الاقتصاديَّة، ومع هذا رحَّبوا بهذا، وأمدُّوه بكلِّ قوَّة، وجعلوا منها قضيَّة.

الشيشانيُّون فُرِضَ عليهم الحرب:

الشيشانيُّون لم يبدؤوا، ولكن فُرِضَتْ عليهم الحرب، كما قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. فالَّذي يقول: إنَّهم يلقون بأيديهم إلى التهلُكة، فهمُه غير صحيح، هم الَّذين فُرِضَ عليهم هذا الأمر وأُجْبِروا على خوضه،

QaradawiBooks.com

والله تعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، لم يقلْ: أعدوا لهم مثل ما عندهم من قوَّة، لا، ما استطعتُم، أنت تحارب بما تقدر عليه، والله سبحانه يُكَمِّل لك الباقي.

ونحن لم نطلب من المسلمين أن يكونوا جيوشًا ثمَّ يذهبوا إلى الحرب معهم ضدَّ الروس، إنَّما نقول: أيُّها النَّاس احتجُّوا، قولوا (لا) بملء أفواهكم، قولوا هذا لا يجوز، والمسلمون عندهم من القدرات ما يستطيعون أن يوقفوا بها هذه الحرب، لو توفرت عندهم الإرادة، المسلمون عندهم قدرات سياسيَّة، وقدرات اقتصاديَّة، وقدرات دبلوماسيَّة، ولهم كلمة مسموعة، الأُمَّة المسلمة بمجموعها تستطيع أن تُؤَثِّر لو أردنا أن نفعل ذلك.

المقدِّم:

يقول السائل: ما يفعله الغرب بالمسلمين في الشيشان وفي غيرها من البلاد الإسلاميَّة مُخَطَّط مدروس للقضاء على الإسلام، ألا يجب على المسلمين أن يُخَطِّطوا لمواجهة ذلك وقد أمرهم الله بإعداد القوة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]؟

الصراع بين الحقِّ والباطل صراع أبدي:

الشيخ القرضاوي: ما يقوله الأخ السائل صحيح في الجملة، فالصراع بين الحقِّ والباطل، والهُدَى والضلال، وبين الخير والشرِّ، وبين الإيمان والكفر؛ صراع أبدي، الله ﷻ حينما خلق آدم خلق إبليس، خلق إبراهيم والنمرود، وخلق موسى وفرعون، وخلق محمَّدًا وأبا جهل، والله ﷻ يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]

QaradawiBooks.com

وهذا الصراع دائمٌ ومستمرٌّ بلا توقُّف، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧] فالمعركة مُسْتَمِرَّة، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] وهذا الَّذي يُطَمْئِنُنا، قوَّة هذا الإباء الإلٰهي، الله ﷻ يأبى إلَّا أن يُتِمَّ نُورَه، والله يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧] وهذا يفيد التشكيك، وهذا يعني أنَّهم لن يستطيعوا، فنحن مؤمنون أنَّ المعركة مُسْتَمِرَّة، ولكن لا بدَّ أن نواجهها أيضًا، صحيح أنَّنا نقول: الله ناصرٌ للمؤمنين، ولكنْ بأيِّ شيء ينصر المؤمنين؟ ينصر المؤمنين بالمؤمنين، الله ﷻ يقول لرسوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، فالنصر للمؤمنين، والنصر بالمؤمنين.

الأخذ بأسباب النصر:

ولذلك لا يجوز لنا أن ننتظر نصر الله تعالى دون أن نأخذ بأسباب هذا النصر، ومن هذه الأسباب أن ينصر المؤمنون بعضهم بعضًا، وأن يهبُّوا لنصرة إخوانهم، فالله تعالى ينصر المؤمنين المترابطين، كما قال: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

ومن هذه الأسباب أيضًا: أن ينصر الله تعالى المؤمنين بالتزامهم بشرعه، والامتثال لأمره، كما قال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]، فلا يجوز لنا أن نستسلم للهجمات الَّتي ذكرها السائل الكريم في سؤاله.

QaradawiBooks.com

مؤتمر كولورادو:

وأنا منذ سنوات حينما اجتمع ما سمَّاه حكماء كولورادو، وهم المُبَشِّرون الَّذين اجتمعوا في ولاية كولورادو الأمريكيَّة في سنة ١٩٧٨م، وكان اجتماعهم من أجل هدف مُعْلَن وواضح، وهو تنصير المسلمين في العالم! ورصدوا لذلك ألف مليون دولار، وأنشؤوا معهدًا ليُخَرِّج المتخصِّصين في التبشير بين المسلمين، وقد سمَّوْه «معهد زويمر»[١]، وهذه تسمية لها دلالتها أيضًا، فزويمر هذا أحد عتاة المُنَصِّرين.

فدعوتُ إلى مواجهة هذا المُخَطَّط، وعقد ندوات ومحاضرات في كثير من البلدان من أجل ذلك، ودعوتُ إلى إنشاء شيء مقابلٍ نواجه به هذا المخطط، ونجمع له ألف مليون دولار، كما جمعوا لمُخَطَّطهم ألف مليون دولار، وقلتُ في هذا: لو أنَّ كُلَّ مسلمٍ دفع في المتوسط دولارًا واحدًا، نستطيع أن نجمع الألف مليون دولار، وكان شعارُنا: ادفعْ دولارًا تُنْقِذْ مسلمًا.

فلا بدَّ لنا كما قال سيِّدنا أبو بكر لسيِّدنا خالد رضي الله عنهما: حاربْهم بمثل ما يحاربونك به، الرُّمح بالرُّمح، والسيفُ بالسيف، والنَّبْل بالنَّبْل[٢]. فإذا حاربنا هؤلاء بالنشاط الاجتماعي، حاربناهم بالنشاط الاجتماعي أيضًا، بالنشاط الخيري، واجهناهم بالنشاط الخيري، بالمدارس، نفتح مدارس، بالمستشفيات، نفتح مستشفيات، يحاربوننا في الشيشان بالقوَّة العسكريَّة، نحاول أن نصنع قوَّة عسكريَّة لنُوَاجههم بها.

---

(١) صمويل مارينوس زويمر، وهو مبشر أمريكي، رحالة وباحث (أبريل ١٨٦٧ ـ أبريل ١٩٥٢م)، أنشئ هذا المعهد وسُمِّيَ باسم زويمر تخليدًا لأعماله في سبيل التبشير، وكان الهدف الأول والأساسي من إنشاء المعهد هو تنصير المسلمين.

(٢) انظر: تفسير المنار (٢٠٤/٥)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

فقدان الأُمَّة للقيادة:

هذا هو المفروض إذا كانت الأُمَّة واعية لدورها ورسالتها ولذاتيَّتها، لا بدَّ لها أن تُخَطِّط لمثل هذا، وإنَّما المشكلة في أُمَّتِنا أنَّها تفتقد القيادة، أنا كنتُ أمازح الأخوة وأقول لهم: المسيحيُّون عندهم بابا، ونحن المسلمون ليس عندنا بابا ولا ماما. يعني ليس لنا قيادة، لا قيادة سياسيَّة، ولا قيادة دينيَّة للأُمَّة في مجموعها، وبسبب هذا أصبحت الأُمَّة تُضْرَب من هنا ومن هناك، ولا تجد من يدافع عنها!

فعلينا أن نعمل على إيقاظ الأُمَّة وبعثها من جديد، علينا أن نُحْيِي فيها أمر الأُمَّة الواحدة، الَّتي قال فيها النبيُّ ﷺ: «**المسلمون أُمَّة واحدة، يسعى بذِمَّتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم**»[1]. علينا أن نبعث فيها ذلك حتَّى تستطيع أن تدرك أنَّ الجراح من بعيد تُؤَثِّر على هذا من قريب، هذا هو المفروض، أن تعيش الأُمَّة برُوح الجسد الواحد، الَّتي يتألَّم فيها الجسد كلُّه ويتداعى لتألُّم عضوٍ واحد منه، مهما بعُد مكانه في خريطة الجسد.

المقدم:

فضيلة الشيخ، سائل يسأل ويقول: ربُّنا تبارك وتعالى لا يهلك القرى إلَّا بسبب ظلمها، وعدم إيمانها، وبُعْدها عن منهج الله تعالى، فهل ما يحدث في الشيشان بسبب ذلك؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

أنا أريد أن أذكِّر الأخ السائل أنَّ الشيشان خاضت حربًا منذ مدَّة ليست بعيدة ضدَّ الروس على جبروتهم وعلى قوَّتهم وعلى جيوشهم

(١) سبق تخريجه صـ٥٤٥.

QaradawiBooks.com

الجرارة وانتصرت فيها، فلو كان هذا الشعب شعبًا مُنْحَلًّا أو فاسدًا ما حقَّق نصرًا على الروس وهم بهذه القوَّة والجبروت، الروس الآن في الحقيقة يحاولون أن يثأروا لأنفسهم من الشيشان، ولذلك يتَّخِذُون الذرائع الباطلة، وليس لديهم أي حجَّة يعتمدون عليها في حربهم هذه، هم يقولون: نريد القضاء على الإرهابيِّين! أيُّ إرهابيِّين؟ قضيَّة داغستان انتهت منذ مدَّة، هم يريدون أن ينتقموا من الهزيمة السابقة، ويُدَمِّروا هذا البلد الآمِن، لم يَكْفِهم ما أصاب هذا البلد من قبل، فليس هذا بسبب فسقٍ أو فساد، وعلى قول أنَّهم عندهم فساد وفِسْق، فليس الرُّوس أفضل منهم استقامة وصلاحًا.

الشيشان شعب مسلم:

الشيشان شعبٌ مسلم، وعلى الفطرة، ولم يتخلَّ عن الإسلام، برغم ما قام به الروس من قتلٍ وتشريدٍ ونفيٍ لطمس الإسلام في نفوس المسلمين من الدول الإسلاميَّة الَّتي سيطر عليها بقوَّة الحديد والنار ليُكَوِّن منها اتِّحادَه.

المقدم: فضيلة الشيخ، سائل يقول: إنَّ كثيرًا في الغرب يقفون بجانب قضايا المسلمين، فلماذا لا يُذكر لهم ذلك؟

فضيلة الشيخ:

هناك من يقف بجانب المسلمين مُؤَيِّدًا في بعض الوقت لقضاياهم، وهذا يُشْكَرُون عليه، ولكنَّ الملاحظ في هذا التأييد أنَّه ليس من أجل الإسلام والمسلمين، وإنَّما من أجل تحقيق مصالحهم، وهذا واضح في قضيَّة كوسوفو، وفي قضيَّة أفغانستان، لم يقفوا مع المسلمين من أجل سواد عيونهم، ومن أجل الدفاع عن الإسلام والأمَّة الإسلاميَّة، وإنَّما

QaradawiBooks.com

مصالح معيَّنة، في أفغانستان أراد الأمريكان هزيمة الاتِّحاد السوفيتي، ولذلك فتحوا الباب للمسلمين، وذهب المجاهدون من شتَّى بلاد الإسلام، نفس الشيء في قضيَّة كوسوفو، بينهم وبين اليوغسلاف شيء يريدون تحقيقه، فهم يقفون مع قضايا المسلمين بحَسَب أهدافهم ومصالحهم، الآن ـ مثلًا ـ لهم هدف في تمزيق السودان والقضاء على وحدتها، فيريدون أن يفعلوا شيئًا يُبِيح لهم التدخُّل في جنوب السودان، وليس هذا من أجل الحقِّ، الغرب له معايير مزدوجة، يكيل بكَيْلَيْن وبثلاثة وأربعة، فهو للأسف ليس عادلًا ولا منصفًا.

المقدم: فضيلة الشيخ، متَّصل آخر يقول: في الحقيقة إنَّ القضيَّة ليست قضيَّة الغرب والأمريكان، وإنَّما هي في المقام الأوَّل قضيَّة المسلمين الَّذين تبعوا الغرب في مفهوم الإرهاب، والَّذي لا يُطَبَّق إلَّا على بلاد المسلمين، فالكلُّ يتدخَّل في بلاد المسلمين ويُنَكِّل بأهلها بدعوى أنَّهم يحاربون الإرهاب، والقضاء على العناصر الإرهابيَّة فيها، وهذا ما تدَّعيه روسيا لتُبَرِّر لنفسها الاعتداء على الشيشان في المرَّة الثانية، فهل لك أن تُلْقِي الضوء على هذه القضيَّة؟ جزاكم الله خيرًا.

الشيخ القرضاوي:

هل من المعقول والإنسانيَّة إذا وجد عدد من الإرهابيِّين في بلد، أن أضرب البلد بشيوخه وأطفاله، ورجاله ونسائه، وحُكَّامه ومحكوميه، والمدنيِّين والعُزَل من النَّاس ويُعتدى عليهم، وتُدَمَّر مدن كاملة، ويقتل أهلها ويُهَجَّرون منها، لوجود هذه العناصر الإرهابيَّة فيه؟! لو طبَّقنا ذلك، لطبَّقْناه في كلِّ البلاد؛ لأن كل بلد توجد فيها بعض العناصر الإرهابيَّة والمتطرفة، وتقوم أيضًا باعتداءات هنا وهناك.

QaradawiBooks.com

وأين هؤلاء الإرهابيُّون المزعومون؟ كان هناك جماعة في داغستان، فلماذا لم يذهبوا إليها وقَضَوْا عليهم؟ وداغستان نفسها سلَّموا وسكتوا، وما عادت قضيَّتُهم مطروحة، فما دخل الشيشانيِّين في هذا الأمر؟ وما هو الإرهاب؟ كل من يدافع عن حقِّه فهو إرهابي من وجهة نظرهم! فحماس الَّتي تقاوم المحتلَّ إرهابيَّة، منظمة الجهاد الإسلامي في فِلَسْطِين إرهابيَّة، كلُّ من يدافع عن حقِّه وحرماته أو يعمل على استرداد بلده وحُرِّيَّته، فهو إرهابيٌّ، وهم ليسوا إرهابيِّين بما يفعلونه!

المقدم:

فضيلة الشيخ، متصل آخر يطلب من فضيلتكم توجيه كلمة للدول الإسلاميَّة والحكومات الإسلاميَّة من أجل الضغوط الدبلوماسيَّة، ويطالب بقطع العلاقات الدبلوماسيَّة وغيرها.

فضيلة الشيخ القرضاوي:

هذا هو الَّذي نتحدَّث عنه من أوَّل الحلقة، ونحن نقول: إنَّ المسلمين قادرون على أن يفعلوا شيئًا إذا صمَّموا وعزموا، لا بدَّ أن تكون هناك إرادة قويَّة فاعلة نستطيع أن نقول بها لا هذا لا يجوز، لو عملت كلُّ دولة أدنى شيء، كما قال بعض الإخوة: نأتي بالسفير الروسي ونخبره بموقفنا من هذا الاعتداء، ونقول له هذا لا يجوز، ولن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا الأمر، كذلك ممكن أن نُقَاطِع اقتصاديًّا، فلكلِّ دولة مصالح تخشى عليها، والرُّوس وقفوا مع الإيرانيِّين ضدَّ الأمريكان، لماذا؟ لأنَّ لهم مصالح اقتصاديَّة، لو أنَّنا استخدمنا هذه المتناقضات لاستطعنا أن نفعل شيئًا، الله ﷻ جعل هذه الأشياء حتَّى يعيش الضعفاء، لا يُمكن الأقوياء أن ينفردوا بالعالم وحدهم، فنحن من خلال المتناقضات بين الكبار

QaradawiBooks.com

بعضهم وبعض، نجد لنا مجالًا واسعًا نتحرَّك فيه، ونستطيع أن نقول ونفعل شيئًا إذا كانت عندنا إرادة، المهمُّ أن تكون عندنا إرادة، والإرادة إنَّما تكون نتيجة الوعي والشعور بالمسؤوليَّة، وأنَّ الله سيسألنا، وأنَّ التاريخ سيُسَجِّل علينا، وأنَّ الشعوب ستحاسبنا يومًا.

المُقَدِّم: فضيلة الشيخ، متَّصِل آخر يتساءل بنبرة حزينة يقول: لماذا هذا السكوت من قبل المسلمين تجاه قضيَّة الشيشان؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

نحن أجبنا عن هذا من خلال حديث النبيِّ ﷺ: «**وليَنْزِعَنَّ اللهُ المهابة من قلوب عدوِّكم، وليقذفنَّ اللهُ في قلوبكم الوهن**»[1]. وهناك شيء آخر: أنَّ الأُمَّة فقدت الشعور بمسؤوليَّتها تجاه قضاياها الكبرى، وكذلك الإعلام الغربي له تأثير في هذه القضايا، الغرب عندما يتبنَّى قضيَّة يثيرها في وسائل الإعلام العالميَّة، في قضيَّة كوسوفا، الإعلام الغربي هو الَّذي ينقل الأحداث والأخبار عنها، وهو في نقله للأحداث يُعَتِّم على ما يجري حقيقة على أرض الواقع، في الشيشان لا يريد أن يُعَرِّفنا بشيء يُنَبِّهنا من غفلة، ويوقظنا من نوم، ونحن للأسف أتباع لهؤلاء، ونتأثَّر به.

ولذلك علينا نحن أن نُقَوِّي المسلمين، على الأقلِّ كما قال أحد الإخوة ندعو الله لهم، من لم يستطعْ أن يساعد هؤلاء فليدعُ لهم، من لم يستطعْ أن يُقَدِّم لهم المال فليُقَدِّم لهم الدعاء، هناك ثلاثمائة ألف نزحوا من ديارهم الآن ويتكاثرون، والشتاء مُقْبِل عليهم، ومحتاجون إلى مساعدات إنسانيَّة ماليَّة وعينيَّة، من لم يستطعْ يقول: يا ربّ، انصُرْهم. هذا الدعاء اعتقد أنَّه مدد رُوحي لهم، وقيمة كبيرة عند الله تعالى،

(١) سبق تخريجه صـ٢٨.

QaradawiBooks.com

خاصَّة دعوات المظلومين، وقد جاء في الحديث: «**دعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماوات، فيقول الربُّ** ﷻ: **وعِزَّتي لأنصرنَّكِ ولو بعد حين**»[(١)]. فإذا لم نستطع أن نمُدَّ يد المعونة المادِّيَّة، فعلى الأقلِّ نُقَدِّم لهم المعونة الروحيَّة، يا ربِّ، انصر هؤلاء، اللَّهمَّ خذْ بأيديهم، اللَّهمَّ خذ أعداءهم أخذَ عزيزٍ مقتدر، اللَّهمَّ رُدَّ كيدهم، وفلَّ حدَّهم، اللَّهمَّ إنَّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، الله أنزل عليهم بأسك الَّذي لا يردُّ عن القوم المجرمين، ندعو على هؤلاء.

المُقَدِّم:

فضيلة الشيخ، سائلٌ يسأل ويقول: إذا كانت الحكومات لا تدعم المسلمين في الشيشان، فلم لم يدعم المسلمون الحركات والجماعات الإسلاميَّة القانونيَّة والمعترف بها حتَّى تتمكَّن من مواجهة هذا الاعتداء؟

الشيخ القرضاوي:

والله أنا أقول: كلُّ من يعمل للإسلام، ونعتقد فيه الصدق والإخلاص والاستقامة، يجب أن ندعمه ونقف بجانبه، ونُقَدِّم له كلَّ ما نستطيع من دعمٍ وتأييد في أيِّ أرضٍ وبلد كان، في بلاد العرب، في خارج بلاد العرب، في بلاد الإسلام، في الجاليات الإسلاميَّة، يجب أن ندعم العاملين للإسلام في أيِّ بلد كان، وهذا واجب المسلمين تجاه بعضهم البعض، «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضُه بعضًا**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٩٧٤٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٥١٧..

QaradawiBooks.com

الَّذي أصابنا هو تفريط بَعْضِنا فـــي حقِّ البعض، اللَّبِنة خارج الجدار ضعيفة، إنَّما في داخل الجدار قوَّة، وهذا معنـــى الحديث الَّذي ذكرناه: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشُـــدُّ بعضُه بعضًا**»، فيجب علينا أن ندعم كلَّ من يعمل للإسلام بطريقة مشروعة، ولكن ماذا يملك أيضًا هؤلاء؟ هل يســـتطيعون أن يصلوا إلى الإخوة في الشيشـــان، يَوَصِّلون إليهم الدعم المادِّيَّ؟ هل يُمَكَّنُون من هذا؟ المشـــكلة أنَّ الطرق ليست مفتوحة أمام هؤلاء، فلا بدَّ من ضغط سياسي، حتَّى نستطيع أن نفعل شيئًا لإخواننا.

بعض الإخـــوة يريدون أن نُقَـــدِّم لهم الدعم العســـكري، وكيف لنا بالدعم العســـكري؟ ومن يُمَكِّنُك من هذا؟ ومهما كان الدعم العسكري لا نستطيع أن نقف أمام الروس، الحمد لله الإخوة في الشيشان يملكون من القوَّة والشـــجاعة ما يســـتطيعون به أن يدافعوا عن بلادهم حتَّى ولو سقطوا شهداء.

فنحن على الأقل نقوم بالأعمال الإغاثيَّة، الشهيد الَّذي يسقط وعنده أســـرة، النازح الَّذي ينـــزح من داره وبلـــده، كلُّ هـــؤلاء يحتاجون إلى مســـاعدة، فلا بدَّ من تقديم هذه المســـاعدة الإغاثيَّة، من مأوى وعلاج، وطعام وشـــراب وملبس، لا بدَّ أن نضغط على مؤسَّسات الأمم المُتَّحِدة لإيصال المعونات لهؤلاء.

المُقَدَّم: فضيلة الشيخ، متَّصل آخر يطرح قضيَّة ويقول: لو نظرنا إلى الأحداث الَّتي سبقت تدخُّل الروس الآن في الشيشان كان هناك أكثر من تفجير في روســـيا وفي غيرها، وراح ضحيَّته حياة أنـــاسٍ كثر، وأصابع الاتِّهام تتَّجه في الغالب إلى الشيشان، كما تذيع وسائل الإعلام الروسيَّة وغيرها، وترى أنَّ ذلك مُبَرِّرًا للدخول إلى الشيشان.

QaradawiBooks.com

الشيخ القرضاوي:

ما يحدث هذا يتمُّ على طريقة عكَّر عليَّ الماء بين الذئب والحمل، الذئب أراد أن يأكل الحمل ويقول له: عكَّرتَ عليَّ الماء. فقال الحمل: الماء يأتي من عندك وليس من عندي. القصَّة المعروفة، تحكَّم الذئب فاستسلمْ أيُّها الحمل، وهذه التفجيرات لم يُعرف من قام بها، وبعض الجهات تتَّهم أصابع بعض الروس أنفسهم في وقوع هذه التفجيرات حتَّى تُبَرِّر اعتداءها على الشيشان، وكذلك توجد صراعات بين جهات في الرُّوس بعضهم وبعض، وهذه الحرب لتصفية هذه الصراعات.

يعني رئيس الوزراء الَّذي يُرَشَّح ليخلف بوريس يلتسن، هو يريد أن يشغل النَّاس بقضيَّة عن الفساد المالي، وهو فساد خطير في روسيا بالمليارات، حتَّى ينشغل النَّاس عن هذا الفساد، أقاموا معركة ينشغل النَّاس بها، ودائمًا الساسة يفتعلون هذه المعارك حتَّى يغطوا بها على مفاسد وعورات في داخل البلاد.

المقدم: فضيلة الشيخ، نريد منك كلمة مختصرة للأخ الَّذي قال لماذا تتحدَّثون عمَّا يحدث للمسلمين في كلِّ مكان، ولا تتحدَّثون عمَّا يحدث في العراق، وهو أكثر وأشدُّ ممَّا يحدث ويقع في بلدٍ مسلمٍ آخر؟

فضيلة الشيخ:

والله أنا في كلِّ خُطَبي ومحاضراتي وصلواتي أدعو لكلِّ مسلمٍ مضطَهد في كلِّ مكان في العراق وفي غيرها، وأقف بقلمي ولساني ضدَّ المستكبرين والمُتَجَبِّرين والطغاة في الأرض بغير الحقِّ، ودعوتُ إلى مقاطعة إسرائيل، ومقاطعة الأمريكان، ومقاطعة البريطانيِّين، وكلِّ من يقف ضدَّ أي بلدٍ عربيٍّ أو بلدٍ إسلامي، فنحن نُعادي من يُعادي هذه الأُمَّة.

QaradawiBooks.com

من يقبل أنَّ أطفال العــراق يموتون من الجوع ومن البرد، ومن عدم وجود الألبان والأدوية؟! لا يقبل هذا إنسان فيه كرامة، لا نقول من يقبل هذا ليس فيه نخوة عربيَّة، ولكن ليس فيه كرامة إنسانيَّة، ما ذنب هؤلاء الأطفــال؟! مئــات الآلاف الَّذيــن يموتون ســنويًّا بأيِّ ذنــبٍ وجريرة يموتون؟! لا شــكَّ أنَّنا نؤيِّد أيَّ قوَّة تقف ضدَّ هؤلاء المُتَجَبِّرين، ونقف مع الحقِّ حيثما كان، ومع المســتضعفين في الأرض، والإســلام يحثُّنا على القتــال مــن أجــل المســتضعفين: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

المقدم:

جزاك الله خيرًا فضيلة الشيخ وأحسن إليك.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الإسراء والمعراج

المُقَدِّم:

الحمد لله ربِّ العالَمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيِّدنا ومولانا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

أيها الإخوة المشاهدون والمستمعون، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ونرحب بكم جميعًا في حلقة جديدة من برنامجكم «المنتدى».

أيُّها الإخوة المؤمنون، رحلة الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ معجزة ربَّانيَّة، ومنحة إلهيَّة، أكرم الله تعالى بها رسوله محمَّدًا ﷺ، بعد سلسلة متواصلة من المحن والابتلاءات الَّتي ألقت بثِقَلِها على قلب النبيِّ محمَّد ﷺ وأصحابه الصابرين المحتسبين، بداية من الحصار الاقتصادي الَّذي فرضته الجاهليَّة على النبيِّ ﷺ وأهله من بني هاشم وأصحابه المؤمنين معه، والَّذي استمرَّ ثلاثَ سنوات، جهد فيه المسلمون جهدًا شديدًا، حتَّى أكلوا ورق الشجر وجلود الأنعام، فعن سعد قال: «كُنَّا قومًا يُصِيبُنا ظَلَفُ العَيْش بمكَّة مع رسول الله ﷺ وشِدَّته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ومَرَنَّا عليه وصبرنا له، ولقد رأيتُني مع رسول الله ﷺ بمكَّة

خرجتُ من الليل أبول، وإذا أنا أسمع بقعقعةِ شيءٍ تحت بولي، فإذا قطعةُ جِلْدِ بَعِير، فأخذتها فغسلتها ثمَّ أحرقتها، فوضعتها بين حَجَرَيْن، ثمَّ استففتُها وشربتُ عليها من الماء، فقَوِيتُ عليها ثلاثًا»[1]. ثمَّ مرورًا بعام الحزن الَّذي فقد فيه النبيُّ ﷺ أعزَّ ناصِرَيْن له: زوجه الحانية خديجة رضي الله عنها الَّتي كانت وزير صدق له، وعمّه أبا طالب الَّذي كان ينافح ويدافع عنه، ويُعَضِّده ويناصره.

المقدم: «الإسراء والمعراج بين المعجزة والمنهج والتطبيق»، هذا هو موضع حلقة اليوم من هذا البرنامج الحواري المنتدى.

ومع بداية هذه الحلقة يسرُّني أن نرحب جميعًا بفضيلة الشيخ الفقيه العلَّامة الدكتور يوسف القرضاوي، حفظه الله تعالى، وأطال لنا في عمره، حيَّاكم الله فضيلة الشيخ.

الشيخ: حياكم الله يا شيخ منصور، وبارك فيكم.

المقدم: فضيلة الشيخ، من نظر إلى سيرة الأنبياء يجد أنَّ كلَّ نبيٍّ من الأنبياء يمكن أن يُقتدي به ويُتَّخذ أسوة في ناحية أو عدَّة نواح، ولكن لا يستطيع أن يُقتدى به في أمور كثيرة، مثلًا المسيح عليه السلام يستطيع الإنسان أن يقتدي به في زهده ورغبته في الآخرة، وقربه من الله، وحُبِّه للمساكين، ولكن لا يستطيع أن يقتدي به في السلم والحرب؛ لأنَّه عليه السلام لم يُسالمْ ولم يُحاربْ، لا يستطيع الزوج أن يقتدي به؛ لأنَّه لم يتزوَّج، ولا للأب أن يقتدي به؛ لأنَّه لم ينجب، ولا الجَد كذلك، ولكنَّ مُحَمَّدًا ﷺ هيَّأ الله له من الوسائل ومن الحياة ما جعل سيرته يمكن أن

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩٣/١)، نشر السعادة ـ بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

QaradawiBooks.com

يستفيد منها كل إنسان، فالغنيُّ يجد فيها مجالًا للاستنان والتأسي، والفقير يجد ذلك، والشابُّ يجد فيها، والشيخ يجد فيها، والمسالم وكذلك المحارب، والمنكسر وكذلك المنتصر، فسيرته ﷺ سيرة كاملة تستوعب جوانب الحياة كلها: جانبها العقدي، والتعبدي، والأخلاقي، والسلوكي، والتعاملي.

ولذلك يجب علينا أن نرجع إلى سيرته ﷺ بين الحين والآخر، خصوصًا العهد المَكِّي، فالسيرة المَكِّيَّة ـ أي العهد المكي، وهي ثلاث عشرة سنة ـ هي أغلب فترات الدعوة، وهذا العهد مجهول للكثير من الناس، حتَّى إنَّ بعض الكتَّاب في أحد أقطار الخليج قال: إنَّ النبيَّ ﷺ فشل في مكَّة، ولم يستطع أن ينجح في دعوته! وهذا يدلُّ على جهل كبير، فقد كان العهد المَكِيِّ عهد البناء والتأسيس، هؤلاء الَّذين ظلَّ النبيُّ ﷺ يتعهَّدهم بالغرس والرعاية في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وظلَّ يَعْرِض دعوته على القبائل فيها، ومعظم سور القرآن الكريم نزلت في العهد المَكِيِّ، فلا يمكن أن يُقال: إنَّه ﷺ فشل في دعوته؛ لأنَّه على أساس هذا العصر كانت الهجرة، الهجرة إلى المدينة انطلقت من مكَّة، ففي مكَّة كان النبيُّ ﷺ يخرج إلى القبائل في موسم الحجِّ يعرض عليهم دعوته، ويطلب منهم نصرته، حتَّى هيَّأ الله تعالى له اللقاء بالنفر من الأوس والخزرج من أهل المدينة، وتمَّت معهم بَيْعَتَي العقبة الأولى والثانية، والَّتي عاهدوا رسول الله ﷺ على أن يحملوه إلى ديارهم، وأن يسمعوا ويطيعوا له في العُسْر واليسر، والمنشط والمكره، وأن يحموه ممَّا يحموا منه نساءهم وأموالهم وأعراضهم وأنفسهم، ولهم بذلك الجنَّة، فكانت مكَّة هي المُنْطَلَق الأوَّل للهجرة إلى المدينة، الَّتي انطلقت منها الدعوة الإسلاميَّة لتنشر هديها، وليعم نورها أرض الله تبارك وتعالى.

QaradawiBooks.com

لذلك من المهمِّ أن نعرف قيمة العهد المَكِّي، وما حدث في العهد المَكِّي، هاتان الآيتان: آية الإسراء، وآية المعراج.

غير مرخصة للطباعة

الإسراء رحلة أرضيَّة:

الإسراء: رحلة أرضيَّة من المسجد الحرام بمكَّة، إلى المسجد الأقصى ببيت المَقْدِّس من أرض فلسطين.

المعراج رحلة سماويَّة:

أمَّا المعراج، فهو رحلة سماويَّة من المسجد الأقصى، إلى السماوات العلا، إلى مستوى لا يعلمه إلَّا الله تبارك وتعالى.

فالإسراء والمعراج هما آيتان: آية الإسراء، وآية المعراج.

الإسراء واقع بنص القرآن الكريم، سُمِّيَتْ باسمه سورة من سوره، وافتتح الله بذكره هذه السورة حينما قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

ومن هنا كان من كذَّب الإسراء ولم يؤمن به كافرًا بإجماع المسلمين؛ لأنَّه كذَّب صريح القرآن المقطوع به، المجمع عليه، المعلوم من حياة نبيِّ الله ﷺ بالضرورة.

أمَّا المعراج، فلم يُذْكَر في القرآن إلَّا من باب الإشارة، وذلك في سورة «النجم»، حيث قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٍ ۖ فَٱسْتَوَىٰ ۞ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ ـ الكلام عن جبريل الَّذي كان يأتي

QaradawiBooks.com

بالقرآن للنبـــي ﷺ ـ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۞ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۞ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۞ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۞ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۞ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۞ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۞ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۞ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١ ـ ١٨].

رأى النبيُّ ﷺ جبريل على صورته الملائكيَّة مرَّتين: مرَّة في الأرض، وهي الرؤية الأولى الَّتي كانت بالبطحاء، والمشـــار إليها في قوله تعالى في ســـورة التكوير: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، والرؤية الثانية هي الَّتي عند سدرة المنتهى في ليلة المعراج هذه.

المعراج جاء في القرآن بهذه الإشارات في هذه الآيات، ولكن الإسراء جاء صريحًا، وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ تُثْبت الإسراء والمعراج.

هذه الرحلة العظيمة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومن المسجد الأقصى إلى الســـماوات العُلا، كما ذكرت يا شيخ منصور، لها حكم ومقاصد.

الحكمة الأولى:

من هذه الحكم أنَّها جاءت تسرية عن رسول الله ﷺ، وتعزية له لما أصابه في ســـبيل الدعوة من متاعب وآلام، طوال هـــذه المدَّة الطويلة، فالقول الراجح في السنة الَّتي وقع فيها الإسراء أنَّه كان في السنة العاشرة من الهجرة، بعد عشـــر ســـنوات من الدعوة بصورها المختلفة، الفرديَّة والجماعيَّة، والسِّـــرِّيَّة والجهريَّة، وما لقي النبـــيُّ ﷺ وأصحابه من أذى واضطهاد، ومن مقاطعة اقتصاديَّة، فمن المعـــروف أنَّ أهل مكَّة فرضوا على النبيِّ ﷺ وأصحابه وأهل بيته من بني هاشـــم وبنـــي المُطَّلِب في

QaradawiBooks.com

شِعْبِ أبي طالب حصارًا اقتصاديًّا واجتماعيًّا، حتَّى أكلوا أوراق الشجر، حتَّى دَمِيَتْ أشداقُهم.

ولذلك أراد النبيُّ ﷺ أن يبحث عن أرضٍ أخرى، فذهب ﷺ إلى الطائف، إلى أهلها من قبيلة ثقيف، فرُدَّ ﷺ منهم بأقبح ردٍّ والعياذ بالله، قال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة[١] إن كان الله أرسلك.

وقال الآخر: أمَّا وجد الله أحدًا أرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا؛ لئن كنتَ رسولًا من الله كما تقول لأنت أعظمُ خطرًا من أن أردَّ عليك الكلام، ولئن كنتَ تكذب على الله ما ينبغي لي أن أُكَلِّمَك.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم، وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم: «**أمَّا إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عَنِّي**».

وكره رسول الله ﷺ أن يَبلغ قومَه عنه فيُذْئِرَهم[٢] ذلك عليه، فلم يفعلوا، وأغرَوْا به سفهاءهم وعبيدهم يسبُّونه ويصيحون به، حتَّى اجتمع عليه الناس، وألجؤوه إلى حائط لعُتْبة بن رَبِيعة وشَيْبَة بن رَبِيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه[٣].

النبي ﷺ لقي هذا كلَّه في سبيل الله تبارك وتعالى، ولجأ النبيُّ ﷺ إلى السماء بعد إعراض أهل الأرض ليناجي ربَّه، ويشكو له ضعف حاله، وقلَّة حيلته، وهوانَه على الناس، ويطلب منه النصرَ والمعونة في هذه المناجاة المشهورة: «**اللهمَّ إليك أشكو ضعف قُوَّتي، وقلَّة حِيلَتِي، وهواني على النَّاس يا أرحمَ الراحمين، أنت ربُّ المُسْتَضْعَفِين وأنت**

(١) أي ينزعها ويرمي بها.

(٢) يذئرهم عَلَيْهِ: يثيرهم عَلَيْهِ ويجرئهم.

(٣) السيرة النبويَّة لابن هشام (٤١٩/١، ٤٢٠).

QaradawiBooks.com

ربِّي، إلى من تَكِلُني؟ إلى بعيدٍ يَتَجَهَّمُني، أمْ إلى عدوٍّ مَلَّكْتَه أمري؟ إن لم يكن بك عليَّ غَضَبٌ فلا أبالي، ولكنَّ عافِيَتَكَ هي أوسعُ لي، أعوذ بنور وجهك الَّذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدُّنْيا والآخرة من أن تُنْزِل بي غضبَك، أو يَحِلَّ عليَّ سَخَطُك، لك العُتْبَى حتَّى ترضى، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بك»[(١)].

فجاءه النصر والعون من الله تعالى، أُرْسِلَ إليه مَلَكُ الجبال يقول له: إنَّ الله قد بعثني إليك، فإن شئت لأطبقنّ عليهم الجبلين. ولكنَّه ﷺ لم يرغب في ذلك، وإنَّما قال: «**بل أرجو أن يُخْرِجِ اللهُ من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يُشْرِكُ به شيئًا**»[(٢)].

فأراد الله تعالى أن يُعَزِّي النبيَّ ﷺ عمَّا أصابه، ويُسَرِّي عنه، فقال له: إنْ كان أهل الأرض قد أعرضوا عنك، فإنَّ أهل السماء يستقبلونك ويُرَحِّبون بك، فأنت لست بمنزلة هوان. فكانت هذه الرحلة تعويضًا وتسرية عن رسول الله ﷺ، كانت هذه الرحلة تكريمًا له ﷺ، كأنَّ الله تعالى أقام له حفل تكريم ينتظره فيه الأنبياء في المسجد الأقصى، وينتظرونه أيضًا على أبواب السماء، كلَّما قرع بابًا من أبوابها قال مَن فيها: من؟ قال: مُحَمَّد. قيل: وقد بُعِثَ؟ قال: نعم. فيقول له: مرحبًا بالأخ الصالح، والنبيِّ الصالح، أو مرحبًا بالنبيِّ الصالح، كما قال سيِّدنا آدم وسيدنا إبراهيم عليهما السلام، فهذا كان من الحكم من وراء هذه الرحلة[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني (٧٣/١٣)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٨٣٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٨٥١): فيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات. وضعفه الألباني في الضعيفة (٢٩٣٣)، عن عبد الله بن جعفر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٣١)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٥)، عن عائشة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٣٤٩)، ومسلم في الإيمان (١٦٣)، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

رؤية النبيِّ ﷺ لربِّه:

المُقَدِّم: فضيلة الشيخ، مُتَّصل يسأل ويقول: هل رأى النبيُّ ﷺ ربَّه ليلة المعراج؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

كأنَّ المُتَّصل حفظه الله يشير إلى قول الله تعالى والَّذي ذكرناه من سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٥]، والحقيقة أنَّ الصحابة اختلفوا في ذلك، هناك من قال: إنَّ النبيَّ ﷺ قد رأى ربَّه. وهذا رأيُ ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وهناك من أنكر هذا بشدَّة، كما فعلت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها حينما سمعت من قال: إنَّ الرسول ﷺ رأى ربَّه، فقالت: لقد قَفَّ شَعْرِي ممَّا قلتَ. وأنكرتْ هذا بشدَّة، والحديث الَّذي ذكرته يا أخ منصور: «**نور أنَّى أراه؟!**»[1]. يُؤَيِّد هذا الرأي، ومعناه أنِّي لم أؤهَّل في الدُّنْيا لهذه الرؤيا، في الآخرة الله تبارك وتعالى يُعطي النَّاس من القوَّة ما يستطيعون به أن يروا الله ﷻ.

والآيات الَّتي ذَكَرَتْ الرؤيا والَّتي ربَّما أشكلت على الأخ السائل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ليس المقصود بالرؤيا هنا الله ﷻ، وإنَّما المقصود بها جبريل عليه السلام، فقد رأى النبيُّ ﷺ جبريلَ على صورته الملائكيَّة مرَّتَيْن: مرَّة في الأرض، وهي الرؤية الأولى الَّتي كانت بالبطحاء، والمشار إليها في قوله تعالى في سورة التكوير: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، والرؤية الثانية هي الَّتي عند سدرة المنتهى في ليلة المعراج هذه.

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٧٨)، وأحمد (٢١٣٩٢)، عن أبي ذر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

وهذا واضح من السياق القرآني: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ٥ ـ ١٥]، فالكلام كلُّه عن جبريل الَّذي كان يأتي بالقرآن للنبيِّ ﷺ.

وممَّا يدلُّ على هذا أنَّ الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، قال: رأى من آيات ربِّه، ولو كان رأى الله، لقال: لقد رأى ربَّه؛ لأنَّ رؤية الله من أعظم الآيات، ولكنَّه قال: من آيات ربِّه، وفي سورة الإسراء يقول: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾، ليس لنُرِيَه ذاتَنا، أو أنفسَنا، وعلى كلِّ حال هذه قضيَّة نظريَّة، ليس من ورائها عمل، والبحث في القضايا الَّتي ليس من ورائها عمل، لا ينبغي أن يشتغل بها المسلم.

لا يستحيل في العقل وقوع الإسراء والمعراج:

حتَّى لو ناقشنا هذه القضيَّة مناقشة جدليَّة عقليَّة، فالعقل لا يستحيل ذلك، خاصَّة ونحن رأينا في عصرنا أنَّنا قد استطعنا أن نختصر المسافات، وأن نصنع من الوسائل ما يجعلنا نقطع ما بين القارَّات في أوقات قليلة محدودة، ولذلك لا يُستبعد أن يسخر الله تعالى لرسوله ﷺ الزمان والمكان، بحيث يذهب من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى في مدَّة قصيرة، ثمَّ يصعد إلى السماء، ثمَّ يرجع في نفس الليلة، هذا لا يستبعده العقل المجرَّد، الَّذي ينظر إلى الأشياء في ضوء الممكن والمستحيل والواجب، لا يجد هذا مستحيلًا، خصوصًا بعد أن رأينا في ظلِّ القوانين العلميَّة والمكتشفات العلميَّة، أشياء كان النَّاس يعتبرون أنَّها لا يمكن أن تحدث وتقع. يعني لو أنَّ إنسانًا من قرنين ـ أو حتَّى قرن من

QaradawiBooks.com

الزمن ـ قيل له: ما يحدث الآن من تقدُّم علميٍّ، وتطوُّر تكنولوجي، لاعتبر هذا جنونًا، فإذا كان العقل الإنساني استطاع بوسائله الخاصَّة أن يفعل هذا، فكيف بالله تبارك وتعالى وهو ربُّ البشر، وخالق القُوَى والقُدَر، الَّذي يقول للشيء كنْ فيكون؟!

الإسراء والمعرج بالجسد والروح معًا:

المقدم: فضيلة الشيخ، مُتَّصل آخر يسأل ويقول: هل كان الإسراء والمعراج بالجسد والرُّوح معًا، أم كان بالرُّوح فقط؟

لا شكَّ أنَّ الإسراء والمعراج وقع له ﷺ بحالته الكاملة لشخصه ﷺ الَّتي لا تفارق فيها الرُّوحُ جِسْمَها المقدور لها الحياة به ومعه، والأدلَّة على ذلك كثيرة، فالله تبارك وتعالى عندما تحدَّث عن الإسراء قال: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، وافتتاح هذا الحدث، أو هذه الآية بعَلَم التقديس الَّذي يرمز إلى عظمة الاقتدار الإلٰهي، وأنَّ قدرة الله تعالى لا يتعاظمها شيءٌ، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، والافتتاح بالتقديس لا يقال إلَّا في الأمور المستبعدة لتعاظمها، والَّتي لا تألفها مدارك العقول في متعارف الحياة، وقد تنكرها لأوَّل وهلة، نظرًا للسنن العامَّة الَّتي قام عليها نظام الكون.

وأيضًا الله تبارك وتعالى ذكر رسوله ﷺ بلفظ عبده، وهل العبد يطلق على الرُّوح والجسد، أم على الرُّوح فقط؟ إنَّه يطلق على الرُّوح والجسد معًا، ونظير ذلك في القرآن الكريم قول الله تعالى عندما تَحَدَّث عن رسوله ﷺ في مقام الدعوة قال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، ولا شكَّ أنَّ القائم الَّذي يدعو الله هو الشخص المؤلَّف من رُوح وجسد، ويتأكَّد ذلك أيضًا بإضافة التشريف والتكريم لهذا العبد المُكَرَّم الَّذي

QaradawiBooks.com

خصَّه الله بها في هـذا المقام، فقال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ لاستشـعار وقوع ما لم يكن في حُسْـبان العقول، ويزيـد هذا الأمر تأكيـدًا تحديد مبدأ الإسـراء ونهايته، وهذا في المتعارف لدى العقول لا يقـال إلَّا في أمر مادِّيٍّ يفيده الانتقال من مكانٍ إلى مكان.

وقد قال شوقي رَحِمَهُ اللَّهُ في هَمْزِيَّتِه:

يَتَسَاءَلُونَ وأَنْتَ أَطْهَرُ هَيْكَلٍ بالرُّوحِ أَمْ بِالْهَيْكَلِ الْإِسْرَاءُ؟

بهما سموْتَ مُطَهَّرَيْنِ كِلَاهُمَا نـورٌ ورَيْحَانِيَّـة وبَهَـاءُ[1]

فالإسراء والمعراج بالجسد والرُّوح معًا.

فالإسراء كان قطعًا بمقتضى منطوق الآية الكريمة ومفهومها وإشارتها ولوائحها بأكمل ما يطلق عليه لفظ «عبد» وهو شخص النبيِّ ﷺ المكوَّن من رُوحه وجسده، لم تفارق رُوحُه جسـده، ولم يفقد جَسَدُه رُوحَه في جميع لحظـات الرحلـة المباركة من المسـجد الحرام إلى المسـجد الأقصى، ومن المسـجد الأقصى إلى المسـجد الحرام ذهابًـا وأوبة، فلا وجه مطلقًا لصرف هـذه الحقيقة عن وجهها الَّذي تـدلُّ عليه الآية دلالة بيِّنة.

وأنا هنا أريد أن أؤكِّد على قضيَّة تحدَّث عنها الإمام ابن القيِّم[2] رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الَّذين يقولون: إنَّ الإسـراء كان بالرُّوح ليس معناه نفس القول للذين يقولون: إنَّ الإسـراء والمعراج كانت رؤيا مناميَّـة، لأنَّ الرؤيا المناميَّة أضعف من هذا بكثير، فكلُّ واحد يسـتطيع أن يرى في منامه أنَّه أصبح

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٣٩/١).

(٢) زاد المعاد (٣٦/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يملك العالم، ولكن الَّذي يقول بالروح يعني أنَّه ﷺ ذهب برُوحه، وليس رؤيا في المنام أو حُلم.

كيفيَّة الصلاة الَّتي صلَّاها النبيُّ ﷺ بالأنبياء:

المقدم: فضيلة الشيخ، متَّصلة تسأل وتقول: ما الصلاة الَّتي صلَّاها ﷺ ليلة الإسراء والمعراج؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

قالوا: إنَّ الصلاة الَّتي صلَّاها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء صلاة موروثة من عهد إبراهيم عليه السلام، ليست كهذه الصلوات الَّتي نُصَلِّيها الآن؛ لأنَّ هذه الصلاة المعروفة الَّتي نتعبَّد بها لله تعالى بكيفيَّتها هذه لم تُفْرَض إلَّا في ليلة الإسراء، وبعض العلماء يقول: إنَّها صلاة كانت فيها ركوع وسجود. والصلاة في اللغة الدعاء، وهذا قد يُؤدَّى بهيئات مختلفة، قد يكون فيها ركوع وسجود، وقد يكون غير ذلك.

حقيقة من رآهم النبي ﷺ يُنَعَّمون ويُعَذَّبون:

المقدم: فضيلة الشيخ، المتصلة نفسها تسأل سؤالًا آخر تقول فيه: هل المَرَائي الَّتي رآها النبيُّ ﷺ ليلة الإسراء والمعراج لأُناس يُنَعَّمون ويُعَذَّبون، هم من أهل البرزخ، أم من أهل الجنَّة والنار، أم أنَّ الله هيَّأ له ذلك؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

هؤلاء النَّاس لم يُخْلَقوا بعد، وإنَّما هي صور، كأنَّها تمثيل لما يمكن أن يَحْدُث، حتَّى يعرف النَّاس ما يكون لهم في الآخرة من ثواب وعقاب على أقوالهم وأفعالهم.

QaradawiBooks.com

حكم صيام يوم الإسراء والمعراج:

المُقَدِّم: فضيلة الشـــيخ، متَّصل من الإمارات يقول: هل يجوز صيام يوم الإسراء والمعراج؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

الإسراء والمعراج من أحداث السِّيرة الَّتي اختلف فيها الصحابة ولم يَضْبِطُوها؛ فإنَّهم ما كانـــوا يهتمُّون إلَّا بما كان وراءه عمل، ما كان وراءه حلال أو حرام، أو شـــيء يوجب عليهم عملًا معينًا، فكانوا يبحثون عنه ويُدَقِّقون فيه.

ولذلك اليوم الَّذي وقعت فيه الإســـراء والمعـــراج والاحتفال به في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، ليس فيه شيء مقطوعٌ به، وحتَّى لو قلنا: إنَّ الإســـراء والمعراج وقع في هذه الليلة تحديدًا، فإنَّه لم يشرع فيها صيام نهار، أو قيام ليل، وصيام يوم الإسراء لهذا المعنى من البدع الَّتـــي لا تُقْبَل؛ لأنَّ العبـــادات مبنيَّة على الاتِّباع، الأصـــل في العبادات التعبُّد، وقد قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هـــذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[1]. أي: مردود على صاحبه لا يُقْبَل منه شـــيء؛ لأنَّه على خلاف ما شرع الله تعالى ورسوله.

وممَّا حفظناه ونحن في الثانوية الأزهرية قول صاحب «الجوهرة»:

فَكُلُّ خَيْـــرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَـــلَفْ وكُلُّ شَـــرٍّ فِي ابتداعِ مـــن خَلَفْ[2]

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

(٢) انظر: شـــرح الصاوي على جوهرة التوحيد صـ ٤٣٦، تحقيق د. عبد الفتاح البزم، نشـــر دار ابن كثير، دمشق.

QaradawiBooks.com

هل علَّم جبريل النبيَّ ﷺ الصلاة ليلة المعراج؟

المُقَدِّم: فضيلة الشيخ، مُتَّصل يسأل ويقول: كيف صلَّى النبيُّ ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، مع أنَّ الصلاة فُرِضَتْ في المعراج، وهل علَّم جبريل النبيَّ ﷺ الصلاة ليلة المعراج؟

الرسول ﷺ منذ أن بعثه الله تعالى وهو يتعبَّد لله تبارك وتعالى بعبادة الصلاة، وقد قال الله تعالى في سورة العلق وهي من أوائل ما نزل في حقِّ أبي جهل عندما نهى النبيُّ ﷺ عن الصلاة عند الكعبة: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ٩، ١٠]، قد فرض الله تعالى على رسوله ﷺ قيام الليل بالعبادة من صلاة وغيرها إعدادًا لتحمل أعباء الرسالة والدعوة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۞ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۞ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٦].

وقد قلنا: إنَّ هذه الصلاة كانت من موروث إبراهيم عليه السلام، قد يكون فيها ركوع وسجود، وقد تكون دعاء، أو غير ذلك.

أمَّا الصلوات الخمس الَّتي فرضت ليلة المعراج، فعلَّمها جبريل للنبيِّ ﷺ في الأرض وليس في السماء، بعد رجوعه ﷺ من هذه الرحلة.

فعن جابر بن عبد الله، أنَّ النبيَّ ﷺ جاءه جبريلُ، فقال: قُمْ فَصَلِّهْ. فصلَّى الظهر حين زالت الشمس، ثمَّ جاءه العصر، فقال: قُمْ فَصَلِّهْ. فصلَّى العصر حين صار ظلُّ كلِّ شيءٍ مثله ـ أو قال: صار ظلُّه مثله ـ ثمَّ جاءه المغرب، فقال: قم فَصَلِّهْ. فصلَّى حين وجبت الشمس، ثمَّ جاءه العشاء، فقال: قُمْ فصَلِّهْ. فصلَّى حين غاب الشَّفَقُ، ثمَّ جاءه الفجر، فقال: قم فَصَلِّهْ. فصلَّى حين بَرَقَ الفجرُ ـ أو قال: حين سطع الفجر ـ ثمَّ جاءه من الغد للظهر، فقال: قُمْ فَصَلِّهْ. فصلَّى الظهر حين صار ظلُّ كلِّ شيء

QaradawiBooks.com

مثله، ثمَّ جاءه للعصر، فقال: قُمْ فَصَلِّهْ. فصلَّى العصر حين صار ظلُّ كُلِّ شـــيء مثليه، ثمَّ جاءه للمغرب وقتًا واحدًا لم يَزُل عنه، ثمَّ جاء للعشاء، حين ذهب نصف الليل ـ أو قال: ثلث الليل ـ فصلى العشـــاء، ثمَّ جاءه للفجر حين أســـفر جدًّا، فقال: قُمْ فَصَلِّه. فصلَّى الفجر، ثمَّ قال: ما بين هذين وقت[1].

البُعْد الرابع في الإسراء والمعراج:

المُقَدِّم: فضيلة الشيخ، مُتَّصل يقول: إنَّه قرأ للدكتور مصطفى محمود في كتابته عن الإســـراء والمعراج أنَّ في هذه الرحلة بُعْدًا رابعًا لا نراه، اخترقه النبيُّ ﷺ وتجاوز به بعد الزمان والمكان، فهل توافقه في هذا؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

الدكتور مصطفى محمود يقصد بذلـــك أنَّ النبيَّ ﷺ في هذه الرحلة الَّتي اختُصِـــرَ فيها الزمـــانُ والمكان، لم يَعُـــدْ خاضعًا للســـنن المادِّيَّة والطبيعيَّة الَّتي يخضع لها البشر في هذه الحياة، وخضع لقوانين أخرى هـــي قوانيـــن الآيـــات والمعجـــزات، والقوانيـــن الَّتي تحكـــم الآيات والمعجـــزات ليس هي القوانيـــن العاديَّة، ليس في القوانيـــن العاديَّة أن تُخرج العصا أو تضعها فتنقلب حيَّة، كما حدث لنبيِّ الله موســـى عليه السلام، فالآيات الَّتي يعطيها الله للرسل وتُسَمَّى المعجزات، هذه خارجة عن هذه القوانين المادِّيَّة الَّتي يعرفها الناس، ولهذا أعتقد أنَّ هذا هو الَّذي يقصده الدكتور مصطفى محمود.

---

(١) رواه أحمد (١٤٥٣٨)، وقال مُخَرِّجوه: إســـناده صحيح. والنسائي في المواقيت (٥٢٦)، وابن حِبَّان (١٤٧٢)، والحاكم (١٩٥/١)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، كلاهما في الصلاة. عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

مرتبة اليقين ودلائل الإيمان:

المُقَدِّم: فضيلة الشيخ، مُتَّصل آخر يسأل ويقول: سمعتُ من يقول: إنَّ الحكمة من هـذه الرحلة خاصَّة المعراج أن يرى الرسـول ﷺ آيات الله تعالى بعين اليقين، فهل هذا الكلام صحيح، خاصَّة أنَّنا نعلم أنَّ الحكمة منها مواساة النبيِّ ﷺ لفقد عمِّه أبي طالب وزوجه خديجة رضي الله عنها ؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

لا شكَّ أنَّ رحلة الإسراء والمعراج لها حِكَمٌ كثيرة ومقاصد مُتَعَدِّدة، ذكرنا منها أنَّها كانت تسرية وتسـرية للنبيِّ ﷺ عمَّا لَقِيَه في سبيل تبليغ الدعوة من أذًى واضطهاد، خاصَّة بعد فقده ﷺ لأعزِّ ناصرَيْن له: عمِّه أبي طالب الحامي والمدافع عنه خارج البيت، وزوجِه الحانية الرفيقة خديجة الَّتي كان يرجع إليها فتُخَفِّف عنه أحزان وآلام الخارج، وبفقده لهما اشتدَّ به الأذى، وزاد تجرُّؤ المشركين عليه.

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتَّى اعترضه سفيهٌ من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابًا. قال ابن إسـحاق: حدَّثني هشام بن عُرْوة، عن أبيه عُرْوة بن الزُّبَيْر، قال: لمَّا نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله ﷺ ذلك التراب، دخل رسولُ الله ﷺ بيتَه والترابُ على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسـل عنه التراب وهي تبكي، ورسولُ الله ﷺ يقول لها: «**لا تبكـي يا بُنَيَّة، فإن الله مانعٌ أباك**». قال: ويقـول بين ذلك: «**ما نالت مِنِّي قريشٌ شيئًا أكرهه حتَّى مات أبو طالب**»[1].

(١) سيرة ابن هشام (٤١٦/١).

QaradawiBooks.com

ولكن ليست هذه الحكمة هي الحكمة الوحيدة، ولكنْ هناك حكمٌ أخرى كثيرة، منها ما سأل عنه أخونا السائل: أن يُطلع الله تعالى رسوله ﷺ على آياته الَّتي تربط على قلبه، وتُثَبِّت فؤاده، ويرى دلائل الإيمان، لينتقل بها من علم اليقين، إلى عين اليقين، إلى حقِّ اليقين.

الإنسان في علمه ممكنٌ أن يترقى في هذه المراتب، كما طلب إبراهيم عليه السلام من الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، أراد أن ينتقل من علم اليقين، إلى عين اليقين، أو حقِّ اليقين، ولذلك أراه الله تعالى إحياء الموتى رؤية عَيْن: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وهناك حكمة أخرى، وهي أنَّ الله تعالى كان يُعِدُّ رسوله ﷺ لمرحلة من مراحل الجهاد المتواصل والكفاح المسلَّح، والصدام مع قُوَى الكفر والجاهليَّة بعد هجرته إلى المدينة، فأراد الله تعالى أن يُطْلِعه على هذه الآيات الكونيَّة ليرى من عظمة الله تعالى ما يُقَوِّي قلبه.

مثل ما حدث مع نبيِّ الله موسى عليه السلام، عندما أراد الله تعالى أن يُرْسِلَه إلى فرعون، قال الله تعالى له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۞ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۞ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۞ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۞ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٧ ـ ٢٢]،

لماذا؟ يقول الله: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ [طه: ٢٣] أي عندما تدخل على هذا الفرعون والطاغية الجبَّار، لا تخشى من مواجهته، فأنت

QaradawiBooks.com

تعلم أنَّك مبعوثٌ ممَّن يملك كُلَّ شيءٍ، ومن يستطيع أن يُغَيِّر قوانين كلِّ شيء.

الإعداد لمرحلة الجهاد في المدينة:

فكذلك أراد الله تعالى أن يشاهد رسوله صلى هذه الآيات، حتَّى إذا حارب المشركين، وحارب اليهود، وحارب المنافقين، وحارب المجوس، وحارب الرُّوم، يعرف أن وراءه قوَّة لا يمكن أن تعادلها قوَّة أخرى.

بيان منزلة الصلاة وأهميتها:

ومن الحِكَم المهمَّة من وراء حدث الإسراء والمعراج بالنبيِّ ﷺ: فرضيَّة الصلاة، ونحن نعلم الآن أنَّ الدول إذا كان لديها أمر مهمٌّ أو في غاية الأهمِّيَّة لدى دولة أخرى، لا تكتفي بإرسال رسالة للسفير تقول له يوجد كذا وكذا، وإنَّما عند الأمر المهمِّ تستدعى السفير ليحضر لديها لتُعْلِمَه بهذا الأمر.

ولمَّا كانت الصلاة لها أهمِّيَّتُها في دين الإسلام، فهي عمود الدين، ومفتاح الجنَّة، وخير الأعمال، وأوَّل ما يُحاسب عليه المؤمن يوم القيامة، والشعار الفاصل بين المسلم والكافر: «**بين الرجل وبين الشِّرْكِ والكُفْر ترك الصلاة**»[1]، «**العهد الَّذي بيننا وبينهم الصلاة، فمَن تركها فقد كفر**»[2]، وذكرها النبي ﷺ يومًا، فقال: «**مَن حافظ عليها كانت له نورًا**

(١) رواه مسلم في الإيمان (٨٢)، وأحمد (١٥١٨٣)، عن جابر.

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٣٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده قويٌّ. والترمذي في الإيمان (٢٦٢١)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، كلاهما في الصلاة، عن بريدة.

QaradawiBooks.com

وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة، ومَن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبيِّ بن خَلَف»[١].

وقال ﷺ: «**من فاتته العصر، فكأنَّما وُتِرَ أهلَه ومالَه**»[٢]، أي أصيب في أهله وماله وأصبح بعدهم وترًا فردًا، فإذا كانت هذه كارثة من فاتته صلاة، فكيف بمَن فاتته الصلوات كلُّها؟!

ولذلك ذهب جماعة من أئمَّة الإسلام إلى أنَّ تارك الصلاة كافرٌ خارجٌ عن مِلَّة الإسلام، وتساهل آخرون فقالوا: إنَّه عاصٍ فاسق يُخشى عليه فقدان الإيمان.

ومن أجل هذه الأهمِّيَّة للصلاة في دين الإسلام، فُرِضَتِ الصلاة وحدها في السماء، ليلة الإسراء والمعراج، بخطاب مباشر من ربِّ العالمين إلى خاتم المرسلين، فاستدعى الله سبحانه رسولَه، وعرج به إلى السماوات؛ ليخاطبه بفرض الصلوات عليه وعلى أُمَّته ﷺ.

حكم من ولد في الكُفْر ولم تبلغه الدعوة:

المقدم: فضيلة الشيخ، مُتَّصل آخر من قطرَ يسأل سؤالًا وإنْ كان خارج موضوع الحلقة عمَّن ولد في بلاد الكُفْر ولم تبلغه دعوة الإسلام، فهل يسأل ويحاسب يوم القيامة وما مصيره؟

---

(١) رواه أحمد (٦٥٧٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٨٣٢): إسناده جيد. عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٥٢)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٢٦)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي:

الأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فالله ﷻ لا يُعَذِّب إلَّا من بلغته الدعوة، وقد قال العلماء: لا بدَّ أن تبلغه الدعوة بلوغًا بَيِّنًا مُشَوِّقًا يحمل على البحث والنظر، حتَّى لو بلغته دعوةُ محمَّدٍ ﷺ، ولكن بلوغًا لا يحمل على النظر، سمع أنَّ رجلًا خرج من بلاد العرب، وأمسك السيف بيده، وظلَّ يقتل في الناس، ويأخذ النساء الجميلات ويتزوَّج منهنَّ، ولا يكتفي بواحدةٍ، بل يجمع بين الكثير منهنَّ، فهذه صورة مُنَفِّرة من هذا الدِّين، فهذا لم تبلغه الدعوة بلوغًا يحمله على البحث والنظر فيها.

الَّذي يدخل النَّار هو الَّذي جاء فيه قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، إذا تبيَّن له الهدى، ولكن أعرض عنه تكبُّرًا أو حسدًا كما قال الله تعالى في شأن اليهود: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، أو ظلمًا وعلوًّا، أو حبًّا للدُّنْيا، أو تقليدًا أعمى لآبائه وأجداده، ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢] إلى أيِّ شيءٍ من هذه الأسباب، يكون من أصحاب النَّار والعياذ بالله، ويكون غير ناجٍ في الآخرة.

الكثير من البشر لم يسمعوا عن الإسلام:

المُقَدِّم: فضيلة الشيخ، هناك في الواقع المعاصر من وُلِدَ في الغرب، ويعيش في أوربا وأمريكا، أكيد من عاش في هذه البلاد قد بلغه شيء

QaradawiBooks.com

عن الإسلام، خاصَّة في هذا العصر الَّذي أصبح العالم فيه قرية صغيرة، بسبب ثورة الاتِّصالات الكبرى.

فضيلة الشيخ القرضاوي:

أنا أريد أن أقول لك: هناك آلاف الملايين من البشر يعيشون ويموتون ولم يسمعوا عن الإسلام شيئًا، في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبيَّة آلاف الملايين لم يبلغهم شيء عن الإسلام، وهناك آخرون من أمثالهم لم يسمعوا عن الإسلام إلَّا ما هو مُشَوَّه، نحن لم نُبَلِّغ النَّاس.

كيف نُبَلِّغ النَّاس؟ لا بدَّ أن نكتب لكلِّ قومٍ أو جماعة بما يفهمون به من لُغَتهم، ليس عندنا ترجمة صحيحة للقرآن الكريم يرضى النَّاس عنها، قال لي أحد النَّاس إنَّه قرأ ترجمة للقرآن الكريم تُفَسِّر أصحاب النار؛ بأنَّهم الَّذين يملكون النَّار! ومن قال بهذا لم يتذوَّق أي معنى من معاني اللغة، فنحن لم نستطع أن نترجم حتَّى القرآن الَّذي هو أساس الملَّة، لم نحسن ترجمته ترجمة صحيحة، وأنت محتاج إلى قطارات بشريَّة هائلة لتبليغ دعوة الإسلام للناس أجمعين، فالإسلام رسالة الله للعالَمين.

الله ﷻ من علينا بنعمة عظيمة هي نعمة الإنترنت، فهل أحسنَّا استخدام هذه الوسيلة في تبليغ الإسلام؟ نحن حاولنا في ذلك، ولذلك أنشأنا موقع «إسلام أون لاين» على الإنترنت، لنُبَلِّغ دعوة الإسلام إلى العالم، فلا نستطيع أن نقول الآن إنَّ النَّاس قد بلغتهم دعوة الإسلام بصورة صحيحة تُشَجِّع على قبوله، والله ﷻ توعَّد بالنَّار من يُشَاقِق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى[1]، الكثير من النَّاس لم يتبيَّن لهم

(١) يعني قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الهُدَى بسبب تقصيرنا نحن، والقليلُ هم من بلغهم الهدى، ولكنَّهم آثروا الدُّنْيا على الآخرة تقليـدًا لآبائهم، أو اتِّباعًا للهوى، ولأسـباب مُعَيَّنة، فهؤلاء هم أصحاب النار.

حياة الأنبياء في قبورهم:

المُقَدَّم: فضيلة الشـيخ، مُتَّصل يقول: عندما التقى النبيُّ ﷺ بالأنبياء في المسجد الأقصى، لا شـكَّ أنَّهم كانوا أحياء، فهل أحياهم الله تعالى من قبورهم بأجسادهم وأرواحهم، أم بأرواحهم فقط؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

أنا والله مثل هذه الأمور لا أحبُّ الاستقصاء فيها، خاصَّة أنَّنا لم يأتِنا تفصيل نعتمد عليه في توضيحهـا، وأنا أظنُّ أنَّه لقاء رُوحي، أمَّا حقيقته فهذه أشياء لا نبحث عنها، مثل سؤال القبر، وعذاب القبر ونعيمه، فهذه غيبيَّات لا ينبغي أن نبحث عنها على وجه التدقيق والاستقصاء.

الحكمة من جمع الأنبياء للنبيِّ ﷺ ليلة الإسراء والمعراج:

كنتُ أودُّ أن يهتمَّ الأخ السـائل ويسـأل عن الحكمة في هذا، لماذا جمع الله تعالى الأنبياء والرسـل وصلَّـى بهم النبـيُّ ﷺ إمامًا في هذا الوقت؟ هذا هو المهمُّ، والحكمة في هذا هو إيذانٌ بنقل القيادة في البشر من أمَّة إلى أمَّة، كانت القيادة لبني إسـرائيل، فانتقلـت القيادة إلى أُمَّة جديدة تحمل الراية.

بنو إسرائيل انحرفوا وضلُّوا عن سواء السبيل، وحدث لهم ما حدث، حرَّفوا في شأن الألوهيَّة، وحرَّفوا في شأن النبوَّة، وبدَّلوا كلام الله، حتَّى تطاولوا على الله وعلى رسـله، فكان لا بدَّ أن تتغيَّر القيادة، وتنتقل إلى

QaradawiBooks.com

أمَّة جديدة هي أُمَّة محمَّد ﷺ، بقيادة العرب، فالصحابة أساسًا من أُمَّة العرب، وهم الَّذين قادوا مسيرة البشريَّة الجديدة، فهذا هو المعنى الَّذي يجب أن نستنبطه من هذا الموقف من دون البحث عن كيفيَّة جمع الله تعالى الأنبياء لرسوله ﷺ.

هناك أناس مولعون بالبحث عن الكيفيَّات، والبحث عن الكيفيَّات في مثل هذه الأمور يكون غير مُجْدٍ.

العمرة في شهر رجب:

المُقَدِّم: فضيلة الشيخ، مُتَّصل يقول يوجد كثير من المسلمين يذهبون في هذه الأيام إلى المسجد الحرام، ويؤدُّون العمرة، وقد يطلقون عليها عمرة رجب، وهناك كثير من المشايخ والعلماء ينكرون عليهم بشدَّة التواجد في هذا اليوم في المسجد الحرام، رغم أنَّه أفضل بقعة على وجه الأرض، فما رأي فضيلتكم في ذلك؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

أنا أرى أنَّ التعبُّد في كلِّ وقت مطلوب، والصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد، حتَّى المسجد النبوي والمسجد الأقصى، فإذا كان الإنسان موجودا في مكَّة، ويذهب لأداء العمرة، فلا شيء في ذلك.

ولكن هناك العمرة الرجبيَّة، اعتاد كثير من النَّاس أن يُؤدُّوها في شهر رجب، ولكن لم يثبت في الحقيقة أنَّ هناك عمرة رجبيَّة لها ميزة خاصَّة، العمرة الَّتي ثبت فيها الأحاديث بفضلها؛ هي العمرة في شهر رمضان، فقد جاء الحديث عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: لما رجع النبيُّ ﷺ من حجَّته

QaradawiBooks.com

قال لأمِّ سنانٍ الأنصاريَّة: «**ما منعكِ من الحجِّ؟**»، وفي رواية: «**أن تحجِّي معنا؟**» قالت: كان لنا ناضحٌ، فركبه أبو فلان ـ تعني زوجها وابنها ـ حجَّ على أحدهما، وترك الآخر يسقي أرضًا لنا، قال: «**فإذا كان رمضان اعتمري؛ فإنَّ عمرة في رمضان تعدل حجَّة معي**»[1].

ونحن كما قلنا لمن سأل عن الصيام في يوم الإسراء والمعراج: إنَّ العبادات تثبت بنصٍّ، ولم يثبت في فضل العمرة في رجبٍ نصٌّ، وخاصَّة أنَّ الجزم بأنَّ الإسراء والمعراج كان في شهر رجب وفي ليلة السابع والعشرين فيه غير مقطوعٍ به.

قضية فِلَسْطِين قضيَّة المسلمين جميعًا:

المُقَدِّم: فضيلة الشيخ، مُتَّصل من فِلَسْطِين من أرض الإسراء والمعراج يسأل عن مدى صحَّة القول الَّذي يقول: إنَّ المقصود من الإسراء والمعراج هو الربط الجغرافي بين مكَّة وفلسطين إضافة إلى الربط العقدي والديني؟ وإنْ صحَّ هذا القول يمكن أن يستند إليه أن تحرير فِلَسْطِين ليست مسؤوليَّة الفلسطينيِّين وحدهم، وإنَّما هي مسؤوليَّة الأمَّة كلها.

فضيلة الشيخ القرضاوي:

هذا أكيد، تحرير فِلَسْطِين هي قضيَّة المسلمين جميعًا، وقد رأينا أنَّ إقامة إسرائيل كانت مسؤوليَّة اليهود جميعًا، تنادَوْا لها من شتَّى بقاع الأرض، الَّذين أقاموا إسرائيل ليسوا هم يهود فلسطين، بالعكس لم يكن لهم عددٌ يذكر، وإنَّما جاؤوا بهجرات جماعيَّة من بلاد الشرق وبلاد

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في جزء الصيد (١٨٦٣)، ومسلم في الحج (١٢٥٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الغرب، وحتَّى من بلاد العرب، ومن غيرها، فإذا كانت إقامة إسرائيل والدفاع عنها هي مسؤوليَّة اليهود، فإن قضيَّة فِلَسْطِين هي قضيَّة المسلمين في العالم، ولحكمة أرادها الله ربط في هذه الرحلة بين المسجدين، فمُبْتَدأ الإسراء المسجد الحرام، ومنتهى الإسراء المسجد الأقصى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، حتَّى إنَّ الله تعالى لم يصف المسجد الحرام بشيءٍ، اكتفى بقوله: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، وفي المسجد الأقصى قال: ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾. وصف هذا المسجد بالبركة، حتَّى بركة ما حوله، فإذا كان ما حوله مباركًا، فكيف به هو؟ فكان هذا الربط ليدلَّنا على أنَّ من فرَّط في أحد المسجدين أوشك أن يُفَرِّط في الآخر؛ لأنَّ حرمة المسجد الأقصى بهذه الآية كحرمة المسجد الحرام.

فينبغي على المسلمين في أنحاء الأرض أن يهبُّوا لنجدة المسجد الأقصى، ويقفوا وراء الفلسطينيِّين العرب، وكما قلتُ: لو أنَّ الفلسطينيِّين سلَّموا أرضهم أرض النبوَّات والبركات، وفرَّطوا في القدس وفي المسجد الأقصى، فعلينا أن نقاومهم نحن المسلمين؛ لأنَّ الأرض أرض المسلمين، والمسجد الأقصى مسجد المسلمين، والدفاع عنه يجب أن يكون مهمَّة المسلمين.

واجب المسلم تجاه قضيَّة القدس وفلسطين:

المقدم: فضيلة الشيخ، فهمنا من ذلك أنَّ قضيَّة القدس هي قضيَّة محوريَّة في حياة المسلمين، ولكنَّ المسلم العادي الضعيف قد يتساءل ويقول: ماذا يجب عليَّ وعلى من هو مثلي ونحن لا نستطيع أن نعمل شيئًا؟

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي:

واجب كلُّ إنسان أن يفعل كل ما يستطيعه، لقد ذهبتُ إلى بلاد إسلاميَّة كثيرة، وقالوا لي: نحن نريد أن ندافع عن المسجد الأقصى، نحن مستعدُّون لأن نبذل أرواحنا، رؤوسنا على أُكُفِّنا للدفاع عن هذا المسجد الَّذي بارك الله حوله، ولكنْ قلت لهم: للأسف لا تستطيعون؛ لأنَّ المسجد الأقصى محاطٌ بعددٍ من الدول العربيَّة لا تسمح لكم بالذهاب إلى المسجد الأقصى، ولكن علينا أن نساعد المجاهدين والمرابطين حول المسجد الأقصى، يعني إذا كان إخوتنا الَّذين صمدوا إلى اليوم، إخوتنا في حماس، إخوتنا في الجهاد الإسلامي، هؤلاء الَّذين يبذلون كلَّ ما يستطيعون لتحرير المسجد الأقصى وتحرير القدس، هؤلاء يجب أن نساعدهم، وأن نقف بجوارهم، حتَّى تتحرَّر القدس، ويتحرَّر المسجد الأقصى، ويعود اللاجئون المُشَرَّدون إلى ديارهم، ويصبح من حقِّ الفلسطينيِّين إقامة دولتهم المستقلَّة، هذا هو واجب المسلمين في أنحاء الأرض.

المُقَدِّم:

جزاكم الله خيرًا فضيلة الشيخ وأحسن إليك.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

التربية الإسلاميَّة

المقدم:

الحمد لله ربِّ العالَمين، وصلى الله وسلم على سيِّدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه، واستنَّ بسُنَّته، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

(أمَّا بعد)

أيُّها الأخوة والأخوات، مشاهدينا ومستمعينا الكرام في كلِّ مكان، نُحَيِّيكم بتحيَّة الإسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يحلو اللقاء ويتجدَّد في ظلال الإيمان الوارفة، ويطيب الجلوس حول مائدة العلم والعلماء، فأهلًا بكم جميعًا في لقاء جديد مع إطلالة الدورة البرامجيَّة الجديدة لتليفزيون الإمارات من «أبو ظبي» مع برنامجكم المبارك «المنتدى».

كما أُثنِّي بالترحيب أصالةً عن نفسي ونيابة عنكم بسماحة الشيخ الفقيه العلَّامة الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله تعالى وأطال في عمره ونفعنا بعلمه.

ونُرَحِّب أيضًا بالإخوة المستمعين الكرام الَّذين انضمُّوا معنا إلى إذاعة القرآن الكريم في «أبو ظبي».

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

المُقَدِّم: حيَّاكم الله فضيلة الشيخ.

فضيلة الشيخ القرضاوي:

حيَّاكم الله يا أخ منصور وبارك فيكم.

معالم منهج التربية الإسلاميَّة وأهدافه:

المُقَدِّم: موضوعنا في هذه الأمسية المباركة يتوافق مع بداية العام الدراسي الجديد في عالمنا الإسلامي؛ التربية وتربية الناشئة همٌّ يؤرق الآباء والأُمَّهات، وهاجس في أذهان أهل هذا الشأن، ونحن ـ أهل الإسلام ـ ولله الحمد ورثنا منهجًا ربَّانيًّا قويمًا في التربية، فما هي معالم هذا المنهج؟ وما هي أهدافه؟ هذا ما سنحاول إلقاء الضوء عليه في هذه الأمسية.

ونحن معكم على الهواء مباشرة نستقبل اتِّصالاتكم واستفساراتكم حول الموضوع على هواتف البرنامج الَّتي ستظهر لكم تباعًا أسفل الشاشة.

المُقَدِّم:

نبدأ على بركة الله فضيلة الشيخ تُحَدِّثنا وتُحَدِّث المشاهدين والمستمعين عن مكانة التربية في الإسلام، وأهميَّتها، والحاجة إليها.

فضيلة الشيخ القرضاوي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيِّدنا حبيبنا وإمامنا وأسوتنا وقدوتنا ومُعَلِّمنا مُحَمَّد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتَّبع هداه.

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، اللَّهمَّ عَلِّمْنا ما ينفعنا، وانفعْنا بما علَّمْتنا، وزِدْنا علمًا، ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

وأحييكم أيُّها الأخوة وأُجَدِّد التحيَّة الَّتي قدَّمها أخي الشيخ منصور، وهي تحيَّة الإسلام، وتحيَّة الإسلام السلام، فالسلام عيكم ورحمة الله وبركاته.

لا شكَّ أنَّ التربية من أهمِّ الأمور خطرًا وأبعدها أثرًا؛ لأنَّها تتعلَّق بتنشئة الإنسان تنشئة سليمة متكاملة محقِّقة للأهداف من هذا الإنسان الَّذي ننشده، ونحن الآن نشكو من كثير من الانحرافات الَّتي يمارسها الشباب، وتمارسها الشابَّات، أو نشكو من جرائم لم تكن لهذه المجتمعات عهود بها من قبل، ونشكو من كثيرًا من السلوكيَّات الَّتي هي دخيلة على مجتمعاتنا، ونبحث عن هذه الأشياء، ونرى في النهاية أنَّ هناك خللًا في تربية الأجيال الجديدة؛ ولذلك كان التركيز على حسن التربية من الأمور الَّتي ينبغي أن يُبْدَأ بها، يعني هناك بما نُسَمِّيه فقه الأولويَّات، والتربية في حياتنا هي أولويَّة أولى.

ينبغي أن نهتمَّ بالتربية، وخصوصًا تربية الناشئين والناشئات، هؤلاء الَّذين نستطيع أن نغرس فيهم الصفات والعادات والأخلاق والأعراف، كما قيل: الطفل عجينة لَيِّنة قابلة للتشكيل، والشاعر العربي قديمًا يقول:

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي صِغَرٍ ... وَلَيْسَ يَنْفَعُ عِنْدَ الشَّيبَةِ الْأَدَبُ

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ ... وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوَّمْتَهَا الْخُشُبُ[1]

(١) من شعر سابق البربري. كما في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٣٦٠/١)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

ونحن نقول في المثل: «بعد ما شاب ودُّوه الكُتَّاب».

يعني الغُصْنَ الطريَّ اللَّيِّن، تحبُّ أن تُشَكِّله يلينُ لك، ويكون طوعَ بنانِك، ولكن بعدما يجفُّ ويصير يابسًا لا تستطيع أن تشكِّل منه شيئًا؛ لأنَّه لا يلين لك، صار خشبة لا يبقى لها إلَّا الكسر.

ولذلك كانت التربية من الصغر، وقديمًا قالوا: التعليم في الصغر كالنقش على الحجر. الحكيم الَّذي قال هذا، قيل له: الكبير أوفر عقلًا! قال: ولكنَّه أكثر شغلًا. ذهن الكبير وعقله مشغولٌ بأمورٍ وهمومٍ كثيرة.

أمَّا الصغير فهو خال القلب والفؤاد، إذا دخله شيء تمكَّن فيه، كما قال الشاعر:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا[1]

فالطفل الصغير يعيش مرحلة التمكُّن، ولذلك من المهمِّ أن نحسن تربية أبناءنا من الصغر، لماذا قال الرسول ﷺ: «**مُرُوا أولادَكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفَرِّقوا بينهم في المضاجع**»[2].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يُعَلِّمون أولادهم الصيام وهم يلعبون بالعِهْن[3]، ما زالوا صغارًا، فلماذا يُصَوِّمونهم؟ حتَّى يتعوَّدوا عليه؛

(١) البيت ليزيد بن الطثرية وينسب لغيره، انظر: شعر يزيد بن الطثرية صـ ٩٥، صنعة حاتم صالح الضامن، نشر مطبعة أسعد، بغداد.

(٢) رواه أحمد (٦٧٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وحسَّنه النووي في خلاصة الأحكام (٢٥٢/١)، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٢٣٨/٣)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٢٤٧)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٦٠)، ومسلم (١١٣٦)، كلاهما في الصيام، عن الربيع بنت معوذ.

QaradawiBooks.com

لأنَّ الخير عادة، والشرَّ عادة، فما لم يتعوَّد الخير من صِغَره، صعُب عليه في كِبَره؛ ولذلك قالوا عن الإمام الشافعي أنَّه قال:

ومَنْ لم يَـذُقْ ذلَّ التعلُّمِ سَـاعَةً تَجَرَّعَ ذُلَّ الجَهْلِ طُـولَ حَيَاتِهِ[1]

فلا بدَّ أن نبدأ من الصغر، نبدأ من الصغر ونبدأ البداية الصحيحة.

الحاجة إلى التربية حاجة أساسيَّة، وينبغي للجميع أن يشتركوا فيها، من الَّذي يقوم بالتربية؟ ليست المدرسة وحدها، وليس البيت وحده، البيت عليه مهمَّة، المَحْضَن الأوَّل في التربية هو البيت، والمحضن الثاني من الحضانة إلى الجامعة، والمسجد أيضًا محضن من محاضن التربية، والنادي أيضًا عليه واجب من واجبات التربية، وجميع المؤسَّسات المختلفة كلٌّ منها تقوم بدورها في قضيَّة التربية، والمشكلة أنَّ هذه المؤسَّسات تبني وغيرها يهدم، وكما يقول الشاعر:

مَتَى يَبْلُغُ البُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ؟!
وَلَوْ أَلْفُ بَانٍ خَلْفَهُمْ هَادِمٌ كَفَى فَكَيْفَ بِبَانٍ خَلْفَهُ أَلْفُ هَادِمِ[2]**؟!**

نحن نريد أن نبني جيلًا صالحًا يقوم في العصر الأخير مقام جيل الصحابة في العصر الأوَّل.

الصحابة رضوان الله عليهم هم الَّذين حملوا هذا الدين، ونشروا نوره في الآفاق، في مشارق الأرض ومغاربها، وأقاموا فيها دولة العدل والإحسان، وأنشؤوا خير أُمَّة أُخْرِجَتْ للنَّاس، وذلك بسبب تربية محمَّد ﷺ لهم.

---

(١) ديوان الشافعي صـ ٥٢، تحقيق د. مجاهد مصطفى بهجت، تحقيق دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٩م.

(٢) من شعر صالح بن عبد القدوس، كما في البيان والتبيين للجاحظ (٢٥٨/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

كان ﷺ المُعَلِّم الأوَّل والمُرَبِّي الأوَّل لهذا الجيل، الَّذي بدأ بدار الأرقم بن أبي الأرقم بجوار الصفا، ثلاثة عشر سنة في مكَّة، لم يكن هناك أحكام تشريعيَّة، التشريعات والعقوبات والحدود وتحريم الخمر وتحريم الربا، كلُّها نزلت في العهد المدني، إنَّما العهد المَكِّي ومدَّتُه ثلاثة عشر سنة كان عهد التأسيس، عهد التكوين، التكوين للجيل الَّذي سيحمل عبء الدعوة على كتفيه، وينشرها في العالم، ويجاهد في سبيلها، ويصبر ويصابر ويرابط، ويبذل النفس والنفيس من أجلها، هذا كان عمل النبيِّ ﷺ في هذه المرحلة الَّتي امتدت ثلاثة عشر سنة، تربية هذا الجيل، وهذا الجيل الَّذي ربَّاه النبيُّ ﷺ ربَّى الأجيال الأخرى.

ماذا كانت مهمَّة النبيِّ ﷺ ؟ الله تبارك وتعالى ربَّى نبيَّه مُحَمَّدًا ﷺ، وقد قال ﷺ: «**أَدَّبني ربِّي فأحسنَ تأديبي**». وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**﴾ [النمل: ٦] صنعه الله على عينه، ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾ [النساء: ١١٣]، والرسول ﷺ علَّم الصحابة، خير أجيال الأُمَّة، بل خير أجيال البشريَّة، لم تكتحل عين البشريَّة برؤيةِ مثل أصحاب رسول الله ﷺ الَّذين أثنى الله تعالى عليهم في القرآن، وأثنى الرسول ﷺ عليهم في الأحاديث، وأثبت التاريخ صِدْقَهم وصلابتَهم وإيمانَهم، هم الَّذين حفظوا لنا القرآن، هم الَّذين رووا لنا السنن، هم الَّذين نشروا الإسلام في آفاق الأرض، فهذا الجيل ربَّاه النبيُّ ﷺ ليربِّي به الأمم، فالتربية النبويَّة الأولى هي الأساس لهذه التربية، فنحن علينا أن نتشرب المنهج النبوي، منهج النبي ﷺ في تعليم أصحابه وتربيتهم؛ ليُقَدِّموا لنا نموذجًا أو نماذج بشريَّة رفيعة المستوى، هذا ما فعله النبيُّ ﷺ، فنحن في حاجة إلى هذه التربية أفرادًا ومجتمعًا.

QaradawiBooks.com

أُمَّتنا بحاجة إلى تنشـــئة أجيال جديدة، أوَّل ما نغرسه فيها الإيمان، والإيمان ليـــس كلامًا يُحْفَظ، بعـــض النَّاس يقولون نُحَفِّـــظ الطفل من الصفات كـــذا وكذا، هذا ليس الإيمـــان المطلوب فـــي التربية، الإيمان المطلوب رُوح ونور، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [الشـــورى: ٥٢]، فالإيمان رُوح ونور، هذا هو الإيمان، بعض النَّاس يقولون: لا يعرف الإيمـــان لا يحفظ كـــذا وكـــذا، الإيمان ليس حفـــظ كلمات ولا تلقين كلمات، بل هو غـــرس لمعانيه في النفـــوس والعقول، حتَّى يتحوَّل الإيمان إلى سلوك عمليٍّ في الحياة.

كيفيَّة غرس الإيمان في القلوب:

المقدم:

وكيف نغرس معاني الإيمان في قلوب الناشئة ونفوسهم، فضيلة الشيخ؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

حتَّى نغرس هذه المعاني في نفوس أبنائنا نحتـــاج أوَّلًا إلى المُعلِّم والمُرَبِّي الَّذي يمتلئ بهذه المعاني في نفسه، فيفيضها على غيره، ففاقد الشيء لا يعطيه، وقد ضلَّ من كانت العميان تهديه.

مشـــكلة كثير من المُعَلِّمين أنَّه ليس عنده هذه الرُّوح، عنده جفاف، ما عنده شـــيء يعطيه، أنا أقول لك: نحن ألفنا في وزارة التربية والتعليم في قطر، وكنت أنا مـــن ضمن المجموعة الَّتي ألَّفت عـــدَّة مؤلَّفات من الكتب في العلوم الشرعيَّة، وكانت بفضل الله تعالى مناهج حيَّة ودروس قيِّمة، هذه الكتـــب لم تجد المُعَلِّم الَّذي يُوصلهـــا إلى الطلاب، فماتت

QaradawiBooks.com

على لسان المُعَلِّم، المادَّة الحيَّة أماتها هذا المعلم، عندما تأتي بإنسان يشبه لوح الثلج لا بدَّ لهذه الثلجيَّة من تبريد وتجميد ما توضع عليه، وكذا المُعَلِّم تنعكس حالته على طُلَّابه.

فنحن محتاجون إلى المُعَلِّم المُرَبِّي، إنَّ وزارات التربية والتعليم فيما مضى كانت تُسَمَّى «وزارة المعارف» أي المعلومات، فوجدوا أن هذا الاسم لا يكفي، فليس المقصود أن نُلَقِّن النَّاس المعارف، ونحشو الرؤوس بالمعلومات، نحن مُهِمَّتنا أن نربِّي، أي أن نصنع الإنسان، الَّذي يؤدِّي مهمَّته في الحياة، ويعرف أنَّ له غاية، وأنَّ عليه واجبًا، وأنَّه يحمل عبئًا ورسالة، هذه مهمَّة التربية، ولذلك غيَّروا في معظم بلادنا العربيَّة عنوان الوزارة من «وزارة المعارف»، إلى «وزارة التربية والتعليم».

وحتى نغرس معاني الإيمان في النفوس الناشئة وقلوبهم؛ محتاجون أيضًا إلى الأب المربِّي، والتربية في المقام الأوَّل تقع مسؤوليَّتها على الوالدين خاصَّة الأب، فهو الَّذي يتولَّى شؤونها، ويقوم على توفير متطلباتها المادِّيَّة والرُّوحيَّة على حدٍّ سواء.

فالأب ربُّ الأسرة وهو الآمر والناهي فيها، والمراقب لأخلاق أفرادها، والمُرْشِد والمُوَجِّه لهم نحو طريق الخير.

ولا تختصُّ مسؤوليَّة الأب في البيت بالجانب المادِّي وتوفير الحاجات الحياتيَّة فحسْب، بل إنَّه مسؤول عن تهذيب أخلاق أفراد أسرته وتوجيههم وبنائهم ذلك البناء الإيمانيَّ الَّذي يمنعهم من الانحراف.

هذا هو دور الأب، ليس مهمَّة الأب أن يُشبع الرغبات المادِّيَّة للأبناء فقط، من مطعمٍ ومشربٍ ومسكن وغير ذلك، ثمَّ لا يُهمُّه بعد ذلك إيمانهم ولا أخلاقهم ولا سلوكهم، بعض النَّاس همُّه مع أولاده ماذا

QaradawiBooks.com

يريدون؟ فلوسًا، أعطيهم فلوسًا، يشترون شيئًا، أعطيهم ليشتروا ما يريدون. هذا ليس دور الأب فقط، دور الأب أن يُعنى بإيمان أبنائه، وأخلاقهم وسلوكهم، وأن يسلك بهم طريق الهداية والاستقامة، حتَّى يقيهم نار الله تعالى كما قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

أثر ما يَبُثُّ في وسائل الإعلام على قضيَّة التربية:

المُقَدِّم: فضيلة الشيخ، متَّصل يقول: كيف لنا أن نُرَبِّي أبناءنا مع هذه الموجة العاتية من البرامج والأفلام والمسلسلات والأغاني الَّتي تعرض على الفضائيَّات والَّتي يشاهدها أبناؤنا صباحَ مساءَ وهي تهدم في نفوسهم ما نَبْنِيه فيها ونُرَبِّيهم عليه؟

فضيلة الشيخ:

لا شكَّ أنَّ من المزعجات في عصرنا أنَّ الإنسان لم يعد هو وحده الَّذي يُرَبِّي أبناءه، هناك مُؤثِّرات من غير شكٍّ لها تأثير على الأبناء أكثر من الآباء والأُمَّهات، فما ذكره الأخ الفاضل الآن من تأثير التليفزيون والفضائيَّات، وتأثير الإذاعات، وتأثير الصحافة، وتأثير الشارع، وتأثير الأصدقاء، وتأثير الأندية، كلُّ هذه مؤثِّرات تؤثِّر على سلوك الأبناء وتَصَرُّفاتهم.

كان الإنسان من قبل هو المُؤَثِّر الأكبر في البيت، فأصبح البيت ليس كلُّ شيءٍ في هذا العصر، ولذلك الإنسان عليه أن يستعين بالله ﷻ على تربية أولاده ويدعو لهم، ويحاول بقدر الإمكان أن يبدأ من الصغر؛ لأنَّ البداية المُتأخِّرة تضيع على الإنسان فرصًا كثيرة، وقد قالوا من شبَّ على شيء شاب عليه، فالإنسان يبدأ من الصغر بقدر الإمكان مع أبنائه وبناته.

QaradawiBooks.com

والتربية ليست أوامر عسكريَّة، لا، التربية جوٌّ يعيش فيه الإنسان، التربية مناخٌ صِحِّي يتنفَّس فيه الإنسان، البيت الَّذي تكثر فيه المشاكل وتشتدُّ فيه النزاعات بين الأب والأمِّ بيت غير صِحِّيٍّ، مهما قُدِّمَتْ فيه من نصائح وتوجيهات للأبناء لا تُجْدِي معهم نفعًا، أب مثلًا يشرب السجائر، ثمَّ ينهى ولده عن شرب السجائر فلن يستجيبَ له؛ لأنَّ الفعل أبلغ من الكلام في النصيحة والتربية والتوجيه؛ ولذلك قالوا: حال رجلٍ في ألف رجلٍ أبلغ من مقال ألف رجلٍ في رجل؛ لأنَّ لسان الحال أفصح من لسان المقال، فالقدوة مُهِمَّة جدًّا؛ لأنَّ بها ينفع التعليم والتوجيه؛ وقد وصَّى عُتْبة بن أبي سفيان مُؤَدِّب وَلَدِه فقال له: ليكُنْ أوَّل ما تبدأ به من إصلاحك بَنِيَّ إصلاحك لنفسك، فإنَّ أعينَهم معقودة بعَيْنِك، فالحَسَنُ عندهم ما استحسنتَ، والقبيح عندهم ما استقبحت[1].

ولذلك كان تقريع الشاعر العربي للمُعَلِّم والمُرَبِّي الَّذي يخالف قولُه فعلَه شديدًا:

يا أَيُّهَا الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غَيْرَه ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السِّقَامِ وَذِي الضَّنَى ... كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
وَأَرَاكَ تُصْلِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا ... أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَقِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى ... بِالعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ[2]

(١) البيان والتبيين للجاحظ (٢/٤٨، ٤٩).
(٢) الأبيات للمتوكل الليثي. كما في الحماسة للبحتري صـ ٢٤٧.

QaradawiBooks.com

الصحبة وأثرها في التربية:

وكذلك الصحبة الصالحة، فالإنسان بقدر الإمكان يحاول أن يبحث عن الصحبة الصالحة لأبنائه، حتَّى لا يكون لهم أصدقاء سوء، ممكن أن يكون الولد طيِّب المعدن، ولكن يُبتلى بصحبة سيِّئة قد تقوده إلى الهاوية والعياذ بالله، بعض الآباء في غفلة عمَّا يحدث لأبنائهم وهذه مشكلة كبيرة؛ لأنَّ بعض الآباء يرى أنَّ مُهِمَّته هي أن ينجب الأبناء ثمَّ يتركهم بعد ذلك، ولا يعرف عنهم شيئًا! يأتي بالليل متأخِّرًا بعد منتصف الليل وقد نام الأبناء، ثمَّ يستيقظ الأبناء في الصباح ويذهبون إلى مدارسهم وهو نائم، فهو يأتي البيت وهم نائمون، ويخرجون من البيت وهو نائم، فمتى يراه الأبناء؟ أين المسؤوليَّة؟ «**كُلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته**»[(١)].

فلا بدَّ أن نهتمَّ بصحبة أبنائنا: من يَصْحَبُون؟ ونعرف أحوالهم وسلوكهم، وإذا رأينا خطأ نحاول أن نُنَبِّهم، ونحاول أن نُدخل لهم الصحبةَ الصالحة وأهل الخير منهم، وهذا أمر في غاية الأهمِّيَّة، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ الجليسِ الصالح والسوء، كحامل المِسْكِ ونافخ الكِير، فحاملُ المسك، إمَّا أن يُحْذِيَكَ، وإمَّا أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجد منه ريحًا طيِّبة، ونافخ الكير إمَّا أن يحرق ثيابك، وإمَّا أن تجد ريحًا خبيثة**»[(٢)]. فعلى الآباء أن يبذلوا ما في وُسْعهم، ثمَّ يتركوا الأمر لله سبحانه الَّذي بيده كلُّ شيء. ابذُرِ الحُبَّ، وارجُ الثمار من الربِّ. عليك أن تبذر الحبَّ وتضعها في التربة الصالحة، وتتعاهدها بالسقي والتسميد والرعاية وهكذا، فإذا جاءت آفة سماويَّة فأصابتها، فقد عَمِلْتَ ما عليك، علينا أن

(١) سبق تخريجه صـ١٤٥.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الذبائح والصيد (٥٥٣٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٨)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

نعمل وندعو الله بالتوفيق فيما نعمل، ندعو الله ﷻ أن يُصْلِحَ أولادنا ليحميهم من الفتنة ما ظهر منها وما بطن، خصوصًا فتن هذا الزمان وشرور هذا الزمان.

أدب الأطفال والاهتمام به:

المقدم: فضيلة الشيخ حفظه الله، أخونا صلاح اتَّصل يُنَوِّه بأهمية القراءة في تربية الأبناء، ويسأل عمَّا يقرأ الأبناء؟ وهل يقرؤون كلَّ شيء، وما هو نتاج الفكر الإسلامي في مجال تربية الأبناء؟ كما يسأل عن التربية الجنسيَّة للأبناء.

فضيلة الشيخ القرضاوي:

أوَّلًا أحبُّ أن أشكر للإخوة الَّذين أثنوا عليَّ، وأسألُ الله تبارك وتعالى أن يجعلني عند حُسْنِ ظَنِّهم، وأن يغفر لي ما لا يعلمون، وأن يُحِبَّهم الَّذي أحبُّوني من أجلي.

الأخ صلاح تَعَرَّض لموضوع في غاية الأهمِّيَّة، وهو أدب الأطفال، لا شكَّ أنَّ المكتبة الإسلاميَّة فقيرة إلى حدٍّ كبير في أدب الأطفال، ولكنَّ هناك محاولات كثيرة، غير أنَّها مجهولة عند الكثيرين، من قديم حاول الأستاذ سيِّد قُطْب رَحِمَهُ اللَّهُ والأستاذ عبد الحميد جودة السحَّار، كتابة قصص للأطفال[1]، الشيخ أبو الحسن الندوي كتب «قصص النبيِّين للأطفال»، الأستاذ كامل كيلاني كتب مجموعة قصص للأطفال ومعظمها جيِّدة، هناك إخواننا في شركة سفير في مصر، وهي شبكة نشر وإعلام،

(١) فقد ألفا معًا قصص للأطفال في عدة حلقات: قصص الأنبياء، قصص السيرة، قصص الخلفاء الراشدين، قصص العرب في أوربا.

QaradawiBooks.com

أصدرت أشياء كثيرة للأطفال، أخونا الشاعر الأديب يوسف العظم كتب أناشيد للأطفال على مستويات جميلة جدًّا، هناك الكثير من المكتوب والحمد الله، ومن بحث وجد، فيوجد عدد من الكتابات للأطفال، صحيح ليست على المستوى المطلوب، خصوصًا أنَّه يوجد في الجانب الآخر غزو لأطفالنا من الجهات الأخرى، والأخ يطلب مِنِّي أن أكتب في ذلك، ولعلِّي لو تفرغت لكتبتُ ذلك، ولكنِّي مشغولٌ بأشياء أخرى، وإنَّما أدعو الإخوة من الأدباء والكتاب وأصحاب الأقلام أن يُوَجِّهوا همَّتهم نحو هذه الناحية.

والمهمُّ في هذا المجال أن ننزل إلى عقليَّة الطفل، فالطفل يحتاج إلى كلام في غاية البساطة، وليس الكلام المُعَقَّد الَّذي لا يستوعبه فهمه وإدراكه؛ لأنَّ ثروة الطفل اللُّغَويَّة محدودة جدًّا، فالكاتب ينبغي أن يراعي ذلك في كتابته للأطفال، ويتدرَّج معهم شيئًا فشيئًا، فالكتابة للأطفال موجودة على كلِّ حال، والحمد الله.

المؤثِّرات الخارجيَّة في قضيَّة التربية:

المُقَدِّم: فضيلة الشيخ، مُتَّصل آخر يقول: نحن والحمد لله ما زلنا في الوطن العربي بخير، وما زالت القيم العربيَّة والإسلاميَّة سائدة، وعند المسلمين والحمد لله القدرة على المحافظة على هذه القيم، ولكنَّ المشكلة في المُؤَثِّرات الخارجيَّة الَّتي تأتي إلينا من خارج دار الإسلام، فكيف تكون الوقاية؟

الشيخ القرضاوي:

كلام الأخ لا شكَّ أنَّه مقبولٌ إلى حدٍّ كبير، بالمقارنة بغيرنا نحن نعتبر والحمد لله أفضل منهم بكثير جدًّا، فليست عندنا المادِّيَّة المسرفة،

QaradawiBooks.com

ولا الإباحيَّة المجحفة، ولا الانحلال الَّذي يصادم الفطرة، فما نراه هناك لا يقبل عندنا بصفة خاصَّة، ولا يقبله إنسانٌ سويٌّ بصفة عامَّة، للأسف يجب أن نعترف أنَّ الحضارة الغربيَّة بدأت تغزونا في عُقْر دارنا، وتغزو أبناءنا وبناتنا، وأنا عندي رسائل، وجاءتني مكالمات بالتليفونات، أشياء فاضحة ما كانت تحدث، وما نقرأه بالصحف ممَّا يحدث في بعض البلاد العربيَّة، أحداث وجرائم ما كانت تحدث من قبل، فهذا يدلُّ على أنَّ هناك غزوًا يجب أن نقي أنفسنا وأبناءنا منه، وكما يقولون: الوقاية خيرٌ من العلاج، وأصبح هناك غُزَاة من الداخل الآن! المسألة لم تصبح قاصرة على الخارج فقط من أفلام الكاوبوي والعنف وغير ذلك، أصبح في بلادنا إنتاج لهذه الأفلام، وأصبح بعض النَّاس يكتبون عن هذه المادَّة، وأصبحت الصور الخليعة تنشر في الصحف والمجلَّات، كلُّ ذلك موجود في مجتمعاتنا، فالواجب علينا أن نراجع أنفسنا، إذا أردنا أن نحافظ على نشئنا، وإلَّا سوف يأتي وقت يكون الزمام فيه قد أفلت من بين أيدينا، فنندم حين لا ينفع الندم، ونرجو الخلاص، ولاتَ حينَ مناص.

الثواب والعقاب في التربية:

المُقَدِّم: فضيلة الشيخ، بارك فيه، وأجزل لك الخير، مُتَّصل آخر من ليبيا يسأل عن قضيَّة الثواب والعقاب في التربية، متى يكون العقاب؟ وإلى أي مرحلة؟ وما هي الكيفيَّة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

أسلوب الثواب والعقاب هو أسلوب إلٰهي، الله ﷻ يُثيب من أحسن ويعاقب من أساء، والناس يقولون: من أمن العقوبة أساء الأدب، الإنسان عندما يسيء ولا يُؤدَّب ولا يُعاقب لا شكَّ أنَّه سيستمر في إساءته ويزداد

QaradawiBooks.com

فيها، فلا بدَّ من العقوبة، ولكن يجب أن نستعمل العقوبة بحكمة؛ لأنَّ بعض النَّاس قد تزيده العقوبة ضراوة على الانحراف، ويعاند أكثر، فلا بدَّ لنا من دراسة نفسيَّة الطفل، نفسيَّة الناشئ، ونعرف أي الأمرين يُجْدِي معه.

بعض النَّاس استعمال اللِّين معه أفضل من استعمال الشدَّة، وبعض الإخوة قال هذا، نحن نظنُّ أنَّ هذه الوسيلة إذا أثمرت مع طفلٍ تثمر مع طفل آخر، لا، كل طفل له نفسيَّة خاصَّة به، فلا بدَّ أن تُدْرَس نفسيَّة الطفل ونستخدم معه الوسيلة الَّتي تردُّه عن خطئه، بعض النَّاس قد يأتي ببسمة، بكلمة طيِّبة، وبعض النَّاس قد يحتاج إلى الشدَّة، وليست الشدَّة المُسْتَمِرَّة، ولذلك رأينا القرآن يوازن بين الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٨]: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

فالموازنة بين الثواب والعقاب والترغيب والترهيب أمرٌ واجب، والنبيُّ ﷺ قال في شأن الصلاة: «**مُرُوهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر**»[1]. فالضرب ثلاث سنوات، ماذا يعني هذا؟ يعني أنَّ النبيَّ ﷺ أعطى لوليِّ الأمر ثلاث سنوات من أجل أن يُحَبِّب الطفل في الصلاة، بالترغيب والمكافأة، وكما قلتُ مرَّة عند السبع سنوات ممكن نقيم له حفلة، ندعو إليها الأصدقاء، ولا مانع أن يُقَدَّم فيها شيء من الطعام أو الحلوى، نُسَمِّيها حفلة الصلاة، ثمَّ بعد ذلك في سنِّ العاشرة نقيم له حفلة أخرى ونقول له: هذه حفلة الضرب يا بطل. ونأخذ هذا

(١) سبق تخريجه صـ٦٢٥.

QaradawiBooks.com

الأمر بمزج الهزل بالجِدِّ بعض الشيء، حتَّى يعلم الولد أنَّ الأمر بالصلاة ليس كلامًا يقال، وأنَّه إنْ لم يُنَفِّذ فسوف يُعاقب على إهماله وتقصيره، فهذا هو المطلوب.

غير مرخصة للطباعة

حاجة التربية إلى القدوة:

المقدم: فضيلة الشيخ بارك الله فيك وأحسن إليك، مُتَّصل آخر يطلب من فضيلتك تفصيل الكلام حول مسألة القدوة في التربية باعتبارها أهمَّ الوسائل المُؤَثِّرة فيها.

فضيلة الشيخ القرضاوي:

نعم، الوسائل الَّتي ذكرها الأخ الفاضل، من التربية بالأحداث، والتربية بالعادة، والتربية بالموعظة، والتربية بالقصَّة، كلُّ ذلك وسائل مُهِمَّة في عمليَّة التربية، ولكنَّ أهم هذه الوسائل التربية بالقدوة، هذه أهم وسيلة، وكما قلنا: لسان الحال أفصح من لسان المقال، فالولد بدون كلام يتأثَّر بالبيئة الَّتي يعيش فيها ويختلط بأفرادها، وإنَّما تقول شيئًا وتفعل ضدَّه، هذا عاملُ هدم، وليس عمل تربية وبناء.

والنبيُّ ﷺ كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عامر، أنَّه قال: دعتني أُمِّي يومًا ورسول الله عليه السلام قاعد في بيتنا، فقالت: تعالَ أُعْطِكَ. فقال لها رسول الله عليه السلام: «**وما أردت أن تُعْطِيهِ؟**»، قالت: أعطيه تمرًا. قال لها رسول الله عليه السلام: «**أمَّا إنَّك لو لم تُعْطِه شيئًا كُتِبَتْ عليك كذبة**»[1]. فلا يجوز أن نقول للطفل كلامًا ثمَّ نكذبه بأفعالنا.

(١) رواه أحمد (١٥٧٠٢)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٩١)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٧٤٨)، عن عبد الله بن عامر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعض النَّاس قد يظــنُّ أنَّ هذا الكذب لا يســأل عنه الإنســان، وقد يُسَمُّونه بالكذب الأبيض الَّذي ليس فيه بأس، والنبيُّ ﷺ بين أنَّ الكذب يكتب كذبًا، والكُذيْبة الصغيرة تكتب عند الله تعالى، والكُذَيْبة أيضًا، في الحديث عن أسماء بنت عُمَيْس رضي الله عنها قالت: كنت صاحبة عائشة الَّتي هيَّأتها فأدخلتها على النبيِّ ﷺ في نسوة، فما وجدنا عنده قِرًى إلَّا قَدَحًا من لبن، فتناوله فشــرب منه، ثمَّ ناوله عائشة، فاســتحيتْ منه. فقلتُ: لا تردِّي يدَ رســول الله ﷺ. فأخذته فشــرِبَتْه، ثمَّ قال: «**ناولــي صواحِبَــكِ**»، فقلنْ: لا نشتهيه. فقال: «**لا تجمَعْنَ كذبًا وجوعًا**». فقلتُ: إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشــتهي، أيُعَدُّ ذلك كذبًا؟ فقال: «**إنَّ الكذب يُكْتَبُ كذبًا**» حتَّى أظنَّه قال: «**والكُذيْبة تُكْتَب كُذيْبة**»[1]. وهذا ما يستهين به الآباء والأمَّهات.

ولذلك قد نقول للطفل كلامًا، ثمَّ نُكَذِّبه بأفعالنا، مثل أن يأتي رجل إلى البيت يسأل عن أحدٍ فيه، فيقول الوالد لطفله: أخبره أنَّه غير موجود. وهو في الحقيقة موجود! وهذا أمرٌ له بأن يكذب، وكما قلت في مسألة الدُّخَان: هو يشــرب دخانًا، وفي نفس الوقت يطلب من ابنه ألَّا يشربه، فكيف يستجيبُ له ويسمع كلامَه؟

فالقدوة هي أعظم مُؤَثِّر، أن يرى الشــيء والقول مُجَسَّدًا في سلوكٍ عملي، وهــذا ما كان يفعلــه النبيُّ ﷺ مــع أصحابه، بأيِّ شــيءٍ كان النبيُّ ﷺ يُرَبِّي أصحابَه؟ كان بالقدوة والأسوة، كما قال الله تعالى عنه:

---

(١) رواه أحمد (٢٧٤٧١)، وقال مُخَرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (١٥٥/٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦١٥١): رواه أحمد، والطبراني في الكبير، وفيه أبو شدَّاد عن مجاهد، روى عنه ابن جريج، ويونس بن يزيد، وبقية رجاله رجال الصحيح، إلَّا أنَّ أســماء بنت عميس كانت بأرض الحبشة مع زوجها جعفر حين تزوَّج النبي ﷺ عائشة، والصواب حديث أسماء بنت يزيد، والله أعلم.

QaradawiBooks.com

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] والسيِّدة عائشة رضي الله عنها عندما سُئِلَتْ عن خُلُقِ النبيِّ ﷺ قالت: «كان خُلُقه القرآن»(١). هو ﷺ قرآنٌ مُجَسَّد يسعى بين النَّاس على قَدَمَيْه، فيجب علينا أن نكون قرآنيِّين مُحَمَّديِّين، نؤثِّر في أبنائنا بأقوالنا وأفعالنا وسلوكنا.

المطلوب في وسيلة الضرب:

المُقَدِّم: أحسن الله إليك فضيلة الشيخ، أختنا أمُّ مريم من البحرين تقول: عندها طفلة تُعوِّدها على الصلاة، ولكنَّها لا تستجيب، وربَّما هذا السؤال يتَّصل بمسألة العقاب، وقد ذكرتُ أنَّه من عشر سنوات نبدأ باستخدام وسيلة الضرب، فما هو حجم الضرب، والمواضع الَّتي يجوز فيها الضرب؟ لأنَّ بعض الآباء قد يُخْطئ بأخذ هذه القضيَّة على ظاهرها، فما هو المطلوب في استخدام هذه الوسيلة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

أنا قلتُ: إنَّ الضرب ليس عقوبةً لكلِّ طفل، بعض الأطفال يعاند بالضرب، لا بدَّ أن نفهم ذلك، ولا بدَّ أن نفهم أيضًا ما المقصود من الضرب؟ ما هو المقصود من استخدام وسيلة الضرب في التربية؟ المقصود هو الإشعار بالجِدِّيَّة، يعني إذا أرسل الأبُ ولده لأمرٍ ما، فلم يستجِبْ له، فماذا يفعل معه وهذه إهانة؟ في هذه الحالة يغضب ويعاقبه، فلماذا لا يتهاون في حقِّ نفسه ويتهاون في حقِّ الله؟ لا، كما تغضب لنفسك اغضب لربِّك، وقد قال الفقهاء: لا يضربه بخشبة، ولا يضربه

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بســوط، بل الأمر كما قال النبيُّ ﷺ لإحدى الجواري وقد أغضبته يومًا: «**لولا القِصَاصُ لضربتُكَ بهذا الســواك**»[1]. فالتأديب بالضرب يكون من هذا النوع.

ولا بدَّ أن نعلم أنَّ الطفل يُحِبُّ أن يُقَلِّد أهله، عندما تُصَلِّي يجري الطفل إليك ويفعــل مثلما تفعل، ويُقَلِّدك في الصيــام، وقد كُنَّا ونحن صغار نحاول أن نصوم رغــم عدم إرادة أهلنــا، وأحيانًا نجبرهم على صيامنا ونقول لهم: أيقظونا من أجل السحور. نفعل ذلك ونحن أطفال، وإذا لم يوقظونا نصــوم، فيُضطرون لإيقاظنا بعد ذلك لنتســحَّر معهم حتَّى نســتطيع مواصلة الصيام بدون تعبٍ أو إرهاق، فالطفل يحبُّ أن يُقَلِّدَ أهلَــه، فيجب علينا أن نســتغلَّ هذه الفرصــة لنُحَبِّبَهم في الخير ونُبْعِدَهم عن الشرِّ.

إهمال مبادئ التربية الحديثة للبُعْد الأخروي:

المقدم: جزاك الله خيرًا فضيلة الشــيخ وأحسن إليك، هل من تعليق على كلمة الدكتور عبد الرحمن شهيل: إنَّ التربية الحديثة تهتمُّ بالجانب الفكري والوجداني والجســماني، وهذا يتوافق مع ما جاء به الإســلام، ولكن هذه التربية تهمل البُعد الأخروي في التربية، فما رأي فضيلتكم؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

لا شكَّ أنَّ كلام الدكتور عبد الرحمن شهيل صحيحٌ ومقبول، ولكن أنا أقول: التربية الإســلاميَّة تهتمُّ بما هو أكثر من هــذه الجوانب، هذه

(١) رواه أبو يعلى (٦٩٠١، ٦٩٢٨، ٦٩٤٤)، والطبراني (٣٧٦/٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٤٠٩، ١٨٤١٠، ١٨٤١١): إسناده جيِّد. عن أمِّ سلمة.

QaradawiBooks.com

جوانب أساسيَّة، ولكن مجالات التربية في الإسلام حوالي سبعة عشر مجالًا أو نوعًا من التربية إذا أحببنا أن نفصل فيها، يعني بعض الإخوة تحدَّث عن التربية الجنسيَّة، وهذا نوعٌ أو مجالٌ من مجالات التربية، وهناك التربية العقليَّة الَّتي أشار إليها الدكتور عبد الرحمن، والتربية الوجدانيَّة، ونحن ممكن نُعَبِّر عنها بالتربية الروحيَّة، والتربية البدنيَّة، يعني الرياضيَّة، وممكن أن نضيف إليها التربية الصِّحِّيَّة، وذلك بأن يسلك الإنسان سلوكًا صحيًّا يحافظ به على جسمه ويبتعد به عن الآفات والأمراض وهكذا، وهناك التربية العلميَّة، وهناك التربية المهنيَّة، وهناك التربية الاجتماعيَّة، وهناك التربية الاقتصاديَّة، وهناك التربية السياسيَّة، وهناك التربية الأخلاقيَّة، وهناك التربية الجماليَّة، الإحساس بالجمال ونُسَمِّيها بالتربية الفَنِّيَّة، وهناك التربية العسكريَّة، الخشونة والجُنْديَّة، وهناك التربية الجنسيَّة، يعني هناك أكثر من سبعة عشر نوعًا من أنواع التربية، وكلُّ هذه الأنواع يهتمُّ بها الإسلام، وبذلك يحدث التكامل في الشخصيَّة الإسلاميَّة.

بعض النَّاس يقولون التربية الدينيَّة، التربية الدينيَّة نوعٌ من أنواع التربية الَّتي يهتمُّ بها الإسلام؛ لأنَّ بعض النَّاس لا يستطيع أن يُفَرِّق بين ما هو دين وما هو إسلام، الدين واحد، قال فيه الأصوليُّون: الضروريَّات خمس أو ستٌّ، الدين إحداها، ثمَّ بعد ذلك هناك النفس، وهناك العقل، وهناك العِرض، وهناك المال، وكلُّ هذه الأنواع مطلوبة في التربية، فكلمة الدِّين أضيق مفهومًا من كلمة الإسلام، لأنَّ «الدِّين» في الحقيقة إنَّما هو جزء من الإسلام.

ولكن التربية الحديثة تهتمُّ بالوسائل والآليَّات أكثر من اهتمامها بالأهداف، الَّذي يُهِمُّنا لماذا نُرَبِّي؟ ذكر الدكتور عبد الرحمن أنَّ الهدف

QaradawiBooks.com

من التربيـــة الحديثة إيجـــاد الشـــخصيَّة المُتَّزِنة والقـــادرة على الإبداع والتجاوب مع الحياة مِنْ حولها، نعم هذا مطلوب، ولكنْ نحن نريد أن نُرَبِّي الإنسان المؤمن؛ إنسان سورة العصر، الإنسان الَّذي يعيش لرسالة، فهو يؤمن ويعمل الصالحات، ويتواصى بالحقِّ، ويتواصى بالصبر، كما قـــال الله تعالـــى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

نريد تربية هذا الإنسان؛ لأنَّ التربية أيضًا تختلف باختلاف الأهداف، النَّاس الَّذين يُرَبُّـــون العجول، في هذه التربية فَرْق، فـــرق بين أن تُرَبِّي الحيوان للحم، وأن تُرَبِّي الحيوان لِلَّبن، رجل يُرَبِّي الأبقار للألبان، هذه تحتاج إلى نـــوعٍ مُعَيَّن من التربية غيـــر الَّتي تُربى للتســـمين واللحم، فالتربية تختلف باختلاف الأهداف؛ ولذلك الإسلام يُرَكِّز على الأهداف ويستفيد من الوسائل والآليَّات، ويأخذها من أي مصدر كان، فـالحكمة ضالَّة المؤمن، أَنَّى وجدها فهو أحقُّ بها.

ونحـــن إذا نظرنا في سُـــنَّة النبـــيِّ محمَّد ﷺ وجدنا أنَّـــه ﷺ قد أحدث الوســـائل، الآن مثلًا يتحدَّثون عن الوســـائل المعيَّنة، وذلك بأن نســـتخدم المعينات السمعيَّة والمعينات البصريَّة، ونستخدم الحوار، ونستخدم الإشارة، ولا نعتمد على التلقين فقط، وهذا كان يستخدمه النبيُّ ﷺ في التربية.

وفي سيرة النبيِّ ﷺ نماذج عالية وهائلة من ذلك، ذكرتُها في كتابي: «الرسول والعلم»، لقد كان النبيُّ ﷺ يســـتخدم كلَّ الوسائل المُعِينة في عصره، مرَّة يَخُطُّ على الرمل؛ ليوضح لهم المعنى المراد، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال: خطَّ لنا رسولُ الله ﷺ خطًّا، ثمَّ قال: «**هذا سبيل الله**»، ثمَّ خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثمَّ قال: «**هذه سُبُلٌ على كلِّ**

QaradawiBooks.com

سبيل منها شيطان يدعو إليه». ثمَّ قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ**﴾ [الأنعام: ١٥٣][(١)]، ففسَّر ﷺ الآية، ووضَّح المراد منها بهذا الرسم.

ومرَّة يستعمل الحوار، كما في قوله ﷺ: «**ألا أدلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**». قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**»[(٢)].

وقوله: «**ألا أُنبِّئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثًا. قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**» وجلس وكان مُتَّكِئًا فقال: «**ألا وقول الزُّور**». فما زال يُكَرِّرها حتَّى قلنا: ليته يسكت[(٣)].

وقوله: «**أيُّ الخلق أعجب إيمانًا؟**». قالوا: الملائكة. قال: «**الملائكة كيف لا يؤمنون؟**». قالوا: النبيُّون. قال: «**النبيُّون يُوحى إليهم، فكيف لا يؤمنون؟**». قالوا: الصحابة. قال: «**الصحابة مع الأنبياء، فكيف لا يؤمنون؟ ولكن أعجب النَّاس إيمانًا، قوم يجيئون من بَعْدِكم، فيجدون كتابًا من الوحي، فيؤمنون به ويتَّبعونه، فهم أعجب النَّاس إيمانًا**»[(٤)].

فالحوار يُنَبِّه العقول والأذهان لتَلَقِّي المعلومة، كقوله أيضًا: «**أتدرون أيُّ يوم هذا؟**»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتَّى ظنَّنا أنَّه سيسمِّيه

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٢٨.

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٥١)، وأحمد (٨٠٢١)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، عن أبي بكرة.

(٤) رواه البزار (٧٢٩٤)، وقال: غريب من حديث أنس. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٩١): فيه سعيد بن بشير، وقد اختلف فيه؛ فوثَّقه قوم، وضعَّفه آخرون، وبقية رجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

بغير اســـمه، قال: «**أليس يوم النحر؟**» قلنا: بلى، قال: «**أيُّ شهر هذا؟**»، قلنا: الله ورسوله أعلم. فســـكت حتَّى ظنَّنا أنَّه سيُسَمِّيه بغير اسمه. فقال «**أليس ذو الحجَّة؟**»، قلنـــا: بلى، قال «**أيُّ بلد هذا؟**» قلنا: الله ورســـوله أعلم. فســـكت حتَّى ظنَّنا أنَّه سيُسَمِّيه بغير اســـمه، قال «**أليست بالبلدة الحرام؟**» قلنا: بلى[١].

استخدام الإشارة لترسيخ المعنى:

وأحيانًا يشير إشارة حســـيَّة، فبدل أن يقول: التقوى في القلب، يُشير إلى صدره ﷺ، ويقول: «**التقوى هاهنا**». أي في الصدر، كما في حديث: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يَبِعْ بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يَحْقِرُه، التقوى هاهنا**» ويشـــير إلى صدره ثلاث مرات[٢]. وهو بهذه الإشارة يُرسِّخ المعنى في القلب.

وكقوله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنَّة كهاتين**» وأشار بأصبعيه يعني السبابة والوسطى[٣]. فهذه الإشارة لا تُنسى.

وكقوله ﷺ: «**كُفَّ عليك هذا**» ويشير إلى لسانه[٤].

فكل الوسائل الحديثة نجد لها أصولًا في التربية النبويَّة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٧٤١)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٥)، وأحمد (٢٢٨٢٠)، عن سهل بن سعد.

(٤) رواه أحمد (٢٢٠١٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الإيمان (٢٦١٦)، وقال: حســـن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣)، والحاكم في التفســـير (٤١٢/٢، ٤١٣)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، عن معاذ بن جبل.

QaradawiBooks.com

المُقَدِّم: جزاك الله خيرًا وأحسن إليك.

تعويد الطفل على العبادة:

المُقَدَّم: فضيلة الشيخ، مُتَّصلة أخرى تقول: إنَّها تحاول أن تُعوِّد طفلتها على الصلاة، ولكنَّها لا تستجيب، فماذا تفعل معها؟

أنا كما قلت من قبل عليها أن تستمر في محاولاتها ولا تيئس، وتحاول أن تأخذها بالترغيب حينًا، وبالترهيب حينًا آخر، وتعرفها على الخيِّرين من أصحابها بحيث تتأثَّر بالآخرين.

خطر المدارس الأجنبيَّة:

المقدم: فضيلة الشيخ، وماذا تقول في قضيَّة الأخت فاطمة التي تسأل عن المدارس الأجنبيَّة؟

فضيلة الشيخ: قضيَّة الأخت فاطمة هي قضيَّة المدارس الأجنبيَّة، خصوصًا المدارس التبشيريَّة، المدارس ذات الطابع التبشيري لا شكَّ أنَّها تُمَثِّل خطورة كبيرة على أبنائنا، إذا كان الهدف هو تعلُّم اللغة فلا بأس، ولكن المشكلة أنَّ هذه المدارس تُعَلِّمهم عقائد غير عقائدنا، وعادات وتقاليد غير عادتنا وتقاليدنا، وثقافة غير ثقافتنا، وقد يتخرَّج من أجيال منسلخة من دينها وربَّما لغتها، ولكي نقاوم هذه المدارس؛ لا بدَّ أن نرفع مستوى التعليم في مدارسنا القوميَّة ومدارسنا الحكوميَّة، ونرفع مستوى الأداء، ومستوى الأدب العامِّ، ومستوى النظام؛ لأنَّه عندما تتسيَّب مدارسنا القوميَّة والحكوميَّة يقول الناس: لا بدَّ أن نحافظ على أولادنا. وهذه المدارس ـ للأسف ـ يجب أن نعترف أنَّها تهتمُّ بالنظام والترتيب والتأديب، وتُعَلِّم الأولاد كيف يحافظون على أوقاتهم،

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ولا يهملون واجباتهم، ويؤدُّون ما عليهم، فهـذه المدارس لها نظام في غاية الدقَّة، الكلُّ يُؤَدِّي ما عليه، المدرس يُؤَدِّي ما عليه، والطالب يُؤَدِّي ما عليه، وهـذا لا يوجد ـ للأسـف ـ في مدارسـنا، لا بـدَّ أن نرتقي بمدارسنا، حتَّى نستغني عن هذه المدارس.

وأرى أنَّ هنـاك واجبًـا علـى وزارة التربيـة، وواجبًا علـى الآباء والأُمَّهات، وزارة التربية عليها أن ترتقي بمسؤوليَّتها تجاه هذه المدارس، وسمعتُ منذ أيام أنَّهم قرروا في قطر أن يكون تعليم اللغة الإنجليزيَّة من الصفِّ الرابع، وهذا شيء جيِّد؛ لأنَّ الَّذين يذهبون إلى المدارس الأجنبيَّة يذهبون بحُجَّة تعليم الأولاد اللغة الأجنبيَّة، واللُّغة أصبحت ضروريَّة في الحيـاة الآن، ولكن ـ كما تقـول الأخت العزيزة ـ يتعلَّـم التلميذ اللغة الأجنبيَّة ويُضيع لُغته الأصليَّة، فماذا كسب؟

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من شعب الإيمان
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

مُقَدِّم البرنامج:

لقد دلَّت النصوص الشرعيَّة على أنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة إنَّما نالت الخيريَّة بكونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مع إيمانها بالله ﷻ.

وللحديث عن هذه الشُّعبة من شُعَب الإيمان وما تعلَّق بها من شروط وضوابط يسعدنا أن يكون معنا في هذه الحلقة من برنامجكم «شُعب الإيمان» فضيلة العلامة الفقيه يوسف القرضاوي حفظه الله وبارك في عمره وعلمه وسعيه.

المقدم:

مرحبًا بك فضيلة الشيخ في هذا البرنامج: «شعب الإيمان».

فضيلة الشيخ القرضاوي:

مرحبًا بك يا شيخ جعفر وبارك الله فيك.

المُقَدِّم:

كما ذكرنا في المُقَدِّمة أهميَّة شُعب الإيمان وخاصَّة شُعْبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في شريعة الإسلام ودورها في المحافظة

QaradawiBooks.com

على المجتمع فهل لك أن تُلْقي الضوء على هذه القضيَّة من خلال كتاب الله تعالى وسُنَّة النبيِّ محمَّد ﷺ؟

أهميَّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فضيلة الشيخ القرضاوي:

لا شكَّ أنَّ شُعَب الإيمان هي الَّتي تحفظ للأمَّة ذاتيَّتَها وهُوِيَّتها، ودورها في الحياة، ورسالتها في العالم، الله ﷻ عندما حدَّثنا عن خيريَّة هذه الأُمَّة قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فالله تعالى قدَّم فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على فضيلة الإيمان، مع أنَّ الإيمان بالله هو الأساس وهو الأصل، حتَّى لا يغفل النَّاس عن هذه المَزِيَّة، مَزِيَّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنَّها أُمَّة صاحبة رسالة ممتدَّة في جذور التاريخ امتداد الشعاع والنور في الآفاق، وهذا شأن الأُمَّة المسلمة، وشأن الإنسان المسلم، الفرد المسلم لا يكفي أن يكون صالحًا في نفسه وحسْب، هو إنسان صالح في نفسه، مُصْلِح لغيره، يحمل همَّ الآخرين، ولا يعيش في دائرته الخاصَّة ويقول: ما لي وللناس؟! أنا ومن بعدي الطوفان، إنَّه مهتمٌّ بصلاح العالم وصلاح الناس، ومقاومة الشرِّ والفساد من حوله، كما يهتمُّ بصلاح نفسه تمامًا، وهذا يُعَبَّر عنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يُعبَّر عنه بالدعوة، ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وعبَّر عنه بالنصيحة كما قال ﷺ: «**الدِّين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم**»[1]. وعبَّر عنه بالتواصي بالحقِّ

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، عن تميم الداري.

QaradawiBooks.com

والتواصي بالصبر، وقد جعل الله ذلك شرطًا للنجاة من خسران الدُّنْيا والآخرة، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، يؤمن ويعمل صالحًا هذا مطلوبٌ لا شكَّ وهو فريضة، ولكن لا يكتفي بهذا، لا بدَّ أن يُوَصِّي غيره بالحقِّ، وكذلك يقبل من غيره الوصيَّة بالحقِّ، ولا يكتفي بهذا، ولكن يتواصى أيضًا بالصبر؛ لأنَّ الَّذي يُوصِي بالحقِّ، ويَنْصِب نفسه للدعوة إلى الله، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لا بدَّ أن يُبتلى ويصاب بالأذى؛ ولهذا قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]؛ ولذلك القرآن قرن التواصي بالحقِّ بالتواصي بالصبر، بالتواصي بالصبر.

هذه الشعبة من أهم شعب الإيمان، ولها مراتب، منها أقوى الإيمان، وأوسط الإيمان، وأضعف الإيمان، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: ٧١]، فقدَّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الصلاة الَّتي هي عماد الدين، والزكاة الَّتي هي قنطرة الإسلام؛ ليدلَّنا على أهمية هذه الشُّعْبة من شُعَبِ الإيمان، وعلى هذه الفريضة العظيمة الَّتي وصف الله بها رسوله ﷺ، فمن الصفات الَّتي عُرف بها النبيُّ ﷺ في كتب الله المنزلة على رسله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فهذه من أوصاف النبيِّ ﷺ في التوراة والإنجيل، بل هي من أوصاف الله تبارك وتعالى، الله تبارك وتعالى يقول:

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فالله تعالى يأمر بالمعروف وهو العدل والإحسان وإيتاء ذوي القربى، وينهى عن المنكر والفحشاء والمنكر والبغي.

فالإنسان هنا يتخلَّق بأخلاق الله، ويتَّصف بصفات الله ﷻ حين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو بذلك يحافظ على شخصيَّة المجتمع المسلم؛ ولو أنَّ كلَّ واحدٍ قال: نفسي نفسي، وترك الفساد ينتشر ويستشري، لكان في ذلك خطرًا على المجتمع كله، الفساد والمنكر والمعاصي مثل الحريق، لو أنَّ حريقًا شبَّ في بلد، وقال كلُّ واحد: أنا لا شأن لي بهذا الحريق، إنَّه ليس في بيتي، إنَّه في بيت الجيران، فهذا الحريق إذا لم يسارع النَّاس إلى إخماده وإطفائه، سيأكل بيت الجيران، ثمَّ بيت جيرانهم، وهكذا حتَّى يأكل البيوت كلَّها.

فهذا الفساد والمنكر حريق ولكنَّه لا يُدَمِّر الأحجار والمباني، ولكنَّه يُدَمِّر القيم والمعاني، فكما أنَّنا نقاوم الحريق المادِّي، نقاوم الحريق المعنوي، حينما نتمسَّك بهذه الشُّعْبة من شعب الإيمان، أو بهذه الفريضة العظيمة من فرائض الإسلام، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا ما يجب علينا تجاه هذه القضيَّة، أن نتمسك بهذه العروة الوثقى، عروة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذه الفريضة للأسف من الفرائض المُعَطَّلة عند كثير من المسلمين، بعض النَّاس يظنُّ أنَّه طالما يُصَلِّي ويصوم، ويحجُّ ويعتمر، ويتصدَّق فقد أدَّى ما عليه، لا، المسلم لا بدَّ وأن يقوم بهذه الفريضة، يبدأ أولًا بنفسه، ثمَّ بأسرته وأولاده ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦] ثمَّ

QaradawiBooks.com

بمن حوله، ثمَّ بالمجتمع كلِّه بعد ذلك، وإلَّا حقَّ علينا ما حقَّ على بني إسرائيل حينما قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]، لماذا حقت عليهم اللعنة؟ قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾، ماذا كان عصيانهم واعتدائهم؟ ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ﴾، أي لا ينهى بعضهم بعضًا عن المنكر إذا فعلوه ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

المقدم: فضيلة الشيخ، جزاكم الله خيرًا وبارك فيكم.

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المقدم: فضيلة الشيخ، حديث النبي ﷺ جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاث مراتب: باليد، ثمَّ باللسان، ثمَّ بالقلب، ثمَّ يقول ﷺ: «**وذلك أضعفُ الإيمان**»[١] تغيير المنكر بالقلب أضعف الإيمان، بينما في حديث النبيِّ ﷺ عن شُعَب الإيمان قال: «**الإيمان بضعٌ وسبعون شُعْبة، والحياء شُعْبَة من الإيمان**»[٢]. فهل لك فضيلة الشيخ إلقاء الضوء على الأدنى والأضعف؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

قضيَّة التغيير فيها أقوى وفيها أضعف، فالأقوى أن يستطيع التغيير بيده، وهذا ليس لكلِّ إنسان، وإنَّما لكلِّ ذي سلطان في سلطانه، حديث

(١) رواه مسلم في الإيمان (٤٩)، وأحمد (١١٤٦٠)، عن أبي سعيد الخدري.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

أبي سعيد الخُدْرِيِّ عند الإمام مسلم أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**من رأى منكم مُنْكَرًا فليُغَيِّره بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1]. قال ذلك أبو سعيد الخدري حينما أراد مروان بن الحكم أن يجعل خطبة العيد قبل الصلاة، وقد كانت سُنَّة النبيِّ ﷺ أن تكون بعد الصلاة، فأنكر عليه رجل، فقال: الصلاة قبل الخطبة! فقال: قد تُرِكَ ما هنالك. فقال أبو سعيد: أمَّا هذا فقد قضى ما عليه، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليُغَيِّرْه بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه، فإن لم يستطعْ فبقلبِه، وذلك أضعفُ الإيمان**».

المرتبة الأولى في هذا الحديث تُمَثِّل أقوى مرحلة في التغيير، وهي التغيير باليد لمن يقدر عليه، فالتغيير باليد ليس بابًا مفتوحًا، ولا كلأً يرعاه كلُّ من شاء، لا، إنَّما هو لكلِّ ذي سلطان في سلطانه، يعني الأب مع أولاده الصغار، الزوج مع زوجته، وصاحب المؤسَّسة مع مؤسَّسته، صاحب الولاية والإمارة في إمارته، وفي حدود استطاعته أيضًا لأنَّ الإنسان قد لا يستطيع، عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو من الراشدين بإجماع الأُمَّة، وخامس الراشدين، لم يستطع أن يرُدَّ الخلافة شورى كما كانت؛ لأنَّ القَدَر لم يُمْهِلْه، فقد ولي ثلاثين شهرًا، فلعلَّه كان ينوي أن يفعل هذا إذا مُدَّ له في الأجل واستطاع أن يرسي قواعد العدل والشورى، إنَّما لم يتمكن من هذا.

والنجاشي ملك الحبشة الَّذي أسلم وصلَّى عليه النبيُّ ﷺ عند وفاته، مع أنَّه ملك للحبشة كلِّها لم يستطيع أن يُقيم تعاليم الإسلام؛ لأنَّ قومه ما كانوا يستجيبون له، فالتغيير باليد يكون في حقِّ من يقدر عليه، فمن عجز عن التغيير باليد تنتقل مرتبة الإيمان عنده إلى المرتبة الوُسْطى،

(١) سبق تخريجه صـ٧٣٩.

QaradawiBooks.com

وهي مرتبة التغيير باللسان، وهذه أيضًا لها مراتب سنذكرها لاحقًا إن شاء الله، ثمَّ ننتهي إلى هذه المرتبة الأخيرة وهي التغيير بالقلب، ما معنى التغيير بالقلب؟ كيف يُغَيِّر الإنسان بقلبه؟ أن يغضب الإنسان على المنكر ويكرهه، ويكره من فعله، هذه شحنة عاطفيَّة انفعاليَّة، هي لا تفعل شيئًا الآن، إنَّما هذه الشحنة إذا توفَّرت عند إنسان وعند آخر وعند ثالث ورابع، فلا بدَّ أن تنفجر يومًا ما ضدَّ هذا المنكر، ستكون قوَّة؛ لأنَّ الإسلام يريد حصار المنكر، المنكر لا يستفحل ولا ينتشر ويتمدَّد إلَّا إذا ترك بدون إنكار؛ لأنَّ المنكر مُعْدي كما يُعدي الأجربُ السليمَ كما قال العرب، فلا بدَّ من حصار هذا المنكر.

ولذلك نقول: إنَّ الإنسان إذا لم يستطع أن يُغَيِّر بقلبه وبلسانه، عليه أن يحمل هذه الشحنة بين جوانحه في نفسه وفي قلبه، ويذوب قلبه كما يذوب الملح في الماء، كلَّما رأى منكرًا لا يستطيع تغييره، ويتمعَّر وجهه لله ﷻ غضبًا لله ﷻ، وليس معنى ذلك أن يكره قلبه المنكر، ثمَّ يجلس مع أهله، والنبيُّ ﷺ قال في الحديث الَّذي رواه عبد الله بن مسعود: «**إنَّ أوَّل ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجلُ يلقى الرجل فيقول: يا هذا، اتَّق الله ودعْ ما تصنع، فإنَّه لا يحلُّ لك. ثمَّ يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشَرِيبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض**». ثمَّ قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩][1]؛ لأنَّ هذه المخالطة تجعله لا يترك هذا المنكر.

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٣٦)، والترمذي في الدعوات (٣٠٤٧)، وقال: حديث حسن غريب.

QaradawiBooks.com

فمن آثار التغيير بالقلب أن تُقاطع من يفعله، إذا لم تستطع أن تزيله فلتزُل عنه، أمَّا أن تقول أُغَيِّر بالقلب ثمَّ تجلس معهم وتخالطهم وتؤاكلهم وتشاربهم.. لا يجوز ذلك؛ ولذلك سيِّدنا عمر بن العزيز لما جيء له بجماعة يشربون الخمر، فأمر بجلدهم، فقيل له: إنَّ فيهم فلانًا، وقد كان صائمًا! فقال: به ابدؤوا، أمَّا سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠][1]؟ فلذلك أضعف الإيمان التغيير بالقلب، ومن آثار التغيير بالقلب ومظاهره: أنْ تبتعد عن المنكر وأهله، فهذا أضعف الإيمان في هذه القضيَّة، وليس في الإيمان كلِّه.

وجاء في حديث ابن مسعود أيضًا، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبيٍّ بعثه الله في أُمَّةٍ قبلي إلَّا كان له من أُمَّتِه حواريُّون، وأصحاب يأخذون بسُنَّته ويقتدون بأمره، ثمَّ إنَّها تَخْلُف من بعدهم خُلُوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّة خردل**»[2]. وهذه هي المرتبة الأخيرة.

المقدَّم: فضيلة الشيخ، نرجع إلى موضوعنا، فأسئلة المتَّصلين خارج موضوع حديثنا.

كيف يوصف عمل القلب بأنَّه أضعف مع أنَّ القلب هو الأساس؟

المقدم: فضيلة الشيخ، و«ذلك أضعف الإيمان» عمل القلب أضعف الإيمان، وعندنا نصوص كثيرة تدل على أهمية ومكانة القلب وأنَّه

(١) رواه الطبري في التفسير (٣٢١/٩)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٢١/٢٨).

(٢) رواه مسلم (٥٠)، وابن حبان (١٧٧)، كلاهما في الإيمان. عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

الأســاس، كما قال ﷺ: «**ألا وإنَّ في الجســد مُضْغة؛ إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فســد الجســد كله، ألا وهي القلب**»[١]، يعني القلب إذا تحرَّك تحرَّكت معه الجوارح من اليد واللسان وغيرها، فكيف يوصف عمل القلب بأنَّه أضعف مع أنَّه هو الأساس؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

لأنَّ عمل القلب من المفــروض أن يكون معه عمل آخر حتَّى يؤدِّي مُهِمَّته، وهو عمل اللســان أو عمل اليد، فإذا لم يســتطع أن يكون معه ما هو أقوى منه في إزالة المنكر وتغييــره؛ لأنَّ القصد ألا يبقى المنكر، القصد أن نزيل المنكر، ومجرَّد القلب وحــده لا يُزيل المنكر، إلَّا بعد مُدَّة، لأنَّ شحنة الغضب والكره للمنكر لا بدَّ أن تنفجر بعمل، والإيمان بدون عمل يموت؛ ولذلك قال العلماء: إنَّ الإيمان الحقيقي ليس بالتمنِّي ولا بالتحلِّي، ولكن ما وقر في القلــب وصدَّقه العمل. فهنا لا يكفي أن تكره بقلبك، بل لا بدَّ أن يكون معها شيء من عمل اللسان أو عمل اليد إذا أمكن اليد، فإذا عجزت عن هذا وذاك فهــذا هو نصيبك، وهذا يدلُّ على أنَّ الإنســان إن لم يســتطعْ أو كان عاجزًا عن مرتبة اليد واللسان يكون في المرتبة الدنيا.

المقدم:

ولكن القرآن الكريم فضيلة الشــيخ في الأعمى والأعرج والمريض رفع الله عنهم الحرج في عدم الخروج إلــى الجهاد لعذرهم، ومع ذلك يتساوون مع من خرج، حبسهم العذر.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المســاقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي:

هؤلاء أعفاهم القرآن من الجهاد.

المقدم:

ولكن يتساوون في الأجر مع من خرج بنيَّتهم.

فضيلة الشيخ القرضاوي:

لا ليس هؤلاء، بل الَّذين كانوا يريدون أن يجاهدوا وحبسهم العذر.

المقدم:

ما هو العذر؟

فضيلة: الشيخ القرضاوي:

عذرهم ما ذكره القرآن: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، فهم أناس كانوا يريدون أن يجاهدوا ولكن ليس عندهم مال ولا رواحل يجاهدون عليها، فأتوا رسول الله ﷺ يقولون له: احمِلْنا معك يا رسول الله. فقال ﷺ: «**لا أجد ما أحملكم عليه**»، فرجعوا من عند رسول الله ﷺ تفيض أعينهم من الدمع حزنًا، فهم من أهل الجهاد، أمَّا الآخرون الَّذين ليسوا من أهل الجهاد من الأعمى والأعرج والمريض فحسبهم أنَّه ليس عليهم إثم.

المقدم:

أليس كلمة حبسهم العذر تشمل من كان من أهل الجهاد ومن ليسوا من أهله من الأعمى والأعرج والمريض؟

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي:

لا تشـــملهم، فقد جاءت الآية فـــي الَّذين يريـــدون الجهاد ولكن حبسهم العذر.

المقدم:

ولكن النص الكريم في ســـورة النساء: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

اعتزال المجتمع وهجر النَّاس بسبب الفساد:

المقدم:

يرى بعض النَّاس في هذه الآونة الأخيرة هجـــر المجتمع، واعتزال الناس، بحُجَّة انتشـــار الفســـاد وطغيان الشـــر، أليس ذلك تعطيلًا لهذه الشُّعْبة؟ ماذا تقول في ذلك؟ أو متى تكون عزلة المجتمع مشروعة؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

لا يكون الخروج والعزلة للمجتمع مشـــروعًا إلَّا عند اليأس المطلق من إصلاح المجتمع، عندما يقول الإنســـان: أنا أدعو النَّاس ولم يقبلوا مِنِّي، والناس أصبحت لا تســـتجيب لأحد. ولكن هذا لم يحدث، ولم تصل المجتمعات لهذه الدرجة، وقد جاء عـــن الصحابة في تأويل الآية الكريمة في ســـورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائـــدة: ١٠٥]، فجاء عن ابن مســـعود، وجـــاء عن ابن عمـــر، وجاء عن

QaradawiBooks.com

ابن عبَّاس: أنَّ تأويل هذه الآية لم يَحِنْ بعدُ، قالوا هذا، ولكن قالوا أيضًا: سيأتي زمان يكون الوضع والحال فيه تأويلًا لهذه الآية.

وجاء في حديث أَبي أُمَيَّة الشَّعْبَاني قال: سألتُ أبا ثعلبة الخُشَنِيَّ فقلتُ: يا أبا ثعلبة، كيف تقول في هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾؟ [المائدة: ١٠٥]، قال: أمَّا والله لقد سألتَ عنها خبيرًا، سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتَّى إذا رأيت شُحًّا مطاعًا، وهوًى متبعًا، ودنيا مُؤْثَرة، وإعجابُ كلِّ ذي رأيٍ برأيه، فعليك ـ يعني ـ بِنَفْسِكَ، ودعْ عنك العوامَّ، فإنَّ من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله**». وزادني غيره: قال: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: «**أجر خمسين منكم**»[(١)].

وفي رواية عند ابن ماجه: «**ورأيت أمرًا لا يَدَانِ لك به، فعليك خُوَيْصَّة نَفْسِكَ، ودع أمر العوام**»[(٢)] يعني في هذه الحالة الَّتي يستشري فيها الفساد، وتجد أمرًا فوق طاقتك لا تستطيع أن تغيره، عندئذ تقول: علَيَّ نفسي.

والحمد لله هذا لم يحدث، المجتمع بخير، ولا زالت الدعوة الإسلاميَّة تنتشر انتشار النور في الآفاق، ولا يزال العمل الإسلامي يمتدُّ، وخصوصًا العمل الجماعي، يعني المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه،

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤١)، والترمذي في التفسير (٣٠٥٨)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في البر والإحسان (٣٨٥)، والحاكم في الرقاق (٣٢٢/٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي. عن أبي ثعلبة الخشني.

(٢) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٤).

QaradawiBooks.com

ضعيف بمفرده، قويٌّ بجماعته، والنبيُّ ﷺ يقول: «**يد الله مع الجماعة**»[١]. ويقول: «**من أراد منكم بَحْبَحَةَ الجنَّة فليلزم الجماعة؛ فإنَّ الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد**»[٢]. والمثل يقول: «الإيد لوحدها ما تصقفش». فالإنسان قد يعجز وحده عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو عن مقاومة الفساد، ولكن مع جماعة يؤثر، تعالوا يا جماعة نقيم جمعية نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وندعو إلى الخير، فيستطيعون بهذا التعاون أن يتعاونوا على البرِّ والتقوى، والتواصي بالحقِّ والصبر، وبذلك يستطيعون أن يفعلوا شيئًا.

المقدم:

بارك الله فيكم فضيلة الشيخ وجزاكم خيرًا.

المشاركة في الصحف والمجلَّات والفضائيَّات الَّتي تبثُّ الشرَّ والفساد:

المقدم: فضيلة الشيخ، مُتَّصل يطرح على فضيلتكم هذا السؤال يقول فيه: ما يوجد في المجلات والصحف اليوميَّة من خلط بين الحقِّ والباطل والخير والشرِّ، فهل كتابة الآيات القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة في هذه الصحف والمجلَّات، يعتبر من المشاركة والقعود معهم، وإن كانوا لم يخوضوا في حديث غيره، وعلى غرارها أيضًا الحلقات والبرامج الدينيَّة في القنوات الفضائيَّة الَّتي تعرض على النَّاس الغثَّ والسمين؟ نريد من فضيلتك أن تُبَصِّرنا بالحقِّ في هذا الموضوع.

---

(١) سبق تخريجه صـ٥١٧.

(٢) رواه أحمد (١١٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الفتن (٢١٦٥)، وقال: حسن صحيح غريب. عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ القرضاوي:

لا يُعتبر هذا من هذا القبيل، بل العكس، هذا مقاومة للشرِّ الموجود في هذه الصحف والمجلَّات والفضائيَّات، فأنت بالكتابة فيها، أو تقديم البرامج في الفضائيَّات تزاحم هذا الشرَّ والمنكر حتَّى لا تكون هذه الساحة خالصة له، خصوصًا أنَّ لها تأثيرًا مباشرًا على أفكار النَّاس وسلوكهم، فنحن نعتبر وجود دعوة الخير في الصحف والمجلَّات والفضائيَّات وإن كانت علمانيَّة الوِجْهة، تنشر صورًا غير مقبولة، وتبثُّ أفكارًا غير صحيحة، نعتبر كل من يكتب فيها أو يقدم شيئًا تغييرًا لهذا المنكر الموجود.

ومن أجل ذلك نحن ندعو كلَّ مسلمٍ ملتزم وقادر على أن يكتب أو يقول كلمة خير أن يتقدَّم إلى هذه الصحف ويكاتبها، وإلى هذه الفضائيَّات فيعرض فيها ما يقوله ويدعو إليه.

ونحن نُرَحِّب بمثل هذه البرامج في التليفزيون والإذاعة، البرامج الدينيَّة والتثقيفيَّة والتوجيهيَّة، الَّتي تُنَوِّر العقول، وتحيي القلوب، مثل هذه البرامج نُرَحِّب بها جدًّا، ونرى أنَّ هذه زكاة عن هذه المؤسَّسات، ونعتبر أنَّ الله تعالى سخَّر لنا هذه الأدوات لنستخدمها في الدعوة إلى الخير، مثل هذا البرنامج، وبرنامج «من هدي الإسلام» كل جمعة، وبرنامج «الشريعة والحياة» في قناة الجزيرة، هذه نعتبرها ممَّا يجعل في هذه المؤسَّسات شيئًا من الخير، يُكْتَبُ في سِجِلِّها وصحائف أعمالها عند الله، فنحن نُشَجِّع على هذا، وليس هذا من مجالسة المنكر وأهله.

QaradawiBooks.com

الجماعات الَّتي سلكت طريق العنف والقوَّة في تغيير المنكر:

المقدم: فضيلة الشيخ، مُتَّصل آخر يقول: النبيُّ ﷺ جعل لتغير المنكر مراتب فقال: «**من رأى منكم منكرًا فليُغَيِّره بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1]، وقد أخذ العلماء بمرتبة التغيير باللسان، ولكن ما رأي فضيلتكم في الجماعات الَّتي أخذت المرتبة الأولى ولجأت إلى استخدام القوَّة والعنف في تغيير المنكر، كما يحدث في الجزائر ومصر وأفغانستان مثلًا؟

المقدم: فضيلة الشيخ،

يا ليت علماء الأُمَّة يأخذون بمرتبة اللسان، المشكلة أنَّ معظم علماء الأُمَّة أخذوا بالمرتبة الثالثة مرتبة أضعف الإيمان، بل بعضهم لم يَصِلْ إلى هذه المرتبة.

المُقَدِّم:

هل هناك مرتبة أدنى من مرتبة التغيير بالقلب؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

نعم، الَّذي يُقِرُّ المنكر، ويسكت عليه، والساكت عن الحقِّ شيطان أخرس، وكما أنَّ هناك شياطين خرس، هناك شياطين مُتَكَلِّمة وناطقة بالباطل، وهم الَّذي نُسمِّيهم علماء السلطة وأعوان الشرطة، هؤلاء هم الَّذين يُفرِّخون الفتاوى للحُكَّام ويسيرون في ركابهم، ويُبَرِّرون لهم كلَّ ما يصنعون، وهذا الَّذي نشكو منه.

---

(١) سبق تخريجه صـ٧٣٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إنَّ مهمَّة العلماء هي البيان أن يُبَيِّنوا للناس ويقولون لهم هذا حلالٌ وهذا حرام، وهذا معروفٌ، وهذا منكر، هذا هو المطلوب من العلماء أن يُبَيِّنوا للنَّاس شرع ربِّهم وتعاليم دينهم، المرحلة الوسطى هذه هي مرحلة العلماء، المرحلة الأولى في أساسها هي مرحلة الحُكَّام، والمرتبة الثانية مرتبة البلاغ والتَّبْيِين، هي مرتبة العلماء، فليس العلماء أو غالب العلماء كما يقول الأخ مصطفى قد أخذوا بمرتبة اللسان، يا ليتهم يفعلون هذا، لو فعلوا هذا لقلنا لهم: شكر الله لكم وجزاكم خيرًا.

أمَّا الَّذين قال عنهم: إنَّهم أخذوا بالمرتبة الأولى مرتبة التغيير باليد، واستخدموا القوَّة والعنف في تحقيق ذلك، هؤلاء ليسوا علماء، هؤلاء معظمهم شباب لم يتحصَّن بالعلم الشرعي النافع، قرؤوا قشورًا من العلم، وقرؤوا بعض الأحاديث، وقرؤوا بعض الكتب، وظنَّ كلُّ واحدٍ منهم أنَّه أصبح شيخ الإسلام، ومُفْتِيَ الأُمَّة، فأصبح يُفتي بحلِّ الدماء واستباحة الأموال واستباحة الأعراض.

وفي الحقيقة أنا لا أريد أن أجعل الجميع سواء؛ لأنَّهم يختلفون من طائفةٍ لأخرى، ومن بيئة لأخرى، ومن بلد لآخر، ومن ظرفٍ لآخر، وإنَّما بعض النَّاس منهم في الحقيقة غَلَوْا في هذا، وأباحوا لأنفسهم ما لا يُباح؛ فأجازوا قتل الشيوخ والنساء والأطفال، والناس في قُرَاهم، وهذا شيءٌ لا يُجِيزه أحد.

وآفة هؤلاء في معظمها في رؤوسهم وعقولهم، آفتهم أنَّهم لم يفقهوا الدِّين، كما حدَّثنا النبيُّ ﷺ عن الخوارج: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته إلى قراءتهم**». ومع ذلك وصفهم بأنَّهم: «**يَمْرُقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة، يقرؤون القرآن**

QaradawiBooks.com

لا يُجاوزُ حناجرهم». نعم، هم يقــرؤون القرآن، ولكن لم يتعمَّق القرآن في أعماق قلوبهم ونفوســهم حتَّى يحســنوا فقهه وفهمه، «**يقتلون أهل الإسلام، ويدَعون أهل الأوثان**»[1] فهذا هو الَّذي أدَّاهم إلى ما هم عليه.

وهذا العنف العشوائي نحن نرفضه، وإن كانت له أسبابه الَّذي أدَّت إليه، بعض النَّاس اخترقوا هذه الجماعات، وبعض النَّاس وصلوا بها إلى ما وصلت إليه من أعمال غير مقبولة أيضًا، وهذا كلُّه غير مقبول.

المقدم:

جزاك الله فضيلة الشيخ خيرًا وبارك فيكم.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمم السابقة:

المقدم: فضيلة الشــيخ، الله ﷻ جعل الأمر بالمعــروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله ســببًا لخيريَّة هــذه الأُمَّة المحمَّديَّــة، فهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مــن خصائص هذه الأُمَّة، أم كان موجودًا في الأمم الســابقة؟ وإذا كان موجودًا في الأمم الســابقة فلماذا تميَّزت الأُمَّة المحمَّديَّة بهذه الشُّعْبة بالذات؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

لا شكَّ أنَّ الأمم الســابقة كان موجودًا فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكــر، ولكنَّهم أضاعوا هــذا، أضاعوا فريضة الأمــر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في هذه الآية الكريمة: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ

(١) متَّفق عليــه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومســلم في الــزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]، وكما في قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ٦٣].

حتى الربَّانيُّون والأحبار وعلماؤهم الكبار لم ينهوهم عن قولهم الإثم وأكلهم السُّحْت! يعني المرتبة الأساسيَّة الَّتي يجب أن يقوموا بها، فما بالك بعامَّة الناس؟ فالإلحاح على هذه الفريضة، والتشديد في أنَّها صفة لكلِّ مسلم، وصفة للأُمَّة الإسلاميَّة كلِّها، وصفة للدولة المسلمة إذا مُكِّنت: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١] فهي صفة الأُمَّة وصفة الدولة، وصفة المجتمع، وصفة الأفراد، فهذا التركيز لم يكن في الأمم السابقة.

المقدِّم:

جزاكم الله خيرًا فضيلة الشيخ وبارك فيكم.

مقاطعة فاعل المنكر:

المقدم: فضيلة الشيخ، ذكرتم في الحديث أنَّ بني إسرائيل كان الرجل منهم إذا رأى فاعل المنكر أمره ونهاه، ولكن لا يمنعه ذلك أن يظلَّ أكيله وكليمه وشريبه، وهذا يدخل بنا على سؤال، ماذا أفعل أنا كمسلم مع من يفعل المنكر ويترك المعروف حتَّى لا أتشبَّه ببني إسرائيل؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

الَّذي يجب أن يفعله هو المقاطعة، المقاطعة عمل التغيير بالقلب، والتغيير بالقلب ليس عملًا سلبيًّا، التغيير بالقلب لا بدَّ أن يكون له أثر،

QaradawiBooks.com

من آثاره أن تقاطع أهل المنكر وتبتعد عنهم، أنت لا تستطيع أن تزيل المنكر فَزُلْ أنت عن المنكر، هذا هو الواجب على كلِّ مسلم، أمَّا أن تقول: إنِّي آمره وأنهاه، ثمَّ تكون جليسه وأكيله وشريبه وتقاعده، تصابحه وتماسيه، وتراوحه وتُغاديه، فهذا ليس من التغيير بالقلب في شيء.

ضرر مخالطة أهل المنكر والفساد:

المقدم: فضيلة الشيخ، هل المجالسة والمؤاكلة والاستمرار في مخالطة المنكر وأهله لها ضرر وخطر؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

نعم، خطرها أنَّك تُقِرُّه على فساده وعلى منكره، إذا جالسته يعني ذلك أنَّك راضٍ عنه، فلا بدَّ أن تُظهر غضبك على هذا.

ماهيَّة المعروف والمنكر:

المقدم: فضيلة الشيخ، هذا التوضيح من فضيلتك سيدخل بنا على سؤال الأخ عزت والَّذي يقول فيه: ما هو المعروف الَّذي يجب أن نأمر به؟ وما هو المنكر الَّذي يجب أن ننهى عنه؟ وهل المعروف والمنكر هو ما تعارف عليه المجتمع؟ وعند اختلاط المعروف بالمنكر يصبح المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا، فما هو المعروف؟ وما هو المنكر؟

فضيلة الشيخ:

السبيل إلى معرفة المنكر هو الشرع، بمعنى أنَّ المنكر هو الأمر الَّذي ينكره الشرع، والمقصود به في الشرع المُحَرَّم، وهذا يعني أنَّ الأشياء المشتبهة، والأشياء الخلافيَّة، أو المكروهات، لا تدخل تحت

QaradawiBooks.com

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتَّى قالوا: لا بدَّ أن يكون المنكر مجمعًا عليه، لا يكــون موضع اجتهاد؛ لأنَّ اجتهــادك مخالف لاجتهاد غيرك، الحنفي يرى شيئًا، والشافعي يرى فيه شيئًا آخر، فإذا تزوَّج رجل حنفي بغير وليٍّ، فلا تقل لــه: إنَّك تزوَّجت بغير ولــيٍّ ولا يصح. هذا مذهبه فلا يُنْكَر عليه فيه؛ لأنَّه عنده الأدلة الَّتي استند إليها، ولذلك قالوا: لا بدَّ أن يكون المنكر ثابتًا بالشرع، يعني بالنصوص الشرعيَّة الصحيحة، الصريحة الثبوت والقطعيَّــة الدلالة، لا مجال فيهــا للاجتهاد والتأويل وهكذا، ولذلك جمهور العلمــاء قالوا: إنَّ المنكر الَّــذي نريد أن نُغَيِّره باليد أو باللسان أو بالقلب يكون من الأمور المُجْمَع عليها، وهذا إحدى الشروط الأساسيَّة في إنكار المنكر وتغييره.

دور العقل في تحديد المعروف والمنكر:

المقدم: فضيلة الشــيخ، تفضلتم وقلتم: إنَّ السبيل لمعرفة المنكر هو الشــرع، فهل للعقل مجال في هذا؟ هل للعقــل دخل في تحديد وتصوُّر المنكر؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

لا، الأشياء الَّتي ينكرها الشــرع لا بدَّ أن ينكرها العقل في الغالب؛ ولذلك قال بعضهــم: المنكر في الأصل هو ما تنكره الفطرة الســليمة، يعني عندما قــال الله تعالى عن النبيِّ صلــى الله: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] أي يأمرهــم بالمعروف الَّذي تعرفه الفطر الســليمة والعقول الرشــيدة، وينهاهم عن المنكر، وهو ما تنكره الفطر والعقول، ولذلك يأتي الشرع مؤكِّدًا ومقرِّرًا لما أمر به العقل.

QaradawiBooks.com

أحيانًا قد يتعارف النَّاس على أشـياء مفيدة وطيِّبة، وربَّما تصدر بها قوانين، فهذه يجب أن يلتزم النَّاس بها، مثل إنسان اخترق قوانين المرور وقطع الإشـارة الحمراء، هذا منكر، صحيح أنَّه لا يوجد نصٌّ شـرعي يقول: لا تخترقوا قوانين الإشـارات، ولكن مخالفة هذه القوانين يترتب عليها ضرر يلحق الإنسـان أو يُلحقه بغيره، فهذه الأشـياء الَّتي يتعارف عليها النَّاس تدخل أيضًا في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المقدم:

إذن ما ينكره الشرع ينكره العقل.

فضيلة الشيخ القرضاوي:

نعم، وبعض الأشياء ينكرها العقل وكذلك ينكرها العُرْف، حتَّى ولو لم يرد فيها شـيء، ولكن بشـرط العقل السـليم، فلو تعـارف العقلاء والحكماء على أمرٍ غير لائق، فينبغي أن ينكر على من فعله وأتى به.

المقدم:

جزاكم الله خيرًا.

آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المقدم: فضيلة الشيخ، نفس المتصل يسأل عن صفات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو عن آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

فضيلة الشيخ القرضاوي:

لا شكَّ أنَّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آدابًا يجب أن يتحلَّى بها من يقوم به، حتَّى يؤتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثماره المرجوَّة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة معاينة
QaradawiBooks.com

أولى هذه الآداب: العلم:

فيجب أن يكون الإنسان عالمًا بما يأمر به وينهى عنه، ليس من المفروض أن يكون عالمًا تخرج من الكُلِّيَّات الشرعيَّة، وإنَّما يكون عالمًا بالمسألة الَّتي يأمر بها أو ينهى عنها، مثل إنسان علم أنَّ مسألة ما أو فعلًا ما لا يجوز فينهى عنه، فالخمر مثلًا كل مسلم يعلم أنَّ الخمر حرام، وأنَّ الله تعالى أمر باجتنابها، فمن حقِّ كلِّ من رأى من يتناول ذلك أن يأمره وينهاه.

إنَّما مثلًا القضايا المختلف فيها، فينبغي على الإنسان ألا يقحم نفسه في مثل ذلك، مثل قضيَّة الغناء بآلة وبغير آلة، فيها أقوال كثيرة، حتَّى ذكر الإمام ابن جماعة أنَّ فيها ثمانية أقوال، فأنت لم تُحط علمًا بهذه الأقوال وأدلتها وشروطها وضوابطها، فلا تُدْخِل نفسك في مثل هذا، فيجب أن يكون عالمًا بما يأمر به وينهى عنه على الأقلِّ.

ثاني هذه الآداب: أن يكون رفيقًا فيما يأمر به وفيما ينهى عنه:

يجب أن يتحلَّى بخُلُق الرفق، كما قال النبيُّ ﷺ لعائشة: «**يا عائشة، إنَّ الله يحبُّ الرفق في الأمر كلِّه**»[1]. وقال ﷺ: «**ما دخل الرفق في شيءٍ إلَّا زانه، وما نُزِعَ الرفق من شيء إلَّا شانه**»[2]. وقال الله تعالى لرسوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد رأينا رجلًا دخل على المأمون الخليفة العباسي المعروف، والمأمون كان على شيءٍ من الفقه والعلم، قال له الرجل: يا ظالمُ يا فاجرُ، يا كذا. فقال له المأمون:

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٦٥)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٤)، وأحمد (٢٤٩٣٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

يا هذا ارفقْ بي، فإنَّ الله قد بعث من هو خير منك إلى من هو شرٌّ مِنِّي، وأمره بالرفق. فقال له: ماذا تعني؟ قال: إنَّ الله بعث موسى وهارون وهما خير منك، إلى فرعون وهو شرٌّ مِنِّي، وكانت وصيَّة الله لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤][1]. فالرفق مطلوب في كلِّ شيء بصفة عامَّة، ومطلوب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصفة خاصَّة.

ثالث هذه الآداب: عدم التناقض:

لا ينبغي أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر متناقضًا في شخصيَّته، بمعنى أن يأمر بمعروفٍ ولا يفعله، وينهى عن منكرٍ ولا يتركه، وكما قال أبو العتاهية:

يا وَاعِظَ النَّاسِ قَدْ أَصْبَحْتَ مُتَّهَمًا ... إِذْ عِبْتَ مِنْهُمْ أُمُورًا أَنْتَ آتِيهَا
كالمُلْبِسِ الثوبَ مِنْ عُرْيٍ وَعَوْرَتُهُ ... لِلنَّاسِ بَادِيَةٌ مَا إِنْ يُوَارِيهَا
وَأَعْظَمُ الْإِثْمِ بَعْدَ الشِّرْكِ تَعْلَمُهُ ... فِي كُلِّ نَفْسٍ عَمَاهَا عَنْ مَسَاوِيهَا
عِرْفَانُهَا بِعُيُوبِ النَّاسِ تُبْصِرُهَا ... مِنْهُمْ وَلَا تُبْصِرُ الْعَيْبَ الَّذِي فِيهَا
أَصْبَحْتَ تَنْصَحُهُمْ بِالْوَعْظِ مُجْتَهِدًا ... فَالْمُوبِقَاتُ لَعَمْرِي أَنْتَ جَانِيهَا
تَعِيبُ دُنْيَا وَنَاسًا رَاغِبِينَ لَهَا ... وَأَنْتَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ رَغْبَةً فِيهَا[2]

وقد اختلف العلماء فيمن يرتكب شيئًا من المنكرات هل يجوز له أن ينهى غيره عنه؟ اختلفوا في هذا، وبعضهم قال لا يفيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلَّا إذا كان مجتنبًا، ولكن له الحقَّ أن يأمر وينهى، مثلًا رجل يشرب الخمر، ورأى ولده يفعل ذلك، فقال له: لا تشربْها،

(١) إحياء علوم الدين (٣٣٤/٢).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١١٠٧/٢).

QaradawiBooks.com

يكفي ما جرى لأبيك من مصائب من ورائهـا. أو هو يُدَخِّن، ورأى ابنه يُدَخِّن، فقال له: لا تفعلْ هذا، ابتعدْ عن هذه البليَّة، أنا مبتلًى بها وأتمنَّى أن أتخلَّص منها. فيجوز للإنسـان المبتلى بالشـيء أن ينهى عنه، والله تبارك وتعالى عندما عاب على من يفعل ذلك بقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقـرة: ٤٤]، لم يعب الأمر بالبر، ولكنَّه عاب نسيان النفس لهذا البرِّ الَّذي تأمر به.

رابع هذه الآداب: أن يكون المنكر ظاهرًا من غير تجسُّس:

فقد صرَّح العلماء بأنَّه لا يجوز للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتجسس على النَّاس لكشف ما خفي من المنكرات لغرض الإنكار، وإنَّما عليه إنكار المنكرات الظاهرة وهي المشـاهدة من الآمر والناهي دون الخفيَّة، يقول الماوردي: «وأمَّا ما لم يظهر من المحظورات، فليس للمحتسب أن يتجسَّس عنها، ولا أن يهتك الأستار حذرًا من الاستتار»[(١)]، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجـرات: ١٢]، ومعنى الآية: «خذوا ما ظهر، ولا تتبعوا عوراتِ المسلمين، أي لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتَّى يطلع عليه بعد أن ستره الله»[(٢)]، والمسـلم مطالب بإجراء أحكام النَّاس على الظاهر دون البحث والتَّقَصِّي عن السرائر والأمور الباطنة، ويؤكِّده قولـه تعالـى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبـة: ٥]، وقوله ﷺ لأسـامة بن زيد: «**أفلا شـققتَ عن قلبه حتَّى تعلم أقالهـا متعـوِّذًا أم لا**»[(٣)]، وحديـث عبد الله بـن عُتْبـة قال: سـمعتُ

(١) الأحكام السلطانية للماوردي صـ ٣٦٥، نشر دار الحديث، القاهرة.

(٢) تفسـير القرطبي (٣٣٣/١٦)، تحقيق أحمد البردونـي وإبراهيم أطفيش، نشـر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٦٩)، ومسلم في الإيمان (٩٦)، عن أسامة بن زيد.

QaradawiBooks.com

عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: «إنَّ أناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإنَّ الوحي قد انقطع، وإنَّما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرًا، أمنَّاه، وقرَّبناه، وليس إلينا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه، ولم نُصَدِّقه، وإن قال: إن سريرته حسنة»[1].

وعن زيد بن أسلم، أنَّ رجلًا اعترف على نفسه بالزنى على عهد رسول الله ﷺ، فدعا له رسول الله ﷺ بسَوْط، فأُتِيَ بسوط مكسور. فقال: «**فوق هذا**»، فأتي بسوطٍ جديد لم تُقْطَع ثمرته. فقال: «**دون هذا**»، فأتي بسوطٍ قد رُكِبَ به ولان، فأمر به رسولُ الله ﷺ فجُلِدَ.

ثم قال: «**يا أيُّها النَّاس، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئًا، فليستتِرْ بستر الله؛ فإنَّه من يبدي لنا صفحته نُقِمْ عليه كتاب الله**»[2]، فحثَّه رسول الله ﷺ على الاستتار وعدم الإظهار، وعليه لا يصحُّ هتك الأستار حذرًا من الوقوع في المعصية في السرِّ بعيدًا عن أعين الناس.

مراعاة المصالح والمفاسد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المُقَدِّم:

وما الحكم إذا ترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفسدة؟ وما حدود هذه المفسدة؟ هل هي على الشخص فقط، أم مفسدة عامَّة على المجتمع بأسره؟ وجزاكم الله خيرًا.

---

(١) رواه البخاري في الشهادات (٢٦٤١).

(٢) رواه مالك في الرجم والحدود (٣٠٤٨) تحقيق الأعظمي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فضيلة الشيخ:

نعم، لا بدَّ من اعتبار المصالح والمفاسد عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ما قرَّرتْه **شريعة الإسلام**، فالشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد، وتقليلها بحسَب الإمكان، ولذلك يجب معرفة خير الخَيْرَيْن وشرِّ الشَّرَّيْن، حتَّى يُقَدِّم عند التزاحم خير الخَيْرَيْن ويدفع شرَّ الشَّرَّيْن[١]، فالشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد فهي عدل كلُّها ورحمةٌ كلُّها وحكمة كلُّها[٢]، وقد تجلَّت مراعاة المصالح والمفاسد في دعوته ﷺ وأمره بالمعروف والنهي عن المنكر في مواقف كثيرة.

فعن عائشة: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ألم تري أنَّ قومَكَ حين بنوا الكعبةَ اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟**» قالت: فقلتُ: يا رسولَ الله، أفلا تردُّها على قواعد إبراهيم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لولا حِدْثَانُ قومِكِ بالكفر لفعلتُ**»[٣].

قال ابن حجر: وفي الحديث معنى ما تَرْجَمَ له (يريد ترجمة البخاري بقوله: باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم النَّاس عنه فيقع في أشدَّ منه(؛ لأنَّ قريشًا كانت تُعَظِّم أمر الكعبة جدًّا، فخشي ﷺ أن يظنُّوا لأجل قُرْبِ عهدهم بالإسلام أنَّه غيَّر بناءها لينفرد بالفَخْر عليهم في ذلك، ويُسْتَفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، ومنه

---

(١) منهاج السُّنَّة النبويَّة لابن تيمية (١١٨/٦)، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) إعلام الموقعين (١١/٣).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢٦)، ومسلم في الحج (١٣٣٣)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه، وأنَّ الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولًا ما لم يكن مُحَرَّمًا[١].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ في غزاةٍ، فكسع رجلٌ من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا لَلْأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**ما بال دعوى الجاهليَّة؟!**» فأخبروه بالَّذي كان، فقال النبيُّ ﷺ: «**دعوها؛ فإنَّها مُنْتِنة**». قال: وكان المهاجرون لما قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينةَ أقلَّ من الأنصار، ثمَّ إنَّ المهاجرين كثروا بعد، فسمع بذلك عبد الله بن أُبَيٍّ، فقال: قد فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. قال: فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «**دعْه؛ لا يتحدَّثُ النَّاس أنَّ محمَّدًا يقتل أصحابه**»[٢]

فقتل أهل النفاق ـ الَّذين يخذلون المؤمنين ويشقُّون الصفوف ويُثِيرون الفتنة ويطعنون الأُمَّة من خلفها، ولا يألون جهدًا في إضرار الإسلام ـ مصلحة، إلَّا أن ما يترتَّب على تناقل النَّاس لذلك من الصدِّ عن الإسلام ظنًّا ممَّن يسمع ذلك أنَّ النبيَّ ﷺ يُقْدِم على قتل أصحابه وأتباعه، فهذه مفسدة عظيمة تربو على مصلحة قتل المنافقين، فترك رسول الله ﷺ قتلهم لذلك.

قال الإمام ابن القيِّم: فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويَخْلُفه ضدَّه.

الثانية: أن يقلَّ وإن لم يُزل بجُمْلته.

---

(١) فتح الباري (٢٢٥/١).

(٢) سبق تخريجه صـ٥٨٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الثالثة: أن يَخْلُفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يَخْلُفه ما هو شرٌّ منه.

فالدرجتان الأُولَيانِ مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة مُحَرَّمة.

إذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشِّطْرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة، إلَّا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحبُّ إلى الله ورسوله كَرَمِي النشَّاب وسباق الخيل ونحو ذلك، وإذا رأيت الفُسَّاق قد اجتمعوا على لهوٍ ولعبٍ أو سماعِ مُكَاءٍ وتَصْدِية، فإن نقلتهم عنه إلى طاعة، وإلا كان تركهم على ذلك خيرًا من أن تفرِّغهم لما هو أعظم من ذلك، فكان ما هم فيه شاغلًا لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلًا بكُتُب المجون ونحوها وخِفْتَ من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسِّحْر فَدَعْهُ وكتبه الأولى، وهذا باب واسع؛ وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية قدّس الله روحه ونوّر ضريحه يقول: مررت أنا وبعضُ أصحابي في زمن التَّتَار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم مَنْ كان معي، فأنكرتُ عليه، وقلت له: إنَّما حرم الله الخمر لأنَّها تصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدُّهم الخمر عن قتل النفوس وسَبْيِ الذُّرِّيَّة وأخذ الأموال، فَدَعْهم[1].

فمراعاة المصالح والمفاسد عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ممَّا يجب أن يُرَاعيه من يقوم بذلك، حتَّى لا يؤدِّي ذلك إلى الوقوع في مَفْسَدة أعظم وأخطر من المنكر الَّذي يفعله.

* * *

(١) إعلام الموقعين (١٢/٣، ١٣).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفكر الوسطي يتنامى يومًا بعد يوم في العالَم الإسلامي(١)

الشيخ الدكتور القرضاوي هو فقيه، يجري منه الفقه مجرى الدم، فلا يُسأل عن مسألة حتى يُذهلك باستحضاره لأقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين فيها، وأدلَّة كلِّ قول من القرآن والسُّنَّة، ثم يرجِّح ما تبيَّن له رجحانه. وهو مفتٍ، تتميَّز فتاواه بالاعتدال والقوة؛ حتى كسب ثقة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ترتسم عليه منهجيَّة التيسير في الفقه، والاتِّباع في العقيدة، وهذه المدرسة معروفة منذ زمن الصحابة؛ حيث عرف الناس رُخَص ابن عباس وعزائم ابن عمر، لكنَّ هذا التيسير لم يمنعه من تأليف كتاب «فوائد البنوك هي الربا الحرام»، ولم يمنعه من تحريم التدخين، وردِّه على مَن أباح استلحاق اللُّقطاء، فهو تيسير مرتبط بالقرآن والسُّنَّة، وليس تيسيرًا منحلًّا. ولا يمكن أبدًا أنْ يصادم النصوص كما يظنُّ البعض؛ وإنَّما هو أخذ التفسير الأيسر إذا كان النصُّ يحتمل أكثر من تفسير.

يرى الشيخ أنَّ التغيُّرات الاجتماعية والسياسية، ومعارف العصر وعلومه، وضروراته وحاجاته: كلَّها عوامل مؤثِّرة في ترجيح الفقيه، وانتقائه من داخل المنظومة الفقهية، مع إصراره على عدم مخالفة الإجماع المتيقن.

(١) مجلة الهداية البحرينية، العدد (٣٢١)، ربيع الثاني ١٤٢٨هـ ـ مايو ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

كما يرى أنَّ لكل عصر مشـكلاته وحاجاته المتجددة، وأنَّ الحاجة للاجتهاد حاجة دائمة ما دامت وقائع الحياة تتجدَّد، وما دامت شـريعة الإسلام صالحة لكلِّ زمان ومكان.

ويعتقد الشـيخ أنَّ في عصرنا مجالات تستدعي الاجتهاد بقوة؛ مثل المجال الاقتصادي، والمجال العلمي الطبي.

وكان الشيخ من أول مَن دعا إلى الاجتهاد الجماعي، وقيام المجامع الفقهية. والشيخ أوسع الناس صدرًا وتقبُّلًا للخلاف، وقد قالها في أكثر من محفـل؛ بأنَّ الخلاف الفقهي ليس شـرًّا؛ بل هو دليـل على مرونة الشريعة وخصوبة مصادرها، وثراء فقهها، وتسامح علمائها؛ فقد تعايشت هذه الآراء جنبًا إلى جنب على مر العصور.

وردًّا على سـؤال حول المنابع المعرفية والفكرية التي كوَّنت نظرته المعتدلة، وساهمت في ترسـيخ فكرة الوسـطية لديه، أوضح الدكتور القرضاوي أنَّ الله هيَّأ له أسبابًا متعددة لذلك، أولها حفظ القرآن الكريم حفظًا جيدًا في سـن مبكرة، والتتلمذ على يد نخبة من المشايخ، ولكنه من خلال عقـل ناقد: يأخذ، ويردُّ! كما لفت الشـيخ إلى ولعه بالقراءة، وعدم الاكتفاء بالكتب المدرسية.

ومضى مضيفًا: «التحاقي بدعوة الإخوان والشـيخ حسن البنا ساعد على ترسيخ فكرة الوسطية لدي؛ حيث إن فكر الشيخ البنا يميل بشكل عام إلى الوسطية، باستثناء بعض القضايا التي أخالفه فيها».

واعتبر أنه مما يضيق أفق العالم أنْ يعيش في زمن بعينه، أو الاكتفاء بالقراءة لعالم أو مذهـب بعينه، كما أنَّ البعض لـم يكتفِ بالعيش في

QaradawiBooks.com

الماضي فقط؛ بل كذلك فرض على نفسه العيش في أفق بلد بعينه، مما يعوق قدرته على الإفتاء.

ورفض ما يقال عن أنَّ الفكر المتشـــدد ينتشـــر بشـــدة فـــي العالم الإسلامي في الآونة الأخيرة، لافتًا إلى أنَّ خط الوسطية هو الذي يزداد يومًا بعد يوم، مستشـــهدًا في ذلك بالمراجعات التـــي أعلنتها الجماعة الإســـلامية في مصر، والتي اعتمدت في معظمها على الفكر الإسلامي الوسطي المعتدل، كما أنه في السعودية هناك العديد من الدعاة الشباب الذين عادوا إلى خط الوسطية.

إنَّه العلامة الشيخ يوســـف القرضاوي، الذي تشرفت أسرة «الهداية» بلقائه فكان هذا الحوار:

• الشيخ يوسف القرضاوي معروف بنظرته المعتدلة وفكره الوسطي، ما هي المنابع المعرفية والفكرية التي كونت تلك النظرة؟

إنَّ الله هيَّأ لي أسبابًا متعددة لذلك، أولها حفظ القرآن الكريم حفظًا جيدًا في سن مبكرة، والحضور إلى المشايخ والاستماع لهم، فضلًا عن ولعي بالقراءة وعدم الاكتفاء بالكتب المدرســـية. وأريد أن أقول كذلك: إنَّ التحاقي بدعوة الإخوان والشيخ حسن البنا ساعَد على ترسيخ فكرة الوسطية لدي؛ حيث إن فكر الشيخ البنا يميل بشكل عام إلى الوسطيَّة، باستثناء بعض القضايا التي أخالفه فيها.

وأقول في هذا المقام: إنه مما يضيق أفق العالم أنْ يعيش في زمن بعينه، أو الاكتفاء بالقراءة لعالم أو مذهـــب بعينه، كما أنَّ البعض لم يكتفِ بالعيش في الماضي فقط؛ بل كذلك فرض على نفســـه العيش

QaradawiBooks.com

في أفق بلد بعينه، مما يعوق قدرته على الإفتاء، ويجعله متشددًا لرأي دون آخر.

غير مرخصة للطباعة

• **يُقال: إنَّ الفكر المتشدد ينتشر بشـدَّة في العالَم الإسلامي اليوم.. فما ردُّكم على من يقول بذلك؟**

هذا الكلام غير دقيق وأنا أرفض ما يُقال عن أنَّ الفكر المتشـدد هو السـائد في الآونة الأخيرة؛ بل إنَّ خط الوسطية هو الذي يزداد يومًا بعد يوم، والدليل على ذلك المراجعات التي أعلنتها الجماعة الإسلامية في مصـر، والتي اعتمدت فـي معظمها على الفكر الإسـلامي الوسـطي المعتدل، كما أنَّ في المملكة العربية السـعودية هناك العديد من الدعاة الشباب، الذين عادوا إلى خط الوسطية.

• **هل ترون أنَّ التفرُّق الذي بدأ في الاتسـاع بين المسلمين أنفسهم كان نتاجًا لخطاب ديني متطرف؟**

أنا لستُ من أنصار حصر الأسباب للمسائل المعقدة، فتلك المسائل تكونت نتيجة أسـباب عـدة: بعضها فكريـة، وبعضها دينيـة، وأخرى اجتماعية وسياسية وتاريخية، قد يكون بعضها نتاج من أسباب داخلية، وبعضها خارجية. وقبل أن يصدر الشخص حكمًا صحيحًا؛ لا بدَّ أن ينظر إلى الأمر من جميع جوانبه.

أقول وبـالله التوفيق: لا شـكَّ أنَّ الخطاب الديني لـه أثره في هذه الناحية؛ خاصة إذا كانت الخلافات تتعلـق بالجانب الديني، كالخلاف بين المذاهب الإسـلامية، أو بين المسـلمين والمسـيحيين، ففي هذه الخلافات يدخل الخطـاب الديني أو الوعظي -كعنصر رئيس- أكثر من غيره من العناصر والأسباب الأخرى.

QaradawiBooks.com

• هل نحن بحاجة إلى خطاب ديني موجه لاحتواء الأزمات، لا سيَّما السياسية التي تعصف بالبلدان الإسلامية؟

نحن لا نريد خطابًا دينيًّا موجهًا من قبل أحد: لا من جمعيات ومنظمات دولية، ولا حتى من قبل الحكومات؛ لأنه سيزيد من الخلاف والفرقة، وسيعقد الأمور أكثر مما هي عليه. والحكومات تختلف من حيث توجهاتها، فهذه ذات توجه يميني، وتلك ذات توجه يساري، هذه تتجه إلى واشنطن، وأخرى إلى باريس وموسكو.. وبالتالي فإنَّ أمور كثرة تحكمها!

بل ما نريده هو الخطاب الموجه من قبل أهل العلم والدعوة الثقات، ويكون منطلقا من حاجة الأمة إلى خطاب رشيد، لا من الاستجابة لما تطلبه بعض الحكومات في تغيير مناهج تعليمنا الديني، هم يريدوننا أن نحذف ركنية الزكاة من أركان الإسلام، ونحذف تحريم الربا من باب المعاملات، ونحذف فقه الجهاد في العلاقات الدولية، ونحذف غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم من السيرة، ونحذف عددًا من الشخصيات البارزة في تاريخنا الإسلامي؛ مثل خالد بن الوليد، وطارق بن زياد، وصلاح الدين الأيوبي.. إنهم يريدوننا أن نضع لنا شيئًا يوافق أهواءهم ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون: ٧١].

أخي الكريم، نحن نريد تحديث خطابنا الديني، ولا نريد تحريف الإسلام من أجل ما يريده هؤلاء.

• إذن كيف يمكن أن نشيع خطابًا دينيًّا وسطيًّا؟

بالتوعية والتثقيف وإشاعة الفكر الوسطي، عن طريق وسائل الإعلام المعاصرة، وعن طريق المحاضرات والندوات، والمؤتمرات

QaradawiBooks.com

والخطب، والمقالات والرسائل والكتب، والإنترنت وتوظيف التكنولوجيا الحديثة وغيرها.

بذلك يمكننا إشاعة الخطاب الذي يتسم بالوسطية والتجديد، والأُمَّة اليوم هي أحوج ما تكون للتجديد، وعدم الوقوف على القديم، والجمود على ما سطره الأقدمون، فالحياة تتغيَّر وتتطوَّر، وعلماؤنا قالوا بأنَّ الفتوى تتغيَّر بتغيُّر الزمان والمكان، والعرف والحال. وكما يُقال: لكل مقام مقال.

• **ما السبيل الأمثل بنظركم في إحياء روح الانتماء للإسلام، في عصر تكاد تذوب فيه الشخصية المسلمة؟**

هذا أمرٌ كبير ويجب أنْ يتعاون عليه كلُّ من عنده القدرة على إحياء هذا الدين، وإحياء روح الدين، وإحياء روح الإيمان والشخصية الإسلامية.

هناك واجب على المعلِّمين والمربين، وهناك واجب على المثقفين والمفكرين، والحكام والمسؤولين، على كلِّ هؤلاء أنْ يتعاونوا في إنشاء مناخ يُنمِّي ويُغذِّي الشخصية المسلمة، ذات العقلية المسلمة، والنفسية المسلمة، والخُلُقية المسلمة. وكما قلتُ لك بأنه ليس بالأمر السهل إطلاقًا؛ لأنَّه مسؤولية الجميع، ورسولنا الكريم علَّمنا أنَّ المسؤولية مشتركة فقال: «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته**»[1]، فلو أنَّ كلَّ إنسان بذل جهده وما يستطيع أن يقدِّمه في هذا المجال؛ لاستطعنا أن نصل إلى ما نريد، أو إلى ما يقربنا على الأقل.

(١) سبق تخريجه صـ١٤٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾	٦	١٦١، ٢٨٤
سورة البقرة		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾	٢١	٣٥٧
﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا ﴾	٣٠	٣٥٠
﴿ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	٣٢	٧١٢
﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾	٣٥	٦٠٥
﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾	٤٤	٧٥٨
﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ ﴾	٨٥	٢٠٩، ٢٩٥
﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾	١٠١	٣٥٧
﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ ﴾	١٠٢	٦٠٦
﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم ﴾	١٠٩	٧٠٣

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	١١١	٢٥٤، ٤١٣
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ﴾	١٣٤	٥٧٠
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾	١٣٨	٦٥٨
﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾	١٣٩	٣٥٥
﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾	١٤٠	٢٦٠
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾	١٤٣	٥١، ١٣٦، ١٤١، ٤٠٤، ٥٣٦، ٥٧٦، ٦٦٤
﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾	١٧٣	٣٤٦
﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾	١٨٧	٣٢١، ٤٥٧، ٦١٧
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾	٢٠١	١٤٨، ٤٢٥، ٥٦٨
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ﴾	٢٠٧	٥٤٤
﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾	٢٠٨	٢٩٥
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾	٢١٦	٤٠٧، ٦٧١
﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾	٢١٧	٢٣، ٢٧٥، ٦٧٣
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾	٢١٩	١١٢، ٦٣٧
﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾	٢٢٣	٦١٧
﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾	٢٢٨	٦١٦

غير مرخصة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾	٢٢٩	٤٥٧
﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾	٢٣٣	٣٨
﴿إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾	٢٣٦	٥٨٢
﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾	٢٣٧	٥٨٢
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾	٢٥١	٥٤٥
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾	٢٥٨	٥٤٨
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ﴾	٢٦٠	٧٠٠
﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾	٢٧٢	١٠٣، ٣٦٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٢٧٨	٨٢
﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ﴾	٢٧٩	٨٢، ١١٥
﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ... وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾	٢٨٢	٤٧، ٦٢٦
﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾	٢٨٣	٦٢٦
سورة آل عمران		
﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾	٧	٥٧٩
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾	٨	٦٦٣
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾	١٩	٥٣٤
﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾	٤٧	٥٨٢
﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾	٥٤	٢٩٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾	٦٤	٣٥٦، ٣٥٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾	١٠٠	٥٧٤
﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥ﴾	١٠١	٥٧٤
﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾	١٠٤	٥٣٢
﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾	١٠٥	٥٦٥
﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾	١١٠	١٤١، ٥٧٦، ٦٦٤، ٧٣٦
﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾	١١٢	٥٤٠
﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾	١٤٠	٥٣٩، ٥٥٧، ٥٦٤
﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	١٤٨	٤٢٥
﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾	١٥٩	٥٣٧، ٧٥٦
﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾	١٦٥	٢٤٤
﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾	١٦٩	٦٦٩
﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	١٨٩	٦٣
﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾	١٩٥	٣٠٦، ٣٨٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾	٢٠٠	٦٢٠، ٦٥٣
سورة النساء		
﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾	٣	٤٦٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ ﴾	٤	٥٩٤
﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾	١٩	٦٠٨
﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾	٣٤	٣٠٩
﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾	٣٥	١٨٦
﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾	٤٣	٥٨١
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾	٦٥	٢٩٤
﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ ﴾	٧٥	٦٨٣
﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾	٩٥	٧٤٥
﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾	١١٣	٧١٥
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾	١١٥	٧٠٣، ٧٠٤
﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾	١٣٥	١٣٦
﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا ﴾	١٤٠	٧٤٢
﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾	١٥٧	٢٥٦
سورة المائدة		
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾	٢	٣٠٨، ٥١٧
﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾	٣	١٥٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾	٦	٥٧٩، ٥٨٠
﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْ ﴾	٨	١٣٦، ٣٩٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٣٣	٢١٣
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾	٣٨	٢١٣، ٢١٤
﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾	٤٩	٢٩٤، ٢٩٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ ﴾	٥٤	٤، ٢٧٩
﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾	٦٣	٧٥٢
﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ ﴾	٧٨	٧٣٩، ٧٤١، ٧٥١
﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾	٧٩	٧٣٩، ٧٤١، ٧٥١
﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	٩٨	٧٢٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾	١٠٥	٧٤٥، ٧٤٦
سورة الأنعام		
﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾	٥٠	٢٥٥
﴿ كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾	٥٩	٦٦
﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ ﴾	٨٣	٣٥٠
﴿ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾	٨٩	١٣، ٣٩٠
﴿ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴾	٩٨	٢٣٦
﴿ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾	١٣٢	١١٣
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾	١٥٣	٢٣، ٤٢٨، ٦٦٨، ٧٣١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأعراف		
﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾	١٠	٢٧
﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾	٣١	١١٤، ٣٨١
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾	٣٢	١١٤، ٣٨١
﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾	٨٦	٣٠١، ٥٦٧
﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾	٩٩	٢٩٦
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ ﴾	١٥٧	٢٤٨، ٧٣٧، ٧٥٤
﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾	١٦٧	٢٩٧، ٥٤٠
﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾	١٨١	١٢، ٣٩٠
﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾	١٨٥	٢٥٥
سورة الأنفال		
﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾	٤٦	٥٦٥
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾	٥٣	٦٤٦
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾	٦٠	٢٠، ١٦٩، ٥٢٤، ٦٧٢
﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	٦١	٦٥٢
﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦٢	٦٧٣
﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾	٦٣	٦٧٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾	٦٥	١٨٩
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٧٣	٢٧٦، ٥٨٦
سورة التوبة		
﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾	٥	٧٥٨
﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾	١٩	٦٣٧
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾	٢٨	١١٢، ١١٧
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾	٣٢	١٢، ٨٥، ٦٧٣
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾	٣٣	٥٤٦
﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾	٧١	٣٢٣، ٦٢٧، ٧٣٧
﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ﴾	٩٢	٧٤٤
﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾	١٠٣	٦٣٧
﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾	١٢٢	٣٤، ٦٠، ١٣٩، ١٤٠، ٢٣٥، ٢٩٨
﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾	١٢٧	٢٣٦
﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾	١٢٨	٣٣٠
سورة يونس		
﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	٢٤	٢٥٥
﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾	٣٦	٢٥٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ ﴾	٤١	٣٥٧
﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾	٥٨	٤٢٥
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ ﴾	٩٩	٣٦٢
﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٠١	٢٥٥
سورة هود		
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾	٦	٢٧، ٣٠٢
﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٧	٥٣٤
﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾	١٧	٢٥٦
﴿ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	٣٢	٣٥٠
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾	١١٨	٣٦٢، ٤١٥
سورة يوسف		
﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	٨٧	٤١، ٢٩٦، ٥٤٦
﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾	١٠٨	٢٥٦، ٥٣٢، ٧٣٦
سورة الرعد		
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾	٦	٢٩٧
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾	١١	١٨، ١٢٣، ٦٧٠
﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾	١٧	٥٩
﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾	٤٠	١٠٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	٣٧، ٢٧٧، ٣٥٢، ٥٦٨
﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾	١٦	٣٨١
﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٤٩	٧٢٤
﴿ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾	٥٠	٧٢٤
﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾	٥٦	٥٤٦
﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾	٨٥	٣٨٣
سورة النحل		
﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾	٥	٣٨١
﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾	٦	٣٨١
﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾	٨	٣٨١
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾	١٤	٣٨١
﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	٤٣	١٣٩
﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾	٦٩	٤٦٧
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾	٧٢	٣٠٠
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾	٨٩	٥٣٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾	٩٠	٧٣٨
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾	١٢٥	٣٥٤، ٦٣٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الإسراء		
﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾	١	٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٨٧، ٧٠٨
﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾	٨	٥٤٠
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	١٥	٧٠٣
﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾	٣٢	٦٦٠
﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾	٤٥	٣٦٥
﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ﴾	٤٦	٣٦٥
﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾	٥٧	٢٩٧
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾	٧٠	٣٧٣
سورة الكهف		
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾	١٠	٦٦٣، ٧١٢
سورة طه		
﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا ...﴾	١٧ ـ ٢٢	٧٠٠
﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾	٢٣	٧٠٠
﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾	٤٤	٧٥٧
﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾	٥٠	٦٩
﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾	٩٢ ـ ٩٤	٥٨٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنبياء		
﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾	١٨	٥٣٩
﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾	٩٠	٢٩٧
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٩٢	٦٦٤
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	٥٣١
سورة الحج		
﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾	٢٨	٦٣٧
﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾	٤٠	٦٧٣، ٧٥٢
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	٤١	٦٧٣، ٧٥٢
﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾	٦٨	٣٦٣
﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾	٦٩	٣٦٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾	٧٧	٧٤
﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾	٧٨	٧٤
سورة المؤمنون		
﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾	٥٢	١٤١، ٥٧٦
﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾	٧١	٧٦٧
سورة النور		
﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ﴾	٢	٢١٣، ٢١٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾	٤	٢١٤
﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾	٢٦	٣١١
﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَا﴾	٣١	٣١٨
﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ﴾	٣٢	٦٠٦
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٥٣١
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرًا﴾	٣١	٦٧٢
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗا﴾	٥٤	٦١٠
﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا﴾	٥٩	١٣٩، ٢٢٩، ٢٦٩
﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ...﴾	٦٣ ـ ٦٨	١١٤، ١٢٥
سورة النمل		
﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾	٦	٧١٥
﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾	٣٢	٦٢٩
﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾	٣٣	٦٢٩
﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾	٦٠	٣٨١
سورة القصص		
﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾	١٥	٥٨٣
﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾	٢٣	٣١٧، ٦٤٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾	٢٦	١٣٠
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾	٥٠	٢٥٦
﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾	٧٧	١٤٨
سورة العنكبوت		
﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾	٤٥	٦٣٧
﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	٤٦	٤، ٣٤٩، ٣٥٥، ٤٠٨
سورة الروم		
﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾	٢ ـ ٤	٣٨٢
﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾	٢١	٤٦٨
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾	٥٤	٦٣٦
سورة لقمان		
﴿وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾	١٤	٣٠١
﴿يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ﴾	١٧	٧٣٧
﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾	٢٢	٣١
سورة الأحزاب		
﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾	٢١	٧٢٧
﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾	٢٥	٤٠٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾	٢٨	٣٨٣
﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾	٣٢	٣١٨
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾	٣٦	٢٩٤
﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾	٦٧	٢٥٤
سورة سبأ		
﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾	٢٤	٣٥٥
﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	٢٥	٣٥٥
﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾	٤٦	٢٥٥
سورة فاطر		
﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾	١٤	١٣٩، ٢٢٩
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾	٢٧	٥٨٣
﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾	٢٨	٥٨٣
سورة يس		
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾	٨٢	٦٩٣
سورة ص		
﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	٢٩	٤٣٠
﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾	٧٥ ـ ٨٠	٣٥٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزمر		
﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾	٩	٢٩٧
﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾	٢٢	٢٥٦
﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾	٥٣	٢٩٨
سورة غافر		
﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾	٣	٢٩٧
سورة فصلت		
﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾	١٢	٣٨١
﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٣٥٢
سورة الشورى		
﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾	١٥	٣٦٣، ٤١٦
﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	٣٨	١٢٥
﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾	٤٠	٢٩٤
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾	٥٢	٧١٦
سورة الزخرف		
﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ﴾	١٩	٢٥٥
﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾	٢٢	٢٥٤، ٧٠٣
سورة الجاثية		
﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾	٢٤	١٤٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأحقاف		
﴿ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	٤	٢٥٥
سورة محمد		
﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾	٣٥	٥٤١، ٦٢٠، ٦٥٣
سورة الفتح		
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾	١	٤٠٩
﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾	٢٩	٢٧٦
سورة الحجرات		
﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾	١٢	٧٥٨
﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾	١٣	٣٩٦، ٤٠٧، ٥٧٦
سورة ق		
﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾	٦	٣٨١
سورة الذاريات		
﴿ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾	٤١، ٤٢	١٦٤
سورة الطور		
﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾	٣٥	٢٥٢
﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾	٣٦	٢٥٢
سورة النجم		
﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾	١ ـ ١٨	٦٨٧، ٦٨٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴾	٥ ـ ١٥	٦٩١، ٦٩٢
﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾	١٨	٦٩٢
﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾	٢٣	٢٥٦
﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾	٣٢	٥٦، ٣٢٩
سورة القمر		
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾	١٧	٦٦
﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾	٤٥	٣٨٢
سورة الرحمن		
﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾	٧	٦٠١، ٦٥٦
﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾	٨	٤٠٤، ٦٠١، ٦٥٦
﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾	٩	٤٠٤، ٦٠١، ٦٥٦
سورة الحديد		
﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾	٢٠	٢٩٧
﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾	٢٥	٢٠، ١٦٨
سورة الحشر		
﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾	٧	١١٤
﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ﴾	١٤	٢٧٦، ٤٢٦

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الممتحنة		
﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾	٨	٥٥٠
﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾	٩	٥٥٠
سورة الصف		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾	٤	٢٧٦، ٥٨٤
سورة الجمعة		
﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾	٩	٤٨
سورة المنافقون		
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾	٤	٦١٣
سورة التغابن		
﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾	١٦	٢١٢
سورة الطلاق		
﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ﴾	٢	١٣٦، ٦٢٦
﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾	٧	٦٠٦
سورة التحريم		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾	٦	٢٨٦، ٧١٨، ٧٣٨
سورة المعارج		
﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾	٥	٣٨٣
﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾	٣٣	١٣٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة نوح		
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾	٥ ـ ١٢	١٠٣
سورة الجن		
﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾	١٩	٦٩٣
سورة المزمل		
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾	١ ـ ٦	٦٩٧
﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾	٢٠	٣٨٢
سورة النبأ		
﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴾	٤	٣٨٢
سورة التكوير		
﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾	٢٣	٦٨٨، ٦٩١
سورة الانشقاق		
﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾	٦	٣٧٤
سورة الفجر		
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ... ﴾	٦ ـ ١٤	٥٤٩
سورة الشرح		
﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾	٥، ٦	٦٠٦

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة العلق		
﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۞ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ...﴾	١ ـ ٥	٢٥٨
﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۞ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾	٩، ١٠	٦٩٧
سورة العصر		
﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	١ ـ ٣	٢٨٤، ٧٣٠، ٧٣٧
سورة قريش		
﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾	٣	١١٦
﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ﴾	٤	١١٦
سورة الكافرون		
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۞ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾	١ ـ ٦	٣٥٧

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

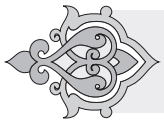

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

غير مخصص للطباعة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
آلله أمرك بهذا	٣٥١
آمروا النساء في بناتهن	٦١٠
ابدأْ بمن تَعُولُ	١٦٤
ابدأْ بنَفْسِكَ	١٦٣
أتحبُّ أن يزني أحد بأمِّكَ؟. يقول له: لا. بأختك؟. لا. بابنتك؟. لا.	٣٥١
أتدرون أيُّ يوم هذا؟، قلنا: الله ورسوله أعلم	٧٣١
أدَّبني ربِّي فأحسنَ تأديبي	٧١٥
إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلَّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض	٣١١، ٦٠٧
إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم الزرع، وتركتم الجهاد	١١١
إذا رأيتَ أُمَّتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم؛ فقد تُوُدِّعَ منهم	٥٥٠، ٦٥٤
إذا صلى أحدكم بالنَّاس فليخفف، فإنَّ فيهم الضعيف والسقيم والكبير	٥٤
إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة	٢٩٦
اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء	٣٨٧، ٤٣٠
أرى عائشة الحبشة، وهم يلعبون بحرابهم في المسجد	٣٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اصبروا، فإنَّه لا يأتي عليكم زمان إلَّا الَّذي بعده شرٌّ منه	٤٢
أعطى النبي ﷺ العزب حظًّا، والآهِل حَظَّين	١١٣
أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة	٦١٢
أُعيذُكَ بكلماتِ الله التامَّة، من كلِّ شيطانٍ وهامَّة، ومن كلِّ عينٍ لامَّة	٤٧١
أفلا شققتَ عن قلبه حتَّى تعلم أقالها متعوِّذًا أم لا	٧٥٨
أقرَّ النبي ﷺ الصحابة الَّذين اجتهدوا في حياته في صلاة العصر في بني قُرَيْظة	٤٣
ألا أدلُّكم على أفضل من الصلاة والصيام والصدقة؟ إصلاح ذات البَيْن	١٨٨
ألا أدلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟. قالوا: بلى	٧٣١
ألا أُنبِّئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثًا. قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: الإشراك بالله	٧٣١
ألا وإنَّ في الجسد مُضْغة؛ إذا صلحت صلح الجسد كله	٧٤٣
اللهمَّ إليك أشكو ضعف قُوَّتي، وقلَّة حِيلَتِي	٦٨٩
اللهم إنِّي أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع (الصاحب)	٧٤
اللهم إنِّي أعوذ بك من الكفر والفقر	٧٤
ألم تري أنَّ قومَكَ حين بنوا الكعبةَ اقتصروا عن قواعد إبراهيم؟	٧٦٠
أمَّا إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عَنِّي	٦٨٩
أمره لمعاذ حين أرسله إلى اليمن: أن يأخذ الزكاة من أغنيائهم ليردها على فقرائهم	١٢٠
إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال، الكِبْر بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ النَّاس	٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٥٣٧
إنَّ الله كتب الإحسان على كلِّ شيء	١٧٠، ١٩٠
إنَّ الله لا ينظرُ إلى صُوَرِكم وأموالكم، ولكن ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالكم	٦١٣
إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنةٍ مَنْ يُجدِّد لها دِينها	١٢، ١٥٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ اللهَ يحبُّ من أحدكم إذا عمل عملًا أن يُتْقِنه	١٧٠، ١٩٠
إنَّ الله يرضى لكم ثلاثًا ـ ومن هذه الثلاث ـ: أن تناصحوا من ولاه الله أموركم	٣٣٥
إنَّ أوَّل ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجلُ يلقى الرجل فيقول	٧٤١
أنَّ جارية بكرًا أتت النبيَّ ﷺ فذكرت أن أباها زوَّجها وهي كارهة، فخيَّرها النبي ﷺ	٣١٤
أنَّ رجلًا اعترف على نفسه بالزنى على عهد رسول الله ﷺ	٧٥٩
أن رسول الله ﷺ جعل للفرس سهمين، ولصاحبه سهمًا	١١٣
إنَّ في جهنَّمَ واديًا، وفي الوادي بئر، يقال له: هبهب	٥٤٩
إنَّ لجسدِكَ عليك حقًّا، وإن لعَيْنِكَ عليك حقًّا، وإنَّ لزوجِكَ عليك حقًّا	٥٦٨
أنَّ النبيَّ ﷺ جاءه جبريلُ، فقال: قُمْ فَصَلِّهْ	٦٩٧
أنا وكافل اليتيم في الجنَّة كهاتين	٧٣٢
إنَّما النساء شقائق الرجال	٣٠٧، ٣٨٠
إنَّما يأكل الذئبُ من الغنمِ القاصيةَ	٥١٧
أيُّ الخلق أعجب إيمانًا؟. قالوا: الملائكة	٧٣١
إيَّاكم والغلوَّ في الدِّين، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلوِّ في الدِّين	٤٠٥
أيُّكما أطبُّ	٤٧١
أيُّما امرأةٍ سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرامٌ عليها رائحة الجنَّة	٤٥٩
الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أعلاها لا إلٰه إلَّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق	٦٣٧، ٧٣٩
ب	
بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ	٤١
البكر تُستأذن في نفسها، وإذنها صمتها	٣١٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتَّى إذا رأيت شُحًّا مطاعًا	٧٤٦
بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يُشْرِكُ به شيئًا	٦٩٠
بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنَّكم غثاءٌ كغثاء السَّيْل	٦٦٨
بين الرجل وبين الشِّرْكِ والكُفْر ترك الصلاة	٧٠١
ت	
تكاثروا وتناسلوا، فإنِّي مُبَاهٍ بكم الأمم	٢٨
تكون النبوَّة فيكم إلى أن يشاء الله أن يرفعها فيرفعها	٥٤٦
تلك عاجلُ بشرى المؤمن	٤٢٥
تناكحوا تناسلوا	٣٠١
تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها	٦٠٧
ث	
ثلاثٌ لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا وذكر أولهم	٥٤٨
الثيِّب أحقُّ بنفسها، والبكر يستأذنها أبوها	٣١٤
ح	
حبُّ الدُّنْيا وكراهيةُ الموت	٦٦٩
خ	
خيار أئمَّتكم ـ أي: حكامكم ـ الَّذين تحبونهم ويحبونكم	٥٤٨
د	
دخلت امرأةٌ النَّار في هِرَّة حبستها، فلا هي أطعمتها	٤٦٧
دعْه؛ لا يتحدَّثُ النَّاس أنَّ محمَّدًا يقتل أصحابه	٧٦١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
دعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماوات	٦٨٠
الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة	٣١٠، ٦٠٦
الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم	٣٢٣، ٣٣٥، ٧٣٦
س	
سباب المسلم فسوقٌ وقتاله كُفْر	١٨٥
سوُّوا صفوفَكم	٣٣
ش	
شاور النبي ﷺ أم سلمة	٣٨
ص	
صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته	٥٢٤
الطُّهُور شطرُ الإيمان	١٦٨
العهد الَّذي بيننا وبينهم الصلاة، فمَن تركها فقد كفر	٧٠١
العينان تزنيان وزناهما النظر، واليدان تزنيان وزناهما اللمس	١٧٥
ف	
فاظفر بذات الدين تربت يداك	٣١٠
فطوبى للغرباء. قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الَّذين يصلحون ما أفسد	٤١
ك	
كاد الفقر أن يكون كفرًا	١٢٤
كان خُلُقه القرآن	٧٢٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كثرة كغثاء السيل	٢٧٧
كُفَّ عليك هذا	٧٣٢
كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته	١٤٥، ٢٨٦، ٧٢٠، ٧٦٨
ل	
لا أجد ما أحملكم عليه	٧٤٤
لا تبكي يا بُنَيَّة، فإن الله مانعٌ أباك. قال: ويقول بين ذلك: ما نالت مِنِّي قريشٌ	٦٩٩
لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا	٧٣٢
لا تختلفوا؛ فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا	٥٦٥
لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا يضربُ بَعْضُكم رقابَ بعض	١٨٥، ٥٦٥
لا تزال طائفة من أمَّتي على الحق ظاهرين، لعدوِّهم قاهرين	٥٤٠، ٦٢١
لا تُقدَّسُ أمَّةٌ لا يُقضَى فيها بالحقِّ ولا يأخذُ الضَّعيفُ حقَّه من القويِّ غيرَ مُتَعتَعٍ	٥٤٩
لا تقوم الساعة حتَّى تقاتلوا اليهود، فيقتلهم المسلمون	٥٤١
لا تُنكح البكر حتَّى تُستأذن قالوا: كيف إذنها؟ قال: أن تسكت	٣١٤
لا نكاح إلَّا بولي	٣١٦
لا يأتي عليكم زمان إلَّا والَّذي بعده شرٌّ منه	٤٢
لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كِبْر	٣٨٢
لا يزال من أُمَّتي أُمَّةٌ قائمةً بأمر الله، ما يضرُّهم من كذبهم ولا من خالفهم	٣٩٠
لا يكُنْ أحدُكم إمَّعة يقول أنا مع النَّاس إن أحسنوا أحسنتُ، وإن أساؤوا أسأت	٢٥٤
لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع	٣٠٤
لعن النبيُّ ﷺ آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهِدَيْه	٨٢، ١١٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لكلِّ داءٍ دواء، فإذا أُصيب دواءُ الداءِ بَرَأ بإذن الله	٤٧٠
لم ير للمتحابَّيْن مثل النكاح	٦٢٢
لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة	٦٢٧، ٦٢٨
لو خصصتم هذا الباب للنساء	٣٩
لولا القِصَاصُ لضربتُكَ بهذا السواك	٣٧٩، ٧٢٨
م	
ما استفاد المؤمن من بعد تقوى الله خيرًا من امرأة صالحة	٣١٠، ٦٠٧
ما أنزل الله من داءٍ إلَّا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله	٤٧٠
ما بال دعوى الجاهليَّة؟ دعوها فإنَّها منتنة	٥٨٤، ٧٦١
ما خاب من استخار	٦٠٩
ما دخل الرفق في شيءٍ إلَّا زانه، وما نُزِعَ الرفق من شيء إلَّا شانه	٧٥٦
ما ظهرت الفاحشة في قوم حتَّى يُعمل بها فيهم علانية	٣٢١
ما ظهر الزنا والربا في قرية إلَّا أحلوا بأنفسهم عقاب الله ﷻ	٣٢١
ما منعكِ من الحجِّ؟، وفي رواية: أن تحجِّي معنا؟ قالت: كان لنا ناضحٌ	٧٠٧
ما من نبيٍّ بعثه الله في أُمَّةٍ قبلي إلَّا كان له من أُمَّتِه حواريُّون	٧٤٢
ماذا أعطاكِ؟. قالت: أعطاني حديقة. قال ﷺ: أَتَرُدِّين عليه حديقَته؟	٤٥٨
مَثَلُ الجليسِ الصالح والسوء، كحامل المِسْكِ ونافخ الكِير	٧٢٠
مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمِهم وتعاطفهم، مَثَل الجسد	٦٦١
المختلعاتُ هُنَّ المنافقات	٤٥٩
مروهم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر	٦٢٥، ٧١٣، ٧٢٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسْلِمُه	٦٦٥
المسلمون أُمَّة واحدة، يسعى بذِمَّتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم	٦٧٥
المسلمون يسعى بذمَّتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم	٥٤٥
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ	٦٩٦
من أراد منكم بَحْبَحَةَ الجنَّة فليلزم الجماعة؛ فإنَّ الشيطان مع الواحد	٧٤٧
مَن حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة	٧٠١
من رأى منكم مُنْكَرًا فليُغَيِّره بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه	٧٤٠، ٧٤٩
من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي	٣١٠، ٦٠٧
من سُئل عن علمٍ فكتمه، أُلْجِمَ يومَ القيامة بلجامٍ من نار	٢١١
من صلَّى صلاتنا، واستقبل قِبْلَتنا، وأكل ذبيحتنا فهو منَّا	٥٧٧
من فاتته العصر، فكأنَّما وُتِرَ أهلَه ومالَه	٧٠٢
من قاتل تحت رايةٍ عُمِّيَّة يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة	٥٨٤
من قال لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدُهما	٥٦
من كان له شعر فليكرمه	١٦٨
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُصَلِّيَنَّ العصر إلَّا في بني قريظة	٥٨٠
المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشُدُّ بعضه بعضًا	٥١٧، ٥٤٥، ٦٨٠، ٦٨١
ن	
ناولي صواحِبَكِ، فقلنْ: لا نشتهيه. فقال: لا تجمَعْنَ كذبًا وجوعًا	٧٢٦
نُصِرْتُ بالرعب مسيرةَ شهر	٦٦٨
نعم هو فتح	٤٠٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
هـ	
هذا سبيل الله، ثمَّ خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله	٤٢٨، ٧٣٠
هلك المُتَنَطِّعون	٤٠٥
و	
والثيب أحق بنفسها من وليها	٣١٦
وذلك أضعفُ الإيمان	٧٣٩
ورأيت أمرًا لا يَدَانِ لك به، فعليك خُوَيْصَّة نَفْسِكَ، ودع أمر العوام	٧٤٦
وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله	٣٢١
وكان النبيُّ يبعث إلى قومه خاصَّة، وبُعِثْتُ إلى النَّاس كافَّة	٥٣١
ولن يَضْرب خيارُكم	٣٧٩
وليَقْذِفَنَّ اللهُ في قلوبكم الوهن	٦٦٧، ٦٦٩
وليَنْزِعَنَّ اللهُ المهابة من قلوب عدوِّكم، وليقذفنَّ اللهُ في قلوبكم الوهن	١٤٤، ٦٧٩
وما أردت أن تُعْطِيهِ؟، قالت: أعطيه تمرًا	٧٢٥
وما يدريكَ يا عمر، لعلَّ الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم	٢٠٤
ومن لم يهتمَّ بأمر المسلمين فليس منهم	٤٧٩
وهل تُنصرون وتُرزقون إلَّا بضعفائكم	٧٣
ي	
يا أيُّها النَّاس، ألا إنَّ ربَّكم واحد، وإنَّ أباكم واحد	٣٧٤، ٣٧٦
يا أيُّها النَّاس، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله	٧٥٩
يا عائشة، إنَّ الله يحبُّ الرفق في الأمر كلِّه	٧٥٦

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
يا معشرَ الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّجْ؛ فإنَّه أغضُّ للبصر	٥٩٥
يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته إلى قراءتهم	٧٥٠
يد الله مع الجماعة	٥١٧، ٧٤٧
يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا	٥٣٦، ٦١٢، ٦٤٨
يشتمني ابنُ آدمَ وما ينبغي له أن يشتمني، ويُكَذِّبني وما ينبغي له	٤٢٧
يقتلون أهل الإسلام، ويدَعون أهل الأوثان	٧٥١
يَمْرُقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة، يقرؤون القرآن لا يُجاوزُ حناجرهم	٧٥٠
يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تَدَاعى الأكلةُ إلى قصعتها	٥، ٦٦٧

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

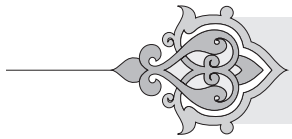

فهرس الموضوعات

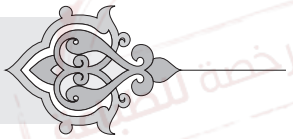

❖ **من الدستور الإلٰهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

• **مقدمة** **٧**

❖ **الصحوة الإِسْلاميَّة فكرة، وفهمٌ، وإيمان وسُلوك** **١١**

الشباب المُثَقَّف يُمَثِّل العمود الفقري للصحوة ١٦

غَيِّر نَفْسَكَ يَتَغَيَّر التاريخ ١٧

الصحوة تُشَجِّع الشباب على اقتحام ميدان التكنولوجيا والتفوُّق فيه ١٩

أُمَّة سورة الحديد لم تتعلَّم بعد صناعة الحديد ٢٠

لا بدَّ أن نشتغل بالعمل الَّذي تنفتح أبوابه لكلِّ النَّاس ٢٤

مخاوف على الصحوة الإسلاميَّة ٢٥

برنامج عملٍ مستقبليٍّ للصحوة ٢٦

لكي ننشئ نسلًا صحيحًا وقويًّا لا مانع من تنظيم النسل ٢٧

QaradawiBooks.com

الملتقى كان ناجحًا وأدَّى مهمَّته ٢٩
تحية ووصية ٣٠
❖ **المسلمون ومطالب القرن الخامس عشر ٣٢**
المقدّمة ٣٢
نشر التراث ٣٣
الثقافة الإسلاميَّة إجباريَّة ٣٤
مركز بحوث السُّنَّة والسِّيرة ٣٥
حاجتنا إلى موسوعتين ٣٥
دائرة المعارف الإسلاميَّة ٣٥
موسوعة الحديث النبوي ٣٦
حفظ القرآن الكريم من الزيادة فيه ٣٦
أهمِّيَّة الإسناد في الحديث ٣٧
أمثلة من الأحاديث غير الصحيحة ٣٩
تصنيف الأحاديث حسب أسلوب العصر ٤٠
أهمِّيَّة الفهرسة ٤٠
الشرح والتوضيح ٤١
المسلم إيجابي ٤١
تصحيح الأفهام المغلوطة ٤٢

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعض الناس قرأ كتابًا واحدًا واعتبر نفسه مجتهدًا وخطَّأ الصحابة ٤٣
الاجتهاد نوعان ٤٤
الاجتهاد الانتقائي ٤٥
حق الاجتهاد لمن؟ ٤٦
شروط الاجتهاد ٤٧
اجتهاد خاطئ ٤٧
الغُلُوُّ في الاجتهاد ٤٨
العلاج الأمثل ٤٩
الاجتهاد ضرورة ٤٩
تطبيق الشريعة الإسلاميَّة ٥٠
التطرف الديني ٥١
تفسيرات عجيبة للدين ٥٣
آفة التشدد ٥٣
اتهام الموتى ٥٤
مخافة العلماء ٥٥
اتهام الأئمة ٥٥
الولع بالتطرف داء قديم ٥٥
الرسول يحذر من تكفير المسلم ٥٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة رقمية
QaradawiBooks.com

أسباب التطرف ٥٦
الاشتغال بالفروع عن القضايا الكبرى ٥٧
جدل وتفريط ٥٧
الاعتماد على المتشابهات ٥٧
الحياة الإسلاميَّة ٥٨
فتح نوافذ الحرية ٥٩
احترام التخصص ٦٠
دعاة العِلمانيَّة ٦٠
عِلمانيَّة تركيا ٦١
المسلمون والصحوة في تركيا ٦٢
نحن نرفض العِلمانيَّة ٦٢
الله أكبر ٦٣
هزيمة يونيو وانتصار رمضان ٦٤
الحملة على اللغة العربيَّة الفصحى ٦٤
لغة مُيَسَّرة ٦٦
مطلوب تعريب العلوم ٦٧
التربية وآثار الاستعمار ٦٨
تدريس الدين في العلوم ٦٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

النظريات المناقضة للإسلام ٦٩
تربية على قيم الإسلام ٧٠
تدريس الشيوعيَّة ٧١
❖ **فكرة الألف مليون دولار ٧٣كيف بدأت، وما دوافعها؟ ٧٣**
بداية الفكرة ٧٣
الدوافع الأساسيَّة ٧٤
مؤتمر كولورادو ٧٥
المحافظة على الرصيد ٧٦
جزء من إحصائية عن التنصير في أفريقيا ٧٦
ممتلكات الكنيسة في أفريقيا ٧٧
أهداف الهيئة ٧٨
الوسائل الَّتي تتبعها الهيئة ٧٩
النظام الأساسي ٨٠
مصادر التمويل ٨١
الربا حرام شرعًا ٨٢
القرارات الَّتي اتخذها مجلس الإدارة ٨٣
سبب اختيار هذه التسمية ٨٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مصرية
QaradawiBooks.com

❖ **قضايا المجتمع الإسلامي المعاصر** **٨٦**

الصحوة الإسلاميَّة ٨٧

ظاهرة المؤتمرات ٨٩

فقدان القيادة القويَّة ٩٠

التخلف العلمي والتقني ٩١

المحاولات لتطبيق الشريعة في بعض الدول الإسلاميَّة ٩٥

جمهورية السودان الإسلاميَّة وموقف الإخوان المسلمين ٩٧

تجمُّد الفقه الإسلامي ٩٨

الحركات الإسلاميَّة وتحقيق الأهداف ١٠٢

الإمام المودودي وفكرته ١٠٧

❖ **حوار حول الاقتصاد الإسلامي** **١١١**

❖ **شاهد على العصر (الحلقة الأولى)** **١٣٤**

❖ **شاهد على العصر (الحلقة الثانية)** **١٥٨**

❖ **الاجتهاد.. فريضة وضرورة** **١٨١**

❖ **من الأسباب الرئيسة لتخلُّف المسلمين عدم فهمهم للإسلام، واهتمامهم بالجوانب الشكليَّة** **١٨٤**

أزمة في الدعوة والدُّعاة ١٨٦

التخلُّف جريمة في حقِّ الإسلام ١٨٩

غير مرخصة للطباعة

نسخة تجريبية

QaradawiBooks.com

❖ **مسؤوليَّة الحركة الإسلاميَّة والخطوط العريضة لترشيدها** ١٩١

أوَّلًا: ضعف النقد الذاتي ١٩٢

ثانيًا: الانقسام والاختلاف ١٩٢

ثالثًا: غلبة الاتِّجاه العاطفي على الاتِّجاه العقلي والعلمي ١٩٣

رابعًا: الخوف من التجديد ١٩٣

المستقبل يبشر بالخير للحركة الإسلاميَّة ١٩٤

❖ **الأسوة الحسنة** ١٩٦

❖ **هل نعيد كتابة تاريخنا الإسلامي** ١٩٩

تاريخنا تَعَرَّض لكثيرٍ من الزيف ٢٠٠

روايات شفهيَّة ينقصها السند والتوثيق ٢٠٠

فلنعدْ إلى منهج الجرح والتعديل ٢٠١

أمور ينبغي أن تراعى ٢٠٢

❖ **مشكلات النظام غير الإسلامي** ٢٠٦

❖ **خطاب التكليف ونصيب الفرد** ٢١٣

❖ **تقنيـن الفقـه** ٢١٥

❖ **قيادة حركة الشباب** ٢٢٠

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ **تعديل شرائط الاجتهاد** **٢٢٢**

❖ **الاجتهاد الأكثر ضرورة** **٢٢٥**

❖ **التخلُّص من الازدواجيَّة** **٢٢٨**

❖ **منجزات الأمم الأخرى** **٢٣١**

❖ **العين السحريَّة** **٢٣٣**

❖ **فقه المعركة وفقه الأوراق** **٢٣٥**

❖ **التآكل من الداخل أكبر خطر يُهَدِّد الصحوة** **٢٣٨**

❖ **يتيـمٌ مُكـرَّم** **٢٤٠**

القراءة والاحتكاك بالعلماء ٢٤١

بين الغزالي وابن تيمية ٢٤٢

البنَّا أستاذي ومُعَلِّمي ٢٤٣

لماذا نحن الضحيَّة دومًا؟ ٢٤٤

خلل في فقه الأولويَّات ٢٤٥

الصحوة تتآكل من الداخل ٢٤٥

ثمار طيِّبة للصحوة ٢٤٦

هذا ما نخاف منه ٢٤٧

عين للإسلام وعين للعصر ٢٤٨

هؤلاء خدموا الإسلام ٢٤٩

غير مرخصة للطباعة

نسخة إلكترونية

QaradawiBooks.com

❖ **الإسلام والعقلانيَّة** **٢٥٠**

أعظم قضيتَيْن ٢٥١

القضيَّة الأولى ٢٥٢

القضيَّة الثانية، إثبات النبوَّة ٢٥٣

القرآن يُمَجِّد العقل ٢٥٤

اليقين لا الظن ٢٥٥

❖ **الإسلام والعقلانيَّة نحن دُعاة العقلانيَّة ولكن!** **٢٥٧**

متى يعزل العقل نفسه؟ ٢٥٨

أيُّها العقل.. قف هنا ٢٥٩

العقل في حاجة لمُعِين ٢٦١

❖ **عِزَّة الإسلام بيد علمائه وشبابه فهل يفعلون؟** **٢٦٣**

استقامة الطريقة ومعرفة الزمان ٢٦٥

يجب أن نتحمَّل المسؤوليَّة ٢٦٦

نتعاون فيما اتَّفقنا عليه ٢٦٦

بين الشباب والعلماء ٢٦٨

بين العِلمانيَّة والعقلانيَّة ٢٧٠

في السياسة الشرعيَّة ٢٧١

شغلنا العلم عن الشعر ٢٧٢

غير مرخصة للطباعة

نسخة تجريبية

QaradawiBooks.com

❖ **أسئلة مُهِمَّة حول الدعوة والتربية والمرأة والحضارة** ٢٧٥

الإعداد العقلي والنفسي للإنسان المسلم ٢٧٥

أزمة مسلمين وليس أزمة إسلام ٢٧٧

جيل النصر المنشود ٢٧٨

الإسلام والسياحة ٢٨٠

الإسلام ومناهج التربية الحديثة ٢٨٣

مناهج التربية الإسلاميَّة وتكوين جيل النصر المنشود ٢٨٦

تجربة المصارف الإسلاميَّة ٢٨٩

مواجهة المنظَّمات التبشيرية ٢٩١

محاولة تطبيق الشريعة في بعض البلاد الإسلاميَّة ٢٩٣

الترغيب والترهيب في الدعوة الإسلاميَّة ٢٩٦

التخصُّص العلمي الدقيق في علوم الشريعة ٢٩٨

الموقف السليم من قضيَّة تحديد النسل ٣٠٠

دور المرأة في الصحوة الإسلاميَّة ٣٠٣

بين المرأة المسلمة والمرأة الغربيَّة ٣٠٥

موقف المرأة المسلمة من الأحداث الإسلاميَّة المعاصرة ٣٠٦

اختيار الزوج والزوجة ٣٠٩

تزويج الأب ابنته بغير رضاها ٣١٢

QaradawiBooks.com

الإسلام وعمل المرأة ٣١٦
التضامن الإسلامي ٣١٨
نظرة الإسلام إلى الجنس ٣٢٠
الدين والدولة ٣٢٢
الدجَّال والحضارة الحديثة ٣٢٥
❖ **حديث عن الدعوة والدُّعاة** ٣٢٨
شباب الدعوة ٣٣١
المعوقات الداخليَّة ٣٣٢
❖ **الجزائر واختيار الإسلام** ٣٣٦
❖ **الإسلام والغرب** ٣٤٨
المُقَدَّس هنا وهناك ٣٤٩
الحوار مع الآخرين في السُّنَّة والتراث ٣٥١
في التراث الإسلامي ملاح مُمَيِّزة للحوار بين المسلمين وغيرهم ٣٥١
اختلاف الموقف الحضاري ٣٥٢
هل تَخَفْ صرامة الموقف الفِكْري الإسلامي؟ ٣٥٤
لا تنازل عن الأساسيَّات ٣٥٦
الأساسيَّات المُحْكَمات محلّ اتِّفاق إسلامي ٣٥٨
كيف تكون الثقافة العالميَّة قاسمًا مشتركًا؟ ٣٥٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الإسلام لا يُفرض على غير المسلم! ٣٦١
الثقافة الإسلاميَّة ثقافة وسطيَّة ٣٦٢
الحوار فريضة وضرورة ٣٦٣
تجربة مع المستشرقين ٣٦٤
المادَّة والرُّوح كيف يلتقيان؟ ٣٦٦
دلالة خطاب وليِّ العهد البريطاني ٣٦٧
مراحل العلاقة بين الإسلام والغرب ٣٦٨
الاستعمار وآثاره ٣٧٠
الحوار مع العقلاء من العلمانيِّين ٣٧٠
العلمانيَّة تجترُّ الماضي ٣٧٢
حقيقة المفهوم الغربي للإنسان ٣٧٣
المفهوم الغربي للإنسان والحجاب ٣٧٦
هل مصادرة الحلال والحرام رفض للحوار؟ ٣٧٧
جارودي وحوار الحضارات ٣٨٠
الإسلام والمستقبل ٣٨٢
تعامل الدولة العُثمانيَّة والغرب، هل هو النموذج؟ ٣٨٣
الهمجيَّة والمدنيَّة بين الإسلام والغرب ٣٨٦
نهاية التاريخ والصراع العقائدي ٣٨٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نخالف فوكوياما والمستقبل للإسلام ٣٩٠
من يملك الحسم في مستقبل الإنسان؟ ٣٩١
ماذا يريد الإسلام من الغرب؟ ٣٩٢
مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب ٣٩٣

❖ **ماذا جرى من حوار بين د. يوسف القرضاوي و«مارغاريتا» السكرتير الأوَّل للسفارة الأمريكيَّة؟ ٣٩٦**

أسباب ودوافع العنف ٣٩٧
لماذا يُرفَض قيام حزبٍ دينيٍّ في مصر؟ ٣٩٨
الشارع المصري يتَّهم أمريكا ٣٩٩
حقيقة الجزائر والديمقراطيَّة ٤٠١
المستقبل، إلى أين؟ ٤٠٢

❖ **ماذا دار بين د. يوسف القرضاوي و«جويس ديفيز» الصحفيَّة الأمريكيَّة؟ ٤٠٣**

لماذا توجهت نحو الوسطيَّة؟ ٤٠٤
أشخاص يوصفون بالاعتدال ٤٠٦
هل رسالة الإسلام هي الاعتداليَّة والوسطيَّة؟ ٤٠٧
ديفيز تسأل ما هو صلح الحديبية؟! ٤٠٨
ماذا حدث في الجزائر؟ ومتى يكون القتال؟ ٤٠٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

رسالتي إلى الشباب ٤١١
لماذا يُقبل الشباب نحو الإسلام في المشرق؟ ٤١٣
ما هي حقيقة العلاقة بين الإسلام والغرب؟ ٤١٤
تعدُّد الأديان، وتعدُّد الحركات الإسلاميَّة ٤٢٠
القرضاوي شخصيَّة العام الإسلاميَّة ٤٢٢
تكريم لمدرسة الوسطيَّة ٤٢٣
إسرائيل تخاف الكلمة ٤٢٥
التكريم دعم لمسيرتي ٤٢٧
عمليَّات السلام الآتية ٤٢٨
القرآن هو المنهج العلمي لأُمَّتنا ٤٣٠
إكثار تلاميذ الوسطيَّة ٤٣١

❖ **القرضاوي في حوار للقُرَّاء اليابانيِّين ٤٣٤**

❖ **القرضاوي يوافق على الهدنة مع إسرائيل**
طلبت من أمير قطر غسل يديه بعد مصافحة بيريز ٤٤٢
السلام مع إسرائيل ٤٤٤

❖ **حوار في التحديات الجادَّة أمام العقيدة ٤٥٠**
القرضاوي الفقه التقليدي ساند المسرفين في الطلاق ٤٥٠
الزواج بالإنترنت ٤٥٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

زواج متنوِّع ٤٥١
في السرِّ ٤٥٢
مُعَوِّقات الزواج الشرعي ٤٥٥
الخُلع ٤٥٧
محاذير ٤٥٩
الفهم الخاطئ مسؤوليَّة المجتمع ٤٦٠
❖ **حوار في التحديات الجادَّة أمام العقيدة** **٤٦٣**
ثقافة مغلوطة وأخرى غازية ٤٦٣
الربا البنكي حرام ٤٦٦
الاستنساخ بين الإجازة والتحريم ٤٦٧
العلم والدين ٤٦٨
بدعة العلاج بالقرآن ٤٦٩
ويضيف **الدكتور القرضاوي** **٤٧٠**
تريُّث وليس تأخيرًا ٤٧١
❖ **العلامة القرضاوي شاهدًا على أحداث القرن العشرين** **٤٧٣**
أثر اتصالي بجماعة الإخوان المسلمين في فكري ٤٧٥
جوالة الإخوان ٤٧٦
نقلة نوعيَّة ٤٧٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أوَّل لقاء بالشيخ البنَّا ٤٧٩
اندماج كُلِّي ٤٨١
أوَّل اعتقال ٤٨٢
«الترحيل» ٤٨٣
شهور الاعتقال ٤٨٤
قرار غير محسوب ٤٨٦
الجماعة منحلَّة ٤٨٨
حركة وطنيَّة شاملة ٤٩٠
إشكاليَّة الصراع ٤٩١
شخصيَّة الهضيبي ٤٩١
لم يكن ضروريًّا ٤٩٢
أخطأ الإخوان ٤٩٤
هل كان يعلم؟ ٤٩٥
حادث المنشيَّة ٤٩٦
لماذا استمرَّ العنف؟ ٤٩٨
إجهاض التجربة ٤٩٩
باب القصور الذاتي ٤٩٩
صعود رغم الصراع ٥٠١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قراءة مغايرة للصراع ٥٠٢
الثورة والإسلام ٥٠٤
إنجازات الثورة ٥٠٥
الثورة والمجانية ٥٠٦
هل انتهت ثورة يوليو؟ ٥٠٨
عنف الحركة الإسلاميَّة ٥١٠
عنف الإخوان والجماعات ٥١٣
مقتل السادات ٥١٤
اتِّهام القرضاوي والغزالي ٥١٥
الشباب المسلم في القرن الجديد ٥١٧
الجماعة المُثْلَى ٥١٨
هل تحولَّت الجماعة إلى تاريخ؟ ٥٢٠
طروحات القرضاوي ٥٢٢
أربعون عامًا في قطر ٥٢٥
جهاد العصر ٥٣١
دورنا مهمٌّ وثقيل ٥٣٣
إنَّنا مطالبون أن نعمل ونجتهد ونبدع ٥٣٤
ملامح الموقع ٥٣٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

واجب الأُمَّة نحو المشروع ٥٣٧

❖ **إجابة عن أسئلة «مركز يافا للدراسات والأبحاث» بالقاهرة ٥٣٩**

❖ **الداعية الكبير في عامه السبعين الأنظمة المستبدَّة تخاف الإسلام المعتدل وتحاربه! ٥٥٤**

نتقدَّم ببطء السلحفاة! ٥٥٤

الضربات المتلاحقة تزيدنا صلابة ٥٥٥

هذه أسباب تفاؤلي ٥٥٦

الإرهاب، والأنظمة المستبدة ٥٥٧

احترام الحكم، ولكن! ٥٥٨

مصير حزب التجمُّع! ٥٥٩

العلاقات مع الغرب ٥٦٠

هزيمة المجاهدين في أفغانستان ٥٦٠

المرأة، خسارة ٥٦١

اختفاء المواهب في ميدان الدعوة ٥٦١

❖ **ثلاث خطوات ضروريَّة لوحدة إسلاميَّة تُقَرِّب بين السُّنَّة والشيعة ٥٦٣**

قال الشيخ ٥٦٣

التقريب بين الشِّيعة والسُّنَّة ٥٦٤

QaradawiBooks.com

❖ **حوار مع الدكتور يوسف القرضاوي ٥٧٢**

فريضة وضرورة ٥٧٤

أمَّة لا أمم ٥٧٦

في تلفزيون قطر ٥٧٦

فكرة التقريب ٥٧٨

الاختلاف ضرورة ٥٧٨

❖ **الحياة ورد وشوك حوار حول قضايا الزواج والأسرة ٦٠٥**

من محركنا وموجهنا غير الدين؟! ٦١٧

❖ **سأزوج ابنتي لمن تحب وأقرأ لإحسان عبد القدوس**

ونزار قباني وسعاد الصباح ٦١٩

القدس ٦٢٠

الزواج عن طريق الأسرة ٦٢١

العمل في المنزل ٦٢٣

أنا خايب في الطبخ، وزوجتي ربَّة بيت ممتازة ٦٢٣

أحتفل بعيد زواجي كل عام ٦٢٤

الرياضة والفن ٦٢٥

المرأة مدعوة للشهادة كناخبة ونائبة ٦٢٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

لا مانع أن تتولى المرأة القضاء بكل فروعه ٦٢٨
أهلية المرأة ٦٢٩
بناتي عالمات ذرة وفيزياء باختيارهن ٦٣٠
مع الشعر ٦٣٢
أنا شاعر ولي ديوانان وأنفعل بالقصيدة الموزونة والمقفَّاة ٦٣٢
الأدب ٦٣٣
التجديد ٦٣٣
الشعر في المعركة ٦٣٥
نحتاج إلى فهم فقه الموازنات ٦٣٦
فقه الأولويَّات ٦٣٧
فقه مقاصد الشريعة ٦٣٧
فقه الاختلاف ٦٣٨
❖ **حوار لمجلة الهيئة الخيريَّة العالميَّة بالكويت** ٦٤٠
العراق والكويت ٦٤٣
السلطة وحماس ٦٤٩
وساطة ٦٥٠
موقفي من صلح اليهود ٦٥٢
مع السادات ٦٥٣
العلمانيَّة ٦٥٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ **مآسي المسلمين في العالم** **٦٦١**

مآسي المسلمين في العالم عظيمة ومتعدِّدة ٦٦٣

تجرُّؤ الأعداء على الأُمَّة ٦٦٤

صمت المسلمين عن مآسيهم ٦٦٥

قوَّة المسلمين في الماضي ٦٦٦

سبب ضعف الأمة **٦٦٧**

بناء الأُمَّة من الداخل أولًا ٦٧٠

الشيشانيُّون فُرِضَ عليهم الحرب ٦٧١

الصراع بين الحقِّ والباطل صراع أبدي ٦٧٢

الأخذ بأسباب النصر ٦٧٣

مؤتمر كولورادو ٦٧٤

فقدان الأُمَّة للقيادة ٦٧٥

الشيشان شعب مسلم ٦٧٦

❖ **الإسراء والمعراج** **٦٨٤**

الإسراء رحلة أرضيَّة ٦٨٧

المعراج رحلة سماويَّة ٦٨٧

الحكمة الأولى ٦٨٨

رؤية النبيِّ ﷺ لربِّه ٦٩١

غير مرخصة للطباعة
نسخة ميزان
QaradawiBooks.com

لا يستحيل في العقل وقوع الإسراء والمعراج ٦٩٢
الإسراء والمعرج بالجسد والروح معًا ٦٩٣
كيفيَّة الصلاة الَّتي صلَّاها النبيُّ ﷺ بالأنبياء ٦٩٥
حقيقة من رآهم النبي ﷺ يُنَعَّمون ويُعَذَّبون ٦٩٥
حكم صيام يوم الإسراء والمعراج ٦٩٦
هل علَّم جبريل النبيَّ ﷺ الصلاة ليلة المعراج؟ ٦٩٧
البُعْد الرابع في الإسراء والمعراج ٦٩٨
مرتبة اليقين ودلائل الإيمان ٦٩٩
الإعداد لمرحلة الجهاد في المدينة ٧٠١
بيان منزلة الصلاة وأهميتها ٧٠١
حكم من ولد في الكُفْر ولم تبلغه الدعوة ٧٠٢
الكثير من البشر لم يسمعوا عن الإسلام ٧٠٣
حياة الأنبياء في قبورهم ٧٠٥
الحكمة من جمع الأنبياء للنبيِّ ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ٧٠٥
العمرة في شهر رجب ٧٠٦
قضية فِلَسْطِين قضيَّة المسلمين جميعًا ٧٠٧
واجب المسلم تجاه قضيَّة القدس وفلسطين ٧٠٨
❖ **التربية الإسلاميَّة** **٧١٠**
معالم منهج التربية الإسلاميَّة وأهدافه ٧١١

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

كيفيَّة غرس الإيمان في القلوب ٧١٦
أثر ما يَبُثُّ في وسائل الإعلام على قضيَّة التربية ٧١٨
الصحبة وأثرها في التربية ٧٢٠
أدب الأطفال والاهتمام به ٧٢١
المؤثِّرات الخارجيَّة في قضيَّة التربية ٧٢٢
الثواب والعقاب في التربية ٧٢٣
حاجة التربية إلى القدوة ٧٢٥
المطلوب في وسيلة الضرب ٧٢٧
إهمال مبادئ التربية الحديثة للبُعْد الأخروي ٧٢٨
استخدام الإشارة لترسيخ المعنى ٧٣٢
تعويد الطفل على العبادة ٧٣٣
خطر المدارس الأجنبيَّة ٧٣٣
❖ **من شعب الإيمان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٧٣٥**
أهميَّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٧٣٦
مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٧٣٩
اعتزال المجتمع وهجر النَّاس بسبب الفساد ٧٤٥
الجماعات الَّتي سلكت طريق العنف والقوَّة في تغيير المنكر ٧٤٩
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمم السابقة ٧٥١
مقاطعة فاعل المنكر ٧٥٢

QaradawiBooks.com

ضرر مخالطة أهل المنكر والفساد ٧٥٣
ماهيَّة المعروف والمنكر ٧٥٣
دور العقل في تحديد المعروف والمنكر ٧٥٤
آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٧٥٥
أولى هذه الآداب العلم ٧٥٦
ثاني هذه الآداب أن يكون رفيقًا فيما يأمر به وفيما ينهى عنه ٧٥٦
ثالث هذه الآداب عدم التناقض ٧٥٧
رابع هذه الآداب أن يكون المنكر ظاهرًا من غير تجسُّس ٧٥٨
مراعاة المصالح والمفاسد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٧٥٩

❖ **الفكر الوسطي يتنامى يومًا بعد يوم في العالَم الإسلامي ٧٦٣**

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٧٧١**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٧٩٣**
- **فهرس الموضوعات ٨٠٣**

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com